﴿ فهرس الجلد الثاني من شرح الشفاء للشهاب ﴾

CHECKED - 1963

الجلد الثانى

من شرح الشفاء لشهاب الدين

الخفاجى

معارف عمومیه نظارت جلیله سنك ۲۵۳ نومرو وفى ١٩ صفر سنه ١٣١٤ وفى ١٨ تموز سنه ١٣١٢ تاريخلى رخصتنامه‌سى حائزدر

درسعادت

١٣١٢

الجلد الثاني

من شرح الشفاء لشهاب الدين الخفاجي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فصل أما أصل فروعها ﴾ هذا الفصل معقود لبيان أصول الأخلاق صريحاً والإشارة إلى جمعها تلويحاً لتحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها وضمير فروعها للأخلاق المذكورة قبله (وعنصر) هو بضم الصاد وفتحها والأول أشهر والثاني أفصح ومعناه الأصل والمادة والعناصر إذا أطلقت يراد بها التراب والماء والهواء والنار لتركب جميع الأجساد منها والأنسب في قوله (ينابيعها) جمع ينبوع وهو منبع الماء منه كالعين وكل ما ينفجر منه الماء (ونقطة دائرتها) والنقطة جزء من الخط والسطح مركب من خطوط منبسطة فإذا كان السطح مستديراً يكون في حاق وسطه نقطة جميع الخطوط الخارجة منها إلى الخط المستدير الذي يحيط بالسطح متساوية وتلك النقطة تسمى مركزاً وذلك السطح يسمى دائرة وكذا الخط المحيط به ويصح إرادة كل منهما هنا فشبه العقل الذي هو منبع الأخلاق عليه بشجرة أصلها العقل وفروعها الأخلاق ونورها وثمارها ما ظهر منها وانتفع به غيره ثم شبهه بعين تلك الأخلاق كأنها الفائضة منها ثم شبهه بنقطة في الوسط المعتدل يتساوى جميع حواشيها والأخلاق كسطح أو خط محيط بها فقال (فالعقل) وهو مشتق أي مأخوذ من عقله إذا شده فمنعه من الحركة لأنه يمنع صاحبه مما لا يليق أو من المعقل وهو الملجأ لالتجاء صاحبه إليه وهو كما قال الراغب يقال للقوى المتهيئة لقبول العلم ويطلق على العلم المستفاد منه ولذا قال علي كرم الله وجهه (٢) العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع إذا لم يكن مسموع كما لا ينفع ضوء الشمس

(٢) اعلم أن ما نقل عنه رضي الله عنه في بيان العقل على ما وقع في بعض الدواوين بطريق النظم في عدة أبيات وهو هذا
* وإن العقل عقلان *
* فمطبوع ومسموع *
* ولا ينفع مطبوع *
* إذا لم يك مسموع *
(قاله مصححه أحمد)
(طاهر القنوي)

وضوء الشمس ممتنع * وفي الحديث ما كسب احد شيئا افضل من عقل يهديه الى هدى او يرده عن ردى * وقال بعض الحكماء هو جوهر وقال آخرون جسم شفاف محله الدماغ او القلب والاصح انه قوة نفسية بها يميز الادراك وليس المراد به هنا العقل العاشر المسمى بالعقل الفعال كما قيل لان اهل الشرع لا يقولون بمثله وقوله (الذي ينبعث منه) اي ينشأ ويخرج وهذا ناظر لكونه ينبوعا وقوله (العلم والمعرفة) العلم يكون بمعنى مطلق الادراك وبمعنى ادراك الكليات والمعرفة ادراك الجزئيات وقيل انها مسبوق بالجهل وقال البيضاوي انها تكون بمعنى العلم كما ان العلم يكون بمعنى المعرفة كما في قوله تعالى (وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) اي الله يعرفهم والعلم بمعنى المعرفة قال الفاضل المحشي معترضا عليه صرحوا بان العلم بمعنى المعرفة لا يطلق على الله لاقتضائه سبق الجهل ونبع فيه السيد في شرح المواقف في قوله علم الله لا يسمى معرفة لا اصطلاحا ولا لغة اجماعا وخطأه فيه الحافظ العراقي رحمه الله تعالى في نكته على المنهاج فقال ان امام الحرمين فسر العلم به واطلاق المعرفة على الله ورد في الحديث وكلام الصحابة واهل اللغة والمتكلمين انتهى فاي اجماع مخالف لهذا ومثله عجب من الشريف (ويتفرع) اي ينشأ ويظهر ناظر لكونه اصلا (عن هذا) عداه بعن لتضمين يتفرع معنى ينشأ والمعروف تعديته بعلى وهذا اشارة للاصل الذي هو العقل (ثقوب الرأي) اي نفاذ رأيه فيما تفكر فيه وتدرك به عواقب الامور ومنه كوكب ثاقب اي مضيء فقوله (وجودة الفطنة) وهي الحذق وسرعة الانتقال (والاصابة) اي موافقة الصواب فهو تفسير لثقوب الرأي (وصدق الظن) اي موافقته للواقع كالنقش كما قال

الالمعي الذي يظن بك الظن * كأن قد رأى وقد سمعا

(والنظر للعواقب) اي كانه ينظر عواقب الامور ويشاهدها كما قال

واني لارجو الله حتى كانما * ارى بجميل الظن ما الله صانع

(ومصالح النفس) مجرور معطوف على العواقب او مرفوع معطوف على ثقوب الرأي اي ما فيه صلاحها وخيرها (ومجاهدة الشهوة) اي مدافعتها وممانعتها عما تريده فانه جهاد اكبر واعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك (وحسن السياسة) لغيره بامره من ساسه اذا حكم عليه وهو لفظ عربي لقوله وكنا نسوس الناس والامر امرنا * وليس معربا كما توهمه ابن كمال في رسالة المعرب كما مر بيانه (والتدبر) النظر في ادبار الامور وعواقبها وهو عطف تفسير لما قبله ايضا (واقتناء الفضائل) اي اكتسابها والتحلي بها (وتجنب الرذائل) اي ترك كل ما يذم ويتنقص به الانسان كالكذب والخيانة (وقد اشرنا) اي ذكرنا فيما تقدم فيما اوردناه في صفاته والاشارة وان كانت تطلق على ما يقابل العبارة قد يراد بها العبارة ايضا لكنه (الى مكانه منه عليه الصلوة والسلام) الضمير الاول له صلى الله تعالى عليه وسلم والثاني للعقل والمكان المرتبة المعنوية في الفضائل يقولون فلان

مطلب اطلاق المعرفة على علم الله سبحانه

بمكان من الفضل يريدون علو رتبته وقيل المراد مكانه من العقل بمعنى انه حائز له ومالك لامره على طريقة التجريد مبالغة فى تمكنه منه ولا يخفى ما فيه من التكلف من غير داع له (وبلوغه من العلم الغاية التى لم يساهمها بشر سواه) كما سينبه (واذ جلالة محله من ذلك) قيل الظرف متعلق بقوله حارت العقول الآتى فى آخر الفصل اى حارت العقول وقت حلوله الى آخره اواذ تعليلية اى حارت العقول لاجل الخ وقيل انه علة للاشارة الى مكانه من وبلوغه غايته اى من اجل ان جلالة محله الخ واذ تعليلية كما فى قوله تعالى (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) وقيل المعنى من اجل ان جلالة محله متحقق بحسب اعتقاد ذلك ويجوز ان يكون ذلك لمجرد التحقق ولا يخفى ما فى هذا كله من التكلف والذى ظهر لى انه معطوف على ماقبله لانه يعلم من اشارته الى مكان منه لم ساعة غيره علو ظاهر فيه فكانه قال اذ علو قدره فيه محسوس مشاهد واذ جلالة محله امر متحقق بالدليل القاطع فانه يدل عليه بالحس والعقل ومثله يسمى العطف على المعنى وهو فى القرآن وكلام العرب متداول قال ناظر الجيش فى شرح التسهيل فى قوله

احدك لن ترى بثعيلبات * ولا بيدان ناجية ذمولا

ولا متدارك والليل طفل * ببعض نواشغ الوادى حمولا

متدارك بالجر لان المعنى لست براء ولا بمتدارك وحمله ابو حيان من العطف على التوهم كقوله

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب الا ببين غرابها

والاولى انه من العطف على المعنى وفرق بينه وبين العطف على التوهم وفيه كلام وقد بيناه فى كتب المعنى وقوله من ذلك اشارة للاصل ولو سلم اصحه تعلقه بقوله حارت كان معطوفا على ماقبله ولا وجه له (وماشرع فيه) من الاخلاق الشريفة وغيرها (متحقق) لاريب فيه اوانه بحسب المعنى (عندمن تتبع) اى علم وفهم بالسبب عن مسببه كما قالوه فى تتبع خواص التراكيب (مجارى احواله) جمع مجرى اومجرى بالضم واصله مسيل الماء والمراد ماجرت به عادته فى احواله ولا يخفى لطفه مع ملاحظة قوله اولا شائعها فانه جار على مجراها ومنحدر اليها (واطراد سيره) الاطراد افتعال من الطرد وهو الجرى خلف شئ من صيد اوغيره ومنه مطاردة الفرسان فى الميدان ومناسبته للسير وان كان المراد بها مطلق الصفات لانها تختص بالعروات وقيل المراد مجال اطرادها لتوافق قوله مجارى احواله اى مجال جريانها والاطراد مصدر اطرد الشئ تبع بعضه بعضا كجرى والانهار تطرد اى تجرى ومنه الاطراد الذى يتبرد اسماء الممدوح وآبائه مرتبة والمعنى جرى سيره فى تداول الكتب منسجمة فهو استعارة ووجه الشبه فيها الكثرة ولا يخفى مافيه من البعد (وطالع جوامع كلامه) اما جمع جامع والمراد الكتب الجامعة للحديث الشريف اوكلماته الجامعة للحكم الى تحير فيها عقول البلغاء والحكماء (وحسن شمائله) بالجر معطوف على كلامه وهى جمع شمال بمعنى الخلق

والصفة قال * فالمؤمن احد من سمالنا * اى من خالق وعادى (وبدائع سيره) اى سيره البديعة وينبغى ان يراد بها كتب السير حتى لايكون مكررا مع مامر (وحكم حديثه) بكسر الحاء وفتح الكاف وهى القول المصيب غرض الحق والحديث معروف (وعلمه بما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة) بالتشديد والتخفيف على الانبياء عليهم الصلوة والسلام كالزبر والصحف اى علمه بذلك والتوراة اجل الكتب المنزلة قبل القرآن واصلها ووريه ابدلت الواو تاء ووريها فعله بفتح العين او كسرها وقيل وريها فوعله والانجيل بالكسر وقد يفتح من النجل وهذا امر تقديرى اجرى عليه احكام الالفاظ العربية اذ الاشتقاق لايجرى فى غير كلام العرب (وحكم الحكماء) جمع حكمة اى مالهم من الحكم فى كلامهم فانهم كان لهم اعتناء بذلك وقد مر انه جمعها ابن مشكويه فى كتاب كبير سماه جاودان خرد وقد طالعته فرايت اكثره ورد فى الاحاديث الشريفة ولكن اين الثريا من الثرى فان رونق الالفاظ النبوية لايمكن مضاهاته (وسير الامم الخالية) اى ماوقع فى زمنهم من الاحوال كما كان صلى الله عليه وسلم يحدث عن بنى اسرائيل وماكان من عجائبهم (وايامها) اى وقائعها فى حروبها ومجادلاتها فان الايام ساغت بهذا المعنى كما يقال يوم حليمة ويوم بعاث وهو اطلاق سائغ صار حقيقة فيه ومما قلته مشيرا لهذا المعنى

عجبت من دهرى زمان شبابى * زمان به طيب السرور كاحلامى
فجاء بايام على اثر مامضى * ولكن حروب قد دعيت بايام

(وضرب الامثال) الامثال جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده الذى وقع فيه اولا مستعار من ضرب الخاتم او اللبن كما حققه اهل المعانى والتفسير وهو مما يؤتى به الغاية لكشف المعنى الممثل له وابرازه فى صورة المشاهد الى غير ذلك والامثال النبوية افردت بالتأليف (وسياسات الانام) السياسة ضبط امور العامة باللسان والسنان وتدبير احوالهم وليس المراد حسن المداراة كما قاله التلمسانى والانام الخلق وقيل الانام عبارة عما تعبر به القوم او الانس او الجن او ماعلى الارض من الخلق فيحذف بحسب مايضاف اليه (وتقرير الشرائع) اى بيان مايتعلق باحكام الشرع فى المعاملات وغيرها (وتفاصيل الآداب النفيسة) اى بيان اصول الآداب التى يتأدب بها الناس فى مجالسهم ومحاوراتهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (اكرموا عزيز كل قوم) ونهيه عن الملاحاة والمجادلة كما مر وقوله (تهادوا تحابوا) وسماها نفيسة لانها مما يتنافس فيها المتنافسون (والشيم الحميدة) جمع شيمة وهى العادة قالوا الانصاف من شيم الاشراف اى عاداتهم والحميدة بمعنى المحمودة معمول مقدر (الى فنون العلم) التى كانت فى الامم السالفة كالطب وغيره لما لم ينه الشرع عنه (التى اتخذ اهلها كلامه عليه الصلوة والسلام فيها قدوة) اقتدوا به فيها واستدلوا به عليها (واشاراته) فى انشاء كلامه بها (حجة) دالا عليها

(كالعبارة) بفتح العين بضبط القلم والمحفوظ فيه كسرها كما قاله البرهان الحلبي وذكره الأزهري والجوهري الا انه لم يضبطه والذي في النسخ كسر العين بمعنى تفسير الرؤيا وهو على قسمين في الرؤيا الصحيحة لأنها على ثلثة اقسام رؤيا ظلمة من الشيطان ومن عوارض بدن الانسان كمن غلبت عليه الحرارة فرأى نارا توقد عنده اوالبرودة فرأى ماء وبحرا اواكل مأكل غليظة سوداوية كالباذنجان فرأى سوادا ويسمى اضغاث احلام ولا تأويل لها وكذا من غلب فكره في شيء فرآه كما قال المعري

الى الله اشكو انى كل ليلة * اذا نمت لم اعدم خواطر اوهامى

فان كان شرا فهو لا بد واقع * وان كان خيرا فهو اضغاث احلام

ورؤيا من الله بر بهاله ملك الرؤيا عند اهل الشرع او يدركها الروح اذا انقطعت عنها علائق البدن واتصلت بالملأ الاعلى فتلقيها الى القوة المخيلة فترتسم في الحافظة وتبقى مشاهدة فيها حتى تستيقظ فان كانت النفس قدسية والقوى قوية وقع مارأته بعينه ولم يحتج للتأويل وهو الاكثر في رؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام ومن كان على سننهم ولذا اراد الخليل عليه الصلوة والسلام ذبح ابنه ولم يأول رؤياه بالفداء حتى امره الله تعالى به والا فتأول بما يناسبه معنى اولفظا اومحاكية صورة وفعلها عبر بالتخفيف نعبر بالضم عبارة بالفتح كعلاقة وطلاقة اوعبارة كرسالة وقد تشدد فيقال عبر تعبيرا قال في الكشاف في سورة يوسف رأسهم يذكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعروف عبرت على بيت انشده المبرد في الكامل يدل عليه وهو

رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عابرا انتهى

هذا ما ذكره من يوثق به في اللغة كالجوهري وصاحب القاموس وغيره وقال في عمدة الحفاظ العبارة بكسر العين تختص بالكلام لعبور الهواء من لسان المتكلم لسمع السامع ولا يستعمل في تفسير الرؤيا انتهى يعنى انها فيه مفتوحة لا غير فتوهم بعض الشراح انها بكسر العين لا غير وانه انكر هذا اللفظ مطلقا واساء سمعا فساء ماجاء به ثم جاء من بعده فصار به مصارنه العميان فقال انه كلام ضعيف مردود فلم يقف على المراد ولم يأت بما يدفع الايراد فاخطأ في المعنى والعبارة واما تحقيق معنى الرؤيا فليس هذا محله ولعل الموفق تقضى الله في بحث النبوة وقد افردناله تعاليقه (والطب) وهو مثلث الطاء الا انه لم يستعمل فيما نحن فيه الا بالكسر والمراد به علم يتعلق ببدن الانسان من حيث الصحة والمرض وهو من علوم الاوائل وللعرب به اعتناء وقد افرد الطب النبوي بالتأليف (والحساب) بكسر الحاء مصدر حسب بمعنى عدّ ثم صار علما لعلم يعرف به احوال المقادير وهو من العلوم الرياضية المدونة (والفرائض) ذكره بعد الحساب لتوقفه عليه وهو علم يعرف به احوال المواريث وهو جمع فريضة بمعنى مفروضة لان الله فرضه وهو من العلوم الاسلامية واطلاق

بهذا اللفظ عليه بعد نزول القرآن ومعناه ظاهر (والنسب) اي معرفة انساب الناس من آدم عليه الصلوة والسلام الى كل عصر وهو من علم التاريخ وكانت العرب تعتني به وهو اعلم الناس به واعلم الناس به بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصديق رضي الله تعالى عنه وهو من نسب الرجل اذا عزوته لابيه ومناسبته للفرائض ظاهرة وهذه العلوم كلها شرعية وفرض كفاية لاسيما الفرائض والانساب فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امر بالمحافظة عليها ولعن من انتسب لغير نسبه فقال من خرج من نسبه وانتمى لغير ابيه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين كما نقله المناوي (وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في ابوابه ان شاء الله تعالى) وقد حصل له عليه السلام ذلك (دون تعليم) من احد من البشر والظرف متعلق بقوله علمه السابق (ولا مدارسة) من درس الكتاب اذا قرأه وحفظه اي لم يعرف بأخذه من الافواه وحفظه لشيء من العلوم عن غيره (ولا مطالعة كتب) يقال طالعت الشيء اذا اطلعت عليه اي لم يطلع على شيء من الكتب بقرائتها او سماعها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اميا بين قوم اميين لم يره احد قرأ ولا تعلم ممن قرأ واستعمال المطالعة بمعنى القراءة وهو مجاز مشهور قريب من معناه اللغوي (من تقدم) ككتب الانبياء عليهم الصلوة والسلام والحكماء (ولا الجلوس الى علمائهم) اي لم يعرف احد انه جلس عند احد ممن يعلم كتب من تقدم ليأخذها عنه والضمير لمن باعتبار المعنى وكل ذلك الذي حصل له صلى الله تعالى عليه وسلم انما هو علم لدني غير مكتسب من احد من البشر واما قوله تعالى ﴿ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر﴾ فهو الرد على قولهم المذكور بانه كذب محض يشهد العيان ببطلانه وقد تولى الله تكذيبهم في ذلك كما هو مبسوط في التفسير (بل) هو صلى الله تعالى عليه وسلم (نبي امي لم يعرف بشيء من ذلك) العلم والمدارسة والمطالعة والمجالسة اي منبئ عن الله او منبئا لا عن مخلوق والامي منسوب الى الام لانه كيوم ولدته امه او الى ام القرى او امة العرب لان القراءة والكتابة كانت عزيزة فيهم والامي الذي لا يكتب ولا يقرأ الكتب وقيل هو الذي لا يكتب وبما شرحناه علمت مناسبة ذكر النبي هنا وفي الحديث انا امة امية لا نحسب ولا نكتب اي على حالنا لم نتعلم حسابا ولا كتابة فلا ينافي ما مر من علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالحساب (حتى شرح الله صدره) اي وسعه ونوره بالعلم والحكمة وهداه لكل حق من العلوم (وابان امره) اي اظهر امره في العلم للناس بآياته الظاهرة ومعجزاته الباهرة واقامة الحجج المتواترة (وعلمه) من لدنه العلوم المعهودة وغيرها (واقرأه) اي اقدره على القراءة بما القاه او بما اوحاه اليه بواسطة الملك والاسناد مجازي او التجوز في الطرف كقوله تعالى ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ (يعلم) بالبناء للمجهول (ذلك) اي ما تبعه صلى الله عليه وسلم من العقل والعلم من غير تعلم (بالمطالعة) اي بالاطلاع على سيره صلى الله تعالى عليه وسلم

وشمائله من كتب الحديث (والبحث عن حاله) وفي نسخة من حاله والظاهر الاول لتعديه بعن وهو بمعنى التفتيش عنه بالسؤال وغيره (ضرورة) منصوب بنزع خافض متعلق بعلم اى من وقف على احواله صلى الله عليه وسلم علم ذلك بمجرد التفات الذهن اليه من غير احتياج الى دليل (وبالبرهان القاطع على نبوته صلى الله عليه وسلم نظرا) اى ويعلم ذلك ايضا بالبراهين القاطعة الدالة على نبوته لمن نظر فيها فقوله بالبرهان معطوف على قوله ضرورة وعلى نبوته حال من البرهان ونظرا تمييز والنظر اصله تقليب البصر للادراك ثم استعمل في التامل والفحص والمعرفة الحاصلة منه والاستدلال وهو المراد هنا اى من نظر في دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم علم قوة عقله وانه احاط بعلوم لا نهاية لها (فلا نطول بسرد الاقاصيص) السرد تعداد امور من القصص ونحوها متتابعة متوالية مستعار من سرد حلق الدروع وخيوط النسج والاقاصيص جمع اقصوصة كاعجوبة بمعنى قصة او جمع قصص على خلاف القياس كما قاله الاصفهاني فقال قص واقاصيص بمعنى اخبر والقصص اسم مصدر وقيل انه يحتمل ان تكون جمع اقصاص جمع قصص كانعام واناعيم فى جمع نعم الا انهم تركوا استعمال اقصاص فانه لم يسمع وفيه تكلف لا يخفى (وآحاد القضايا) احاد بمد الهمزة جمع احد بمعنى مفردانها وفي العباب سئل ابو العباس عن الآحاد هل هو جمع الاحد فقال معاذ الله ليس للاحد جمع ولكن ان جعلتها جمع الواحد فهو محتمل كشاهد واشهاد وليس للواحد شية ولا للاثنين واحد من جنسه انتهى والقضايا جمع قضية وهي الجملة من الكلام الدالة على معنى من الاحكام وهي قريبة من قول اهل الميزان القول المحتمل للصدق والكذب كالخبر فهي اخص من الكلام والجملة ووزنها فعالى عند الكوفيين وفعائل عند البصريين (اذ مجموعها) اى جميع قصصه وقضاياه (مالا يأخذه حصر) اى ضبط واصل معنى الاخذ حوز الشئ وتحصيله ثم استعمل بمعنى الغلبة والقهر كقوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) كما مر وهذا هو المراد هنا وجعل مجازا او كناية عن انه لا يمكن حصره وكذا قوله (ولا يحيط به حفظ جامع) اى لا يحفظ والاحاطة الاخذ بجوانب الشئ واريد به ما ذكر (وبحسب عقله) قال البرهان هو في الاصل بسكون السين ويجوز ان تفتح اى بقدر عقله وادراكه وقد جوز فيه السكون لكنه ضرورة والذي في القاموس هذا بحسب ذا اى بعدده وقد يسكن ولم يخصه بالضرورة (كانت معارفه صلى الله تعالى عليه وسلم) جمع معرفة اى علومه (الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان) اى مضمومة الى جميع ما او باقي ما اطلعه الله عليه مما تقدم في الكون من احوال الامم الخالية وكتبهم وشرائعهم وما اطلعه الله عليه من الغيب الى ما يأتي ولما كانت جلالة قدره بواسطة علمه بما يكون اقوى منها بواسطة علمه بما كان قدم ما يكون في الشمائل على ما كان

في الماضي مع سبقه اهتماما بشأنه ومقتضى الترتيب العكس (وعجائب قدرته وعظيم ملكوته) مجرور معطوف على علم والمراد مااطلعه الله عليه في الاسراء من حقائق الملائكة والسموات واقداره على ذلك في برهة من الزمن وقد مر ان الملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والجبروت ويطلق ويراد به عالم الامر ويقابله الملك (قال الله تعالى) وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة (وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) اى علمك مالم تكن من شانك وفى قدرتك علمه كالمغيبات والاطلاع على احوال الملكوت ولذا امتن عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه فضل عظيم فضله به على مخلوقاته تعالى لانه كقولهم ماكان لك ان تفعل كذا اى لاينبغي ولا يتاتى اولا يصح ولا يمكن ولذا ختم الآية بهذه المنة دون قوله فى الآية الاخرى (علم الانسان مالم يعلم) الا انه يبقى السؤال حينئذ على الآية الثانية بانه اى فائدة فى ذكر هذا المفعول والتعليم معلوم انه لايكون الا بغير المعلوم وقال فى عروس الافراح بعد ماذكر ان لم النافية تجوز فيها انفصال النفى وانفصاله وانهما اجتمعا فى قوله وعلمتم مالم تعلموا انتم ولا اباؤكم وفائدة ذكر المفعول فى قوله تعالى وعلمك مالم تكن تعلم فان كان الانسان لا يعلم الا مالا يعلم التصريح بذكر حالة الجهل التى انتقلوا عنها فانه اوضح فى الامتنان انتهى وفى حاشية السمرامى على المطول ان الشارح قال فى بعض دروسه الاولى ان تقول مالم تكن تعلم كما فى قوله تعالى (وعلمك مالم تكن تعلم) اذلا فائدة فى ذكر المفعول اذ التعليم انما يكون لما لم يعلم ولم تكن فيه اشعار بانه لولم يعلمه لم يحصل العلم لجنايته على غير علام الغيوب وهو بعيد اذ ربما يتوهم حصوله من غير تعليمه تعالى ورد بانه كقوله تعالى (علم الانسان مالم يعلم) الآية فالاولى ان يحمل ذكره على افادة العموم لانه لئلا يتوهم اختصاصه ببعض الافراد كقوله تعالى (ومامن دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه) للتأكيد وقد ذكر لكن قوله من البيان يأباه ويحتمل انه ذكر للسجع انتهى * اقول هذا كله كلام سطحى والذى ظهر لى فى الآية ان جملة علم الانسان مفسرة للصلة وما الموصولة عبارة عن الكتابة والقراءة فانه لما قال له صلى الله تعالى عليه اقرأ فقال ماانا بقارئ سواء اريد النفى اوالاستفهام قال له كيف لاتقرأ وللك ربك الاكرم تفضل على عباده بنعم من اجلها ان كل انسان كان اميا ملك فى ابتداء امره فعلمه الكتابة وقرائتها بالهامه وكيف لا يعلمك وانت اعزهم عليه واقواهم بصيرة فاى فائدة اتم من هذه وكل فعل متعد يدل على فاعل ومفعول ما التزاما ولذا لم يفد ضرب ضارب وضرب المضروب فان اريد عموم او خصوص افاد وهذا اعلم انه لو قال مالم تكن تعلم او عقبه بما عقب به تلك الآية لم يصادق محزه وما قيل من انه لم يذكر الكون فى هذه الآية الكريمة وذكره ثمه لانه ورد فى مقام حال عن اعتبار القوة والاجتهاد فلا يناسبه ذكر الكون المؤذن بهما بخلاف تلك ويؤيده قول الكرمانى فى قوله تعالى (وما كان الله ليضيع ايمانكم)

ان كان ذكرت للتأكيد لان معناه كما فى الكشاف ماصح ويعنى به نفى امكان الاضاعة
وهو ابلغ من نفى الاضاعة نفسها ومنه يعلم السر فى ايراد قوله وعلمك مالم تكن تعلم
بقوله وكان فضل الله عليك عظيما ولم يردف هذه بما فى الاول من المبالغة والتأكيد
انتهى وقد علمت ما فيه مما تقدم وقوله (حارت العقول فى تقدير فضله عليه) المذكور
فى هذه الآية لانه لا يمكن الوقوف عليه ولذا وصفه بانه عظيم ونكره ومايكون عنده
تعالى عظيما كيف يعلمه سواه (وحسرت الالسن دون وصف يحيط بذلك) الفضل
ومالا يدرك كيف يوصف وفى قوله حسرت دون سكتت وصف مبالغة لانه يقتضى
سلب القوة الناطقة ثم ترقى فقال (او ينتهى اليه) اى كيف يحيط بما لم يصل اليه
﴿فصل واما الحلم﴾ اى حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ضبط النفس
والطبع عن هيجان الغضب وعدم اظهاره (والاحتمال) هو افتعال من الحمل وهو يكون
على الظهر وفى البطن ففرق بينهما لفظا ثم استعمل فى التكليف كقوله تعالى (لا تحملنا
مالا طاقة لنا به) وللصبر على المكاره وعدم التأثر منها كما فى الماء لا يحمل الخبث وهو المراد
هنا (والعفو) عدم المؤاخذة بالذنب ونحوه وهو قريب من المغفرة وبينهما فرق تقدم
(مع القدرة) وفى نسخة المقدرة بفتح الدال وضمها وميم مفتوحة مصدر ميمى بمعنى
القدرة ومن كلامهم القدرة تذهب الحفيظة اى الغضب والحمية (والصبر على مايكره)
وكان صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا بغاية لا تدرك (وبين هذه الالقاب) اى بين
مسميات هذه الالقاب (فرق) تمييز بها عن غيره واحتاج الى الفرق لتقارب
معانيها والمراد باللقب اللفظ الجامد الدال على صفة لا ما اصطلح عليه النحاة وهو
كما قال الراغب اسم يسمى به الانسان غير اسمه الاول ويراعى فيه المعنى بخلاف الاعلام
(فان الحلم حالة توقر) بفتح المثناة الفوقية وضم القاف المشددة اى اظهار الوقار
وهو السكون يقال هو وقور ووقار ومتوقر اى ساكن غير مضطرب (وثبات عند
الاسباب المحركات) كالغضب قيل ولابد من ان يكون هذا بسهولة حتى يخرج
الحلم وان كان بعد الاعتياد يصير كذلك (والاحتمال حبس النفس عند) ورود
ما تعبر بها من (الآلام) بمد الهمزة جمع الم وهو ما تؤلم فى اى عضو كان (والمؤذيات)
بالهمزة والواو والذال المعجمة جمع مؤذية والاذى كل ما تأذى به والمراد بحبس
النفس ضبطها حتى تخضع لسلطان العقل وتمتثل لما تأمرها به وفى نسخة العزفى
رواية كما قاله التلمسانى المرديات بالراء والدال المهملتين من الردى بمعنى الهلاك
(ومثلها) قيل المراد مثل المذكورات وقيل المراد مثل الاحتمال وانث ضميره بناء على انه
حال ولو قال ومثله كان احسن واسلم من التكلف (والصبر) فان معناه لغة الحبس ومنه
قتله صبرا اذا امسكه ليقتله فى غير قتال وهذا يؤيد ارجاع الضمير للاحتمال
(ومعناها متقاربة) قال الراغب الصبر الامساك فى ضيق وحبس النفس عما يقتضيه

العقل اوالشرع اوعما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين اسمائه بسبب اختلاف مواقعه فان كان حبس النفس لمصيبة سمى صبرا لاغير ويضاده الجزع وان كان فى محاربة سمى شجاعة ويضاده الجبن وان كان فى نائبة تضجره سمى رحب الصدر ويضاده الضجر وان كان فى الكلام سمى كتمانا ويضاده الذله انتهى ومنه تعلم ان له معنيان خاص وعام فلوحمله المصنف على الخاص غاير اخويه وهوالاولى (واما العفو فهو ترك المؤاخذة) بالهمزة وبالواو غير فصيحة وهى الجزاء على مافعل غيره قيل وفى تفسيره بالترك اشعار بانه لايكون الا عن قدرة لان من لا يقدر عادم لاتارك فتقييده به اولا للتأكيد كقطر نفسه كقوله

وان فى الحلم ذلا انت عارفه * والحلم عن قدرة فضل من الكرم

لانه ان لم يكن عن مقدرة فهو عجز وما احسن قول ابن زيدون

ارى الدهر ان يبطش فانت يمينه * وان تبسم الدنيا فانت لها ثغر
عطاء ولامن وحكم(٢) ولاهوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

(٢) وقد وقع فى اكثر النسخ حلم بدل حكم قاله مصححه

(وهذا كله مما ادب الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى آداب ومحاسن علمها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وارشده بعد ماخلق فيه استعدادا تاما لها كما قال (ادبنى ربى فاحسن تاديبى) وهو احد الحكم فى كونه صلى الله عليه وسلم ربى يتيما حتى يعلم ان ربه مربيه من غير حاجة لامه وابيه (فقال خذ العفو وأمر بالعرف الآية) وتمامها واعرض عن الجاهلين وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق اى تعاط العفو عن الناس وترك مؤاخذتهم وفى عدوله عن اعف الاظهر الاخصر نكتة يعرفها من له المام بالادب كما ان فى قوله وأمر بالعرف دون اعمل اشارة الى انه متصف به مذكور فى جبلته ومن تأمل هذه استخرج منها فوائد لاتحصر وفهم من فسر العفو بالمساهلة وترك المؤاخذه والحث على مكارم الاخلاق فامره باخذ ماسهل من اخلاق الناس وافعالهم من غير كلفة وطلب لما يشق واعرض عليه بانه غير مناسب لقوله (وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية) وهذا الحديث كما قاله السيوطى رواه ابن جرير وابن ابى حاتم وابو الشيخ فى تفاسيرهم وابن ابى الدنيا فى مكارم الاخلاق ووصله ابن مردويه من حديث جابر رضى الله تعالى عنه وعزاه الشيخ قاسم للبخارى عن عبد الله بن الزبير فى قوله خذ العفو الى آخره انه قال ما انزل الله هذه الآية الا فى اخلاق الناس وله فى رواية اخرى تعليقا عن عبدالله قال امر الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأخذ العفو من اقوال الناس اومن اخلاق الناس واما قوله تعالى (واعرض عن الجاهلين) اى عن اذاهم ولاتمارهم فان كان شاملا لمداراة الكفار فهو منسوخ باية السيف وان كان امرا بمكارم الاخلاق وعدم مقابلة من سفه فليست منسوخة * قيل وليس هذا

ماروواه البخاري من ابن عيينة بن حصين استأذن له الحر بن قيس من عمر رضي الله تعالى عنه في الدخول فدخل عليه وقال له يا ابن الخطاب اما تعطنا الجزل وتحكم بيننا بالعدل فغضب عمر رضي الله تعالى عنه فقال له الحر يا امير المؤمنين ان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم خذ العفو الآية وان هذا من الجاهلين فما جاوزها عمر رضي الله تعالى عنه وكان وقافا عند كتاب الله فهذا يدل على انها غير منسوخة وليس كما قال فانه يجوز ان يكون استشهد بها لشمولها غير الكفار لا ان هذا هو معناها فقط (سأل) اي صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل) عليه الصلوة والسلام (عن تأويلها) اي تفسيرها وبيان المراد منها فانه احد معنيي التأويل (فقال له حتى اسأل العالم) يعني الله عز وجل والعالم كالعليم من اسماء الله تعالى ويوصف بهما غيره تعالى اما الاول فظاهر واما الثاني في حق الله فظاهر واما في غيره فكقوله

فان تسألوني بالنساء فانني * عليم بادواء النساء طبيب

والثاني في حق الله تعالى اشهر وقيل المراد بالعالم الكامل في العلم كما في قوله (ذلك الكتاب) فيختص به فانه مساو بهذا المعنى للعليم واما العليم فاطلاقه على غير الله لم يسمع والشعر المذكور لابن الوردي وهو من المتأخرين لا استدل به وهذا الحديث يكفي شاهدا لاطلاق العالم على الله فهو كاف في ثبوته * اقول هذا عجب من مثله وفيه من الخبط مالا يخفى اما قوله ان الشعر المذكور لابن الوردي فافتراء عليه لانه شعر فصيح لبعض العرب وهو مذكور في الشواهد واما استدلاله على العالم بالحديث وهو مذكور في القرآن كقوله (عالم الغيب والشهادة) فمما يقضي منه العجب واما قول جبريل عليه الصلوة والسلام حتى اسأل العالم دون اسأل الله فكأنه تأدب منه لايهام انه لا يسأل الله بالذات فكأن بينه وبينه واسطة اي من هو عالم بالمسئول وفيه ارشاد لمن سئل عن شيء لا سيما القرآن فينبغي ان يتثبت فيه وفي جبريل تسع لغات جبريل بكسر الجيم وجبريل بالفتح وجبرئيل بالفتح مهموزا مشدد اللام وجبرائيل بهمزة بعد الالف وجبرئيل مفتوحا بهمزة بلا الف وياء وجبرئل وجبرين بنون وفتح الجيم وكسرها وفيه لغات اخر وقال الجوهري والازهري وكثير من المفسرين في جبرائيل وميكائيل ان جبر وميك معناهما عبد وئيل وال اسم الله وقال ابو علي الفارسي هذا خطاء لان ال لم يذكر احد انه من اسماء الله تعالى ولانه لو كان كذلك كان عبد الله يلزم آخره حالة واحدة ولا يعرب بحسب العوامل قال النووي وهو الصواب ولا يخفى ما فيه فان ال اذا كان اسما لله وهو سرياني فلا يأباه عدم معرفة العرب له واما اعرابه فلانه لما عرب غير عما كان عليه وجعل اسما واحدا ولذا ارجعوه لاوزانهم والعرف هو الخصال المحمودة لا العرف الشرعي كما توهم (فاتاه) الفاء فصيحة اي انفصل عنه وفارقه ثم اتاه

مطلب في لفظ جبريل تسع لغات

(فقال)

(فقال يامحمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك) الظاهر ان المراد به صلة الرحم والرحم بمعنى القرابة وصلتهم بالاحسان اليهم وفعل الجميل وقوله كالهدية والزيارة وارسال السلام ونحو ذلك وضده قطع الرحم ويحتمل التعميم لتعليم الخلق وترك التهاجر المنهى عنه كما فى قوله (وتعطى من حرمك) يقال حرمه واحرمه بمعنى اى احسن الى من لم يحسن اليك وهذا ارشاد له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته وان كان لا يرجو غير الله واحسانه (وتعفو عمن ظلمك) هذا معنى قوله خذ العفو وما قبله نهى وأمر بالعرف ولم يتعرض لقوله واعرض عن الجاهلين اما لظهوره او للاشارة الى انه فى معرض النسخ اولان المراد بالجاهلين من قطع وظلم وهذا اشارة الى اصول الاخلاق واعظمها واحبها الى الله تعالى وتدبر (وقال له واصبر على ما اصابك الآية) وهذه الآية من وصية لقمان لابنه اذ قال له يا بنى اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر كما قصه الله تعالى فى كتابه الكريم وكل ما قصه الله تعالى من قصص الانبياء عليهم الصلوة والسلام فهو ارشاد لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته وكأنه مما امر به ابتداء فلا يتوهم انها ليست فى حقه اى اذا امرت بمعروف ونهيت عن منكر واصابك بسبب ذلك مكروه فاصبر له (وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) قال العز بن عبد السلام اولوا العزم اولوا الجد والجهد والصبر وهم المأمورون بالجهاد اوالرسل من العرب وقيل من لم تصبه فتنة وقيل من اصابه بلاء بغير ذنب وهم نوح وابراهيم ومحمد صلى الله تعالى عليهم وقيل نوح وابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد وقيل هم المذكورون فى الانعام فى قوله (اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) الا يونس لقصة الحوت انتهى ولا ينافى عد محمد صلى الله عليه وسلم هنا قوله كما صبروهم كلهم من الرسل وقد علمت انه اختلف فيهم فقال مجاهد هم خمسة وهم اصحاب الشرائع وقيل ثلاثة وقيل ستة وقيل جميع الرسل اولوا عزم وقيل كل الانبياء عليهم الصلوة والسلام اولوا عزم الا يونس لعجلته والفاء فى قوله تعالى فاصبر فصيحة لان قبلها (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) اى اذا كان عاقبة الكفرة ما ذكر فاصبر وقد صبر صلى الله عليه وسلم مثل صبرهم وزاد عليهم ومن فى من الرسل بيانية اوتبعيضية والخلاف دائر على تفسير العزم بالصبر كما هو ظاهر الآية اوالجد والاجتهاد اوالجهاد (وقال وليعفوا وليصفحوا الآية) الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم العفو عدم المؤاخذة بالذنب والصفح الاعراض عنه وعن ذكره لان من اعرض عن شئ ولا صفحة عنقه وهذه الآية وان نزلت فى الافك وفى حق ابى بكر رضى الله عنه اذ كان ينفق على مسطح لقرابته منه فلما خاض فى الافك آلى ان لا ينفق عليه فقال الله تعالى (ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين الى آخره) فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه بلى والله انى لاحب ان يغفر الله لى وعاد الى انفاقه عليه فالنبى صلى الله تعالى

عليه وسلم داخل فى عمومها كما فى سائر الخطابات فلا يرد على المصنف ان هذه الآية ليست فى حقه صلى الله عليه وسلم (وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) اى من اهم الامور التى ينبغى التصميم والعزم عليها واللام موطئة للقسم ان قلنا ان من شرطية اولام ابتداء ان قلنا انها موصولة كما فصله المعربون وهذه الآية مع ماقبلها كما علمت نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه وقد شتمه بعض الانصار واستشهد بها المصنف على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان آخذا بذلك معتمدا عليه (ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله) الباء بمعنى فى ويؤثر بمعنى ينقل ويروى من حلمه وتحمله للاذى فانه شائع غير خفى على احد (وان كل حليم) اى ولا خفاء ان كل حليم غيره صلى الله عليه وسلم (قد عرفت منه زلة) بفتح الزاء المعجمة وهى الخطيئة والسقطة قال الشاعر

فى لا ترى زلة ليس بعدها * عفو وزلات النساء كثير

(وحفظت عنه هفوة) بفتح الهاء وسكون الفاء وهى قريبة من الزلة معنى وقال التلمسانى هى بالفاء وهو اكبر وبالقاف وهى السقطة وهو قريب منه وهى من هفا بمعنى زل وسقط او تحرك واسرع (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما) جملة حالية اى مع انه لا بد من الزلة والهفوة فى الغضب والمكاره فهو صلى الله عليه وسلم لا يزداد مع ذلك الا صبرا وحلما والمراد بالجاهل ليس ضد العالم وان كان اشهر معنيه بل هو السيء الخلق الخارق فى اموره قال الشاعر

الا لا يجهلن احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فالجهل بهذا المعنى خلاف الحلم ويتعدى بعلى وقد يترك تعديته كقول الحماسى

وبعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان

وقال بعض الحكماء * لا يحملنك سب الجهول لك * وجرأة السفيه عليك * على الاجابة له وفريه عليه فحلم بمعنى صبرك * خير من سفه يشفى صدرك * وهو بمعنى معايرة الحلم للصبر وان كان مغايرا له كما مر وهذا هو المعروف عند العرب فى الجهل والاسراف بمعنى الزيادة ومجاوزة الحد (حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن على التغلبى وغيره) هو محمد بن على بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين بن عبد المطلب التغلبى بفتح المثناة الفوقية وسكون الغين المعجمة منسوب لتغلب اسم قبيلة سميت باسم ابيهم كمسلم ولامه مكسورة وربما فتح فى النسب ابن خاقان ابو الحسن ولد سنة تسع وثلاثين واربعمائة ومات يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم سنة ثمان وخمسمائة ودفن يوم الجمعة بعد صلوة العصر وكان فقيها ثقة تولى القضاء فى ايام المرابطين ولاه يوسف بن تاشفين فسار باحسن سيرة وبقى فيها مدة عمره وسمع من شيوخ الاندلس واخذ عنه المصنف فى رحلته لقرطبة (قالوا حدثنا محمد بن عتاب) بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية والف وباء موحدة وهو ابن محسن الجذامى

(المحدث)

المحدث الفاضل توفي ليلة الثلاثا لعشر بقين من صفر سنة اثنين واربعمائة قال
(حدثنا ابو بكر بن واقد وغيره) هو يحيى بن عبد الرحمن بن واقد بالقاف والدال المهملة
علم منقول من الواقد بمعنى القادم قال ابن سهل في احكامه كان ابن واقد مقدما
في اصحاب ابن دربث ثم سقط بعد موته والزم داره ثم اعاده المنصور بن سليمان الى مرتبته
وجعل اماما بجامع الزهراء ثم وقعت له امور اقتضت موته في الحبس ودفن بمقبرة
الربض سنة خمسين واربعمائة وانتصر الله من قاتله بعد ايام وفي بعض الحواشي انه
وقع هنا في اصل السماع واقد بالفاء وفيما سيأتي في كيفية الصلوة على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم واقد بالقاف وهو الصواب والاول هو الذي صححه البرهان الحلبي والتلمساني
قال (حدثنا ابو عيسى) هو الليثي واسمه يحيى بن عبد الله بن ابي عيسى روى
عن ابيه عبيد بن يحيى توفي لعشر بن مضين من رمضان سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة قال
(حدثنا عبيد الله) قال البرهان الحلبي هو ابو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير
قال (حدثنا يحيى بن يحيى) قال البرهان الحلبي هو يحيى بن كثير الليثي مولاهم البربري
المصمودي القرطبي الفقيه ابو محمد عالم الاندلس لم يخرج له في الكتب الستة شيء والموطأ
مشهور به وموطأه اصح الموطاء وقد سمعه بجاب واوراته بالاسكندرية اما الذي
له ذكر في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي فهو يحيى بن يحيى بن ابي بكر بن
عبد الرحمن بن يحيى بن حماد التميمي ابو زكريا النيسابوري احد الاعلام انتهى قال
(حدثنا مالك) بن انس بن مالك بن ابي عامر الاصبحي امام دار الهجرة ومن اليه
الرحلة بها صاحب المذهب الجليل واختلف فيه هل هو تابعي او من تبع التابعين ولد
سنة ثلاث وتسعين وتوفي في ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة ومات وهو ابن ست
وثمانين واختلف في جده ابي عامر هل له صحبة ام لا (عن ابن شهاب) هو محمد بن مسلم
بن عبد الله بن شهاب الزهري توفي سنة اربع وعشرين ومائة وقيل غير ذلك (عن
عروة) بن الزبير بن العوام اخو عبد الله بن الزبير احد فقهاء المدينة السبعة روى
عن ابويه الزبير واسماء بنت ابي بكر وخالته عائشة رضي الله تعالى عنهم وغيرهم وتوفي سنة
اربع اوخمس وتسعين بعد الهجرة وولد سنة اثنين وعشرين وهذا حديث صحيح
في الصحيحين والموطأ واختار المصنف رحمه الله طريق الموطأ فقال (عن عائشة) ام المؤمنين
فريدة الصدق ويتيمة الدهر رضي الله تعالى عنها (قالت ماخير رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين امرين قط الا اختار ايسرهما) قال البرهان هذا انما خرجه المصنف
من موطاء مالك عن يحيى بن يحيى وقد اخرجه البخاري ومسلم واصحاب السنن
ولم يروه المصنف من غير هذه الطريق لانه امام مذهبه ولاهل الغرب اعتناء به وترجيحه
على غيره من الكتب الستة ولان سنده فيه من هذه الطريق اعلى من سنده في غيره

لان بينه وبين مالك في هذه الطريق ستة بالسماع وبينه وبينه في رواية الصحيحين سبعة وفي ابي داود ستة الا انه بالاجازة فلذا اختار هذه الطريق على غيرها لما لها من الشان عنده وفي هذا الحديث الاخذ بالاسهل والارفق مالم يكن حراما او مكروها ونقل النووي عن المصنف انه يحتمل ان يكون تخييره هنا من الله فيخيره فيما فيه عقوبتان او فيما بينه وبين الكفار من القتال واخذ الجزية او في حق امته في المجاهدة في العبادة والاقتصاد فيها فيختار الايسر واما قوله (مالم يكن اثما) فيتصور اذا خيره الكفار او المنافقون اما اذا كان التخيير من الله تعالى او المسلمين فيكون الاستثناء منقطعا انتهى قال بعض الشراح انه فهم من قوله مالم يكن اثما الى آخره اى موجب اثم من حرام او مكروه ما فهم من الاستثناء فسماه استثناء وجعله منقطعا لاستحالة ان يخيره الله او خلص المؤمنين بين امرين احدهما اثم وهو مبني على ان ما في معنى الاستثناء له حكم الاستثناء الا ترى الى قول النحاة ان قولك لالزمنك او تقضيني حقي بمعنى الا ان تقضيني حقي فكانه قال هنا الا ان يكون اثما * فان قلت هذا مناف لما ورد ان افضل العبادة احمزها اى اشقها على البدن فكيف يختار غير الافضل * قلت انما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يؤثر الايسر لامته تخفيفا عليهم لا في حق نفسه لانه ارسل بالحنيفية السمحة ولذا كان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورمت قدماه ويؤيده مع ما في نفس الامر قوله في تخيير الحديث انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه يعني ان التخيير بين الاثم وغيره من العباد يتصور واما من الله فلا فاذا اول بما يوجب الاثم او بقضي اليه في حق غيره صح او المراد بالاثم ما لايليق به صلى الله تعالى عليه وسلم لعصمته كما اذا خير بين ملك كنوز الارض وعيش الكفاف ويدل على انه في حقه قوله (فان كان اثما كان ابعد الناس منه) اقول قال العز بن عبد السلام وتبعه الزركشي في قواعده ان قولهم الاجر على قدر المشقة وما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها اجرك على قدر نصبك كما في مسلم ليس على اطلاقه انما هو اذا اتحد العملان في الشرف والشرائط والسنن وكان احدهما شاقا فانه يثاب على تحمل المشقة وذلك كالغسل في الصيف والشتاء اذا لم يتساويا فلا فان الايمان افضل من الاعمال مع خفته والحاصل ان افضل الاعمال انما هو بالمصالح الناشئة عنها فصدق الحمل افضل من قتل الابل وانقياد الحاكم مطلوبا بكلمة افضل من قتله الابل وصيام الاهلة انتهى وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه فلاحاجة لما اطالوا به من غير طائل (وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه) اي لا يعاقب احدا بتقصير وقع منه في حقه بحيث يكون فاعله لم يخالف امر الله فيما فعله لانه بريء من الحظوظ النفسانية والاغراض الدنيوية (الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها) اي بسبب حرمة الله انتقاما كما وحرمة الله ماحرمه وجعله محرما ممنوعا راسخا كالتعدي والتجاوز فيه من تهتك الثوب

اذا لبسته حتى اخلقته ويقال انهكته الحمى اذا اضعفته واضنته فانها كانها تناولها بما لا يحل وانتهك فلان محارم الله اى فعل ما حرم الله فعله عليه لما فيه من ضعف الدين واستدلال حكمه وليس الانتهاك المبالغة فى اتيان ماحرمه الله تعالى كما توهم حتى يرد انه لا يغضب بمجرد فعل محرم او صغيرة مرة واحدة ويحتاج الى الجواب بان من فعل ذلك فقد بالغ فى الجرأة على الرب العظيم او يقال انه كان يعفو عند فعل الصغائر ويغضب اذا فعلت الكبائر فان هذا مما لا ينبغى فانه كيف يخطر بالبال انه عليه السلام يعفو عن الصغائر من غير عذر لفاعلها ولا حاجة ايضا الى حمل هذا على ما يتعلق بالمال فانه عليه السلام اقتص ممن نال من عرضه كما امر بقتل ابن ابى معيط والاخطل واى حرمة لله اعظم من حرمة نبيه عليه السلام ومن اذاه فقد اذى الله وانما المراد ما كان يقع من بعض جفاة الاعراب كالاعرابى الذى امسك بردائه وجذبه حتى اثر فى جيده الشريف وقول بعضهم له كما تأتى اعدل فى القسمة فانك لن تعطى من مال ابيك ونحو ذلك مما صدر منهم لغلاظة طباعهم مما لا يفضى الى ارتكاب محرم فمن ارتكب شيئا من محارم الله نخصر به عليه السلام التى من جملتها احترامه انتصر وعاقبه لله لا لحق نفسه وان تعلق بها اتماما لدين الله ورسوله عليه السلام (وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما كسرت رباعيته) رباعية بوزن ثمانية سن بين الثنية والناب من اليمين والاخرى من اليسار وتقابلها مثلها من فوق فالرباعيات اربع (وشج وجهه يوم احد) الشجة جراحة فى الوجه او الرأس (بعد ذلك) الكسر والشج (على اصحابه شديدا) اى حصل من ذلك فى نفوسهم مشقة وامرا شديدا عظيما (وقالوا) له صلى الله تعالى عليه وسلم (لو دعوت عليهم) اى على الكفار بان يهلكهم الله ويستأصلهم باشد العذاب (فقال انى لم ابعث) بالبناء للمجهول اى لم يبعثنى الله (لعانا) اى داعيا على الناس بالطرد والبعد عن رحمة الله (ولكنى بعثت داعيا) للناس الى الله (ورحمة) للناس اجمعين باخراجهم من الكفر للايمان وتاخير العذاب عمن كفر لا لطردهم عن رحمة الله وابعادهم عنه ثم قال داعيا لهم (اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون) دعا لهم ان يهديهم الله تعالى للاسلام فانهم لا يعلمون طريق الحق ولا يعرفونه قدر نبيه صلى الله عليه وسلم وما يريد بهم من الخير ولو علموا ذلك لم يصدر عنهم ما صدر وفى سيرة ابن هشام وغيره ان عتبة بن ابى وقاص رماه صلى الله تعالى عليه وسلم فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى وجهه الشريف وان ابن قمئة جرح وجنته وضربه بالسيف على شقه الايمن وجرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فى وجنته الشريفة وفى الروض الباسم انه صلى الله تعالى عليه وسلم اصيب وشج جبينه وكسرت رباعيته ورماه عبد الله بن قمئة وضربه بالسيف على شقه الايمن فجرح وجنته ودخلت فيه حلقتان من المغفر وشقت شفته السفلى وصرح ان محمدا قد قتل

وقد اختلف في اسلام عتبة بن ابي وقاص اخي سعد بن ابي وقاص والصحيح انه لم يسلم وابن شهاب اسلم واما ابن قمئة فنطحه كبش فتردى من شاهق فهلك ولكل شيء آفة من جنسه ويقال ان حاطبا تبع عتبة فقتله ولم يولد احد من نسل عتبة الا ابخر اهتم فسرى جريه لعقبه فجور اولاده لا بي نهاء جدهم وقد قالوا ان رباعيته صلى الله عليه وسلم لم تنكسر من اصلها وانما سقطت ودهب منها فلقة وكانت فاطمة رضي الله عنها تغسل دمه وعلي كرم الله وجهه يصب عليها الماء بالمجن فلما رأت فاطمة ان الماء يزيد الدم كثرة احذت قطعة من حصير واحرقتها وذرتها عليه فامسك الدم وكسرت البيضة التي على رأسه الشريف وقال الامام الخضري في خصائصه ان هذا كان قبل نزول قوله تعالى ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ او المراد عصمته صلى الله عليه وسلم من القتل لامن مطلق الاذية كما بين ذلك وما احسن قول ابن الفارض رحمه الله تعالى في الاشارة لذلك

عني حرحت وجنه بالظفر * من ردها فاظفر بحسن الاثر
لم اجن وقد جنت وردا الخفر * الا ترى كيف انشقاق القمر

(وذيل بعضهم فقال)

وما شق وجنته عابثا * ولكنه آية ساطعة للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى * بها كيف كان انشقاق القمر

وبقية قصة احد وما فيها مفصل في السير مشهور فلانطيل السواد به كما في الشرح الجديد ﴿ تنبيه ﴾ قال الامام الفخر في تفسير قوله عز وجل ﴿ ويقتلون النبيين بغير حق ﴾ طعن الملاحدة لعنهم الله وقالوا ان الله اخبر ان الكفار قتلوا الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقد قال الله تعالى ﴿ انا لننصر رسلنا ﴾ وقال ﴿ انهم لهم المنصورون ﴾ وما في معناه من الآيات ومن كان الله ناصره فهو منصور ابدا فما بالهم قتلوا فهو تناقض واجيب بوجهين الاول انه لم يثبت في الكتاب ولا في خبر متواتر قتل رسول من الرسل الذي اخبر الله بنصرهم وانما ثبت قتل الانبياء لان الرسل هم الذين اوتوا المعجزات لاظهار الدين الحق ودعوة الخلق فكان عصمتهم عن القتل من آياتهم الحسية الدالة على صدق دعواهم الرسالة وولاية الفعل مما يوهن دعوتهم بخلاف الانبياء اذ ليس لهم دعوة وتبليغ والثاني ان المراد النصر بالحجة لا بالعصمة انتهى (وعن عمر) رضي الله عنه قال السيوطي رحمه الله ان هذا لا يعرف عن عمر في شيء من كتب الحديث ونقله الشيخ قاسم في تخريجه لاحاديث هذا الكتاب وكانه لم يقف له الى الان على اصل وتقدم مافيه (انه قال في بعض كلامه) اي كلام قاله لما رآى ما اصابه صلى الله تعالى عليه وسلم من كسر رباعيته وشجه في غزوة احد (بابي انت وامي يا رسول الله) هذا الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره افديك وتسمى هذه الباء باء التفدية ومعناه اني اجعل ابوي فداء دونك وابدأهما في جملتك بقوله الرجل لمن هو اعز شانه

من نفسه واهله وماله لانهم كانوا يبذلون الانفس فى صيانة اهلهم وقد تكلم بهذا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه الكلمة جارية مجرى المثل فى ذلك وقد يظهرون متعلق الجار والمجرور والفداء بكسر الفاء والمد وفتحها مع القصر فكاك الاسير يقال فداه يفديه فداء وفدى وفاداه اذا بذل فداه وفداه بالتشديد اذا قال جعلنى فداك وهى كلمة تقال فى المعظم وتدخل الباء على المبذول المفدى به وقد تعكس كما فى قوله

فديت بنفسه نفسى ومالى * وما آلوك الا ما اطيق

وجعله فى المعنى من المقلوب كعرضت الناقة على الحوض وقد جرى عمر رضى الله تعالى عنه فى هذا على ما تداوله العرب والا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم حقيق بان يفدى بالنفوس فضلا عن الآباء والامهات ولقد قال الآخر

نفسى الفداء لقبر انت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

فانظر قصة على كرم الله وجهه اذ فداه بنفسه ونام مكانه لما هموا بقتله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اول من اشترى نفسه من الله كما مر ومقامه دون عمر رضى الله تعالى عنه كما هو معلوم (لقد دعا نوح) عليه الصلوة والسلام (على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) وانما قال عمر رضى الله تعالى عنه هذا لان مشربه كان مشرب نوح عليه الصلوة والسلام كما ان مشرب الصديق رضى الله تعالى عنه كان مشرب ابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام وتذر كتدع بمعنى تترك وديار بمعنى احد وهو مختص بالنفى يقال ما فى الدار ديار ودورى اى احد واصله ديوار فاعل اعلال سيد وميت وادغم والفاء عاطفة للمفصل على المجمل (ولو دعوت علينا) اى على الناس كلهم (مثلها) اى مثل دعوة نوح عليه الصلوة والسلام (لهلكنا من عند آخرنا) هذا التركيب وقع فى كلام العرب والمراد به من اولنا الى آخرنا اى جميعنا ولشراح الكشاف فيه كلام فقيل تقديره من اولنا الى آخرنا كما ذكر وعند مقحمة وقيل من بمعنى الى وقيل انه كناية عن هلاك الجميع لانه لا يكون الهلاك عند آخرهم الا اذا شملهم جميعا فان اردت تحقيقه فانظر شروح الكشاف فى اول سورة البقرة (فلقد وطىء ظهرك) الوطىء الدوس بالقدم وفى الشرح الجديد انه لم ينقل ان احدا من المشركين وطىء ظهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقدمه ولعله عبارة عما روى فى السير من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى عند البيت وثمة كرش ذبيحة فيها فادورات فقال ابو جهل لعنه الله لجماعة جالسين ثمة الا رجل يقوم الى هذا القذر فيلقيه على محمد وهو ساجد فانبعث اشقاها وهو عقبة بن ابى معيط فالقاه عليه فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم * اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف وكانوا ابا جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وعقبة بن ابى معيط وامية بن خلف وعمارة بن الوليد وهم المشهورون

فاهلكهم الله جميعا فاما ان يكون سمى هذا وطأ لما فيه من الاهانة الشديدة كما سمى الغزو وطأ او وقع هذا فى قصة لم نقف عليها (وادمى وجهك) اى جرح فى وقعة احد يقال ادميته اذا جرحته فاسلت دمه والذى فعل به صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك عتبة بن ابى وقاص اخو سعد كافرا وفيه يقول حسان رضى الله عنه

اذا الله جازى معشرا بفعالهم * ونصرهم الرحمن رب المشارق
فاخزاك ربى يا عتيب بن مالك * ولقاك قبل الموت احدى الصواعق
بسطت يمينا للنبى تعمدا * وادميت فاه قطعت بالبوارق
فهلا ذكرت الله والمنزل الذى * تصير اليه عند احدى البوائق

(وشج وجهك) ووقع فى نسخة التلمسانى زيادة هذا هنا وقد سبقت وجنته وجرحه وجنته باحد فدخل فى وجنته صلى الله تعالى عليه وسلم حلقتا الدرع فنزعهما منه ابو عبيدة بن الجراح رضى الله تعالى عنه حتى سقطت ثنيته والذى جرحه عبد الله ابن قمئة فقيل بنطحة تيس وردى من شاهق فمات كافرا وقيل انما هو عتبة بن ابى وقاص فادركه حاطب فقتله كافرا وجاء بفرسه (وكسرت رباعيتك) تقدم بيانه وما فيه وغايته (فابيت ان تقول الا خيرا) اى لم تدع عليهم كما دعا نوح عليه الصلوة والسلام على قومه ثم فسر الخير بقوله (فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون) الحق ولا يهتدون الى الصواب وفى النسخ المروية هنا اللهم اهد قومى وهى مفسرة للرواية الاولى على ان المراد بالمغفرة سببها وهو الهداية او العذر اللهم اهدهم واغفر لهم فلا يرد عليه ما قيل ان الدعاء المذكور صدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم باحد وكان على احد وثلاثين شهرا من الهجرة فكيف يسأل لهم المغفرة وهم كفار وقد نزل (ان الله لا يغفر ان يشرك به) الآية ولو قلنا ان مغفرة الشرك جائزة عقلا عند بعض المتكلمين فانه ممنوع شرعا فاوجه وقوعه فى كلام الشارع صلى الله تعالى عليه وسلم ولا حاجة الى الجواب بان هذه الآية من سورة النساء وهى مدنية مجملها او هذه الآية بخصوصها ويجوز ان دعاءه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قبل نزولها وقبل علمه بمنع الدعاء لهم بالمغفرة لجوازه سواء قلنا المدنى ما نزل بالمدينة او بعد الهجرة او المراد مغفرة ما وقع منهم من كسر الرباعية ونحوه لا مغفرة الشرك وقيل هذا انما صدر من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على سبيل الحكاية عن نبى كان قبله كما رواه مسلم فى صحيحه قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما كأنى انظر الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحكى عن نبى من الانبياء ضربه قومه وشجوه فكان يمسح الدم عن وجهه ويقول رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ومثله فى البخارى والمراد بهذا النبى نوح عليه الصلوة والسلام فانه كان يضرب ثم يلف فى لبد ويلقى فى بيته يرون انه قد مات

ثم يخرج ويدعوهم الى الله تعالى فلما آيس منهم دعا عليهم فالنبى صلى الله تعالى عليه
وسلم لما وقع به ما وقع حكى ذلك عنه تسلية له وللمؤمنين وقوله لقومى ذكر
نسبتهم له تحننا عليهم وبيانا لسبب ذلك ورجاء لرحمة الله تعالى لهدايتهم واضافتهم
اليه موافقة لما فى نفس الامر وان قيل انه ليس من اهلك كما لا يخفى وقوله فانهم
لا يعلمون اعتذار لهم بالجهل الحقيقى او بما هو فى حكمه لعدم جريهم على مقتضى
علمهم كما تقول تارك الصلوة والجاهل بالصلوة واحدة والجهل وان لم يكن مع مشاهدة
هذه الآيات الباهرة عذرا شرعا فليس ينجى من العذاب وقد اختلف فيما قبل البعثة ايضا
كما هو معلوم فى كتب الاصول لكنه جرى فيه على حكم الظاهر تضرعا الى الله
ان لا يعجل عذابهم ويمهلهم حتى يكونوا هم مؤمنين او من ذريتهم وقد حقق الله
تعالى رجاءه لانه جعل ذلك عذرا حقيقيا لهم فلا يرد هنا شئ كما توهمه بعضهم
(قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف عياض رحمه الله (انظر ما فى هذا القول)
المذكور فى كلام عمر رضى الله تعالى عنه فى الحديث الذى قبله (من جماع
الفضل) الجماع بكسر الجيم ما يجمع كل امر كالجمع جماع الاثم ونحوه
(ودرجات الاحسان) بالجر معطوف على الفضل اى ما يجمع مراتب الاحسان
وكذا قوله (وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم) فانه ما يدل على
نهاية هذه الصفات (اذ لم يقتصر على السكوت عنهم) مع ما فعلوه معه صلى الله
تعالى عليه وسلم مما لا يحتمل بعضه احد فضلا عن اغرّ الناس نفسا واشرفهم
واعلاهم حسبا ونسبا

وجرح ذوى القربى اشد مضاضة * على النفس من وقع الحسام المهند

(حتى عفا عنهم) مع عظم جرمهم فى حقه اذ قال انى لم ابعث لعانا (ثم اشفق عليهم)
اى ابدى شفقته ورحمته لهم (ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر واهد)
كما مر بيانه مفصلا (ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى) فان الطبع البشرى
يقتضى العطف والحنو على الاهل والاقارب باى حال كانوا (ثم اعتذر عنهم بجهلهم
فقال فانهم لا يعلمون) وقد تقدم بيانه ونبه بهم انه لو علمهم ذلك فانشرح صدورهم
لاجابوا واختاروا الايمان على الكفر ولذا لم يعبر بالجهل بل بعدم العلم تحسينا
للعبارة لتحذيرهم بزمام لطفه الى الايمان ويدخلوا حرم الامان وان كان جهلهم
لا يعذر به بعد اتضاح برهان التوحيد وقيام الحجة الباهرة بالمشاهدة والتواتر الا انه
اعتذار ظاهرى اعتبره سعيا فى تسخير قلوبهم والا فهم عالمون جاحدون مكابرون
وليس لهم عذر يقبل شرعا كما مر تفسيره (ولما قال له الرجل) هو ذو الخويصرة
التميمى ويقال له حرقوص بن زهير رأس الخوارج قال البرهان قتل يوم النهروان
كما فى تجريد الذهبى وفى صحيح البخارى هو عبد الله بن ذى الخويصرة التميمى قال
فى المغنى ولعلهما قالاه والصواب ان والده هو القائل والنهروان بفتح النون والهاء

اسم موضع فارسى معرب قال الطرماح

قل فى شط نهروان اعماصى * ودعانى هوى العيون المراضى

وحكى الجوالقى انه سمع من العرب ضمها وكان حرقوص مع على كرم الله وجهه فى حروبه ثم اسبع الخوارج وزعم بعضهم انه ذوالثدية وليس كذلك ومقول القول (اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله) اى كن عادلا فيما قسمته فان هذه القسمة ليست عادلة موافقة لامر الله ولرضاه والمقسوم كان من غنائم خيبر او تبرا ارسله على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه من اليمن وهذا الحديث رواه مسلم عن جابر رضى الله تعالى عنه ونحوه فى صحيح البخارى واخرجه البيهقى وهو حديث صحيح وفى الفاظه اختلاف والمآل واحد (لم يرده) اى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى جوابه ان بين له ما جهله) اى لم يرده على ان بين له ما جهله من عدالته فى قسمته حيث قال من يعدل ان لم اعدل (ووعظ نفسه وذكرها) الذكير والوعظ بمعنى فعدل عن وعظ القائل الى وعظ نفسه وهو نهاية الحلم منه صلى الله تعالى عليه وسلم (بما قال له فقال ويحك) ويح كلمة ترحم وتوجع لمن وقع فيما لا يرضى وقيل انها كلمة مدح وتعجب وهى منصوبة على المصدرية مضافة وقد ترفع وتترك اضافتها فيرحم له لما خالف رضاء الله تعالى عليه او تعجب من صدور مثله من مسلم ووقع فى رواية ويلك (فمن يعدل ان لم اعدل) وفى مسلم او لست احق اهل الارض ان اطيع الله عز وجل وغضب صلى الله تعالى عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه (خبت وخسرت ان لم اعدل) روى بفتح التاء فيهما على الخطاب وضمها على التكلم واقتصر بعضهم على الفتح اى خبت وخسرت ايها القائل ان لم اعدل انا لانك تابعى ومقتدى بى غير عادل وعلى الضم اقتصر الشمنى رحمه الله لانه معلق بعدم العدل الذى عصمه الله تعالى عنه وهو المناسب لقوله وعظ نفسه وذكرها ونقل النووى فى شرح مسلم الوجهين وفسره بما تقدم وقال الفتح اشهر وقيل المعنى على الفتح ان لم اعدل خبت لانى اقبلك لمقالك ونطقك بما ينافى الاسلام لكنى عدلت نظرا لظاهر اسلامك وان ماوقع من سوء ادبك جهلا منك غير محل عقابى (ونهى من اراد من اصحابه قتله) وهو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كما فى البخارى فقال عمر يارسول الله ائذن لى اضرب عنقه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم معاذ الله ان يتحدث الناس انى اقتل اصحابى وفى مسلم ان القائل خالد بن الوليد رضى الله عنه وجمع بينهما بان كلا منهما اراد ذلك وقد صرح به فى مسلم وان عمر رضى الله تعالى عنه لما قال ذلك فقال دعه واد بر فقام اليه خالد بن الوليد فهذا نص على ان كلا منهما قال ذلك وقال المصنف فى شرح مسلم من سب النبى صلى الله عليه وسلم كفر وقتل وسيأتى ذلك فى آخر الكتاب وهذا الرجل لم يقتل * قال الماوردى يحتمل انه لم يفهم منه الطعن فى النبوة وانما نسبه

لترك العدل بناء على تجويز صدور المعاصي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام عند
هذا القائل وان لم يصب اوانه لم يسمعه منه وانما نقل له ولم يثبت عنده لان المخبر له
واحد ومثله لا يراق به الدماء وهذا تأويل باطل فان المروى يامحمد اتق الله بخطاب
المواجهة بحضرة الصحابة رضى الله تعالى عنهم حتى استأذنوه صلى الله تعالى عليه وسلم
فى قتله واما الوجه انه صلى الله تعالى عليه وسلم سلك به مسلك غيره من المنافقين استبقاء
لانقيادهم وتأليفا لقلوب غيرهم لئلا يتحدث الناس بانه صلى الله تعالى عليه وسلم
يقتل اصحابه فينفروا ويرتدوا فاختار اهون الامرين لحكمة والحديث مصرح بهذا
(ولما تصدى له صلى الله تعالى عليه وسلم غورث بن الحارث) تصدى بالتاء المثناة الفوقية
والصاد المهملة كذا والدال المشددة والقصر اى اتاه وتعرض له وغورث بغين معجمة
مفتوحة وتضم ايضا وواو ساكنة وراء مهملة مفتوحة وثاء مثلثة وقال بعضهم يجوز
اهمال عينه كما نقله البرهان الحلبى قال وعند بعضهم مصغر اعنى غويرث كغويرك
ووريك فانه يصغر بالفارسية ولم يرد انه كذلك صغير العرب عويرث وقال التلمسانى انه
غويرث ايضا وفى بعض الروايات تسميته دعثور وانه اسلم لكن قيل انهما روايتان
(ليفتك به) الفتك بفتح الفاء وسكون التاء هو ان يأتى رجل آخر وهو غافل فيهجم
عليه فيقتله وقد يطلق بالفتح بالكسر والضم وهذه القصة كانت فى غزوة ذات الرقاع
فى السنة الرابعة من الهجرة (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتبذ) بضم الميم
وسكون النون وفتح التاء الفوقية وكسر الموحدة ودال معجمة اى جالس فى ناحية
محل وحده بقرب من الناس (تحت شجرة وحده) الشجرة معروفة ويقال لها
شجرة عضاه وهى التى تسمى ام غيلان وهى شجرة عظيمة ذات شوك وكان ذلك
دأبه صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفره (قائلا) حال اى مستريحا فى وقت القيلولة
وهى وسط النهار اذا اشتد الحر وان لم ينم (والناس قائلون) اى كل منهم فى قيلولة
منفردا عن اصحابه (فى غزاة) هى غزوة ذات الرقاع كما علم والاختلاف فى زمنها
ووجه تسميتها مفصل فى السير والغزاة اسم مصدر بمعنى الغزو (فلم ينتبه) اى لم ينتبه
صلى الله تعالى عليه وسلم لمجيئه او لم ينتبه من نومه (الا وهو) استثناء من اعم
الاحوال وضميرهو لغورث (قائم والسيف صلتا) بفتح الصاد المهملة او ضمها ولام
ساكنة وتاء فوقية اى مسلولا مجردا من غمده ويجوز فى السيف رفعه على انه مبتدأ
ونصبه على انه مفعول معه وصلتا حال على كل حال (فى يده فقال) غورث له صلى الله
تعالى عليه وسلم (من يمنعك منى) لانه رجحه حين لم يكن معه احد ولا سلاح وهو
جالس وغورث قائم عليه بسيفه المجرد وفى روايته انه كرر ذلك مرارا ثلاث مرات
(فقال الله) اى يمنعنى منك الله الذى عصمنى من الناس كافة (فسقط السيف من يده)
اى المانع قوله الله وفى رواية ان جبريل عليه الصلوة والسلام ظهر له فسقط منه

وفى رواية فشام سيفه اى اغمده فهو من الاضداد وكان غورث من اشجع الناس يتوعد ان يقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل له امكنك الله من محمد فاخذ ار سيفا من سيوفه واقبل حتى قام على رأسه صلى الله تعالى عليه وسلم (فاخذه) اى السيف الذى سقط منه (رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى) اى من ان اهلك والسيف بيدى (فقال كن خير آخذ) بالمد اسم فاعل اى خير رجل اخذ خصمه وتمكن منه فتكرم عليه (فتركه وعفا عنه) مع القدرة عليه وقيل الآخذ الاسر والآخذ الاسر كما فى النهاية وهو غير بعيد ايضا وفى البخارى مسندا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قفل لغزوة ذات الرقاع ونحن معه فادركتنا القائلة فى واد كثير العضاة فتفرق الناس يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحت سمرة علق بها سيفه فنمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعونا فجئناه فاذا عنده اعرابى جالس فقال ان هذا اخترط سيفى وانا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتا فقال من يمنعك منى قلت الله فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه قالوا ولما رأى كرمه وحلمه صلى الله تعالى عليه وسلم اسلم وهو من عظمائهم فانزل الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم) الآية (وجاء) غورث (قومه) وفى نسخة فجاء قومه (وقال جئتكم من عند خير الناس) حلما وكرما (ومن عظيم خبره) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى العفو عفوه عن) المرأة (اليهودية) وهى زينب بنت الحارث بن سلام وقيل امرأة سلام بن مشكم اخت مرحب اليهودى كما ورد فى الحديث الصحيح الذى اخرجه الشيخان عن انس رضى الله تعالى عنه (التى سمته) اى جعلت له صلى الله عليه وسلم السم (فى الشاة) المشوية من الغنم (بعد اعترافها) بوضع السم له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الشاة (على الصحيح من الرواية) متعلق بقوله عفوه لا باعترافها لعدم اختلاف الرواة فيه ولذا قيل كان الاحسن ان يقدم هذا على قوله بعد اعترافها لانها اهدت له صلى الله تعالى عليه وسلم شاة مصلية اى مشوية لم تخبر فقال ما هذه فقالت هدية لك ولم تقل صدقة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يأكل منها فاكل هو واصحابه من تلك الشاة ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم امسكوا وقال لها هل سممت هذه الشاة قالت من اخبرك بهذا قال هذا العظم اشار الى ساقها قالت نعم قال لم قالت اردت ان كنت كاذبا ان نستريح منك والناس وان كنت نبيا لم يضرك فاحتجم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا على كاهله لمرضه فى القلب وقد اخذت فيها فقيل عاقبها وقيل لا وروى ابو داود انه صلى الله عليه وسلم قتلها وصلبها ونقل البرهان عن كتاب شرف المصطفى تلك يجمع بين الروايتين انه صلى الله تعالى عليه وسلم صفح عنها حظ نفسه لانه كان لا ينتقم لنفسه كما مر فلما مات بشر بن البراء

من اكله منها قتلها قصاصا به لانه لم يزل معتلا الى الحول حتى مات وقيل انه مات في الحال * وروى معمر في جامعه عن الزهرى انها اسلمت فتركها وغيره يقول انه قتلها ولم تسلم وفي جامع معمر ايضا ان ام بشر بن البراء قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم في مرض موته انى لااتهم لبشر بغى اسها الا اكلة خيبر فقال وانا لا اتهم لنفسى الا ذلك وهو ظاهر في ان المرض الذى مات منه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من تلك الاكلة على سبيل الظن لا القطع لكن ذكر صاحب المواهب في الطب النبوى انه صلى الله تعالى عليه وسلم احتجم من السم فخرجت المادة السمية مع الدم لاجزؤها كلها بل بقى اثرها مع ضعفه فاثر فيه لما يريد الله له صلى الله تعالى عليه وسلم من تكميل مراتب الفضل بالشهادة زاده الله فضلا وشرفا وفي الرواية اختلاف فيما ان الذى اكله صلى الله تعالى عليه وسلم ساق الشاة وفي اخرى انه كتف اوذراع لانها سألت عن احب اللحم اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا الذراع فاكثرت فيه السم وانه لاك منها مضغة ولم يسغها واساغ بشر لقمته وهذا يؤيد عدم القطع بتأثيره فيه لكن يؤيد ما في المواهب ماورد في الحديث ايضا انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال في مرض موته مازالت اكلة خيبر تعاودنى حتى قطعت ابهرى فانظر في التوفيق بين الروايتين في الاكل وعدمه * واعلم ان في هذه المسئلة اختلافا للفقهاء فيمن وضع طعاما مسموما لغيره فاكل منه ومات هل عليه قصاص ام لاوهو مبنى على انه اذا اجتمع السبب والمباشرة ايهما تقدم فالاكثر على تقديم المباشرة وقولهم انها اسلمت فتركها على بعض الروايات فيه ان الاسلام لا يسقط حقوق العباد الا ان يكون هذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه نظر (وانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم) اعصم بزنة احمر بمهملات ويقال له اعصم بدون الف ولام وهو رجل من بنى زريق وهم بطن من الانصار وكان بينهم وبين اليهود حلف قبل الاسلام فلما جاء الاسلام برؤا منهم واختلف في لبيد هذا ففى الصحيحين انه يهودى وهو المشهور وقيل انه منافق كان محالفا لليهود ونقل عن المصنف رحمه الله تعالى انه حكم باسلامه وقال البرهان لا اعلم احدا عده من المنافقين فلعل المراد بالنفاق معناه العرفى كما ورد في الحديث آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقد يطلق النفاق على الكفر ايضا (اذ سحره صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اعلم به واوحى اليه بشرح امره) اى شانه مفصلا في سحره وما فعله (ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته) تقدم الكلام على فضلا وذلك كما رواه النسائى والبيهقى في الدلائل عن زيد بن ارقم رضى الله تعالى عنه قال سحر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك اياما فجاء جبريل عليه الصلوة والسلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك

عقد لك عقدا فى بئر كذا وبعث فاستخرجها فجاءه بها فحلها فقام صلى الله تعالى عليه وسلم كانما نشط من عقال فاذكر ذلك لليهودى حتى مات وكانت له امرأة يهودية تسمى زينب تفعل ذلك قال التلمسانى وهو من افعال النساء فى الاكثر ولذا قال الله تعالى من شر النفاثات دون النفاثين تغليبا وقال الواقدى لما رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الحديبية فى ذى الحجة سنة ست جاء اليهود الى لبيد بن الاعصم وقالوا له انت اسحرنا وقد سحر نا محمد فاصنع له سحرا وجعلوا لك جعلا فصنع ما سيأتى فاقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اربعين يوما وقيل ستة اشهر يخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله فبينما هو ذات يوم اذ قال لعائشة رضى الله تعالى عنها ان الله افتانى فيما استفتيته اتانى رجلان فقعد احدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال احدهما ما وجع الرجل قال مطبوب اى مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فى اى شيء قال فى مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر فى بئر ذروان او ذى اروان فاتاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع بعض اصحابه وماؤها كانه نقاعة الحناء ونخلها كأنه رؤس الشياطين وقيل انه صلى الله عليه وسلم ارسل عليا والزبير وعمارا رضى الله تعالى عنهم اجمعين فنزحوا ماءها واستخرجوا السحر من تحت صخرة بها وتحتها مشاطة من رأسه واسنان مشطة ووتر عقد فيه احدى عشر عقدة وقيل وتمثال من شمع مغرور فيه ابر فنزل عليه المعوذتان فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة واخرجت ابرة حتى زال الم والرجلان اللذان رأهما فى منامه صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل عليهما الصلوة والسلام وماكان يخيل له صلى الله عليه وسلم من انه فعل ولم يفعل من امور الدنيا وجماع زوجاته لا مما يتعلق بالنبوة والوحى فانه معصوم فيه واعلم انهم اختلفوا فى السحر كما اتى هل هو امر حقيقى ام محض تخيل لا اصل له والصحيح انه حقيقى بفعل الله بواسطة ان كان بمجرد توجه النفس فهو سحر وان كان باستعانة بخواص سفلية فعلم الخواص وان كان ببعض الكواكب ودعوتها فدعوة الكواكب وان كان بامتزاج القوى السماوية والعلوية فالطلسمات فان اعتقد تأثيرها بالذات فكفر والا فحرام وفاعله لاضرار الناس يقتل شرعا على تفصيل فيه ذكره الفقهاء ليس هذا محله (وكذلك لم يؤاخذ صلى الله عليه وسلم عبدالله بن ابى) هو عبد الله بن ابى بن سلول بن مالك بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج كان قبل هجرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للمدينة رأس الانصار مرشحا لان يكون حاكما عليهم فلما هاجر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اسلم ظاهرا فكان كاتما حقدهم وفيه عجرفيه (٢) الجاهلية وعليه حب الرياسة فكان بسبب ذلك رأس المنافقين يصدر عنه امور يكرهها الله ورسوله وكان يبلغ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك فيعفو عنه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم

(٢) قوله عجرفيه بوزن مقدمه بمعنى الجهل والحمق والكبر والتعظم قاله مصححه طاهر

كان يدارى المؤلفة قلوبهم بامر من الله لئلا يتحدث الناس بانه يقتل اصحابه وكان ابنه عبدالله من كبار الصحابة وخلص المؤمنين فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يكرمه لاجله وسلول علم لام ابى غير منصرف للعلمية والتأنيث وابن بعده يرسم بالالف لانه لم يقع بين علمين وعلم اب على الاصح وهو رأس المنافقين هلك فى السنة التاسعة بعد مقدمه عليه الصلوة والسلام من تبوك مرض فى شوال عشرين ليلة وهلك فى ذى القعدة فصلى عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكفنه فى قميصه قبل نزول النهى عن الصلوة على المنافقين كرامة لابنه رضى الله تعالى عنه (واشباهه) جمع شبه بمعنى شبيه اى لم يؤاخذه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يؤاخذ من يشبهه (من المنافقين بعظيم مانقل عنهم) بالبناء للمجهول (فى جهته) اى فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى حق ام المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها (قولا وفعلا) كقوله تعالى (ليخرجن الاعز منها الاذل) يعنى بالاعز نفسه وبالاذل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان المنافقون من الرجال ثلاثمائة ومن النساء مائة وسبعين كما فصله البرهان الحلبى فى شرح سيرة ابن سيد الناس وشرحه للبخارى فى تفسير سورة المنافقين (بل قد قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لمن اشار بقتل بعضهم) وهو عمر رضى الله تعالى عنه لما هزم سوا المصطلق وبلغه قول ابن ابى وقد لطم جهجاه بن سعيد الغفارى اجير عمر رضى الله تعالى عنه حليفه فقال له جعال رجل من فقراء المهاجرين مساعده لاجيره لعمر رضى الله تعالى عنه ماصحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الآية ثم قال لقومه والله لئن امسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال له زيد بن ارقم رضى الله تعالى عنه انت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين ثم اخبره الله بذلك فقال عمر رضى الله تعالى عنه يارسول الله دعنى اضرب عنقه فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا) آذن لك فى ذلك (لئلا يتحدث الناس) من قبائل العرب (ان محمدا يقتل اصحابه) فهو علة لتركه رعاية للظاهر من اسلامه وصحبته وفى نسخة يتحدث بدون ذكر الناس مبنى للمفعول ولاهنا ليست لنفى التحدث اذ هو منساق معانى لماوله كما علم مما قررناه وهذا الحديث رواه الشيخان عن جابر رضى الله تعالى عنه وروى الطبرانى ان ابنه رضى الله تعالى عنه لما بلغه مقالة ابيه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعنى اوليه وآتيك برأسه فقال لاتقتل اباك وفى الكشاف * فان قلت كيف جاز له صلى الله تعالى عليه وسلم تكرمه المنافق وتكفينه فى قميصه * قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع له لان عمه العباس لما اسر ببدر لم يجدوا له قميصا يستره به وكان رجلا طويلا فكساه ابن سلول قميصه

وكان جاريا على عادة العرب فى المكافاة وروى ان انسه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات ابوه اسألك تكفينه ببعض قمصانك وان تقوم على قبره ولا تشمت به الاعداء ففعل ذلك فقيل له عليه السلام لم فعلت ذلك وهو كافر فقال ان قميصى لن يغنى عنه من الله شيئا وانى لارجو ان يدخل فى الاسلام كثير بهذا السبب فقيل انه اسلم الف من الخزرج بسبب ذلك (وعن انس رضى الله تعالى عنه كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال السيوطى رحمه الله تعالى هذا الحديث رواه الشيخان الى قوله الآتى من مال الله الذى عندك قال فضحك وامر له بعطاء واخرجه بلفظ المصنف البيهقى فى الادب من حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ولفظ مسلم كنت امشى مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فادركه اعرابى فجبذه جبذة شديدة الخ (وعليه برد غليظ الحاشية) البرد والبردة كساء كانت العرب تلتحف به والحاشية جانب الثوب وفى رواية الاوزاعى غليظ الصنفة بفتح الصاد المهملة وكسر النون وبالفاء وهى طرف الثوب ايضا (فجبذه اعرابى) جذبه فى جذب اومقلوب منه وهما بمعنى (بردائه جبذة شديدة) وهذا يقتضى انه كان عليه برد ورداء فوقه وان الجذب وقع بهما (حتى اثرت) بتشديد المثلثة مبنى للفاعل اى اظهرت اثرا وعلامة (حاشية البرد فى صفحة عاتقه) الصفحة الجانب اوالعرض والعاتق ما بين العنق والكتف اوموضع الرداء من المنكب وهو يؤنث ويذكر وفى رواية ان البرد انشق (ثم قال) الاعرابى (يا محمد) فقيل مسافهته صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا تقتضى انه لم يكن مسلما والسياق يقتضى خلافه ولابن قتيبة ما ينافيه عن ندائه باسمه فلعله كان قبل تحريمه والنهى عنه بقوله (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم) الخ اوان الاعرابى كان قريب عهد بالاسلام فى طبعه غلظة وجفاء فهو معذور وطلب عطاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واحدة من الزكوة يدل على انه من المسلمين المؤلفة قلوبهم وفى كتاب الامتاع من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لايجوز لاحد ان يناديه باسمه فيقول يا محمد يا احمد ولكن يقول يا نبى الله يا رسول الله قال تعالى (لاتجعلوا دعاء الرسول) الخ وقال تعالى (ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) اى لاتدعوه باسمه * فان قيل ثبت عن انس رضى الله تعالى عنه ان رجلا من اهل البادية جاء فقال يا محمد الخ اجيب بانه يحتمل ان ذلك صدر منه قبل اسلامه اوفى حال اسلامه وقبل النهى اوقبل بلوغه فلو ناداه بالكنية هل يحرم ام لا فيه نظر انتهى * اقول الظاهر ان هذا فى حياته مواجهة اما فى غير ذلك فلا يحرم الا ذكره بما لاتشعر بعظمه فلا يرد انه وقع كثيرا فى المدائح النبوية وغيرها كقول حسان رضى الله تعالى عنه

هجوت محمدا فاجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء
فان ابى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

فلاحاجة الى ان يقال انه مخصوص بغير الشعر لانه قد يقتضيه الوزن ومما قيل هنا ايضا ان الرسول ويارسول بدون اضافة لله كاسمه حتى اعترض على قول ابن مالك في الفيته * مصليا على الرسول المصطفى * ولا وجه له لماس (احمل لى) قال التلمساني همزته همزة قطع رباعي اى اعنّي على الحمل ويجوز ان تكون معنى احمل لى اى اعطي ما احمل والاول اولى لوجود المحمول انتهى وتبعه بعض المحشين فجوز فيه الوصل ايضا الا ان فيما رجح به الاول نظرا (على بعيريّ) بالتثنية مضافا الى ياء المتكلم (هذين من مال الله الذي عندك فانك لاتحمل لى) بضم التاء وفتحها على ماس وروى لاتحملني اى لاتعطيني (من مالك ولا من مال ابيك) وقيل انه اسند الحمل اليه لانه سبب آمر به فهو مجاز عقلي فعلى هذا همزته همزة وصل ايضا ثم رد على من قال ان همزته مقطوعة بانه ظن انه من احمل احمالا اى جعل البعير حاملا ولم ينتبه لعدم اسناده له وهو مجاز مشهور وليس بشيء لان ما ذكره معنى آخر حتى صرح به الجوهري وكان الرواية عليه (فسكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده) اتصرف في ماله باذنه واعطي من يأمرني باعطائه فرد صلى الله تعالى عليه وسلم عليه باللطف رد (ثم قال ويقاد منك) بالبناء للمجهول وبعد حرف همزة الاستفهام اى او يقاد منك من القود وهو القصاص وهو هنا مجاز عن مطلق المجازاة اى المجازي على ترك ادبك ولم يقل افيد نفسي منك كراهة ان يذكر ما يشعر باقتصاره صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه ولو متوهما وقيل انما بناه للمجهول للتعميم فمن يستوفي القود اهو الله ام من عنده من المسلمين وقوله (يا اعرابي) اشارة الى انه معذور لما فيه من غلظ الاعراب وهم اهل البادية (مافعلت بي) من جذب بردي بان تفعل بك مثله او تعزر بما يليق به وسيأتي تحقيقه في القصاص باللطمة (قال لا قال لم) لا يقاد منك (قال لانك لاتكافئ) بهمزة من المكافاة وهي المجازاة او بالياء اصلية او مبدلة منها (بالسيئة السيئة) وفيه مشاكلة لان الجزاء ليس بسيئة او اساءة لانها مثلها بحسب الصورة (فضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) سرورا بما رآه من حسن ظنه به وانه لم يفعل ذلك بقصد الانتقاص منه وتطمينا لما به اذ ابدى المسرة بمقالته (ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى آخر تمر) وفيه من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتحمله الاذى وعدم الضجر مالايخفى وهو ارشاد لامته لاسيما من يتولى مهم امور المسلمين ثم اتى بما يدل على ما في هذا الحديث من خلقه العظيم فقال (قالت عائشة رضي الله عنها) في حديث اخرجه الشيخان واحمد والترمذي في الشمائل مع مخالفة يسيرة في لفظه (ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) رؤية بصرية او علمية (منتصرا) اى منتقما وناصرا لنفسه على غيره (من مظلمة) اى من ظلم وهي بفتح الميم وكسر اللام

ووجهها واقتصر في التقريب على الاول (ظلمها) نفى للمفعول وهو مؤكد او دفع لتوهم كون الظلم لغيره (قط) لاستغراق مامضى كما مر (مالم تكن حرمة من محارم الله) اى مالم تكن المظلمة بارتكاب امر حرمه الله وليس تصرف حق لا ولا يرد عليه انه قتل ابن خطل والقينتان اللتان كانتا تغنيان بهجو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه حق لله فان ابن خطل ارتد وهجو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسبه كفر كاذيته بخلاف الاعرابى فانه مسلم حمله على ما فعله غلظة طبعه وطهر من جوابه انه لم يقصد بذلك الاهانة مع مافيه من حكم جمة كاستعطاف قلوب اهل البادية (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) (وماضرب) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده شيئا قط) من دابة وانسان وغيره (الا ان يجاهد فى سبيل الله) كما فى ضربه صلى الله عليه وسلم ابى بن خلف باحد بحربة تناولها من بعض اصحابه اما الحارث بن الصمة كما يأتى او الزبير بن العوام فخدشه بها فى عنقه خدشا غير كبير فاحتبس الدم اى لم يخرج بسبب ذلك الخدش فقال قتلنى والله محمد ووقع من تلك الضربة مرارا من على فرسه التى كان اعدها ليقتل عليها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما يأتى وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وفى رواية انه ضربه تحت ابطه فكسر ضلعا من اضلاعه ثم مات عدو الله وهم قافلون به الى مكة بسرف بفتح السين وكسر الراء المهملتين وهو مناسب لموضعه لانه مسرف وقيل ببطن رابغ ولم يقتل صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة قط احدا الا ابى بن خلف هذا لاقبل ولا بعد وجاء اشد الناس عذابا من قتله نبى وفى لفظ اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله فسحقا لاصحاب السعير وفى لفظ اشتد غضب الله عز وجل على رجل قتله رسول الله فى سبيل الله اى لان الانبياء عليهم الصلوة والسلام مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص الا امر عظيم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اكملهم لطفا ورفقا وشفقة بعباد الله فالوا وا حقر بسبيل الله عمن قتله صلى الله تعالى عليه وسلم حدا اوقصاصا لان من يقتله فى سبيل الله كان قاصدا قتله وقد اتفق ذلك لابى بن خلف لعنه الله كما يأتى بيانه (وماضرب خادما) له (ولا امرأة) من نسائه وفيه دليل على جواز تأديب الرجل امرأته وضربها ولولا ذلك لم يمدح به صلى الله تعالى عليه وسلم (وجىء اليه صلى الله تعالى عليه وسلم برجل) هذا الحديث اخرجه احمد والطبرانى بسند صحيح ولم يسم الرجل (فقيل له هذا اراد ان يقتلك فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لن تراع لن تراع) اى لا تخف منى وكرره لتطمئن نفسه والروع الخوف والفزع ولن هنا بمعنى لا اى لا اخوف عليك منى ولا من غيرى (ولو اردت هذا لم تسلط على) لان الله عصمنى فلن ينالنى ما اردته

انت ولا غيرك * فان قلت قوله لو اردت يقتضى انه لم يرده مع انه اراد ذلك لقولهم اراد ذلك * قلت المراد بالارادة سببها وهى مباشرة ما هم به اى لو مددت يدك الى لم تصل الىّ (وجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم زيد بن سعنة) بفتح السين وسكون العين المهملتين وفتح النون وقيل انها مضمومة وهو عربى وهو حبر من احبار اليهود كما فى الاكمال وفى التهذيب هو صحابى من احبار اليهود الذين اسلموا وهو من اكثرهم مالا وعلما حسن اسلامه وشهد المشاهد وتوفى مرجعه صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك ويقال انه سعية بالياء التحتية حكاه ابن عبد البر وقال النون اشهر وعليه اقتصر الجمهور وقال الذهبى انه اصح واما اسيد بن سعية فالتحتية فيه اصح واسيد بفتح الهمزة اوهو مصغر وهو حديث طويل رواه البيهقى متصلا عن ابن سلام ووصله ابن حبان والطبرانى وابو نعيم عن عبد الله بن سلام ايضا وسنده صحيح كما قاله السيوطى (قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه) اى يطلب منه صلى الله تعالى عليه وسلم دينا كان له عليه والتقاضى بمعنى المطالبة من كلام العرب قال الحماسى

لحى الله دهرا شره قبل خيره * تقاضى فلم يحسن اليّ التقاضيا

قال الشراح اى طالبنا ومثله كثير فى كلامهم وكلام اهل اللغة فقول شيخنا المقدسى فى الرمز التقاضى معناه لغة القبض لانه تفاعل من قضى يقال تقاضيت دينى واقتضيته بمعنى اخذته وفى العرف الطلب انتهى لا وجه له والذى غره قصور كلام القاموس فقطه غير لغوى بل معنى عرفى وهو عربى منه وفى رواية عن زيد المذكور كنت اريد ان اعلم حال النبى صلى الله عليه وسلم ليطابق ما فى التوراة من حلمه فخرج يوما ومعه على فجاءه رجل كالبدوى فقال يارسول الله ان قرية بنى فلان اسلموا واعلمتهم انهم ان اسلموا اتيهم ارزاقهم رغدا وقد اصابتهم سنة وشدة وانى مشفق عليهم ان يخرجوا من الاسلام فان رأيت ان ترسل اليهم شيئا تعينهم فقال زيد بن سعنة يارسول الله انا ابتاع منك بكذا وكذا وسقا فاعطيته ثمانين دينارا فدفعها للرجل وقال له اعجل عليهم بها واعنهم فلما كان قبل الاجل بيوم اويومين او ثلاث خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى جنازة فى نفر من اصحابه فاتيته وتقاضاه (فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه) صيغة معنى ازاله فعداه بعن ومنكب بكسر الكاف مجمع الكتف والعضد والمجامع جمع مجمع وهو اطرافه وحواشيه وقيل هو الجيب اى اخذه بطوقه وماتحت لبته ونحره وهذا هو الصحيح المعروف لاماقيل انه مابين الكتفين فان الثياب كلها كالرداء والقميص تجمع هناك (واغلظ له) اى قال له كلاما غليظا خشنا مع عبوس وتجهم وجهه (ثم قال انكم يابنى عبد المطلب) منقول من الطلب واسمه شيبة على الاصح لانه ولد وفى رأسه شيبة ظاهرة فى ذوائبه (مطل) بضم الميم والطاء جمع ماطل والمطل التطويل

فى تأخير الحق او خلف الوعد فيه مرارا من مطل الحداد الحديد اذا مده وفى القاموس المطل التسويف بالعدة والدين (فانتهره عمر) رضى الله تعالى عنه بالراء المهملة افتعال من النهر وهو الزجر ونهره وانتهره بمعنى وقال ابن فورك الانتهار الاغلاظ فى القول مع صياح وقيل النهر عن الشئ مطالطة (وشدد له فى القول) فقال له عمر رضى الله تعالى عنه اى عدو الله اتقول هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتصنع به ما ارى وتقول له ما اسمع فوالذى بعثه بالحق لولا ما احاف فوته لسبقنى رأسك (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم) من مقالهما لشدة حلمه ولعلمه كشفا عراد ابن سعنة وان عمر رضى الله تعالى عنه لو كشف له الغطاء لم يصعب عليه ذلك (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا وهو) اى ابن سعنة صاحب الحق (كنا الى غير هذا) المقال الذى قلته (منك احوج يا عمر) اى اكثر حاجة وهو افعل تفضيل من حاج بمعنى احتاج وليس من احتاج على حذف الزوائد شذوذا كما توهم فان ثلاثيه مسموع والمفضل عليه محذوف وهو خبر انا وما عطف عليه ثم بين الغير الذى هما احوج اليه من هذا التشديد بقوله (تأمرنى بحسن القضاء) اى وفاء ماله علىّ (وتأمره بحسن التقاضى) والطلب بلطف (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم دفعا لما عسى يتوهم انه وقع مطل او تأخير منه (لقد بقى من اجله) اى من تاجيل دينه (ثلاث) اى ثلاثة ايام فلذا لم يحسن تقاضيه بخلاف قضاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه وقع على احسن وجه فانه فعل ما وعده وزيادة كما اشار اليه بقوله (وامر عمر يقضيه ماله ويزيده) على حقه (عشرين صاعا) من تمر (لما روعه) ما مصدرية اى لاجل ترويع عمر له اذهم بقتله وقال له ما مر (وكان) فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سبب اسلامه) لانه كان عالما بالتوراة ورأى فيها ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم وعلاماته فحقق تلك العلامات كلها غير علامتين لشدة حلمه فلما رأهما تيقن امره واراد الله تعالى حسن اسلامه واراد الله سعادته (وذلك انه كان يقول) لمن عنده من اليهود (ما بقى من علامات النبوة) اى علامات نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم المذكورة فى التوراة التى قرأها وعرفها (شئ الا وقد عرفته) اى شاهدته فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة الا وقد عرفتها باعتبار ان الشئ بمعنى العلامة (الا) علامتين (اثنين لم اخبرهما) اى لم اعرفهما وهو بضم الباء يقال خبرته اخبره خبرا اذا اختبرته فصدق الخبر الخبر ثم فسر الثنتين اللتين لم يعرفهما بقوله (يسبق حلمه جهله) تقدم ان الجهل فى كلام العرب قديما بمعنى المبادرة للغضب ومقتضاه عدم المبادرة بالايقاع بمن يغضبه وهو مقابل للحلم لا للعلم كقوله

الا لا يجهلن احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

كما مر لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغضب احيانا لله وبسمع فلا يتوهم

من لا يعرف كلام العرب هنا ما لا يليق بصفاته صلى الله تعالى عليه وسلم فالمراد
ان حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم يغلب حدته كما فى قوله سبقت رحمتى على غضبى
او السبق على ظاهره فمن قال المعنى تغلب حلمه على جهله لو كان له جهل كقوله تعالى
(فتبارك الله احسن الخالقين) وليس المراد ان له صلى الله تعالى عليه وسلم
جهلا يسبقه حلمه لانه لقبحه لا يصلح ان يعد من علامات النبوة وحينئذ فليس
من قبيل سبقت رحمتى والجهل هنا وفيما بعده مصدر جهل عليه لانه اشتهى
لم يصب مع ما فى كلامه من النقص (ولا يزيده شدة الجهل الا حلما)
هذه هى العلامة الثانية اى جهل غيره عليه سفاهة واذية كلما ازدادت واشتدت
عليه زاد حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وصبره ما لم تجاوز حدود الله وتؤتى حرماته
فانه حينئذ يغضب لله لا لنفسه وهذا من صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم الخارقة
للعادة كما عرفته فى هذه القصة مع زيد بن سعنه ولذا قال زيد لعمر رضى الله عنه
لما غضب وزاده اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وما حملنى على ما رأيتنى صنعت
يا عمر الا انى كنت رأيت صفاته التى فى التوراة كلها الا الحلم فاختبرت حلمه اليوم
فوجدته على ما وصف فى التوراة وانى اشهدك ان هذا التمر وشطر مالى فى فقراء
المسلمين واسلم اهل بيته كلهم الا شيخا غلبت عليه الشقوة والى هذا اشار المصنف
بقوله (فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث) اى الاخبار المستفيضة
بين الناس وليس المراد المصطلح عليه ولذا عداه بعن فقال (عن علمه وصبره وعفوه
عند القدرة) فسدده به لانه هو المحمود كما مر (اكثر من ان نأتى عليه) يقال اتى
على الكتاب وقرأه والمال افناه اذا استوعبه كله وهذا التركيب كقولهم اكثر من ان يحصى
والكلام عليه مشهور فالمعنى انه لا يمكن استيعابه واستقصاؤه (وحسبك ما ذكرناه
مما فى الصحيح والمصنفات الثابتة) اى يكفيك ما تقدم مما ثبت بنقل الثقات فان
ما لا يدرك كله لا يترك كله فيكفى هذا منها (الى ما بلغ) لك وعندك (متواترا)
تواترا معنويا عن مجموعها (مبلغ اليقين) اى وصل بالتواتر مرتبة اليقين الذى
لا يشك فيه احد ولو قال مبلغ الضرورى كان اولى والقول بانه اراده لا يخفى ما فيه
ثم بين ذلك بقوله (من صبره) صلى الله تعالى عليه وسلم (على مقاساة قريش)
المقاساة معالجة امور صعبة شاقة بحيث لا يحتمل مثلها وهذا فى اول بعثته صلى الله
تعالى عليه وسلم كما تعرفه من طالع السير (واذى الجاهلية) اى تحمله صلى الله
عليه وسلم اذى الجاهلية اى اهل الجاهلية وهم الكفار (ومصابرة الشدائد الصعبة
معهم) فى الحروب الواقعة بينه وبينهم وهى وان كانت سجالا الا انه صب عليهم
العذاب فالمصابرة مفاعلة من الصبر عن شدائد الحروب وهم صناديد كان لهم صبر
على اصطلاء نارها لكنه صلى الله تعالى عليه وسلم غلبهم وصابرهم وزاد عليهم حتى
ظفر وانتصر (الى ان اظفره الله تعالى بهم وحكمه فيهم) اى جعله الله تعالى قاهرا

عالا الهم وهم في قصة نصرة يحكم فيهم بما يريد من قتل واسر وعفو ان شاء (وهم لا تشكون في استئصال شأفتهم) الاستئصال قطع الشيء من اصله وازالته بالكلية والشافة بشين معجمة وحاء وهمزة ساكنة وفاء بليها هاء تأنيث وتبدل الهمزة الفا وهي قرحة تخرج في اصل القدم فتكوى فتذهب وان قطعت مات صاحبها فضرب مثلا وقد تدعى به والمراد ازاله الله تعالى من اصله بحيث لا يبقى له عين ولا اثر ولا اصل ولا فرع وفيه اشارة الى خبثهم وانهم كقرح في الدين خبيثة مهلكة لصاحبه فشبه هلاكهم اجمعين بقطع تلك القرحة وفيه بلاغة لا تخفى (وابادة خضرائهم) الابادة بالدال المهملة بمعنى الاهلاك وهذا مثل كالذي قبله والخضرة كالسواد تطلق على الناس والقوم فمعنى ازالة سوادهم وخضرائهم هلاكهم قال في النهاية ابيدت خضراء قريش اي دهماؤهم وسوادهم والمراد الجماعة وذهب بعض اهل اللغة الى انصوابه غضراؤهم بغين معجمة وهي غضارتهم وخيرهم وخصبهم اوطيب عيشهم الى خلفوا منها والمراد على كل حال استئصالهم والصواب ما تقدم رواية ودراية والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ظفر بهم في حال تيقنوا هلاكهم باسرهم بحيث لا يبقى منهم باقية (فما زاد) صلى الله عليه وسلم (على ان عفا وصفح) اي مع شدة اذاهم ونصرته عليهم بحيث صاروا في قبضة نصرته وقد احاط بهم الهلاك من كل جانب ما زاد على ما كان عليه من حاله الا العفو والصفح لا سيما الا نفس بالانعام وفعل ما انسب حقوق بحيث لو فعل لم يلم والعفو والصفح متقاربان عدم المؤاخذة بالذنب (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم تلويحا للطفه بهم فيما تدرا منهم كما في ضمائرهم مفوضا ذلك اليهم تكرما منه صلى الله تعالى عليه وسلم (ما تقولون) ما استفهامية والقول بعدها بمعنى الظن كما صرح به النحاة فقوله (اني فاعل بكم) بفتح همزة ان وهي وما معها سادة مسد مفعوليه وهذا متعين وحمل القول على اصله بناء على انه سالهم عما قالوا في انفسهم اوفيما بينهم تكلف مخالف الاستعمال الفصيح (قالوا خيرا) منصوب بمقدر يدل عليه فاعل وله اي تفعل خيرا او انت فاعل خيرا (اخ كريم) اي انت اخ كريم وهي جملة مستأنفة لبيان انه يفعل الخير (وابن اخ كريم) هذا على عادة العرب في تسمية القريب اخا قال تعالى ﴿ والى عاد اخاهم هودا ﴾ والكريم الجامع للخير والفضائل كما في الحديث الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف الخ (فقال اقول كما قال اخي يوسف) فيه بلاغة وطي بديع ابلغ من قوله

تهب من الاعمار ما لو حويته * لهنئت الدنيا بانك خالد

لما فيه من الايماء الى تشبيههم بعصابة القرابة بينهم وحسدهم له وكيدهم عليه وقطع رحمه مع ماله صلى الله تعالى عليه وسلم من الشرف الشامخ فانه الكريم بن الكريم وان حسدهم وبعدهم كان سببا لعلو مقامه وتملكه نواصيهم وذلهم له معترفين بقصورهم (لا تثريب عليكم الآية) اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين *

التثريب التعيير والتوبيخ اي لا اوبخكم واعيركم بما فعلتم ويحتمل ان المراد لا عتب عليكم لعدم مبالاتي بكم من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد لانه اذا ذهب كان غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب بماء الوجه وفيه جواز الاقتباس من القرآن ولو مع تغيير ما في المعنى وقد جوز الوقف على قوله عليكم والظرف متعلق بيغفر وفيه المسارعة بالمغفرة في وقت يرجى فيه حلاوته واليوم بمعنى مطلق الوقت ويجوز ان يوقف على اليوم اي لا اعيركم اليوم لان المغفرة تذهب الحفيظة اذا بدل الله من العسر يسرا ومن الحزن سرورا ومن الفرقة الفة ومن الغربة ملكا وبسطة فلا تثريب في زمان فيه مثل هذا الخير وبهذا الوقف قرأ القراء وبعض جملة دعائية او خبرية مبشرة لهم بذلك (اذهبوا فانتم الطلقاء) بالمد جمع طليق وهو الاسير يطلق ويخلى سبيله قيل وهو مخصوص بمن كان من قريش ومن ثقيف يقال لهم العتقاء غير انهم وهذا بعض حديث طويل وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل بمكة واطمأن الناس جاء البيت وطاف به سبعا على راحلته يستلم الحجر بمحجن فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فاخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف على بابها وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش اني فاعل الى آخره فخرجوا كانما نشروا من القبور (وقال انس رضي الله تعالى عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح) منصوب على الظرفية اي وقت صلاة الصبح (ليقتلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الهبوط النزول من علو لسفل وهو يتعدى ولا يتعدى قال العباس رضي الله تعالى عنه ثم هبطت البلاد لا بشر وباؤه مفتوحة في الماضي مكسورة في المضارع وضمها لغة شاذة وقال ابن عطية ان الضم اكثر في غير المتعدي وقيل عليه انه لا يوجد الفرق بين المتعدي وغيره يعني بحركة عين المضارع وحدها والتنعيم بفتح التاء اسم موضع عن يمينه جبل يقال له نعيم وعن يساره جبل يقال له ناعم والوادي هو نعمان فقيل فلذا سمي لذلك وقالت امرأة تذكره

انا جبلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

وهو على اربعة اميال من مكة وهو طرف الحرم من جهة المدينة (فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله) في هذه القصة (وهو الذي كف ايديهم عنكم الآية) وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم اي اظهركم ونصركم عليهم فهزمهم حتى ادخلهم بيوتها وحديث انس رضي الله تعالى عنه المذكور رواه مسلم والترمذي وابو داود والمراد ببطن مكة الحديبية وضمير الخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه وكان ذلك وهو في اصل الشجرة وانما هو كذلك اذ خرج ثلاثون رجلا وقال ابن هشام رحمه الله تعالى

سبعون او ثمانون واخذوا اسراء والسمراء يمشون فى الصلح فاطلقهم وهم العتقاء وقيل ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر ان عكرمة بن ابى جهل خرج اليه فى خمسمائة فارس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد هذا ابن عمك خرج فى خمسمائة فارس فقال انا سيف الله و بذلك سمى يومئذ فقام اليه فى خيل فهزمه الى حوائط مكة وقيل انه كان يوم فتح مكة وبهذا استدل بعض الحنفية على انها فتحت عنوة ورد بان الآية نزلت قبل الفتح وان الكف بسبب الصلح وهو بصيغة الماضى والآية نزلت بالحديبية قيل ومن العجيب قول ابى السعود ان الآية نزلت لما خرج عكرمة بن ابى جهل فى خمسمائة فارس الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة يوم الفتح انتهى وهو كلام متناقض لان الحديبية كانت سنة ست فى ذى القعدة وفتح مكة كان فى رمضان سنة ثمان وقصة خالد كانت يوم الفتح * اقول من قال المراد فتح مكة فهو ضعيف فان السورة مدنية نزلت قبل الفتح والحمل على ان الماضى اعنى كف لتحقق بمعنى المضارع وعدا بعيد جدا وايضا ماذكر ان عكرمة بن ابى جهل خرج فى عسكر فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد الى الحديبية فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة غلط فان خالد بن الوليد لم يكن اسلم يومئذ بل كان طليعة للمشركين كما فى البخارى ولا حاجة الى تأويل كلامه بانه اراد بالفتح قصة الحديبية لانها سميت فى القرآن فتحا مع انه بانى فى هذا الغلط لغيره وعهدته على من قاله اولا وليس ما نقله ايضا مطابقا لما قاله فى تفسيره وفى فتح مكة خلاف فى كتب الفقه وفى الكشاف كف ايديهم فصى بكم وبينهم بالمكافة والمحاجزة وهى نزعه اعتزاله ولذا تركه القاضى رحمه الله تعالى (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لابى سفيان) صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف (وقد سيق اليه) حمله حالة اى قال له القول الآتى وسيق مبنى للمجهول سائقه ابى به وقاده والسائق له هو العباس عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما سار النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة ونزل مر الظهران عشاء واوقد عشرة آلاف نار وجعل على الحرس عمر رضى الله تعالى عنه واراد دخولها قهرا له ليل الكفار فرق قلب العباس رضى الله تعالى عنه لاهل مكة فخرج على بغلة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اتى الاراك فقال اعلى اجد ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يخرجوا ويستأمنوه قبل ان يدخلها عنوة فسمعت صوت ابى سفيان يقول لبديل ما رأيت كالليلة نيرانا ولا عسكرا فقلت ابا حنظلة فقال ابو الفضل قلت نعم قال مالك فداك ابى وامى قلت هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الناس واصباح قريش قال ما الحيلة قلت

(والله)

والله لئن ظفرت بك لاضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستأمنه لك فركب خلفي فكلما مررت بأحد قال بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها عمه حتى مررت بعمر رضي الله عنه قال ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذي امكن منك بلا عقد ولا عهد وخرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة ودخلت عليه وعمر رضي الله عنه معه فقال هذا ابو سفيان دعني اضرب عنقه فقلت اني قد اجرته وجلست فلما اكثر عمر رضي الله تعالى عنه في شأنه قال صلى الله تعالى عليه وسلم مهلا يا عمر اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبح فأتني به فغدوت به صباحا فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علم انه جاء ليسلم فقال (بعد ان جلب اليه الاحزاب) جلب بالجيم والموحدة بمعنى ساق وجمع واصله من الجلبة وهي اصوات المحاربين والاحزاب جمع حزب وهي الناس المجتمعة من قبائل شتى للحرب ويقال تحزبوا تجمعوا وهذه غزوة الخندق التي كانت في سنة خمس واسناد جلب الاحزاب اليه لانه كان قائد جيشهم وصاحب رأيهم والا فسبب التحزيب انما كان جماعة من اليهود دعوا القبائل وحركوا هم لذلك كما فصل في السير (وقتل عمه حمزة) سيد الشهداء رضي الله تعالى عنه (واصحابه) اي اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعود الضمير لعمه وان صح بعيد (ومثل بهم) بالتشديد اي شوه خلقتهم بقطع الاطراف وشق البطن واخراج القلب ونحوه وهو من المثلة بضم الميم وهي العقوبة الشديدة ومنه (وقد خلت من قبلهم المثلات) وقال مثل بالتخفيف ايضا ونسب قتل حمزة رضي الله تعالى عنه وقتل اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لابي سفيان مع ان قاتل حمزة وحشي بن حرب واسلم بعد ذلك ولم يباشره ابو سفيان الا انه هو الباعث والسبب لذلك القتال والمهيج له ولكون قتل حمزة رضي الله تعالى عنه مشهور انه باحد لا يقال ان عبارة المصنف رحمه الله توهم انه بالاحزاب والمراد بالاصحاب من قتل باحد وكانوا اكثر من سبعين ولذلك نسب التمثيل له مع ان الممثل زوجته هند لان فعل اهل الرجل كفعله لاسيما النساء وقد مثل بجماعة غيره ايضا كما اشار اليه المصنف رحمه الله بقوله بهم فممن مثل به انس بن النضر وعبد الله بن جحش كما فصل في السير (فعفا عنه) ما سبق منه في كفره لان الاسلام يجب ما قبله (ولاطفه في القول) اذ خاطبه بقوله (ويحك يا ابا سفيان) اي اتعجب لك ما غفلتك وذهابك وظهور حقية الاسلام وغير ذلك ولاطف كل منهما في مقاله واللطف الرفق والبر ويكون بمعنى الرقة والصغر (الم يأن لك) اي الم يدن ويقرب علمك بقال اني باني اذا حان وقته وجاء زمانه (ان تعلم ان لا اله الا الله) اي توحد الله وتصدق به فتسلم اسلاما صحيحا (فقال) ابو سفيان (بأبي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك) لرحمك اذ خاطبتني بلطف وهديتني الى الحق

مع ما قاسده منى ثم اجابه مصدقا فقال لقد طننت ان لو كان مع الله اله غيره لقد اغنى شيئا بعد فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم انى رسول الله فقال بابى انت وامى اما هذه ففى النفس منها شيء فقال له العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فشهد شهادة الحق واسلم والحديث مذكور بتمامه فى السير واسلام ابى سفيان رضى الله عنه مشهور وفى بعض النسخ بدل ما احلمك ما احملك من الحمال وتحملك اياه من التحمل وهى صيغ تعجب وكل هذا جار وفى تاريخ هروين للامام الهروى روى عن على بن احمد بن صالح قال حدثنا ابو العباس العبدى الهروى حدثنا الحسين بن الفضل حدثنا محمد بن عمروان البغدادى حدثنا الاصمعى حدثنا مالك بن مغول عن الشعبى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لطم ابو جهل لعنه الله فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها فشكت الى ابيها فقال لها ائتى ابا سفيان فاتته فاخبرته فاخذ بيدها حتى وقف بها على ابى جهل لعنه الله وقال لها الطميه كما لطمك ففعلت فجاءت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرته فرفع يديه وقال اللهم لا تنسها لابى سفيان قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما شككت ان كان اسلامه الا لدعوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى نقله السيوطى فى كتاب تحفة الادب ومن خطه نقلت (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى) اى غضبه بعيد لا يكون فيه الا بعد امور كثيرة بخلاف رضاه فانه يرضى باقل شيء سريعا لكرمه وحلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وسيأتى فيه الكلام مبسوطا وهذا لانه متخلق باخلاق الله وهو رحمة من الله ورحمته قد سبقت غضبه وفى الحديث المؤمن بطيء الغضب سريع الرضى وهذا فى غير حقوق الله وفى غير ما يؤدى الى عدم الحمية والمروة فلا ينافى هذا قول الشافعى من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان ﴿فصل واما الجود والكرم والسخاء والسماحة﴾ جواب اما قوله الآتى فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوازى الى آخره وما بينهما جمل معترضة (ومعانيها متقاربة) بعضها قريب من بعض حتى يوهم بعضهم لذلك انها مترادفة (وقد فرق بعضهم بينها فروق) واهل اللغة يعرفون الفرق فى استعماله بمقابلها واضدادها كالبخل والشح ونحوها بمعنى الاسماء ﴿ ولابن هلال كتاب فى الفروق مفيد جدا وتقدم ان فرق سحة الراء وتشديدها بمعنى الا ان بعضهم قال الاكثر فى الفرق استعماله فى الاجسام والفرق فى المعانى وهذا لا ينكر استعمال احدهما مكان الآخر فهو كلام قليل الجدوى وجمع فروق باعتبار وقوعه بين كل واحد وغيره والا فهو فى الحقيقة فرق وبدأ المصنف بالجود اولا وفى التعريف اخره لانه عنده بمعنى السخاء ولذا قيل كان الاولى تركها وعطفه

على السخاء وتأخيره (فحملوا الكرم الا نفاق بطيب النفس فيما يعظم) عظم بعظم بضم الظاء فيهما جل مقداره و(خطره) بفتحتين وقد تسكن الطاء قدره ووقعه (ونفعه) لمن يعطى له وذلك انما يكون بكثرته وهذا يختلف باختلاف المعطى والآخذ كان هذا معنى الكرم فى عرف اللغة والا فالكرم بمعنى الشرف والمجد وهو لا يختص بالاعطاء ولذا قال (وسموه ايضا حرية) بضم الحاء وكسر الراء المهملة ثم المشددة تليها ياء تسمى ياء المصدرية وهي اذا لحقت الاسماء الجامدة والصفات تصيرها مصدرا ولا بد فى آخرها من هاء تأنيث ولم يفصل النحاة حال هذه الاسماء الا انها سائغة فى الاستعمال وما وقع فى بعض النسخ هنا من انه حرأة بجيم مضمومة وراء ساكنة تليها همزة وهاء كما فى حواشى ابن رسلان فهو من تحريف الكتاب فانه لا مناسبة له هنا وان كانت الجرأة والكرم اخوان لا يفترقان لاسيما فى زمان فيه غاص الكرام وفاض اللئام واما تسميته الكرم حرية فلان الحر خلاف العبد فالحرية الخلاص من رق الناس فاذا طوقهم منه حصلت له الحرية لان الانسان عبد الاحسان وهذا من كلام الصوفية فانهم قالوا الحرية صفة يتولد عنها الايثار ونهاية السخاء لانه يبذل ماله اليه حاجة وهو نهاية السخاء واعلى منه قول بعضهم الحرية ان لا يكون العبد بقلبه تحت رق شيء من المخلوقات ولا من اعراض الدنيا والآخرة ويكون فردا لم يسترقه دنياه ولا هواه ولا حظ ما يتمناه وقال القرطبي فى كتاب الدقائق من كلام اهل التوفيق فى التصوف الحرية المحضة هي الخروج من ملك سلطان الشهوة والغضب والقهر بالصبر والعبودية المحضة هي طاعة الارادة فيما لا تضطر النفوس اليه الا بسوء العادة وايثار اللذة وكل من خدم فى زمن الحداثة الشهوة والغضب شق عليه فى زمن الشيخوخة مالجمه من ضعف بدنه عن خدمة لذته ومن خدم فى الرأي والادب شق عليه ذلك فى الحداثة وكان فى زمن الشيخوخة مستريحا انتهى (وهذا ضد النذالة) بفتح النون والذال المعجمة واللام هي الخسة والحقارة وهي من لوازم البخل المقابل للكرم كما قيل وفيه اشارة الى انه ليس مقابلا له حقيقة (والسماحة) والسماح (التجافى) تفاعل من الجفاء وهو غلظة الطبع وحقيقته التباعد والترفع فقال جفا السرج عن ظهر الدابة اذا تباعد عنه كما قال عز وجل ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ اى لا ينكرون النوم اى العفو عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس (وهو ضد المشاكسة) بشين معجمة وكاف وسين مهملة بينهما الف وهو كما قال القسطلاني سوء الخلق وفى القاموس انها الشخل والاول انسب هنا والثانى انسب بتفسير السماحة بالجود كما قاله ابن القوطية (والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد) من الصنائع المذمومة كالحجامة واخذ ما لا يحل له (وهو الجود) وفرق بعضهم بينهما قال ابن عصفور فى الممتع السخاء ما جود من الارض الشجاوة وهي الرخوة ولذا

وصف الله تعالى بجواد دون سخي لانه اوسع في معنى العطاء وادخل في صفة العلاء اسمي وقد تقدم ذلك فعلى هذا هو اخص منه وقال ابن مالك في الكفاية السخي هو الجواد فهو موافق لما قاله المصنف وقال سقراط الجواد هو الذي يعطي لا لمسئلة صيانة للآخذ من ذل السؤال وقال الشاعر

وما الجواد من يعطي اذا ما سألته ❋ ولكن من يعطي بغير سؤال

(وهو ضد التقتير) المعروف في اللغة ان الجود ضد البخل والتقتير ضد التضييق في الانفاق وهو ضد الاسراف والتبذير وهما غير وفرق بينهما صاحب الكشف في سورة الاسراء يقال قترت الشيء واقترته اي ضيقت الانفاق فيه وقال تعالى ﴿ والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ والبخل والتقتير متلازمان لا مترادفان حتى يكون كل منهما ضدا للسخاء ﴿ واعلم ان كلام المصنف هنا غير موافق للغة ولا للعرف ولا ادري من اين اخذه ولكن الامر في مثله سهل وهو محتاج للتهذيب وسكت عليه مرة اخرى (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤازى) بالهمزة مبني للمفعول اي لا يساوي ولا يقابل يقال فلان آزى فلانا اي يحاذيه ويساويه وقال الكرماني موافقا للجوهري يقال ازيته اي حاذيته ولا يقال وازيته والذي عندنا في النسخ يوازيه بالواو المبدلة من الهمزة وقد اجازه بعضهم تقلب الهمزة واوا اذا انفتحت وانضم ما قبلها نحو جؤن وقد جزم البرهان الحلبي بانه في كلام المصنف بالواو ويحتمل انه في كلامه بالهمزة ورسمت واوا على قاعدة الرسم في مثله اي هو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يساويه احد (في هذه الاخلاق الكريمة) والاوصاف الحسنة من الجود والسخاء والكرم والسماحة

فاق النبيين في خلق وفي خلق ❋ ولم يدانوه في علم ولا كرم

(ولا يبارى) بالباء للمجهول وهو بالموحدة والراء المهملة ومعناه يعارض والمعارضة ان تفعل مثل ما يفعل وهما متقاربان (بهذا وصفه كل من عرفه) بالمشاهدة او بما اشتهر عنه شهرة لا يبقى معها ريب ولا شبهة (حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي) هو الحافظ ابو علي بن سكرة وقد تقدمت ترجمته وهو منسوب لصدف بفتح الدال وهي قرية بقرب القيروان قال (حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو ذر الهروي) تقدم ايضا قال (حدثنا ابو الهيثم الكشميهني) قال البرهان الحلبي هو بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء بعدها نون كذا في الانساب لابن الاثير وضبطه بالقلم الحافظ عبد الهادي في طبقاته بفتح الكاف وكذا صحح في نسخ السماع والصواب ما ذكرناه والنسبة لقرية من قرى مرو وقد خرج منها جماعة وقد خرجت انتهى وفي آخره ياء نسبة لم يصرح بها لانه معلوم من السياق فما في بعض الشروح من انه لا ياء في آخره وان النسبة فيه على خلاف القياس مما لا يلتفت

منه المعجب (وابو محمد السرخسي) نسبة لسرخس بلدة عظيمة بخراسان وقد تقدمت ترجمته (وابو اسحق البلخي) ابراهيم بن احمد بن ابراهيم بن احمد بن داود المستملي الامام المشهور كما تقدم منسوب لبلخ بلده عظيمة في ماوراء النهر (قالوا حدثنا ابو عبدالله الفربري) تقدمت ترجمته وفربر قرية بسحل بلدة بخاري قال (حدثنا البخاري) تقدم وشهرته تغني عن ذكره قال (حدثنا محمد بن كثير) بلفظ كثير ضد القليل العبدي البصري الحافظ روى عنه اصحاب السنن وتوفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وله ترجمة في الميزان فيها كلام لابن معين وقال الذهبي انما هو في ابن كثير المهري وفيه تعقب لكلام المزي لانه قال العبدي قال (حدثنا سفيان) هو ابن سعيد الثوري كما تقدم وهذا الحديث رواه ايضا سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر عن جابر كلاهما واخرجه مسلم والبخاري والترمذي في الشمائل وهو حديث صحيح (عن ابن المنكدر) وهو محمد بن المنكدر بن عبد الله التيمي المدني الحافظ عن ابيه وعن عائشة وابي هريرة رضي الله تعالى عنهما واخرج له اصحاب الكتب الستة (قال سمعت جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما يقول ماسئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا فقال لا) وقد علمت ان هذا الحديث اخرجه الترمذي في الشمائل وغيره وفي معناه قول حسان

ما قال لا قط الا في تشهده * لولا التشهد لم اسمع له لا لا

ومعنى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اتاه مستحق طالب عطائه لايجبه ويقول له لا قط بدليل قوله حتى اذا لم يجد شيئا اقترض اوقال ائتني غدا ونحوه وهذا هو الذي عناه حسان وهو بناء على الغالب فان النادر كالعدم فهو مبالغة معروفة مألوفة ولم يرد انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يتلفظ بلا اصلا حتى يرد عليه ان الاحاديث المصرحة بلانحو لايلدغ المؤمن من جحر مرتين كاضر لاتحصى كثرة كما قيل ويجاب عنه بما لاحاجة له ثم قال واما قوله في البردة

نبينا الآمر الناهي فلا احد * ابر في قول لا منه ولا نعم

فهو انما تقتضي صدور لا عنه مطلقا وذا لاينافي انها لم تكن لتصدر عنه اذا سئل عن شيء من متاع الدنيا لجواز صدوره رها منه في غير تلك الحال * اقول قد عرفت مافيه اولا لتوقفها في الباب انكال كان يحول في الصدر قديما وهو ان الامر والنهي انشاء لايجاب بلا ونعم فالفرع بلا لا يصادف محله هنا ولم يحم حول هذا احد من الشراح مع ظهوره وقد ظهر لي ولله الحمد وجهه فمعنى نبينا الآمر الى آخره انه لاحاكم سواه فهو حاكم غير محكوم فاذا قال في امر لا او نعم وهو لا نقول الاصوابا موافقا لرضى الله لايخالفه الا تقسر فاسر وليس غيره حاكم بعد عماحكم به ويرد احكامه فهو اصدق القائلين فيما تقوله (وعن انس) بن مالك رضي الله تعالى عنه (وسهل بن سعد مثله) اي مثل الحديث السابق المروي في الصحيحين وحديث انس رضي الله

تعالى عنه هذا في مسلم وذكره في الوفاء ايضا ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنا لا يسئل شيئا الا اعطاه والاحاديث في معناه كثيرة وسهل هو الساعدي الانصاري الصحابي (وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير) اي بما فيه نفع الناس (واجود ما كان في شهر رمضان) رمضان اسم للشهر ويقال رمضان وشهر رمضان وكون العلم المضاف دون المضاف اليه او هما كلام لا حاجة لذكره ولا يكره ان يقال رمضان وما روي من حديث لا تقولوا رمضان فان رمضان من اسماء الله عز وجل ولكن قولوا شهر رمضان ضعيف لا يعمل به لصحة ما يخالفه كما فصله شراح البخاري وهذا الحديث رواه الشيخان وروي فيه اجود ما يكون ووقع في بعض النسخ هنا ايضا واجود الثاني يجوز رفعه مبتدأ ونصبه عطفا على خبر كان وعلى الاول خبره محذوف وجوبا كما قرره النحاة في نحو اخطب ما يكون قائما والكلام عليه طويل الذيل ليس هذا محله وما مصدرية وكان تامة ولقد صغر من القلادة على ما احاط بالعنق وانما زاد جوده صلى الله عليه وسلم في رمضان لحاجة الصائمين ولانه موسم الخيرات الذي يفضل الله فيه على خلقه بما لم يفضل في غيره فاتبع سنة الله في عباده وتخلق باخلاقه (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا لقيه جبريل اجود بالخير من الريح المرسلة) لانه عليه الصلوة والسلام يسر بملاقاته وامداده له بالبشرى والكرامة فيحسن كما احسن الله اليه وكان يكثره محبة له في رمضان ليدارسه القرآن ويعارض به فيقراءه كل منهما على صاحبه بالتجويد ووجوه القراآت اجود بالخير من الريح المرسلة قال الكرماني الجود اعطاء ما ينبغي لمن ينبغي والخير شامل لجميع انواعه مما يقرب العبد الى الله وارسال الرياح اطلاقها باذن الله فيرسل بالرحمة والمطر قال تعالى (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) وقال (والمرسلات عرفا) اي الرياح المرسلة بالمعروف على احد التفاسير وهو من التشبيه البليغ على سبيل الترقي فجعله اجود الناس ثم ذكر ان جوده في رمضان وعند ملاقاة جبريل ازيد منه في غيره والمراد بالمرسلة خلاف العقيمة وقيل وفي قوله اجود من الريح جمع بين الحقيقة والمجاز وفيه بحث يعلم من كلام اهل المعاني في تحقيق وجه الشبه في قولهم كلامه احلى من العسل وتقديم قوله بالخير اهتماما به وللدلالة على تقدير مثله فيما بعده او اشارا كهما فيه لا لدفع توهم تعلقه بالريح المرسلة وليس من الاكتفاء وفي تشبيهه بالريح اشارة الى سرعته ومبادرته له وقد علم ان المراد بالريح المرسلة التي لم ترسل بالعذاب لا مطلقها لانها في القرآن مخصوصة بها *
فان قلت ذكر الريح وقد قيل انها اذا كانت مفردة تكون في العذاب والشر واذا جمعت فهي للنفع والخير * قلت هذا قيل انه مخصوص بما وقع في القرآن بالاستقراء لا مطلقا فلا ينافيه ما وقع في هذا الحديث وغيره ويؤيده ما اخرجه ابن ابي حاتم عن ابي بن كعب انه قال كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة وكل شيء فيه من الريح فهو عذاب

(وما)

وماورد في الحديث كما رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه ماهبت الريح الاجثا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا لايدل على عدم اختصاصه بما وقع اهاهنا في القرآن لانه قيل انه صلى الله عليه وسلم اراد اللهم اجعلها من جملة رياح القرآن ولا تجعلها من ريحه اي مما ذكر بهذه العبارة فلا دليل فيما ذكر كما قيل الاترى الى قوله تعالى ﴿ارسلنا عليهم الريح العقيم * وريحا صرصرا﴾ ونحوه وقوله تعالى ﴿وارسلنا الرياح لواقح * ويرسل الرياح مبشرات﴾ وقد قرئ في بعض آيات الرحمة بالافراد والجمع وورد مفرده في ذلك فكانه اغلبي واما تأويل ما في الحديث بما جاء فيه الجمع فمتعسف وقيل يحتمل انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما قال ذلك لان ماهب ان كان ريحا واحدة لم يلقح السحاب ولم ينزل المطر غالبا وان كان رياحا فهو بخلافه ويحتمل ان يكون معناه لا تهلكنا بريح واحدة لا يهب بعدها ريح اخرى وطول اعمارنا حتى يهب علينا ارياح كثيرة (وعن انس رضي الله تعالى عنه) كما رواه مسندا مسلم في صحيحه (ان رجلا) هو صفوان بن امية الآتي بيانه كما في سيرة ابن سيد الناس وغيرها (سأله) صلى الله عليه وسلم (فاعطاه غنما) كثيرة كائنة (بين جبلين) اي مالئة واديا بين جبلين كما نفهم منه ذلك بحسب العرف وان كان يقال للغنم السارحة بينهما قليله او كثيرة ذلك فان كان اسلم قبل سؤاله فهو ظاهر وقوله (فرجع الى قومه) وهم قريش لانه من اهل مكة وفي نسخة الى بلده (وقال اسلموا) لا ينافيه وان كان قبل اسلامه فاما انه كان في صدر الاسلام يجوز اعطاء المؤلفة قلوبهم من الكفار من الزكوة او من بيت المال ثم نسخ وقول الصرصري

واتاه اعرابي الغنم البدا * اعطاه شاء ضمها جبلان

لعله قصة اخرى فان الرجل المذكور هنا من اكابر قريش ورؤسه قوله (فان محمدا يعطي عطاء من لايخشى فاقة) فان قريشا كانوا يعلمون كرم شيمه وجزيل عطائه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه لايخشى فاقة ومايرى احدا في الجود الافاقه والفاقة الفقر او اشده وهكذا اولياء امته في الحديث دعائم امتي عصائب اليمن وان يعون رجالا بالشام كلما مات رجل منهم ابدل الله مكانه آخر اما انهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صلوة ولا صيام ولكن بسخاء النفس وسلامة الصدر والنصيحة للمسلمين (واعطى غيره واحدا مائة من الابل) الابل اسم جنس جمعي لا واحد له من لفظه كخيل وغنم والذين اعطاهم صلى الله تعالى عليه وسلم مائة ناس كثير منهم ابو سفيان وابنه معاوية والحارث ابن هشام وقد عدهم البرهان الحلبي وقال انهم يبلغون ستين من المؤلفة قلوبهم وكذلك ذكر الشيخ قاسم في تخريج احاديث هذا الكتاب (واعطى صفوان بن امية مائة ثم مائة ثم مائة) وصفوان بن امية هو بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح قرشي له صحبة وكنيته ابو وهب اسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وهو مشرك

فلما اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفيء ما ذكر قال اشهد بالله ما طابت بهذا الا نفس نبي فاسلم وروى له اصحاب الكتب الستة وتوفى في خلافة معاوية سنة اثنتين واربعين بمكة وعلى هذا فاعطاه مرارا عنما وابلا فلامنافاة بينه وبين ما سبق وعطاؤه له السابق كان من غنائم حنين وهذا الحديث رواه مسلم (وهذه) اى الخصلة والسجية في الكرم والعطاء (كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث) اى نبيا او يرسل (وقد قال له ورقة بن نوفل) ورقة بواو وراء مهملة مفتوحتين وقاف وهو ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى كان من افضل اهل زمانه واعلمهم شاعر بليغ مائة وكان يقرأ ويكتب الكتب القديمة بالعربية والعبرانية ويتأله ويتعبد ولذا سمي القس ويهود في اول امره ثم تنصر وهو ابن عم خديجة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها وله اشعار كثيرة في التوحيد ولبرهة لم يكن له عقب وورد في الحديث لاتسبوا ورقة فاني رأيت له جنة او جنتين تدل بذلك ماورد من طريق آخر انه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه في منامه في الجنة وعليه حلة خضراء او بيضاء اونحوه كثياب من حرير وحلة من سندس وكان حيا في ابتداء الوحي الى ان نبئ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واجتمع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به كما في اول البخاري وقال ان ادركني زمانك لانصرنك نصرا مؤزرا وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذ ذاك نبيا ولم يؤمر بالدعوة ومات ورقة بعد نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وقبل رسالته ولذا قالوا انه اول من آمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الرجال وهو بان بالنسبة لخديجة رضي الله تعالى عنها وصحابي ولذا عرفوا الصحابي بانه من اجتمع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا به ولم يقولوا بالرسول وهذا مما ينبغي التنبه له وفي نظم السيرة للعراقي في ذكر ورقة

فهو الذي آمن بعد ناسا * وكان برا صادقا مواسا

والصادق المصدوق قال انه * رأى له تخصخصا في الجنة

وهذا المذكور هو الصحيح من انه صحابي وقيل انه ليس بصحابي لانه لم ير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يؤمن به بعد بعثته وعليه جماعة محققون وقول المصنف رحمه الله تعالى وقد قال الخ ان كانت الجملة معطوفة على ماقبلها فهو صادق على القولين وان كانت حالا من الضمير في قوله فقيل ان يبعث تكون على القول الثاني وهو مؤمن على كل حال ولذا رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الجنة والاكثر من علمائنا على انه صحابي (انك تحمل الكل) هذا بعض من حديث صحيح رواه الشيخان لكن قال السيوطي رحمه الله في تخريجه القائل له صلى الله تعالى عليه وسلم هذا انما هو خديجة رضي الله تعالى عنها في قصة مكالمتها لورقة في شأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما رأى جبريل عليه الصلاة والسلام في اول امره وخاف على نفسه فيه وكذا

(اعترض)

اعترض عليه الشيخ قاسم فى تخريجه ايضا فقال لا اعلم هذا من قول ورقة رضى الله تعالى عنه والذى فى صحيح البخارى وغيره انه من قول خديجة رضى الله تعالى عنها وماقيل من ان القسطلانى خليل الصدر لايخفى عليه مثله ولا يبعد صدوره من ورقة لايجدى نفعا مع نقل الصحيحين خلافه وليس مثله محل بحث ولكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة والكل بفتح الكاف وتشديد اللام مصدر بمعنى الكلال وهو الاعياء وفسر بالثقل فقيل انه لازم معناه وهو المناسب للحمل لانه لايقال حمل الاعياء والذى فى البخارى قيل هذا من قولها ايضا حين قال لها صلى الله تعالى عليه وسلم لما رأى جبريل عليه الصلوة والسلام لقد خشيت على نفسى وهى التى قالت كلا والله لايخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل (وتكسب المعدوم) وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق وتصدق الحديث وتؤدى الامانة والحديث فى اول البخارى والكلام عليه مفصل فى شروحه وحمل الكل هو كقول العرب فى المدح هو حمال اثقال اى يحمل ثقل غيره من الضعفاء والعيال واعانة الخلق بالانفاق عليهم واطعامهم واعطائهم كل مايحتاجون اليه وكفالة الايتام وغيره من وجوه البر وهو استعارة شائع فى هذا المعنى وتكسب قال ابن قرقول بفتح التاء وكسر السين المهملة هى اكثر الروايات واصحها اى تكسب لنفسك تحصيله مالهم وقيل تكسب غيرك اى تعطيه لان كسب جاء لازما ومتعديا وانكر الفراء وغيره اكسبه فى المتعدى وصوبه ابن الاعرابى وانشد * فاكسبنى مالا واكسبته حمدا * فيتعدى بالهمزة لمفعولين وكسب يتعدى لمفعول وقيل يتعدى لمفعولين كاكسب والمعدوم الشيء الذى لاوجود له واما الفقير فيقال له معدم كمكرم قال الشاعر

فاب بنائب الهم باسامى وابن * كان فقرا معدما قالب وابن

وقيل ويطلق عليه معدوم ايضا لانه كالمفقود لفقره فاحد المفعولين محذوف ان بنى للمعلوم ومذكور ان بنى للمجهول والمراد على الوجهين انك تعطى الناس الفقراء مالايجدونه عند غيرك لما وهب من مكارم الاخلاق وقول الخطابى رحمه الله تعالى صوابه المعدم بلاواو يريد انك تعطى العادم الفقير الذى لايجد شيئا خطأ لان هذه الرواية صحيحة مشهورة عند رواة الحديث وفيما خشيه صلى الله تعالى عليه وسلم على نفسه وجوه واصحها انه خشى الهلاك من شدة الرعب او تعذيبهم اياه فارادت خديجة رضى الله عنها دفع ذلك الذى خشيه بقولها المذكور اى لاتخف فانك لايصدك مكروه لمافيك من جميل الصفات ثم ذكر قصة هوازن وهى صحيحة رواه البخارى وغيره فقال (ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف) نفس من النساء والذرية غير الاموال التى من غنائمهم للاعراجم وكانت اربعة وعشرين الفا من الابل واكثر من اربعين الف شاة من الغنم واربعة آلاف اوقية من الفضة والاوقية اربعون درهما وعن ابن فارس انه يوم ماوهب لهوازن فكان خمسمائة الف الف وقيل ستمائة الف الف

وهوازن اسم قبيلة منسوبة لهوازن بن اسلم وكان يسكن حنينا وهو كما يأتي موضع سمي بحنين بن نابة بن مهلاييل وغزوه صلى الله تعالى عليه وسلم تسمى غزوة حنين وغزوة هوازن وكانت في شوال او في رمضان وامرها معروف مفصل في السير ولما غزاهم وجاز غنائمهم قدم وفدهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم اربعة عشر رجلا رئيسهم زهير بن صرفة وفيهم ابو برقان عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع فسألوه ان يمن عليهم بما اخذ منهم لما بينهم وبينه من مناسبة الرضاعة فقال لهم ابناؤكم ونساؤكم احب اليكم ام اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وما للناس نسأل منهم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماعة من المؤلفة اما مالنا فلا فاخذه صلى الله تعالى عليه وسلم منهم قرضا على ان يعوضهم عنه من اول مال يجيء فسلموهم جميعا وكان صلى الله عليه وسلم كساهم وانما فعل ذلك لانه كان بعد القسم وليس للامام ان يمن بعده لتعلق حق الغير به والسبايا جمع سبية بمعنى مسبية قال التلمساني ولا يكون السبي الا في النساء (واعطى) ايضا (العباس) بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البخاري عن انس تعليقا (من الذهب ما لم يطق حمله) وقد اتى بمال من البحرين وكان اكثر مال اتى فنثر في المسجد فاتاه العباس رضي الله تعالى عنه وقال اعطني فاني فاديت نفسي وعقيلا فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب اقله فلم يستطع فقال من يرفعه فقال لا فقال فارفعه انت علي فقال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يقدر فقال له كالاول فنثر منه ثم احتمله على كاهله وانطلق فاتبعه صلى الله عليه وسلم بصره تعجبا منه ولم يقم عليه السلام حتى فرقه فلم يبق منه درهم وانما اعطاه لانه خرج لبدر مكرها وكان يخفي اسلامه ثم فدى نفسه وعقيلا كما فصلوه (وحمل اليه صلى الله عليه وسلم تسعون) بتقديم التاء المثناة الفوقية (الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها) رواه الحسن بن الضحاك في شمائله مرسلا الا انه قال ثمانون الفا واخرجه ابن الجوزي في الوفاء وقال سبعون الفا كما قال الشيخ قاسم في تخريج احاديث الشفاء والسيوطي في تخريجه بلفظ سبعين بتقديم السين على الموحدة ويوافقه قول الصرصري في مدحه

سبعون الفا فضها في مجلس * لم يبق منها عنده فلسان

وقوله حتى الى آخره غاية لقوله فقسمها وقيل لقوله فما رد سائلا وليس المراد انه يرد بعد الفراغ فهو على حد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا (وجاءه رجل فسأله) عطاء شيء يحسن به له (فقال ما عندي شيء) ولم يقصد منعه بذلك حتى لا ينافي ما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ما قال لسائل لا فقط لان المراد انه لم يمنعه ما سأل من متاع الدنيا وانما مراده اخباره بعذره في عدم

التعجيل له بدليل قوله (ولكن ابتع عليّ) بموحدة ساكنة بعد همزة الوصل ومثناه فوقية مفتوحة وعين مهملة افتعال من البيع بمعنى الشراء فانه يطلق عليهما وفي القاموس اباعه اشتراه اي اشتر ثمن يكون ذلك الثمن عليّ وفي دمى كذا ثبت في الحديث وفي شرح الدلجي انه بتقديم المثناة الفوقية على الموحده اي اشتر واسامت مااختار اسمى وليس هذا ضمان بل وعد منه الا ان وعده صلى الله تعالى عليه وسلم كان ملتزم الوفاء لان وعد الكريم دين ولذا صح انه لما توفى نادى ابو بكر رضي الله تعالى عنه من كان له عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عده او دين فلأتنا فجاءه جابر رضي الله تعالى عنه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدني كذا فاعطاه له (فاذا جاءنا شيء) مما من الله به من الغنائم اوغيرها وفي قوله جاءنا بمعنى معاشر المسلمين اشارة الى انه مال الله لعباده لا لي وحدي (قضيناه) اي اديناه ويحتمل ان الضمير هنا وفيما قبله للتعظيم اي قضيته قضاء ايانا به العظيم منه تعالى واختاره بعضهم ولذا لم نقل جاءني وقضيته مع قوله على فتأمل والقضاء يشعر بانه لزم ذمته كالدين (فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله مالا تقدر عليه فكره صلى الله عليه وسلم ذلك) اي بدا في وجهه الشريف اثر عدم رضاه به لان فيه كسر خاطر السائل ولان مثله لا يعد تكلفا لما قدره له لما عوده الله من فيض نعمه عليه (فقال رجل من الانصار) كان حاضرا لما رأى من كراهة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك (يارسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا) قال البرهان هذا الرجل لا اعرفه وفي حفظي ان القائل بلال رضي الله عنه لكنه مهاجري لا انصاري ويكون قد قال ذلك بلال والانصاري فان الذي فيه ذكر بلال قصة اخرى المأمور فيها بالانفاق بلال وهو ما رواه الطبراني والبزار مسندا عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بلال وعنده صبرة من تمر وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له يوما اطعمنا يا بلال فقال ما عندي الا صبرة خبأتها لك ولضيفانك فقال اما تخشى ان تقذف بها في نار جهنم انفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا ومن العجب ان اراد هذا هنا ولا مناسبة له بما نحن فيه ووقع في بعض كتب الحديث انفق بلالا ووجه بوجوه منها ان اصله بلالي بالاضافة لياء المتكلم وحذف حرف النداء وابدال الياء الفا كما علاما وقيل بلالا هنا ليس علما بل فعال من البلل اي انفاقا رطبا بلل به قلوب آكليه ولو قيل انه رد لاصله من النصب واطلق لمشاكلة اقلالا لم يبعد وقد اخرجه العسكري في الامثال مرفوعا وفي الطبراني انفق يا بلال ومعنى اقلالا ان يقل الله الرزق ويجعله قليلا لان لكل منفق خلفا وقوله لا تخش تصحيف بيت وقع اتفاقا وقيل بلالا كلمتان اي بعد لا وتأباه رواية يا بلال بحرف النداء والذي رواها المصنف رحمه الله ولا تخف دون لا تخش كما مر وقول بعض الشراح الصواب

لا تخش ليصير موروثا عن صواب من وجهين (فتبسم صلى الله تعالى عليه وسلم وعرف
البشر في وجهه) بانبساطه وتهلل أساريره (وقال بهذا أمرت) أي بالانفاق
من غير مخافة فقر والتبسم انفتاح الفم من غير قهقهة وهو مبادي الضحك
وقد استشكل هذا بان الله أمره بقوله (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل
البسط فتقعد ملوما محسورا) قال في الكشاف لان الاسراف غير محمود وكان صلى الله
عليه وسلم ينفق جميع ما عنده ويجوع حتى يربط الحجر على بطنه وأجاب القاضي
ابو يعلى بان المراد بهذا الخطاب غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وغير خلص المؤمنين
الذين كانوا ينفقون جميع ما عندهم عن طيب قلب لتوكلهم وثقتهم بما عند الله اما
من كان ليس كذلك يتحسر على ما ذهب منه فالمحمود منهم الوسط وهم الذين
اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا لانهم لا صبر لهم على الفاقة ولذا صعب عليه
صلى الله تعالى عليه وسلم كلام عمر رضي الله تعالى عنه لما راعى ظاهر الحال وأمره
بصيانة المال شفقة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعلمه بكثرة السائلين له
وتهافتهم عليه ولكل مقام مقال والانصاري راعى حاله صلى الله عليه وسلم فلهذا
سره كلامه فقوله بهذا أمرت اشارة الى انه أمر خاص به ومن مشى على قدمه
وقوله (ذكره الترمذي) اشارة الى من روى هذا الحديث (وذكر عن معوذ بن عفراء)
ذكر بالبناء للمجهول قال السيوطي ذكر هذا الحديث الترمذي في الشمائل والطبراني
عن الربيع بنت معوذ وسنده حسن يعني ان المذكور انما هو الربيع بنت معوذ بضم الراء
المهملة والتصغير فهو مشدد الياء التحتية اسم امرأة منقول من مصغر الربيع وكذا قال
البرهان وقال لعله سقط من النسخ لفظ الربيع او وقف عليه القاضي رواية عن معوذ الا
ان معوذا لا اعلم له رواية ووقع في نسخة على الصواب ومعوذ بضم الميم وفتح العين المهملة
وكسر الواو المشددة وحكى ابن قرقول فتحها وغيره لا يجيزه وكذا ضبطناه عن الصدفي
ثم دال معجمة وقال التلمساني قيل ان الدال مهملة مع الفتح والكسر والاول اولى
وعفراء بعين مهملة وفاء ساكنة وراء مهملة وهمزة ساكنة ممدودة اسم امه وهي عفراء
بنت عبيد بن ثعلبة وشهر بذلك واسم ابيه الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد
ومعوذ استشهد ببدر قتله ابو مسافع وقيل انه هو الذي قتل اباجهل وفيه كلام في السير
(قال اتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقناع) بقاف مكسورة او مضمومة
فنون والف فعين مهملة ويقال له قنع بكسر القاف وقيل قناع جمع قنع وظاهر
قوله (من رطب يريد طبقا) انه مفرد وكذا قوله في حديث آخر يهدي لنا القناع
فيه كعب حب افرده (واجر زغب) بفتح الهمزة وسكون الجيم وكسر الراء
واصله اجري فسقطت ياؤه كادل في جمع دلو وهو جمع جرو بكسر الجيم بوزن
علم وهو صغير القثاء وزعم ابن قرقول ان جروا جمعه اجرا على افعال وهو جمع

حرو ورعب بضم الراي وسكون العين المعجمة بين جمع ارعب وهو ماعليه زغب
والرغب صغار الريش والشعر فشبه به مايكون على الفاكهة ونحوها من الصغر
وقوله (ثريد قثاء) بكسر القاف وضمها وتشديد المثلثة والمد وهي معروفة وهي
ضرب من الخيار والهمزة للتانيث او للالحاق وهو اسم جنس يطلق على الواحد
وغيره ولذا فسر به الجمع ولاحاجة لتقدير من جنس هذه وعلى كل حال فلا يقال
ان زغب هنا كالديار الصغر كما يوهم وهو تفسير لقوله اجر وروى الهروي اجن
بالنون بدل اجر وهو جمع جنا وهو الغض الرطب والمشهور الاول وكان صلى الله
تعالى عليه وسلم يحب القثاء (فاعطاني ملأ كفه حليا وذهبا) بالواو العاطفة
وفي الترمذي او وقال ذهبا مما كان عنده مما جاءه من البحرين وهذا مما يدل على الوهم
في رواية معوذ فانه قبل بدر ومال البحرين انما اتاه صلى الله تعالى عليه وسلم
بعد ظهور الاسلام والحلي بفتح الحاء المهملة وسكون اللام يريد ضرب وجمعه
حلي بضم الحاء وكسرها ووزنه فعول وهو كل مصاغ من الذهب والفضة وضبطه
التلمساني بالمفرد هنا فان كانت الرواية به فواضح والافتجوز قراءته بالوجهين
(وعن انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم لايدخر شيئا لغد) اخرجه
الترمذي وشيئا اعم من المال والقوت وهذا بالنسبة لاغلب احواله صلى الله
عليه وسلم وقد وقع خلافه تعليما وتطييبا لقلوب اهله وهو لاينافي التوكل كما لايخفى
(والخبر بجوده) اي في شان جوده (وكرمه كثير) لايحصى فحدث عن البحر حدث
ولا حرج (وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رجلا اتى صلى الله تعالى عليه وسلم)
هذا الرجل لم يسم والحديث لم يخرجه الستة ولا غيره (يساله فاستسلف له رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم) اي اقرض والسلف والقرض بمعنى (نصف وسق)
بفتح الواو وكسرها وهو ستون صاعا وعند اهل الحجاز بثلثمائة وعشرون رطلا
واربعمائة وثمانون رطلا عند اهل العراق على اختلافهم في مقدار الصاع والمد
كما قاله البرهان الحلبي رحمه الله تعالى والوسق ايضا مصدر بمعنى ضم الشيء (فجاءه
الرجل) الذي اقرض منه (يتقاضاه) اي يطالبه به كاملا (فاعطاه وسقا) ضعف
ما اخذه منه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له (نصفه قضاء) لما اخذه لك
(ونصفه نائل) اي عطاء وهبة لك ووقع في بعض النسخ هنا زيادة سقطت
من اكثر النسخ وهي (وقد قال ابو علي الدقاق من شيوخ الصوفية المشاهير
وعلمائهم الاخيار ونكاتهم في الفتوة وهي غاية الكرم والايثار على رأيهم
واصطلاحهم في الفاظهم ان هذا الخلق لا يكون بكماله الا لرسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فان كل احد في القيامة يقول نفسي نفسي ويقول هو صلى الله
تعالى عليه وسلم امتي امتي) انتهى مازيد هنا وانما بها محمد بن مرزوق في شرحه

وتبعه الملمسانى و شرحها فلنمم الفائدة ببعض فوائدها و بيان مافيها فاعلم ان الدقاق هو ابو على الحسن بن على شيخ القشيرى تفقه فى اول امره على القفال وغيره ثم انقطع حتى صار سند وقته والصوفيه والصوفة واحده صوفى ويقال تصوف اذا انقطع الى الله تعالى كما يقال تقيس اذا انتسب لقيس وهذا لفظ مولد واصطلاح حدث بعد القرن الاول فقال بعضهم الصوفى هو المنقطع بهمته الى ربه وهم مقتدون باهل الصفة رضى الله تعالى عنهم وهى سقيفة اتخذها ضعفاء الصحابه فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان فى الاسلام حتى يقال لهم صوفيه يخدمون الكعبه فقيل الصوفى نسبة لهم وقيل لانهم يجمعوا كما يجمع الصوف وقيل انهم لخشوعهم كصوفه مطروحة على الارض اوهم منسوبون للصوف لانهم وسهولة اخلاقهم اولالبسهم الصوف لاختيارهم الفقر وهذا اظهر الاقوال لفظا ومعنى وقيل منسوب للصفة والاصل صفى فابدل احد حرفى التضعيف واوا وقيل انه من الصفاء فقلبت فاءه وصحح هذا بعضهم لقول البستى

تخالف الناس فى الصوفى واختلفوا * جهلا وظنوه مشتقا من الصوف
ولست انحل هذا الاسم غير فتى * صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

ولا شاهد فيه لانه على مذهب الشعراء وقد بين المصنف رحمه الله تعالى معنى القوه ﴿ فصل واما الشجاعه والنجده فالشجاعه فضيله قوه الغضب وانقيادها للعقل ﴾ هذا معنى ما قاله الحكماء فى علم الاخلاق ان الله تعالى ركب فى الانسان قوه هى مبدأ الاقدام على الاهوال والمهالك لصوره ان من خاطر بالنفس ربما يهلك النفس وانه لا ينجى حذر من قدر وهى القوه الغضبية الشاعه والشجاعه انقياد هذه القوه لسلطان العقل والنفس الناطقه لتكون اقدامها على حسب الروية من غير اضطراب حتى تكون فعالها جميلا محمودا وافراطها التهور وهو الاقدام حيث لا ينبغى وتفريطها الجبن وبهذا عرفت معنى الشجاعة والجراءه اعم منها وهذه تختص بالانسان وفسرها ابن القوطيه بالاقدام وهو تفسير لفظى بالاعم (والنجدة) بفتح النون وسكون الجيم ودال مهمله كما فى النهاية وهى شدة البأس ويقال هم انجاد انجاد اى اشداء شجعان والواحد نجد ككتف واكتاف وقيل انه جمع الجمع جمع نجد على نجاد ونجاد على انجاد وفسرها اهل اللغه بالشجاعه على عادتهم فى التسامح فلا ينافى تغايرهما كما يوهم ويؤيده ما فى الحديث الآتى عن ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشهر النجده فى معنى المساعدة (ثقه النفس) فى بعض الشروح وفى نسخ بالضم وبالفاء صلب واسد وفيه الوثاق وثقت به بالكسر اوثق ثقة اعتمدت عليه واثق به كما فى العرب والمصنف رحمه الله تعالى استعمل الثقه موضع الوثاقه ولم اظفر به فان هذا تحريف فانه بمعنى اعتماد النفس على ربها او اعتماده على نفسه (عند استرسالها) اى انطلاقها

واحدهما فيما يؤدي (إلى الموت) أي استمساسها وطمأنينتها بلا خوف كما ورد في الحديث أيما مسلم استرسل إلى مسلم فغدر به الخ وحديث غبن المسترسل ربا (حيث يحمد فعلها دون خوف) قيل ومنشأه قوة النفس وشدتها ولا يبعد غير الشجاعة فيفسر الشدة بما ينشأ عنها أيضا وكلامه ماش على تغايرهما والشراح لم يفرقوا بينهما والفرق مثل الصبح ظاهر فإن الشجاعة جراءة وإقدام يخوض به المهالك كما يدني والنجدة ثباته على ذلك مطمئنا من غير خوف من أن يقع على الموت أو يقع الموت عليه حتى يقضي الله له بإحدى الحسنيين الظفر أو الشهادة فيحيى سعيدا أو يموت شهيدا فتلك مقدمة وهذه نتيجتها ولذا أخرها المصنف في الذكر (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم منهما) أي من الشجاعة والنجدة (بالمكان الذي لا يجهل) أي كان متصفا بهما على أعظم وجه ومشتهرا بذلك اشتهارا لا يخفى على أحد وعدم جهل المكان لعلوه وشرف مكانه كالجبل والقصر فكنى بذلك عن علو قدره صلى الله تعالى عليه وسلم وشهرته على حد قوله

إن الشجاعة والسماحة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج

(قد حضر المواقف الصعبة) أي مواضع القتال الشديدة ومصافها وجعلها نفسها صعبة لصعوبة ما فيها (وفر الكماة والأبطال عنه غير مرة) الفرار الرجوع بسرعة والكماة بضم الكاف جمع كميّ على خلاف القياس لأنه مخصوص بفاعل المعتل أو هو جمع كام بمعنى كميّ وإن لم يسمع وهو من تكمى إذا تستر فأصله الشجاع اللابس للدرع والبيضة ثم استعمل في مطلق الشجاع كالمستعار فإن قيل إنه سمي به لأنه يستر شجاعته وقائمه كان الثاني حقيقة أيضا لكن المعروف هو الأول والأبطال جمع بطل كحسن وهو الشجاع المعروف بالشجاعة سمي به لأنه يبطل عنده دماء الأقران وغير مرة بمعنى مرات والعرب تجعل غير مرة بمعنى مرات مع صدقه على مرتين للإبهام ونحوه من الفوائد (وهو) صلى الله عليه وسلم (ثابت لا يبرح) أي لا يفارق مكانه كقوله ﴿فلن أبرح الأرض﴾ أي لا أفارقها (ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح) أي لا يزول عن مقره قال تعالى ﴿فمن زحزح عن النار﴾ وهذه الحال تدل على ثباته صلى الله تعالى عليه وسلم أي تارة يقبل على الحرب وتارة يثبت كالجبل الراسي فلا يتحرك فإن أريد بإقباله مجرد توجهه وبعدم إدباره الثبات لغيرها فهما حال واحدة وأصل معنى التزحزح التباعد والتنحي عن المكان قال الزبيدي زحه إذا دفعه وكذلك زحزحه وقيل هو من زاحه يزيحه أو من الزوح وهو السوق الشديد ويقال زحزحته فتزحزح وأزاح إذا تباعد منه المزاح والصحيح الأول وعطفه على الإدبار من عطف الخاص على العام وكان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه يجب عليه مصابرة العدو وإن كثر وزاد على ضعف عسكره وأبى تمامه وأما الآن فإن زاد العدو على ضعف المسلمين

جاز انصرافهم عن القتال والا فلا يجوز الا لمتحيز اوالتحرف الى فئة فان الفرار من الزحف كبيرة كما فصله الفقهاء والمفسرون (وما شجاع الا وقد احصيت له فرة) احصيت بالبناء للمجهول من الاحصاء وهو العدو الحفظ والفرة المره من الفرار وهو الهزيمة والفار الهارب (وحفظت عنه جولة سواه صلى الله تعالى عليه وسلم) الجولة بفتح الجيم وسكون الواو واللام المرة من الجولان في المكان وقيل هي الانكشاف والزوال عن الموقف من غير تقييد بالمرة وفي النهايه جال واجتال اذا ذهب وجاء ومنه الجولان في الحرب والجائل الزائل عن مكانه وقول الصديق رضي الله تعالى عنه لا باطل بروه وللحق جوله يريد به عامة من حال على قرنه يجول اسمى والجولة هنا صفة ذم بمعنى فرة لا علية وفي الحديث للباطل جولة ونصمحل والحاصل ان الجوله تكون بمعنى الفرار وبمعنى الذهاب ليعود والتردد في المكان ويصح ارادة كل منهما هنا وتكون صفة ذم ومدح ثم ذكر ما دل على ما ذكره فقال (حدثنا القاضي ابو علي الجياني فيما كتب لي) هو الامام الحافظ ابو علي الغساني الجياني بفتح الجيم وتشديد المثناة التحتية ثم الف ونون وياء نسبة لبلدة بها ابن مالك وابو حيان وغيرهما من الائمة وقوله كتب لي دون الي تشعر بانه وقع له ذلك مع ملاقاته بدليل قوله حدثنا فان الكتابة تكون للغائب والحاضر وتتضمن الاجازة وابن الصلاح رحمه الله تعالى لم تفرق بين كتب له واليه اذ قال كثيرا ما يوجد في مسانيدهم ومصنفاتهم كتب الي فلان وهو معمول به عندهم معدود في المسند الموصول وفيه اشعار قوي بمعنى الاجازة وان لم تقترن بها وعن السمعاني واما الجزم بانها اقوى من الاجازة المجردة قال (حدثنا القاضي سراج) بكسر السين كالسراج المنير وهو سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج الاموي توفي لست بقين من جمادى الاولى سنه ثمان وخمسمائة والذي روى عنه الجياني هو جده سراج بن عبد الملك كما قاله الغساني قال (حدثنا ابو محمد الاصيلي) هو ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الاصيلي ويقال الاربلي بالراء والسين انصابه لاصيله بلدة بالمغرب معروفه كما قاله ابن قرقول وقال الصاغاني في الذيل والاصيل بلدة من اعمال الاندلس قال (حدثنا ابو زيد الفقيه) هو ابو زيد المروزي وقد تقدم رحمه قال (حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربري قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو الامام البخاري وقد تقدم رحمته قال (حدثنا ابن بشار) الامام الحافظ ابو بكر محمد بن بشار بفتح الموحده التحتيه وتشديد الشين المعجمة والف وراء مهملة المعروف ببندار روى عنه اصحاب الكتب السته عاش ثمانين سنه ومات سنة اثنين وخمسين ومائتين وقيل احدى وخمسين وترجمته مفصله في الميزان قال (حدثنا غندر) بضم الغين المعجمه وسكون النون وفتح الدال المهمله وضم وراء مهمله وهو محمد بن جعفر

الهذلي مولاهم البصري الحافظ روى له اصحاب الكتب الستة توفي سنة ثلاث وستين
ومائة وترجمته في الميزان ايضا (٢) عن ابي اسحق) عمرو بن عبدالله السبيعي الهمداني
الكوفي احد اعلام الحديث اخذه عن عدة من الصحابة وعدة من التابعين وروى
عنه خلق كثير وله نحو ثلاثمائة شيخ وهو يشبه الزهري في الكثرة وكان صواما قواما
عاريا مات سنة سبع وعشرين ومائة وله خمس وتسعون سنة واخرج له اصحاب
الكتب الستة وله ترجمة في الميزان (سمع البراء) بن عازب الصحابي المشهور (و) قد
(سأله رجل) وهذا الحديث اخرجه القاضي كما ترى عن البخاري في الجهاد في موضعين
باختلاف في بعض الفاظه ورواه مسلم في المغازي والنسائي في السير (افررتم)
معاشر الصحابة (يوم حنين عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال نعم)
وحنين بن نابه بن مهلائيل وبه سمي الموضع المعروف وسميت غزوة حنين
واوطاس باسم الموضع الذي كانت فيه الوقعة سنة ثمان من الهجرة في شوال
ووقع في البخاري انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى حنين في رمضان والمعروف
انه في شوال وما ذكره المصنف ورد في بعض طرق الحديث وفي بعضها افررتم
ولم يذكر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهي رواية مسلم وعلى هذه
الرواية قال النووي جواب البراء رضي الله تعالى عنه من بديع الادب لان تقديره
افررتم كلكم فيقتضي انه صلى الله تعالى عليه وسلم وافقهم على ذلك فقال البراء
لا والله ما فر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن جماعة من اصحابه جرى لهم
كذا وكذا انتهى وهذا الجواب لا يأتي الا على الرواية الثانية وكان ينبغي للشيخ
ان يجيب بجواب غير هذا لان هذا الفهم اخبر عنه السائل بقوله عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يجيء انه صلى الله تعالى عليه وسلم انهزم قط ولم ينقله
احد وقد نقل الاجماع على انه لا يجوز ان يعتقد انه صلى الله تعالى عليه وسلم انهزم
ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس وابو سفيان رضي الله تعالى عنهما آخذين
بلجام بغلته يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو وكما يأتي وقد صرح به البراء
في حديثه كذا قال البرهان وقيل عليه انه يأتي الجواب على ما رواه المصنف
ايضا لان قول السائل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان دفع وهم انه
فر معهم لا يدفع انه فر بعد فرارهم فكان نافيا في ما طواه البراء في الجواب
الذي تقديره فر من فر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه و لم الذي دفعه بقوله
(لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر) لانه استدراك لدفع ما يوهم
من الكلام السابق وان لم يصرح به وما قيل من انه يمكن ان يقال قصد البراء
ان يبين ان فرارهم لم يكن بالكلية واعطاء ظهورهم عن وجه العدو خلافا
حوله ثم عدنا وكيف يدع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اعرض من ان ا

(٢) وقد سقط في نسخ الشهاب هنا « حدثنا شعبة» واظن انه من قلم الناسخ لانه موجود في غير هذا الشرح ويدل عليه ما في التلمساني فاله مصححه (طاهر العوى)

او هو من الاسلوب الحكيم فكانه لما سأله عن فرارهم قال له هذا لا يهمك شأنه وانما الذى يهمك ان تعرف انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر فكيف لبس فى الكلام مايدل عليه (ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء) الشهباء يقال لها فضة اهداها له فروة بن نفاثة كما فى مسلم وفروة بفتح الفاء واسكان الراء ونفاثة بضم النون والفاء المعجمة وبالمثلثة الجذامى بضم الجيم وبالذال المعجمة وفى رواية ابن اسحق بن نعامة بالعين والميم والمعروف الاول وقال بعضهم ركب صلى الله تعالى عليه وسلم فى حنين بغلة تسمى دلدل وكذا قال النووى فى شرح مسلم والمعروف الاول ودلدل اهداها له المقوقس وكبرت وبقيت الى زمن معاوية رضى الله تعالى عنه ويقال انه وهبها صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله تعالى عنه وكان له صلى الله عليه ولم سبع بغلات او خمس كما ذكره الحفاظ وذكروا من اهداها له (وابو سفيان) بن الحارث بن عبد المطلب هو ابن عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه المغيرة او اسمه كنيته وكان اخاه من الرضاع وآلف الناس به قبل النبوة وكان يشبهه صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا وكان شاعرا مطبوعا فلما ظهر الاسلام اظهر العداوة وهجا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واجابه حسان رضى الله تعالى عنه بما هو مذكور فى السير ثم اسلم وحسن اسلامه وابلى بلاء حسنا يوم حنين وتوفى سنة عشرين وصلى عليه عمر رضى الله تعالى عنه وهو احد من ثبت يوم حنين وهم عشرة او اكثر كما فصله اصحاب السير (آخذ بلجامها) اى ممسك عنان بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم والعباس رضى الله تعالى عنه من الجانب الآخر فالتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لابى سفيان وقال له من انت قال اخوك ابو سفيان بن الحارث فداك ابى وامى فقال نعم اخى ناولنى حصا من الارض فناوله ورمى به فاصاب اعينهم كلهم وانهزموا وانما امسكا باللجام لئلا يسرع للاتصال بالعدو لما رأياه من اقدامه صلى الله تعالى عليه وسلم ومسارعته فاشفقا عليه كما هو مقتضى المحبة الاسلامية والرحم وان علما عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم وحمايته الله تعالى له (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انا النبى لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب) هذه الرواية المشهورة بسكون الباء للوقف وروى بتحريك الباء فيهما وروى بلا كذب وعلى هاتين الروايتين لا اشكال وعلى الرواية المشهورة اشكال مشهور وهو انه يكون موزونا من بحر ومجزو الرجز والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصدر منه الشعر لقوله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغى له) فكيف يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ونحوه كقوله

هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت

ووقع مثله فى كتاب الله تعالى واجيب عنه بان الرجز ليس من الشعر كما ذهب اليه بعضهم استدلالا بهذا وبان العرب تسمى قائله راجزا لا شاعرا وبان المراد بالشعر المنزه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يكون سطر ابواعه فيكون بسجيته وما وقع نادرا

(لا بعد)

لا بعد قائله ساحرا و نظيره ماقاله الباقلاني في كتاب الاعجاز ان القرآن تقع فيه ذلك
حتى تكون جامعا لانواع الكلام و بمثله لايكون القرآن شعرا كالابيات او المصراع
اذا وقع في اثناء رسالة او خطبة والجواب المشهور ان الشعر هو الكلام الموزون
المقفى بالقصد وماوقع في الحديث كهذا وفي القرآن كقوله ﴿ يريد ان يخرجكم
من ارضكم بسحره ﴾ لم تقصد وزنه فلا يسمى شعرا وهذا في الحديث الصحيح
واما في القرآن فلا لانا اذا سلمنا وقوعه فيه لابد ان يكون بالقصد والارادة لانه
لا يمكن ان تقع شيء في الخارج بغير ارادته وقد ذكرت هذا لبعض مشايخي فاستحسنه
ثم رأيته في بعض شروح المفتاح وقد اخترعته في كتابنا طراز المجالس وكان ابن
قدامة في كتاب الكمله لحظ هذا فذهب الى انه ليس في القرآن موزون لانا لانجوز
ان نقرأه على هذه الطريقة بل نصل الكلام ولا نقف على مايتم به العروض والضرب
وحينئذ لايكون موزونا وهو كلام حسن وقوله لا كذب اذا حرك يلزمه الوقف
على متحرك وهو لحن لا يصدر عمن هو افصح الناس وفيه نظر وفيه ان الكذب عليه لانه
صلى الله تعالى عليه وسلم مصون عنه مطلقا او معناه لا كذب في الظفر والنصر وما وعدني
الله تعالى اولا اكذب في دعوى النبوة لظهور آياته ووضوح برهان معجزاته
والمقصود تثبيتهم حتى لا يفر احد منهم وقوله زاد غيره ان كان الضمير راجعا للبخاري
او غيره صح عنه ان هذه الزيادة لم ترد في البخاري مع انها فيه في محلين من كتاب الجهاد
وكان ينبغي له اسقاط قوله وزاد غيره ان رجع لغيره ممن سمع البراء فالامر واضح
وقوله انا ابن عبد المطلب كما يقول المحارب انا فلان اشارة الى شجاعته وصولته وانما
انتسب صلى الله تعالى عليه وسلم لجده دون ابيه لاشتهاره بذلك لان اباه مات شابا
في حياة جده وهو طفل فكفله فكانوا يقولون له ابن عبد المطلب لعلو مقامه وكونه
سيد اهل مكة او خصه بالذكر وقد اشتهروا عنه بشارة بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم
وازالة للشك فيها لما عرف من رؤياه المشهورة لذلك كما انبأ بذلك الاحبار والكهان
وكأنه يقول انا ذلك الموعود به فلابد مما وعدت به لئلا يفروا ويظنوا انه مقتول
او مغلوب وكان عبد المطلب رأى في منامه ان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها
طرف في السماء وطرف في الارض وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كانها
شجرة على كل ورقة منها نور فاذا اهل المشرق والمغرب كانهم يتعلقون بها فقصها
فعبرت بمولود له من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض
فلذلك سماه محمدا كما قاله حين قيل له لم تسمه بهذا وليس لاحد من آبائك ولا قومك
مثله فقال رجوت ان يحمده اهل الارض وقيل ان امه قيل لها انك حملت
بسيد هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه محمدا وقوله انا النبي الى آخر ليس من الافتخار
المنهي عنه لانه جائز في الجهاد لارهاب العدو وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ينصر

بالرعب كامن وهذا جار على عادتهم كقوله

اقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انني انا ذلكا

(فما رؤي يومئذ احد كان اشد منه) صلى الله تعالى عليه وسلم اي لم ير في حرب هوازن اقوى واشجع من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ركب بغلته وقد ظاهر عليه درعا ومغفرا وطاف على الصفوف يحضهم على القتال ويبشرهم بالفتح ان صدقوا وصبروا وكانوا برزوا للقتال في كتائب لم ير المسلمون مثلها عدة وعددا وحملوا حملة واحدة وكانوا ارمى الناس بالسهام واعرفهم بالنبال فانهزم الناس والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثابت لم يعد خطوة وبسرعة لمن فر منهم وهو يقول يا انصار الله وانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عبد الله ورسوله ثم تقدم بحربته امام الناس فلم يمض قليل حتى هزمهم الله وانما قال المصنف رحمه الله قيل لان هذه اللفظة لم تثبت عنده بطريق صحيح واما كونه صلى الله تعالى عليه وسلم اشد من حضر تلك الوقعة واشجعهم فهو مما لا شبهة فيه ولا يمكن احدا انكاره (وقال غيره) اي غير الحارثي الذي الحديث السابق من روايته لكنه لم يذكره انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نزل عن بغلته) فانه في رواية مسلم رواه سلمة بن الاكوع رضي الله تعالى عنه قال لما غشوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق احد منهم حتى امتلأت عيناه من تلك القبضة ترابا وهزمهم الله ولا شك ان النزول في وقت الحرب يفيد من الشجاعة ما لا يخفى ويسميه العرب نزالا (٢) (فما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين) هذه حال مؤكدة وهي قد تكون موافقة لعاملها معنى كهذه الآية ولى مدبرا وقد تكون موافقة له لفظا كقوله * اصبح مصحفا لمن ابدى تصحفه * والاول اقوى لما فيه من ترك التكرار بحسب الظاهر وفي قوله ولى المسلمون ان اريد جميعهم مجاز يحمل الاكثر منزلة الجمع والا فلا تجوز خلافا لمن غلطه وقد ثبت جماعة من المسلمين اختلف في عددهم كما سيأتي وفصل في السير وكتب الحديث (وذكر مسلم) في صحيحه رواية (عن العباس) رضي الله تعالى عنه عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي جعل وشرع في فعل ذلك (يركض بغلته نحو الكفار) اي يسوقها ويسرع بها والركض الضرب بالرجل فهي نسبة الى الراكب فهو اعداء من كونه نحو ركض الفرس وهي نسبة الى الماشي وطيء الارض نحو قوله (اركض برجلك) نحوه صوت على الطريقة اي في جهتهم (وانا آخذ بلجامها) اي ممسكه (اكفها) اي امنعها من السرعة (ارادة ان لا تسرع) اي لاجل ارادة ان لا تسرع نحو العدو فتقحم به (وابو سفيان) بن الحارث ابن عمه (آخذ بركابه) هذه رواية وفي اخرى ان اباسفيان

(٢) هذه الجملة ليست موجودة في غير شرح الشهاب قاله مصححه «طاهر العبوي»

كان يقود بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم آخذ بلجامها من احد جانبيها فلعله تارة كان يفعل كذا وتارة كان يفعل كذا فلا تعارض بين الروايات (ثم نادى) اى العباس رضى الله تعالى عنه وكان جهورى الصوت (ياللمسلمين) بفتح اللام الاولى لدخولها على المستغاث به فان دخلت على المستغاث له كسرت نحو يالله للمسلمين وكان نداؤه رضى الله تعالى عنه بامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قال له يا عباس ناد اصحاب السمرة فناداهم فعطفوا وقالوا حتى هزم الله اعداء الدين وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الآن حمى الوطيس وهذا الحديث نقله المصنف رحمه الله تعالى عن مسلم بالمعنى اذ ليس فيه نداء العباس وخص العباس رضى الله تعالى عنه بذلك لانه كان صيتا يسمع صوته من ثمانية اميال واصحاب السمرة هم اصحاب الشجرة وانما خصهم بالنداء لانهم لما بايعوه تحتها بايعوه على الموت وان لا يفروا فذكرهم بذلك وفى خصائص الخضيرى كان يجب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم مصابرة العدو وان كثروا والامة انما يلزمهم الثبات اذا لم يزد عدد الكفار على الضعف كذا قالوه من غير دليل لكن ذكر الماوردى ان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه اذا بارز رجلا لم ينكف عنه وانه لا يفر من الزحف وجوفه من العدو غير جائز لان الله عصمه انتهى (وقيل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شىء) اى لمهابته كل احد لا صلى الله تعالى عليه وسلم وخوفه منه لا يتحرك عنده وقال شىء دون احد ليعم العاقل وغيره سواء فى ذلك وفى هذا اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعتريه الغضب والحدة احيانا ولكن ذلك غيرة على حدود الله لا لنفسه ومناسبة هذا لما نحن بصدده من ذكر الشجاعة ان الغضب يقتضى البطش والاقدام وهو من عطفها وهذا بعض من حديث صحيح فى شمائل الترمذى (وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) من حديث صحيح رواه الدارمى مسندا (ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود) تقدم الفرق بين الشجاعة والنجدة فليس عطفه عليه عطف تفسيرى كما توهم ونفى الافضل هنا يفيد نفى المساوى بطريق الكناية كما تقول ما فى البلد اعلم من زيد كما تقدم تحقيقه (ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى اكثر رضى فانه صلى الله عليه وسلم كان يرضى بكل شىء من ملبوس ومأكول وغيره ويحتمل ان المراد بالرضى عدم الغضب اى كان اكثر حاله عدم الغضب لان الرضى يكون مقابلا للسخط ويكون بمعنى الارادة وعدم الكره وكل منهما فسر الرضى اذا كان صفة لله وعلى ذلك مبنى اختلاف الاشاعرة والماتريدية فى رضى الله للكفر فى قوله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) والظاهر ان هذا مراد المصنف لانه المناسب للاول وهذا الحديث رواه احمد والنسائى والطبرانى والبيهقى ولفظه اجود

على الحد لما بينهما من المناسبة فان الجواد لا يخاف الفقر والشجاع لا يخاف الموت كقوله

ان الذى جمع السماحة والنجـ * ـدة والبر والتقى جمعا

ولان الاول بذل النفس والثانى بذل المال والجود بالنفس اقصى غاية الجود (وقال على رضى الله تعالى عنه انا كنا اذا حمى البأس) بالموحدة والهمزة او الف وهو الشدة والمراد به الخوف او الحرب وحمى بمعنى اوقد فيه استعارة مصرحة او مكنية اى اشتد القتال وهذا معنى ما وقع فى الرواية الاخرى حمى الوطيس فان الوطيس التنور كناية وذلك ابلغ معنى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله فى غزوة او طاس على ما تقدم مع الكلام عليه بما لا مزيد عليه (ويروى اذا اشتد البأس) وهذه الرواية مفسرة للاولى (واحمرت الحدق) جمع حدقة وهى ما يحيط الاجفان واحمرارها يكون عند الغضب لان الدم يهيج فيه وفى الحديث الغضب جمرة توقد فى قلب ابن آدم اما ترى انتفاخ اوداجه واحمرار عينيه وفسر بشدة الغضب وهو غير مناسب هنا وان كان كل عدو غضبان على عدوه ولذا فسره بكثرة الموت والظاهر انه كناية عن زيادة هيجانها لانه يقال اشتعلت واوقدت ومن قرب من النار ولازمها تحمر عينيه فالمعنى اشتد القتال ودام مدة (اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جعلناه وقاية لنا من العدو بان يتقدم علينا فيدفع العدو ونحن خلفه كما بينه بقوله (فما يكون احد اقرب الى العدو منه) ولذا استكوا بعده صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين كما مر ولم ينكر عليهم وقد صارت هذه سنة فى الملوك وقت القتال حتى ان آل عثمان يقدمون فرسه (ولقد رأيتنى) بضم التاء وهذا من خصائص افعال القلوب وما الحق بها من رأى البصرية والحلمية ان يكون فاعلها ومفعولها ضميرين متصلين لشيء واحد ورأى هذه بصرية كما فى قوله

ولقد اراني للرماح دريئة * من عن يميني تارة وامامى

وقد اختلف فى تعليل هذا كما فصل فى كتب النحو وكان الظاهر لقوله بعده (يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ان يقول رأيتنا وكأنه عدل عنه اشارة الى ان كل احد مشغول بنفسه لا يرى غيره ومعنى نلوذ نستتر ونلتجىء اليه قال عز وجل (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) (وهو اقربنا الى العدو) فالشدة شجاعته صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد بالعدو الكفار (وكان من اشد الناس يومئذ باسا) اى نكاية فى العدو كقوله تعالى (والله اشد بأسا واشد تنكيلا) كما قاله الراغب وهذا الحديث اخرجه احمد والنسائى والطبرانى والبيهقى فى الدلائل من طرق عنه واخرج مسلم بعضه من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه كما قاله السيوطى فى مناهل الصفا (وقيل كان الشجاع هو الذى يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دنا العدو) اى قرب من المسلمين وقت المقاتلة (لقربه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (منه)

اى العدو وهذا من كلام البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه الذى رواه مسلم فى صحيحه ولذا قيل ان قول المصنف رحمه الله مثل لبس فى محله لايهامه ضعفه (وعن انس رضى الله عنه) هذا حديث صحيح اتفق عليه الشيخان (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم احسن الناس) كلهم خلقا وخلقا (واجود الناس) اى اكثرهم عطاء واحسانا (واشجع الناس) افعل تفضيل ولاوجه لما قيل انه للتعجب ثم ذكر ما يدل على شدة شجاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (لقد فزع اهل المدينة) اللام فى جواب قسم مقدر والمدينة مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم علم لها بالغلبة والفزع انقباض ونفار يعترى المرء مما يخاف وهو قريب من الجزع ولذا يقال جزعت الله ولا يقال فزعت من الله كما قاله الراغب قال تعالى (لا يحزنهم الفزع الاكبر) اى من دخول النار ويكون الفزع بمعنى الاستغاثة قال * كنا اذا ما اتانا صارخ فزع (ليلة) منصوب على الظرفية اى فى ليلة (فانطلق ناس) اى خرجوا من المدينة (قبل) بكسر القاف وفتح الباء بمعنى الجانب والجهة ظرف اى نحوه يقال ذهب قبل السوق قال الله تعالى (فما للذين كفروا قبلك مهطعين) ويكون بمعنى عند يقال لى قبله حق ويستعار للوسع والطاقة نحو (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) (الصوت) اى الذى سمعوه وخرجوا ليعرفوا خبره لظنهم انه عدو غار على من هناك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج قبلهم وحده لذلك فعرف ذلك ورجع (فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم) حال كونه (راجعا) من جانب سمع الصوت فيه (قد سبقهم الى الصوت) اى المكان الذى سمع الصوت من جهته (وقد استبرأ الخبر) بمهملة وموحدة وهمزة وقد تبدل الفا اى وقف صلى الله عليه وسلم على حقيقته وفى الاساس استبرأت الشئ طلبت آخره لاقطع الشبهة عنى واستبرأ الارض قطعها اسهى حال كونه راكبا (على فرس لابى طلحة) زيد بن سهل بن الاسود بن حرام الانصارى الصحابى وكان ذلك الفرس يسمى المندوب اى المطلوب اولانه كان فيه ندب اى اثر جرح (عرى) بضم العين وسكون الراء المهملة بن مجرور صفة فرس ويقال فى الآدمى عريانا اذا لم يكن له لباس ولغيره عرى وقيل انه عرى بضم العين وكسر الرا وتشديد المثناة التحتية بمعنى عرى وليس فى اللغة ما يساعده اى ليس على ظهره شئ من سرج اوغيره قال فى المغرب فرس عرى لايسرج عليه ولا لبد وجمعها عرى لايقال فرس عريانا كما لايقال رجل عرى واعروري الدابة ركبها عريانا ومنه كان عليه الصلوة والسلام يركب الحمار معروريا وهو حال من ضمير الفاعل المستكن ولوكان من المفعول لقيل معروري (والسيف فى عنقه) اى حمائله معلقة فى عنقه الشريف ملتبسا به صلى الله تعالى عليه وسلم * واعلم ان هذا هو السنة فى حمل السيف كما قاله ابن الجوزى لا شده فى وسطه كما هو المعروف الآن (وهو يقول) لمن امامه من اهل الفزع (لن تراعوا) لن هنا بمعنى لم ولن الروع بفتح الراء

بمعنى الخوف والمراد نفى سببه اى ليس هناك شئ تخافونه واستدل بهذا الحديث على طهارة عرق الخيل وهذا حديث صحيح فى الصحيحين (وقال عمران بن حصين) بكسر العين المهملة وسكون الميم وراء مهملة وحصين بمهملتين كتصغير حصن وهو صحابى خزاعى كان من فقهاء الصحابة وفضلائهم رضى الله تعالى عنه (ما لقى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتيبة) بفتح الكاف وكسر التاء المثناة فوقية وبالمثناة التحتية وباء موحدة هى الجيش المجتمع وقيل جماعة الخيل المغيرة من تكتبوا بمعنى تجمعوا ومنه الكتاب لجمعه الحروف (الا كان اول من يضرب) بسيفه ويقاتل وهو من قصر الصفة على الموصوف وهذا الحديث رواه ابو الشيخ فى الاخلاق وفيه راو مجهول (ولما رآه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ابى بن خلف يوم احد) هو ابى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح الكافر المشهور الذى طعنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحربة فى وقعة احد فوقع عن فرسه ولم يخرج منه دم وكسر ضلعه كما يأتى فهلك عدو الله وقول المزى فى تهذيبه انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر بانه يقتل ابى بن خلف فحدثه يوم بدر او احد فقاتل ذكره بالترديد بين بدر واحد لاوجه له ويوم احد ظرف لرؤيته (وهو يقول) حال من ابى (اين محمد) سؤال عن المكان * فان قلت كيف يسئل عن مكانه وهو قال انه رآه * قلت ان السؤال ليس على حقيقته بل مجاز عن تمكنه منه وظفره به او المقدر اين يذهب محمد او الطرف محذوف وقع جميع ذلك منه فهو فى وقت واحد وان تقدم و اخر (لانجوت ان نجا) دعا على نفسه بالهلاك ان نجا الله تعالى نبيه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اجاب الله دعاءه فاهلكه ونجا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والقائل موكل بالمنطق (وقد كان) ابى (يقول للنبى صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر) قيل يوم بدل من حين وافتدى مبنى للفاعل ومفعوله محذوف اى افتدى اسيراله وهو ابنه عبد الله والافتداء اعطاء الفدية لاوكان الاسير فالمراد حين الافتداء يوم بدر بتمامه لا الزمان الضيق الذى وقع الافتداء يوم بدر فيه لان الظاهر انه لم يقل وعيده له صلى الله تعالى عليه وسلم الآتى الاول ان يفدى لاحين الافتداء وقيل يوم بدر ظرف لمحذوف بدل عليه افتدى اى افتدى اسيره يوم بدر فهو متعلق باسيره اى من اسر يوم بدر وهو ابنه ولا يستقيم كونه بدلا من حين لان الافتداء وقع بعد وقعة بدر بالمدينة وابى قال ما قال حين افتدى لا بعده وكأن من قال ان ذلك وقع قبل ان يفدى ظن ان الكفار لم يكونوا يدخلون المدينة بالامان فالاسر وقع ببدر والافتداء بالمدينة فلا ينافى البداهة وأمل (عندى فرس اعلفها) الفرس تقع على الذكر والانثى واسمها لا انها كانت انثى وقد ورد فى الحديث بتذكيرها وتانيثها بحسب المراد والقرائن وقال البرهان اعلفها هو الصواب وفى النسخ اعلفه بضمير المذكر واصل الفرس الانثى وقد يقال للانثى فرسة وهو كلام مشوش والذى فى الصحاح

انه يقع على الذكر والانثى وبصغر على فرس وان اردت الانثى خاصة لم تقل الا فريسة بالهاء عن ابى بكر بن السراج انتهى فلاوجه لقوله الصواب واسم فرسه العود بوزن الضرب وعينه وداله مهملتان والعلف مأكول الحيوان (كل يوم فرقا) بفتح الفاء والراء المهملة ويجوز تسكينها وقيل لايجوز وهو مكيال يسع ستة عشر رطلا وبحريكه وتسكينه بمعنى وقيل المسكن مائة وعشرون رطلا والمحرك ستة عشر رطلا (من ذرة) بيان للفرق بضم الذال المعجمة وفتح الراء المهملة المخففة وهاء نوع من الحبوب معروف وقيل ان عروة احد كتاب فى سوال سنة ثلاث وقيل الظاهر ان المراد هنا الفرق بالتحريك لان الفرس لاتعلف ذلك المقدار كما لايخفى (اقتلك عليها) صفة بعد صفة اوهى جملة مستأنفة فى جواب سؤال مقدر وقيل انها حال وهو بعيد وان صح ان يكون حالا مقدرة (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله) فحقق مااوعده وكان ابيا يعلف فرسه لتشويقه لهلاكه سريعا كالحافر بظلفه على حتفه ولكل باغ مصرع (فلمارآه) اى رأى ابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم احد) اليوم على ظاهره او بمعنى مطلق الزمان او المراد به الواقعة على حد قولهم ايام العرب (شدابي) بتخفيف الشين اى عدا واسرع قال الراغب يقال شد فلان واشتد اذا اسرع ويجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح واصل معنى الشد القوة (على فرسه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الجاران متعلقان بشد وان كان لايجوز تعلق حرفى جر بمعنى بعامل واحد اما لانه قيد الشد والعدو بانه على فرسه لاعلى رجليه ثم قيده بعد تقييده بالاول فصار المطلق معنى لان الاول تقييد به وهو مطلق والثانى تعلق بالمقيد كما حققه صاحب الكشاف فى قوله تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا) اوالاول مستقر حال اى راكبا على فرسه والثانى لغو وشد جواب لما الثانية دالا على جواب الاولى (فاعترضه رجال من المسلمين) اى حالوا بينه وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليدفعوه ويصدوه عنه او قصدوا نحوه وجهه (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا) اى تنحوا ولاتحولوا وتعترضوا بينى وبينه فهكذا هنا اسم فعل امر بمعنى اتركوا سبيله قال السهيلى رحمه الله تعالى فلاتعمل فيه ماقبله كما اذا قلت جلس هكذا اى على هذه الحالة او تقدرله عامل تقديره ارجعوا هكذا ثم استغنى عنه وقام هكذا مقامه واصله مركب من هاء التنبيه وكاف التشبيه وذا اسم اشارة والى كونه اسمااستغنى عن معناه اشار بقوله (اى خلوا طريقا) اى اجعلوها خالية من حائل بينى وبينه (وناول) اى احد صلى الله تعالى عليه وسلم بيده (الحربة) بوزن الضربة وهى واحدة الحراب بوزن رجال وهى قناة صغيرة سميت بها لانها من آلات الحرب وقيل

ان هذه الحربة كانت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه كان لا يرى مشاركه
في جهاده وسفره في سبيل الله ولهذا اشترى من ابي بكر رضي الله تعالى عنه راحلته
التي هاجر بها والاظهر انها كانت للحارث وربما استعان بغيره من اصحابه كما اشار
اليه بقوله (من الحارث بن الصمه) بكسر الصاد المهمله وفتح الميم المشدده وهاء
تأنيث ومعناه الشجاع المصمم في اموره ثم نقل علما وهو اعني الحارث بن الصمه بن عمرو
بن عتيك الانصاري الصحابي شهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدرا وغيرها
من المشاهد وقتل ببئر معونه وذكر ابن الاثير ان الذي ناول رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم الحربة كعب بن مالك وبين الروايتين مخالفه وجمع بينهما بانه ناولها
من احدهما فسقطت منه فناولها له الآخر او ان احدهما وهو الذي معه الحربه
كان بعيدا منه فناولها آخر فرساه فسلمها له بيده ولا بد من التوفيق فان الروايتان
صحيحتان والقصه واحده (فاستنفض بها انتفاضة) اصل معنى النفض بالنون والفاء
والضاد المعجمه ازالة الغبار ونحوه عن ثوب او شجر قال ابو ذؤيب

ينفض لهدة وبدود عنه ، ومالعى اليمام والعكوف

ويقال نفض واستنفض اذا اهتز ونفض الصبح اذا ارلوبه في غيره وذكر نصيب
عن ساته فقال * نصبت عليهن لوبى * وقال في اول قصيده

نصبت على صناعها امام * نفض الناس بها فقال وام

وهو هنا استعارة اي قام بها قومة شر تبعه وضمير بها الحربه وما قيل انه مستعار من انتفاض
الطائر قال * كما انتفض العصفور بلله القطر * غير مناسب هنا الا ان يقال انه للهدبه والمعنى
انه هزها وقيل معناه تحرك وحركها والابلغ الاحسن ان يقال انه استعاره تمثيليه شبههم
بانهم كالذباب المؤذي الواقع المهاب فقد هجومهم عليه واشده
نهوضه لهم فنحل اهتز انزيل ذبابا وقع عليه لقوله (تطايروا عنه تطاير الشعراء
عن ظهر البعير اذا انتفض) وتطايروا بمعنى تفرقوا فارين بسرعه كالطيور والشعراء
بفتح الشين المعجمه وسكون العين المهمله وراء مهمله بعدها همزه ممدودة ذبابه
لها ابره وفي نسخة البرهان بفتح العين الا انه لم يثبت وقال الفيدي الشعر جمع شعراء
وهي ذباب صغار حمر تؤذي الدواب وقيل زرق وقيل كثيره الشعر وفي روايه
تطائر الشعارير وهي جمع بمعنى الشعر وقياس واحده شعروى وقيل هي ذباب
تجتمع على دبر البعير وفي الروض الانف الشعراء ذباب صغير له لدغ وفي المثل قيل
للذئب ماتقول في غنمه يحرسها جويريه قال شعرة في ظفر قيل فما تقول في غنمة
يحرسها غلام قال شعراء في ابطي اخشى خطواته وهي شبيها بنبلم الغلمان بها
الرمي وروي ترحلا بالحربه اي رمى بها انتهى وقيل روايه الشعراء اثبت لان
الواحد لا يتطاير * اقول هذه زبده القيل والقال وما ابتكر من فتح الفيم لا وحاله

فان تحريك حرف الحلق لغة قال بعض النحاة انها تطرد فيقولون في نحر وشعر نحر وشعر والشعراء ليس مفردا بل اسم جمع كالطرفاء فلا وجه لما قيل ان الانسب الشعر وقول بعضهم الشعراء جمع شعر كانه تحريف واعلم ان ضمير نظاروا للكفار الذين كانوا هموا مع ابيّ وقيل انه للصحابة رضي الله تعالى عنهم ونظارهم عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بادنه ليكشفوا له عن ابي ولايخفى انه لا يناسب هذا توجيه تشبيههم بالشعراء ولانظارهم كما لايخفى (ثم استقبله) اى قام الى صلى الله تعالى عليه وسلم ومشى اليه بالحربة (فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا) تدأدأ بتاء فوقية ودالين مهملتين وهمزتين اى تدحرج وسقط وقيل مال وضمير منها للطعنة ومثله تدهده وقيل الهاء بدل من الهمزة وفي رواية يردى اى وقع (وقيل) لم يطعنه صلى الله تعالى عليه وسلم في عنقه (بل كسر ضلعا من اضلاعه) بكسر الضاد المعجمة وفتح اللام ويجوز تسكينها مع كسر الضاد وفتحها عظم معروف وقال الاخفش في الجنب الايمن تسع اضلاع وفي الايسر ثمان ومانقص منه نام في النساء وهوالذي خلقت منه حواء ولذا روى عن ابي حنيفة في الخنثى المشكل انه يحكم فيه بانه اى تمام اضلاعه وعكسه وقال التلمساني روايه طعنه اقوى لان المعروف الطعن بالرمح وفيه نظر وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم طعنه فوقع عن فرسه فكسر ضلعه وفيه جمع بين الروايتين وهو حسن (فرجع) ابى (الى قريش) وهو (يقول قتلني محمد) جملة يقول حاليه اى قائلا وعبر بالماضي لتحققه الموت (وهم يقولون لا بأس بك) البأس بهمزة ساكنة وتبدل الفا كالفاس وهو اسم لامى على الفتح والبأس الشدة والموت والالم وهذا هوالمناسب ويقال لا بأس عليك ولا بأس بك للتسلية اوالدعاءله بان لايصيبه شئ من البأس وفي نسخة عليك بدل بك وهما بمعنى (فقال لوكان مابي) من الالم والشدة التى احدها في نفسي موزعا وحالا (بجميع الناس لقتلهم) فكيف احتمل انا وحدي هذا واسلم منه (أليس قدقال) صلى الله تعالى عليه وسلم حين توعده (انا اقتلك) قيل اصله اواقتلك انا فقدم المسند اليه للحصر اى انا لاغيرى اقتلك وحدي لا اشاركني احد ولا يساعدني في قتلك الا الله حتى قيل ان قوله تعالى (ومارميت اذرميت ولكن الله رمى) نزلت فالحصر قصر افراد والظاهر انه قصر قلب فهو المناسب للرد عليه اى انا اقتلك لاانت تقتلني فتدبر (والله لو بصق على لقتلني) البصق رمى ماءالفم ويقال بالصاد والسين والزاي وانما قال ذلك لتحقق صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم فيماقاله (فمات) الملعون من تلك الطعنه (بسرف) بسين مهملة مفتوحة وراء مهملة مكسورة وفاء اسم موضع وقيل اسم جبل قريب من مكة على ستة اميال اوسبعة اوتسعة اواثنى عشر على اختلاف فيه واسم مكان موته مناسب له لانه كان مسرفا على نفسه كما قيل

احتبر الارض باسمائها * واحتبر الصاحب بالصاحب

(في قولهم) اي الكفار (الى مكة) اي مات وقد رجعوا من احد الى مكة والقفول معناه الرجوع وسميتهم القافلة قافلة تفاؤلا برجوعها كما سمي الملدوغ سليما فانكار الحريري وتخطئته فيه لا وجه له وهذا الحديث صحيح رواه البيهقي في الدلائل عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب مرسلا وعبد الرزاق في مصنفه والواقدي في مغازيه وابن سعد في طبقاته وقيل انه قال هذه المقالة بمكة لما خلص ابنه من الاسر ورجع به وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يقول انه مات ببطن رابغ وان اسيرا من المسلمين مر وهو اسير برابغ فرأى بعد هدؤ من الليل نارا فهابها فلما دنا منها خرج رجل في سلسلة يصيح العطش ومعه رجل يقول لا تسقه فانه ابي بن خلف قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت سبحان الله ﴿فصل واما الحياء والاغضاء﴾ الحياء ممدود وهو في اللغة ضد الوقاحة وفعله استحيي يستحيي بيائين وتحذف احداهما تخفيفا والاغضاء اصل معناه ارخاء الجفون فربما من الانطباق وهما متغايران لغة وعرفا ويدل عليه قول الفرزدق

يغضي حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم

(فالحياء رقة) الرقة ضد الغلظ ورقة القلب ان لا يكون فيه قسوة وجفاء قال الراغب الرقة كالدقة لكن الدقة يقال اعتبارا بمراعاة جوانب الشيء والرقة اعتبارا بعمقه وهي في الجسم ضد الصفاقة وفي النفس تضاد الجفوة والقسوة (تعتري) اي تعرض وتحدث (وجه الانسان) وتكون فيه ما يدل عليه كحمرة تعتريه عند الخجل (عند فعل ما يتوقع كراهته) لم يقل ما يكره لان من يراه قد لا يكرهه فالمراد ما من شأنه ان يكره (او ما يكون تركه خيرا من فعله) وان لم يكره وقال الراغب الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركها وفي الحديث (ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه) وليس المراد به انقباض النفس لتنزهه سبحانه وتعالى عنه وانما المراد به ترك تعذيبه وقال النووي هو خلق يبعث من القبيح ومن التقصير في الحقوق وقال الزمخشري هو تغير وانكسار يلحق من فعل او ترك ما يذم به وله تفصيل في تفسير البيضاوي كما بيناه في حواشيه فانظره (والاغضاء) في عرف اللغة (التغافل) اي اظهار الغفلة عن الشيء فيه والمراد التجاوز (عما يكرهه الانسان بطبيعته) وان لم يكره شرعا (وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات) جمع عورة وهي كل ما يستحيى اظهاره ولذا كني عن سوأة الانسان وعن المرأة بالعورة وهي مأخوذة من العار (اغضاء) اي سكوتا وتجاوزا والاغضاء يتعدى بعن وعلى وعبر في جانب الحياء بالاشدية وفي الاغضاء بالاكثرية لان الحياء كما نبهنا عليه كيفية تقبل الشدة والضعف والاغضاء فعل من الافعال يكثر ولا يزيد كيفية من حيث هو وقيل لان الاغضاء نوع احتمال وحلم وعفو عمن وقع في مكروه وهو مسبب عن الحياء والادب

اقوى باعتبار انه منشأ للمسبب عنه وفيه نظر ثم استدل على ان هذه الصفة
الحميدة موجودة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (قال الله سبحانه وتعالى ان ذلكم)
اى مكثهم فى بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مستأنسين لحديث بعضهم لبعض
(كان يؤذى النبى فيستحيى منكم الآية) والله لا يستحيى من الحق وكان صلى الله
تعالى عليه وسلم بنى بزينب بنت جحش واولم بشاة وخبز وسويق وامر انسا بدعوة
الصحابة لذلك فدعاهم فجعلوا يجيئون ويأكلون ويخرجون ويجيء آخرون الى
ان بقى ثلاثة نفر فاطالوا المكث يتحدثون فتأذى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بذلك وكان شديد الحياء فنزلت الآية فى حقهم اى ان ذلكم اللبث كان يؤذى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم لضيق منزله فيستحيى منكم ان يأمركم بالخروج منه
وهذا من الآداب الشرعية فيستحب لمن زار احدا ولو بدعوة ان يظهر القيام
للذهاب ثم يذهب ما لم يقل له امكث عندى وقد قال السلف رحمهم الله تعالى
من زار وخفف وقيل لبعضهم هل نزل فى الثقلاء قرآن فقال نعم فاذا طعمتم
فانتشروا وللسيوطى تأليف لطيف فى هذا (حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتى عليه)
تقدمت ترجمته وفيه رواية عنه بقراءته عليه وهو يسمع وهو العرض والصحيح
صحة ذلك الا انه اختلف فى كونها دون قراءة الشيخ او مثلها او فوقها على ثلاثة
اقوال وفصله فى ابن الصلاح قال (حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد) بن عبد الرحمن
بن حاتم المعروف بابن الطرابلسى وتكنيته بابى القاسم غير مكروهة لاختصاصه
بحياته صلى الله تعالى عليه وسلم اولانه انما كره الجمع بين الاسم والكنية والخلاف
فيه مشهور كما سيأتى قال (حدثنا ابو الحسن القابسى) ابن محمد بن خلف الامام
الحافظ منسوب لقابس بلدة بالمغرب وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو زيد
المروزى) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح الواو والزاى تقدم الكلام فيه
وفى نسبته قال (حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربرى وقد تقدم قال (حدثنا محمد
بن اسمعيل) هو البخارى وقد روى هذا الحديث مسندا فى صفته صلى الله عليه وسلم
وكذا اخرجه مسلم فى فضائله قال (حدثنا عبدان) بفتح العين المهملة وسكون
الموحدة والدال المهملة والف ونون وهو عبد الله بن عثمان بن جبلة بن ابى رواد
العتكى المروزى ابو عبد الرحمن الحافظ توفى سنة احدى وعشرين ومائتين وخرجه
اصحاب الكتب الستة قال (انبأنا عبد الله) بن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى
الزاهد شيخ خراسان ومسندها له مناقب مشهورة وروى عنه اصحاب الكتب
الستة وغيرهم وتوفى سنة احدى وثمانين ومائة وولد سنة ثمانية عشر ومائة وغيره
يهب بزار قال (اخبرنا شعبة) تقدمت ترجمته (عن قتادة) تقدم ايضا (قال سمعت
عبد الله مولى انس) هو ابن ابى عتبة مولى انس رضى الله تعالى عنه وقيل اسمه

عبدالله مصغرا وذكره ابن حبان في الثقات مكبرا وهو روى عن انس وعائشة رضي الله تعالى عنهما وروى عنه كثير واخرج له اصحاب الكتب الستة وهو بصري صدوق ثقة (يحدث عن ابي سعيد الخدري) ابن مالك بن سنان الخدري وقد تقدم الكلام عليه وان الخدري بدال مهملة (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها) وهذا الحديث صحيح اخرجه الشيخان والترمذي وابن ماجه والمصنف اخرجه من طريق البخاري وحياء ممدود بمعنى معناه وبالقصر المطر وهو منصوب على التمييز المحول عن الفاعل والعذراء بعين مهملة ودال معجمة وراء مهملة ومد الكبر البكر الباقية بعذرتها وهي جلدة يلتحم بها الفرج فاذا خومعت زالت فقال افتضها وازال عذرتها ومنه يقال لمن فعل مالم يسبق اليه ابو عذره وابو عذرته والخدر بكسر الخاء المعجمة وسكون الدال وبالراء المهملة بين هو الستر او ستر في جانب البيت او بيت تصرف لها * فان قلت الكبر في جانبها بين اهلها وابويها وهي لا تحتجب عنهم ولا تستحي منهم كما تستحي من الاجانب فكان الظاهر ان قال العذراء في غير خدرها لما فيه من المبالغة * قلت المراد بكونها في خدرها انها لم تخرج لشيء وزوج ونحوه لانها اذا خرجت بذلك قل حياؤها وزال حجابها وقيل المراد التعميم وان العذراء في خدرها اشد حياء لكونه مظنة الاجتماع بها والظاهر ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها في خدرها لا حيث تكون منفردة قاله ابن حجر ولا يخفى ما فيه فانه لادلالة في اللفظ على ماقاله فالحق ماسمعته اولا (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (اذا كره شيئا عرفناه في وجهه) اي عرفناه كرهه بعلامات تلوح في وجهه الشريف كتغيره وعبس بصره ونحوه والمراد انه اذالم يكن في حدود الله تعالى وحقوقه فلا ينافي انه لا يواجه احدا بما يكرهه كما قال الصرصري

فاق العذارى في الحدور حياؤه * لا يجد به لصاحب اوسائي

(وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لطيف البشرة) تقدم معنى اللطف والبشرة بفتح الباء الموحدة والشين المعجمة والراء المهملة هي ظاهر جلد الوجه والجسد كله ومنه البشارة لظهور آثار الفرح بها في الوجه وهذا كالعلة لمعرفة ذلك في وجهه الشريف لانه صلى الله تعالى عليه وسلم للطف بشرته يظهر فيها ذلك وكذا قوله (رقيق الظاهر) اي ماظهر من بدنه رقيق يظهر فيه بسرعة آثار الانفعالات النفسية ولا وجه لتفسيرها بانه يستحي كما قاله المناوي (لا يشافه احدا) اي لا يكلم صلى الله تعالى عليه وسلم احدا ولا يواجهه (بما يكرهه حياء وكرم نفس) منصوب مفعول له اي يترك ذلك تكرما منه صلى الله تعالى عليه وسلم لاخوفا ومداراة (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها) هذا حديث رواه ابو داود في سننه مسندا (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا بلغه عن احد

مايكرهه لم نقل مابال فلان يقول كذا) البال هو الحال والشان وما استفهامية
مبتدأ او خبر عن بال وجملة تقول حال او مفسرة للبال (ولكن يقول مابال اقوام
يصنعون او يقولون كذا) اشارة وكناية عما يكره فلا يعين الصانع او القائل وفلان
وفلانة كناية عن اسماء الآدميين والفلان والفلانة كناية عن اسماء غيرهم (ينهى عنه
ولا يسمى فاعله) بصريح اسمه بل يكنى عنه ونهيه عما انكره مأخوذ من الاستفهام
الانكاري وسياق الكلام في قوله مابال فلا يقال انه ليس في الكلام نهي (وروى
انس رضي الله تعالى عنه) هذا الحديث رواه ابو داود والترمذي والنسائي قالوا
(انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (دخل عليه رجل به اثر صفرة) الصفرة اللون
المعروف والمراد بها لون الورس والزعفران يعني انه كان خضب بذلك فبقي عليه
بقية منها ولم يسم هذا الرجل (فلم يقل له شيئا) من نهيه عن ذلك ونحوه مما يكرهه
كما اشار اليه بقوله (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يواجه احدا بما يكرهه)
اي لا يخاطبه مشافهة ويقول له في وجهه شيئا يكرهه وان قال له احيانا في غيبته
(فلما خرج) ذلك الرجل من مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لو امرتم له يغسل
هذا) اي اثر الصفرة والخضاب (او ينزعها) بفتح الزاء المعجمة يقال نزعه ينزعه
كأنه يسأله اذا ازاله والضمير للصفرة والشك من الراوي وهما بمعنى ولو شرطية
جوابها محذوف لذهب النفس كل مذهب وتقديره اصبتم ونحوه وقيل انها مصدرية
اي وددت قولكم هذا وخضاب هذا الرجل ان كان في لحيته دل على منع خضاب
اللحية بالحناء ونحوها ولا يعضده ما في البخاري عن قتادة رضي الله تعالى عنه انه قال
سألت انسا هل خضب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا انما كان شيء في صدغيه
اي شيء قليل من الشيب لا يحتاج للخضاب لانه لا يدل على تركه لانه نهى عنه
شرعا بل لعدم الحاجة اليه وكذا ماروي عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يخضب
قط اي لعدم الحاجة اليه الا انه روي عن انس رضي الله تعالى عنه انه رأى شعر
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مخضوبا يعني بعد موته كما نقله ابن الجوزي اما
وله فاختلفت فيه الروايات وروى جماعة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخضب
بالصفرة والورس والزعفران وكان عمر رضي الله تعالى عنه يفعله وجمع الكرماني بين
الروايات بانه صبغ في وقت وتركه في معظم الاوقات فاخبر كل بما رأى وقد امر صلى الله
تعالى عليه وسلم بالخضاب بالصفرة وحث عليه وفعله وتبعه على ذلك اكابر الصحابة
فهو سنة من تركها فقد ترك سنة وانما ترك بعضهم لما فيه من التكلف وهو احب
للنساء وارهب للعدو وكذا الخضاب بالسواد وقيل ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم نهى عن الخضاب بالسواد وحمل على ما اذا كان فيه تدليس على النساء فما في هذا
الحديث محمول على غير خضاب اللحية بان يخضب يديه ورجليه او يجعل الصفرة في ثوبه

فانه نهى عنه وفى فتاوى شيخ شيوخنا ابن حجر الهيثمي انه ان من غير حاجة كجرب ونحوه حرام لما فيه من التشبه بالنساء وصنف فيه رسالة مستقلة وقوله صلى الله عليه وسلم المتقدم بغسله او نزعها فيه دليل على انه كان فى ثوبه ولو لم نحمله على هذا اشكل الحديث والشراح لم ينبه رضوانه (وقالت عائشة فى الصحيح) اى فى الحديث الصحيح المروى عنها كما اخرجه الترمذى وصححه (لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا) الفحش كل امر قبيح او شديد القبح قولا او فعلا والفاحش من يصدر عنه ذلك والمتفحش من يتعمده ويبالغ فيه والظاهر ان المراد به نفاه الشأن منها او تؤيده قوله (ولا صخابا بالاسواق) صخاب بفتح فتشديد صيغة مبالغة من الصخب وهو رفع الصوت للمبالغة فيه وهو بالصاد والسين وهكذا كلما كان معه حرف حلق تجوز ابداله قياسا مطردا وخص الاسواق لانه فيها اقبح ولانها محله واما فى المنزل ونحوه فللحاجة اليه (ولا يجزى بالسيئة السيئة) لانه احق بالاجر من الله على ذلك لان النزل عليه فمن عفى واصلح فاجره على الله ولما كان العفو غير لازم من عدم المجازاة بالفعل اتى بالاستدراك فى قوله (ولكن يعفو ويصفح) يعنى انه صلى الله عليه وسلم كثير العفو فيما لا يكون من الحدود وحقوق الله والعفو ترك المواخذه بالذنب والصفح الاعراض عن المسيء بحيث لا يخجله وقد تقدم شرحه وهذا الحديث مروى فى الصحيح من طريق آخر عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما عن عطاء بن يسار انه قال له اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة فساقه له فى حديث طويل والى اسنادا بقوله (وقد حكى) بالبناء للمجهول (مثل هذا الكلام) الذى قالته عائشة رضى الله تعالى عنها (عن التوراة من ابن عبد الله بن سلام) بتخفيف اللام وهو الصحابى المشهور رضى الله عنه (وعبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله تعالى عنهما) وهو وان كان قرشيا لكنه قرأ الكتابين وكان عالما بما فيهما ولذا سألوه عن صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيها وقد اختلف فى تحريف اهل الكتاب كتبهم هل كان بتغيير عباراتها بنقص وزيادة او انه انما كان بتحريف التأويل وصرف ما فيها عن ظاهره والصحيح ان كلا منهما واقع واذا كان كذلك علم وجه المنع من قراءتها وانه حرام ولا يرد عليه ان بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم كان يقرؤها لانهم يعلمونها قبل اسلامهم وهم لا يخفى عليهم ما غير منها والظاهر انه لا يمنع منه من عرف ذلك وقصد الرد عليهم (وروى عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا ذكره الامام الغزالى فى الاحياء وقال الحافظ انه لم يجده فى كتب الحديث وكذا قال السيوطى رحمه الله تعالى (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان من حيائه لا يثبت بصره فى وجه احد) ثبات النظر يعنى اطالة النظر من غير تحويل اغماض بجفن ونحوه حتى

كأن بصره صار قارا في المرئي كما قال المتنبي

وخصر تثبت الأبصار فيه * كأن عليه من حدق نطاقا

فيحصل حقيقة الثبات فيه ثم يعلمه فيجعله كالنطاق وإن كان فيه للأدباء كلام (وأنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان يكني عما اضطره الكلام إليه مما يكره) أي يورد المعنى القبيح عادة بطريق الكناية لشدة حيائه صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك لأن الجماع وذكره للمرأة يستحيى منه ونظائره في الحديث كثيرة (وعن عائشة) الصديقة بنت الصديق (رضي الله تعالى عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) مع أنه يجوز رؤية كل أحد من الزوجين فرج الآخر وإن كان مكروها وفي حديث رواه ابن حبان النظر إلى الفرج يورث الطمس أي العمى فقيل عمى الناظر وقيل عمى أولاده وقيل المراد عمى القلب والمعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة حيائه لم يكشف عورته عند أحد قط كما ورد من كرامتي على الله أنه لم يطلع لي على عورة أحد قط فاذكر ملاق على ما سيق له الكلام قالت عائشة رضي الله تعالى عنها زوجته صلى الله تعالى عليه وسلم لم يراه ب الناس وأحبهم إليه وكان يصاحبها وينام عندها فإذا لم تر ذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم لزم عدم كشفه عندها فإذا لم يكشف عندها فبالطريق الأولى عند غيرها وإنما كنت عن ذلك ولم تصرح به أدبا منها فلله درها فهذا كقولها لم أر ساب هنا فلا يرفع الثياب إلا وقد لاصقها ويكون ستره لا حائلة وهذا معنى قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن فلا يتوهم أن عدم رؤيتها لذلك لعدم سترها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه لا يكشف عندها فافهم

فصل وأما حسن عشرته * بكسر العين المهملة وسكون الشين المعجمة أي اختلاط المرء مع أهله وأصحابه ومعاملاتهم (وأدبه) بالرفع معطوف على حسن ويجوز جره ورجحه بعض الشارحين فإنما ورد عليه أن الأدب لا يكون إلا حسنا ودفع بأنه قد لا يحسن كأدب أهل الدنيا مع كبارهم وهو أنسب بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أدبني ربي فأحسن تأديبي والأدب استعمال ما يحمد قولا وفعلا والأخذ بمكارم الأخلاق من المأدبة وهي الطعام الذي يدعى له الناس (وبسط خلقه) بتقديم معنى الخلق وأنه بضمتين أو ضم فسكون والبسط نشر الشيء وتوسعته ومنه البساط وقد يرد البسط بمعنى المسرة وعليه استعمالهم وورد في الحديث فاطمة مني يبسطني ما يبسطها ليس من كلام المولدين كما توهم ومن أقوال العامة البسط يصدق والمعنى هنا بسطه صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز رفعه وجره أيضا والأول أولى وليس بعطف تفسيري إذ إنما كان معنى بسط الخلق هنا سعته لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم نال من الأخلاق الحميدة أقصاها وغايتها وقوله (مع أصحابه) تنازع فيه الألفاظ الثلاثة قبله

ما قبله (وحيث اتشرب) اى كثرت واشتهرت وهو جواب اما وهو خبر مبتدأ مقدر اى فهو بحيث اى محل معلوم لكل احد (به الاخبار الصحيحة قال على رضى الله تعالى عنه فى وصفه عليه الصلوة والسلام) فى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى فى شمائله (كان اوسع الناس صدرا) المراد سعة صدره تحمله صلى الله تعالى عليه وسلم مشاق الناس وكثرة تكاليفهم قال تعالى (فلا يكن فى صدرك حرج) اى ضيق (واصدق الناس لهجة) فى الصحاح اللهجة اللسان وقد تحرك فاطلق واريد به الكلام مجازا مرسلا من اطلاق المحل على الحال ووضع فيه الظاهر مقام الضمير لان كلا منهما صفة مستقلة ولا ينافيه حديث ما من ذى لهجة اصدق من ابى ذر لان المراد تفضيله رضى الله تعالى عنه على امثاله والصدق ضد الكذب وهو معروف ثم ان فى المفصل فى الصدق سؤالا وهو ان الصدق هو المطابقة للواقع فالمطابق فهو صادق وما لم يطابق كذب فكيف يتصور التفاوت فيه حتى يكون هذا صادق وذاك اصدق وهذا انما يرد لو كان المفضل فى كلام واحد او انواع منه محصورة اما لو اريد كل كلام صدر عن متكلم فلا يرد ماذكر (والينهم عريكة) اى اسهل الناس طبعا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم دائما سلس مطاوع منقاد قليل المخالفة لايهوّره واصل العريكة السنام فهو فى الاصل مجاز حتى صار حقيقة فيما مر (واكرمهم عشرة) اى تعامل الناس فى معاشرته ومخالطته بكرم الاخلاق فعظم من استحق التعظيم ويلاطف مع من دونهم (حدثنا ابو الحسن على بن مسرق) بضم الميم وفتح السين المعجمة وفتح الراء المشددة وقاف اسمه على وله ترجمة فى الميزان وسمع منه النسائى وفيه كلام (الا غاطى) جمع غط وهو ثوب من صوف يطرح على الهودج والنسبة الى الجمع على رأى اولانه ملحق بالعلم كالانصارى لان المراد به صفة مخصوصة وقيل انه على خلاف القياس (فيما اجازنيه وقرأته على غيره) فيه بيان لطريق التحمل وانه رواه عن غيره فانحصر الطعن فيه وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائى (قال حدثنا ابو اسحق الحبال) بفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة والف ولام وهو الامام الحافظ المتقن محدث مصر ابو اسحق ابراهيم بن سعيد بن عبدالله بن النعمان النجيبى الفراء الوراق المصرى ولد سنة احدى وتسعين وثلثمائة وسمع من احمد بن عبدالعزيز صاحب المحاملى وغيره ومات فى سنة اثنين وثمانين واربعمائة وله احدى وتسعون سنة وترجمة مشهورة قال (حدثنا ابو محمد بن النحاس) بحاء مهملة مشددة وهو الامام ابو محمد عبدالرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن اسحق المصرى البزار سمع ابا سعيد بن الاعرابى وسليمان بن داود العسكرى وجماعة كثيرون وكان ثقة كما قاله ابن ماكولا (حدثنا ابن الاعرابى) هو الامام ابو سعيد الذى يروى سنن ابى داود عنه قال (حدثنا ابو داود) سليمان بن الاشعث صاحب السنن المشهورة قال

(حدثنا هشام ا ومروان ومحمد بن المثنى) هشام بن خالد بن يزيد بن مروان الازرق الدمشقي الثقة الثبت توفى سنة تسع واربعين ومائتين وترجمه في الميزان ومحمد بن المثنى ابوموسى العنزى الحافظ توفى سنة اثنين وخمسين ومائتين قالا (حدثنا الوليد بن مسلم) الحافظ احد الاعلام اخرج الجماعة الا انه رمى بالتدليس قال (حدثنا الاوزاعى) هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد نسب للاوزاع وهى قبيلة من حمير اواسم قرية وهو عالم فقيه زاهد روى عن عطاء ومكحول وروى عنه كثيرون واخرج له اصحاب الكتب وهو ثقة وله ترجمة مشهورة (قال سمعت يحيى بن ابى كثير) بزنة كثير ضد القليل وهو من العباد وائمة الحديث توفى سنة تسع وعشرين ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان قال (حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة) بضم الراء المعجمة وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الرحمن بن اسعد والى المدينة وهو ثقة اخرج له الستة وتوفى سنة اربع وعشرين ومائة (عن قيس بن سعد) بن عبادة بن دليم الخزرجى سيد الخزرج وصاحب شرط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخرج له الستة واحمد وكان من الدهاة وذوى الرأى طويل القامة جدا جوادا توفى بالمدينة فى آخر خلافة معاوية رضى الله تعالى عنه (قال زارنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) على عادته فى تفقد اصحابه وكان سعد بن عبادة دعا رجلا ليلا فخرج له فضربه بسيفه فاسواه فجاءه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعوده (وذكر قصة) هى ماوقع له مع عبد الله بن ابى بن سلول ادمر به وهو جالس مع اخلاط المسلمين وغيرهم فغشى المجلس غبار دابته صلى الله تعالى عليه وسلم فخمر ابن سلول انفه بردائه وقال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تغبروا علينا ارجع الى رحلك فمن جاءك منا فاقصص عليه فاستب المسلمون مع المشركين حتى هموا ان يتواثبوا فخفضهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ركب دابته حتى دخل على سعد رضى الله تعالى عنه وذكر ذلك له فقال له يارسول الله اعف عنه واصفح فلقد اتفق اهل هذه البحيرة على ان يعصبوه فلما رد الله ذلك بالحق الذى جئت به شرق بذلك فعفا عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فى آخرها) اى آخر القصة (فلما اراد الانصراف قرب له سعد) رضى الله تعالى عنه (حمارا) ليركبه (ووطأ عليه بقطيفة) هى كساء له وبر وجعل وضعه على ظهر الحمار وطاءة له ليركب عليه ووطاء بتشديد الطاء المهملة وهمزه (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال سعد) لابنه (ياقيس اصحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كن معه فى حدته وفى هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما جاء كان على حمار مردفا خلفه اسامة بن زيد فسعد رضى الله تعالى عنه انما اعطاه حمارا ليركبه وحده وبقى اسامة على الحمار الذى جاء به ووهب

سعد له صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك الحمار (قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اركب) معي على الحمار (فأبيت) الركوب معه تأدبا ووقورا بالمشي في خدمته (فقال اما ان تركب واما ان تنصرف) اي ترجع ولا تمشي معي (فانصرفت) امتثالا لامره صلى الله عليه وسلم (وفي رواية اخرى) انه عليه السلام قال له (اركب امامي فصاحب الدابة احق بصدرها) وهذا وقع هنا في بعض النسخ والمراد بصدرها مقدمها وفيه دليل على جواز الارداف ولو صاروا ثلاثة اذا لم تكن الدابة ضعيفة لا تطيق ذلك وقيل مافوق الاثنين مكروه وقوله صاحب الدابة باعتبار ماكان او هو صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعلم بانه وهبها له (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يؤلفهم) اي يؤلف المسلمين بايناسهم ومداراتهم ليزداد ايمان من كان قريب عهد بالاسلام وليحسن من كان مخلصا بجبره خاطره والتودد اليه (ولا ينفرهم) اي لا يلقاهم بما يصير سببا لنفورهم وذهاب من كان قريب عهد من المؤلفة قلوبهم (ويكرم كريم كل قوم) برعاية مايليق به كما فعل مع عدي بن حاتم وغيره مما فصل في السير (ويوليه عليهم) اي يجعل شريف القوم واليا عليهم اذا رجعوا من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم لديارهم كما ولى علي وفد همدان مالك بن نمط (ويحذر الناس ويحترس منهم) لانه من الحزم ان لا يركن لكل احد حتى يجربه (من غير ان يطوي عن احد منهم بشره) اي كان صلى الله تعالى عليه وسلم مع احتراسه منهم يلقاهم ببشره وبشاشته ولا يغير حاله معهم فبشره بشره وايناسه بساط ممتد لهم فلا يطوي عنهم ماداموا عنده كما قال الشاعر

اعا مجلس الندا من بساط ❊ فاذا ما مضى طويا بساطه

(ولا خلقه) المعهود منه صلى الله تعالى عليه وسلم (يتفقد اصحابه) اي من فقده من اصحابه رضي الله تعالى عنهم يسأل عنه او يزوره او يرسل اليه من يتعهده قال الراغب الفقد اخص من العدم لانه العدم بعد الوجود والتفقد التعهد لكن حقيقة التفقد تعرف فقدان الشيء والتعهد تعرف العهد المتقدم (و) كان صلى الله تعالى عليه وسلم (يعطي كل جلسائه نصيبه) اي يعطي كلا منهم مايليق به ومايسره (لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه) اي لما يراه من لطفه به يظن ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحبه اكثر من غيره (من جالسه) اي جلس عنده في ناديه (او قاربه (٢) لحاجة) اي كان معه حال مسيه او نحوه (صابره) اي صبر على سؤاله وذكره حوائجه (حتى يكون هو المنصرف عنه) اي الراجع عن مقاربته او مجالسته (ومن سأله حاجة لم يرده الا بها) اي باعطائه حاجته التي سألها منه صلى الله تعالى عليه وسلم (او بميسور من القول) كوعده اوبشارته واولم الحلو قال تعالى ﴿ وقل لهم قولا ميسورا ﴾ (قد وسع الناس بسطه وخلقه) بسطه بدر

بزنة ضرب مضاف لضمير عائد له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مرفوع فاعل وسع بزنة علم وكذا خلقه المعطوف عليه وقد تقدم معنى الخلق والخلق بجعل بسطه بمعنى توسعته على الناس او بمعنى بشره كالمكان الرحب وكذا خلقه الحسن جعله الله لهم كالمكان الذي تمكنوا فيه (فصار لهم ابا) اى صار صلى الله تعالى عليه وسلم لجميع امته بمنزلة الاب فى اللطف بهم والشفقة عليهم وهو لاينافى قوله تعالى (ماكان محمد ابا احد من رجالكم) لان المنفى ثمه الابوة الحقيقية الا ان بعض علماء الشافعية ذهب الى انه لايجوز ان يقال له صلى الله تعالى عليه وسلم اب المؤمنين كما يقال لنسائه صلى الله تعالى عليه وسلم امهات المؤمنين عملا بظاهر هذه الآية وانما يقال انه كالاب ونص الشافعى رضى الله تعالى عنه على جوازه وهو الحق وكذا كل نبى من الانبياء عليهم الصلوة والسلام اب لامته ذكورا واناثا وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس ابا حقيقة معلوم بالبداهة وانما نفاه فى الآية ردا على من انكر تزوجه صلى الله تعالى عليه وسلم بامرأة زيد الذى تبناه (وصاروا عنده فى الحق سواء) لان الله عصمه صلى الله عليه وسلم من الاعراض النفسية الحاملة له على الميل مع الهوى وكذا وصفه به صلى الله تعالى عليه وسلم ابن ابى هالة ربيبه فى الحديث الصحيح المروى عنه كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (بهذا وصفه بن ابى هالة) ابن خديجة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها بنت خويلد واسمه هند وابوه ابو هالة حليف عبد الدار اختلف فى اسمه فقيل نباش بن زرارة وقيل مالك بن النباش بن زرارة وكان تزوج خديجة رضى الله تعالى عنها قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فولدت له هندا وهند ولد يسمى هندا ايضا عده ابن منده وابو نعيم فى الصحابة وابوه هند من كبار الصحابة قتل مع على كرم الله وجهه فى وقعة الجمل وتقدمت ترجمته بالبسط من قبل هذا (قال) ابن ابى هاله رضى الله عنه فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (وكان دائم البشر) بكسر الباء وسكون المعجمة اى طلاقة الوجه وبشاشته لا يعبس فى وجه احد (سهل الخلق) لاصعبا ولا حرجا (لين الجانب) استعارة مصرحة شبه وصول كل احد له صلى الله تعالى عليه وسلم ولما يريده منه بشئ لين يأخذه من يجانبه لا يطلبه ولين شبهه بجانب لين من الارض ليس بحزن (ليس بفظ ولا غليظ) الفظ الكريه الخلق مستعار من الفظ اى ماء الكرش وهو مكروه لايتناول الافى شده الضرورة كما قاله الراغب والغليظ ضد الرقة واصله فى الاجسام فاستعير للمعانى كما تقدم (ولاصخاب ولا فحاش ولا عياب) اى لاينطق بالفحشاء كالشتم ولا يعيب احدا اى يذكر عيوبه (ولامداح) لاحد بما يؤدى الى اطرائه ولالنفسه الشريفة وهذه كلها صيغ مبالغة والمقصود بها النفى كما ان او المبالغة راجعة للنفى كما قالوه فى قوله تعالى (وماربك بظلام للعبيد) وقيل

المقصود به اصل الفعل وقول انس لعمر رضي الله تعالى عنهما انت افظ واغلظ
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تقتضي ثبوت ذلك له فقيل المقصود وجود
اصل الغلظة فيه ونفيها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لاحقيقة المفضل اوالمراد
اثبات ذلك على المشركين كما في قوله تعالى (وليجدوا فيكم غلظة) كما ان المدح
قد يستحسن في مقام دون مقام اذاكان في محله بخلاف ما اذا كان كذبا ولذا قال
صلى الله تعالى عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين على احد الوجوه فيه
(يتغافل عما لا يشتهي) اى اذا رأى صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا لا يرضاه تغافل
عنه حتى يظن انه مارآه اذاكان ذلك مما لا يترتب عليه اثم (ولا يؤيس منه) نفي
للمفعول وضمير منه له صلى الله تعالى عليه وسلم اى والحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم
يتغافله لا ييأس احد منه وروى مبنيا للفاعل بضم المثناة التحتية وكسر الهمزة الى
كان منه وجه ومفعوله محذوف لقصد التعميم اى لا يؤيس احدا منه اى يجعله ذا يأس
بحيث لا يرجوه فالضمير لما تغافل عنه وعلى هذا اقتصر ارباب الحواشي (وقال
تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)
ما زائدة للتأكيد وقيل نكرة موصوفة ورحمة بدل منه وقيل استفهامية للتعجب اى
باى رحمة عظيمة لنت لهم ورده في المغني بثبوت الالف ماو قال ان ماله ايضا لا يتجه
كما فصله شراحه وليس هذا محل تفصيله والمعنى انك لو كنت فظا غليظ القلب
انفضوا عنك اى تفرقوا ولم يجتمعوا عليك ولكنك لان جانبك لهم وشفقت عليهم
تؤلف قلوبهم وتزيد محبتهم وهذا اثر ان عليه مما جبله الله عليه من الاخلاق الحسنة
وقد تقدم الكلام عليه (وقال ادفع بالتي هي احسن السيئة) الآية اى التي هي احسن الصفح
والتجاوز والاحسان في مقابلة السيئة ولا حاجة الى قيدها بما لم يكن فيه وهن في الدين لانه
لا يكون دفعا بالاحسن فان المراد به الاحسن عند الله تعالى وقيل التي هي احسن كلمة
التوحيد والسيئة الشرك وقيل الامر بالمعروف والسيئة المنكر وقدم الجار والمجرور
على المفعول الصريح للاهتمام وقصد الحصر اى ادفع بهذا لا بغيره (وكان)
صلى الله تعالى عليه وسلم (يجيب من دعاه) لطعامه اولمنزله جبرا لخاطره وتعليما
وتشريعا لامته صلى الله تعالى عليه وسلم سواء كان المدعو اليه وليمة عرس او غيرها
وفي الحديث اذا دعا احدكم اخاه فليجب وما قيل من ان اجابة دعوة العرس واجبة
عينا اوكفاية لورود الامر بها في الاحاديث الصحيحة فلا يكون ذلك من الفضل
ومكارم الاخلاق غير وارد لانه قيل بعدم الوجوب وبها عند الشافعية ايضا كما
صرح السبكي ولوسلم فهذا محمول على الاعم من الولائم وغيرها وليس في العبارة
ما يقتضي التخصيص ولا تجب اجابة لغير وليمة عرس ومنه وليمة التسري كما هو
ظاهر وقيل تجب واختاره السبكي لا اختار فيه (و) كان صلى الله تعالى عليه وسلم

(يقبل الهدية) لا الصدقة (ولو كانت كراعا) لانه مقتض للتحابب وكراع بضم الكاف وفتح الراء المهملة المخففة والعين المهملة وهي مابين الركبة الى الخف والحافر والظلف ولو وصلية هنا تفيد القليل كاتقوا النار ولو بشق تمرة وقيل الكراع مادون الكعب من الدواب وقيل كراع كل شيء طرفه وفي الترمذي عن انس بن مالك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو اهدي الي كراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لاجبت وكراع الساق اسم مكان وهو كراع الغميم موضع بين مكة والمدينة والصحيح انه بالمعنى السابق والمقصود المبالغة في ذلك اي اقبل الهدية ولو كانت حقيرة واجيب الدعوة ولو كانت الى مكان بعيد و يطلق الكراع على الشاة نفسها وفي الحديث اذا دعي احدكم فليجب فان كان مفطرا اكل وان كان صائما دعا بالبركة وقوله (ويكافئ عليها) بالهمزة اي يجازي على الهدية شيء مثلها او اكثر لان المكافأة اصل معناها المساواة والمماثلة ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمون تتكافئ دماؤهم اي تتساوى في القصاص وفي البخاري كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها واستدل به بعض المالكية على وجوب عوض الهدية اذا اطلق الواهب وكان ممن يرجو الثواب كالفقير الذي يهدي للغني ولم يوافق عليه (وقال انس رضي الله تعالى عنه) وهو خادم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (خدمت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين) وفي رواية لمسلم تسع سنين ولا منافاة بينهما لانه خدمه تسع سنين واشهرا فتارة نظر للكسور وجعلها سنة وتارة الغاها وكان عند عمه ابي طلحة فانطلق به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له ان انسا غلام كيس فليخدمك (فما قال لي اف قط) هي كلمة تقال لما يكره و يستحقر به وهي اسم فعل فيه لغات نحو الاربعين اشهرها ضم الهمزة وكسر الفاء المشددة وللسيوطي في نظم لغاتها ابيات مشهورة حيث قال

اف ربع احرم ثم خفف * مداه مشدد ومخفف
وتنوينه وبالترك اف * لاتمالا وبالامالة مضعف
وبكسر ابتدا وافي مثلث * وردالهاء في اف اطلق لااف
ثم مدا بكسر اف واف * ثم اووا فاخفظ ودع مار مف

قال الراغب اصل الاف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر وماجرى مجراها ويقال لكل مستقذر يستخف به واقف لكذا اذا قال له اف والحاصل مما تقدم ان همزته مثلثة وكذا فاؤه مع التنوين وعدمه وقد فصل لغاتها في البحر ومن لطائف السراج الوراق رحمه الله تعالى في مدح ابنه رحمه الله

بني اودي بالكتاب العزيز * فزدت سرورا وزاد ابتهاجا
وماقال لي اف في عمره * لكوني ابا ولكوني سراجا

أي لم يتضجر من أمر عن أمر عرض وقع مني وفيه دلالة على زيادة حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم (وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته) وهذا الحديث رواه الشيخان (وعن عائشة رضي الله عنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم بينت بعض ذلك بأنه (ما دعاه أحد) أي ناداه فقال يا رسول الله (من أصحابه ولا أهل بيته) خصهم لأن العادة جارية بالمسامحة معهم (إلا قال لبيك) قال السيوطي رواه أبو نعيم في دلائل النبوة بسند واه ولبيك كلمة يجاب بها المنادي فالتلبية إجابة المنادي من دعاه من لب بالمكان إذا أقام بمكان ولم يفارقه فكأنه يقول أنا ثابت على إجابتك ولا يستعمل إلا بلفظ التثنية كأنه قال إجابة بعد إجابة والمراد الكثير كقوله تعالى (فارجع البصر كرتين) وهو منصوب على المصدر بعامل لا يظهر وغلبت إضافته لضمير المخاطب وقد تضاف لغيره كما فصله النحاة ولا يجاب به إلا من يعنى بإجابته وتعظيمه ولذا يقوله الحاج في إجابة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أتباعه بذلك رعاية لمقامهم وتعظيمهم وهو من حلمه العظيم كما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخاطب القادم عليه كقوله مرحبا بأم هانئ (وقال جرير بن عبد الله) بن جابر بن مالك البجلي سيد قومه قدم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سنة عشر من الهجرة على الصحيح لا قبل موته بأربعين يوما كما قيل ولما قدم قال صلى الله تعالى عليه وسلم يطلع عليكم خير ذي يمن وكان رضي الله تعالى عنه جميلا حتى قال عمر رضي الله تعالى عنه إنه يوسف هذه الأمة وأرسله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لذي الخلصة وهي الكعبة اليمانية وكان فيها صنم فخربه وقتل من عنده (ما حجبني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منذ أسلمت قط) أي ما منعني من الدخول عليه في بيته وقد استأذنته لا مطلقا حتى يقال كيف يدخل على غير محرم ويجاب بأن المراد في مجلس مخصوص بالرجال أو المراد ما منعني شيئا سألته وإسلامه رضي الله تعالى عنه كان في رمضان سنة عشر كما مر (ولا رآني إلا تبسم) وفي رواية إلا تبسم في وجهي وهذا الحديث رواه الشيخان والتبسم مبادي الضحك بغير صوت بدو مقدم أسنانه فإن زاد بالصوت فضحك فإن كان بصوت فهو قهقهة وضحكه صلى الله تعالى عليه وسلم في أغلب أحواله التبسم وربما زاد على ذلك كما ورد أنه ضحك حتى بدت نواجذه وقيل إنه أريد مجرد المبالغة لا الحقيقة بناء على أنه لم يقع منه ذلك والأصح الأول وكثرة الضحك تذهب الوقار وهو مكروه لحديث كثرة الضحك تميت القلب فإن لزمه استهزاء بأحد وسخرية به فحرام (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يمازح أصحابه) الممازحة تكون بالكلام والفعل ملاطفة ولكنها إنما تحمد من الكبار أحيانا بحيث لا تؤدي إلى أذية صاحبها والمداومة مورثة منها ولكن بقدر ما ورد سيأتي وكان صلى الله

تعالى عليه وسلم يمزح احيانا ولايقول الاحقا ولكنه يورى فى كلامه كما قال لبعض العجائز انه لايدخل الجنة عجوز لانهم يعودون فى سن الشباب ولله در القائل

اوقد طبعك المكدود بالهم راحة * تاس وعلله بشئ من المزح
ولكن اذا اعطيته المزح فليكن * بمقدار مايعطى الطعام من الملح

والمزاح بضم الميم اسم وبكسرها مصدر كالمزح وكثرته مذمومة كما قال

فاياك اياك المزاح فانه * يجرى عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه من كل سيد * ويورثه من بعد عزته ذلا

والصحيح انه جائز وقيل انه مكروه والاصح الاول بشروطه وكان كبار السلف يمزحون وقد فضل الناس فى سعتهم مالم يمازحوا وورد فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان افكه الناس وكان مزاحا ولايقول الاحقا (ويخالطهم ويحادثهم) بأنيسالهم وجبرا لقلوبهم (ويداعب صبيانهم) يداعب بالدال المهملة والمداعبة الممازحة مع لعب ولذا خصه بالصبيان كما قال محمود بن الربيع الخزرجى رضى الله تعالى عنه عقلت منه صلى الله تعالى عليه وسلم مجة مجها فى وجهى وانا ابن خمس سنين (ويجلسهم فى حجره) كما فعل صلى الله تعالى عليه وسلم مع ام قيس اذ اتته بابن لها صغير لم يأكل الطعام فاجلسه فى حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يغسله وحجر بكسر الحاء المهملة وفتحها معروف وهو ماكان من يديه على فخذيه وهو جالس (ويجيب دعوة) بفتح الدال المهملة (الحر والعبد والامة والمسكين) قال السيوطى اجابته صلى الله تعالى عليه وسلم دعوة العبد رواها البزار عن جابر رضى الله تعالى عنه والترمذى وابن ماجه عن انس رضى الله تعالى عنه فلا وجه لقول انى لم اقف عليه الا فى صحيح البخارى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتى غلاما خياطا فاتاه بقصعة فيها دباء فجعل يتتبعه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم طيب انفسهم بما يملكونه لهم فلا يقال كيف اكل مما فى يد العبد وهو ومايملكه لسيده او يقال كان مكاتبا اوالمراد بالعبد من مسه الرق ولو قيل دعوته وقدم العبد اهتماما لكان انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجيب دعوته مع حقارته بالنسبة للحر (و) اخرج الترمذى بسنده عن انس رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (يعود المرضى) ويشهد الجنازة ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وروى البيهقى دعوة المملوك (فى اقصى المدينة) اى فى ابعد مكان منها وعيادة المريض سنة مؤكدة لاسيما ممن يسره عيادته لما فيه من التسلية وتآلف القلوب وقيل انها فرض كفاية ولايختص بمرض وقيل بلا انه لايعاد فيها رمد العين ووجعها ووجع الضرس وقيل انه لايعاد المريض الابعد ثلاثة ايام وورد فى ذلك حديث ضعيف والصحيح انه لافرق والحديث

قال شيخنا الرملي انه موضوع واحتاج في عيادة الذمي فقيل يجوز اذا كان يرجى اسلامه او تضمن مصلحة (ونقل عذر المعتذر) المعتذر كل من ابدا عذرا سواء كان له حقيقة املا وسواء كان من شانه ان تقبل املا ولذا لم تقبل المعذور لانه من له عذر وعدم قوله منه مذموم وقول اعتذاره عقوبة جنايته وعدم مؤاخذته بها لانه من تمام المروة وهذا كما قبل صلى الله تعالى عليه وسلم عذر من تخلف عن تبوك ووكل سرائرهم الى الله تعالى وكما قبل عذر حاطب بن ابي بلتعة رضي الله تعالى عنه لما كتب لاهل مكة يخبرهم بمسيره صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة وقبل صلى الله تعالى عليه وسلم اعذار المنافقين حتى كذبهم الله تعالى (وقال انس) رضي الله تعالى عنه قال السيوطي هذا الى قوله من بذي حابس له رواه ابوداود والترمذي والبيهقي في الدلائل واخرجه البزار عن ابي هريرة وابن عمر رضي الله تعالى عنهم (ما التقم احدا اذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي ماجعل احد اذنه محاذية لفمه ومحاذيه وقال التمني اي ماجذبه احد عند اذنه فجعله استعاره ولم يحمله على حقيقته وانه فعله للتبرك كما وقع لجابر رضي الله عنه في التقامه لخاتم النبوة لان لفظه مشعر بكثرة ذلك ووقوع مثله كثيرا مستبعد بخلاف قصة جابر رضي الله تعالى عنه لما اردفه صلى الله تعالى عليه وسلم خلفه وامكنه ذلك بسهولة وايضا في مثله سوء ادب ومنافاة لغرضه فانه اذا ادخل اذنه في فيه لم يمكنه اداره لسانه ومناجاته وفي النهاية في الحديث ان رجلا التقم عنه حضاض الباب اي جعل الشق الذي في الباب يحاذي عينه فجعله للعين كاللقمة في الفم اسهى فجعله استعاره كما هنا وهذا لاينافي مافي الصحيح عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه قال والله لاتين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتيته وهو في ملأ فساررته فغضب حتى احمر وجهه وقال رحم الله موسى لقداوذي باكثر من هذا فصبر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يغضب من المساررة بل مما كلمه به والاذن بضم الهمزة والذال المعجمة وقد تسكن (فنحى رأسه عنه) اي بعدها وجعلها في ناحية منه (حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه) اي حتى يفارقه او ينفصل منه قليلا (وما اخذ احد بيده) اي امسكها (فيرسل يده) اي يطلقها ويفكها من يده وهو مجاز من ارسل الرسالة اذا بعثها وظاهر كلام ابن القوطية انه معنى حقيقي ان كان البد الثانية بدالآخذ فانس من وضع الظاهر موضع الضمير والا فهو منه وقوله (حتى يرسلها الآخذ) غاية لترك ارسالها اي الى ان يرسلها الآخذ وهو بالمد اسم فاعل من الاخذ وفي نسخة الاخر بالراء المهملة وفي البخاري ان كانت الامة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتطوف به حيث شاءت وعن احمد فما ينزع يده من يدها وهو عبارة عن الانقياد

لشدة تواضعه وتنزهه عن الكبر صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله (ولم ير صلى الله تعالى عليه وسلم مقدما ركبته بين يدى جليس له) من جملة حديث انس رضى الله تعالى عنه فى المصابيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذى ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى تكون هو الذى يصرف وجهه او هو رواية اخرى وهو الظاهر لما بينهما من المخالفة ومعنى لم ير مقدما الى آخره انه يخص ركبتيه بعطيها لجاسائه وقيل المراد بالركبتين الرجلين اى كان لا يمد رجليه فى مجلسه لما روى فى حديث آخر انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم ير قط مادام رجليه بين اصحابه كما سيأتى بعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يساوى جليسه ولا يتقدم عليه بركبته حتى كان الغريب يجيء فلا يعرفه ويسأل عنه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يبدأ) اى يبتدىء (من لقيه بالسلام) من تقيد العموم اى كل احد لقيه صغيرا او كبيرا من المسلمين الا فى مواضع لا يستحب السلام فيها واما الكفرة فلا يسلم عليهم وجوز بعضهم ابتداءهم بالسلام ايضا (ويبدأ اصحابه بالمصافحة) مفاعلة من الصفح اى يجعل صفحة يده الشريفة على صفحة يده وفى الحديث تمام تحيتكم بينكم المصافحة وهى سنة عند التلاقى وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يفعله واذا قدموا من سفر تعانقوا وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم تقبل يده ايضا وهى مستحبة للكبير وكرهها مالك اما اذا كان على وجه الكبر فكره وقال النووى انه مستحب ايضا لاهل الشرف والصلاح واما لاهل الدنيا فيكروه وقال فقهاؤنا لا باس بالمصافحة لانها سنة متوارثة لما ورد فى الحديث ايضا تصافحوا وقيل انه من الصفح وهو العفو اى ليصفح احدكم عن غيره ولا ينافسه والمشهور الاول واما بعد صلوة الجمعة والعيد فقالوا انه بدعة وهو من فعل المشايخ كأنهم كانوا فى الصلوة غائبين عن حضرهم ومن كان هذا حاله لا ينكر منه (ولم ير صلى الله تعالى عليه وسلم قط مادا رجليه بين اصحابه حتى تضيق بهما على احد) هذا اشارة الى انه كان ذلك فى مجلس تكثر فيه الناس اما اذا كان وحده او فى قليل من خواصه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد يتكيء وقد يضع احدى رجليه على الاخرى كما ورد فى بعض الاحاديث (تكرم من يدخل عليه) بالقيام له وبالاطعمة كما انه صلى الله تعالى عليه وسلم لسعد بن معاذ رضى الله عنه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم سعد قوموا لسيدكم وكره بعضهم القيام مطلقا لحديث من احب ان تمثل له الناس قياما وجبت له النار وحمل هذا على عادة الاعاجم فى وقوف الناس بين ايديهم اما القيام للعلماء والصلحاء فستحب كما انى وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جاء قام له الصحابة وممن ذهب الكراهة ابن حجر رحمه الله تعالى وقال فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم قوموا لسيدكم انما كان لانه قدم على حمار وكان مريضا وفى رواية قوموا لسيدكم

فان لو ورد بانه لو كان كذلك لم يأمر جميع الناس الحاضرين بالقيام له ولذا استدل النووى به وفيه نظر (وربما بسط له) اى لمن يدخل عليه (ثوبه) تعظيما له كما جعل ذلك لعدى بن حاتم ولاخته عليه السلام من الرضاعة لما اتاه كما يأتى (ويؤثره بالوسادة) الايثار تقديم غيره على نفسه فى بعض الامور والوسادة ما يتوسد اى يوضع تحت الرأس وهى التى تسمى مخدة ويقال اسادة بالهمزة ووساد بدون هاء وقضية قوله (التى تحته) كما فى البخارى انها فراش يجلس عليه وكانت محشوة بالليف وقال عدى بن حاتم دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال من الرجل فقلت عدى بن حاتم فقام وانطلق بى الى بيته فوالله انه لعامد بى اذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة واستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها فقلت فى نفسى والله ما هذا بملك ثم مضى حتى دخل بيته وناولنى وسادة كبيرة من ادم محشوة ليفا فقذفها وقال لى اجلس على هذه فقلت بل انت فاجلس عليها فجلس على الارض وصارت الوسادة بينى وبينه فانظر لمكارم هذه الاخلاق فقلت والله ما هذا بملك وهذا يدل على ان الوسادة فراش لا مخدة ولا عبرة بتفسير الجوهرى لها بالمخدة فقط (ويعزم عليه فى الجلوس) اى يقسم عليه ان يجلس على وسادته بان يقول له بالله اجلس الخ قال فى المهذب يقال عزمت عليك لما فعلت كذا اى اقسمت انتهى وهو مأخوذ من العزم وهو التصميم فى الامر وقوله (عليها) اى على الوسادة (ان ابى) اى امتنع من الجلوس عليها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ويكنى اصحابه) اى يضع لهم كنية كأبى فلان او يدعوهم بالكنية تكريما (ويدعوهم) اى ينادبهم (باحب اسمائهم تكرمة لهم) اى يفعل ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم لاجل اكرامهم وتعظيمهم تلطفا بهم وتأدبا معهم فان نداء المرء بكنيته تعظيم وكذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يكنى من لا كنية له كما قال للطفل الذى كان معه طائر يسمى نغرا يا ابا عمير ما فعل النغير وفيه دليل على جواز تكنية من لا ولد له على عادة العرب تفاؤلا بان يعمر ويرزق اولادا خلافا لمن منع ذلك وقال انه خلاف الواقع فهو كذب واخرج الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال كنانى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ابا عبد الرحمن قبل ان يولد لى وسنده صحيح وعن بعض السلف بادروا اولادكم بالكنى قبل ان تغلب عليهم الالقاب وكره بعضهم تكنية المرء نفسه الا لقصد التعريف وقال النووى يجوز تكنية الكافر بشرطين الاول ان لا يعرف الا بكنيته الثانى ان يخاف من ذكر اسمه فتنة فالاول كابى طالب والثانى كابى حباب لابن سلول وفيه نظر فقد تكون لامر آخر كابى لهب فانه اشارة الى انه جهنمى وقيل كنى بذلك لحسن وجهه (ولا يقطع على احد حديثه) اى من يحدث عنده يصغى اليه ولا يقطع حديثه بكلامه بكلام آخر او بسآمة او نهيه عن الكلام فان مثله يؤذى المتكلم (حتى يجوز) بضم اوله وفتح الجيم وكسر الواو مشددة وزاء معجمة فانه يتركه فيقطع حديثه اى حتى يكثر ويتجاوز الحد او يخرج

(الى)

الى مالا يليق من الكلام فهو من التحاور او التجاوز كما يأتي (فيقطعه نهي) عن الكلام (او قيام) من مجلسه اعراضا عنه وهو مقيد لنهيه عنه (ويروى بانتهاء او قيام) فالنهي بمعنى الانتهاء اذ الروايات تفسر بعضها بعضا وهذا وقع في بعض النسخ فالمعنى حتى يجوز ذلك في حديثه فيقطع حديث نفسه امابسبب انه انتهى ولم يبق منه شيء اولقيامه عن المجلس والتجوز على هذا بمعنى التجمع له والتطبيل منه وقيل معناه يتطاول عما هو غير حق في كان يتكلم بمالا يليق من الكلام (وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لايجلس اليه احد) اى لايجلس متوجها اليه والمراد لايجلس عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو يصلي الا اخفف صلاته) اى اسرع فيها فقطعها والتخفيف ضد التطويل وسائق سيأتيه (وسأله عن حاجته واذا فرغ) صلى الله تعالى عليه وسلم من كلامه وبيان حاجته (عاد) صلى الله تعالى عليه وسلم (الى صلوته) التي كان فيها وقال البرهان الحلبي هذا الحديث منكر وقد ذكره في الاحياء في آداب المعيشة وقال العراقي في تخريج احاديث الاحياء لم اجد له اصلا انتهى ولذا قيل لو اورد حديث الصحيحين الآتي انى لاقوم الى الصلوة اريد ان اطول فيها فاسمع بكاء الصبي فاتجوز في صلاتي كراهة ان اشق عليه كان اظهر فانه متفق عليه وهو في معنى حديث الاحياء (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر الناس تبسما) وقد تقدم معنى التبسم وما يتعلق به (واطيبهم نفسا) اى لم يكن فظا وغليظا في مجلسه لطيب نفسه وهذا وما بعده حديث رواه احمد والترمذي بسند حسن (ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب) قال الشيخ قاسم بن قطلوبغا في تخريج احاديث هذا الكتاب عن عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال مارأيت اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رواه الترمذي وقال غريب وقد تقدم وعن علي كرم الله وجهه اوالزبير رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان حديث عهد بجبريل عليه الصلوة والسلام لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه اخرجه احمد وابو يعلى من حديث الزبير رضى الله تعالى عنه من غير شك وعن جابر رضى الله تعالى عنه كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي قلت نذير قوم فاذا سرى عنه فاكثر الناس ضحكا اخرجه الطبراني في مكارم الاخلاق وفيه ابن ابي ليلى سيء الحفظ وعن علي والزبير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ويذكر بايام الله حتى يعرف ذلك في وجهه وكانه نذير قوم يصبحهم الامر غدوة اخرجه احمد وابو يعلى من حديث الزبير رضى الله عنه من غير شك وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت وجنتاه واشتد غضبه رواه مسلم والحاكم من حديثه كان اذا ذكر الساعة احمرت

وحنثاه واشد عصه انتهى وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يتبسم في هذه الحالات لتوجهه عند نزول الوحي فيه تأديبا معه وتهيبا منه لانه مقام انذار وخوف وتخويف (قال عبد الله بن الحارث) بن جزء بن عبد الله بن معدى كرب بن عمر الزبيدي الصحابي سكن مصر ومات رضي الله تعالى عنه بها سنة خمس او سبع وثمانين وهو آخر من مات بها بلدة تسمى سفط قريبة من سمنود بالغربية وقيل مات باليمامة حكاه ابن مندة عن ابن يونس وقال انه شهد بدرا ولابن حجر فيه كلام (ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لان طلاقة الوجه من مكارم الاخلاق وفي الحديث تبسمك في وجه اخيك صدقة (وعن انس رضي الله تعالى عنه كان خدم المدينة) خدم بفتحتين بزنة حسن جمع خادم وفعل في جمع فاعل جاء في الفاظ محصورة نظمها ابن مالك رحمه الله تعالى وقيل انه اسم جمع وهو بالتاء اكثر نحو كملة جمع كامل والمراد بالخدم العبيد والجواري وهذا الحديث رواه مسلم وهو حديث صحيح (يأتون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الغداة) اي الصبح (بآنيتهم فيها الماء) والآنية جمع اناء ككساء واكسية وهو ما يوضع فيه الشيء والاواني جمع الجمع وكثير من الناس يظن ان الآنية مفرده وظاهر قوله (فما يؤتى بآنية الا غمس يده فيها) يوهم ذلك (وربما كان ذلك) اي اتيانهم بالاواني وغمس يده فيها (في الغداة الباردة) والغدوة والغداة اول النهار وقوبل في القرآن الغدو بالآصال والغداة بالعشي ووصفها بالباردة اشارة لما فيه من زيادة تحمل المشاق لاجل التلطف مع الناس وانما فعلوا ذلك تبركا بآثاره صلى الله تعالى عليه وسلم وما مسته يده الشريفة وقوله (يريدون به التبرك) يحتمل انه من كلام المصنف فان البغوي رحمه الله تعالى رواه في مصابيحه بدون هذه الزيادة وفيه ارشاد للتبرك بآثار العلماء والصلحاء (فصل واما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق) واعرف بين هذه الثلاثة بان الشفقة رحمة ورقة قلب وخوف من نزول مكروه بمن تشفق عليه كما في الاساس والرأفة التلطف بمن يريد اكرامه بالبشر والايناس كما قال فتى الرواد

ملكته ملك رأفة ليس فيه ‍* جبروت يرى ولا كبرياء

فقابلها بالجبروت صريحة فيه ولست اسد الرحمة كما توهمه بعضهم وان اشتهر بهذا المعنى كما صرحه فقد قيل انها ارق من الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهة كالرحمة غير موجه وقوله لجميع الخلق يعني انها لا تختص باحد كرحمة غيره لقوله تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (فقد قال الله تعالى فيه) اي في حقه ووصفه عليه الصلوة والسلام (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) عزيز بمعنى شديد وصعب والعنت المشقة اي يصعب عليه مشقتكم وما يؤلمكم لرأفته ورحمته وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقوله بالمؤمنين لا يناسب قوله لجميع الخلق فالاديب

ان يقتصر على قوله (وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وقد اشار المصنف رحمه الله تعالى لدفع هذا في الفصل الاول من ان صدر الآية عام والرحمة المخصوصة بالمؤمنين لا تنافي العموم فكأنه نبه عليه لعموم رحمته صلى الله تعالى عليه وسلم كل ما يقع لهم لحرصه على هدايتهم وارشادهم فهي مطابقة لهذه الآية كما تعلم من كلامه هناك وقد تقدم ما ذكر لانه اسم وذكره هنا لغرض آخر كالآيات المكررة في القرآن فلا وجه لما قيل انه تكرار لا فائدة فيه لزيادته على المقصود ولو نبه على ما فيها سابقا كان اولى به لكنه حريص على العيب كما لا يخفى لمن سبره (قال بعضهم من فضله عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم) تقدم الكلام على هذا واعاده هنا لمعنى آخر فلا تكرار بل فيه فائدة قال السيوطي رحمه الله تعالى ظاهر كلام المفسرين ان الرحيم يوصف به غير الله بخلاف الرحمن لكن اخرج ابن ابي حاتم الرحيم لا يستطيع الناس ان ينحلوه ويظهر لي ان مراده المعرف باللام دون المنكر والمضاف انتهى (وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك) تقدم الكلام عليه وعلى اسمه واسم ابيه وهو امام جليل بلغت تصانيفه اكثر من مائة مصنف جليل توفي سنة ست واربعمائة قال (حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني قراءتي عليه) وهو عبد الله بن ابي بكر بن ابي جعفر بن محمد الخشني بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين ونون نسبة لجده مصغرا اسم قبيلة ولد سنة تسع واربعين واربعمائة ومات بمرسية من بلاد المغرب سنة ست وعشرين وخمسمائة وتقدم الكلام على قوله بقراءتي عليه قال (حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري) هو الامام ابو عبد الله ويقال ابو الحسين بن علي شيخ الحرمين ومجاوره بمكة والطبري منسوب لطبرستان او لطبرية والاول اصح قال (حدثنا عبد الغافر الفارسي) الامام الزاهد العدل ابو محمد عبد الغافر بن محمد الفارسي احد رواة مسلم المشهور بالرواية عن الجلودي ولد سنة احدى وخمسين واربعمائة وتوفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة وعمره ثمان وسبعون سنة قال (حدثنا ابو احمد الجلودي) تقدم الكلام عليه وعلى نسبته وانه يجوز فيه فتح الجيم وضمها وقد قيل هنا ان عبد الغافر لم ير الجلودي ولا روى عنه صحيح مسلم وانما الراوي عنه ابو امية واسمه عبد الغافر ايضا لكنهما اخوان كنية وانا فان كنية الاول ابو الحسن وهذا ابو الحسين مصغرا واسم ابي الاول محمد وهذا اسمعيل وتاريخ موتهما مختلف فيه وهذا لم يدرك الجلودي وقال السبكي رحمه الله تعالى في طبقاته بين هذا وبين الجلودي انسان وهذا مما لم يقم عليه البرهان مع اطلاعه وهو مما نبهني الله له قال (حدثنا ابراهيم بن سفيان) تقدم ايضا وان سين سفيان مثلثة قال (حدثنا مسلم بن الحجاج) الامام المشهور صاحب الصحيح وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا

ابو الطاهر) احمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح بمهملات بن بهصرب الاموى
مولاهم المصرى روى عنه اصحاب السنن وغيرهم ووثقه النسائى وقال ابو حاتم لا بأس به
وكان فقيها صالحا ثبتا توفى فى ذى القعدة سنة خمسين ومائتين قال (اخبرنا ابن
وهب) ابو محمد عبد الله الفهرى احد الاعلام روى عنه الستة وتوفى سنة سبع
وتسعين ومائة (اخبرنا يونس) بن يزيد الايلى بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية
واللام وياء النسبة احد الاثبات روى له اصحاب الكتب الستة وهو ثقة ثبت توفى
سنة سبع وخمسين ومائة وله ترجمة فى الميزان وفى يونس ست لغات تثليث النون
مع الواو والهمزة (عن ابن شهاب) الامام ابو بكر بن مسلم الزهرى وقد تقدم
(قال غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزوة وذكر حديثا) تقدم الكلام على
حنين قال البرهان الحلبى الراوى اذا قدم الحديث على السند كأن يقول قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم كذا اخبرنى به فلان ويذكر سنده اوقدم بعض الاسناد
مع المتن كما نحن فيه قال بعد هذا قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان بن
امية الى آخره فهو اسناد متصل ولا يمنع ذلك الحكم باتصاله كما لو ذكر الاسناد
بتمامه اولا وقال ابن الصلاح ينبغى ان يكون فيه خلاف كتقديم بعض المتن على
بعض وحكى الخطيب المنع من ذلك على القول بان الرواية بالمعنى لا تجوز والجواز
على القول بانها تجوز ولا فرق بينهما فى ذلك انتهى وفى جعله كالرواية بالمعنى خفاء
(قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية) بن وهب بن حذافة
بن جمح القرشى الجمحى الصحابى وكنيته ابو وهب اسلم بعد الفتح وشهد مع رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا والطائف وهو مشرك ثم اسلم وحسن اسلامه بعد ما كان
من المؤلفة قلوبهم وكان رئيس بنى جمح وكان يعادى النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم ويؤذيه اذية بالغة مع ما بينهما من الرحم فجازاه على اساءته بالاحسان الزائد اليه
(مائة من النعم ثم مائة ثم مائة) والنعم اسم جمع للابل لا واحد له من لفظه وجمعه
انعام وقال الهروى هو الابل والبقر والغنم (قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب
ان صفوان قال والله لقد اعطانى ما اعطانى وانه لابغض الخلق الى فما زال يعطينى حتى
انه لاحب الخلق الى) بعد ما كان اشد الناس عداوة له لقتل ابيه يوم بدر ولم يشهد وهو
كافر حنينا ثم رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الجعرانة فبينما هو يسير
فى الغنائم ينظر اليها ومعه صفوان جعل صفوان ينظر الى شعب ملئ نعما وشاء وادام
النظر اليها ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يرمقه فقال له ابا وهب يعجبك هذا
الشعب قال نعم قال هو لك وما فيه فقال صفوان ما طابت بهذا الانفس نفس
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وكانت زوجته اسلمت وله فاقر

الى صلى الله تعالى عليه وسلم بكاحه عليها واختلف فيما كان يعطيه صلى الله تعالى عليه وسلم للمؤلفه هل هو من خمس الخمس الذى هو حقه او من الخمس او من الغنائم واما اعطاء مؤلفه الكفار فكان جائزا فى صدر الاسلام وهل هو من الزكوة او من بيت المال ثم منعوا منه فى خلافه الصديق او فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنهما * فان قلت ما مناسبة الحديث لما نحن فيه * قلت لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى صفوان لما بان ويئه من الرحم خوفا عليه ان يستمر على عداوته وكفره فيهلك فاحسن اليه حتى حسن اسلامه سبقه علمه من ان يحل به النقمة والعذاب وقد تقدم اعطاؤه اكثر من ذلك (وروى ان اعرابيا جاء يطلب من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا فاعطاه) هذا الحديث رواه البزار عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه بسند ضعيف وكذا ابن حبان وغيره ولم يسموا الاعرابى (ثم قال احسنت اليك قال الاعرابى لا ولا اجملت) الذى فى النسخ احسنت بهمزه واحده فهمزه الاستفهام مقدره كقوله

ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصا والتراب

ومثله كثير نفيس والاستفهام استفهام تقريرى وقوله لا رد لقوله احسنت واجملت يعنى فعلت فعلا جميلا محمودا وقال بعضهم معناه ماء دلت فى الاخذ والعطاء اوما اكثرت وهذا اولى اسهى واللغه لا تساعده وانما حمله عليه الهرب من التكرار ولا تكرار فيه لانه من ذكر العام بعد الخاص وقيل لا يعد تكرارا لما فيه من المبالغه وفى ذلك غلظه وسوء ادب (فغضب المسلمون) من كلامه وجراءته عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقاموا اليه) ليضربوه ويجازوه بما يستحقه (فاشار اليهم ان كفوا) اى اشار بيده اليهم اشارة فهموا منها الامر بكفهم اى تركهم ما ارادوه وان تفسيرية اومصدريه على الخلاف المشهور عند اهل العربية وهذا من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وسبقه بأنما له احسن اسلامه (ثم قام) من مجلسه (ودخل منزله وارسل اليه) بعطيه (وزاده) اى زاده على ما اعطاه اولا (ثم قال احسنت اليك) فيه مقدر وهو خرج وقال له ذلك (قال نعم) احسنت الىّ (فجزاك الله) على احسانك ولطفك بى (من اهل وعشيره خيرا) مفعول جزاك وما بينهما اعتراض والفاء تفريعية وسببية لما بعده وقيل انها فصيحه فى جواب شرط مقدر او عاطفة على مقدر اى احسنت واجملت فجزاك الى آخره ومن فى من اهل قيل انها بيانيه مثلها فى قوله لجعلنا منكم ملائكة فى الارض اى بدلكم فالمعنى بدلا من اهلى وعشيرتى الذين لم يحسنوا الى وقيل ليس هذا مراده بل مراده انه صار اهلا له وعشيره اى قبيله اما لفعله فعل العشيره وهذا كما يقولون للقادم اهلا وسهلا اولما تقدم من انه صلى الله تعالى

عليه وسلم في كل قبلة قراءة وعرقا في اما لغاية كقوله تعالى (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) اى لاجل ذكر الله واما كونها للفصل والتمييز كما في قوله تعالى (اتأتون الذكران من العالمين) اى متجاوزين من بين العالمين بهذا الفعل الفسيح وحيد حدا ثم اشار المصنف رحمه الله تعالى الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم زاد لطفا فارشده بقوله (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انك فاتك ما فاتك) في جوابك وردك على (وفي انفس اصحابي من ذلك شيء) تنكيره اما للتحقير اى شيء حقير لا يعتد به عندي او للتعظيم اى امر عظيم عندهم لا دبا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ووضع اسم الاشارة موضع الضمير لجعله كالمشاهد المحسوس لاستحضاره وتذكيره تعاوقع منه من الامر العجيب (فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي) على قوله على تحية واراد به لطفا منه صلى الله تعالى عليه وسلم اى لطف معناه دفع عظيم ينبغي ان يصل منه ويوقه من السفه بالامة ما لا يخفى وبين الادنى كناية عن حضوره وعلمه لهم وليس المراد اليد به الحقيقة بل المقابلة مع القرب وقد يعبر به عن المشاقل نحو نعلم ما بين ايديهم وما خلفهم (حتى يذهب ما في صدورهم عليك) اى الغضب والالم الذي في قلوبهم بسبب ما اساءه اولا (قال نعم) اى اقول لهم ما قلت لك (فلما كان الغد او العشى) المراد بالغد صبيحة اليوم الذي بعد اليوم الذي كلمه فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والغداة من طلوع الفجر الى الزوال والعشي ما بعد الزوال الى الغروب والشك هنا من الراوي (جاء) اى الاعرابي الى مجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لاصحابه الحاضرين عنده (ان هذا الاعرابي قال ما قال) لي اولا اساءة ادبه لغلظة طبعه ولذا وصفه بالاعرابي لما عرف من حال الاعراب (فزدناه) على عطائه الاول (فزعم انه رضي) بحمله ما اعطيناه له والزعم هنا بمعنى القول الحق وهو يستعمل بهذا المعنى كقول الشاعر

فان تزعميني كنت اجهل فيكم ✽ فاني شريت الحلم بعدك بالجهل

ويكون بمعنى القول الباطل كقوله تعالى هذا لله بزعمهم ولذا قالوا زعم مطية الكذب وفي التعبير ايماء الى ما في نفسه من الحرص والطمع ثم التفت صلى الله تعالى عليه وسلم الى الاعرابي وقال له (اكذلك) فالاستفهام متوجه منه صلى الله تعالى عليه وسلم للاعرابي اى الامر كذلك من انك رضيت وان كان ما قلته كلاما منسوبه موجها لاصحابه رضي الله تعالى عنه فالجار والمجرور خبر مقدر اى الامر كذلك (قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا) تقدم مافيه (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثلي ومثل هذا) الاعرابي المثل يكون بمعنى القصة وبمعنى الكلام المشبه مورده بمضربه ويكون استعارة لحاله وشبه بها للامر كما كقوله تعالى فمثلهم كمثل الذي

استوقد نارا) الآية ويكون ذلك لزيادة الوضوح والتقرير فانه اوقع في النفس لانه يترك المخيل محققا والمعقول محسوسا لما فيه من الشأن الغريب وهو في الكلام الالهي والاحاديث النبوية كثير (مثل رجل له ناقة شردت عليه) اي نفرت منه وذهبت في الارض يقال شردت الدابة والانسان اذا نفر وجرى جريا شديدا لا يلحق شرودا وشرادا واصل التشريد التفريق خوفا قال الله تعالى فشرد بهم من خلفهم قال ابن عرفة اي افعل بهم فلا يجترئ من وراءهم فيشردهم (فاتبعها الناس) افتعال من الاتباع اي مضوا وجروا خلفها ليمسكوها (فلم يزيدوها الا نفورا) اي لم يحصل باتباع الناس اياها الا زيادة هربها ونفورها لخوفها منهم (فناداهم صاحبها) اي الناقة (خلوا بيني وبين ناقتي) اي وقال لهم خلوا الى آخره فهو مفعول نادى لتضمنه معنى القول او مقول قول مقدر كما عرف في امثاله اي لا تتبعوها واتركوها واتركوني اتحال في امساكها (فاني) وفي نسخة فانا (ارفق بها منكم واعلم) اي انا اشفق عليها واعلم بحالها منكم (فتوجه لها بين يديها) اي جاءها من امامها (فاخذ لها من قمام الارض) القمام جمع قمامة كناسة لفظا ومعنى والمراد بها النبات الذي ترعاه الدواب شبهه به لخسته ولانه مما يطرح كالقمامة فاستعير لذلك (فردها حتى جاءت) فيه مقدر اي فدنت منه لتأكل ما بيده من الحشيش فامسكها وردها حتى اتى بها محله (واستناخت) اي بركت ومكنت عقدها من اناخ الجمل ونوخه اذا بركه (وشد عليها رحلها) الرحل للابل كالسرج للفرس وهو معروف (واستوى عليها) اي على ظهرها اي ركبها يقال استوى على الدابة اذا علا على ظهرها وركبها (واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال) اي لو لم اكفكم وامنعكم عنه حتى قال لي الرجل مقالته السيئة (فقتلتموه دخل النار) عقوبة له باساءته على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشبه المثال خسة الدنيا عنده بالقمامة وشبه نفسه بالرجل وشبه الاعرابي بدابة شاردة عن ربها وشبه الصحابة لما غضبوا وقاموا اليه بالناس التابعين لها الذين نفروها عن ربها وشبه قوله كفوا عنه بقوله خلوا بيني وبينها وفي قوله فاني ارفق بها منكم بيان لانه اعظمهم رفقا واوفاهم شفقة على خلق الله تعالى وهو شبيه في اعلى طبقات البلاغة لتضمنه هذه المعاني اللطيفة وقيل ويحتمل ان الرجل اما قال اولا ما قال اطلع على خاتمه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه سمع صفاته من اهل الكتاب وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علم بذلك وقيل ان حرمه بدخوله النار لكفره بما قاله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتي تلطف به حتى امن ونجا من النار وامثل وهذا الحديث رواه البزار وابو الشيخ بسند ضعيف عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وابن حبان في صحيحه وابن الجوزي في الوفا (وروي عنه) بالماء

للمجهول وضمير عنه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والراوي له ابوداود والترمذي عن ابن مسعود وفي نسخة وروى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (لايبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا) هذا نهي عام عن الغيبة والنميمة ونقل مايكره نقله من قول او فعل او ترك (فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر) سلامة الصدر كناية عن كونه ليس في قلبه بغض لاحد ولا غش على احد ومثله صلى الله تعالى عليه وسلم يقال له سليم القلب قال الله تعالى (الا من اتى الله بقلب سليم) اى برئ من الكفر والنفاق وهذا معنى آخر وقد صح عن انس رضي الله عنه مما رواه ابن مسعود قال قسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قسمة فقال رجل من الانصار والله ما اراد محمد بهذا وجه الله فاتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرته فتمعر وجهه وقال رحمه الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر رواه البخاري والمراد سلامة صدره له قول عدو او ناقل كما قيل سلك من بلغك والاولى اتقاؤه على اطلاقه ليشملهما وغيرهما وكل من النميمة والغيبة حرام الا في اماكن استثناها الفقهاء وقد نظمها الجوهري من فقهاء الشافعية في قوله

بست غيبة جازت تجدها * منظمة كامثال الجواهر

تظلم واستعن واستفت حذر * وعرف واذكرن فسق المجاهر

ويأتي لذلك مزيد بيان ايضا (ومن شفقته صلى الله عليه وسلم على امته تخفيفه) عنهم التكاليف الشاقة التي كانت في الامم السابقة وتجاوزه صلى الله عليه وسلم من ربه ان جعل الصلوة خمسا بعد ماكانت خمسين (وتسهيله) في امورهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لبدنك عليك حق ولزوجك عليك حق لمن اراد قيام الليل كله (وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم) الكراهة والكراهية من المكروه ضد المحبوب والكره ضد الطوع والمخافة بمعنى الخوف منصوب على انه مفعول له ثم بين ذلك بقوله (كقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (لولا ان اشق على امتي) اى لولا مخافة المشقة عليهم (لامرتهم بالسواك) اى امر ايجاب والا فامر الاستحباب ورد في الحديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم بالسواك واسا كوا حتى تمسك بهذا الحديث بعضهم فجعله واجبا وورد بهذا الحديث فهو سنة واختلف في محل سنيته في الوضوء فقيل حال المضمضة وقيل قبل الوضوء وقيل مطلقا من غير تعيين وقت له وهو من سنن الدين لا من سنن الوضوء كما اختاره الزيلعي رحمه الله تعالى والسواك مصدر بمعنى الاستياك واسم العود نفسه والمراد به الاول او الثاني بتقدير مضاف اى استعماله وهو مذكر وجوز بعض اهل اللغة تأنيثه (مع كل وضوء) وفي نسخة عند كل صلوة وهذا الحديث رواه اصحاب الكتب الستة والوضوء بضم الواو مصدر وبفتحها ماسوضأ به كالطهور واجاز بعضهم في المصدر الفتح وقد جاء في المصادر الفتح ايضا وقال

ابو شامة رحمه الله تعالى فى كتاب السواك السواك مأخوذ من قولهم تساوكت الابل اذا اضطربت من الهزال فيما قلقت من الضعف لما فيه من الحركة وقوله مع كل وضوء روى مع كل صلوة وعند كل صلوة كما علم وهل هو عام لكل صلوة فرضا او نفلا او الصلوات الخمس ذهب الى كل جماعة وقال الشافعى احب السواك للصلوة وعند كل حال تغير فيها الفم كالاستيقاظ من النوم وهو يشمل الصائم وفيه كلام للفقهاء وكره له بعد الزوال فلا يحصل له بعد نحو نوم بعده ورواية الموطأ مع الوضوء قال ابو شامة يحتمل معنيين اى لامرتهم بالسواك مصاحبا للوضوء او لامرتهم به كما امرتهم بالوضوء وله فيه كلام طويل وقوله (وخير صلوة الليل) هو ما قال الشيخ قاسم بن قطلوبغا فى تخريجه لاحاديث الشفاء ومن خطه نقلت عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه قال احتجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حجيرة بخصفة او حصير فى المسجد فى رمضان فخرج فصلى فيها قال فسمع رجال وجاؤا يصلون بصلاته قال ثم جاؤا فحضروا فابطأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يخرج اليهم فرفعوا اصواتهم وحصبوا الباب فخرج اليهم مغضبا فقال لهم مازال بكم صنيعكم حتى ظننت انه سيكتب عليكم فعليكم بالصلوة فى بيوتكم فان خير صلوة المرء فى بيته الا المكتوبة رواه الشيخان وفى رواية خشيت ان تفرض عليكم فتعجزوا عنها انتهى وهذا هو المناسب للمقام ولما قبله واليه اشار السيوطى ايضا فى مناهل الصفا فى تخريج احاديث الشفا لا ما قيل انه اراد به حديث صلوة الليل مثنى مثنى وبه استدل على ان الافضل فى الليل الا ان يكون ركعتين ركعتين وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى الافضل الليل والنهار الاربع لدليل لاح له وقد علمت ان الاول هو المناسب هنا ويناسبه ما روى خذوا من العمل ما تطيقون اذا نعس احدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم وهذا هو الذى قاله التلمسانى فى حواشيه ايضا * فان قلت كيف يخشى صلى الله تعالى عليه وسلم افتراضه بعد فرض الصلوة فى الاسراء وقول الله تعالى لا يبدل القول لدى * قلت قيل يحتمل ان الله اوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلوة جماعة افترضها عليهم او انه وقع فى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك او المعنى انى خشيت ان يظنوها فرضا اذا داومت عليها ولا يخفى بعده وان قيل ان ما فى الاسراء هى وظيفة كل يوم وهذه مخصوصة برمضان او انه لما كان قيام الليل فرضا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم خشى ان يسوى بغيره من الامة وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا واظب على شئ من اعمال البر واقتدى الناس به يفترض وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم واظب على اشياء كثيرة ولم تفترض كرواتب الفرائض والسنن المؤكدة وقيل ان المراد بالفرض فرض الكفاية وقول الكرمانى ان قوله تعالى لا يبدل القول لدى معناه نفى النقص لان الزيادة لا تعد تبديلا وهذا لا يقبل النسخ لانه خبر واحتمال انهم لرغبتهم فى العبادة يفرضون ذلك على انفسهم كالنذر فيشق على

من بعدهم بعد ايضا وعلى كل حال فالمقام لايخلو من الاشكال (ونهيهم) مصدر مضاف للمفعول اى نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الصحابة رضى الله تعالى عنهم (عن الوصال وكراهة (٢) لهم والوصال فى الصوم وهو ان يصوم يومين فاكثر من غير اكل وشرب بينهما ونهيه عن الوصال ثابت فى الصحيحين فانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما واصل واصل الناس وشق ذلك عليهم فلما بلغه ذلك نهاهم عنه فقالوا له انك تواصل فقال انكم لستم مثلى انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى فهو من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه يجوز له الوصال ويمنع منه غيره واختلف فيه هل كراهته تحريمية او تنزيهية او يفرق بين من يطيق ومن لا يطيق وعلم من الحديث وجه اختصاصه ومعنى كون الله يطعمه ويسقيه انه يعطيه قوة روحانية وتغذيه بانوار ربانية بحيث لا يضعف بدنه بترك الطعام والشراب بل يزداد قوة وذلك باتصال روحانيته بعالم الغيب حتى يحصل له بدل ما يتحلل من الغذاء فهو معتاد له وليس هذا خاصا به فى كل الاوقات الا ترى ان المريض يمكث مدة طويلة لا ياكل ولا يشرب ولو فعل ذلك فى حال صحته لم يطقه لاشتغال روحه عنه وقد اتفق على هذا علماء الشرع والحكماء كما فصله ابن سيناء فى مقامات العارفين فلا يرد عليه انه صلى الله عليه وسلم كان فى بعض الاحيان يجوع جوعا شديدا حتى يشد الحجر على بطنه والترمذى الحكيم لما لم يقف على هذا انكره او وهم ان بين الحديثين تنافيا حتى ادعى انه تصحيف وتحريف ممن رواه وانما هو الحجر بضم الحاء المهملة وفتح الجيم والزاى المعجمة جمع حجزة وهى من تشقه فى الحزام وقال ما معنى شد الحجر ولم يدر انه يثقله ويرده ويجمع الامعاء ويشدها ويقيم الصلب الضعيف وانكاره للحديث الصحيح وحمله على غير ظاهره كما قيل بان تغذيه حقيقة من طعام الجنة يابآه المقام لانه لو كان كذلك لم يكن وصالا (وكراهته دخول الكعبة) اى من شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم على امته كراهته دخول الكعبة فى الحديث الذى رواه ابو داود والترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وصححاه وكذا رواه ابن خزيمة والحاكم عنها ايضا مصححا مسندا وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من عندها وهو قرير العين ثم رجع وهو كئيب اى محزون فسالته عن ذلك فقال خشيت ان اكون شققت على امتى اى بدخولى البيت وكان ذلك فى حجة الوداع وكانت عائشة رضى الله تعالى عنها معه وبهذا جزم الطبرى والا فهى واختلفوا هل صلى فيه ام لا وفى بعض شروح البخارى يحتمل ان يكون دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم الكعبة وقع مرتين صلى فى احداهما ولم يصل فى الاخرى وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم دخل الكعبة متفق عليه قال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم البيت هو واسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة رضى الله تعالى عنهم واغلقوا عليهم الباب فلما فتحوه كنت اول من ولج و أت

(٢) هذا اللفظ وقع فى نسخ الشهاب هنا مكررا فكأن ماوقع هنا مصروف لكراهة الوصال فلو اكتفى بما ذكر بعد اعنى قوله وكراهته دخوله الخ كما فى نسخ المتن والشروح وفهم كراهة الوصال من النهى الواقع لكان اولى ليكون موافقا للمتون فليراجع فانه مصححه طاهر

بلالا هل صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها قال نعم بين العمودين اليمانيين فكان ابن عمر اذا دخل مشى قبل الوجه ويجعل الباب قبل ظهره حتى يكون بينه وبين الجدار قريب من ثلاثة ادرع فصلى يتوخى المكان الذى صلى فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا بأس على احد ان يصلى فى اى جهة شاء وهذه الرواية مرجحة على رواية اسامة بن زيد انه دعا فيه ولم يصل لان المثبت مقدم على النافى لزيادة علمه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قدم مكة بعد الهجرة ثلاث مرات * الاولى فى عمرة القضاء ولم يدخل فيها الكعبة لما فيها من الاصنام والكفر باق بها * والثانية فى فتح مكة وفيها دخل الكعبة وامر باغلاق بابها فلبث فيها مليا ثم فتح الباب قال عبد الله بن عمر فلقيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خارجا وبلال على اثره فقلت له هل صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال نعم قلت اين قال بين العمودين تلقاء وجهه ونسيت ان اسأله كم صلى * والثالثة فى حجة الوداع واختلف فى انه دخل الكعبة فيها ام لا واغا كره دخولها فى حجة لئلا تجعله الناس من المناسك اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد لا تيسر لهم ذلك وقد اختلفوا فى كونه من المناسك والصحيح انه ليس منها تمسكا بهذا الحديث وقوله (لئلا تعنت امته) بالمثناة مفتوحتين وعين مهملة مفتوحة ونون مشددة وقد ياه فوقية تفعل من العنت وهو المشقة والاثم ووقع فى بعض النسخ تعنت من التعنت كما قاله القسطلانى وامته فاعل عليهما وروى بنصب بضم التحتية وسكون العين وكسر النون من اعنته بمعنى عنته وامته منصوب مفعول وبالتحتية والتشديد ايضا ونصب امته فيه وجوه مروية (ورغبته) اى طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان تخفف عنهم) اى لامته اى لاجل منهم (رحمة بهم) والسنة والسنة بمعنى واصله من السنة وهى مخرج الشعر من الدبر لما فيه كسر وسيأتى بيان هذا (وانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسمع بكاء الصبى) وهو فى صلاته (فيتجوز فى صلاته) التجوز تفعل من الجواز والمراد به هنا انه يخففها ويسرع فيها مستعار من تجوز عن ذنبه اذا لم تؤاخذه به كتجاوز او هو من الجواز فى السير والصبى المراد به الطفل الرضيع وهذا رواه ابن السنى فى حديث صحيح عن انس رضى الله تعالى عنه كما قاله السيوطى وروى الشيخان عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال انى لادخل فى الصلوة وانا اريد اطالتها فاسمع بكاء الصبى فاتجوز فى صلاتى مما اعلم من شدة وجد امه من بكائه ودليل فيه على جواز دخول الصبى والنساء فى المسجد لاحتمال ان يكون ذلك من بيوت مجاورة له ولا دليل فيه ايضا على جواز تطويل الصلوة لاجل من يلحق الجماعة كما قيل والمراد بالتخفيف مالا يؤدى الى عدم تعديل الاركان والاخلال بالواجبات كما لا يخفى (ومن شفقته صلى الله تعالى

عليه وسلم) على امته ورحمته لهم (ان دعا ربه وعاهده) هذا مفسر لما من
ولو اقتصر على هذا كان اخصر واظهر والمراد بالمعاهدة الزام ما لا يلزمه شرعا
كالنذور كما قاله الراغب اى دعا بذلك ونذر قصده ما ذكر (فقال ايما رجل سببته
او لعنته) تفسير لما دعا به وعاهد الله عليه واللعن اصل معناه الطرد والابعاد ثم
خص بالبعد من رحمة الله (فاجعل ذلك) السب واللعن (زكوة) اى تطهيرا له
مما ارتكبه مما اقتضاه (وصلوة ورحمة وطهورا) اى مطهرا له من ذنوبه (وقربة
تقربه بها اليك يوم القيامة) كما رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه
وروى هذا الحديث من طرق اخر فيها ايما رجل من المسلمين او من المؤمنين وروى
او جلدته ومعلوم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يغضب لنفسه وانما يغضب لله
فاذا رأى احدا من المؤمنين وقع منه ما يخالف امر الله ربما حصلت له غيرة لامر الله
فادى بزجره وسبه او ضربه ثم انه رجا من الله ان يكون ذلك مكفرا لما صدر منه
ورحمة عظيمة مقربة له من الله لان المؤمن اذا رأى غضب النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم حصل له خوف شديد يهيب قلبه فيكون سببا لتوبته جزاء عمله وزجر
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم زيادة فى حسناته تقربه من ربه وهذا لا ينافى ما ورد
فى حديث آخر (انى لم ابعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة) اما لان المنفى هنا
المبالغة والكثرة ان لم نقل المبالغة فى النفى فان قلنا بها فالمعنى انه ليس هذا مقصودا
من بعثته فلا ينافيه وقوع ما يخالفه للتأديب نادرا واما حمل ما صدر منه صلى الله
تعالى عليه وسلم على ما قبل البعثة ينافيه قوله من المؤمنين او المسلمين وسياق الحديث
فى قوله جلدته يأباه او انه لما رجا من الله ان يكون ذلك رحمة لهم لم يكن لعنا حقيقيا
بل رحمة فلا لعن منه لاحد من امته اصلا وبالجملة فهو صلى الله تعالى عليه وسلم
رحمة واذيته نعمة لا نقمة بخلاف غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فان دعاءهم
نقمة عاجلة على اممهم وفى المصابيح ان الله اجاركم ان لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا
وسيأتى تتمة هذا فى القسم الثالث فصار دعاؤه عليهم دعاء لهم على حد قولهم
قاتلهم الله وتربت يداه وفى هذا نهاية الشفقة واول الحديث (اللهم انما محمد بشر
يغضب كما يغضب البشر وانى اتخذت عندك عهدا لن تخلفه فايما رجل الى آخره)
وهذا كما مر لا ينافى دعاءه صلى الله تعالى عليه وسلم على بعض الكفرة والمنافقين
(و) من عظيم شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم ما اشار اليه بقوله و(لما كذبه
قومه اتاه جبريل عليهما الصلوة والسلام فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك
وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم
عليه وقال مرنى بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فقال النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله تعالى من اصلابهم من يعبد الله وحده

ولا يشرك به شيئا) هذا الحديث رواه الشيخان واصحاب الكتب الستة وكان ذلك
لما مات ابو طالب ونالت قريش منه صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم تنله في حياته فخرج
لثقيف ومعه زيد بن حارثة يلتمس النصرة منهم والمنعة فعمد الى نفر من رؤسائهم
فجلس اليهم وكلمهم ودعاهم الى الاسلام فكذبوه وسلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم
فجعلوا يسبونه ويصيحون به ويرضخونه بالحجارة حتى ادموا رجليه وهم يضحكون
وزيد رضي الله تعالى عنه يقيه بنفسه حتى انتهى صلى الله تعالى عليه وسلم الى حائط
استظل بكرمه وهو مكروب موجع فاذا في الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة
فلما رأهما كره ذلك لما يعلم من عداوتهما له فرحماه ودعوا غلاما لهما يقال له عداس
وقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في طبق واذهب به له ليأكله فلما وضعه
قال صلى الله تعالى عليه وسلم بسم الله ثم اكل فقال الغلام ان هذا الكلام لا يقوله
اهل هذه البلاد فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم من اي البلاد انت وما دينك
قال نصراني من اهل نينوى فقال من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال
وما يدريك بيونس قال ذاك اخي من انبياء الله فاكب يقبل رأسه ورجليه فلما رجع
قالا له مالك قبلت رجليه قال ما في الارض خير من هذا لقد اعلمني بامر لا يعلمه الا
نبي فقالا له ويحك ياعداس لا يصرفنك عن دينك وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم
ان هذا من اشد ما لقيت والقصة مفصلة في السير وقوله وما ردوا عليك اي
ما اجابوك به وما ردوا قولك وخالفوه اذ كذبوك وقوله فناداه ملك الجبال اي قال له
يارسول الله السلام عليك وقوله اطبق بضم الهمزة وسكون الطاء المهملة وكسر
الموحدة مخففة ومشددة وقاف اي اضمهما واجمعهما حتى يهلكوا بينهما
وملك الجبال هو الموكل بها بامر الله والاخشبين بالمعجمة اخشب بخاء وشين معجمتين
وموحدة بزنة افعل جبلان يضافان تارة لمكة وتارة لمنى فيقال اخشبا مكة واخشبا منى
وهما ابو قبيس وقعيقعان بالتصغير ويسميان الجبجبان وهما تحت العقبة التي هي
فوق المسجد كما قاله البرهان الحلبي وقعيقعان هو الجبل المشرف الاحمر وثم
قعيقعان آخر بالبصرة وسميا اخشبين لغلظ حجارتهما وخشونتهما واصلاب جمع
صلب الظهر والمراد بالاخراج منها ان يخلق لهم نسل وذرية وقد حقق الله رجاءه
صلى الله عليه وسلم (وعن ابن المنكدر) وفي نسخة وروى ابن المنكدر هو محمد بن
المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزيز المدني توفي سنة ثلاثين او احدى
وثلاثين ومائة وهم ثلاثة اخوة وكان يدخل على عائشة رضي الله عنها وهو تابعي
وقد تقدم قوله (ان جبريل عليه الصلوة والسلام قال للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم) باسقاط الصحابي فهو مرسل قال البرهان وانما يكون مرسلا اذا قلنا ان الصحابي
اذا قال قولا لا مجال للاجتهاد فيه يكون مرفوعا كما ذكره الامام الشافعي رضي الله

تعالى عنه فيكون ماقاله النبي مرسلا وفي بعض الشروح نعم هو مرسل الا ان ارساله لايضر من قوله اذ مرسل اصحاب القرون الثلاثة مقبول عندنا وعند مالك بل هو فوق المسند لبرهان قام عليه عنده وعند الشافعي مرسل الصحابي مقبول لكنه دون المسند وفي التنقيح الاصولي حكاية قول مرسل الصحابي بالاجماع وفيه نظر لمخالفة ابي اسحاق الاسفرائني فيه كما نقله العراقي وقيل انه خلاف طرا بعد انعقاد الاجماع في العصر الاول ومثله لايضر وفيه نظر ولنا في اطلاق هذه المسئلة بحث ذكرناه في حواشي النخبة (ان الله امر السماء والارض والجبال ان تطيعك) المراد باطاعة السماء له صلى الله تعالى عليه وسلم انه ان اراد ان تمطر صواعقها على من عصاه فيهلكهم كان ذلك والارض ان اراد خسفها بهم وانطباقها عليهم كان ذلك من غير مهلة ووحد ضمير تطيعك مع عوده على شيئين معطوفين بالواو لجعلهما كشيء واحد لتأويلهما بالعالم او الدنيا وكان الظاهر تطيعاك وفي بعض النسخ والجبال وعلى هذا لاحاجة الى التأويل لان الجمع جوز عود ضمير المؤنث المفرد عليه وفيه مراعاة النظير وحسن الترتيب اي بان تطيعك في كل ماتريد (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (أؤخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم) رجاء انهم يتوبون عن مخالفتي ويوفقهم للايمان فيتوبون ويقبل الله منهم ذلك اويكون منهم من يعبد الله ولايشرك به شيئا واصل معنى التوبة الرجوع فهي من العباد الرجوع عن المعاصي ومن الله قبول ذلك اومن الرجوع عن الغضب عليهم والعقوبة لهم ولامنافاة بين هذا وبين قوله وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم ولابين ماوقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم في غزواته من القتل والاسر كما توهم لانه عذاب مخصوص ولان التأخير لاينافي ماوقع بعده كما لايخفى والاحسن ان جوابه معلوم من قوله الآتي مالم يكن اثما فتدبر (قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ماخير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين امرين الااختار ايسرهما) تقدم هذا الحديث وانما اعاده هنا تأكيدا لما قبله وايسرهما اي اسهلهما واهونهما على الامة شفقة ورحمة منه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم وبقية الحديث مالم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه كما سيأتي وكذا رواه الشيخان وتقدم الكلام عليه (وقال ابن مسعود رضي الله عنه) في حديث رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة) بفتح المثناة التحتية وفتح التاء الفوقية والخاء المعجمة والواو المشددة المفتوحة واللام والضمير للصحابة اي يتعهدنا يقال فلان خائل مال وهو الذي يصلحه ويقوم عليه ومنه الخولي لراعي النعم والمواشي وقيل الصواب يتحولنا بالحاء المهملة اي يطلب الحال التي ينشط فيها لاستماع الموعظة فيعظ فيها ولايكثر منها (مخافة السآمة علينا) اي الملل بكثرة التكرار وقيل

انه يتخوننا اي يتعهدنا كما يتعهد الصوف بالحوار والمائدة والرواية الصحيحة
بالاعجام مع اللام والنون كما مر وكان فعل ماض اذا اخبر عنه بالمضارع الدال
على الاستمرار التجددي دل على التكرار عرفا والموعظة مصدر ميمي بمعنى الوعظ
وهو التذكير والتخويف من سوء العاقبة ومخافة منصوب مفعول له وهو مصدر بمعنى
الخوف كما مر والسآمة بالمد وعلينا متعلق بمخافة وتعلقه بالسآمة بتضمين المشقة تكلف
وان جاز وقيل انه حال من السآمة وهو الارجح او صفة لانه في معنى النكرة كقوله تعالى
﴿كمثل الحمار يحمل اسفارا﴾ وفي افادة كان التكرار كلام مفصل في كتب الاصول
(وعن عائشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة) اي شدة بحيث لا ينقاد
لراكبه اذا اوقفه واذا سيره (فجعلت ترده) اي تمشي به وترجع واصل التردد عدم
البقاء على حاله ومنه تردد الانسان في الاماكن لحاجة تعرض له ومنه التردد في الخواطر
وانما فعلت ذلك لتروضه حتى ينقاد لها (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لعائشة (عليك بالرفق)
اي استمسكي بالرفق في امورك ولا تتعبي الدابة التي ركبت فيه دلالة على شفقته صلى الله
تعالى عليه وسلم على خلق الله حتى الحيوانات وعليك بكسر الكاف اسم فعل متعدي
بنفسه وبالباء كما ذكره النحاة والرفق بفتح اوله ويكسر وكذا كل فعل بابه حرف
حلق ويطلق على الحلم والتأني وقيل هو الحلم الازل وهو الموافق للاستعمال وهذا
الحديث اخرجه البيهقي في سننه عن المقدام عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها انها
كانت على جمل فجعلت تضربه فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ياعائشة
عليك بالرفق فانه لم يكن في شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه وختم بهذا الحديث
لما فيه من العموم فهو كالمذلكة لهذا الفصل ﴿فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم
في الوفاء﴾ هو ضد الغدر ونقض الذمة (وحسن العهد) اي ماعاهد عليه والحرمة
وهو عطف تفسير لما قبله (وصلة الرحم) هو الاحسان الى الاقارب والاصهار والرفق
بهم وعفو زلاتهم ونصحهم والتودد اليهم وضده قطع الرحم وهذا اذا لم يكونوا كفارا
اعداء الله كابي لهب وابي جهل والرحم اصله مقر الولد ثم استعمل بمعنى القرابة بعيدة
او قريبة بواسطة وبدونها (حدثنا القاضي ابو عامر محمد بن احمد بن اسماعيل) بن
ابراهيم الامام المحدث الطليطلي ولد سنة ست وخمسين واربعمائة ومات بقرطبة في ربيع
الاول سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة (بقراءتي عليه قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد)
تقدم قال (حدثنا ابو اسحق الحبال) بفتح الحاء المهملة وتشديد الموحدة وهو
ابراهيم بن سعيد بن عبد الله المهدي الفقيه المشهور وقد تقدم قال (حدثنا ابو محمد
بن النحاس) تقدم ترجمته قال (حدثنا ابن الاعرابي) تقدم ايضا قال (حدثنا ابو داود)
صاحب السنن المشهورة وقد تقدم قال (حدثنا محمد بن يحيى) بن عبد الله بن خالد بن
فارس النيسابوري الامام الحافظ الجليل القدر توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين اخرج له

أصحاب السنن وغيرهم قال (حدثنا محمد بن سنان) بكسر السين ونونين بينهما ألف
العوقي بفتح العين المهملة والواو وبالقاف نسبة للعوق بطن من عبد القيس
غير مشهور قال (حدثنا إبراهيم بن طهمان) بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء وهو
الإمام أبو سعيد الخراساني المشهور روى عنه أصحاب الكتب الستة توفي في بضع وستين
ومائة وترجمته مبسوطة في الميزان (عن بديل) بضم الباء الموحدة وفتح الدال المهملة
وسكون الياء المثناة التحتية ولام ابن ميسرة العقيلي (عن عبد الكريم بن عبد الله بن
شقيق) العقيلي الإمام الفقيه (عن أبيه) عبد الله بن شقيق الإمام المعروف توفي
في زمن الحجاج (عن عبد الله بن أبي الحمساء) بحاء مهملة مفتوحة وميم ساكنة وسين
مهملة وبمدة العامري الصحابي وفي المغني أنه أعرابي الجدعاء وسيأتي حديثه في انتظاره
عليه الصلاة والسلام إلى يوم ثالث وشقيق ولد عبد الله أخرج له أبو داود فقط قاله
المزي بعد أن بين طرقه عند أبي داود وليس هو عند غيره وذكر كلام أبي داود الذي
نقله عن محمد بن يحيى شيخه وذكر زيادة على ما في نسخة عندي من السنن والظاهر
أنه من بعض النساخ وليس هو من كلام أبي داود مالمطه كذا وهو من زوائده
ورواه عثمان بن خرزاد عن محمد بن سنان هكذا وقال قال عبد الرحمن بن مهدي
ما أظن إبراهيم بن طهمان إلا أخطأ في عبد الكريم وإنما هو عبد الكريم بن عبد الله بن
شقيق عن أبيه عن أبي الحمساء ورواه أبو عون الزيادي عن إبراهيم بن طهمان
فلم يذكر عبد الكريم في إسناده وقال عن بشر بن السري رواه عن عبد الكريم بن
عبد الله بن شقيق وقال البزار أظن فيه غلطا من الناقل لأن شقيقا والد عبد الله جاهلي
لا أعلم له إسلاما وإنما عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن أبيه قال إذ لا نعلم أنه روى
عبد الله بن أبي الحمساء إلا هذا الحديث ووقع في الشفاء بخط أن أحدهما الخنساء بمعجمة
ونون والأخرى وعن أبي الحمساء بإسقاط عبد الله والأولى تصحيف والثانية خطأ
لأن أبا الحمساء لا إسلام له ولا رواية وإنما الرواية لولده عبد الله بن أبي الحمساء انتهى
(قال بايعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع) أي بعت متاعا للنبي صلى الله عليه وسلم
(قبل أن يبعث وبقيت له) أي لذلك المبيع (بقية) لم أسلمها له (فوعدته أن آتيه بها
في مكانه) أي في مكان وقع فيه البيع (فنسيت) الوعد الذي جرى بيننا (ثم ذكرت
بعد ثلاث) أي ثلاث ليال ولم يقل ثلاثة لأن المعدود إذا حذف يجوز تذكيره
مع المذكر وتأنيثه مع المؤنث كما قالوه في قوله صلى الله عليه وسلم وأتبعه ستا من شوال
وإنما يلزم قاعدة العدد إذا ذكر المعدود (فجئت فإذا هو في مكانه) أي مستقر
صلى الله تعالى عليه وسلم في مكانه لم يفارقه (فقال يا فتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ
ثلاث أنتظرك) وفي هذا الحديث دليل على وفائه صلى الله تعالى عليه وسلم بعهده
ووعده وهذا الحديث رواه أبو داود وهو من أفراده وأخرجه أيضا ابن منده في المعرفة

والخرائطي في مكارم الاخلاق (وعن انس رضي الله تعالى عنه كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اتى بهديه) مبني للمجهول اي اتاه احد بهدية (قال اذهبوا بها الى بيت فلانة) لم يسمها الرواة لعدم تعلق غرض بتعيينها (فانها كانت صديقة لخديجة رضي الله تعالى عنها) وفي رواية (انها كانت تحب خديجة) وهذا الحديث رواه البخاري في الادب المفرد (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت ماغرت على احد) وفي نسخة امرأة من نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم (ماغرت على خديجة) يقال غار الرجل والمرأة اذا غضب ممن فعل مقتضى امرا لا يرضاه وغيرتها كانت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة محبتها له وارادتها لصرف محبته لها دون غيرها وهذا امر طبعي لا لوم فيه واما كون الغيرة من خديجة فلا وجه له بعد موتها (لما كنت اسمعه صلى الله تعالى عليه وسلم يذكرها) تعليل للغيرة وما مصدرية اي لسماعي ذكرها ولو شددت لما وجعلت حينية جاز ولكن النسخ متفقة على الاول وعلى على اصلها وقيل انها بمعنى الباء كما في قوله اركب على اسم الله وقال في الاكمال معاتبة عائشة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الغيرة التي عفي عنها للنساء حتى ذهب مالك الى اسقاط الحد عن المرأة اذا قذفت زوجها غيرة منها ولولا هذا لكان على عائشة رضي الله تعالى عنها في معاتبتها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اعظم الحرج لانه كبيرة عظيمة وقد صرحوا بانها معفوة عند الله وفي الشرع (وان) بكسر الهمزة وسكون النون وهي مخففة من الثقيلة (كان ليذبح الشاة) ليس المراد انه يذبحها بنفسه (فيهديها) بضم الباء الاولى والمراد انه يهدي منها او يهديها تمامها والظاهر الاول لانه في الحديث فيهدي مايسعها او يسعهن (الى خلائلها) بالخاء المعجمة جمع خليلة بمعنى الصاحبة والصديقة (واستأذنت عليه) اي طلبت الاذن في الدخول له (اختها) اي اخت خديجة وهي هالة بنت خويلد بن اسد وهي ام ابن العاصي ابن الربيع الصحابية المشهورة رضي الله تعالى عنها (فارتاح اليها) اي حصلت له صلى الله تعالى عليه وسلم راحة اذ دخلت عليه واظهر السرور والمسرة برؤياها وهذا الحديث في البخاري وفي رواية ارتاع بالعين بدل ارتاح بمعنى مال اليها واعجبه مجيئها مختارا (ودخلت عليه امرأة فهش لها) اي تبسم فلا واظهر المسرة بدخولها كما تفعل الناس باصدقائهم ومن يحبونهم يقال هش وبش به اذا فعل ذلك استيناسا وقال هوهش بش اذا كان طلق المحيا غير عبوس سامح الاخلاق كما نقله الكرون (واحسن السؤال عنها) فيه مضاف مقدر بقرينة المقام وال في السؤال للعهد او بدل من المضاف اي احسن اليها سؤاله عن حالها وما هي عليه كما تقول لمن تزوره ما حالك وما انت عليه تلطفا به واعتناء بشانه كما هو عادة الناس

بفتح النون وكسرها وتشديد الياء وتخفيفها واسمه اصحمة وقيل صحمة بفتح الصاد وسكون الحاء المهملتين وقيل صمحة بتقديم الميم وقيل بخاء معجمة وقيل اسمه مكحول بن صصه وقيل سليم وقيل حازم وهو اسم لكل من ملك الحبشة وكان رضي الله تعالى عنه ممن اعان المسلمين لما هاجروا اليه وكاتب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واهدى له الهدايا وزوجه ام حبيبة رضي الله تعالى عنها وكتب له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فاسلم على يد جعفر بن ابي طالب سنة ست وكان بينه وبين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محبة عظيمة فلما توفي في رجب سنة تسع نعاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى على جنازته وبه استدل الشافعي رضي الله تعالى عنه على الصلوة على الغائب على ما تقدم وقصته مشهورة ولما توفي جاءه نجاشي آخر دعاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للاسلام فابى ومات كافرا (فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخدمهم بنفسه) تواضعا منه وارشادا لغيره (فقال له) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (اصحابه نكفيك) اي نحن نخدمهم ونكفيك من تعاطي خدمتهم فابى صلى الله تعالى عليه وسلم و(قال انهم كانوا لاصحابنا) الذين هاجروا لارضهم (مكرمين واني احب ان اكافيهم) اي اجازيهم على اكرامهم لاصحابنا باكرامهم ولا اكرام اعظم من تعاطيه صلى الله تعالى عليه وسلم امورهم بنفسه وهذا الحديث رواه البيهقي في دلائله مسندا (ولما جيء) مبني للمفعول اي جاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم (باخته من الرضاعة) بفتح الراء وكسرها بمعنى الرضاع (الشيماء) بفتح المعجمة وسكون المثناة التحتية والميم وهمزة ممدودة ويقال لها السيماء بتشديد الميم من غير ياء كما قاله المحب الطبري ويحتمل ان تكون الشيماء اصلها شيماء فابدلت احدى الميمين ياء كما في اما اما ويكون صفة بمعنى ذات سيم ثم نقل وجعل علما لها وهي بنت حليمة السعدية التي ارضعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل اختها وزوج حليمة هو الحارث بن عبد العزى وحليمة اسلمت وعدت من الصحابة على ما ياتي واسمها حذامة بجيم مضمومة ودال مهملة وقيل حذافة بحاء مهملة ودال معجمة وفاء وقيل حذافة بمعجمتين واخذت في زوجها ابو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاعة فلم يذكر احد من اهل السير اسلامه ولكن ذكره يونس بن بكير في روايته فقال حدثنا ابن اسحق عن ابيه عن بعض بني سعد بن بكر ان الحارث بن عبد العزى ابو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع قدم عليه بمكة بعد بعثه فقالت له قريش يا حارث ما تقول ابنك هذا فقال ما تقول قالوا يزعم ان الله يبعث الخلق بعد الموت وان لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم من اطاعه وقد شتت امرنا وفرق جماعتنا فقال يا بني مالك ولقومك يشكونك ويزعمون انك تقول لهم ان الناس يبعثون بعد الموت

ثم تصيرون الى جنة او نار فقال نعم ولو كان ذلك اليوم يا ابت احدث بيدك حتى اعرفك حديثك اليوم فاسلم وحسن اسلامه وكان يقول حين اسلم لو قد اخذ ابى بيدى فعرفنى ماقال لم يرسلنى ان شاء الله حتى يدخلنى الجنة انتهى (فى سبايا هوازن) السبايا جمع سبية بمعنى مسبية اى مأسورة وهوازن اسم قبيلة من بنى سعد بن بكر سميت باسم الاب الاعلى كما مر وهو هوازن بن نصر بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن نصر والمراد بكونها فيهم انها كانت مسبية معهم ايضا (و تعرف له) فقال تعرف له اذا اعلمه باسمه وشانه فهى اعلمته صلى الله تعالى عليه وسلم انها اخته رضاعا فقال لها صلى الله تعالى عليه وسلم ماعلامة ذلك فقالت عضة كنت عضيتنيها فى ظهرى فعرف ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصدقها جواب لما (بسط لها رداءه) اى فرشه لها لتجلس عليه اكراما لها (وقال لها) بعد ماجلست عنده (ان احببت اقمت عندى) مفعول احببت مقدر تقديره احببت الاقامة عندى وهذا يدل على انها اسلمت كما تقدم (مكرمة محبة) بالنصب على الحالية فيهما ومكرمة بضم اوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه اسم مفعول من اكرمه اذا فعل به مايحبه من احسان قولا وفعلا وكذا محببة فانه اسم مفعول من احبه ويقال حبه واحبه بمعنى والاكثر الافصح فى اسم المفعول ان يكون من الثلاثى فيكثر فيه محبوب وقل محب لكنه هنا احسن لاقترانه بمكرم وعليه الاستعمال كقول عنترة

واذا ارتحلت فلا تظنى غيره * منى بمنزلة المحب المكرم

وقولها جاريته خدمته مكرمة محبة وحبروا ذلك فصاغوا اسم الفاعل من المزيد فقالوا محب ولم يقولوا حاب (او يمتك و ترجع الى قومك فاختارت قومها فمتعها) ورجعت الى قومها ونقل له ماقال اصحاب السير انه لما قدمت اخته الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى وعرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسها فعرفها وبسط لها رداءه واجلسها عليه وخيرها فاختارت الرجوع لقومها وارضها وان يمتعها بالاحسان اليها فاعطاها عبدا وجارية وقال ابن عبد البر رحمه الله انها اسلمت فاعطاها ثلاثة اعبد وجارية ونعما وشاء وهذا منه صلى الله تعالى عليه وسلم صلة لرحمه لان الرضاع له حكم النسب والقرابة والنبي للاخوين (وقال ابو الطفيل) بضم الطاء المهملة وفتح الفاء منقول من مصغر الطفل جعل علما لعامر بن واثلة بالثاء المثلثة الكنانى الصحابى وهو آخر من مات من الصحابة ووقع فى بعض النسخ ابن ان الطفيل وليس بصحيح كما قاله البرهان الحلبى (رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانا غلام) الغلام كما فى كفاية المتحفظ عن بعض اهل اللغة الصبى اذا فطم الى سبع سنين ثم يصير يافعا الى عشر حجج وقد يطلق الغلام على الشاب التام الرجولية والمراد هنا الاول (اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه) اى قربت من مكانه

(٢) وزاد في نسخ المتن هنا قوله « فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته » قاله مصححه طاهر

الخالس منه (٢) وفي بعض النسخ بأخير قوله وانا غلام عن قوله اذ اقبلت الى آخره وهذا الحديث رواه ابوداود في سننه بسند حسن فقال حدثنا ابن المثنى قال حدثنا ابوعاصم قال حدثني جعفر بن عماره قال اخبرنا عمارة بن ثوبان ان ابا الطفيل اخبره قال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة وانا يومئذ غلام احمل لحم الجزور اذ اقبلت امرأة وساقه وقوله اذ يحتمل ان تكون ظرفا لرأيت اي رأيته وقت اقبال المرأة ويحتمل ان تكون للمفاجأة بتقدير بينا اي رأيته يقسم لحما وبينا هو كذلك اذ اقبلت امرأة الى آخره اوهي بمعنى قد والوجه هو الاول وفي هذا دليل على قبول رواية الصغير وفيه كلام مفصل في مصطلح الحديث قالوا وهذه المرأة هي حليمة امه صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع ومجيئها له صلى الله تعالى عليه وسلم كما في الاستيعاب كان في يوم حنين وقال الحافظ الدمياطي رحمه الله وزوجها لا نعرف له صحبة ولا اسلاما وما قاله ابن عبد البر من انها اتته صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين وبسط لها رداءه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر لم يصح وابن جعفر لم يدركها وانما التي جاءته هي بنتها الشيماء واما حليمة فانها جاءته صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة قبل النبوة في زمن خديجة رضي الله تعالى عنها فاعطاها اربعين شاة وجملا ثم انصرفت لاهلها وماتت فيما نقضي مجيئها له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد النبوة بالجعرانة بعد انقضاء حرب هوازن ومجيء وفدهم وليس كذلك انما هي ابنتها وجوز الذهبي رحمه الله تعالى ان تكون المرأة التي جاءته ثويبة مولاة ابي لهب الآتي ذكرها ويرده انها ماتت سنة سبع قبل هوازن ولما فتح مكة سأل عنها ابنها مسروحا فاخبره بموتها وصحح بعضهم خلافه ذكره ابن الجوزي في الوفاء وصنف الحافظ مغلطاي جزأ في اسلامها سماه التحفة الجسيمة في اثبات اسلام حليمة وايده وارتضاه علماء عصره وممن انكره ابوحيان (وعن عمرو بن السائب) عمرو بفتح العين وبالواو وهو ابن واثل المصري وقيل انه عمر بالضم وحذفها قال الحلبي والفتح غلط وصوابه الضم كما ذكره ابن حبان وقال انه من التابعين وروى عن اسامة بن زيد وروى عنه جماعة واخرج له ابوداود فقط كذا قاله البرهان في حواشيه وهو من اجلة التابعين وهذا الحديث رواه ابوداود بلاغا كما قاله السيوطي في شرحه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا يوما) قيل ظاهره ان عمرو شاهد هذه القصة وهو تابعي والحديث من مرسل زيد كما في سنن ابي داود قال عن احمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا ابن وهب قال حدثني عمرو بن الحارث ان عمرو بن السائب حدثه انه بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا الى آخره فاذ ذكره المصنف كما قاله ابوداود لكان اولى (فاقبل ابوه من الرضاعة) وهو الحارث بن عبد العزى زيد بعدم الكلام في

وفى اسلامه وكون الزوج المرضعة تسمى ابا وثابت بارضاع زوجته معنى له حكم النسب كما ان المرضعة امه لان المحل محرم وان لم يكن له حكم النسب من كل وجه واليه ذهب الفقهاء كافة غير الظاهرية والكلام عليه مفصل فى كتب الفروع (فوضع له) صلى الله تعالى عليه وسلم (بعض ثوبه) وفرشه له فى الارض ليجلس عليه (فقعد عليه ثم اقبلت امه) وهى حليمة كامر (فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاجلسه بين يديه) يعنى انه اجلس اباه عن يمينه وفرش له جانبا من ثوبه واجلس امه حليمة عن يساره وفرش لها جانبا من ثوبه اكراما لهما فلما قدم اخوه وهو عبد الله بن الحارث بن عبد العزى لم يبق جانب من ثوبه يفرشه فقام له صلى الله تعالى عليه وسلم لئلا تقصر فى توقيره عن ابويه وفيه دليل على انه يجوز القيام تعظيما لمن يستحق التعظيم خلافا لمن قال انه مكروه مطلقا وللاى صلى الله عليه وسلم عدة مرضعات منها حليمة هذه وثويبة مولاة ابى لهب الآتية وخولة بنت المنذر بن زيد بن لبيد وام ايمن وثلاث نسوة من سليم تسمى كل واحدة منهن عاتكة وهو احد القولين فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انا ابن العواتك وقيل الذى حدا به وسمى عاتكة مصحفه بالطيب (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يبعث الى ثويبة) بلم بقول من تصغير الثوب وهى (مولاة ابى لهب مرضعة) اى جارية مرضعة له وابو لهب كنيته واسمه عبد العزى وكنى بذلك لوضاءته وذكر بهذه الكنية فى القرآن للاشارة الى انه جهنمى كما مر (بصلة) اى عطية تحسن بها اليها (وكسوة) بضم الكاف وكسرها اى ثياب تلبسها (فلما ماتت) بمكة بعد هجرته عليه الصلاة والسلام (سأل من بقى من قرابتها) اى عمن بقى فهو منصوب بنزع الخافض او بتقديره وقال من بقى فهى اما موصولة او استفهامية والقرابة مصدر بمعنى قرب النسب ويجمع اسم جمع بمعنى الاقرباء كما ذكره ابن مالك وغيره خلافا للحريرى اذا انكره وقال لا يقال للاقرباء قرابة وانما يقال ذو قرابة كما قال الشاعر

يبكى عليه غريب ليس يعرفه * وذو قرابته فى الحى مسرور

(فقيل لا احد) اى لا احد من قرابتها باق واحد مرفوع بفعل مقدر اى لم يبق احد او مرفوع اسم لا العاملة عمل ليس او مفتوح اسمها والخبر مقدر عليهما وقوله وكان الى هنا سقط من بعض النسخ وما ذكر من حسن الوفاء وصلة الرحم ونحوه من مكارم اخلاقه وحسن عهده صلى الله تعالى عليه وسلم مالا يخفى وهذا الحديث رواه الواقدى وغيره واما ارضاع ثويبة له صلى الله تعالى عليه وسلم فثابت فى الصحيحين وهى اول من ارضعته ... مشروح المقدم ذكره انما قيل جاءته وارضعته ... الماضية ... فى اسلامها فانه ... ذكرها فى الصحابة ...

لما بشر به بولادة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورئي في المنام وهو يقول خفف عني العذاب باعتاقي ثويبة لما بشرتني به وفي السير انه اعتقها قبل ولادته بدهر طويل وهو المروي في غير السير وفي المواهب ما يخالفه والذي رآه في المنام اخوه حمزة بفتح الحاء المهملة او بكسرها وياء مثناة تحتية وباء موحدة وقيل انه بخاء معجمة وقيل نجم وهو تصحيف اي بسوء حال فهو من الحوبة وهي المسكنة والحاجة قالوا وانقلبت ياء لانكسار ماقبلها اوعلى خلاف القياس وتخفيف عذابه بسبب ما ذكر لا يعارض قوله تعالى في اعمال الكفرة (فجعلناه هباء منثورا) لانه بعد الحشر اولانه لمالم يخرجهم من النار فكانه لم يفدهم اصلا وفصله في حواشينا على القاضي (وفي حديث خديجة رضي الله تعالى عنها) الذي رواه الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها بسند صحيح (انها قالت له) صلى الله تعالى عليه وسلم في ابتداء امره لما رأى جبريل عليه الصلوة والسلام فحصل له به رعب شديد (ابشر) امر بفتح الهمزة وهي همزة قطع فقال ابشر وبشر بمعنى ويجوز وصلها وفتح الشين من بشر يبشر كعلم يعلم وهو امر المقصود منه تحصيل المسرة بالبشرى التي بعده وهو انشاء اريد به الخبر اي ابي مسرة لك والبشرى الخبر السار الذي تظهر اثره في البشرة (فوالله لايخزيك الله) وهذا الحديث تقدم شرحه في فصل الجود والكرم ويجوز في يخزيك روايتان ضم الياء واعجام الخاء من الخزي وهو النكال والفضيحة وبه روي لفظ المصنف هنا كما ذكره البرهان الحلبي واهمال الحاء من حزن واحزن وهي دون الاولى فلذا تركها المصنف رحمه الله تعالى وروى لايحزنك الله ابدا عن الزهري زيادة ابدا (انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق) وقد مر ذلك مبينا ﴿فصل واما تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم﴾ التواضع بضم الضاد المعجمة اظهار انه وضيع وهو اشرف الناس فالصيغة للتكلف في الاصل (على علو منصبه) قد قدمنا لك ان المنصب في كلام العرب بمعنى الاصل والحسب كما في قول ابي تمام

ومنصب نماه * ووالد سماه

وان استعماله في تولي الاعمال السلطانية كقول ابن الوردي

نصب المنصب اوهي جلدي * وعنائي من مداراة السفل

مولد لم يسمع من العرب ولذا عطف عليه قوله (ورفعة رتبته) فهو كالمفسر له والرتبة كالمنزلة رفعة القدر (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس تواضعا) منصوب على التمييز (واقلهم كبرا) وفي نسخة واعدمهم كبرا وفي نسخة بالجمع بينهما وهو افعل تفضيل من العدم وهذا انسب بمقامه صلى الله تعالى عليه وسلم لان اللائق به عدم الكبر لاقلته ووجهه هذه البرهان الحلبي بان القلة بمعنى النفي وقال ابو حيان في قوله تعالى (فقليلا ما يؤمنون) ان القليل يرد بمعنى النفي المحض كما في قولهم

اقل رجل يقول ذلك وقل رجل يقول ذلك وقلما يقوم زيد وقلما من الرجال يقول ذلك وقال الحافظ السخاوي في كتابه جواهر الدرر في مناقب شيخه ابن حجر ان ابن حجر رحمه الله تعالى سئل عن هذه العبارة وان بعضهم شنع على المصنف فيها ومحاها من النسخ فاجاب بان الاعتراض باطل لانهم تكلموا على الحديث الذي رواه النسائي عن عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو فقالوا يقل اللغو بمعنى لا يلغو اصلا قال ابن الاثير في النهاية لان قل تستعمل في النفي كما في الآية السابقة فمعنى هذه النسخة انه لا يقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم كبر اصلا كما في الحديث الصحيح وليس افعل فيه للمفضل فانه قد يخرج عنه كما في قوله تعالى ﴿ اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ﴾ ومثله افظ واغلظ فانه بمعنى فظ غليظ اي كامل وقال المصنف في شرح مسلم يصح حمله على المفاضلة والقدر الذي منه منه اغلاظه على الكفرة والمنافقين كقوله تعالى ﴿ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغلظ عليهم ويغضب عند انتهاك حرمات الله انتهى فقوله اقلهم كبرا بمعنى اسقاء الكبر عنه البتة او يحمل على شدته على الكفار والمنافقين كما في الذيل ولانه لان تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم ورأفته كانت بالمؤمنين لقوله تعالى ﴿ بالمؤمنين رؤف رحيم ﴾ وقوله في التوراة ليس بفظ ولا غليظ اي بالمؤمنين ونظيره ﴿ اشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ بمعنى اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم اعزة على الكافرين متكبرين عليهم يعادونهم فلا معنى لمحو النسخ والالفاظ انتهى واستدرك عليه عز الدين الحلبي بان تأويله الشدة والغلظ بكونها على الكفار والمنافقين فيه ان شدته وغلظه على نحو هؤلاء كانت اشد من عمر رضي الله تعالى عنه فلا يسلك انتهى * اقول الجواب الحق هو الثاني لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان متخلقا باخلاق الله تعالى عز وجل ومنها المتكبر فاتصافه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذه الصفة مدح في محلها ولذا قيل التكبر على المتكبر صدقة فالتكبر على الكفرة والمنافقين احيانا في محله ممدوح وهو في صفاته تعالى ذاتي دائم لا ينازعه احد رداءه الا قصمه الله والجواب الاول تعسف وليس من قبيل قوله تعالى ﴿ فما لا يؤمنون ﴾ واما تأويل المفضل بالنفي وخلع المفاضلة منه فمجاز على مجاز وضعف على ابانه واما اعتراض ابن الحلبي فلا وجه له وبعض الشراح والمحشين هنا كلام تركنا تركه خيرا منه ﴿ وخيرك ﴾ اي تكلمك في اسباب ما ذكر ﴿ انه صلى الله تعالى عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا ﴾ بكسر اللام اي سلطانا وخير مبني للمجهول اي خيره الله على لسان ملائكته في الحديث المشهور ﴿ او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا ﴾ فخيره الله بعد تفضله بالرسالة ان يكون شأنه كالملوك في اتخاذ الجنود والحجاب والخول والخدم والقصور فاختار مع الرسالة العامة

مقام العبودية والخدمة بنفسه في مهنة اهله تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وزهدا في الدنيا ولذا وصفه الله تعالى بالعبودية في عظيم مقاماته كقوله تعالى (سبحان الذي اسرى بعبده ليلا) وهذا من حديث صحيح رواه احمد عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (فقال له اسرافيل عند ذلك) اي حين اختار العبودية على الملك (فان الله قد اعطاك) هذه الفاء فصيحة عاطفة على مقدر اي اصبت وجزاك الله خيرا بما تركته (بما تواضعت له) الباء سببية وما مصدرية اي بسبب تواضعك له (انك سيد ولد آدم) بفتح همزة انك وهي وما بعدها مفعول اعطى والسيد من يفوق غيره في الشرف وهو يطلق على الله تعالى وعلى غيره في اصح الاقوال المشهورة وخصه بقوله (يوم القيامة) لانه لا اعلى من هذه السيادة حيث تسود صلى الله تعالى عليه وسلم فيه على الرسل وسائر البشر وفيه نكتة اخرى من اضمحلال كل ملك لمالكه حين يقول الله تعالى (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) لسائر مخلوقاته فتدبر (واول من تنشق عنه الارض) معطوف على سيد خبران وانشقاق الارض اخراج الموتى من قبورهم للبعث فلا يتقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم احد حينئذ واما حديث فان الناس يصعقون اي يغشاهم غشية كالموت يوم القيامة فاصعق معهم فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري اكان ممن صعق او كان ممن استثنى الله تعالى بقوله الا من شاء الله فلا ينافيه لان هذه الصعقة كما قاله التوربشتي صعقة فزع بعد البعث ويؤيده قوله يوم القيامة (واول شافع) يوم القيامة او في الجنة لترفع درجات الناس لان مقام الشفاعة مقدمة وفي قوله اول اشارة الى ان غيره من الملائكة وغيرهم يشفعون بعد ذلك * واعلم ان سفير الوحي بين الله ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل عليه الصلوة والسلام وعن الشعبي ان اسرافيل عليه الصلوة والسلام كان يأتيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالوحي في اول بعثته ويتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة والشيء ثم وكل به جبريل عليه الصلوة والسلام قال ابن عبد البر في الاستيعاب ارسل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم النبوة وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل عليه الصلوة والسلام ثلاث سنين وكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن به جبريل عليه الصلوة والسلام فنزل بالقرآن عليه عشر سنين وفي شرح البخاري لابن التين ان ميكائيل بدل اسرافيل ونقل البرهان عن ابن الملقن ان المشهور ان الذي ابتدأه بالوحي جبريل عليه الصلوة والسلام وانكر الواقدي كون غير جبريل وكل به وقال السيوطي رحمه الله تعالى في كتاب الحبائك لم اقف على ان جبريل افضل او اسرافيل ثم نقل احاديث متعارضة في ذلك وفيه ان اسرافيل نزل عليه صلى الله عليه وسلم بآية ذكرها (حدثنا الفقيه ابو الوليد بن الفواد الفقيه)

بفتح العين المهملة وتشديد الواو والف ودال مهملة وهو هشام بن احمد القرطبي وقد تقدمت ترجمته (بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة) وفي هذه السنة توفي رحمه الله تعالى (قال حدثنا ابو علي الحافظ) الغساني وقد تقدم والحافظ اذا اطلق يراد به حافظ الحديث بالرواية قال (حدثنا ابو عمر) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي الامام الحافل صاحب التآليف المشهورة كما تقدم قال (حدثنا ابن عبد المؤمن) ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن كما تقدم قال (حدثنا ابن داسة) ابو بكر بن محمد بن بكر وقد تقدم وان داسة بدال وسين مهملتين مفتوحتين بينهما الف قال (حدثنا ابو داود) صاحب السنن المقدم قال (حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة) عبد الله بن محمد بن ابي شيبة العبسي احفظ اهل عصره له ترجمة في الميزان مفصلة واخرج له الائمة الستة قال النووي ابو بكر بن ابي شيبة منسوب الى جده هو عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عثمان بن خواستي بخاء معجمة مضمومة ثم واو مخففة ثم الف ثم سين مهملة ساكنة ثم تاء مثناة من فوق مكسورة وابو شيبة هو ابراهيم وغلب على اولاد ابنه النسب اليه وهم ثلاثة عبد الله هذا وهو مشهور بكنيته وعثمان وقاسم فاما عبد الله وعثمان فامامان حافظان من احفظ اهل عصرهم وهما شيخا البخاري ومسلم واما القاسم فليس كهما بل ترك التحديث عنه ابو زرعة وابو حاتم الراويان الحافظان وابوهم محمد ثقة وجدهم ابراهيم ضعيف قال (حدثنا عبد الله بن نمير) بالنون مصغر النمر الهمداني ابو هشام بن هشام بن عروة الاعمش الحافظ اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة تسع وتسعين ومائة (عن مسعر) بكسر الميم وسكون السين وفتح العين المهملتين وراء مهملة ومنهاة موقد النار ويقال هو مسعر حرب للشجاع وهو مسعر بن كدام ابو سلمة الهلالي الكوفي المسمى بالمصحف لاتقانه وحفظه وممن اخرج له الستة وتوفي سنة خمس وخمسين ومائة وله الف حديث (عن ابي العنبس) بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وسين مهملة وهو الحارث بن عبد بن كعب العدوي الكوفي لم يخرج له غير ابي داود وذكره في الميزان ولم يذكر فيه شيئا (عن ابي العدبس) بفتح العين والدال المهملة وتشديد الباء الموحدة المضموحة وسين مهملة وهو تبيع بن سليمان الاسدي ويقال الاشعري الكوفي وتبيع بضم المثناة الفوقية ثم باء موحدة وعين مهملة بزنة المصغر كما في الميزان وتهذيب الذهبي والاكمال الا ان ابا الحافظ كتب في حواشيه ان هذا وهم فيه وانما هو منيع بالميم بدل المثناة كما قاله البرهان الحلبي (عن ابي مرزوق) التجيبي واسمه كنيته وله ترجمة في الميزان قال فيها ان ابن حبان قال انه لا يحتج بما انفرد به (عن ابي غالب) الراسبي واسمه حزور وقيل سعيد بن حزور وقيل نافع وروى عنه اصحاب السنن واختلفوا في ضعف رواته وتوثيقهم وثقه (عن ابي امامة رضي الله تعالى عنه) الباهلي او السهمي وهو

صدى بن عجلان بن وهب توفى سنة احدى اوست وثمانين واخرج له الستة وهو من بقايا الصحابة بحمص وهذا الحديث رواه ابو داود وابن ماجه مسندا (قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوكئا) بكاف مشددة مكسورة وهمزة اى معتمدا متحاملا وهو منصوب على الحال (على عصا) وقال ابن عباس التوكؤ على العصى من سنن الانبياء عليهم الصلوة والسلام وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عصى منها قضيب ومخصرة قصيرة ومحجن وكانت فى يده اذا خطب وكانت عند الخلفاء وقال فيها الصرصرى رحمه الله تعالى كما مر

وعصاه لما مسها تم نمت ؛ فصارت عصا صارت الى ثعبان

(فقمنا له) تعظيما واجلالا (فقال لا تقوموا كما يقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا) هذه الجملة بدل مما قبلها اومستأنفة استئنافا بيانيا والاعاجم جمع اعجم اوعجمى اوعجم على خلاف القياس اوجمع اعجام جمع جمع (٢) وهم من عدا العرب وقد يخص بفارس وقد اختلف العلماء فى القيام للتعظيم انه اهل هو مكروه ام لا فقيل مكروه استدلالا بهذا الحديث وبحديث من احب ان يتمثل له الناس قياما وجبت له النار ونحوه حتى ذهب بعضهم الى حرمته والاحسن ماقاله القاضى زكريا فى شرح الروض انه مستحب لاهل العلم والصلاح وللحكام العدول بل قد يجب اذا خشى من تركه ضررا كحكام الملوك ويستحب لمن قدم من سفر ولذوى الارحام تكريما وزائرهم ويدل على ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم للانصار لما قدم عليهم سعد رضى الله تعالى عنه قوموا لسيدكم والمنهى عنه انما هو ماكان على سبيل الرياء والكبر وحمل حديث سعد على انه كان مريضا وقدم مكرها كما امرهم صلى الله تعالى عليه وسلم بالقيام ليعينوه فى النزول عن دابته خلاف الظاهر كما مر وقد فعله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان يقوم لفاطمة رضى الله تعالى عنها اذاجاءته وانما نهاهم لئلا يتخذوه سنة ويجعلوه عادة (وقال) صلى الله عليه وسلم (انما انا عبد) الحصر فيه اضافى اى لست بسلطان ثم انه ان اريد بالعبد معناه العرفى وهو الرقيق المملوك للناس فهو استعارة وتشبيه نفسه تواضعا لله بالرقيق لخاطبه خدمة نفسه فى بيته فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كما اتى كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويكنس بيته ويلبس الغليظ فقوله (آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد) بيان لوجه الشبه وان اراد عبد الله وكل الناس عبد الله المملوك وغيرهم سواء فى ذلك فالمراد انه مختص بهذه العبودية لا تشوبها شئ من امور الدنيا ولايحلق بشئ من اخلاق اهلها فى لباسهم ومآكلهم ومشربهم وفراشهم فانه صلى الله عليه وسلم كان يجلس على الارض ولا يأكل على خوان ولا يعلق عليه بابا ولا يتخذ حاجبا (وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار) وكثير من الاغنياء يأنف من ركوبه وكان له حمار يسمى عفير واخرى يسمى يعفور وهو مأخوذ من العفرة وهى التراب لشبه لونه وليسا اسمين لحمار واحد كما توهم

(٢) جمع عجم ـ اسعد

فان عفيرا اهداه له المقوقس ويعفور اهداه له فروة بن عمرو وقيل بالعكس ومات يعفور منصرفه من حجة الوداع وقيل انه القى نفسه فى بئر ابن التيهان يوم موته صلى الله عليه وسلم وقيل انه كان من حبس من الحمير لم يركبه الا نبى وانه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يرسله للرجل فياتى بابه ويقرعه برأسه فيعلم انه يطلبه (وبردف خلفه) غيره ويردف بضم المثناة التحتية بمعنى يحمله رديفا له اى راكبا خلفه على دابته التى ركبها ويقال ردف واردف واصله الركوب على الردف وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحمل غيره قدامه ايضا ولم يذكر المصنف من اردفه اشارة لعمومه فيشمل الذكر والانثى والصغار والكبار وقد ذكروا ان من اردفه صلى الله تعالى عليه وسلم بلغ اربعين فى سفره وحضره وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم وهم اسامة بن زيد رضى الله عنه مرجعه من عرفة * والصديق رضى الله عنه فى الهجرة * وعثمان رضى الله عنه راجعا من بدر * وعلى كرم الله وجهه فى حجة الوداع * وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهما بين يديه وسبطه مع غلامين من بنى هاشم واولاد عباس الثلاثة رضى الله تعالى عنهم فى نزوله من المزدلفة * والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما * ومعاوية رضى الله تعالى عنه * ومعاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه على عفير * وابو ذر رضى الله تعالى عنه على حمار * وزيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه * وثابت بن الضحاك رضى الله تعالى عنه * والشريد بن سويد رضى الله تعالى عنه * وسلمة بن الاكوع رضى الله تعالى عنه * وزيد بن سهل رضى الله تعالى عنه * وابو طلحة الانصارى رضى الله تعالى عنه * وسهيل بن بيضاء رضى الله عنه * وعلى ابن ابنته زينب رضى الله تعالى عنهما * وعبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما * وغلام مطلبى * واسامة بن عمير رضى الله تعالى عنه * وصفية بنت حيى رضى الله تعالى عنها مقدمه من خيبر * وابو الدرداء رضى الله تعالى عنه * وآمنة بنت ابى الصلت * وابى اياس * وابو هريرة * وقيس بن سعد * وخوات بن جبير رضى الله تعالى عنهم * وجبريل عليه الصلوة والسلام على البراق فى الاسراء * وام حبيبة الجهنية رضى الله عنها * وزيد بن ارقم رضى الله تعالى عنه * وجابر بن عبد الله رضى الله عنهما وزاد ابن منده رحمه الله غير هؤلاء ونظمهم ابو ذر بن موفق الدين فقال

وارادفه جم غفير فمنهم * على وعثمان شريد وجبريل
واولاد عباس ذووا الرشد والتقى * اسامة والدوسى وهو نبيل
معاوية قيس بن سعد صفية * وسبطاه ماذا عنهم ساقول
معاذ ابو الدرداء سويد وعمه * وآمنة ان قام عنه دليل
كذلك خوات طرف وسبطه * على ووجه الفضل فيه جميل
اسامة والصديق ثم ابن جعفر * وزيد وعبد الله ثم سهيل
كذا ثابت قيس خولة وابن اكوع * وقدرهم فى العالمين جليل

كذلك وقد جاز ثم ثاب * فمن خبهم والله لست أحول
ثلاثة غلمان ورد معهم أنا * أنس وحسبي الله وهو وكيل

(و) كان (يعود المساكين ويجالس الفقراء) الفرق بين المسكين والفقير مشهور في مبحث الزكوة الا ان كلا منهما يطلق على الآخر من غير فرق في العرف والعبادة ثمة للغني والفقير وانما خصهما بالذكر لانه يعلم منه غيرهما بالطريق الاولى والمسكين بكسر الميم وفتحها مأخوذ من السكون ويكون بمعنى المذلل الخاضع ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا) وتقدم انه لا يجوز ان يطلق على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه فقير او مسكين وان اطلقه على نفسه الشريفة (ويجيب دعوة العبد) اذا علم انه يجوز له اطعام غيره لكونه مأذونا ونحوه (ويجلس مع اصحابه(٢) مختلطا بهم) فلا يختار مكانا رفيعا ولا يتقدم عليهم قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه حتى كان الغريب اذا اتى ناديه لا يعرفه حتى يسأل عنه ثم ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم سألوه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يجعل له مكانا مخصوصا حتى اذا اتاه الغريب عرفه وسأله فجعله من طين تارة يجلس عليه وتارة يجلس بجنبه (حيثما انتهى به المجلس جلس) حيثما تفيد العموم اي اي مكان وجده خاليا وقت مجيئه يجلس فيه صدر او غير صدر وكل هذا لتواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم وارشاد امته (وفي حديث عمر عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخاري (لا تطروني) مضارع اطراه اذا بالغ في مدحه وتجاوز الحد فيه قال

لا يلحق الواصف المطري مدائحه * وان يكن محسنا في كل ما وصفا

اي لا تمدحوني قال الجوهري والزبيدي اطرت الرجل مدحته وقال ابن فارس في المجمل اطريته مدحته باحسن ما فيه وقال الهروي الاطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه وبه فسر الحديث وقد علمت ان الذي قاله الهروي هو معنى الحديث وهو مأخوذ من الطراوة يقال طراوة وطراءة ومدحه صلى الله عليه وسلم مطلوب من كل احد والمنهي انما هو غلو الالوهية ولذا قال (كما اطرت النصارى) جمع نصراني منسوب لناصرة او نصرة او نصورية على خلاف القياس وتلك القرية كان فيها في اول امره (ابن مريم) فانهم قالوا فيه انه ابن الله وغيره مما هو مشهور وهذا كقول الابوصيري رحمه الله تعالى

دع ما ادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وما احسن قول العارف بالله عمر بن الفارض نفعنا الله تعالى به

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفني الزمان وفيه ما لم يوصف

(انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) ولا تقولوا كما قاله اهل الكتاب ونحوه فالحصر اضافي (وعن انس) رضي الله تعالى عنه رواه مسلم (ان امرأة) من الصحابة تسمى ام زفر وهي ماشطة خديجة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها ورده البرهان الحلبي رحمه الله تعالى فقال هي

(٢) بين اصحابه نسخه

هذه أو غيرها وجزم به غيره (كان في عقلها شيء) من الجنون ولم يصرح به إشارة
لجهة وأنها لم تستغرق وفيه فإن لفظ شيء يشعر بالقلة (جاءته صلى الله عليه وسلم فقالت
إن لي إليك حاجة) أي لي حاجة أريد أن أنهيها إليك وأعلمك بها (قال) لها (اجلسي
يا أم فلان) الإبهام من الراوي لأنه لم يحضره اسمها (في أي طرق المدينة شئت أجلس
إليك) مجزوم في جواب الأمر وإلى بمعنى عند عبر به للمشاكلة (حتى أقضي
حاجتك قال) أي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه (فجلست فجلس النبي صلى الله
عليه وسلم إليها حتى فرغت من حاجتها) التي أعلمته بها تواضعا منه صلى الله
تعالى عليه وسلم وملاطفة وفيه استحباب الملاطفة بأمثالها لا من كان فيه جنون مطبق
وكانت جارية سوداء تصرع أحيانا فشكت ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقالت
إني أصرع وأتكشف فادع الله لي فقال إن شئت فاصبري ولك الجنة وإن شئت
دعوت الله أن يعافيك فقالت أصبر ولكن ادع الله أن لا أتكشف فدعا لها
وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول ألا أريكم امرأة من أهل الجنة فيشير
إليها وقيل إن التي كانت تصرع سعيرة الأسدية (وقال أنس) رضي الله تعالى
عنه في حديث رواه تمامه أبو داود والبيهقي (كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد) كما تقدم بيانه (وكان) صلى الله
تعالى عليه وسلم (يوم بني قريظة) يوم واحد الأيام واليوم هنا بمعنى الوقعة
والغزوة شائع بحيث إذا أطلقوه إنما يفهم منه هذا وبنو قريظة بصيغة التصغير
والقاف والراء المهملة والظاء المشالة ثم هاء قوم من اليهود بقرب المدينة غزاهم
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل غزوة الخندق كما فصل في السير راكبا (على حمار)
وهو صاحب الرياسة والرسالة العظمى تواضعا منه صلى الله عليه وسلم ومن هو من أول
عنده يركب الخيل في مثله ويجتنب الحمار إظهارا لشوكته وعظمة بدايته لا لعرض
الدنيا الذي لا يستقر وما في بعض الشروح هنا نقلا عن بعض الحواشي في ضبط يوم
من أنه بفتح الياء التحتية والهمزة المضمومة المرسومة واوا والميم المشددة
بمعنى يقصد تحريف لا وجه له (مخطوم بحبل من ليف) اسم مفعول من الخطام
بخاء معجمة وطاء مهملة وهو ما تقاد به الدابة كالرسن والليف بكسر اللام والفاء
شيء يتخذ من النخل ويفتل حبالا (وعليه) أي على الحمار (إكاف) بكسر الهمزة
وكاف وألف وفاء بزنة كتاب وبضم كغراب ويقال وكاف بالواو وهو رحل
يوضع على ظهر الحمار للركوب عليه أو بعض أدواته وهو البردعة وهذا من حديث
رواه أبو داود والبيهقي كما مر (قال) أي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه (وكان
صلى الله تعالى عليه وسلم يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة) الإهالة بكسر
الهمزة وتخفيف الهاء ولام وهو كل ما يؤتدم به من الدهن أو ما ذاب من الألية
أو الدسم الجامد وسنخة بفتح السين المهملة وكسر النون وفتح الخاء المعجمة وهاء

بمعنى متغيره الرائحة فقال سمج الدهن وريح اذا تغير (فنحب) دعوة من دعاه وهذا الحديث رواه الترمذى فى شمائله وابن ماجه فى سننه (قال) انس ايضا رضى الله تعالى عنه (وحج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد الهجرة فى حجة الوداع كما فى البخارى ويدل عليه قوله الآتى وقد فتحت عليه الارض (على رحل رث) الرحل للجمل كالسرج للفرس فيختص به ورث بفتح الراء المهملة وتشديد المثلثة بمعنى بال خلق (وعليه قطيفة) اى كساء من صوف له خمل (ما تساوى اربعة دراهم) اى لو قومت لم تكن قيمتها اربعة دراهم ويقال هذا يساوى ويسوى كذا لقيمته والحج من اعظم شعائره التواضع واظهار الافتقار الى الله تعالى وترك الفخر من التلذذ والملابس ولذا شرع الاحرام فيه والتجرد فى الموقف الحقيقى والعرض على الله وهذا من محاسن التشريع والارشاد للاخلاص ولذا قال عنه (فقال اللهم اجعله) اى اجعل حجى هذا (حجا مبرورا لا رياء فيه ولا سمعة) بل خالصا لوجهك الكريم والرياء مشتق من الرؤية وهو ما تفعل من عبادة ونحوها لاجل ان يراه الناس فيمدحوا صاحبه به والسمعة بضم فسكون ما تفعل لتشيع ويسمع الناس به وهما بمعنى بحسب الماصدق وان اختلف مفهوما هما ومنهم من فرق بينهما فان عند السلطان اذا عمل عملا لم يراه بنيته وحده رياء لاسمعة ومن اشاع امرا لم يرسمعه لارياء فيه وقال القرافى فى قواعده الرياء موجب للاثم والبطلان عند كثير لظاهر قوله تعالى (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين) وهو ان يعمل لله مع قصد نفع من العباد وهذا رياء الشرك او ان يعمل للناس فقط ويسمى رياء الاخلاص وهو لاغراض شى والتشريك كمن جاهد طاعة لله مع قصد الغنيمة وهذا يضر بنقص الثواب ولا يحرم بالاجماع بخلاف من فعل ليقال انه شجاع او ليعطى عند الامام او يكثر عطاؤه وهو محرم ليس كقصد الغنيمة من العدو ومن حج وشرك مع الحج المتجر لا يأثم ولا يقدح ذلك فى صحة حجه ولو كان جل قصده او كله التجارة كمن صام ليصح بدنه ويحمى فهذا لا يقدح فى فعله لان الشارع امر به فى حديث (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) اى قاطع للشهوة فامر بالصوم لغرض آخر غير العبادة ولو كان قادحا لم يأمر به كمن توضأ للتبرد والتنظف فان فيه اغراضا للناس فيها تعظيم غير الله بفعله فانه هو المضر المنهى والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من الرياء والسمعة وانما دعا بذلك تعليما لامته وتواضعا كقول يوسف عليه الصلوة والسلام وما ابرئ نفسى لان النسك قد يدخله الرياء باظهار الزهد (هذا) اى فعله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا واختياره رث الثياب والمركب ليس عن عجز (وقد فتحت الارض عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم وفتح يتعدى بعلى

لماجاء كثيرا بسهولة من الله كانه افاضه عليه وفتح الارض ان اريد به بعضها كالحجاز فظاهر وان اريد جميعها فبعد تمكنه صلى الله تعالى عليه وسلم منها بمنزلة وقوعه مر وفى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اتيت بمقاليد الدنيا على فرس ابلق عليه قطيفة سندس وفى رواية بمفاتيح خزائن الارض فوضعت بين يدى وهو محمول على ظاهره وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو اوهو كناية عن ان الله مكنه من ذلك ولو ان الله تعالى اراده صرفه بالفعل فيها وقاد جميع اهلها له (واهدى فى حجه ذلك مائة بدنة) اهدى بمعنى بعث الهدى بوزن الرمى بتخفيف الياء وقد تشدد فتكسر داله وهو مايرسل للبيت الحرام لينحر فيه ويتصدق به من الابل والبقر وكذا البدنة تطلق على الجمل والناقة والبقرة واكثر ماتطلق على الابل وقد تسمى الابل مطلقا هدى وسميت بدنة لكبر بدنها وفى البخارى لما حج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حجة الوداع اهدى مائة بدنة نحرها وقسم لحمها وجلودها وجلالها ونحر بيده منها جملة ثم امر عليا كرم الله وجهه بنحر باقيها واختلف فيما نحره صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة اهو ثلاثون ام ستون (ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش من المسلمين) وذلك فى شهر رمضان ثالث عشرة اوسادس عشره اوثامن عشرة وصحح النووى رحمه الله انه تاسع عشرة واختلف فى الجيوش انها فقيل اثنا عشر وقيل عشرة آلاف وقيل ثمانية (طأطأ على راحلته رأسه حتى كاد يمس قادمته) الرحل له مقدم ومؤخر مرتفع عن محل الراكب وفيها لغات قادم وقادمة ومقدم ومقدمة بكسر الدال مخففه وفتحها مشددة وكذا آخرة الرحل (تواضعا لله تعالى) ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم ان ركب الجمل دون الفرس وعلى رأسه مغفر فوقه عمامة سوداء واردف خلفه اسامة رضى الله تعالى عنه كامر (ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله لا تفضلونى على يونس بن متى) قال شيخ مشايخنا الجلال السيوطى لم اقف عليه بهذا اللفظ والذى فى البخارى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفى سنن ابى داود ماينبغى لنبى ان يقول انا افضل من يونس بن متى وفى الصحيحين لا ينبغى لنبى وفى روايه لا اقول ان احدا افضل الى آخره انه سبح الله فى الظلمات وفى البخارى ونسبه لابيه فيه اشارة الى ان متى بفتح الميم وتشديد التاء مقصورا اسم ابيه وقيل معناه انه ذكر اسم ابيه بدل متى اسم امه وهذا هو المشهور وانه لم ينسب لامه الا يونس وعيسى عليهما الصلوة والسلام واختلف فى المراد منه فقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله تواضعا منه وان كان هو افضل من جميع الرسل بالاتفاق وكلام المصنف رحمه الله تعالى يميل لهذا فان الافضل قد لا يطلب تفضيل احد له وقيل انه كان قبل ان يعلم بفضله والاذن فيه لقوله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض)

وخص صلى الله تعالى عليه وسلم يونس عليه الصلوة والسلام لئلا يتوهم احد نقيصه اذا سمع قصته وقوله ولا تكن كصاحب الحوت وقصة مفصله في التيسير (و) قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تفضلوا بين الانبياء) لا ينافي هذه الآية لان النهي عن تفضيل يؤدي الى التنقيص او الخصومة والنزاع او التفضيل من سائر الوجوه لانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل او التفضيل في نفس النبوة لا في الخصائص وعموم الرسالة والا فيجب علينا اعتقاد افضليته صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله انا سيد ولد آدم وقوله ان الله تعالى اختارني على جميع العالمين من الانبياء والمرسلين (ولا تخيروني على موسى) صلى الله عليه وسلم اي لا تقولوا اني خير منه وافضل وخصه لئلا يظن احد نقصه لقوله تعالى (فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان) وسيأتي بيان ذلك * اقول الظاهر ان النهي لا تفاضلوني تفضيلا يؤدي للنزاع والمخاصمة فان هذا من نص حديث في الصحيحين ان رجلا من المسلمين استب مع يهودي فقال اليهودي والذي فضل موسى على العالمين فلطمه فاشتكى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ذلك وسيأتي الكلام على هذا (ونحن احق بالشك من ابراهيم) اذقال رب ارني كيف تحيي الموتى وحمله بعضهم على ظاهره وانه كان قبل النبوة في سن الطفولية ومن قال بعصمة الانبياء مطلقا قال انه نفي للشك لا اثبات له وانما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على سبيل التواضع اي نحن احق بالشك منه لو شك ولكنه لم يشك فكانه قال انا لا اشك فكيف بابراهيم وقيل انما قاله جوابا لمن قال شك ابراهيم ولم يشك نبينا ولا تنافي بين القولين وسيشير اليه المصنف رحمه الله تعالى في القسم الثالث وقيل لا يصح ان يكون المراد انه احق بالشك منه لقوله اولم تؤمن قال بلى الى آخره ونسبته شكا بالنظر للظاهر لاوصافه عدم الاطمئنان وهو ينافي عدم التردد والشك ولذا احتج له اوليه بان الخليل عليه الصلوة والسلام قطع بالقدرة على احياء الموتى لما لم يطمئن لكنه اراد مشاهدة كيفية هذا الامر العجيب الذي جزم بوقوعه فنفسه لا تطمئن حتى تشاهده قال ابن ابي شريف رحمه الله تعالى وهذا التاويل يشير الى ان المطلوب بقوله ولكن ليطمئن قلبي سكون قلبه عن المنازعة الى رؤية الكيفية المطلوبة التي غاياها ليحصل له العلم البديهي بعد العلم النظري ولما كان هذا الشك ظاهرا جائزا على الانبياء عليهم الصلوة والسلام قال صلى الله تعالى عليه وسلم ما قاله كناية عن انه جائز منه الا انه اورده بهذه الصورة تادبا مع الله تعالى وان لم يكن احق بذلك الشك منه وكيف يتصور جوازه عليه وعلى كرم الله وجهه يقول لو كشف الغطا ما ازددت يقينا الا ان في هذا اشكالا اورده ابن العماد لاقتضائه تساوي علمه البديهي والنظري فتجاوز المقام الخليلي وقد اجاب عنه في كتابه كشف الاسرار فقال قال العز بن عبد السلام المراد ما ازددت يقينا بالايمان وان كان اذا راها اتضح

من الفاصل والهيئات مالم يحط به ولى ذلك عاما وكذلك ابراهيم لما رأى كيفية الاحياء لم يزدد يقينا بالايمان بقدرته تعالى على الاحياء وان وقف بمشاهدة كيفية الاحياء على مالم يقف عليه من الايمان كمن رأى بناء محكما وعرف صانعه علم قدرته وصنعه وتحققه وان لم يعرف كيفية بنائه وصنعة عمله فاذا طلب مشاهدة عمله ورآه لم يزده علمه بقدرته وصنعه وهيئته بذلك ولكن اطمأن قلبه لحصول ماطلبه من كيفية صنعه وقال السبكي رحمه الله تعالى سئل العراقي رحمه الله تعالى عن هذا فقال اليقين يتصور عليه الجحود كما قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم) والطمأنينة لايتصور عليها الجحود وهو جواب حسن في الفرق بين اليقين والجحود انتهى وفيه نظر وقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هذه الآية ارجى آية في القرآن معناه ان سؤاله الاحياء في الدنيا يدل على انا نحيي وسنحيى في الآخرة اوان الايمان بالغيب اجمالا كاف لنا (ولولبثت مالبث يوسف في السجن لاجبت الداعي) لبث في السجن بضع سنين اي ابت خمسا ثم سبعا بعد رؤيا الفتيين الذين دخلا معه السجن وقيل غير ذلك وورد في الحديث رحم الله اخي يوسف لولم يقل اذكرني عند ربك مالبث في السجن سبعا بعد خمس اي لو لم يستعن بغير الله تعالى ماطالت المدة والمراد باجابة الداعي اجابة رسول الملك الذي دعاه للخروج منه قال الكرماني وصفه بالصبر حيث لم يبادر الى الخروج وقال ذلك تواضعا لانه كان في نفسه مادرء وتحمله لوكان مكان يوسف والتواضع لايصغر كبيرا بل يزيد قدره اجلالا وذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة الى مقام التفويض وتلقي كل مايأتي من الله بالقبول ورفض الوسائط والمعنى لوكنت مكانه لبادرت دعوة الداعي مستعينا بالله تعالى مفوضا امري له وقد كان يوسف عليه الصلوة والسلام عبر رؤيا الفتيين ثم رؤياه الملك فطلبه فلما جاءه الرسول اخرجه من السجن لم يبادر للخروج وطلب الكشف عن امره حتى يعلم انه مظلوم وقال القرطبي الوجه عندي في ذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ لنفسه وجها آخر من الرأي وهو ان يفعل امرا المبتدي به فيه وهو ان يخرج بغير تعاظم يرى ساحته بالبرئة من غير الحاج وهو الحزم ويوسف عليه الصلوة والسلام سلك مسلكا آخر وهو الصبر وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يلتفت لما التفت له من براءة الساحة اكتفاء بعلم الله واعتماده لانه يرى ساحته من غير طلب منه لهذا المقام ولكنه قال ماقال تواضعا وفي يوسف سبب لعاب بما بت السين مع الهمزة وعدمه (وقال للذي قال له ياخير البرية ذاك ابراهيم) وهذا من تواضعه ايضا صلى الله تعالى عليه وسلم والا فهو خير البرية من غير شك والمبس فيه اخبار بغير الواقع اذ المعنى لااقول ذلك اطراء انفسي والبرية الخلق من برا

بمعنى حلو لكن همزته متروكة كما في الدرة والى والجايسة وهذا الحديث رواه
مسلم في صحيحه وغيره وخص ابراهيم لان الله امره باتباع ملته في قوله تعالى (ان اتبع
ملة ابراهيم) (وسيأتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى) من غير تطويل
واعتساف (وعن عائشة رضى الله عنها والحسن وابى سعيد وغيرهم في صفته صلى الله عليه
وسلم وبعضهم يزيد على بعض) قدم عائشة رضى الله تعالى عنها لانها ادرى بحاله
صلى الله تعالى عليه وسلم في بيته ولذا عقبها بالحسن بن على رضى الله تعالى عنهما
لانه من اهل البيت ايضا وابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه كان يخدمه
صلى الله تعالى عليه وسلم فلذا خص هؤلاء ورتبهم الاقرب فالاقرب (كان في بيته
في مهنة اهله) خبر بعد خبر او بدل بما قبله بدل اشتمال والمهنة بكسر الميم وفتحها
الخدمة مأخوذة من الامتهان واختلف في ايهما الافصح والاكثر على انه الفتح
والاشهر انه الكسر لتوافق الخدمة لفظا ومعنى وانكر بعضهم الكسر والاصح انه
لغة وانه ثابت بالوجهين (يفلي ثوبه) بيان هو وما بعده لما قبله لان هذا مما ينبغي
ان يفعله اهله ويفلي بفتح المثناة التحتية وسكون الفاء يقال فلاه يفليه كرماه يرميه
اذا فتش ما فيه من قمل وغيره هذا اصله وهو يقتضى ان يكون في ثوبه صلى الله تعالى
عليه وسلم قمل وقد قالوا انه لا يكون تكرمة له صلى الله تعالى عليه وسلم ولانه يتولد
من العفونة والعرق وجسده وعرقه طيب لا يكون فيه عفونة والقول بان فيه قملا
بقيض لا ينبغى ان يقال الا ان بعضهم نقل انه لم يكن الذباب يعلو عليه وان القمل
لا يؤذى بدنه لعطاياه صلى الله تعالى عليه وسلم وتكرمة كما سيأتى بيانه فيل فصل
قد آتيناك اكرمك الله فقيل المراد بتفتيش ثيابه لانه من لوازمه وقيل انما كان فيه ولكن
لا يؤذيه والاول مناف لحديث المس ولما روى ان ام حرام كانت تفلى رأسه واللفظ شاهد
لخلافه نعم ابى اداه مسلم لم انه لان ادميته بعده من البدن فاذا امتنع عداوته
لم يعش وحينئذ لم يكن في وجوده الا قذارته والاحتياج لفليه ولذا قيل المراد تفليه
تفتيشه لخرق فيه او تعلق شئ به من شوك ونحوه وكل ذلك للتشريع واظهار التواضع
واحتمال ان يكون القمل جاءه من غيره لكثرة مجالسته الفقراء كما سيأتى لا تأباه فلى
ام حرام لرأسه كما قيل على انه يحتمل انها كانت تفحص عن هذا وان لم تجده
(ويحلب شاته ويرقع ثوبه) بفتح الياء وسكون الراء المهملة وفتح القاف المخففة
ويجوز الضم والتشديد الا ان الضبط بالاول لمناسبته ما قبله ورقع الثوب ان يضع
فيما انخرق منه رقعه من غيره فتسده بها (ويخصف نعله) اى يخرزها به وفى العمدة انه
تطبيق بعض جلود النعل على بعض وهو فى قوله تعالى (يخصفان عليهما من ورق
الجنة) استعارة من هذا واصل معنى الخصف الضم والجمع (ويقم البيت) اى يكنسه
ويزيل قمامه من قم يقم بضم القاف اذا كنس (ويعقل البعير) اى يربطه من رجله

بالعقال وتعقل بوزن يضرب (ويعلف ناضحه) بنون وضاد معجمة وحاء مهملة وهو البعير الذى يسقى عليه من النضح (ويخدم نفسه) اى يفعل ذلك كثيرا لادائما مع كثرة عبده وخدمه وتشوق الناس لخدمته صلى الله عليه وسلم لكنه يحب فعل ذلك بنفسه تواضعا وتشريعا (ويأكل مع الخادم) الخادم متعاطى الخدمة ذكرا كان او انثى حرا او عبدا واكل الانسان مع خادمه سنة قال القاضى زكريا فى شرح الروض ان السنة ان يجلس خادمه للاكل معه ويلبسه من لباسه فان ابى فليناوله مما يأكله ومن الغريب مانقل عن الشافعى انه واجب للامر به فى الحديث وفيه نظر (ويعجن معها) الضمير للخادم لانه يطلق على الانثى كما مر والعجن من عمل النساء (ويحمل بضاعته) بكسر الموحدة وهى مايشتريه (من السوق) وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم كان يدخل السوق قالوا وهو عادة الانبياء عليهم الصلوة والسلام قال الله تعالى (وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق) وكذا كان دأب الصحابة رضى الله تعالى عنهم ولاينافيه احب البقاع الى الله تعالى المساجد وابغضها اليه الاسواق لان المراد بغض مافيها او النهى عن الجلوس فيها من غير حاجة (وعن انس) بن مالك رضى الله عنه خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخارى تعليقا ووصله ابن ماجه (ان كانت الامة من اماء اهل المدينة) بكسر همزة ان المخففة من الثقيلة كقوله تعالى (وان كانت لكبيرة) وهى مهملة او اسمها ضمير شان مقدر (لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطوف به حيث شاءت) اى تمسك بيده الشريفة وتذهب به الى اى محل تريده لاجل حاجتها (حتى يقضى حاجتها) وليس فيه افراط فى التواضع المذموم لان قضاء حاجة المسلمين امر محمود (ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة) بكسر فسكون لخوفه من مهابته اذ كان لم يره قبلها واعاد هذا الحديث لما فيه من الزيادة والرعدة ان يرجف ويضطرب (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هون عليك) امر من الهوين اى عد ما رأيته امرا هينا غير صعب يخشى منه اى لاتخف ولاتفزع (فانى لست بملك) من الملوك الجبابرة الذين يخشى بوادرهم (انما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد) هو اللحم الذى يقطع ويجعل فى الشمس حتى ييبس وكان عادة العرب اكله وهكذا عادة فقرائهم فكنى به عن عدم تكبره وتجبره وترفعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه قال السيوطى هذا الحديث رواه الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف (قال دخلت السوق مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاشترى سراويل) فى حواشى السمنى ذكر المصنف رحمه الله تعالى اشتراه صلى الله تعالى عليه وسلم للسراويل الا انهم قالوا انه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم لبسها ولكنه اشتراها ولم يلبسها وقال ابن القيم فى الهدى انه لبسها فقالوا انه سبق قلم وقال السيوطى

في رواه قد رأيت الذي ذكره المصنف رحمه الله تعالى في معجم الطبراني الأوسط ومسند أبي يعلى وفيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لبسها ولفظه عن أبي هريرة أنه قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجلس إلى البزازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم وكان لأهل السوق وزان فقال له زن وأرجح وأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم السراويل فذهبت لأحمل عنه فقال صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله إلا أن يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه أخوه المسلم فقلت يا رسول الله إنك لتلبس السراويل قال أجل في السفر والحضر وبالليل والنهار فإني أمرت بالستر فلم أجد شيئا أستر منه أخرجه من طريق ابن زياد الواسطي وأخرجه أحمد وفي سنده ابن زياد وهو وشيخه ضعيفان انتهى * أقول الخبر ضعيف بمتابعته ومنه يعلم أن تخطئة ابن القيم لا وجه لها وكون الثمن أربعة دراهم هو المروي لا ما في الإحياء من أنه ثلاثة وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراها ولم يلبسها بعيد جدا وقد لبسها عثمان رضي الله تعالى عنه وهو محاصر أيضا والسراويل تذكر وتؤنث ولم يعرف فيه الأصمعي إلا التأنيث وجمعه سراويلات وهي مصروفة في النكرة عند سيبويه فإن سمي بها رجل لم تصرف وكذا إن صغرت بعد التسمية لأنها مؤنثة على أكثر من ثلاثة أحرف كعناق فإن صغرت من غير علمية صرفت وقال الجوهري من النحويين من لا يصرفه في النكرة أيضا لأنه عنده جمع سروالة وأنشد * عليه من اللؤم سروالة * ويقول ابن مقبل * فتى فارسي في سراويل رامح * والعمل على الأول والثاني قوي انتهى ومن ثم رد قول من قال إنه ممنوع من الصرف بالاتفاق وقول المحدثين إنه لم يسمع أنه جمع في الأصل كمصابيح للصيغ وغيره الجمعية الأصلية قال ولذا اضطربوا فيه فقيل إنه أعجمي معرب سروال حمل على موازنه في العربية كمصابيح وقيل عربي جمع سروالة تقديرا وهي لغة في سراويل ويقوي عجمته أنه لا نظير له في العربية وعلى هذا اقتصر الجواليقي في معرباته إلا أنه قال إنه معرب شلوار بالمعجمة والأشبه أنه معرب سر او ين أي مدخل الرأس لأن سر معناه الرأس واو ين معناه مدخل (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (للوزان) أي الذي يزن الدراهم وينقدها وهو الصيرفي (زن وأرجح) أي زن لصاحب السراويل ثمنها وزد عليه حتى ترجح الميزان بزيادة الكمية التي فيها الدراهم وبهذا استدل الإمام مالك على جواز هبة المجهول وفيه نظر لأنه من حسن القضاء وكلام أبي حنيفة رحمه الله تعالى في الهبة المخصصة والرجحان نزول كفة الميزان لزيادة ما فيها (وذكر القصة) كما سمعتها آنفا (قال) أي أبو هريرة رضي الله تعالى عنه راوي هذا الحديث فقال الوزان هذه كلمة ما سمعتها من أحد فقال له أبو هريرة كفى بك من الوهن والجفا في دينك أنك لا تعرف نبيك وطرح الميزان (ووثب)

اى قام مسرعا (الى يده اى صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلها) اى قام ليقبل يده الشريفة لما رأى منه ولمعرفته انه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فجذب) اى نزع صلى الله تعالى عليه وسلم (يده) من يده (وقال هذا) اى تقبيل اليد امر (تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم) معاشر العرب او الناس وهذا من تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم او لانه علم انه انما قبل يده لامر دنيوى والا فتقبيل يد الرجل لعلمه او صلاحه او شرفه سنة مستحبة وقد كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يقبلون يده الشريفة ويد الخلفاء رضى الله تعالى عنهم وقيل لبعض المشايخ انقبل يد المشايخ فقال انهم رياحين الله فشموها بالتقبيل (ثم اخذ) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة (السراويل) ليحملها بنفسه (وذهبت لاحمله) اى شرعت فى حملها عنه يقال ذهب يفعل كذا وقام يفعله اذا شرع فى الفعل ولذلك عد من افعال المقاربة فليس المراد بالذهاب معناه المشهور وضمير لاحمله للسراويل لانه يجوز تذكيره وتأنيثه كما علم (فقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لابى هريرة (صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله) بدل من شيئه اى احق بحمله من غيره وهذا من تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم واقتدى به الصحابة رضى الله تعالى عنهم فكان الخلفاء منهم يحملون امتعتهم فى السوق كما فصله العراقى فى الاحياء

﴿ فصل واما عدله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴾

العدل مصدر معناه العدول عن الظلم والجور ويكون بمعنى العادل فيستوى فيه الواحد المذكور وغيره ويجمع على عدول (وامانته) فى كل شيء يحفظه قولا كان او فعلا او غير ذلك مما يحمل عنده وكونه موثوقا به فى اموال الناس واحوالهم (وعفته) فى نفسه بترك كل قبيح وترك السؤال والنزاهة عن كل شيء (وصدق لهجته) اللهجة اللسان والكلام يقال لهج بكذا اذا ولع به ولا يخفى تقارب معانى ما ذكر ولذا جمعها فى فصل فان فى العدل عفة عن الظلم وفى الصدق امانة على ما سمع وعفة عن الكذب وهذا ظاهر لمن له بصيرة (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم آمن الناس) آمن بمد الهمزة بمعنى اكثرهم واشدهم امانة (واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان) اى من ابتداء خلقته الى نهايتها وكان تامة بمعنى وجد (اعترف له بذلك محادوه) جمع محاد بتشديد الدال المهملة بمعنى المعادى والمخالف له الذى فى حد وجانب غيره ويكون بمعنى المحارب قال تعالى ومن يحادد الله ورسوله (وعداه) بكسر العين جمع عدو او اسم جمع وهو فى الصفات ونحوه بضم عينه (وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق) محمد بن اسحق بن يسار صاحب السير كما تقدم وهذا حديث صحيح رواه احمد فى مسنده والحاكم والطبرانى عن على كرم الله وجهه (كان صلى الله تعالى عليه وسلم) فى ابتداء امره قبل نبوته (يسمى الامين) لامانته وصدق قوله فى جميع

احواله (عاجمع الله له من الاخلاق الصالحه) اى بسبب ماجمعه الله له من الاخلاق الصالحه الذى اتمه الله اياها او الباء بمعنى مع اى مع ماجمعه الله له من الصالحات التى عرف بها عندهم (وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه) اى المطاع الامين فى هذه الآيه (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وكثير منهم على انه جبريل عليه الصلوة والسلام كما يشهد به سياق النظم ولذا ارتضاه المحققون لكونه عليه الاكثر وفيه نظر (ولما اختلفت قريش وتحازبت) بالحاء المهمله والزاى المعجمه والباء الموحدة اى صارت احزابا وفرقا لاختلاف آرائهم ولو قيل تحاربت بالراء المهملة لما فى السير انهم تخالفوا حتى اعدوا للقتال ثم بدالهم فتشاوروا صح الا انه بعيد والنسخ مضبوطه خطا بخلافه (عند بناء الكعبه) قال السهيلى كان بناؤها خمس مرات الاولى حين بناها شيث بن آدم والثانيه حين بناها ابراهيم عليه الصلوة والسلام على القواعد الاولى والثالثة حين بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة اعوام والرابعه حين احترقت فى عهد ابن الزبير بشرارة طارت من ابى قبيس او بشرر طار من مجمر امرأة ارادت ان تجمرها فعلق باستارها واحرقتها فشاور من حضرها فى هدمها فهابوه وقالوا نصالح ماانهدم منها فقال رضى الله تعالى عنه لو احترق بيت احدكم لم يرض له الا باكمل صلاح ولا يكمل صلاحها الا بهدمها فهدمها حتى انتهى الى قواعد ابراهيم عليه الصلوة والسلام فامرهم ان يزيدوا فى الحجر فحركوا حجرا منها فرأوا تحته نارا افزعتهم فامرهم ان يقروا القواعد وان يبنوها من حيث انتهى الحفر واستمرت على ذلك الى ان قام عبد الملك بن مروان فهدمها وبناها فهذه المرة الخامسه ولا منافاة بينه وبين ما فى التواريخ من ان الخامسة بناء الحجاج لانه كان بامر عبد الملك لانه اميره وكان ارسله لمحاربة ابن الزبير رضى الله عنه فهاوه لمن عبر ذلك والكلام فيه مفصل فى تاريخ مكه (فى وضع الحجر) الاسود فى موضعه وترفعه بيده لما فى مباشرة ذلك من الشرف والفخار والمجرور متعلق باختلفت (حكموا) بفتح الحاء وتشديد الكاف جواب لما اى ارتضوا ان يكون الحاكم فى ذلك (اول داخل عليهم فاذا بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم داخل) اذا فجائيه اى فاجأهم دخوله عليهم بغته من غير طلب وميعاد منهم (وذلك قبل نبوته) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابن خمس وثلاثين وقيل ابن خمس وعشرين او حين بلغ الحلم ولا شك فى ان هذا كان قبل النبوه والاول اصح (فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به) حكما فى هذه القضيه فلما انتهى اليهم ذكروا له ذلك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ائتوا بثوب وضعوا فيه الحجر وارفعوه جميعا من كل بيت رجل فاما فعلوا وضعه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفه ثم بنى عليه فكان شرف الوضع له وكان مع الناس رضى الله تعالى عنه

يسقلان الحجارة فقال له العباس اجعل ازارك على رقبتك ليقيك الم الحجارة فلما فعل بدا منه مالا بد من ستره فخر مغشيا عليه وطمحت عيناه الى السماء فقال ازارى فشد عليه ازاره لانه نودى يا محمد غط عورتك فلم تر له عورة بعده ولا قبله وروى انه وقع له مثله وهو يلعب صغيرا (وعن الربيع بن خثيم) رضى الله تعالى عنه بضم الخاء المعجمة وفتح المثلثة وسكون الياء المثناة التحتية والميم وهو الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبد الله بن موهب ابو يزيد الثورى نسبة الى ثور بن عبد مناة بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر ونسب اليه سفيان وغيره والربيع يروى عن ابن مسعود وابى ايوب وروى عنه خلق كثير وكان ثقة عابدا واخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفى سنة سبع وستين (كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجاهلية) وفسر الجاهلية بقوله (قبل الاسلام) لانها تطلق بهذا المعنى فى الاكثر وهذا شاهد لعدله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد قبل بعثته وتطلق الجاهلية كما فى النهاية على صفاتهم وان كانت فى الاسلام كقوله فى الحديث انك امرؤ فيك جاهلية وجمعها الاول وهذا معنى مجازى اللهم الا ان يراد بها المعنى اللغوى وهو النسبة الى الجهل مطلقا ويكون حقيقة والى هذا نظر ابن حجر فى شرح البخارى ويتحاكم بضم الياء مجهول اى يتحاكم اليه قريش اوالعرب وقول الربيع هذا رواه ابن مسعود وله حكم الرفع وتحاكمهم اليه صلى الله تعالى عليه وسلم يدل على عدله وانصافه (وقال صلى الله عليه وسلم والله انى لامين فى السماء وامين فى الارض) يعنى انه مشهور بذلك بين الملأ الاعلى وبين اهل الارض لانه لم يتهم قط بكذب وجور فى احكامه وهذا الحديث رواه ابن ابى شيبة فى مسنده عن ابى رافع وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه مؤكدا بالقسم واعاد امين الاختلاف الامانتين (حدثنا) ابن سكرة (ابو على الصدفى الحافظ بقراءتى عليه) وقد تقدمت ترجمته وحكمته قال (حدثنا ابو الفضل بن خيرون) تقدم انه احمد بن الحسن بن احمد بن خيرون الحافظ وخيرون ممنوع من الصرف قال (حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو على السنجى) تقدم ضبطه وترجمته قال (حدثنا ابو محمد المروزى) محمد بن احمد بن محبوب راوى جامع الترمذى كما تقدم قال (حدثنا ابو عيسى الحافظ) هو الامام الترمذى كما تقدم قال (حدثنا ابو كريب) بضم الكاف وفتح الراء المهملة وياء تصغير وباء موحدة وهو الامام الحافظ محمد بن العلاء الهمدانى اخرج له الستة ووثقه النسائى وغيره توفى سنة ثمان واربعين ومائتين قال (حدثنا معاوية بن هشام) القصار الكوفى الثقة وقال ابن معين صالح وليس بذلك توفى سنة خمس وعشرين ومائة (عن سفيان) الثورى فيما يظهر الا ان المزى والذهبى لم يقيداه (عن ابى اسحق) عمرو بن عبد الله الهمدانى التابعى احد الاعلام (عن ناجية) بنون وجيم (بن كعب) العنزى اوالاسدى

الثقة وتوقف ابن حبان في توثيقه وله ترجمة في الميزان وقال الذهبي في المغني ما ادري
لماذا توقف فيه ابن حبان انتهى (عن علي) بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله
تعالى عنه وهذا الحديث رواه الترمذي كما ذكره المصنف وانفرد باخراجه
من طريقين احدهما ما ذكره المصنف والثانية عن اسحق بن منصور عن ابن مهدي
عن سفيان عن ابي اسحق عن ناجية قال وهذا اصح وكذا رواه عبد العزيز بن ابي عثمان
(ان ابا جهل) بن هشام لعنه الله فرعون هذه الامة (قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله) فيما قاله وهو سبب نزول هذه الآية
(فانهم لا يكذبونك الآية) ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وروى ابو ميسرة انه
صلى الله عليه وسلم مر بابي جهل واصحابه فقالوا والله يا محمد ما نكذبك وانك عندنا
لصادق ولكنا نكذب بما جئت به فنزلت هذه الآية وقرئ يكذبونك مخففا ومشددا
فقيل معناهما واحد لانه يقال كذبته واكذبته كخبرته واخبرته واختار
ابو عبيدة قراءة التخفيف وهي مروية عن علي كرم الله تعالى وجهه وقيل معنى
يكذبونك بالتشديد ينسبونك الى الكذب ويردون ما قاله ومعناه بالتخفيف يجدونك
كاذبا كالجملة اذا وجدته بخيلا والمعنى على التشديد لا يكذبونك بحجة وبرهان
وقيل وفي كلام المصنف اشارة الى دفع التناقض في الآية فانه قال اولا انهم لا يكذبونه
ثم اخبر انهم يجحدون ما جاء به من الآيات وجاحد كلامه مكذب له ويجحدون
مضمن معنى يكذبون ولذا عداه بالباء وهو معطوف عليه ويدل على انهم كذبوه
قوله بعده ولقد كذبت رسل من قبلك فليس المراد بقوله لا يكذبونك نفي
تكذيبه مطلقا فاما ان يقال في دفع توهم التناقض ان معنى لا يكذبونك
بالتشديد لا يحكمون عليك بان سجيتك الكذب لانك موصوف بالصدق
عندهم في جميع شؤونك ما عدا قولك الذي جئت به من عند الله وهو الآيات
فانهم يجحدونه وهذا مراد المصنف في استشهاده بهذه الآية او يقال المراد انهم
لا يكذبونك في الحقيقة وفي نفس الامر وفي نفوسهم اذا خلوا ولكنهم ينطقون
الكذب حسدا وبغيا او انهم لا يكذبونك اذا انعموا النظر وتدبروا ولكنهم عموا
عن نور الهداية انتهى وفي الآية كلام مفصل في حواشي القاضي البيضاوي
(وروى غيره) اي روى غير الترمذي او الصدوق في هذا الحديث زيادة زيادة الثقة
مقولة (لا نكذبك وما انت فينا بمكذب) اي معروف بالكذب في عمر هذا (وقيل
ان الاخنس بن شريق) بن ثعلبة الثقفي الصحابي واسمه ابي وهو بهمزة وخاء
معجمة ونون وسين بزنة افعل التفضيل وشريق بفتح الشين المعجمة وكسر الراء
المهملة وقاف على وزن فعيل وهو من المؤلفة كذا قاله البرهان الحلبي وقال الكرماني
انه حالف قريشا قبل يوم بدر كافرا يعني به شريقا لا الاخنس وهذا الحديث رواه

ا واسحق والبيهقي عن الزهري واخرجه ابن جرير عن السدي (لقي اباجهل يوم بدر) وكان يوم الجمعة سنة اثنتين من الهجرة في تاسع عشر رمضان (فقال له يا ابا الحكم) به حسن وهذه كنيته في الجاهلية ثم غلب عليه كنيته بابي جهل (ليس هنا غيري وغيرك اسمع كلاما تخبرني عن محمد) جملة خبرية والمراد اخبرني عنه (صادق ام كاذب) يعني اصادق فحذفت الهمزة تخفيفا والاستفهام تحقيقي او تقديري (فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط) هذا يدل على انهم لا يعتقدون كذبه (وسأل هرقل عنه) هرقل بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ويقال باسكان الراء مع كسر الهاء كخندف وهو علم غير منصرف قال البرهان هلك على كفره وفي الاستيعاب انه صحابي فيل وهو مأول (اباسفيان) صخر بن حرب بن امية القرشي الاموي اسلم يوم الفتح فكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه وكان رئيس قريش واكثرهم مالا وتوفي سنة اربع وثلاثين وسنه ثمان وثمانون في المدينة وقصة ابي سفيان مع هرقل مشهورة مروية في الصحيحين مفصلة في اول باب في البخاري وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كاتبه في سنة ست فاتاه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص فلما قرأ الكتاب امر مناديا ينادي الا ان قيصر قد اسلم واتبع محمدا وترك النصرانية فهاج جنده وتسلحوا فامر مناديا ينادي الا ان قيصر رضي بدينه وهو راض عنكم ثم قال لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اني مغلوب على مملكتي وكتب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني مسلم وبعث له دنانير فقال كذب عدو الله لانه علم انه ليس قوله عن صميم قلبه ولو سلم فمداومته بانه راض بدينه ردة فلذا قالوا ان القول باسلامه بناء على ظاهر قوله وانه كتب وقد قاتل المسلمين يوم مؤتة وواعدهم ان أسهم في العام المقبل وترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاجله الى تبوك فلم يجيء واحدث منه الاتاوة وهلك سنة عشرين بالقسطنطينية على نصرانيته وقوله (فقال) اي هرقل لابي سفيان (هل كنتم تتهمونه بالكذب) اي هل وقع في قلوبكم انه صدر منه كذب في اقواله قال في الاساس وهمت الشيء اتهمه وهما وتوهمته ووقع في خلدي وشيء موهوم ومتوهم انتهى وانما سألهم عن توهم الكذب ولم يقل هل علمتم وتحققتم لانه يعلم من انتفاء التوهم انتفاء غيره بالطريق الاولى (قبل ان يقول ما قال قال لا) فقال هرقل قد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وانما لم يقل انه يكذب لئلا يأثر الناس عليه الكذب وهو عار عند العرب او تقول ما لا تعقل منه ثم قال ابو سفيان الا اخبرك عنه خبرا تكذبه قال ما هو قال انه زعم انه خرج في ليلة من الحرام الى مسجد ايلياء ثم رجع قبيل الصباح وكان عنده بطريق ايلياء فقال صدق واني كنت لا انام حتى اغلق ابواب المسجد فلما كانت تلك الليلة اغلقت ابوابه غير باب منها عالي فاستعنت من حضرني فلم نمكنهم

تحريكه وقالوا انه سقط عليه الماء فلما اصبحت عدوت عليه فاذا الحجر الذي في زاويته مثقوب وبه اثر ربط دابة فقلت ما حبس هذا الباب الا له الا على نبي قد صلى في مسجدنا فقال قيصر يامعشر الروم ألم تعلموا ان بعد عيسى عليه الصلوة والسلام نبيا بشركم به وكنا نرجو ان يكون فيما جعله الله تعالى في عربنا وهو رحمة من الله تصمهاحيث ساء ولم يعتدوا بتصديقه هذا حتى يكون يوما لمانسه مخالفة قولا وفعلا * قلت وبهذا علم ان ربط البراق بالمسجد الاقصى صحيح وسال ابا سفيان عنه صلى الله عليه وسلم اسئلة اخرى مذكورة في اول البخاري (وقال النضر) بنون مفتوحة وضاد معجمة ساكنة وراء مهملة (بن الحارث لقريش) في حديث رواه ابن اسحق والبيهقي عن ابن عباس والنضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بفتح الكاف ابن عبد مناف القرشي وكان شديد الاذية للمسلمين فظفر به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ببدر فقتله كافرا صبرا كما أتى فرثته اخته قتيلة بابيات مشهورة اولها

يارا كبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وانت موفق

الخ وقيل انها مصنوعة وقتيلة بالتصغير القوقية مصغرة اختلف في اسلامها وكونها صحابية (قد كان محمد فيكم غلاما حدثا) بفتحتين قال الجوهري حدث شاب فان ذكرت السن قلت حديث السن من الحدوث لقرب عهده بالوجود والعلام الذي لم يلتح (ارضاكم فيكم) اي اكثركم رضا وصبرا وافعالا مرضية (واصدقكم حديثا واعظمكم امانة) منصوب هو وما قبله على التمييز وهذه شهادة العدو فالفضل ماشهدت به الاعداء (حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب) الصدغ ما بين لحظ العين والاذن والشعر الذي فيه من اعلى العذار وجانب الرأس كثيرا ما يبدو الشيب فيه قبل غيره فكنى بذلك عن انه تمت رجوليته وكمل عمره صلى الله تعالى عليه وسلم فجاوزه سن الشباب وبعدا اسنا في الانكار عليهم (وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر) اي قلتم انه ساحر فهو خبر مبتدأ مقدر اي هو ساحر بدليل قوله (لا والله ما هو بساحر) ... تعالى عليه الانصاف ولكن غلبت عليه الشقاء فقتل صبرا بالصفراء كافرا في منصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم من بدر كما ذكره الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها وهذا الحديث رواه ابن اسحق والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والذي قال انه ساحر الوليد بن المغيرة ... المذكور ان ابا جهل لما اراد ان يرضخ راس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ... صلى الله عليه الصلوة والسلام في صدره ... الحجر ... ذلك النضر فقال ... والله ... فكان فيكم محمد الى قوله ماهو ... ساحر كاهن

وقد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر والله ماهو بشاعر وقد رأينا الشعر وسمعنا اصنافه هزجه ورجزه وقلتم مجنون لا والله ماهو بمجنون فماهو بخنقة ولا تخليط ولا وسوسة فانظروا فى شأنكم فانه والله قد نزل بكم امر عظيم والنضر بن الحارث كان من شياطين قريش وهو الذى جاء بقصة رستم واسفنديار وكان يجلس يحدث بها ويقول ماجاء به محمد ليس باحسن مما جئت به ان هو الا اساطير الاولين فنزل فيه ﴿ واذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين ﴾ فى آيات اخر

(وفى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مالمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها) وهذا من عفته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها وسكت عن زوجاته لان جواز مسهن معلوم وانما يحرم مس الاجنبية التى لبس بمحرم فيعلم ذلك من الرقيق بالطريق الاولى وقيل انه داخل فى ملك الرق لتملكه البضع وقد سمى بذلك فى قول اسماء رضى الله تعالى عنها الزوج رق المرأة فلينظر ان يضع رقها ولا ينافى هذا ماقيل من ان الامة من اماء المدينة كانت تأخذ بيده صلى الله تعالى عليه وسلم فلا ينزع يده من يدها حتى تقضى حاجتها لانه كان بحائل من كمه او كمها وكلام عائشة رضى الله تعالى عنها هذا ورد فى مبايعته صلى الله تعالى عليه وسلم للنساء فان بعضهن زعم انها كمبايعة الرجال باليد من غير حائل فقالت رضى الله تعالى عنها انما كان يقول لمن هاجر من المؤمنات ماامره الله تعالى به فى قوله ﴿ ياايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك ﴾ الى قوله غفور رحيم فبايعهن على ذلك فمن اقر به قال قد بايعتك كلاما من غير مس لايد بين وماورد فى المبايعة من امساك ايدى بين فان كان فذا من غير مصافحة بها والا فهو بحائل لانه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بثوب وضعه على يده وقال لا اصافح النساء وروى انهن كن يأخذن بيده من فوق ثوب وفى المغازى عن ابان بن صالح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى المبايعة يغمس يده فى ماء فى اناء ويغمسن من بايعته يدها فيه وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم بايع النساء بواسطة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكلام عائشة رضى الله تعالى عنها يقتضى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبايعهن الا بالكلام فلعله تعدد

(وفى حديث على رضى الله تعالى عنه فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم اصدق الناس لهجة) رواه الترمذى فى شمائله وتقدم بيانه لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم عن الكذب ولو سهوا لما فاته للابلاغ ووجوب تصديقه فى كل مايقول كما بين (م قال فى الصحيح) اى فى الحديث الصحيح او فى صحيح البخارى لانه حيث اطلق الصحيح انصرف اليه وهذا اولى (ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل) تقدم بيانه على الخطاب والكاف والكلام عليه الا ان الذى فى البخارى فى باب الادب ويلك بدل ويحك

وقد فرق بينهما بقال ويل كلمة زجر وويح كلمة ترحم وويس ترحم دون ترحمها وهو معنى قول الاصمعى انها تصغيرها وقيل اصل ويل وى زيدت فيهما اللام وقد تقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله لمن قال له اتبع فينسبك بعدل وانه اختلف فى اسمه وانه عبد الله بن ذى الخويصرة التميمى او حرقوص بن زهير الخارجى او ذو الثدية وقد مر الكلام فيه مفصلا فتذكره (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ماخير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه) اعاد المصنف هذا الحديث وقد تقدم بعينه لما فيه من عدله صلى الله تعالى عليه وسلم وعفته فلا وجه للاعتراض عليه والامران من امور الدنيا والمخير ان كان الناس فلا اشكال فيه وان كان الله تعالى وهو الظاهر فالمراد بالاثم ما يؤدى الى وقوع امته فيه لان الله تعالى لا يخيره صلى الله تعالى عليه وسلم بين اثم وغيره كاختياره الرزق الكفاف على فتح الكنوز له ولامته فان الدنيا تشغلهم عن العبادة وتوقعهم فى المهالك وقد تقدم تفصيله (قال ابو العباس المبرد) وهو محمد بن يزيد بن عبد الاكبر امام العربية وترجمته مشهورة فى التواريخ وما نقله المصنف هنا عنه اعاد ذكره ليعلم بذلك جلالة قدره صلى الله تعالى عليه وسلم ومنافاة حاله لحال اهل الدنيا وماهم عليه من اللهو فلا يرد عليه ما قيل انه لا فائدة فيه (قسم كسرى ايامه) بكسر الكاف وقد تفتح وهو كما تقدم اسم لكل من ملك الفرس معرب خسرو والا انه لقب كسرى (٢) انوشروان الذى ولد فى زمنه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اشهرهم واعظمهم (فقال يصلح يوم الريح للنوم) والتغطى حتى يسلم من مس الريح الشديد المصدع (ويوم الغيم للصيد) الذى كان يتقيد به الملوك لعدم اذية الشمس وحرها ويقال له يوم فاخى وسبيل (ويوم المطر للشرب واللهو) لانه المصالح فيه والسلامة من الملل والطاقة من الوحول والمراد باللهو سماع الغناء ومنادمة الندماء (ويوم الشمس للحوائج) وروى يوم الصحو اى خلو الجو من المطر والغيم والمراد بالحوائج مصالح الناس وهو جمع حاجة على خلاف القياس او جمع حائجة وانكره بعض اهل اللغة وقدرده الحوالقى بانه ورد فى كلام الفصحاء كثيرا وفى الحديث (اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه) فلا وجه لانكاره كما فصلناه فى شرح الدرة وانما اختير ذلك اليوم للحوائج لعدم المانع فيه وما اشتهر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ولدت فى زمن الملك العادل كسرى فقد قال الحافظ السخاوى والسمعانى انه لا اصل له فهو موضوع ولو صح لم يكن فى وصفه بالعادل بأس كما توهم فانه كان لا يجور على احد من رعيته ولا يظلمهم فى حقوق الدنيا فعدله بالنسبة لذلك لا ينافى كفره وظلمه لنفسه لجهله ومحبته للدنيا وقيل انه وصف بذلك لشهرته به ادعاء منهم لا انه يشهد له بالعدالة

(٢) علم على كسرى بعينه

(حقيقة)

حقيقته وذكر قصته توطئة لقوله (قال ابن خالويه) بفتح اللام والواو وسكون المثناة التحتية والمحدثون يضمون اللام مع سكون الواو وفتح الياء وهو الحسين بن محمد بن خالويه النحوي اللغوي الاديب الهمداني دخل بغداد ثم انتقل للشام وصحب سيف الدولة أديب اولاده واخذ العربية عن ابي بكر بن الانبارى والسيرافي وتصدر للافادة وله تآليف حافلة وشعر حسن ومات بحلب سنة سبعين وثلاثمائة (ما كان اعرفهم) اى الفرس الدال عليهم ذكر كسرى (بسياسة دنياهم) اى بتدبير امورها لان هذا معنى السياسة لغة قال

وبينا نسوس الناس والامر امرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

وقول ابن كمال في رسالة المعرب انه معرب خطأ كما تقدم (يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) يعني انهم عرفوا امر سيرهم واكلهم وشربهم وتقيدوا بذلك وغفلوا عن المعاد وما يليق به وهذا مراده فيما افتتنه كما قال الشاعر

ومن البلية ان ترى لك صاحبا * في صورة الرجل السميع المبصر

فطن بكل مصيبة في ماله * واذا يصاب بدينه لم يشعر

ويقرب ما قاله المفسرون نقلا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم يعلمون امر معايشهم ودنياهم متى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يغرسون ويبنون (ولكن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة اجزاء) يعني انهم قسموا ايامهم لما ذكر والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قسم اوقاته وهو اكبر حزما لعدم ضياع جزء ووقت من عمره فيما لا يعنيه وشتان بين القسمين والمقسمين وفي نسخة لكن بدون واو (جزأ لله) اى لعبادة الله وتلقي وحيه (وجزأ لاهله) اى لمصالح اهله ونحوه (وجزأ لنفسه) مخصوصا بأكله وشربه ونحو ذلك من اموره الدنيوية وجزأ في المواضع الثلاثة بضم فسكون بضمه وبرفعه وكذا روى (ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس) اى جعله قسمين قسما لخاصة نفسه وقسم الخاص به قسم له في نفسه وقسم يعطره في امور الناس ونحو ذلك (فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يستعين بالخاصة) من اصحابه وهم خلفاؤه ووزراؤه رضي الله تعالى عنهم ومن يقرب منهم (على العامة) من المسلمين (ويقول) للخاصة (ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي) اى اخبروني وقولوا لي ما يطلبه العوام ممن لا يقدر ان يبلغني حاجته اما لعدم الجراءة على كلامه لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم او لعجزه عن الوصول اليّ ثم رغب في ذلك بقوله (فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها آمنه الله يوم الفزع الاكبر) وهو يوم البعث والحشر يحدث بكون الناس كلهم في فزع اى خوف من العذاب وقيل هو يوم النفخة او يوم الانصراف الى النار وهذا من حديث هند بن ابي هالة وآذنه بالمد بمعنى جعله في امن من اهوال القيامة (وعن الحسن) بن علي رضي الله عنهما كما رواه ابو داود في مراسيله (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا يأخذ احدا بقرف احد) الاخذ مجاز عن العقوبه من اخذ السلطان اذا حبسه وجازاه على ماصدر منه والقرف بفتح القـاف وسكون الراء المهمله والفاء التهمه واسناد الذنب لغيره وقال البرهان الحلبي يقال قرفت الرجل اى عبته واتهمته فهو مقروف وفى نسخه تقذف بذال معجمه بدل الراء وكتب عليها صح (ولا اصدق احدا على احد) اى لاايحكم بصدق مقـاله صدرت من احد فى حق احد غيره باسناده اليه امرا يقتضى عقوبة اوحقا من الحقوق بمجرد قوله من غير اثبات لمقاله وهذا من عدله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن هذا ليس على عمومه فانه ربما كان المخبر ممن يعلم صدقه ويعتمد على خبره وينكشف سوء المنوه حليه الحال له (وذكر ابو جعفر الطبرى) هو الامام محمد بن جرير الطبرى المشهور وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البزار الى قوله برسالته الآتى (عن على) كرم الله وجهه (عنه صلى الله عليه وسلم ماهممت بشئ) وقد تقدم هذا الحديث والكلام فيـه وانما اعاده المصنف لغرض آخر وهو بيان عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم عن اللهو وان الله عصمه عن ذلك من اول امره وقيل انما اعاده لزيادة فيه لم يذكر اولا وهى قوله غير مرتين الى آخره (مما كان اهل الجاهلية يعملون به) كما تقدم بيانه (غير مرتين كل ذلك يحول الله بنى وبين ماارىد من ذلك) استعار الحائل الحاجز بين شئ وشئ للمانع كما فى قوله تعالى (يحول بين المرء وقلبه) قال ابو عبيد اى يملك عليه قلبه فيصرفه كيف يشاء وذلك الثانى اشارة لما كان عليه اهل الجاهلية والمعنى انه عصمه صلى الله تعـالى عليه وسلم عنه (ثم ماهممت بسوء) اى صرف الله قلبى عن ان يهم بسوء اى بقبيح شرعا كاللهو (حتى اكرمنى الله برسالته) اى حتى من الله على بالعصمة وجعلنى نبيا رسولا ثم بين ماهم به فى المرتين فقال صلى الله تعـالى عليه وسلم (قلت لغلام كان يرعى معى) يعنى انه صلى الله تعـالى عليه وسـلم كان يرعى غنما لبعض قريش فى صغره وهكذا كان الانبياء عليهم الصلوة والسلام يرعون لغيرهم ايضا والغلام كان اجيرا ايضا يرعى معه ورافقه فى البادية وفى هذا تحصيل كسب حلال وتدريب لرعاية الخلق كما ورد كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته مع مافيه من الانس بالوحدة والخلوة وفى الحديث مامن نبى الارعى الغنم قيل ولا انت يارسول الله قال نعم كنت ارعاها على قراريط لمكة وقيل حكمته ان الغنم جاهلة ضعيفة الاسنه فكان ذلك ايناسا بسياسة الخلق والقراريط جمع قيراط وهو سدس درهم وقيل انه اسم جبل بمكة وانكروه لانه لم يسمع به ثمه وفى الحديث ستفتح عليكم مصر فاستوصوا باهلها خيرا الحديث والقيراط فيه وقيل انه بهذا المعنى وقيل انه نسابة بهم وقيل غير ذلك وعدى انه بمعنى مقدار الارض المعروف بهم فى المسـاحه لانه مخصوص بها واما غيره فلا اختصاص له بها وفى هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لاخباره بالغيب وقوله (لو ابصرت لى

عني) اي لو حرستها وحفظتها لان الصر والطر يستعار لذلك (حتى ادخل مكة فاسمر بها) سمر يسمر كقتل يقتل والسمر التحدث بالليل واصل معناه ضوء القمر من السمرة وهي السواد القليل فسمي به حديثهم ليلا لجلوسهم له فيه قال
كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر
(كما يسمر الشباب) والشباب بفتح الشين مصدر شب بمعنى صار شابا واسم جمع له كالعقود والشاب حديث السن كالفتى (فخرجت) من البادية التي فيها الغنم (لذلك حتى جئت اول دار من مكة) غاية لمجيئه من المرعى (سمعت فيها عزفا) بعين مهملة وزاي معجمة وفاء بزنة ضرب وهو ما يلهى به الانسان وفي مختصر العين العزف اللعب بالمعازف وهي الملاهي وواحدها عزف على خلاف القياس او معزف والمعزف الطنبور او الدف وقيل كل لعب عزف (بالدفوف) جمع دف بضم اوله وفتحه وتشديد الفاء وهو الذي يضرب به النساء وهو معروف ويسمى عند العامة دراجا وطارا وفيه شبه الجلاجل قال
كأن في الدف الذي نفصله * زمار دف يمني جلاجله
واجاب فيه جمهور بعض السادة وكرهه مالك (والزمامير لعرس بعضهم فجلست انظر) ما يلعبون به والدس يلعبون (فضرب على اذني فنمت) بكسر النون واذن بضمتين وضم فسكون تخفيفا وضرب الله على اذنه ان يغشاه النوم واصله منع السمع لان من نام لا يسمع وهو مستعار من ضرب الخيمة العظيمة المغطية لمن تحتها فكأن آذانهم تحت غطاء يحجبونه عن السمع قال الراغب ضربت عليهم الذلة التحفتهم التحاف الخيمة لمن ضربت عليه ومنه استعير فضربنا على آذانهم في الكهف وفيه لطف هنا لانه ذهب ليسمع ضرب الدف فضرب على اذنه صيانة من الله له صلى الله عليه وسلم (فما ايقظني الا مس الشمس) اي مس حرها وكأنها مسته حتى حركته وجذبته حتى نبهته ففيه استعارة ولطف كما في قول ابن المعتز
والريح تجذب اطراف الغصون كما * افضى الشفيق الى تنبيه وسنان
وكما قيل * قم بنا ندالنا السقيم حتى * القت على الشمس رداءها
(فرجعت) من المكان الذي ضرب فيه الدفوف (ولم اقض شيئا) من قضى وطره اذا كان ما يريده يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم جلس قليلا فغلبه النوم حتى لم يسمع شيئا من ذلك لعصمة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم وتجرد همه بذلك وارادته لا حرج فيه والفاء سابقة بعدم سماعه على انه لم يكن حرم عليه شيء من ذلك وكونه محرما في شرع من قبله وهو صلى الله تعالى عليه وسلم ما شرع به غير مسلم * واعلم ان المعازف حرام في ما سالا نهي عنها في الاحاديث المشهورة كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليكونن في امتي اقوام يستحلون الخمر والمعازف واختلف في بعضها فمنهم من جوز الدف في العرس ومنهم من جوز ضرب العود

لتسلية الاحزان كالماوردي وكان الاستاذ الشيخ محمد البكري رحمه الله تعالى وبعضابه يقول عطروا مجلسنا بالعود الماوردي لكنه قول ضعيف وفي منظومة الدميري رحمه الله تعالى

وبعمات العود في الاحزان * قالوا يزيل اثر الاحزان
فاحرم على الحريم اي حرم * والحرم ان لا تبيع ابن حزم
فقد ابحت عنده الاوتار * والعود والطنبور والمزمار

(ثم عراني) اي طرأ علي وعرض لي وغشيني (مرة اخرى) في وقت آخر (مثل ذلك) من الهم بالسماع والذهاب له (ثم لم اهم) قال التلمساني هو بضم الهاء وعامته اقتصر الجوهري رحمه الله تعالى (بعد ذلك بسوء) اي بما هو اثم فسماه سوء لانه يكرهه ويؤلمه ﴿فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم﴾ اي سكونه وطمأنينته ورزانته يقال وقر يقر وقرا ووقارا وفسروه هنا بالحلم وهو غير مناسب هنا كما لا يخفى ويجيء الوقار بمعنى العظمة كما في قوله تعالى (ما لكم لا ترجون لله وقارا) واصله من الوقر وهو الثقل (وصمته) اي سكوته وهو من الوقار (وتؤدته) بضم التاء الفوقية وفتح الهمزة والدال المهملة وهي التأني يقال اتأد في فعله اذا تأنى ولم يعجل وتاؤه مبدلة عن واو (٢) (وحسن هديه) بوزن ضربه بمعنى سيرته وطريقته وسمته وسلوكه (٢) ووقع في اكثر النسخ هنا (ومروءته) فليراجع قاله مصححه «طاهر»
(حدثنا ابو علي الجياني) بالجيم وتقدم ضبطه وترجمته (الحافظ اجازة) قال ابن فارس في مجمله وهي من جواز الماء الذي تسقاه الماشية يقال منه استجزت فلانا فاجازني اذا سقاك ماء لارضك وماشيتك قال القطامي وقالوا فلان قيم الماء فاستجز عباده ان المستجيز على قراي على ناحيته وجزت الموضع سرت فيه واجزته خلفته وقطعته واجزته نفذته قال امرؤ القيس

ولما اجزنا ساحة الحي وانتحى * بنا بطن(٣) خبت ذي قفاف عقنقل (٣) باطن نسخه

وقوله حتى يقال اجيزوا آل صوفانا يمدحهم بانهم يجيزون الحاج انتهى قال ابن الصلاح قلت فللمجيز على هذا ان يقول اجزت فلانا مسموعاتي او مروياتي فيعديه بغير حرف جر من غير حاجة الى ذكر الرواية او نحو ذلك ويحتاج الى ذلك من يجعل الاجازة بمعنى التسويغ والاذن والاباحة وذلك هو المعروف فيقول اجزت لفلان رواية مسموعاتي مثلا ومن يقول منهم اجزت له مسموعاتي فعلى سبيل الحذف الذي لا يخفى نظيره انتهى * اقول اعلم ان اصل الاجازة في كلام العرب قد عمنا كما ذكره اهل اللغة الاذن في الانصراف ولما كان من اخذ عن شيخه ينصرف عنه اخذت منه كما تقتضيه الاستعمال وكلام اهل اللغة قاطبة لانها من مجاز المكان اذا تجاوزه ومر عليه ثم عدي بالهمزة للمفعول الثاني وقد تقتصر على احد مفعوليه لانه من باب كسا ومعنى اجازه اذن له في الجواز والمرور ثم استعمل في مطلق الاذن

وشاع حتى صار حقيقة فيه بمعنى اجازة الشيخ اذنه فى الرواية عنه وهذه لفظة قديمة كما سمعته وكذا الجائزة بمعنى العطية لسبب محدثه كما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله الا انه يحتمل انها من هذا لان المعطى كانه يأذن لمن اعطاه فى الانصراف عنه ولا تختص بالماء كما يوهمه كلام المحمل المقدم وهو الذى عزا ابن الصلاح فقوله مأخوذه من جواز الماء لا وجه له بل من اجازه اذا جعله جائزا ثم نقل لمعنى اذن له وكذا قوله وقد تبين انه يجوز به عن معنى لفظ آخر وبينهما مخالفة فى التعدية ويجوز حمله على حقيقته وعلى مجازه فلك حينئذ ان تعديه لمفعولين ولك ان تعديه لواحد بحرف وبدونه فيحمل محمل (٢) اذن واجاز من غير تكلف (وعارضت بكتابه) اى قابلت بنسخته حال القراءة لانه يقال عارضه اذا قابله والكلام على هذا مبين فى مصطلح الحديث فالمعنى انه حدثه به قراءة منه وهو مقابل له وفى يده كتابه (قال حدثنا ابو العباس الدلائى) بكسر الدال المهملة مشددة وتخفيف اللام الموحدة ثم الف ممدوده وياء مشدده نسبة الى دلاء جمع دلو وقال البرهان الحلبى ان لامه مشددة ووجد فى بعض النسخ مضموم الهمزة والظاهر انها مكسوره بعدها ياء نسبة انتهى والظاهر انه مفتوح الدال وهو صانع الدلو وهو ابو العباس احمد بن انس العذرى المعروف بابن الدلاء من مدينة بالنسبة قال (اخبرنا ابو ذر الهروى) تقدمت ترجمته وهو عبد الله بن احمد بن محمد الهروى قال (اخبرنا ابو عبد الله الوراق) ابو الحسن عبد الله محمد بن على الانطاكى المعروف بابن الصور الوراق قال (حدثنا اللؤلؤى) ابو على محمد بن احمد بن عمرو المشهور برواية السنن عن ابى داود قال (حدثنا ابو داود) سليمان بن اشعث صاحب السنن الامام الحافظ المشهور قال (حدثنا عبد الرحمن بن سلام) بفتح السين المهملة وتشديد اللام وهو جد عبد الرحمن نسب اليه وابوه محمد بن سلام البغدادى الثقة روى عنه ابو داود والنسائى وقال لا بأس به قال (حدثنا حجاج بن محمد بن (٣) عبد الرحمن بن ابى الزناد) هو الاعور المصيصى الحافظ الثقة اخرج له اصحاب السنن الاربعة قال ابن حزم توفى سنة اربع وستين ومائة (عن عمر بن عبد العزيز بن وهب) وقال اهيب بالهمزه وهو بدل واسى وهو انصارى مولى لزيد بن ثابت وهو روى عن خارجه واخرج له ابو داود فى المراسيل هذا الحديث وقال الذهبى لا يعرف من هذا كما فى الميزان (سمعت خارجه بن زيد) هو خارجه بن زيد بن ثابت الانصارى المدنى التابعى احد فقهاء المدينه السبعة وهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار وفى السابع اقوال فقيل هو سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهم وقيل ابو سلمة بن عبد الرحمن وقيل ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ثم ان الفقهاء بالمدينه وان كانوا كثيرا فانما خص هؤلاء لاجماع الناس على رأيهم

(٢) فيحمل على نسخه

(٣) ووقع فى نسخ المتن هنا «عن» بدل ابن فليراجع قاله مصححه «طاهر»

واسهامهم له واهم لمعرفتهم بالفضل والصلاح حتى كان لايقضى فى امر حتى يرفع اليهم وكان الناس يتبركون بهم حتى قيل ان اسماءهم اذا علقت على محموم برئ واذا وضعت فى البرلم يدخله سوس ولم يفسد وقد نظمهم القائل فى قوله

الا كل من لايقتدى بائمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه

فخذهم عبيدالله عروة قاسم * سعيد ابو بكر سليمان خارجه

وهذا الحديث من مراسيل ابى داود (يقول كان النبى صلى الله عليه وسلم اوقر الناس فى مجلسه) اى اعظمهم وقارا اذا نزل الناس وجلس معهم بخلاف ما اذا خلا مع اهله او مع خاصته فانه ينبسط معهم ويلاطفهم يعنى ان هذا كان عادته ودأبه صلى الله عليه وسلم بحيث لايصدر عنه خلافه وكان وان كانت بحسب الاصل فعلا ماضيا لكنها قد تستعمل للاستمرار نحو وكان الله غفورا رحيما وللتكرار نحو كان حاتم يقرى الضيف لقرينة وهو استعمال شائع ولكنه عده بعض الاصوليين معنى لها ولم يحققه احد كابن حجر فى كتاب الخصائص فان اردته فانظره (لايكاد يخرج شئ(٢) من اطرافه) اى اطراف بدنه كرجليه ولايكاد يخرج فيه مبالغة اى لايخرج ولايقرب من الخروج ولذا عدل عن لايخرج وهو اخصر ويخرج بفتح اوله مضارع خرج يخرج كنصر ينصر وشئ فاعلا او بضمه مضارع اخرج وشيئا مفعول الا ان خط النسخ على الاول (وروى ابو سعيد الخدرى) هو سعيد بن مالك بن سنان الخدرى رضى الله تعالى عنه وقد تقدم (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جلس فى المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم محتبيا) وفى رواية ثوبه بدل بيديه والاحتباء بالحاء المهملة ان يجمع ظهره وساقيه بيديه او عمامته ونحوه والحبوة بضم الحاء وكسرها ويقال حبيه وحبيه ايضا وقال الاحنف الاحتباء حيطان العرب لانهم اهل برارى لاحيطان لهم يستندون اليها فالاحتباء قائم مقامها وليس هذا معارضا لما ورد فى الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الاحتباء فى ثوب واحد اذ النهى فيه لم يرد عن الاحتباء وانما ورد عن كونه فى ثوب واحد لانه ربما تحرك فيزول الثوب وينكشف عورته واما قوله

واذا احتبى قربوسه بعنانه * علك الشكيم الى انصراف الزائر

فاستعارة ونهى عن الاحتباء يوم الجمعة والخطيب يخطب لانه يؤدى الى النوم وهذا الحديث رواه ابو داود والترمذى فى شمائله (وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه) رواه مسلم وابو داود (انه) صلى الله عليه وسلم (تربع) اى جلس متربعا وهو ان يقعد الرجل على وركيه ويمد ركبته اليمنى الى جانب يمينه وقدمه اليمنى الى جانب يساره وركبته اليسرى الى جانب يساره وقدمه اليسرى الى جانب يمينه وهذا فى خارج الصلوة كما

(٢) شيئا نسخه

في الحديث كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الفجر جلس متربعا حتى تطلع الشمس
وهو في الصلوة كما صرح به الفقهاء واما خارجها فلا يكره وقيل انه سنة وقول بعض
فقهائنا انها جلسة الجبابرة مع فعله صلى الله تعالى عليه وسلم لها فيه نظر (وربما جلس
القرفصاء) بضم القاف والفاء ويجوز كسرهما ويمد ويقصر وهو جلوس
على الثيه كجلوس المحتبي بيديه من غير احتباء كما يدل عليه ما بعده وقال الفراء
اذا ضممت مددت واذا كسرت قصرت (وهو) اي جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم
القرفصاء ورد (في حديث قيلة) بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهي بنت
مخرمة العنبرية كما في المغني وقال الشمني العدوية وقيل العنبرية وهو الصحيح
وفي حديثها انها رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المسجد وهو قاعد
القرفصاء وفي رواية فلما رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المتخشع في الجلسة
ارعدت من الفرق وليس هذا في رواية الترمذي ومسلم الى ذكرها المصنف
وفي كلامه اشارة الى انه زيادة عليها والمتخشع ان كان صفة فالرؤية بصرية وان كان
مفعولا ثانيا فهي علمية وارعادها من مهابته صلى الله تعالى عليه وسلم
لا من خشيه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر السكوت لا يتكلم في غير حاجة)
تدعوه للكلام ولم يكن يسرد الحديث بعجلة افهم عنه وهذا مروي عن عائشة
رضي الله تعالى عنها (يعرض عمن تكلم بغير جميل) لا يرضاه فيعلم باعراضه
عنه انه غير مرضي له صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا من وقاره ايضا وليس
المراد به ان يكون حراما كما قيل لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقر على مثله
(وكان ضحكه تبسما) بدون قهقهة لشدة وقاره صلى الله تعالى عليه وسلم والضحك
انبساط الوجه حتى تظهر منه السرور وتبدو الثنايا فقط واما ما ورد من انه
صلى الله تعالى عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فمحمول على المبالغة لزيادته
فيه على ما عهد منه او هو نادر لا يعتد به (وكلامه فصلا) بفاء وصاد مهملة
اي فاصل بين الحق والباطل او مفصل لمهلة فيه قال تعالى انه لقول فصل
وما هو بالهزل (لا فضول) مصدر اي لا زيادة فيه وقيل انه في الاصل جمع فضل
بمعنى الزيادة فخص غلب ولذا قيل في النسبة له فضولي ونسب للجمع
(ولا تقصير) فيه حتى يخل بفهم السامع (وكان ضحك اصحابه عنده) صلى الله تعالى
عليه وسلم (التبسم توقيرا له واقتداء به) لتخلقهم باخلاقه وتأدبهم بآدابه (مجلسه
مجلس حلم) بكسر الحاء وسكون اللام وفي نسخة حكم بضمها مع الكاف
(وحياء) منه ومن اصحابه (وخير) لاحسانه ولطفه وتعليمه (وامانة) امن
المتكلمون فيه على اسرارهم فلا ينقل منه ما لا يحبون افشاءه كما ورد في الحديث المجالس
بالامانة (لا ترفع فيه) اي في مجلسه (الاصوات) لادبهم وتوقيرهم له وكان ذلك
محرما عليهم لقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي)

واما كونه وقع مثله بحضرته في قصة الافك فنادر لا يعتد به (ولا تؤبن فيه الحرم) بضم المثناة الفوقية وهمزة ساكنة وبدل واوا وتؤبن من ابنه يأبنه اذا عابه ورماه بقبيح اصله الابنة وجمعها ابن وهي العقدة في القسي تفسدها وتعاب بها ووقع في بعض الحواشي تؤبر براء بدل النون وفسره بعاد كر على انه مأخوذ من المآبر التي واحدتها مئبرة اومن ابرته العقرب اذا لدغته بابرتها وهي آخر عقد ذنبها وهو تصحيف كانه وجده في بعض النسخ فاتبعه والمذكور في كتب اللغة كالنهاية والجوهري وغيرها هوالاول وصرح ابن فارس في المجمل بان الحديث مروي هكذا والحرم جمع حرمة وهي كل مايحرم هتكه واما ما بعماله تعنى المرأة فعامية وان كان لها وجه وقيل انها صحيحة مراده هنا النساء لانه ورد في الحديث نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن شعر تؤبن فيه النساء وفي حديث الافك (اشيروا على في اناس آبنوا اهلي) اتهمى نعني انه محفوظ من الرفث ولغو القول فهو من وقاره ايضا لقوله (اذا تكلم اطرق جلساؤه) اي طأطؤا رؤسهم توقيرا له صلى الله تعالى عليه وسلم منصتين لكلامه (كانما على رؤسهم الطير) وصفهم بالسكون وعدم الحركة والطيش لان الطير لاتكاد تقع الاعلى شيء ساكن ولك ان تقول انه شبههم بغصون مغروسة في رياض مجلسه كما قال في البردة

كانهم في ظهور الخيل نبت ربا ٭ من شدة الحزم لامن شدة الحزم

(وقال في المقصورة)

كانما الطير على رؤسهم ٭ من كل غصن في ربا المجد نما

والطير جمع اواسم جمع لطائر وهو معروف (وفي صفته صلى الله تعالى عليه وسلم) في مشيه وهو خبر مقدم وقوله (يخطو تكفأ) مبتدأ لانه اريد به لفظه فهو كقوله لاحول ولاقوة الابالله كنز من كنوز الجنة اي قيل في وصفه هذا ويخطو مضارع خطا المتعدي اذا مدرجله ومشا والخطوة بالضم مابين القدمين وبالفتح المرة وتكفأ بفتح المثناة والكاف وفاء مضمومة مشددة بعدها همزة مصدر كتقدم تقدما بمعنى مال الى قدام والاصل فيه الهمزة وبه روي فان اعتل كسرت الفاء وكان بالياء كتسمى تسميا وقال شمر معناه مال يمينا وشمالا كمشي المختال والصواب تفسيره بمال الى جهة ممشاه كما يدل عليه قوله كانما يحط من صبب اي من علو لاتمايل فانه غيره انسب وقد ورد في حديث ابن ابي هالة انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذريع المشية اذا مشى بقلعها اي يرفع عن الارض بجملته وروي قلعا بفتح القاف وكسر اللام وهو ادل على الثبات والشجاعة وهكذا كان اولوا العزم عليهم الصلوة والسلام (ويمشي هونا) بفتح الهاء وسكون الواو اي برفق ولين من غير تمايل مع الرفق والثبات قال الله تعالى (يمشون على الارض هونا) قال مجاهد بالسكينة والوقار (كانما ينحط من صبب) بفتحتين اي ينزل من صبب وهو الموضع المنحدر وفي رواية كانما هو من صوب

بالضم والفتح وهو ما انصب من ماء ونحوه اي لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يستعجل واما قول ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ما رأيت احدا اسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كأنما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث فانما هو لسعة خطوته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لا يلحق مع تأنيه وتمهله (وفي الحديث الآخر اذا مشى مشى مجتمعا) اي سهل اعضاءه كلها دفعة واحدة من غير تحريك لرأسه السريف ويديه فهو صلى الله عليه وسلم في مشيه قوي غير مسترخ (تعرف في مشيته) بكسر الميم وفتحها (انه غير غرض) بفتح العين المعجمة وكسر الراء المهملة والضاد المعجمة اي غير قلق ولاضجر ولا ملل (ولا وكل) بفتحتين وهو البليد والجبان والعاجز الذي يكل امره لغيره وحكي شمر فيه كسر الكاف كما قاله الملا المسالي والدلجي وهو انسب هنا لموازنته لما قبله وفسره بكسلان وقوله (اي غير ضجر ولا كسلان) تفسير فان ظاهره انه تفسير لما قبله على اللف والنشر المرتب وضجر كحذر من الضجر وهو القلق والكسلان من الكسل وهو الفتور وعدم النشاط من الغم وتكون بمعنى سوء الحال ويكون غرض بمعنى مشتاق كقوله

اي ضجرت الى تناصف وجهها * غرض المحب الى الحبيب الغائب

وليس بمراد هنا (وقال عبد الله بن مسعود) رضي الله تعالى عنه رواه البخاري واصحاب السنن (ان احسن الهدى هدى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) والهدى بدال مهملة بوزن الرمي السمت والسيرة والطريقة والحالة التي تكون عليها وهذا الحديث وان كان موقوفا على ابن مسعود فله حكم المرفوع وكذا سائر الاحاديث المتعلقة بالشمائل فان مثلها لا يقال من قبل الراوي وقد روي مرفوعا ايضا وكان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه اشبه الناس هديا بهدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا عمر وابنه رضي الله تعالى عنهما فلذا كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يتشبهون به في هديهم وبقية الحديث وشر الامور محدثاتها وهو حديث طويل قال ابن قرقول وروي بضم الهاء وفتح الدال ضد الضلال (وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما) اخرجه ابو داود والامام احمد في الزهد (كان في كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترتيل او ترسيل) كذا في النسخ باو اشارة الى انه روي بكل منهما على حدة وفي المصابيح بالواو لتقارب معناه فالعطف تفسيري فلا منافاة بينهما كما قيل اي تبيين الكلام من غير عجلة وغموض حتى يتمكن فهم السامع له وقيل الترتيل التبيين والترسيل التؤدة والترتيل من قولهم ثغر مرتل وهو المفلج كالاقحوان (قال ابن ابي هالة) المتقدم ترجمته (كان سكوته) صلى الله تعالى عليه وسلم (على اربع) اي يقع على اربع خصال فيه (على الحلم) اي يسكت تارة لحلمه على من يتكلم عنده بما يقتضي المؤاخذة (والحذر) اي الاحتراس من كلام ربما ادى لامر يخشى منه (والتقدير)

اى بقدر صلى الله تعالى عليه وسلم فى نفسه وسكوته مايليق به وبغيره (والتفكر) فى مصنوعات
الله ونحو ذلك (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان عنها (كان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه) اى لو اراد عدّه عده
بسهولة او لو عده حصره بحيث لا يفوته منه شئ لقلته وتؤدته وعدم سرعته فيه (وكان
صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة) الطيب كل ما تطيب به
من بخور ومسك وزعفران ونحوه والرائحة الحسنة تشمل رائحة غيره كالريحان
وسائر الزهور العطرة ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرد هديتها (ويستعملهما
كثيرا) فى اكثر اوقاته لملاقاته الملك فانهما تقوى الحواس والملائكة عليهم الصلوة
والسلام يحبها ويكره الرائحة الخبيثة بعكس الشياطين (ويحض عليهما) بضمير
التثنية للطيب والرائحة وفى نسخة عليها فالضمير لها لانها المقصود من الطيب لا لانها
اعم كما قيل لعبارتها اى كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحث الناس ويحرضهم
على استعمال ذلك لما لهم فيه من الفوائد ولحضور الملائكة الحفظة والكتبة عندهم
وللملاقاتهم له عليه ومن مروءة الانسان نظافته وطيب رائحته (ويقول حبب الى
من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلوة) وقد تقدم هذا الحديث
وان لفظ ثلاث الموجودة فى التفاسير كالاحياء والكشاف غير ثابتة عند اكثر المحدثين
وما فى عطف جعلت فان محبة النساء من هدى الانبياء عليهم الصلوة والسلام كداود
وسليمان وكان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم من قوة الجماع ما ليس فى غيره وقال فضلت
على الناس باربع بالسماحة والشجاعة وقوة الجماع وشدة البطش وكان فيه صلى الله
تعالى عليه وسلم قوة اربعين رجلا من رجال الجنة وكل رجل منهم فيه قوة مائة
رجل من اهل الدنيا وهذا مع قلة اكله وشربه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا
الحديث اخرجه اصحاب الكتب الستة وكان اكثر طيبه صلى الله تعالى عليه
وسلم الذريرة وهو طيب يجئ من الهند معروف مركب وتقدم انه انما قال حبب
بالبناء للمجهول لان تلك المحبة جعلها الله فيه طبعة لا بهواه نفسه وعلى تسليم رواية ثلاث
اما ان يكون اكتفى باثنين منها وحذف الثالث لتذهب نفس السامع كل مذهب
والعرب تفعله كقوله

كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم * من العبيد وثلث من مواليها

او الثالث الصلوة وقرة عينه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها وجعلها من الدنيا
لوقوعها فيها ويكون تغيير العبارة اشارة لمغايرتها لما قبلها وانها ليست من جنسها
ووقع فى بعض النسخ هنا زيادة لفظ ثلاث بعد قوله من دنياكم وقد تكلم فيها
وانها ليست ثابتة وان اثبتها الزمخشرى والغزالى فى الاحياء وكذا المصنف رحمه الله
تعالى فعلهم وقد افردنا هذا الحديث بتعليقة مستقلة والحديث رواه ايضا النسائى

في سننه وفي رواية له بلفظ حبب الي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة
ومن هذا الوجه اخرجه احمد وابو يعلى في مسنديهما وابو عوانة في مستخرجه على
الصحيح والطبراني والبيهقي وآخرون كالحاكم في مستدركه بسند جيد بدون لفظ وجعلت
وقال صحيح على شرط مسلم واخرجه ابن عدي في كامله وقال العقيلي انه ضعيف
(ومن مروءته صلى الله تعالى عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب) المروءة
من المرء وهو الانسان فهي بمعنى الانسانية ومعناها التلبس بما يليق بالرجال وترك
ما يخل به فارتكاب ما يكرهه الصاحب مخل بالمروءة والنفخ فيما ذكر اما للتبريد او ازاحة
قذر على وجهه وقد يخرج معه ريق المرء فيكره تناوله او يكون النفس متغيرا فيؤثر
فيه ولو توهما والغرض منه يحصل بالصبر واماطة ما عليه باراقة وخلال ونحوه ولذا
نهى عن التنفس في الاناء حال الشرب واما ما ورد من انه صلى الله تعالى عليه
وسلم كان يتنفس اذا شرب مرتين ونحوه فليس معناه ذلك بل انه يقطع الشرب
وينحي الاناء ويتنفس خارجه فانه يستحب عدم العب والقطع في الشرب وقد ورد
ان النفخ في الطعام يذهب البركة وكما ورد ابردوا بالطعام فان الحار لا بركة فيه وفي لفظ
عند ديلمي بركة وليس المراد ابرادة بنفخه حتى يبرد بل اكله باردا بان يصبر عليه حتى يبرد
فلا منافاة بينهما كما توهم وقلة بركته لانه لا يكاد يمضغه ويبلعه او انه لشدة حرارته يهضم
سريعا فلا تشبع شبع غيره (و) من مروءته صلى الله عليه وسلم (الامر بالاكل مما يلي)
كل احد من الطعام لحديث عمر بن ابي سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لان امه ام سلمة رضي الله تعالى
عنها زوجه صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك اي لا من الوسط
ولا مما يلي غيرك فهذا امر منه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وورد مثله
في احاديث اخر وقال ايضا تنزل البركة في وسط الطعام فكلوا من حافتيه
او من حافتيه وهذا امر ندب وذهب بعض الشافعية الى انه للوجوب وقال الشيخ
تاج الدين السبكي من الفوائد الفقهية في هذه المسئلة التي لا تكاد تعرف لان الشافعي
رضي الله تعالى عنه نص في الام في الجزء السادس عشر في باب صفة النهي
على ان اكل الانسان مما يليه واجب ولو لم يفعله اثم ان كان عالما بالنهي انتهى ولعله
اذا علم عدم رضاء صاحبه وجليسه بذلك فيل وهذا اذا لم يكن الاكل من ذلك
بقصد التبرك بمس يده وعليه حمل ما في حديث الدباء انه صلى الله تعالى عليه
وسلم جعل يتبعها وهو ايضا في غير الفاكهة فان له الاكل والاخذ منها
من اي جانب قال بعض المدققين واليه الاشارة بقوله تعالى (وفاكهة مما
يتخيرون) وفيه لطف خفي (والامر بالسواك) امر ندب وشذ بعض الشافعية
فاوجبه للصلوة والسواك اسم للعود الذي يستاك به وللفعل وهو الاستيال

والمراد الثاني او الاول بتقدير مضاف اي استعمال السواك وعده من المروءة لما فيه من النظافة وطيب رائحة الفم (وانقاء) بكسر الهمزة وسكون النون وقاف بعدها مدة من انقاه اذا نظفه كنقاه (البراجم) بباء موحدة وراء مهملة والف وجيم وميم جمع برجم او برجمة بضم الباء والجيم وهي مفاصل الاصابع التي تليها والسلاميات من ظهر الكف التي ترتفع اذا قبض الانسان كفه فهي المفاصل الظاهرة والبراجم الباطنة وقيل هي مفاصل الكف كلها والاشاجع جمع اشجع وهي اصول الاصابع المتصلة بالكف (والرواجب) براء مهملة وواو والف وجيم وباء موحدة جمع راجبة على القياس وقيل جمع رجبة بضم فسكون على خلافه وهي المفاصل التي تلي الانامل وقيل هي مفاصل اصول الاصابع وقيل قصب الاصابع وقيل السلاميات وقيل ما بين البراجم والسلاميات وقيل ظهور السلاميات وقيل مفاصل الاصابع وواحد السلاميات سلامى بضم السين وفتح الميم مقصورة وتفصيله في كتاب خلق الانسان وجزم البرهان الحلبي بان البراجم العقد المتشنجة في ظهور الاصابع وهي مفاصلها ونقل عن ابي عبيد ان البراجم والرواجب جميعا مفاصل الاصابع كلها وهي اللائق بكلام المصنف ويدل عليه لا على ما في الصحاح من ان البراجم مفاصل الاصابع التي بين الاشاجع والرواجب وهي رؤس السلاميات من ظهر الكف اذا قبض القابض كفه نشزت وارتفعت والراجبة في الاصابع واحدة الرواجب وهي المفاصل التي تلي الانامل ثم البراجم ثم الاشاجع التي تلي الكف انتهى لئلا تكون المفاصل التي تكون الكف خارجة ادخل على ما وقع غيرها وعند ابي عبيد داخلة فيهما مع ان الظاهر انهما شيء كالتي بين الانامل والتي تليهما كما قيل (واستعمال خصال الفطرة) الخمس فيما رواه الشيخان الختان والاستحداد اي حلق العانة بالحديد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وزاد مسلم رحمه الله تعالى المضمضة واعفاء اللحية والاستنجاء وابو داود الانتضاح وزاد غيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فرق الرأس كما تقدم تفصيله المغني عن اعادته والفطرة بكسر الفاء معناها الخلقة كما قال تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها) والمراد السنة التي امر بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر

﴿ فصل واما زهده صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا ﴾

الزهد معناه ترك الدنيا ولذاتها رغبة فيما عند الله وهو ثلاثة اقسام ترك الحرام وهو زهد العوام وترك فضول الحلال وهو زهد الخواص وترك كل ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين واما من لم يرض وصف اولياء الله به فضلا عن انبيائه عليهم الصلوة والسلام لان الدنيا لا تساوي عند المتخلقين باخلاق الله جناح بعوضة وما سأل اعظم ملوكها بعض مهما بل اقل قليل من نالها فعنده معنى الزهد ترك ما رغب نفسه فيه فمن لا رغبة له في شيء منها

لا يسمى زاهدا وغيره يعرفه بترك الدنيا مطلقا او ترك ما من شأنه ان يرغب فيه والى هذا اشار الغزالي في الاحياء في وصفه باعلى طبقات الزهد نظر الى الاول وجنح الى انه من مقامات الكاملين فله منه الحظ الاوفر ومن نفاه عنه ولا يرضى وصفه به نظر الى الثاني واما طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم للدنيا الضرورية في المعاش فليس لرغبة فيها بل لدفع ضعف بدنه المانع عن اداء حق العبودية فلا ينافي في الزهد اصلا واليه يشير صاحب البردة بقوله

واكدت زهده فيها ضرورته * ان الضرورة لا تعدو على العصم

ومن شرط الزهد ايضا القدرة وقال ابن المبارك لما قيل له يا زاهد الزاهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها (فائدة) قال ابو يزيد البسطامي قدس سره نفعنا الله به قدم علينا شاب من بلخ حاجا فقال لي ما علامة الزهد عندكم فقلت له اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا شكرنا فقال هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ فقلت فما الزهد عندكم قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا (فقد تقدم من الاخبار) التي في صفاته في اول الباب (في انباء) اي في خلاله وما بعده جمع نبأ مقصور كما قاله ابن هشام اللخمي في شرح المقصورة ومعناه ما اي ودخل بعضه في بعض (هذه السيرة) اي هذا الكتاب المتضمن لسيرته وطريقته صلى الله عليه وسلم او المراد سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصفاته (ما يكفي) طالب سيرته ويغني عن اعادته هنا (وحسبك من تقلله) اي يكفيك في معرفته تقلله اي قنعه بالقليل (منها) اي من الدنيا لزهده صلى الله تعالى عليه وسلم فيها واكتفائه في ضرورياته بالامر الزهيد القليل وهذا لا ينافي زهده (واعراضه عن زهرتها) اصل معنى الزهرة النضارة والزينة مستعار من الزهر بفتحتين وهو نور النبات وبسكون الهاء اي تركه صلى الله تعالى عليه وسلم ما يرغب فيه الناس من زخرف الحياة الدنيا ومما قلته في الرباعيات

من حرصك بالعلا كم تشتغل * والعمر مضى فما يفيد الامل
ما زهرة هذه الحياة الدنيا * للمرء بأمل المنى يحتمل

(وقد سيقت اليه) اي ساق الله تعالى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم الدنيا مستعار من سوق البهيمة للتسخير والتمكن منها (بحذافيرها) اي بجملتها وكلها من جميع نواحيها يقال ملك كذا بحذافيره اي جميعه بحيث لم يترك منه شيء جمع حذفور او حذفار وهو الجانب وفي النهاية الحذافير الجوانب وقيل الاعالي فكنى به عما ذكر وهو اشارة لما تقدم من ان زهده صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ليس لعجزه عن تحصيلها بل هو مع غاية القدرة عليها والتمكن منها وهذا هو الزهد الممدوح كما تقدم (وترادفت عليه فتوحها) اي تتابعت وتوالت فاتته الدنيا راغمة بما يسر الله له من الغنائم والاموال والارزاق الواسعة الطيبة بحيث لو اراد توسع فيها وانفق واقتطف زهرتها فلم يرضها واكتفى بالقليل منها والجملتان حاليتان او معترضتان

من المبدأ وخيره افادنا كمال زهده صلى الله تعالى عليه وسلم لان من كان هذا حاله
وزهده فزهده ابلغ زهد واتم عفاف اى كافيك مما ذكر حال حصول ماذكر (الى
ان توفى) بالبناء للمجهول اى حضرت وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ودرعه
مرهونة عند يهودى) اى والحال هذه والدرع معروفة تذكر وتؤنث والاكثر
تأنيثها واليهودى كان يسمى اباالشحم من ظفر من موالى الانصار وهذا الحديث
صحيح رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها وانما عامله صلى الله تعالى عليه
وسلم ولم يطلب من الصحابة رضى الله تعالى عنهم لانه لم يحضره اذ ذاك منهم
من يقرض منه ولانه لو طلب صلى الله تعالى عليه وسلم منهم واعلمهم بضرورته وهو
ذلك ولم يرضوا باقتراضه منهم فاخفى حاله مع مافيه من بيان جواز معاملة الكفرة
واهل الذمة (فى نفقة عياله) فى للتعليل كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان امرأة
دخلت النار فى هرة حبستها والعيال اهل البيت ومن يلزمه نفقته والذى اقترضه
صلى الله عليه وسلم ثلاثون صاعا وروى عشرون صاعا من الشعير (و) كان فى حال
اقتراضه (هو يدعو ويقول) كما رواه الشيخان (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا)
القوت كل مايقوت به الانسان من الطعام اى اجعله بمقدار مايسد الرمق من غير زيادة
وقد استشكل هذا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم مات وله حصون واراضى وغيره
مما افاء الله عليه ارض خيبر وفدك وغيرها فكيف مع ذلك يكون به صلى الله تعالى
عليه وسلم فاقة تحوجه الى رهن درعه على اصوع شعير واجاب عنه ابن الصلاح
فى فتاواه بانها كانت بعده لنوائبه موقوفة ولذا لم يورث عنه وقال انا لا نورث ما تركناه
صدقة فلا تقدح فيه ماكان فى ملكه وقد اعده لمصالح المسلمين واخراجه ماتحصل
منها فى ذلك والفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام فاختار صلى الله تعالى
عليه وسلم الفقر ولم يتصرف فيما عنده لنفسه وعياله ولذا لا يجوز ان يقال فى حقه
صلى الله تعالى عليه وسلم انه فقير كما مر * واقول هنا دقيقة وهى ان رياضة النفس
بالجوع تصفى الذهن وتقوى الروح وتجعل النفس قدسية ملكية وقد كان اهل الملل
يتعبدون بذلك ولما لم يكن فى الدين المحمدى لما فيها من الحرج فعل ذلك صلى الله
تعالى عليه وسلم واختاره لنفسه خاصة وابرزه بصورة الفقر لئلا يقتدى به امته فيه
ولحبه لذلك طلبه من الله تعالى له ولآله فافهمه فانه دقيق جدا (حدثنا سفيان بن
العاصى) هذا الحديث رواه مسلم والبخارى وسفيان هذا هو ابن سكرة لان المصنف
سمع منه صحيح مسلم وليس هو الغسانى لانه لم يسمع منه وانما روى عنه بالاجازة
(والحسين بن محمد الحافظ) بن عدى قاضى سنه شيخ المصنف احد الاعلام وقد اكثر
المصنف رحمه الله تعالى الرواية عنه توفى فى جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة
(والقاضى ابو عبد الله التميمى قالوا حدثنا احمد بن عمر) قد تقدمت ترجمتهما (قال

حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي) بفتح الجيم نسبة لقرية
باوريقه وقيل بالشام وقيل انه بضم الجيم وقد تقدم قال (حدثنا ابن سفيان
حدثنا ابو الحسن بن الحجاج) مسلم صاحب الصحيح وقد تقدم هو ومن قبله قال
(حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة) تقدم ترجمته قال (حدثنا ابو معاوية) محمد بن خازم
بمعجمتين الضرير الحافظ احد الائمة الاعلام الا انه كان مرجئيا روى له الستة وتوفي
سنة خمس اواربع وتسعين ومائة وترجمته مفصلة في الميزان (عن الاعمش) ابو محمد
سليمان بن مهران الكاهلي احد الاعلام روى عن انس وابن ابي اوفى وغيرهما
وروى عنه شعبة ووكيع وكثيرون بخوالف وثلثمائة حديث وعاش ثمانيا وثمانين سنة
ومات في ربيع الاول سنة ثمان واربعين ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان
(عن ابراهيم) بن يزيد بن قيس بن الاسود بن عمرو بن ربيعة النخعي الكوفي الفقيه
الزاهد رأس عصره رأى عائشة رضي الله عنها واخرج له الستة وتوفي سنة ست وتسعين
(عن الاسود) بن يزيد النخعي العابد حج ثمانين مرة وصام حتى اخضر جلده
وكان يختم القرآن في كل ليلتين وتوفي سنة اربع اوخمس وسبعين وهو ثقة اخرج له
الستة (عن عائشة رضي الله عنها قالت ماشبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ثلاثة ايام تباعا) اي متتابعة متوالية (من خبز) براكان اوشعيرا وفي نسخة
من خبز بر (حتى مضى لسبيله) اي حتى توفي لان الموت طريق يسلكه كل احد واول
منزل منه القبر (وفي رواية اخرى) رواها البخاري (من خبز شعير يومين متوالين
وثوساء) الدنيا وزينتها ونعيمها (لاعطاه الله عز وجل مالايخطر ببال) البال القلب
والعقل والفكر وخطر يخطر بضم الطاء وكسرها خطورا اذا ذكر وتصوراي يعطيه
منها كل امر نفيس لم يتصوره احد من الناس لجلالته وعظمته وكونه لم يعهد مثله
حتى يعرف (٢) وفي رواية اخرى) رواها مسلم (مابرك) اي ماخلف بركة (رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم دينارا (٣) ولاشاة ولا بعيرا) وفي رواية ولاشيئا ولذا قال عبدالله
بن ابي اوفى مااوصى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند موته لانه لامال عنده يوصى
به وانما اوصى بكتاب الله وادعاء الشيعة انه اوصى وان عليا كرم الله وجهه وصي لااصل
له ولم يثبت (وفي روايه) في الصحيحين (ماشبع آل رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم من خبز بر حتى لقي الله عز وجل) وفي البخاري ماشبع آل محمد منذ قدم المدينة
من طعام بر ثلاث ليال حتى قبض وهو المراد بلقاء الله وفيه روايات كثيرة متقاربة المعنى
وانه ماجمع بين غداء وعشاء وفي رواية من خبز ورطب وفي رواية ما اكل اكلتين في يوم
قيل وهذا مشكل بما ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدخر لاهله قوت سنة وانه
ساق مائة بدنة ووهب قطعا من غنم والف بعير ونحوه كثير وان اصحابه كابي بكر
وعثمان وطلحة كان لهم اموال كثيرة رضي الله عنهم وهم يبذلون له صلى الله

(٢) ووقع في نسخ المتن وبعض الشروح هذه الروايه مؤخره عن الروايه التي تليها فليراجع قاله مصححه « طاهر »

(٣) ولا درهما نسخه

تعالى عليه وسلم اموالهم وانفسهم واجيب بان ذلك كان فى حالة دون حالة وان ذلك للارشاد وكراهة الشبع لا لضيق اليد وعن عائشة رضى الله تعالى عنها من حدثكم انا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما فتحت قريظة اصبنا شيئا من التمر والودك وروى لما فتحت خيبر قلنا الان نشبع من التمر والحق ان كثيرا منهم كانوا فى ضيق قبل الهجرة وبعدها واساهم الانصار بالمنائح فلما فتحت بنو النضير وما بعدها ردوا ذلك عليهم فاقول هذا ينافيه ما مر من انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة فكيف تكون العسرة زالت بعد الهجرة فالحق الاحق بالاتباع ما قاله ابن الصلاح رحمه الله تعالى كما مر بنا وما قاله هذا الشارح لا يسمن ولا يغنى من جوع (وفى حديث عمرو بن الحارث) الذى رواه البخارى (ما ترك) اى ما خلف صلى الله عليه وسلم تركة لاهله (الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة) هذا بعض حديث اوله ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا امة ولا شيئا الا بغلته البيضاء وسلاحه وارضا جعلها صدقة وبعضه فى السير فانهم قالوا كان له صلى الله تعالى عليه وسلم تسعة اسياف لكل منها اسم ودروعه سبع وقسيه ست وثلاثة اتراس وخمسة رماح وقال مغلطاى اربعة ومغفران وراية سوداء يقال لها العقاب مربعة وراية بيضاء او صفراء وكان مكتوبا على راياته صلى الله تعالى عليه وسلم * لا اله الا الله محمد رسول الله * وفى المواهب انها لم تكن الا بيضاء ولم يبين ما وجد بها عند موته واما بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم فهى الدلدل التى اهداها له المقوقس وعاشت بعده صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ذهبت اسنانها فكان يجش لها الشعير ثم ماتت بالينبع وقيل انها بقيت لخلافة معاوية رضى الله تعالى عنه وان عليا كرم الله وجهه قاتل عليها واما بغلته فضة فوهبها لابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه والارض المذكورة فدك والصفر وارض مخريق وهى مفصلة ومعنى كونها صدقة انه وقفها لمصالح المسلمين والوقف يسمى صدقة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يأخذ منها قوته وقوت عياله بقدر الحاجة ويصرف باقيها فكل ما عنده صلى الله تعالى عليه وسلم كان مرصدا لا ملكا لهذا لم يورث عنه كسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام واما قوله تعالى ﴿ يرثنى ويرث من آل يعقوب ﴾ فالمراد منه انه يرث علمه وحكمه ونبوته كما صرحوا به وضمير ضعفها للارض والجملة صفة او مستأنفة اما بيانا او الضمير للمذكورة (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) فى حديث رواه الشيخان (ولقد مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما فى بيتى شئ يأكله ذو كبد) هو كناية عن كل حيوان انسانا او غيره والكبد معروف وهو احد الاعضاء الرئيسة وخصه لان منه يصل الغذاء الى الجسد كله وهذا منافى لقولها ما ترك درهما ولا دينارا ولا شيئا وروى في جمعا بان المنفى ما كان مخصوصا بها من بيته بعيها او المراد بالشئ وان كان عاما ما كان من جنس المال والمتاع او هو لبعدم الاعتداد

مما ذكر لعلته (الا شطر شعير) الشطر النصف كالشطير او البعض مطلقا وفي النهاية
اراد به نصف مكوك او نصف وسق والمكوك المد وقيل الصاع (في رف لي)
بفتح الراء المهملة وتشديد الفاء شبه الطاق في الحائط ويطلق على خشبة عريضة
ترفع عن الارض بعد توضع ما يراد حفظه وهو الرفوف ايضا والاول اقرب
لان الخشبة لا تحتمل وضع هذا المقدار عليها وتمة الحديث فاكلت منه طويلا ثم كلته
ففني وفيه اشارة الى ان الكيل كالعد يذهب البركة وقد وردت وله نظائر كما في مسلم
عن جابر رضي الله تعالى عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستطعمه
فاطعمه شطر وسق شعير فما زال هو وامرأته وضيفه يأكل منه حتى كاله فاتى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم واخبره فقال لو لم تكله لم ينفد وقيل لما فيه من الحرص وعدم
التوكل والتمسك بالاسباب المعتادة واما ما ورد في حديث المقدام كيلوا طعامكم يبارك
لكم فيه فاجيب عنه بانه عند البايع والمشتري وأمثل (وقال) اي النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم (لي) اي لعائشة وفي شرح ابن حجر وقال الحق بدل اللام
اي اذن واقرني الحق فطابت صلى الله تعالى عليه وسلم دونها بايثارها وقال
حكاية لحال ماضية (اني عرض علي) بالبناء للمجهول وفي رواية عرض علي ربي
فقال عرض له وعليه اذا اظهره له وابرازه اياه والمراد اعلامه بالوحي (ان يجعل لي
بطحاء مكة ذهبا) البطحاء والابطح واد يجري فيه السيول او بطن واد فيه رمل
وحصى او مكان لا نبت لانه مسيل وهو مما غلب عليه الاسمية والمراد بجعله ذهبا
ان يملأه به او ان يقلب حصاه ورماله ذهبا او قلب الاعيان كان شأنها من العادة غير مستحيل
لو وقعه والله قادر على كل شيء (فقلت لا يارب) اي لا اريد جعل البطحاء ذهبا
(اجوع يوما واشبع يوما) استئناف كانه قيل له فما تريد قال اريد الفاقة وان اكون
تارة جائعا وتارة شبعان لتروما لمقام العبودية والافتقار الى الله ثم بين ما يكون عليه
فقال (فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك) فيه والتضرع الدعاء بتذلل
وانكسار من الضراعة وهي الذلة والالحاح (وادعوك) اي اطلب منك وفي الدعاء
مناجاة والحاح ومعاملة مع الله وان كان عالما بذلك (واما اليوم الذي اشبع فيه
فاحمدك واثني عليك) لما انعمت به علي ولا وجه لما قيل هذا بين انه تعليم لفقراء امته
والا فلو جعلت له الجبال ذهبا لم يشغله ذلك عن الله طرفة عين الى غير ذلك مما اطال
فيه بغير طائل على طائله وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابي امامة رضي الله تعالى
عنه بلفظ فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك فاذا شبعت شكرتك وحمدتك
(وفي حديث آخر) قال السيوطي لم اجده هكذا ولكن البيهقي رحمه الله تعالى
اخرجه في الزهد من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوما ما امسى لآل محمد كف سويق ولا سعة دقيق فاتاه
اسرافيل عليه الصلوة والسلام فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح الارض

وامرني ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة ذهبا وفضة فقال الى آخره واخرج ابن سعد وابن عساكر في تاريخه من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو شئت لسارت معي جبال الذهب ولاحمد في الزهد عنها والله لو شئت لاجرى الله معي جبال الذهب والفضة وللطبراني نحو منه من حديث ام سلمة رضي الله عنها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو سألت الله ان يجعل تهامة كلها ذهبا لفعل واخرج احمد حديث (الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له) مختصرا عن عائشة رضي الله تعالى عنها * قلت فما ذكره المصنف رحمه الله رواية بالمعنى من عدة احاديث (ان جبريل نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ان ربك يقرئك السلام) اى يسلم عليك ويحييك تحية اكرام قال في الاكمال اقرأته السلام وهو يقرئك السلام بضم الياء من المزيد فاذا قيل يقرؤ عليك السلام فعلى فتح الياء لاغير وقيل فيها لغتان وهو مهموز لا معتل ويجوز ابدال همزته واوا وياء ومعنى اقرأه حمله على ان يقرأ عليه سلامه اى سماعه اياه فهو مجاز مرسل لمطلق التبليغ مأخوذ من القراءة ومعنى قرأه عليه ذكره له (ويقول لك اتحب ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت) اى تسير معك وتتوجه الى تتوجه (فاطرق ساعة) اى طأطأ رأسه متفكرا فيما يجيبه به صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له) الدنيا تقابل الآخرة لانها فعلى من الدنو وهو القرب وتطلق على هذا العالم المشاهد وكل ما فيه من المال وغيره وعلى الارض التى هي مقر العالمين وبهذا الاعتبار تسمى دارا وقوله دار من لا دار له اى لا نهاية لها فانية لا تدوم فيها احد ولذا شبهت بالخان الذي ينزله المسافرون وبالله طرفة بل بالسفينة كما قال

وانا لفي الدنيا كركب سفينة * نظن وقوفا والزمان بنا يسري

وقوله مال الى آخره اى انما يملكه المرء فيها سيسلب منه فهو عارية او وديعة لصاحبه لا ملك له حقيقة فكل غني فيها فقير وليس هذا من قبيل فرط من لا فرط له وجهد من لا جهد له (ولها يجمعها من لا عقل له) فذلك جمع لان من جمع الدنيا كثيرا وهي لا تطول جمعه وحيازته لها فانه يجمعها بعد بلوغه ورشده ثم يفقدها الى ما لا نهاية له او لتعلق الفعل فان متاع الدنيا بالنسبة لغيره قليل وعلى هذا حمل قوله قد يعلم ما انتم عليه واياهم عليه بالنسبة له فيه معلوما له او قليل او هي مستعارة هنا للتكثير كقوله * قد ادرك الفرق مضمرا انامله * وان كان في الادب نزاع ليس هذا محله وجعله لا عقل له اى بل وجود عقله منزلة العدم اذ لم يصرفه فيما يتعلق بالآخرة ويهديه الى الاكتفاء من الدنيا بزاد المسافر الذي ساعة منزله فان العاقل من كان كذلك ولذا قال الفقهاء لو اوصى لاعقل الناس

صرف للزهاد وقال الشاعر

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا * انها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

(فقال له جبريل عليه الصلوة والسلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت) المراد بالقول الثابت الحق لانه دائم لايزول اوالمراد به حق مخصوص بمقالته وهو اما دعاء له اواخبار بان الله امن عليه فانه بمحض فضل الله ولطفه فانه الذي ثبته على هذا (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها) في حديث صحيح رواه الشيخان انها (قالت ان كنا آل محمد) المراد بآله اهل بيته عليه الصلوة والسلام وله معان اخر مشهورة وان مخففة من الثقيلة (لنمكث شهرا ما نستوقد نارا) اي ما نوقد نارا فالسين للتأكيد اوالمراد ما نطلب من احد نارا نوقدها وهذا كناية عن انه ليس لهم ما نطبخ (ان هو الا التمر والماء) وان نافية وهو ضمير الطعام والمأكول اي ما عندنا مأكول وشيء نتغذى به الا التمر والماء وروى وانما هو الاسودان التمر والماء وقيل هذا كان في بعض الاحوال (وعن عبد الرحمن بن عوف) الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه عنه الترمذي والبزار وغيرهما بسند جيد (هلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي توفي والهلاك بمعنى الموت مطلقا مستعمل في حق النبي صلى الله عليه وسلم وغيره قال الله تعالى (كل شيء هالك الا وجهه) واما اختصاصه بالسوء كالهلاك فعرف طار ولذا كثر استعماله في الاعداء فقال هلك عدو الله وقد ورد في الحديث والاهانة تعاقبهم من ذكر العدو ونحوه فلت فلايجوز لنا الآن اطلاقه على من كرمه الله والصحابة ونقتصر فيه على ما ورد منه من غير تكثير كما ورد في حق يوسف عليه الصلوة والسلام حتى اذا هلك قلتم الخ وكذا ورد في حق غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فلا يختص بمن استحق العذاب الا بقرينة (ولم يشبع هو ولا اهل بيته من خبز الشعير) واول الحديث عن نوفل بن اياس الهذلي قال كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه جليسا لي وكان نعم الجليس وانه انقلب بنا ذات يوم حتى اذا دخلنا بيته دخل فاغتسل ثم خرج واتانا بصحفة فيها خبز ولحم فلما وضعت بكى عبد الرحمن بن عوف فقلت يا ابا محمد ما يبكيك قال هلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشبع هو ولا اهل بيته من خبز الشعير فلا ارانا اخرنا لما هو خير لنا وقد تقدم انه ورد في معناه احاديث كثيرة متقاربة المعنى وتقدم ما فيه من الاشكال وجوابه والى تقويته هذا اشار بقوله (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها وابي امامة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم نحوه) اما حديث عائشة رضي الله تعالى عنها فما في الصحيحين عنها انها قالت ما شبع رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم من خبز شعير يومين حتى قبض وحديث ابي امامة رضي الله تعالى
عنه في الترمذي بهذا اللفظ ايضا وحديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عنه
هو المذكور عقب هذا بقوله كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى آخره كما قاله
السيوطي رحمه الله تعالى وسياق كلامه يأباه ولو كان مراده هذا لكفى تذكره
والاحسن انه ما في الصحيحين ايضا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان عمر
رضي الله تعالى عنه حدثه انه دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اعتزل نساءه
فاذا هو مضطجع على حصير قد اثر بجنبه فقلبت عيني في خزانته فاذا ليس فيها
شيء غير قبضة من شعير وقبضة من قرظ فاستدرت عيناي فقال ما يبكيك
يا ابن الخطاب فقال مالي لا ابكي وانت صفوة الله من خلقه وهذه الاعاجم في الثمار
والانهار وانت هكذا قال يا ابن الخطاب اما ترضى ان تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا
فقلت بلى يا رسول الله قال فاحمد الله عز وجل (قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا) حال
من ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقل طاوين لان المقصود حاله صلى الله
تعالى عليه وسلم وحال اهله تعلم من حاله لانهم تبعوه في كل حال وطاويا بمعنى
جائعا لان الطوى الجوع كما ذكره الجوهري والليالي منصوب على الظرفية وقوله
(لا يجدون عشاء) بفتح العين والمد الطعام الذي يقابل الغداء وجملة قوله
يبيت والمراد به مطلق الطعام وهذا الخبر اخرجه الترمذي وابن ماجه (وعن انس
رضي الله تعالى عنه) في حديث رواه البخاري (قال ما اكل رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم على خوان) بكسر الخاء المعجمة وضمها فارسي معرب ويقال اخوان
بزنة اكرام ايضا وهو والمائدة والمائدة بمعنى وان فرق بينهما في الاصل بان الخوان
ما يوضع عليه الطعام قبل وضعه وبعده لا يسمى مائدة والاكل عليه عادة المتكبرين
حتى لا يحتاجوا الى الانحناء اذا اكلوا وقيل انه عربي من الخون وهو التنقص ويجمع
على اخونة وخون واما السفرة بالضم فالطعام الذي للمسافر وتكون بمعنى ما يوضع
عليه الطعام من الادم ايضا (ولا في سكرجة) قال التوربشتي هي بضم السين المهملة
وضم الكاف وفتح الراء المهملة المشددة وجيم وهاء وهي اعجمية معربة فقيل الصواب
اسكرجة بهمزة مضمومة وقد جاء في الحديث اسكرجة بدون همز وهو اناء فيه الخل
ولذا قيل معناها قصعة صغيرة يوضع فيها الكوامخ والجوارشات في اطراف
المائدة وفيها ما يعين على الهضم وقيل قصعة مدهونة وقيل انها مائدة صغيرة
وعلى كل فهي مما اعتاده العجم والملوك لانهم من المتكبرين والحمل والهيا
علامة الصغر عندهم وقيل فيها ايضا سكرجة (ولا خبز له مرقق) بالبناء
للمجهول ومرقق بوزن معظم رقيق الخبز كالرقاق وقيل هو المليح الوجه وقيل

هو الحواري والسميد بدال مهملة او معجمة وفي رواية مرفقا بالنصب تمييز او مفعول ثان لخبز لتضمنه معنى الجعل والمراد ان خبزه صلى الله عليه وسلم لم يجعل من نياسل الدقيق لانهم لم يكن لهم مناخل (ولا رأى شاة سميطا قط) سميط فعيل بمعنى المفعول اي لم نطبخ له صلى الله تعالى عليه وسلم شاة تمامها بعد سمطها اي غلها في الماء الحار حتى يذهب شعرها ثم تشوى وظاهر كلامهم انها لم تسلخ وان ماد كر في الحملان الصغيرة (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها) في حديث رواه الشيخان (انما كان فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم الذي ينام عليه ادما) بفتح الهمزة والدال المهملة والميم اسم جمع لاديم وهو الجلد المدبوغ اللين وقيل انه مخصوص بالاسود (حشوه ليف) والليف ماتكون من النخل وهو معروف (وعن حفصة رضي الله تعالى عنها) بنت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ام المؤمنين وحديث حفصة رواه الترمذي في الشمائل منقطعا وحديثها لا ينافي حديث عائشة المتقدم لجواز كون ان كلا منهما ذكرت فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم الذي كان عندها (قالت كان فراش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيته مسحا) بكسر الميم وسكون السين المهملة وبعدها حاء مهملة وهو ثوب مستعد للفراش شبه الكساء وقال له جل وقيل هو ثوب اسود من شعر يلبسه الزهاد وقيل هو ثوب من الشعر والوبر والصوف يلبس ويجلس عليه وجمعه مسوح وعلى كل حال فهو شيء غليظ يستره عن مثله اصحاب الترفه (نثنيه ثنيتين فينام عليه) التي بكسر فسكون والمثنى ما ثني بعضه على بعض وعطف اي نجمع بعضه على بعض مرتين حتى يكون ثخين واوطأ للنوم عليه وثنيه ثنتان وجمعه اثناء وروي ثنيتين عنده فوقه مكان الباء المثناة التحتية والمعنى واحد والتحتية الاولى اصح واشهر (فما ثنيناه له باربع) طاقات ليكون الين مهادا من الثنيتين (فلما اصبح صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما فرشتم لي الليلة فذكرنا ذلك له) وهو انهم جعلوا فراشه اربع طاقات (فقال ردوه لحالته) الاول وهو الثنيتان (فان وطاءته) بفتح الواو والطاء المهملة والمد وتاء تأنيث مضاف لضمير الفراش فور به فعالة او فعلة بفتح فسكون وهمزة عين بدونه على وزن فعلة اي لينه وحسنه حتى اكثرة طاقاته وبضعه فيها (منعتني الليلة صلاتي) اي ان لينه لذلك عليه السلام النوم فنام اكثر من معتاده لان فراشه ممهد لم يؤذه حتى انتبه فانقطع عن بعض القيام الذي يجده الا لزيادة نومه (وكان صلى الله عليه وسلم ينام احيانا على سرير مرمول) ونومه الاول على فراش على الارض ومرمول براء مهملة وميمين بمعنى منسوج (بشريط) او غيره والشريط بشين معجمة وراء وطاء مهملتين بينهما ياء مثناة تحتية حبل مفتول من خوص النخل او غيره مع حبال وواحده شريطة (حتى يؤثر) حبال شريطه (في جنبه) لكونه بغير فراش تحول بينه وبينه وهذا من حديث طويل رواه الشيخان والترمذي ووجد تحت راسه وسادة من ادم

حشوها ليف وفي معناه احاديث اخر (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط) قال القسطلاني فيه اربع لغات فتح الشين المعجمة وكسرها مع سكون الموحدة وفتحها وقال البرهان هو بفتح الموحدة نقيض الجوع وسكونها مايشبع والظاهر هو الاول وقيل عليه ان كان ظهوره بحسب الروايه فمسلم واما بحسب الدراية فالظاهر الثاني لانه اسم عين وعلى الاول اسم معنى والامتلاء منه مجازي كاملأ غضبا وقيل عليه ان المجاز ابلغ من الحقيقة فهو اولى روايه ودراية فالبرهان مع البرهان وفيه نظر وهذا يقتضي انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشبع ولكنه لا يملئ جوفه تمامه منه فان المطلوب تقليل الطعام والاقتصار على مايقوم به الاود ثم ملأ ثلث بطنه فان ثلثا للزاد وثلثا للماء وثلثا للنفس فان زاد فضعها ومازاد على ذلك حرص وبطنه غير ممدوحة وقد يحرم ان وصله للضرر والتخمة قصدا كما ان اول مراتبه واجب (ولم يبث شكوى الى احد) بفتح الياء التحتية وضم الباء الموحدة وتشديد المثلثة بمعنى يذكر ويظهر يقال بث الخبر واثبه اذا نشره ونقال ايضا بثه بالنون وبهما روى قول قيس

اذا جاوز الاثنين سر فانه * بنث وتكثير الحديث قمين

والشكوى مذمومه فالذي يليق بمقام العارفين الصبر وكتم مابهم لاسيما والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسر بكل ماياتيه من الله ولا يعده مؤلما بل يتلذذ به فكيف يتصور شكواه والى هذا اشار بقوله (وكانت الفاقه) وهي الحاجه والفقر (احب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من الغناء) وفي هذا تقضي ان الفقر افضل من الغناء وقد اختلف فيه على قولين ولكل منهما ادلة كقوله تعالى (ووجدك عائلا فاغنى) حيث امتن عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بالغنى ولا دليل فيه لانه امتن عليه بقضاء حاجته والمفضول قد يكون في مقابله منه يزيد على الفاضل ولا في قوله ان الانسان ليطغى ان رأه استغنى فانه لم يذم الغناء بل مافد يترتب عليه وكذا كون حساب الفقر اخف والخلف فيه هل الغني الشاكر خير ام الفقير الصابر فذهب الى كل منهما قوم من العلماء لحديث ذهب اهل الدثور بالاجور وحديث ان الفقراء يدخلون الجنه قبل الاغنياء بنصف يوم من ايام القيمه وهو خمسمائه عام الى غير ذلك من الاحاديث الوارده في الجانبين وقال الغزالي رحمه الله تعالى قد انكشف ان الفقر هو الافضل لكافه الخلق الا في موضعين عند استوى فيه الوجود والعدم وتستفاد به دعاء المساكين وقضاء حوائجهم كغنى بعض الصحابه رضي الله تعالى عنهم وفقر يكون مع الضروره حتى يكاد يكون كفرا فالاول خير محض وهذا الاخير فيه توجه من الوجوه والممدوح غنى النفس لاغنى المال من حيث هو والفضل كله في الكفاف والاقتصار على مقدار الحاجه ولذا طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم

له ولا له (وان كان لبطل حائعا) ان مخففة من ان المكسورة الهمزة المثقلة النون والجملة حالية و نطل بفتح المثناة التحتية والطاء المشالة من اخوات كان واصل معنى ظل فعله نهارا لانه زمان تبدو فيه الظل ثم استعمل لدوام الفعل ليلا ونهارا وهو المراد (يلوى طول ليلة من الجوع) بتقديم اللام على الياء الفوقية وواو مخففة مكسورة وفي نسخة يلوي بياء مثناة مفتوحة وفوقية مفتوحة ولام كذلك وواو مشددة مفتوحة تليها الف ومعناه ينقلب على فراشه من الم الجوع من لواه لياً اذا صرفه عن جانب لآخر قال تعالى (لووا رؤسهم) وهذا لزهده صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا وصبره على مشاقها ليقمع شهوة نفسه ويقهرها ويرشد امته لذلك كما يأتي بعد وقوله (فلا يمنعه) ذلك او جوعه (صيام يومه) بالنصب بنزع او نزع الخافض اى عن صيام يومه يقال منعت الرجل عن الشيء فامتنع وقوله (ولو شاء) صلى الله تعالى عليه وسلم الغنى اوالشبع وشاء كثيرا ما يحذف مفعولها بعد لو لدلالة جوابها عليه (سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها) مابعد الكنوز مجرور عطفا عليه ونصبه عطفا على جميع والكنوز جمع كنز وهو معروف والثمار جمع ثمرة وهي مايحصل من الاشجار ونحوها وقد يراد به كل ماينتفع به من غيره كما يقال ثمرة العلم العمل ونحو ذلك ارادة هنا ورغد بفتحتين وقد تسكن ثانيه يقال فيه رغد وارغد والعيش بمعنى المعيشة والمراد مايعيش به واصل معنى الرغد الواسع يقال ارغد فلان اذا اصاب رغدا اى سعة وخصبا وغيره (ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به) وفي نسخة لما ارى به اى مما اشاهده به او مما اعلمه به (وامسح بيدي على بطنه) كأنه بمسحه يشعر بذلك كما كان يضع الحجر عليه لبرده ويسد صلبه وهذا للشفقة (مما به من الجوع) اى من الم يبس ان ذلك ينفعه بقولها (واقول نفسي لك الفداء) تقدم ان الفداء بالكسر والفتح والقصر والمد وهو ماتفدى به الاسير ونحوه فيجعل عوضا عنه ويقال افديه بنفسي وبامي وبابي ومالي وقد يقال بنفسي من غير ذكر للفداء وسمي الانبياء بالفدية وهذا جائز بل مستحب لصدوره منه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لمن له شرف كالحكام والعلماء والصالحاء واعزة الاخوان قصدا لتوقيره واستعطافه ولو كان محظورا كما قيل ماقاله صلى الله تعالى عليه وسلم ونهى عنه من قاله له وقد قال له ابو بكر رضي الله تعالى عنه فديناك بآبائنا وامهاتنا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لسعد ارم فداك ابي وامي ومنعه قوم لحديث مالك بن فضالة ان الزبير رضي الله تعالى عنه دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شاك فقال كيف تجدك جعلني الله فداك فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ماتركت على اعرابيتك بعد قيل ولاحجة فيه لما ادعوه لان الحديث الواحد لايقاوم الاحاديث الصحيحة الكثيرة الواردة بخلافه ولاحتمال انه انما نهاه عنه لوروده في غير

محله لانه لا ينبغى ان يقال ذلك للمريض بل يشجع له ويقال لا بأس عليك وعافاك الله
وشفاك ونحوه واشكل مقام مقال لا لان القائل لو كان ابواه مشركين ولا لانه
من خصوصياته لان من قائليه من ليس كذلك والاصل عدم الخصوصية (لو سلمت
من الدنيا بما يقوتك) اى ببلغ مفعل من البلاغ وهو مقدار الكفاية يقال تزود من دنياك
بالبلاغ ماخوذ من الزاد الذى يبلغ به المسافر منزله وضمنه هنا معنى اكتفيت اى
لو اكتفيت منها بالكفاف من القوت من غير ضرورة ومخمصة ولو للتمنى (فقول)
صلى الله تعالى عليه وسلم لعائشة رضى الله تعالى عنها (مالى وللدنيا) قيل ما نافية
اى ليس لى الفة ومحبة مع الدنيا حتى ارغب فيها او استفهامية اى اى الفة ومحبة
ورغبة لى فى الدنيا وهذا من اشارة صلى الله تعالى عليه وسلم الزهد واظهاره لعين الفاقة
ومحبة تركه لها ثم بين انه مقام عظيم سبقه به الرسل عليهم الصلوة والسلام تجرى
على طريقتهم فقال (اخوانى من اولى العزم من الرسل) وهم نوح وابراهيم وموسى
وعيسى عليهم الصلوة والسلام على خلاف فيهم وفى وجه تسميتهم بذلك (صبروا
على ما هو اشد من هذا) كالحبس والعرض على القتل او غير ذلك مما علم من التفاسير
(فمضوا على حالهم) اى استمروا عليه راضين بقضاء الله لهم الى ان ماتوا (فقدموا
على ربهم) اى لاقوه وشهدوا ما انكشف لهم من احوال الآخرة فى البرزخ (فاكرم
مآبهم) اى اكرمهم الله فى مرجعهم اليه يقال آب يؤوب اذا رجع فهو اسم مكان او مصدر
ميمى (واجزل ثوابهم) اى كثر لهم العطاء والجزاء فى دار المقام (فاجدنى استحى)
من الله عز وجل (ان ترفهت فى معيشتى) اى ان تنعمت وتوسعت فى العيش والترفه
تفعل من الرفاهة والرفاهية وهى كالرغد السعة وقد كان الله خيره صلى الله تعالى
عليه وسلم قبل موته بين الخلد فى الدنيا ولقائه فاختار لقاءه كما قاله ابن العربى وان
شرطية ويجوز فتحها على المصدرية بتقدير لام قبلها اى لترفهى ووقع فى نسخة
فى معيشتهم اى فى جنس معيشتهم والاصح الاولى (ان يقصر بى غدا) يقصر
مبنى للمجهول مع التشديد اى ان يقع التقصير او القصر بالكسر حاله وعملا (دونهم)
اى فيكون مقامى دون مقامهم لنزول مرتبتى عن مرتبتهم والمعيشة مفعلة وجمعه
معايش بلا همزة وقد يهمز فلا كما بينه النحاة وهى ما يتعايش به وغدا بالمعجمة
اليوم الذى بعد يومك والمراد به الآخرة جعل الدنيا بمنزلة اليوم الحاضر والآخرة
لكونها بعدها بمنزلة غد استعارة (وما من شئ هو احب الى من اللحوق باخوانى
واخلائى) بالمد مضاف الى المتكلم جمع خليل وهو قياس فى المضاعف والمراد
بالاخوان والاخلاء الانبياء عليهم الصلوة والسلام السابق ذكرهم (والرفيق
الاعلى) وعن عائشة رضى الله تعالى عنها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير بذلك فلما حضره صلى الله تعالى

عليه وسلم الوفاة شخص بصره وهو يقول اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الاعلى كما في البخاري وفي النهاية الرفيق الاعلى جماعة الانبياء الذين يسكنون اعلى عليين والمراد به الله عز وجل والرفيق بمعنى الرؤف وهو من اسماء الله كالاعلى والالحقوق انهم بمعنى كونهم معهم (قالت) عائشة رضي الله تعالى عنها (فما اقام بعد) بالبناء على الضم اي بعد مقالته هذه (الا شهرا حتى توفي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي انتقل للآخرة واستوفى ايام عمره ﴿فصل واما خوفه ربه﴾ عز وجل ولما كان الزهد ترك الدنيا باختياره وحبسه نفسه عن الشهوات وذلك انما يكون بعد تحقق الخوف والرجاء عقب الزهد بالخوف من الله وربه منصوب مفعول المصدر واعلم انهم اختلفوا في خوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من عقاب الله فقال الامام ابو الحسن الاشعري في كتاب الاخبار كان صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف الله بلا خلاف الا ان خوفه كان لماذا فقال اهل الحق كان خوفه قبل ان آمنه الله من عقابه وبعده كان من عتابه ولومه في الدنيا كما قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم لما اعرض عن ابن ام مكتوم عبس وتولى الآية فاما بعد ان آمنه الله تعالى من عقابه فلا يجوز ان يخاف عقابه مع علمه بانه آمنه منه فاخبره بانه لا يخاف عقابه خلافا للرافضة والقدرية حيث زعموا انه هو وسائر المكلفين ماداموا المكلفين في الدنيا لابد ان يخافوا عقابه سواء آمنهم ام لا دليلنا ان الخوف من شيء لا يجوز الامع تجويز نزوله به واما مع القطع بانه لا يحصل ابدا فمحال حصول الخوف منه عند عاقل ولو قلنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخاف عقاب الله مع تامين الله له من ذلك لادى الى كونه شاكا في خبره وانه صدق او كذب في اخباره بانه لا يعاقبه ولما بطل هذا بالاتفاق علم ان الخوف لا يصح مع القطع بانه لا يعاقب اصلا انتهى وسئل شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي عن الانبياء والملائكة عليهم الصلوة والسلام والعشرة المبشرة بالجنة هل كانوا يخافون عقاب الله تعالى بعد اخبار الله لهم بانهم لا يعذبون فاجاب بان نفي الخوف واثبات الامن لمن ذكر مطلقا باطل بل مصادم للنصوص من وجوه * احدها ان حقيقة الخوف كما في الاحياء الم القلب لتوقع مكروه في المستقبل وهو اقسام منها خوف ضعف القوة عن الوفاء بحقوق الله على ما ينبغي والخوف بهذا المعنى محقق في جميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام ويلزمه عدم الامن من مكر الله ولا يأمنه احد الا ان كان المأمون منه الانسلاخ عن النبوة والملائكة والايمان في العشرة على انه قيل بوقوعه لبعضهم والرجاء والخوف فلا زمان فاشتراط الرجاء والخوف بما هو مشكوك فيه لا يا... فيه لانهم لا يخافون لانهم يلتبس به ونفس من رآهم كما قيل بل هو حجة عليه لما مر من معنى الخوف فالكل على نفس من اصل الكمال وقد اخبرهم استشعار قدرة الله واستغنائه عن خلقه وانه لا يسئل عما يفعل ولا يجب عليه شيء وقد اشترط

ما اخبرهم به مما انطوى عن علمهم فيوجب الخوف حتى من سلب اصل الكمال *
الثانى ان الشافعى رضى الله تعالى عنه صرح بان الملائكة داخلون فى قوله لا يأمن
مكر الله الا القوم الخاسرون لما اخرج ابن ابى حاتم من ان الله تعالى قال لهم
ما هذا الخوف الذى بلغ منكم وقد انزلتكم منزلة لم ينزلها غيركم فقالوا ربنا لا نأمن
مكرك الا القوم الخاسرون * الثالث ما فى الاحياء ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام
يخافون المكر لما روى ان النبى وجبريل عليهما الصلوة والسلام بكيا خوفا
من ان يكون تأمينهم امتحانا ومكرا وهذا هو الذى قطع قلوب العارفين ولا شبهة
فى ذلك لقوله تعالى * ما ادرى ما يفعل بى ولا بكم * فان قلت يرده ما روى عن الحسن انه
لما نزلت هذه الآية خاف صلى الله تعالى عليه وسلم زمانا فلما نزل انا فتحنا لك الخ جد
صلى الله تعالى عليه وسلم فى العبادة وقال افلا اكون عبدا شكورا وروى انه قال فى الآية
ان ذلك فى الدنيا اما فى الآخرة فمعاذ الله لانه اخبر بانه فى الجنة فالمعنى ما ادرى ما يفعل
بى فى الدنيا فاخبره بنصره واظهار دينه * قلت المراد خوفه صلى الله تعالى عليه وسلم
من امور الدنيا واستقبال امته فأمنه الله منه واما الخوف من الله فلا يأمنه احد *
الرابع انه ورد فى ادعيته صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ما يدل عليه نحو اللهم
انى اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك وقوله اللهم
انى اعوذ من عذاب النار وفتنة المحيا والممات وليس هذا تشريعا لامته ان يقولوه
لانه لم يقل قولوا ولا قرينة على تقديره انتهى وقد اختلف الفقهاء فى الامن
من مكر الله واليأس من رحمته فقالت الشافعية انها من الكبائر وقالت الحنفية انهما كفر
لقوله تعالى * لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * ولا يأمن مكر الله الا القوم
الخاسرون * وتمسك الشافعية لعدهما من الكبائر بما ورد فى حديث ابن مسعود رضى الله
تعالى عنه وقال ابن ابى شريف ان اريد باليأس انكار سعة الرحمة الذنوب وبالامن
انه لا مكر فهو كفر وفاقا لانه رد للقرآن وان اريد استعظام الذنوب واستبعاد العفو
استبعادا يدخل فى حد اليأس وغلبة الرجاء المدخل له فى حد الامن فهو كبيرة لا كفر
فان ورد اطلاقه عليه فللتغليظ او اراده كفران النعمة انتهى وبهذا وفق بينهما
ابن نجيم فى رسالته وعلى ما مر عن الاشعرى تخص الامن بغير من مر وعلى غيره
هو باق على عمومه هذا حاصل ما قاله الفقهاء والاصوليون فى هذه المسئلة وههنا
بحث فيما قالوه وهو ان الاشعرى امام اهل السنة وقد جزم بانهم عموما ذهبوا
الى امنهم من العقاب كان دون العتاب وقوله افلا اكون عبدا شكورا تؤيده وما ذكر
من الخوف والادعية فالظاهر الذى تقتضيه الفطرة والذوق ان مكر الله ليس بمعنى عقابه
بل بمعنى ان يقدر عليهم امرا تقتضيه اذا صدر منهم لانه تعالى وان كان له ان يعذب
كل احد لكن عدله وحكمته تقتضى ان لا يقع ذلك منه بل يجوز جوازا عقليا او من علم

هذا و نظر لعظمته واستغنائه عن جميع مخلوقاته خاف منه وخشى منه وهذا مقام الكملين ولذا قال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وهذا الخوف لابد منه لكل احد واما خوف العقاب بدون هذا مادام على حال العصمة والتقوى فلا يجوز عليهم فانه يلزمه عدم الوثوق بخبره تعالى وعلى هذا يحمل كلام الاشعرى وهو مناف لما قاله ابن حجر رحمه الله تعالى اذا عرفت هذا فقوله فى شرح جمع الجوامع الامن من مكر الله تعالى معناه الاسترسال فى المعاصى اتكالا على العفو ليس بسديد وليس محلا للخلاف * ثم اقول الحق ماقاله الاشعرى والذى ندين الله به انا نعتقد ان العقاب لايقع وان الانبياء خصوصا نبينا عليهم الصلوة والسلام بعد عصمته و مغفرة ماتقدم وما تأخر له لايخشى احد عليه العقاب ولايجوز تجويزه عليه انما هو فلعظمة الله ومهابته عنده وعلمه بانه غنى عن خلقه له ان يفعل بهم ماأراد وبحانه خوفا شديدا وشفقة من عقابه وان لم يجوزه نحن وفى قوله تعالى (لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) ايماء لذلك دقيق وما قاله ابن حجر لادليل له فيه وكلام الغزالى لاحجة له فيه والآية التى ذكرها مخصوصة بالدنيا اومنسوخة كما فى الكشاف * ولك ان تقول انه لشدة خوفه صلى الله تعالى عليه وسلم من الله قد يذهل عن تأمين الله له لاسيما مع مامر ونظيره ماقاله السيوطى رحمه الله تعالى فى اجوبة الاسئلة المكرورة فى قول يوسف عليه الصلوة والسلام توفنى مسلما وهو يعلم ان كل نبى لايموت الا مسلما انه دعى بذلك فى حال غلبة الخوف عليه حتى ادهشه عن علمه ساعة الدعاء (٢) او ذلك اظهارا للعبودية والافتقار وشدة الرغبة فى طلب سعادة الخاتمة وتعليمها للامة اسهى ثم رأيت ماقلناه صرح به ابن عربى فى سراج المريدين فالحمد لله على الوفاق وانما اطلنا الكلام فى هذا المقام لانه من مزال الاقدام فعليك باعادة النظر * فان مورده لم يصف من الكدر * ولنا عودة الى الكلام فيه آخر الكتاب ان شاء الله تعالى (وطاعته له وشدة عبادته) قرنهما مع الخوف الازمهما معه (فعلى قدر علمه ربه) قال القشيرى رحمه الله تعالى العلم والمعرفة عند العلماء بمعنى وعند القوم معرفة الحق باسمائه وصفاته ومن عرفه صدق فى معاملاته (٣) وتنقى من ردى اخلاقه وآفاته ومن امارات المعرفة حصول الهيبة وهى الخوف مع الاجلال والى ذلك اشار المصنف فان من قدر الله حق قدره اشتد خوفه منه واطاعه وعبده على قدر طاقته وانما يعصى الله من جهل ربه ونفسه فان الانسان محبة الله ومن احبه اطاعه ونحب الرعوة اللبس اصرح (ولذلك قال فيما حدثناه) وفى نسخة حدثنى (ابو محمد بن عتاب قراءة منى عليه) تقدم ترجمته قال (حدثنا ابو القاسم الطرابلسى) حاتم بن محمد بن عبد الرحمن التميمى المعروف بابن الطرابلسى كما تقدم عن ابن هان فالنسبة الى طرابلس واطرابلس بزيادة همزة فى اوله وهى مدينة بالشام وبالمغرب

(٢) حالة الدعاء نسخة

(٣) فى معاملاته نسخة

والمشهور فيها بزالنيس بالباء الموحدة وهو صحيح ايضا لانه اعجمي عرب بابدال الباء طاء فلك حكاية اصله والنطق بغيره قال (حدثنا ابو الحسن القابسي) علي بن محمد بن خلف المعافري الامام الفقيه الحافظ وقد تقدم قال (حدثنا ابو زيد المروزي) تقدم ايضا قال (حدثنا ابو عبد الله الفربري) تقدم ضبطه وترجمته قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) الامام البخاري صاحب الصحيح وقد تقدم قال (حدثنا يحيى بن بكير) المخزومي الحافظ ابو زكريا المصري روى عنه البخاري وغيره وهو ثقة وان ضعفه بعضهم توفي سنة احدى وثلاثين ومائتين (عن الليث) بن سعد بن عبد الرحمن بن حمزة عالم مصر واصله من اصبهان وكان نظيرا للامام مالك وكان اسخى الناس فقيل انه كان دخله في كل يوم الف دينار ولم تجب عليه زكاة توفي يوم الجمعة نصف رمضان سنة خمس وسبعين ومائة وقيل غير ذلك وادرك ناسا من التابعين (عن عقيل) مصغر وهو عقيل بن خالد الحافظ اخرج له الائمة الستة وله ترجمة في الميزان توفي سنة احدى واربعين ومائة (عن ابن شهاب) تقدم انه ابو بكر بن محمد الامام المشهور بالزهري (عن سعيد بن المسيب) تقدم ضبطه والكلام عليه (ان ابا هريرة رضي الله تعالى عنه) تقدم ايضا (كان يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم) من عظمة الله وجلاله وبرهانه هذا هو المناسب للترجمة او ما اعلم من احوال الآخرة واهوالها وما سيلقاه الانسان (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) اي بكاء وفي الحديث طباق او المقابلة بين قابل والبكاء والعلم وبين الكثرة والضحك وعدم العلم فتدبر وهذا الحديث رواه المصنف رحمه الله عن صحيح البخاري وله فيه رواية اخرى عن الترمذي اشار اليها بقوله (زاد في رواية عن ابي عيسى الترمذي فيه) بصيغة الماضي اي زاد هذا الكلام او مصدر فهو مفعول زاد (الى ابي ذر رضي الله تعالى عنه) يعني ان رواية البخاري السابقة رواية ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وهذه رواية ابي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد خالف المصنف في عبارته ما اصطلح عليه المحدثون فان المرفوع عندهم ما اتصل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بان يذكر صحابيه قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كذا فقال رفعه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا الى الصحابي وقيل الجار والمجرور متعلق بحال مقدرة تقديره منتهيا الى ابي ذر فلا مخالفة فلا اصطلاحهم اي بسنده (اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون) المراد بالموصول فيهما عجائب وامور في الملأ الاعلى اطلعه الله عليها وغيره لا يراها كرؤية الملائكة والجنة والنار وعذاب القبر والاطلاع على الموتى واحوال البرزخ وسماعه لاصوات المعذبين في القبور ولاطيط السماء المشار اليه بقوله (اطت السماء) اصل معنى الاطيط صوت الابل اذا حنت والقتب اذا ثقلته بحمل ثقيل ونحو ذلك اي ان السماء لكثرة

ماعا بها من الملائكة اذا تحركوا ا سمع لها صوت سمعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
(وحق لها) بالبناء للمجهول او هو مصدر مرفوع خبر مقدم لقوله (ان تئط)
اى تصوت تسمع لها صرير اهل ماعليها وعلى الاول هو نائب الفاعل وقد قيل
ان صريرها نسمع منه الحسان نغمة مطربة منها احد الحان الموسيقى ولذا تطرب
الارواح لسماعه لتذكرها معاهد حماها وقيل انه انين من خشية الله وقال المناوي
هذا ايذان بكثرة ما في السماء من الملائكة وان لم تكن ثمة اطيط والمراد تقرير عظمة الله
ثم استأنف صلى الله تعالى عليه وسلم مابين سبب اطيطها فقال (مافيها موضع اربع
اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله) اى ليس فيها مكان خال منهم ومن هنا
علم ان الملائكة اكثر المخلوقات (والله لو تعلمون ما اعلم) من احوال الدنيا والآخرة
الدال على عظمة الله تعالى وقدرته (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) اى لضحكتم
ضحكا قليلا اذا سررتم برجاء عفو الله وتطرتم ما انعم الله به عليكم وبكيتم للخوف
منه حتى تشغلكم ذلك عن الهم والفكه بلذائذ الدنيا (وما تلذذتم بالنساء
على الفرش) بضمتين جمع فراش وكنى بذلك عن مصاحبة النساء ومجامعتهن
(ولخرجتم الى الصعدات) بضم الصاد والعين وفتح الدال المهملات جمع مؤنث
سالم لصعد بضمتين جمع صعد كطرق وطرق لفظا ومعنى اى لخرجتم من دوركم
للطرق وممر الناس وقيل جمع صعدة كظلمة وهي فناء الدار (تجأرون الى الله) اى
تصيحون وتستغيثون من الجؤار بضم الجيم وفتح الهمزة والف وراء مهملة وهو
الصياح ورفع الصوت اى تستغيثون الله وتركتم اهاليكم ومساكنكم (لوددت ان
شجرة تعضد) اى تقطع من اصلها قال عضدت الشجر والنبات اذا قطعته واللام
في جواب قسم مقدر وودت بمعنى تمنيت والعرب تقول ودت
وتودى اذا تمنيت قال البحتري

وتودى لو انه طعم الحب * تضرعن شدى حبن ملا

وهو مستعار من المودة المعروفة قال الراغب الود محبة الشيء وتمنى كونه موجودا
ويستعمل في كل واحد من المعنيين على ان التمني يتضمن معنى الود لان التمني تشهى
حصول ماتوده انتهى والمراد تمنيه ان يكون غير ذي روح فلا يعذب ولا يسئل وعضد
الشجر موته وآخر العهد به (روى هذا الكلام) يعني قوله (وددت انى شجرة
تعضد) فهو بدل من الكلام مبين له (من قول ابى ذر نفسه) لا من الحديث وكلام النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو) اى كونه من قول ابى ذر (اصح) وفي نسخة واصح بالصاد
المعجمة والصحيح اصح اى من كونه من الحديث مرفوعا له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو
الى الحال وانسب بكلامه بخلاف مانوله فانه من الحديث الاختلاف والى هذا اشار
المصنف رحمه الله تعالى بقوله سابقا روايات في رواية عن ابى عيسى الترمذي رفعه الى ابى ذر

وإذا كان من كلام أبي ذر فهو مدرج في الحديث أدلّ عن لفظه فاعتراض البرهان الحلبي عليه بأنه كان ينبغي له أن يقول إنه مدرج لا وجه له لما في عبارته السابقة كذا لا يخفى قيل وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم تمنى ما ذكر مشكل لأنه مقطوع له بالزلفى آمن من كل سوء موفق بالدرجات العلى وخوفه إنما هو خوف إجلال وهيبة كخوفنا من غضب الله وسوء الخاتمة وقول بعض الصحابة المبشرين بالجنة ليتني طائر وليتني لم أخلق بشرا أو ليتني كبشا يذبح وتؤكل لحمه ليس لعدم الوثوق بالوعد بل لم يكن إلا خوفا من مخالفة أمره فإنهم يخافونه ويخافون من مخالفته وإن لم يعاقبهم وهذا كلام من لم يحقق المقام وقد تقدم في أول الفصل ما فيه كفاية (وفي حديث المغيرة رضي الله عنه) المتفق عليه في رواية الشيخين والمغيرة بضم أوله ويكسر أيضا أي ابن شعبة من الصحابة وهو أحد دهاة العرب (صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي صلاة التطوع والتهجد لأن الزيادة المذكورة في بعض الروايات إنما تأتي فيها (حتى انتفخت قدماه) أي ورمت من طول القيام (وفي رواية أنه كان يصلي حتى ترم) بفتح المثناة الفوقية وكسر الراء المخففة المهملة وميم مخففة مضارع ورم إذا انتفخ لانصباب المادة لقدميه من طول وقوفه صلى الله تعالى عليه وسلم ووقع في بعض النسخ ترم بتشديد الميم أي تصير رمّا وهي غير صحيحة رواية ودراية (قدماه) وفي رواية ساقاه وروي تورمت وتزلعت بزاي معجمة وعين مهملة أي تشققت (فقيل له أتكلف هذا) بهمزة استفهام وفتح التاء الفوقية وأصله أتتكلف فحذفت إحدى التائين تخفيفا أي تتحمل مشقته وكلفته (وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) جملة حالية معترضة بين الاستفهام وجوابه وسيأتي ما في إضافة الذنب له صلى الله تعالى عليه وسلم مع أنه معصوم عن الصغائر والكبائر على الأصح بأن المراد لو صدر منك أو ما يعد من الذنوب بالنسبة لغيرك لشرفك وعلو مقامك وستسمع بعضه في محله (قال أفلا أكون عبدا شكورا) لما أنعم الله عليّ من جلائل النعم التي لا تحصى ومن أجلها عصمته لي ومغفرته لذنبي قبل وقوعه والاستفهام إنكاري والفاء سببية أي أترك الصلاة لمغفرته وهي سبب موجب للعبادة لا لتركها وقوله شكورا لأنها نعم جليلة بل توجب مزيد شكره وقوله عبدا تلويح لعبادة أكرامه له صلى الله تعالى عليه وسلم بمعرفته ونسبته لسيده وكأنه نفى أهل السكر وهو العادة (ونحوه عن أبي سلمة) رحمه الله تعالى واسمه عبد الله أو إسماعيل أو اسمه كنيته ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري التابعي أحد الفقهاء السبعة المشهور بروايته عن أبي هريرة وغيره وفي الصحابة أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي مات في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يعرف له إلا حديث واحد وآخران غير مشهورين ولا الرواية عنهم مشهورة (وأبي هريرة رضي الله تعالى عنه) قال البرهان هكذا في النسخ قال الحنفي

وانا اخشى ان يكون هذا غلطا والصواب فيه ان يكون عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله عنه فانه وقع هكذا فى الشمائل فى باب عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان ذكر حديث المغيرة الذى ذكره المصنف هنا فقال بعده حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه كان يصلى الخ الا ان يكون المصنف وقف على حديث آخر لابى سلمة الصحابى ولم نره قلت ويحتمل ان يكون مراده عن ابى سلمة عن ابى هريرة ولكنه عطف احدهما على الآخر وهو بعيد ايضا (وقالت عائشة رضى الله عنها) كما رواه الشيخان (كان عمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة) بكسر الدال وسكون الياء المنقلبة عن الواو لانه من الدوام ومعناه الدائم واصل معناه المطر الدائم فى سكون وهدو وفى الحديث احب الاعمال الى الله تعالى مادووم عليه وان قل لان ترك الشئ بعد فعله كالاعراض عنه بعد الاقبال ولذا وقع الوعيد لمن حفظ القرآن ثم نسيه (وايكم يطيق ما كان يطيق) اى ايكم يقدر ان يعبد الله كعبادته صلى الله تعالى عليه وسلم كما وكيفا (وقالت) عائشة رضى الله تعالى عنها (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم) روى نقول بالنون والتاء الفوقية وبرفع نقول ونصبه كما قرئ به فى قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى بعض الازمنة يوالى الصوم حتى يتوهم انه صائم الدهر وتارة يكثر الفطر حتى يظن انه لا يصوم نافلة وقيل المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصوم من اول الشهر ووسطه وآخره حتى يتوهم من صادف ايام صومه انه دائم الصوم ومن صادف افطاره كذلك وهو بعيد وهذا لا ينافى كون عمله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة لانه بالنسبة لما كان راتبا كصوم ثلاثة ايام من كل شهر وهذا بالنسبة لغيره ولك ان تقول الاول فى صلوته ودوامه وهذا فى صيامه ويؤيده لفظ العمل لكن يأباه قوله (ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس رضى الله عنهم) اسم ام سلمة هند على الصحيح وقيل رملة والاحاديث التى رواها هؤلاء بمعنى ما تقدم مع اختلاف فى بعض الفاظها وكلها صحيحة مروية فى الصحيحين وابن حبان وقد ذكرها بعض الشراح هنا ولكن لا حاجة بنا لايرادها هنا كما فى الشرح الجديد (وقالت) عائشة رضى الله عنها (كنت لا تشاء ان تراه) صلى الله عليه وسلم (من الليل مصليا الا رأيته مصليا ولا نائما الا رأيته نائما وقال عوف بن مالك) هو عبد الرحمن الاشجعى الصحابى الجليل القدر رضى الله عنه سكن الشام وتوفى فى ايام عبد الملك سنة ثلاث وسبعين وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائى (كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام فصلى فقمت معه) اى انهجد واقتدى به وفيه دليل على صحة الاقتداء فى صلوة النافلة من غير نزاع واليه ذهب الشافعى رحمه الله وبعض الحنفيه (وبدأ) الصلوة وفى نسخة

فابتدأ بالماء اى شرع فى الصلوة (فاستفتح البقرة) اى شرع فى قراءتها وفيه دليل على انه يقال البقرة وسورة البقرة من غير كراهة كما ورد فى احاديث لا تحصى واسماء السور توقيفية على الاصح خلافا لمن قال انه يكره وانما يقال السورة التى يذكر فيها البقرة والسورة التى يذكر فيها النساء وهكذا لما روى الطبرانى والبيهقى عن انس مرفوعا لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء ولكن قولوا السورة التى يذكر فيها البقرة وهكذا وهو ضعيف بل قال ابن الجوزى انه موضوع والاحاديث المعارضة له صحيحة فهى ارجح وعليه العمل او نقول ان هذا كان فى اول الاسلام ثم نسخ لان المشركين كانوا يستهزؤن بهم اذا قالوا سورة العنكبوت ونحوها فلما كفاه الله المستهزئين وكف الله ايديهم وألسنتهم فعل ذلك من غير حرج (فلا يمر) صلى الله تعالى عليه وسلم (بآية رحمة الا وقف فسأل) الله الرحمة (ولا يمر بآية عذاب الا وقف فتعوذ) بالله من العذاب وهذا الحديث اخرجه ابو داود والنسائى ويؤخذ منه انه ينبغى لمن قرأ القرآن ان يتدبره ويتفكر فى معانيه وان الدعاء بما يناسبه مستحب ومستجاب فيدعو بما يناسبه واذا ذكر الايمان بالله يستحب ان يقول آمنت بالله ونحوه ونحو هذا ما ورد ان من قرأ سورة تبارك وبلغ فمن يأتيكم بماء معين فليقل الله رب العالمين واذا قرأ سورة التين فبلغ أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين واذا قرأ لا اقسم بيوم القيامة وبلغ قوله أليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى فليقل بلى واذا قرأ والمرسلات وبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله واذا قرأ سبح اسم ربك فليقل سبحان ربى الاعلى واذا قرأ سورة الرحمن فليقل عند كل فبأى آلاء ربكما تكذبان ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب وكل ذلك ورد فى الاحاديث الصحيحة وهذا نظير سجود التلاوة الا ان من الناس من فعل امورا زائدة على ما ورد كالدعاء بين الجلالتين فى سورة الانعام وقد قال الفاكهى انه بدعة لم يرد فيه اثر ولا حديث (ثم ركع فمكث) بضم الكاف وهى لغة القرآن وبفتح فى لغة غيره ومعناه انتظر وتوقف (بقدر قيامه يقول سبحان الله ذى الجبروت والملكوت والعظمة) هذه الصيغة مرادها صيغة مبالغة كالرهبوت والرحموت والرغبوت وهى مصادر فى الاكثر ووردت فى الاسماء ايضا كطاغوت والجبروت مبالغة فى الجبر وهو القهر والملكوت الملك العظيم وعقبهما بالعظمة لانهما كالدليل عليها ولانها اعم ويكون صلى الله تعالى عليه وسلم كرر ذلك مرارا كثيرة حتى يكون بمقدار قيامه كما لا يخفى (ثم سجد فقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران) اى السورة التى ذكر فيها قصة آل عمران وقد تقدم جوازه ومافيه (ثم سورة سورة) اى ثم قرأ فى صلوته فى كل ركعة سورة بعد سورة وهما منصوبان على الحالية كما قرره النحاة فى قولهم قرأت النحو بابا بابا وجعله الدمامينى منصوبا مفعولا لقرأ المقدر وفيه نظر والسورة مهموزة من السؤر وهو بعض الماء الباقى فى الاناء وتبدل همزته واوا

لسكونها والصحاح ماة لها وقيل ان واوه اصلية على انه من السور لاحاطتها بالآيات او من السوار او من التسور لرفعتها والسورة مقدار من القرآن مشتمل على آيات اقلها ثلاثة مسماه باسم ولا يرد عليه آية الكرسي لذكر الآية (يفعل مثل ذلك) المذكور من القراءة والتسبيح (وعن حذيفة) بن اليمان الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه مسلم عنه (مثله) اي مثل الحديث السابق (وقال) حذيفة رضي الله تعالى عنه (سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه) اصل معنى النحو القصد ومنه علم النحو ويقال هذا نحو هذا اي مثله او قريب منه * فان قلت ذكر الفقهاء ان الجلوس بين السجدتين ركن قصير غير مقصود لذاته بل للفصل بين السجدتين حتى قال بعض الشافعية ان تطويله قصدا مبطل للصلوة ومخل بالموالاة وحديث حذيفة صحيح رواه مسلم كامر وهو مناف لما ذكر * قلت قالوا انه انما يضر اذا طول بسكوت او بذكر غير مشروع فلو طول بغير ذلك كما في صلوة التسبيح فلا يضر وقد استحب كما ذهب اليه النووي تبعا لامام الحرمين استدلالا بحديث حذيفة هذا ولا يشترط ان يكون بمقدار اكمل التشهد (وقال) حذيفة رضي الله تعالى عنه (حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة) اي قرأ في ركعة سورة من هذه السور (وعن عائشة رضي الله عنها) في حديث صحيح اخرجه احمد والنسائي عن ابي ذر والآية التي ذكرت في قولها (قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية من القرآن) اي رددها طول الليل وكررها في كل ركعة وهي كما صرح به ان تعذبهم فانهم عبادك الآية في سورة المائدة وانما كرر ترديدها لالتدبر والتفكر فيها فان القرآن له بطون سبعة ففي كل قراءة يظهر له صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم يظهر قبل والله تعالى يتجلى لخاص عباده في كلامه ولكن لا يبصرون كما روي عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه ففي كل قراءة تجلى له الله في مرآة كلامه ومثل هذا لا تفي به العبارة اللهم نور مشكاة قلوبنا حتى نطلع فيها صور الحقائق (وعن عبد الله بن الشخير) بكسر الشين والخاء المعجمة بين المشددتين ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة وهو ابن عوف بن كعب العامري الصحابي البصري المخضرم الذي ادرك الجاهلية والاسلام وروى له اصحاب الكتب الستة وهذا الحديث رواه ابوداود والترمذي والنسائي (اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل) جوف كل شيء باطنه والمراد به ما يحيط صدره واضلاعه والازيز بهمزة مفتوحة وزاء معجمة بين تحتيهما ياء مثناة تحتية ساكنة وهو صوت الغليان اذا اشتد وهو النشيش والمراد انه صلى الله عليه وسلم اشتد خوفه وخشيته من الله تعالى يسمع حركة قلبه اذا رق صدره وقيل صوت الحنين مع البكاء والمرجل بكسر الميم وسكون الراء المهملة وفتح الجيم واللام القدر مطلقا وقيل من نحاس (قال ابن ابي هالة) الصحابي المتقدم رضي الله تعالى عنه (كان صلى الله عليه وسلم

متواصل الاحزان) اى حزينا حزنا يتصل بعضه ببعض بحيث لا يفصل بينها فرح ومسرة وهذا يقتضى الدوام ولذا فسره بقوله (دائم الفكرة) اى تفكره دائما فى امره وامر امته ومن كان هكذا (ليست له راحة) لاستغراق اوقاته فى الذى كلفه من اداء الرسالة وتبليغ الاحكام وتدبير الحروب والوقائع ومن نيط به امور جميع الخلائق كيف يصفو من الهم فان الامور بقدر الهمم والظاهر ان هذا حاله صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن متكلما مع الناس فى مصالحهم وحكمه بينهم وملاقاة من تقدم عليه من الوفود وعرض الناس عليه امورهم وفى عشرة اهله واما ذلك حال سكونه وهو بين الناس وفى خلوته بنفسه ومشيه وتعبده اما فى غير ذلك فكان طلق المحيا متبسما متلبسا بالبشر ودوام كل شيء بحسب زمانه

فاقسم لكل زمان ما يليق به * فان للبرد حاسا ليس للعرق

فسقط ما قيل انه وصف فى غير هذا الحديث بانه صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر وهذا ما افصل له وقد اورد عليه ايضا ان الحزن فضلا عن دوامه غير محمود وقد نهى الله تعالى عنه فقال (ولا تهنوا ولا تحزنوا) وقال (لا تحزن ان الله معنا) وقال (انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) واستعاذ صلى الله تعالى عليه وسلم منه فقال اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن وتقدم الفرق بينهما بان الهم لما يقع فى المستقبل والحزن لما مضى وكلاهما مفتر للعزم مضعف للقلب غير معدود من مقامات العارفين ولذا قال اهل الجنة الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما يصيب المؤمن من هم ولا نصب ولا حزن الا كفر الله به من خطاياه يدل على انه مصيبة يؤجر المرء عليها وسيأتى الكلام عليه والحديث الذى ذكره المصنف رواه الطبرانى والمصاعى وقال ابن القيم كما سيأتى انه لم يثبت وفى سنده من لا يعرف ولا اعلم صحته وفى التوريه اذا احب الله عبدا جعل فى قلبه نائحة واذا ابغضه جعل فى قلبه مزمارا فقال ابن القيم اجمع اهل السلوك على ان الحزن ليس من مقامات السائرين الى الله الا ابو عثمان الحيرى فانه قال الحزن فضيلة وزيادة كمال للمؤمن ما لم يكن على معصية لانه ان لم يوجب تخصيصا اوجب تمحيصا فهو بلاء وتمحيصه كالمرض لا مقام كما قاله الحلبى وحزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما اودعه الله فيه من الرحمة ورقة القلب فكان يحب هداية الامة فاذا راى ما هم عليه من عنادهم وتخالفهم حزن لذلك وخاف من ان ينسب الى قصور فى دعوتهم وبما قررناه ظهر انه ليس فيما ذكر اشكال بوجه من الوجوه ولا حاجة الى تفسير دوام الفكرة بانها فى ذات الله وصفاته حتى يرد عليه انه منهى عنه فيجاب بان المنهى غير الكمل كما قيل (وقال عليه الصلوة والسلام انى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة وروى سبعين مرة) هذا حديث صحيح وسيأتى الكلام عليه وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم استغفر الله يعنى اطلب منه المغفرة او اذكر هذا اللفظ بعينه والسبعون عدد معلوم وقد يراد به مجرد التكثير وعلى هذا تكون الروايتان بمعنى

(وطلب)

وطلب المغفرة وان اقتضى الذنب وهو صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من الكبائر والصغائر مطلقا على الاصح المراد به انه مع كماله صلى الله عليه وسلم شهد في نفسه قصورا نزله منزلة الذنب فاستغفر له او عد اشتغاله بما ابيح له كالاكل واشتغاله بامور الناس ذنبا لعوقه عن المشهود او هو تشريع لامته او كان استغفاره صلى الله عليه وسلم لذنوبهم او انه لم يزل مترقيا في المقامات فكلما ترقى لمرتبة رأى ما دونها نقصا فاستغفر منه وستأتى تتمته (ومن على كرم الله وجهه سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن سنته) اي طريقته التي هو عليها وهذا الحديث ذكره في الاحياء وقال الحافظ العراقي انه لا اصل له وقال السيوطي رحمه الله تعالى انه موضوع وآثار الوضع لائحة عليه وهو يشبه كلام الصوفية (فقال المعرفة رأس مالي) رأس المال هو المال المعد للتجارة وما يكتسب به هو الفائدة والمراد بالمعرفة معرفة الله وصفاته والوقوف على غوامض الامور مما لم يكن تعلمه وهي تختص بالعلم المسبوق بالعدم او بالجزئيات ولذا قيل ان علم الله لا يسمى معرفة ولا يقال الله عارف الا انها جاءت بمعنى العلم ايضا والمراد هنا الاول لمقابلتها بالعلم وهذا يشبه قول بعض كاملين

اذا كان رأس المال عمرك فاحترس * عليه من الانفاق في غير واجب

وقد تقدم (والعقل اصل ديني) من ان العقل قوة غريزية في الانسان يستعد بها لادراك المعلوم اي دينه وشرعه اي ما تعبد به وتدين وقيل النعمة او لها وبعدها مبني على ما اودعه تعالى فيه من كمال عقله الذي هداه الى النظر في مصنوعات الله الدالة على وحدانيته وعظمته وانه هو الحق وفي الحديث ان عائشة رضي الله تعالى عنها قالت يارسول الله بم يتفاضل الناس قال بالعقل في الدنيا والآخرة فقالت اليس يجزون باعمالهم فقال ياعائشة هل يعمل الا من له عقل فبقدر عقولهم يعملون وبقدر عملهم يجزون وقد اتفقوا على ان ما اعطى الناس من بدء الدنيا الى آخرها من العقل بالنسبة لعقله صلى الله تعالى عليه وسلم كنسبة ذرة من الرمل الى رمال الدنيا كلها (والحب اساسي) اي محبة الله بعد معرفته لان من لم يعرف لا يحب اي اساس بني عليه اموري في اتباع اوامر الله ونواهيه كانه قيل وجب لاتباع الناس لي كما قال تعالى ﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ولا يكمل ايمان احد حتى يكون الله احب اليه من نفسه واهله وماله كما سيأتي بيانه وجمع هذه الامور في نسق واحد لان رأس المال والاساس والاصل من واد واحد وتغاير العبارة انما هو لتلوين الخطاب (والشوق مركبي) اي شوقي الى المطالب العالية والى لقاء الله تعالى هو الذي حركني حتى وصلت لمرادي كما قيل

وقالوا اذا ما لهم سيرتها * محدا في سبيلي للالاف
ركبت على البراق فقلت كلا * ولكني ركبت على اشتياق

والشوق اعلى من المحبة لانه نتيجتها فانه انجذاب النفس لشدة ميلها الى لقاء

من يشتاقه (وذكر الله انيسي) وفي نسخة انسى يعني انه يأنس في خلوته وجلوته بذكر الله لانه اذا اكثر من ذكره صار نصب عينه حتى كانه معه ومن كان الله معه آنس به واستوحش مما عداه ومن كان له ورد في الصباح والمساء كان من الذاكرين الله وانظر لقوله اذكروني اذكركم وقال سمنون حقيقة الذكر ان ينسى ماسواه ويستغرق الاوقات فيه

لالأني انساك اكثر ذكرك * ولكن بذاك يجري لساني

(والثقة) بكسر المثلثة مصدر كالسعة بمعنى الوثوق بما عند الله وما يطلب منه (كنزي) الكنز المال المكنوز اي المدفون وفيه بلاغة ونكتته بديعة لان من له مال مدفون لا يراه ولكنه انفع مما يراه فكذا ما يرجوه من الله قبل حصوله انفع من الحاصل عنده النفيه كما قيل

واني لارجو الله حتى كأنني * ارى بجميل الظن ما الله صانع

وعلامة الثقة بالله بذل الموجود وترك طلب المفقود (والحزن رفيقي) اي لا يفارقني وذكره مع الانس لان الرفيق انيس وهذا بمعنى ما تقدم من قوله متواصل الاحزان وقد علمت ما فيه (والعلم سلاحي) اي علمي بالله وبما علمني من لدنه واوحاه الي ادفع به من يجادلني ويخاصمني وادفع الشيطان ووسواسه كما يدفع العدو بالسلاح وآلات الحرب (والصبر) في المكاره وتحمل المشاق وعدم العجلة في الامور (ردائي) الرداء ما يكون فوق الثياب وبه تجمل ظاهر المرء ولما كان الصبر فيه سكون وتحمل وعلم ووقار يشاهده الناس شبهه بالرداء لجماله به ودفعه ضرر البرد فلو قيل من انه لو شبهه بالدرع والالحاف صح كما قيل

بدرع صبري والمحقق صبر وقد * وقاني الله في الصبر اولى فاهلكني

لبس شيء (والرضاء) بالقصر مصدر وبالمد اسم كما في الصحاح والذي في الشرح بالمد (غنيمتي) جعله غنيمة لانه يقهر به عدوه نفسه اللوامة ويا بشرها ادا الراضي بما قسم الله لا يتمنى ما لم يكن فيحصل له غنى القلب والراحة كما قيل

هل هي الا مدة وتنقضي * ما تعاب الايام الامن رضي

ولاشك ان الرضاء بما قدره الله واجب وقوله في شرح الحديد واختلف العلماء في الرضاء هل هو واجب او مستحب فقيل هو مستحب لانه لم يرد الامر به وانما ورد الثناء على المتصف به والى هذا ذهب محققوا العلماء مما لا ينبغي ذكره (والعجز فخري) وفي نسخة البرهان وغيره والعجز بدل الفقر اي اظهار انه عاجز ضعيف وان القدرة والقوة لله وهو مقام عبودية كما قال تعالى (وخلق الانسان ضعيفا) والعجز المذموم الذي استعاذ منه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله (اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل) بمعنى آخر وهو التثاقل عن العبادة والتواني كما قيل

اذا ما التواني انكح العجز بنته * وساق اليها حين اصدقها مهرا

فراشا وطاء ثم قال لها اتكي * فقصاركما لابد ان تلد الفقرا

وقال ابن حجة الفقر فخري ليس بحديث ومن قال انه حديث فقد كذب وقيل الظاهر

ان المراد بالفخر بفتح فسكون هو الفخر عن طلب الدنيا والتمكن في الثروة والشوكة
واريد به لازمه وهو الفقر ولا وجه له فانه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بفاخر بما ذكر
وانما تركه واعرض عنه باختياره كما مر والاوجه ان المراد به ما مر كما في حديث لا يدخل
علىّ الا فقراء الناس اى ضعفاؤهم وفي آخر اهل الجنة كل ضعيف متضعف وفي حديث
هرقل ضعفاء الناس اتباع الرسل وفي حديث الاسراء امتك اضعف الامم وهم اكثر
اهل الجنة قيل فقوله الفقر فخري قد يقال انه رواية بالمعنى فليس بكذب وفيه نظر
ولذا قال الحافظ ابن حجر انه باطل موضوع فانه ورد مدح الفقر في الحديث كحديث
تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وقد روى بسند لا بأس به واثبات الفخر له وقد نفاه في قوله
ولا فخر لانه ليس من شانه لان المراد به الخصلة الحسنة التي من شانها الافتخار بها
او المراد فخرى لو كنت ذا فخر كما قيل في قراءة (انما يخشى الله من عباده العلماء) برفع
الجلالة اى انما يجلهم لو كان يخشى غيرهم وان كان المشهور ان المراد بالخشية لازمها
وهو التوقير والتعظيم والفقر مع الصبر وصف محمود فان الغنى هو الله كما قال تعالى
(يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد) (والزهد حرفتى) الحرفة بكسر
الحاء وسكون الراء المهملة ثم الفاء هى الصناعة التى يرتزق بها الانسان والزهد ترك
ما يرغب فيه من الدنيا وقال الجنيد الزهد خلو الايدى من الاملاك والقلوب من التتبع
وليس الزهد عدم الملك فان سليمان عليه الصلوة والسلام كان زاهدا مع ان الدنيا
كلها في قبضته واطلاق الحرفة ليس في محله فانه يوهم انه جعلها مكسبا وفيه شاهد
للوضع ومما قيل في مشايخ زماننا

وقام في سوق الرياء تاجرا * وباع للسوقة ارشاده
حرفته الزهد ودكانه * تاج فيه الكذب سجاده

(واليقين قوتى) اليقين الاعتقاد الجازم وهو وقوف القلب من قام به لاطمأنينته وعدم
خوفه من غير الله وهذا شامل لحق اليقين وعين اليقين والفرق بينهما مشهور
في التفسير وكتب الكلام (والصدق شفيعى) الصدق بمعنى مطابقة الخبر والمراد به
ما اصطلح عليه المشايخ من انه استواء السر والعلانية والوفاء لله عز وجل بكل ما عهده
اليه ويصح ارادة المعنى الاول والمراد كونه شفيعه انه سبب مصالحه عند الله او المراد
تعليم امته (والطاعة حسبى) بفتحتين هو ما يعده المرء من مفاخر آبائه اى طاعة الله
في السر والعلانية هى التى افتخر بها واعدها ما ترى لاماثله يجرى الناس به اوهو بسكون
السين اى الطاعة تكفينى (والجهاد) في سبيل الله او مجاهدة النفس بمخالفة هواها (خلقى)
اى طبعى على مجيته (وقرة) بضم القاف وتشديد الراء المهملة (عينى) الناظرة اى
سرورها وفرحها في الصلوة لما اشاهد فيها من التجليات الالهية فانها المعراج الاصغر
والقرة مأخوذة من القر وهو البرد لان دمعة السرور باردة او من القرار لان ملوع

الامية رؤيه ماسر تسكن به العين فلا تستشرف لغيره وقد تقدم مافيه (وفي حديث آخر) لم يذكره المخرجون لاحاديث هذا الكتاب (وثمرة فؤادي في ذكره) الفؤاد القلب او داخله وهو محل العقل على الاشهر جعله كشجرة مثمرة وجعل ذكر الله المقصود منه (وغمي لاجل امتي) لرأفتي عليهم في الدنيا والآخرة (وشوقي الى) لقاء (ربي) ومناجاته والتوجه اليه ﴿ فصل اعلم وفقنا الله واياك ﴾ تقدم الكلام عليه (ان صفات الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام) هو من عطف الخاص على العام اعتناء لشانهم وبيانا لشرفهم وسيأتي تفصيله (من كمال الخلق وحسن الصورة) الخلق بفتح فسكون والمراد خلق مادة جسمه واعضائه والصورة هيئة بدنه وتناسب اعضائه ومقاديرها ولون بشرته (وشرف النسب) اى شرف آبائه وامهاته واجداده وجداته الى ان ينتهي الى آدم عليه الصلوة والسلام فليس فيهم خسيس ولا وضيع (وحسن الخلق) بضمتين اوضم فسكون وقد تقدم بيانه (وجميع المحاسن في هذه الصفة) كذا في بعض النسخ وفي غيرها وعليه الشراح هي بالضمير بدل في الجارة قال المسطلاني هذه الصفة خبران ووقع بين اسم ان وخبرها ضمير الفصل لقصر الصفة على الموصوف كان زيدا هو المطلق اى لاغيره واتى بها على لفظ الافراد لتغاير بين المبتدأ والخبر فان الاتحاد غير جائز وغيرها بالالف واللام للتنبيه بان المراد استغراق ماذكره من كل الصفات المذكورة انتهى وتبعه بعض الشراح ولم يتنبه غيرهم وجميع المحاسن على هذا معطوف على اسم ان فهو منصوب فالمعنى ان كمال الخلق وحسن الصوره وشرف النسب وحسن الخلق صفات جامعه لجميع المحاسن وهي صفة الرسل عليهم السلام وهي على الوجه الاتم الاكمل لا تجتمع في غيرهم ومن بيانيه ... لصفات جميع الانبياء والرسل والصفه بمعنى الصفات المذكوره ولا يخفى مافيه من الملاقه والخفاء وان قوله هذه الصفات هذه الصفه ركاك جدا ولو قيل ان قوله من كمال الخلق الخ خبران ومن ابتدائيه وجميع مرفوع مبتدا وفي هذه الصفه خبره والمعنى جميع صفات الانبياء عليهم السلام ناشئه من كمال الخلق الى آخره وجميع المحاسن مجموعة فيها كان اظهر واحسن (لانها صفات الكمال) اى صفات بها يكمل البشر (والكمال والتمام البشرى) تقدم الفرق بين الكمال والتمام (والفضل الجمع) مبتدأ وكان الاحسن ان تقول والفضل جميعه (لهم) خبره اى ثابت للانبياء عليهم الصلوة والسلام (اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات) فيه اشارة الى تفضيلهم على الملائكة كما سيأتي (ولكن فضل الله بعضهم على بعض) استدراك لدفع ما عسى يتوهم من تساويهم رتبة ثم اشار على طريق اللف والنشر المشوش الى الدليل على عدم تساويهم بقوله (قال الله تعالى تلك الرسل) المذكورين في سورة البقرة فالتعريف عهدي او جميع الرسل الذي تعلمهم فهو استغراقي

(فضلنا بعضهم على بعض) بمواهب سنية ومراتب علية عن اصل الدعوة والرسالة منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وهو محمد او ابراهيم عليهما الصلوة والسلام واشار الى فضلهم على من عداهم بقوله (وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم) بما باحوالهم (على العالمين) وهذا من المصنف رحمه الله تعالى مبنى على ان الضمير للانبياء مطلقا والمراد بالعالمين جميع العالم لا على ما اختاروه من انه لبنى اسرائيل والعالمين عالمي زمانهم لكثرة الانبياء فيهم (وقال عليه الصلوة والسلام) فى حديث رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (ان اول زمرة) اى طائفة وجماعة (يدخلون الجنة على صورة القمر) اى وجوههم مشرقة مضيئة وليس المراد انها مثله فى الاستدارة وعبر بذلك ولذا قال (ليلة البدر) وهى ليلة اربعة عشر وهو اضوأ ما يكون فيها وسمى بدرا لامتلائه بالنور او لمبادرته مغيب الشمس بالطلوع وهو يسمى هلالا فى اول الشهر ثم بعد يسمى بدرا اذا تم

ان الهلال اذا رأيت نموه * يدنيك ان سيعود بدرا كاملا

والقمر يطلق عليه دائما كما بينه اهل اللغة وتمام الحديث ثم الذين يلونهم كاشد كوكب درى فى السماء اضاءة (ثم قال آخر الحديث) قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون آنيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الالوة ورشحهم المسك وفى ان له من الحور العين اثنين وسبعين حورية سوى ازواجه من الدنيا وان الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الارض (على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا فى السماء) والمراد بهذه الزمرة الانبياء عليهم الصلوة والسلام والذين يلونهم الاولياء والعلماء الراسخون وقيل المراد بهم الانبياء والاولياء والذين يلونهم بقية المؤمنين الانبياء وقوله آنيتهم الذهب والفضة اما على اللف والنشر فآنية الزمرة الاولى من الذهب والثانية من الفضة او هما لهما بقرينة جعل امشاطهم كلهم من الذهب ويحتمل ان يكون اكتفاء اى من الذهب والفضة ورجح بعضهم ان يكون هؤلاء كلهم من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لحديث الصحيحين يدخل الجنة من امتى سبعون الفا بيض الوجوه تضيء وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر وعلم منه حال الانبياء بالطريق الاولى اوهم مسكوت عنهم وخلقهم عند الله وجمالهم على صورة آدم عليه الصلوة والسلام لانه كان احمل الناس واعظمهم جمالا والستون ذراعا اما بذراعه نفسه او بذراع معهود عند المخاطبين والاول اظهر لكن روى ابن ابى الدنيا عن انس رضى الله عنه يدخل اهل الجنة الجنة على طول آدم ستون ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد صلى الله عليه وسلم

جرد مرد مكحلين وورد ان عرضه سبعة اذرع والحديث يدل على تبدل الوانهم
فمن كان اسود او اشقر صار ابيض باطنا معتدلا وروى الامام احمد عن ابي هريرة
يرفعه يدخل اهل الجنة الجنة جردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلاث وثلاثين وهم
على خلق آدم ستون ذراعا في عرض سبعة اذرع وقوله في السماء يحتمل ارادة الحقيقة
فيه اي كان ابتداء خلقه وصورته اذا كان في السماء او المراد جهة العلو اي طوله ذلك اذا كان
منتصبا قائما ﴿ فائدة ﴾ استنبط بعضهم من اثر ان مقعد الحوراء في الجنة ميل ان كل آدمي
يدخل الجنة يكون طوله اثنا عشر الف ذراع بذراع الشرع الذي هو شبران لان
مقعد الحوراء ميل ويكون طولها ثلاثة اميال ومقعد الواحد منا ثلث قامته تقريبا
والغالب ان الذكر كالانثى في الخلقة فيكون طول الرجل اثنا عشر الف ذراع
كما تقدم تقسيم على الستين الواردة في الحديث فيكون كل ذراع من الستين مائتي ذراع
شرعي تقريبا (وفي حديث ابي هريرة) رضي الله تعالى عنه الذي رواه الشيخان ايضا
(رأيت موسى) عليه الصلوة والسلام ليلة الاسراء عيانا لانه اما لان الانبياء عليهم الصلوة
والسلام احياء لا تبلى اجسادهم (فاذا رجل ضرب) اذا فجائية اي فاذا هو رجل
ضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة ورجل هنا بفتح فضم
على المشهور وهو الذكر من بني آدم ومعنى ضرب بالفتح والسكون ان جسمه بين
الهزال والسمن وقال الخليل رحمه الله تعالى انه القليل اللحم ووقع في رواية الاصيلي
بسكون الراء وكسرها والاصح الاول وروى مضطرب وهو الطويل غير الشديد
الطول وفي مسلم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه جسيم سبط وحمل هذا على
ما يوافق رواية مضطرب لا على كثير اللحم كما وقع في صفة الدجال فهو من الاضداد
(رجل) بفتح المهملة وكسر الجيم وجاء فتحها في لغة قليلة اي شعره منكسر قليلا ليس
سبط لا يتكسر فيه ولا جعد منكسر كسرا (اقنى) بقاف ونون من القنى بالفتح
والقصر وهو طول الانف ودقة ارنبته يقال رجل اقنى وامرأة قنواء وقيل القنا
احديداب في الانف فمعناه محدودب وليس بعيب في الناس وفي النهاية القنا في الانف
طوله ودقة ارنبته مع حدب في وسطه واما قول كعب رضي الله تعالى عنه

قنواء في حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفي خديه تسهيل

فمعنى آخر لا حاجة اليه هنا (كانه من رجال شنوءة) بفتح الشين المعجمة وضم النون
وواو ساكنة وهمزة وقد تبدل الهمزة واوا وتدغم وهاء على وزن فعولة وهي اسم
قبيلة ويقال لها ازد شنوءة واسد شنوءة وهي بالفتح مشهورة وهي من اليمن وهو
التباعد كما يأتي يقال رجل شنوءة اذا كان طاهر النسب ذا مروءة فسميت بذلك لعلو
نسبهم وحسن سيرتهم واعمالهم وهذا الحديث مقول عنا وفي رواية البخاري كانه
من رجال الزط وهم نوع من السودان او الهنود طوال الاجسام مع نحافة وهذا هو

وجه الشبه اى انه طويل غير جسيم (ورأيت عيسى) عليه الصلوة والسلام يقظة في الاسراء كما سيأتي (فاذا هو رجل ربعة) بفتح الراء المهملة وسكون الباء الموحدة وفتحها اى بين الطول والقصر معتدل القامة (كثير خيلان الوجه) بكسر الخاء المعجمة وسكون المثناة التحتية جمع خال وهو الشامة السوداء المعروفة وما قيل من ان كثرة الخيلان مذمومة غير مسلم واختلفت الرواية في لونه وروى انه آدم اى اسمر وروى (احمر كانما خرج من ديماس) بكسر الدال المهملة والمثناة التحتية وميم والف وسين مهملة وهو الحمام والكن واصله السرب في الارض والمراد صفاء لونه مع حمرة فيه ورواية آدم بمعنى شديد الحمرة لاتنافي هذه (وفي حديث آخر) لم نعرف رواته (مبطن) بالتشديد والطاء المهملة اى ضامر البطن كما فسره قوله (مثل السيف) اى في استوائه ودقته وقد تعددت الرواة برؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء عليهم الصلوة والسلام يقظة في السماء والارض لانهم احياء وضعف البيهقي في هذا حرفاً مستقلا (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (وانا اشبه ولد ابراهيم به) خلقة صلى الله تعالى عليه وسلم ولونه كلونه فهو اكثر شبها به من سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام والناس كلهم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (في حديث آخر في صفة موسى) عليه الصلوة والسلام كما رواه البخاري في صحيحه (كاحسن ما انت راء من آدم الرجال) ما موصولة والعائد محذوف اى الذي انت رائيه وآدم من الادمة وهي سمرة اللون قيل وهي في الابل بمعنى البياض وفي الظباء سمرة الظهر وبياض البطن وفؤنثه ادماء وادم بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وبالميم جمع آدم كاسمر وسمر وهي السمرة مطلقا او الشديدة وقيل انها البياض والاول اصح ولوا يدل عليه قوله تعالى (خرج بيضاء من غير سوء) اى عيب كالبرص وانما يكون هذا اذا كان اسمر وخالف لونها لونه ويحتمل انها تخالفه لشدة بياضها كما قيل انها كانت ذات شعاع كشعاع الشمس (وفي حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) رواه ابو يعلى وابن جرير من طرق واخرجه سعيد بن منصور في تفسيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما موقوفا (مابعث الله تعالى من بعد لوط عليه الصلوة والسلام نبيا) وهو لوط بن هاران وهو ابن اخي ابراهيم وخص بالذكر بما بعده لانه من الشام وبعثه الله تعالى الى اهل قرية يقال لها سدوم ليست من بلاده ولست موطنا لقومه ومن بعده من الانبياء لم يأت (الا في ذروة من قومه ويروى في ثروة اى كثرة)والذروة بكسر الدال المعجمة وضمها وسكون الراء المهملة اعلى شيء اى بين قوم له ذوى جده وسعة وشرف لا غرباء ولا من قوم لم يكونوا كذلك واشار بهذا الحديث الى ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام كلهم شاركوا نبينا صلى الله عليه وسلم في علو النسب وشرف القوم

والثروة بمعنى الكثرة مطلقا وقد تختص بالمال وقيل الذروة المكان المرتفع وهي مثلثة الدال (ومنعة) بفتح الحروف اي ميم ونون وعين مفتوحات جمع مانع كخدمة جمع خادم ويجوز تسكين نونه او هو اسم مصدر في الاصل كصدقة اي قوم يمنعونه ويحمونه وقصة لوط عليه الصلوة والسلام مفصلة في كتب التفسير وفي قوله تعالى (قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد) اشارة الى ماذكر من انه لم يبعث في قومه الذين ينصرونه ويحمونه ، فان قلت كيف يكونون في منعة وثروة وقد قال تعالى في بعضهم وما آمن معه الا قليل وقد ناداهم قومهم وقتل بعضهم وما شابه ماذكر لما عقد له الفصل من محاسن الخلق والخلق من الصفات الذاتية * قلت قد يوهم بعضهم وورود ما ذكر ولا يس كذلك لان ما ذكر من شرف القوم والاصالة يدل على المحاسن الذاتية لا لمزايا لماذا كونهم كثيرون لا ينافي عداوتهم واما المنعة والاعتبار من اتباعهم ولذا ورد رحم الله اخي لوطا انه آوى الى ركن شديد وهو لا ينافي الآية لان المراد الملائكة والمدد الله تعالى (وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدار قطني من حديث قتادة عن انس رضي الله تعالى عنه) تقدم ترجمة الترمذي وقتادة وان الدارقطني منسوب لدار قطن وهي محلة ببغداد كان ساكنا بها وهو الحافظ الامام الجليل المشهور امام عصره في الحديث والفقه والقرآن وغيرها من العلوم الشرعية والحديث المذكور في الشمائل وغيرها مرسلا (ما بعث الله نبيا الا) وقد خلقه (حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم) من ابتداء وجوده وخلقته (احسنهم) اي الانبياء عليهم الصلوة والسلام (وجها واحسنهم صوتا) لان حسن الصورة يدل على كمال الخلق والخلق اذ الظاهر عنوان الباطن كما قيل

يدل على معروفه حسن وجهه * ومازال حسن الوجه احدى الدلائل

(وقال الآخر)

يدل على فضل الطلوع ما ترى * تصايحها من فضل بعض ملامحه

وحسن الصوت لكونه جهوريا يسمع من بعيد مع لطافة فيه يدرك بالذوق ولا يلزمه كونه على رسم الموسيقى وهذا يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اجمل من يوسف واحسن صوتا من داود عليهما الصلوة والسلام وكانت قراءته صلى الله تعالى عليه وسلم في غاية الملاحة مع عدم التكلف ومما يعد من مزايا السنة وما ورد في حديث الطبري في يوسف فاذا انا برجل احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن المراد منه تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم على من عداه لا سيما ان قلنا ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه كما ذهب اليه بعض الاصوليين وبه يدل ما قد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعطي الحسن كله واعطي يوسف عليه الصلوة والسلام شطره اي نصفه اي ان الحسن كان جميعه له صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] من سائر اعضاء

وصفاءلون وغيره مما يدرك ولا يوصف ويوسف اعطى من حسن الحسن الكامل فيه نصفا وجميع الخلق وزع بينهم ما يعدل نصفه الآخر فدل ذلك على انه احسن الناس كلهم كما صرح به في الحديث الذي نحن فيه وما قاله السخاوي في كتاب الامتنان من ان الجلال الدين المحلي رحمه الله سئل عن حديث اعطي نصف ما جميع الحسن ويوسف شطره فقيل كيف يكون الشيء الواحد جمعه في شيء ونصفه في آخر فقال لم يظهر لي جوابه وكذا قال ابن حجر وقد تأملت قوله في البردة البوصيرية

منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

فبان لي منه جوابه وهو ان حسن النبي صلى الله عليه وسلم غير منقسم بينه وبين غيره بخلاف حسن سائر الناس فانه منقسم بينهم وبين يوسف عليه الصلوة والسلام انتهى وفيه نظر وهذه مغالطة وزهرة لا تحتمل الفرك ومنشاؤه عدم الفرق بين تقسيم شيء بعينه وتقسيم افراد نوع من الانواع فتدبر (وفي حديث هرقل) من صلته والاضافة لادنى ملابسة لا كره في الحديث كما يقال حديث الشفاعة والاصل اضافته لرواية الصحابي او التابعي او من خرجه كالبخاري ومسلم وهذا الحديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن عباس نقله عن ابي سفيان حين ارسل اليه هرقل وهو بالشام للتجارة في ركب من قريش في مدة محادثة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكفار قريش فاتوه بايليا فدعاهم وحوله عظماء الروم فسألهم عن احواله صلى الله تعالى عليه وسلم فكان اول ماسأله عنه ان قال كيف نسبه فيكم فقال هو فينا ذو نسب الى آخره فقال له كما اشار اليه بقوله (وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب) اي نسب عظيم فالتنكير للتعظيم لشرف اصوله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه ليس في امهاته سفاح ولا شيء من نكاح الجاهلية كما مر ونقله في الاصلاب الطاهرة من الانبياء ونسله اشرف القبائل وبيته اشرف بيوتهم (وكذلك الرسل) عليهم الصلوة والسلام (تبعث في انساب قومها) اي كل نبي له نسب عال في قومه لان من اختاره الله لنبوته يختار له عنصرا طاهرا ولم يجد ولسانا من الذل فشبه اتصاله باتصال الطرف بطرفه (وقال تعالى في ايوب) صلى الله عليه وسلم وكان ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم بقرية قرب نوى وعليه مسجد وقربه موقوفة على مصالحه وعنده عين جارية وبها اثر قدم في حجر يقال انه اثر قدمه عليه الصلوة والسلام والناس يشربون من عينه ويغتسلون منها بالتبرك ويقولون انها المذكورة في القرآن (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب) كثير الرجوع لربه بمراجعة دعائه وامتثال أوامره ونواهيه واستشهد بهذه الآية على حسن خلق الانبياء عليهم الصلوة والسلام فان الصبر امر عظيم وخلق كل كريم حليم ولذا اثنى الله عليه بقوله نعم العبد الى آخره ووصفه بالعبودية المناسبة للصبر وقد صبر على ما ابتلاه الله

به كما صبر يعقوب وغيره من الرسل ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم صبر على قومه
وما قاساه منهم وقصة ايوب عليه الصلوة والسلام وتسميه مذكور في التفسير واختلف
في زمن نبوته فقيل كان قبل موسى عليه الصلوة السلام وانه من بني اسرائيل ومدة بلائه
ثلاث عشرة سنة او ثلاث سنين وامرأته اسمها ليا وقيل رحمة بنت يوسف (وقال تعالى
يايحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين)
واستشهد المصنف رحمه الله تعالى بما ذكر على محاسن الانبياء واخلاقهم اذ تلقى
يحيى عليه الصلوة والسلام الكتاب التورية اوغيرها بقوة فهم وعزيمة على العمل
بما فيها وقد آتاه الله الحكم صبيا وهو يدل على سلامة فطرته وخلقته وكان حنانا
في طبعه(٢) الرحمة وانه كان تقيا برا بوالديه مطهرا من النقائص وانه سلمه الله من يوم
ولد الى مماته (وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين
الآيتين) استشهد بهاتين الآيتين على ما حواه الانبياء عليهم الصلوة والسلام
من الصفات الجليلة ومكارم الاخلاق وانه تعالى جعلهم صفوة خلقه فآل ابراهيم
اسحق واسمعيل واولادهما وآل عمران عيسى ومريم بنت عمران ذرية بعضها
من بعض على سنن واحد (وقال في نوح) عليه الصلوة والسلام (انه كان عبدا
شكورا) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لايفعل شيئا الاقال بسم الله والحمد لله
(وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الآية) استشهد بهذه الآية
على ما لعيسى صلى الله تعالى عليه وسلم من النعوت السنية والمحاسن الجلية التي
وصفه الله تعالى بها من انه وجيه اي شريف قدره في الدارين وانه يكلم
في مهده وقد تقدم ذكر من تكلم في المهد غيره والكهل الشاب وقيل من وخطه الشاب
اومن جاوز الثلاثين الى خمس وخمسين وكونه رفع ابن ثلاث وثلاثين وان جزم به
القاضي في تفسيره غير متفق عليه فقد ذكر ابن حجر في الاصابة اوالا آخر منها انه
بلغ المائة اوزاد عليها وتقدم معنى كونه كلمة الله (وقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني
نبيا الى ما دمت حيا) قيل انه نبئ وهو صبي والهم حفظ التورية والانجيل ووصف
نفسه بالعبودية ردا لما اعتقده فيه النصارى وكان نطقه بما ذكر تبرئة لامه (وقال
تعالى يا ايها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله
وجيها) وذلك لانهم عابوه عليه الصلوة والسلام لشدة تستره حياء من الله
بان في بدنه برصا او به ادرة فبرأه الله من ذلك وبين انه كامل الخلق والخلق ولذلك
ساق المصنف الآية وقال (قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان موسى رجلا حييا)
بحاء مهملة وياءين ثانيهما مشددة بزنة صبي اي كثير الحياء (ستيرا) بكسر السين
المهملة وكسر التاء المثناة المشددة بزنة سكين اي شديد التستر لبدنه وقد اشار لتفسيره
بقوله (مايرى من جلده شيء استحياء) وهذا يدل على عفته وحيائه صلى الله تعالى
عليه وسلم وهو خلق حميد وقال البرهان ان ستيرا بفتح السين وكسر التاء الفوقية

(٢) في طبعه الرحمه سجيه

المخففة فعيل بمعنى فاعل والذي احفظه انه بكسرها وبتشديد الياء الموقعة كسكيت وسكين
وكذا ضبطه في نسخ البخاري انتهى ومن كان يستحي من كشف عورته وبدنه فهو اشد حياء
من كشف غيره (الحديث) بالنصب اي اقرأ الحديث الذي رواه البخاري عن ابي هريرة
او بذكره وتتمته انه صلى الله عليه وسلم لما كان يكثر التستر ويغتسل وحده قالوا انه انما يفعل
هذا لبرص او ادرة به فذهب مرة ليغتسل ووضع ثوبه على حجر فلما اراد ان يلبسه فر الحجر
وجرى خلفه ويقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى مر على بني اسرائيل فرأوه اكمل الناس
واصحهم بدنا فبرئ مما سمعوه وآذوه به (وقال تعالى عنه) ضمنه معنى حكى فعداه بعن اي
عن موسى عليه السلام ففررت منكم لما خفتكم (فوهب لي ربي حكما الآية) اي علما ونبوة
وفراره صلى الله عليه وسلم لما قتل القبطي وذهب فكلمه الله كما هو مشهور (وقال في وصف
جماعة منهم) اي من الانبياء عليهم السلام (اني لكم رسول امين) ووقع هذا من نوح
وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام كما حكاه عنهم على وجه الرضاء والتصديق فلا يتوهم
انه مدح لانفسهم فليس مما نحن فيه (وقال) موسى لشعيب عليهما الصلوة والسلام
(ان خير من استأجرت القوي الامين) وقصته معه انه لما فر من القبط اذ خافهم
لقتل رجل منهم ومر ببنتي شعيب عليه السلام جالستين ينتظران فراغ الناس ليسقي
غنمهما قال لهما لم تأخرتما فقالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء فقال اما عندكم بئر
غير هذه فقالتا عندنا بئر مطبق عليها حجر لا يطيق رفعه وكان لا يرفعه الا عشرة
من اشد الرجال فقال اذهبا فارياني فارتاها فرفعه وحده وسقى لهما فقالتا له
اذهب معنا ليجزيك ابانا على ما فعلت فقال ارشداني للطريق وامشيا خلفي لاني رجل
من ذرية ابراهيم عليه السلام لا احب ان ارى منكما ما لا يحل لي فاخبرتا اباهما بقصته
وقوته في رفعه ذلك الحجر وامانته لامره اياهما بالتأخر لهما فاستأجره على ما قصه الله
لرعي غنمه قال البيضاوي الجملة معللة لما قبلها وللمبالغة جعل خير اسم ان معرفة من
نكرة لم يقل ان من استأجرته قوي امين بل اي جعله معرفة الطرفين لحصر الخيرية
فيه وتدبر (وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) فوصفهم بالصبر وهو من احسن
الاخلاق والعزم على التصميم على نفاذ الامر والجزم في الشدائد وقد اختلف
في اولي العزم كثيرا (وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله اولئك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده) وقد وقع في هذه الآية بحث ذكره الطوفي في تفسيره وهو
انه استدل بهذه الآية على ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من جميع الانبياء
عليهم الصلوة والسلام لان الله تعالى امره بالاقتداء بهداهم جميعا ولا شك في امتثاله
واقتدائه صلى الله تعالى عليه وسلم واذا اتى بما اتوا به جميعا مع ما خص به كان افضل
من كل فرد فرد بالاستقلال ومن المجموع ونقل عن العز بن عبد السلام انه قال انه
افضل من كل واحد منهم لا من المجموع ولا دلالة في الآية عليه قال ولما نقل عنه
هذا قام عليه الناس وشنعوا في هذه المسألة الى ما وصل الى تكفيره * وانا اقول

انا نرى من نسبة مثله للعز والقبائل بهذا توهم انه مثل ما لو قسم عشرة دنانير على خمسة رجال واعطى اربعة منهم دينارا دينارا واعطى ستة للخامس فهو يزيد على كل واحد منهم لا على المجموع فلا يلزم من زيادته على كل واحد من الجماعة زيادته على الجميع فالآية لا دليل فيها لما ادعوه وهذا انما تم لو لم يثبت له صلى الله تعالى عليه وسلم غير ما جمعهم وهو مقرر ظاهر وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا المحل والهاء في اقتده هاء سكت تثبت وقفا على القياس ووصلا اجراء له مجرى الوقف وحذفها حمزة وصلا وكسرها هشام اختلاسا وصلا ووصلها ابن ذكوان بها تشبيها لها بهاء الضمير وقيل هذا لا يصح وانما هي ضمير المصدر كقوله هذا سراقة للقرآن يدرسه (ووصفهم باوصاف جمة) اى كثيرة (من الصلاح) ليس المراد بالصلاح المعنى المشهور في قولهم رجل صالح حتى يقال انه ليس بمدح للانبياء عليهم الصلوة والسلام ومن توهمه قال المراد مدح الصفة لا الموصوف كما حقق في شروح الكشاف بل الصلاح صفة جامعة لكل خير فهي ابلغ من غيرها كما فصله السبكي في فتاويه (والهدى والاجتباء) وهو الاصطفاء والاختيار للرسالة (والحكم والنبوة) اى الحكمة او فصل الامر على مقتضى الحق (وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم) وهو اسحق ووصفه بالعلم والحلم وهما امران عظيمان قال الانطاكي كذا في النسخ والذى في القرآن فبشرناه بغلام عليم وبغلام حليم ولو قدم حليم وعطف عليه عليم بان الامر (وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى) قوله (امين) والمراد بالفتنة الاختبار والامتحان يقال فتنت الفضة اذا ادخلتها النار فشبه امرهم باساءة معاملة المختبر او المراد انه ابتلاهم كما ابتلى العرب بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فوصفهم الله في هذه الآية بصفات جمة من الكرم والامانة وغيرها (وقال) حكاية عن الذبيح (ستجدني ان شاء الله من الصابرين) على الذبح مسلما لله ولذا سماه الله وفداه (وقال في اسمعيل) عليه الصلوة والسلام (انه كان صادق الوعد الآيتين) صرح باسمعيل مع ان المذكور قبله في حقه اشارة للاختلاف فيه فانه قيل انه اسحق وقيل انه اسمعيل بن حزقيل وهو نبي بعثه الله لقومه فسلخوا رأسه فخيره الله بين تعذيبهم وغيره فاختار العفو والرضى بثوابه والجمهور على انه اسمعيل الذبيح بن ابراهيم وهو رسول نبي وصدق وعده لانه وعد اباه بالصبر على الذبح فوفى بوعده وقدم الرسالة هنا على النبوة لانها أشرف على قول (وقال في موسى عليه الصلوة والسلام انه كان مخلصا) في طاعته لا يقصد بها الا وجه الله والقرب اليه (و) قال (في) شان (سليمان نعم العبد انه اواب) اى مسبح او رجاع الى الله بالتوبة وقيل الاواب المطيع وقيل الرحيم او كثير الصلوة (وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) وهم اسرائيل ابو انبياء بني اسرائيل (اولى الايدى والابصار الى الاخيار) الايدى جمع يد بمعنى القوة والابصار جمع بصر بمعنى بصر فانه يطلق على الحاسة الظاهرة ويطلق على القوة الباطنة

المدركة ولا يقال للجارحة بصيرة كما في عمدة الحفاظ ومعنى (اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار)
جعلناهم خالصين بسبب انهم لا يذكرون الا الدار الآخرة واطلق الدار اشارة الى ان الدنيا
ليست بدار مقر بل ممر ومعبر وعندهما للقرب والاخيار جمع خير او خير المشدد بعد
التخفيف (و) قال (في داود انه اواب) تقدم تفسيره (ثم قال) في حقه (وشددنا ملكه
وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) اى قويناه لان بنى اسرائيل لم تجتمع على ملك غيره وكان
يحرس محرابه ثلاثون الف متسلح او قويناه بالعدل والتوفيق له وفصل الخطاب اى
الكلام الفاصل بين الحق والباطل وقيل هو اما بعد وهو اول من قالها وقيل هو البينة
على المدعى واليمين على المدعى عليه وقيل غير ذلك (وقال عن يوسف) عليه الصلوة
والسلام (اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم) قيل الارض هنا ارض مصر
وفى الآية دليل على جواز طلب الحكم لمن وثق بنفسه وتوليه من الكافر وقيل ان فرعون
يوسف اسلم وقصة يوسف عليه الصلوة والسلام اشهر من ان تذكر (و) قال (في موسى
ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا) وهذه قصته مع الخضر عليهما
الصلوة والسلام المشهورة (وقال عن شعيب) عليه الصلوة والسلام (ستجدنى ان شاء الله
من الصالحين وقال) ايضا (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت) بعث بعد ابراهيم عليهما الصلوة والسلام ارسل الى مدين والايكة وهما
امتان وقيل امة واحدة فوصفه الله بالصلاح والاصلاح وانه لا يأمر الا بما فعله وهو خطيب
الانبياء عليهم الصلوة والسلام (وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما) فلوط ابن اخى ابراهيم
كما تقدم والحكمة والحكم بمعنى هنا (وقال) في حقهم عليهم السلام عموما (انهم كانوا يسارعون
في الخيرات الآية) اى شأنهم المبادرة الى فعل انواع الخير وسؤال الله تعالى في الرغبة
والرهبة (وقال سفيان) الثورى او ابن عيينة في تفسير هذه الآية (هو الحزن الدائم)
قيل ضمير هو راجع الى الخشوع في قوله وكانوا لنا خاشعين وفى الشرح الجديد يريد ان
ما ذكر في الآية من الخيرات هو الحزن الدائم الذى نشأ عن خيرات من سلك
طريقها فقد وصل الى مقامه ولا يخفى بعده والظاهر هو الاول (في آى) جمع
آية (كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم) وهذا ابتداء
كلام لا تعلق له بكلام سفيان رحمه الله تعالى اى ما ذكر من الآيات مندرج في آيات
كثيرة دالة على كمالهم وليس ما ذكر محيطا بما فيه بل هو بعض منه (وجاء من ذلك)
اى من وصف كمالهم عليهم الصلوة والسلام في غير القرآن (في الاحاديث) الصحيحة
(كثير كقوله صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف
بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نبى ابن نبى ابن نبى) هذا الحديث في البخارى
بدون انما وقوله نبى ابن نبى الى آخره والكريم ليس بمعنى السخاء فانه استعمال طار
وانما هو معنى جامع للخير والشرف ومكارم الاخلاق قيل وانما خص يوسف عليه
الصلوة والسلام بما ذكر لما جمع الله له مع علو النسب جعله رابع اربعة

من الانبياء من الحسن المفرط والفقه والملك والعلم والحكمة الى غير ذلك
مما لم يجتمع لغيره من الانبياء وفيه التكرار المعدود من المحسنات البديعية كقول
ابراهيم عليه الصلوة والسلام يا ابت في اربع آيات كرر يا ابت مبالغة في استعطاف
ابيه والاطراد كقوله تعالى (واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب)
والسجع وهو من المحسنات احيانا واما انكاره لمن خاطبه وقوله اسجع كسجع
الكهان لانه ليس في محله وهو مقام الحكمة وقيل عليه ان ما ذكر ليس من قبيل
التكرير لان كريما ليس معناه واحدا في الحديث وان ما ذكر ليس من قبيل السجع
وليس بشيء لان الكريم مفهومه متحد وان اختلف ما صدق عليه والسجع
ما لا يخفى فائدته (وفي حديث انس) رضي الله تعالى عنه الذي رواه البخاري
(وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم) فهو من خصائص الانبياء عليهم
الصلوة والسلام ومن ان الخصائص تنقسم الى اقسام فمنها ما اختص به صلى الله
تعالى عليه وسلم دون سائر الناس الانبياء وغيرهم ومنها ما اختص به صلى الله
عليه وسلم دون امته كالجمع بين زوجات فوق الاربع وان جاز لغيره في الشرائع السابقة
ومنها ما اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون الامم كلها وان كان لغيره من الانبياء
كما نحن فيه ولذا كان نومه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينقض الوضوء كما صرح به
الشافعية ومنها ما اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون الامم السابقة وان اشتهر
كالتيمم * فان قلت كيف هذا وقد نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عن صلوة الصبح حتى طلعت عليه الشمس ولا يصح ان يكون هذا تشريعا لامته لانه
لا يفعل ما هو غير مشروع للتشريع وان لزمه ذلك من غير قصد له * قلت اجيب عنه
باجوبة * احدها وهو الاصح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حالان حال
لا ينام فيها قلبه وهي الغالب عليه وحال نادرة فيها ينام قلبه * الثاني انه لا يغيب
عنه في نومه ما يحس بالبدن لا ما يدرك بالعين كالحدث والالم ونحوهما ورجح
بعضهم هذا * الثالث ان قلبه لا يستغرق حتى يعطل احساسه وقد يستغرق لاشتغاله
بوحي كما كان يشاهده اذا نزل عليه الوحي في اليقظة وقيل ان المراد انه لا يستغرق
فيه حتى لا يدرك الحدث قال ابن دقيق العيد وهو بعيد قال ابن حجر ومن الاجوبة
الضعيفة ان قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقظان وعلم خروج الوقت
ولكن فعله تشريعا للامة وفي هذا اشارة الى يقظة قلبه وانه لا يغفل وهذا
من جملة الكمال وانه نبي الرحمة [illegible] تامة (وروي) رواه الطبراني عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه (ان سليمان عليه الصلوة والسلام كان مما اعطي من الملك
لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله) وذلك لعظم ملكوت الله وملائكته
استصغارا لنفسه لا لان الله في جهة وحيز كما توهم وكذا كان ابوه داود عليه

الصلوة والسلام كاد كره الغزالى فى الاحياء حياء من الله تعالى اى حياء من ملئكة الله تعالى لقصور عمله عن اعمالهم اى لايفترون عنها طرفة عين ولاينافى هذا قوله تعالى (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت) لانه مقام آخر (وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة ويأكل خبز شعير) جمع لذيذة وهو مايشتهى ويميل له الطبع من المأكولات (واوحى الله اليه ياراس العابدين) اى اعلاهم ورئيسهم (وابن محجة الزاهدين) اصل المحجة الطريق المسلوك فاستعير لجمعهم ومقصدهم او مقتداهم الذين يأتسون بسنته ومسلكه وفى نسخة محة وزهده صلى الله تعالى عليه وسلم لاينافى ملكه وقدرته بل حقيقة الزهد انما تتم بذلك (وكانت العجوز) خصها لحقارتها (تعترضه) اى تجىء له صلى الله تعالى عليه وسلم وتقف مقابلته (وهو راكب (على الريح فى جنوده) وعزه سلطانه (فيأمر الريح فتقف فينظر فى حاجتها ويمضى) لمقصده (وقيل ليوسف عليه الصلوة والسلام مالك تجوع وانت على خزائن الارض فقال انى اخاف ان اشبع فانسى الجائع) المراد بخزائن الارض المخزون من الاموال والارزاق (وروى ابوهريرة رضى الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه البخارى عنه (خفف على داود القرآن) هو مصدر بمعنى القراءة كالغفران والمراد قراءة كتابه وهو الزبور او التوراة وقيل ان اطلاقه هنا مع انه علم لما انزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويطلق على المعنى القائم بذاته تعالى اشتراكا او مجازا على طريق الاستعارة او المجاز المرسل والمراد تخفيفه سرعة قراءته فى زمن يسير (فكان يامر بدوابه فتسرج) وروى بدابته والمراد الجنس المختص به (فيقرأ القرآن قبل ان تسرج) قالوا هذا من بسط الزمان له صلى الله تعالى عليه وسلم او من البركة فى الزمن اليسير حتى تقع فيه العمل الكثير قال النووى وبلغنا ان من الناس من قرأ اربع ختمات بالليل واربع ختمات بالنهار (ولا يأكل الا من عمل يده) مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم ملك خزائن الارض بيده وكان آدم عليه الصلوة والسلام حراثا ونوح صلى الله تعالى عليه وسلم نجارا وادريس عليه الصلوة والسلام خياطا وموسى صلى الله تعالى عليه وسلم راعيا وفيه دليل على فضل الكسب الحلال وانه لاينافى توكل الخواص ثم بين عمله بقوله (قال الله تعالى والنا له الحديد) فكان اذا مسه بيده لان كالشمع والعجين من غير نار وضرب (ان اعمل سابغات) اى دروعا طويلة تامة من السبغ وهو السعة (وقدر فى السرد) سرده نسجه اى عمله واصل معناه النتابع ومنه سرد الكلام ومعنى تقديره جعل ثقوب طرفى الحلق على قدر المسامير وكون المسامير غير رقيقة فتقلق ولا غليظة فتكسر الحلق وقيل ان دروعه عليه الصلوة والسلام كانت بلا مسامير لان الامر لما هاران فى قوله ان اعمل تفسيريه او مصدريه بتقدير الجار وقيل

كان سبب تكسبه انه اختفى ودار يسأل الناس عن سيرته فيهم فلقى ملكا فى صورة رجل فسأله عن نفسه فقال له نعم الرجل لوكان لا يأكل من بيت المال واصول المكاسب الزراعة والتجارة والصناعة وافضلها التجارة وقيل الزراعة لانها اقرب الى التوكل وقيل صنعة اليد وفوق ذلك الجهاد ومن فضيلة الجهاد والكسب الاشتغال عن البطالة

(وكان) داود عليه الصلوة والسلام (سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله) وسببه ما مر ومن هنا يعلم ان السلطان ينبغى ان يكون له ما يكتسبه لئلا يأكل من بيت المال فان لم يكن له صنعة لا يأكل من بيت المال الا قدر الحاجة والاسراف منه حرام عليه فالويل كل الويل لسلاطين زماننا الذين يظنون ان بيت المال ليس لاحد فيه حق غيرهم (وقال عليه الصلوة والسلام) فى حديث صحيح رواه الشيخان الى قوله يفطر يوما الآتى وما بعده سيأتى من نقله (احب الصلوة الى الله صلوة داود واحب الصيام الى الله صيام داود) ومن ذلك قوله (كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه) وقيامه فى وقت تجلى الله فيه ويقول هل من سائل فاعطيه وليس المراد بقوله ينام سدسه انه ينام الى طلوع الشمس بل الى قبل الفجر فيستقبل الصبح بنشاط لاستراحته وهكذا ينبغى لمن يتهجد ولم يتعرض احد لصلوة الامم السالفة ولا لصلوته صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء وان كنت ما الا ان السيوطى رحمه الله تعالى نقل فى الخصائص الكبرى انها كانت بغير ركوع ولذا قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) (و) كان (يصوم يوما ويفطر يوما) وفى هذا اشارة الى ان صوم الدهر دون هذا وقد ورد النهى عنه مع ان هذا اشق منه لان من اعتاد هذا صار طبيعة له لا يضره وهذا آخر الحديث وقوله (وكان) اى داود عليه الصلوة والسلام (يلبس الصوف ويفرش الشعر) اى المسح منه لانه خشن يدفع لذة النوم والاستغراق فيه المانع له عن ورده وهذا شعار الانبياء عليهم الصلوة والسلام والصلحاء (ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد) الملح ادام بخلاف الرماد فكأنه كان يأدم به على خلاف المعتاد او يضعه فى ادامه لئلا يلتذ به (ويمزج شرابه بالدموع) لكثرة بكائه وعدم خلوه منه (ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة) وهى تزوجه بامرأة اوريا بعد ماسأله ان ينزل له عنها ففعل وتزوجها فجاءه ملكان فى صورة رجلين يدعيان تعاطيا على ما قصه الله تعالى وليست هذه خطيئة ولكن علو مقامه وزهده يقتضى خلاف ذلك فلذا عوتب عليه وكان يبكى وقد ذكر الله مدحه وعصمه مما لا يليق عليه (ولا شاخصا) رافعا وفاتحا (بصره نحو السماء) اى جهة العلو (حياء من ربه) سبحانه وتعالى كعادة من ادب فانه يطأطئ بصره (ولم يزل باكيا حزينا) منصوب على الظرفية اى مدة حزنه صلى الله تعالى عليه وسلم (كلها) تأكيد لما قبله (وقيل بكى حتى

نبت العشب من دموعه) لكثرتها وهذا رواه ابن ابي حاتم عن انس رضي الله تعالى
عنه مرفوعا وعن مجاهد وغيره موقوفا (وحتى اتخذت الدموع لخده (٢) اخدودا)
هو في الاصل الشق المستطيل في الارض استعير لتأثير الدموع في مجراها اثرا يسيل
وبين الخد والاخدود تجنيس اشتقاق (وقيل كان يخرج) من منزله (متنكرا)
أي مستخفيا من معرفة الناس (ليتعرف (٣) سيرته) جملة مستأنفة لبيان سبب تنكره
(فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا لله) لما يمدحه من السيرة الحسنة والذكر
الحسن لا لكن يزداد بمدح الناس له غرورا (وقيل لعيسى عليه الصلوة والسلام)
كما خرجه احمد بن حنبل وابن ابي شيبة عن ثابت (لو اتخذت حمارا) لتركبه
لتستريح من المشي (قال انا اكرم على الله من ان يشغلني بحمار) هذا من زهده وستر حاله ايضا
اذ لم يقل انا اتواضع بالمشي وشغله اشتغالا بسياسته واسماله لعقد رؤية (وكان يلبس
الشعر) اي ما نسج منه زيادة في تقشفه وانما كره مالك لبس الصوف لمن يجده شعارا له
اظهارا لزهده فان اخفاءه افضل لما فيه من الرياء (ويأكل الشجر) اي اوراقه او المراد به
مطلق النبات تجوزا (ولم يكن له بيت) يملكه او يختص به (ايما ادركه النوم) اي
وقته (نام) اي نام في اي مكان يجن عليه الليل فيه (وكان احب الاسماء اليه) وفي نسخة
الاسامي اي الالفاظ التي ينادى بها (ان يقال له يامسكين (٤)) زيادة في التواضع لعظمة الله
عز وجل وقيل عليه نحن مأمورون بتعظيم الانبياء عليهم الصلوة والسلام وتجنب
وتعظيمهم تعظيم لله فلو قال احد لنبي من الانبياء يامسكين كان تحقيرا له
وتحقيرهم كفر ومعصية فلا ينبغي لنبي من الانبياء ان يرضى به وقد امرنا بتعظيم نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم وان لا ننادبه باسمه بل لا نجهر له بالقول ولا نرفع
اصواتنا عنده توقيرا له وحرمته صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته كحرمته حيا
كما سيأتي بيانه وهذا مما اشترك فيه سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام فكان
يجب على امة عيسى عليه الصلوة والسلام ان يوقروه ويجب على عيسى ان لا يرضى
بعدم توقيره فان قيل انه فرار من العجب وقيل مثله لا يطرق عليه عجب
ولا يخشاه واجيب بحمل هذا على انه يحذر ممن لم يؤمن به فكانوا يقصدون بذلك
تنفير الناس عن الايمان به واساءته كما وقع مثله من المشركين في حق نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم فكان عيسى عليه الصلوة والسلام اذا نعته ذلك عنهم احبه
واما المؤمنون به فيجب عليهم تعظيمه او ذلك ممن آمن به اذا سألهم سائل عنه اهو
ذو مال ام فقير فيقولون هو مسكين كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في دعائه (اللهم
احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين) وكما قال ابو العتاهية

اذا اردت شريف القوم كلهم * فانظر الى ملك في زي مسكين

والكلام على الفقير والمسكين اشهر من ان يذكر ثم اقول لا وجه للسؤال

(٢) في خده نسخه

(٣) وفي اكثر النسخ تعرف بدون اللام مصححه

(٤) وفي نسخ غير الشهاب بدون حرف النداء مصححه

ولا للجواب اما الاول فلان عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم غلب على امته الرهبانية واظهار المسكنة فيكون في شرعهم يجوز مناداته وخطابه بمثله من مؤمنيهم وخواص حوارييهم وان لم يجز مثله في شرعنا ولا مايقرب منه واما الثاني فلان جمله من كفارهم اومؤمنيهم في غيبته لايصح لان اظهار محبته واجب وقوله يقال وحرف النداء مناد على خلافه وصريح في عكسه لمن له ادنى فهم وقد روى مامن كلمة كانت تقال لعيسى عليه الصلوة والسلام احب اليه الى آخره (وقيل ان موسى عليه الصلوة والسلام لما ورد ماء مدين) هذا الحديث رواه احمد في الزهد وابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما موقوفا وتقدم ان وروده صلى الله تعالى عليه وسلم لماء مدين كان لما فر من قبط مصر فاتى ابتي شعيب على ذلك الماء وبينه وبين مصر ثماني مراحل اواكثر في قصته السالفة المذكورة في القرآن وكان صلى الله تعالى عليه وسلم حافيا من غير زاد وبه جوع شديد حتى كانت ترى امعاءه و (كانت ترى خضرة البقل)الذي كان يأكله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم يجد غيره والبقل مايبس بشجر من النبات التي لاتبقى ارومته واصوله بعد اخذه وهو معروف (في بطنه من الهزال) بضم الهاء وزاي معجمة وهو ضعف مذهب اللحم (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الحاكم عن ابي سعيد الخدري وصححه (ولقد كان الانبياء قبلي يبتلى) بالبناء للمفعول وبابه (احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك) الابتلاء (احب اليهم من العطاء اليكم) لتيقنهم بما اعدالله لهم في مقابلته وهو ان نعيم الدنيا عندهم ولفظ الحديث ليس كما ذكره المصنف رحمه الله وهو ماقال ابو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قلت يارسول الله من اشد الناس بلاء قال الانبياء قلت ثم من قال العلماء قلت ثم من قال الصالحون كان احدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ويبتلى بالفقر حتى لايجد الاالعباء يلبسها ولاحدهم اشد فرحا بالبلاء من احدنا بالعطاء وهو صحيح على شرط مسلم والمراد مايعطى من السعة في الدنيا قيل وهو يدل على ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام يسلط عليهم القمل ويعرض لهم لانه من الاعراض البشرية الاان ابن الملقن رحمه الله تعالى نقل عن ابن سبع ان القمل لم يكن تؤذيه صلى الله تعالى عليه وسلم تكريماله ونقل بن عبدالبر رحمه الله تعالى في التمهيد ان نعيم بن حماد ذكر عن ابن المبارك بن فضالة عن الحسن رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقتل القمل في الصلوة والظاهر ان جسده الشريف لايتولد منه القمل لاعتدال مزاجه الشريف وانما كان يوجد في ثيابه من الفقراء المجالسين له وكذا سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام ولو قيل ان ضمير يبتلى في حديث الحاكم للصالحين كان اقرب انتهى وهذا ينافيه مانقله عن التمهيد وقد تقدم وفيما قاله دليل على صبر الانبياء عليهم الصلوة والسلام وعلو همتهم

فى النظر للآخرة (وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه) المراد به الحيوان المعروف وتجويز ان يراد به الكافر اوالعدو اوالجاهل وان كان صحيحا غير مناسب هنا (اذهب بسلام) اى اذهب مصحوبا بالسلامة (فقيل له فى) شان (ذلك) القول الذى قاله فانه لاينبغى (فقال اكره ان اعود لسانى النطق بسوء) عملا بقوله تعالى ادفع بالتى هى احسن وترغيبا فى العمل به (وقال مجاهد) كما رواه احمد وابن ابى حاتم (كان طعام يحيى عليه الصلوة والسلام العشب) وهو النبت الذى يخرج بغير زرع وعينه مضمومة (وكان يبكى من خشية الله عزوجل) والخشية خوف مع تعظيم (حتى اتخذ الدمع مجرى فى خده) اى صار محل جريانه منخفضا متميزا عن غيره لتأثيره بدوام جريانه فيه (وكان يأكل مع الوحش) اى كان يحيى صلى الله تعالى عليه وسلم يأكل العشب فى القفار الخالية التى يسكنها الوحش او يألفهم فيها ويكون معهم (لئلا يخالط الناس) اى يعاشرهم ويختلط بهم فيشغلونه عن العبادة وذكر الله وماذكر رواه احمد فى الزهد عن الخولانى (وحكى الطبرى عن وهب ان موسى عليه الصلوة والسلام كان يستظل بعريش) هو كل مايستظل به خيمة كان اوحشيشا او نباتا مثلا (ويأكل فى نقرة من حجر) بوزن حفرة فلا يأكل فى آنية ويضع طعامه فى الارض (ويكرع فيها) اى يضع مايشربه فى نقرة يكب عليها ويشرب منها بفيه (اذا اراد ان يشرب) واصل معنى الكرع شرب الدابة بفمها من ماء فى الارض وضمير فيها راجع للنقرة المذكورة اوغيرها من جنسها كما تقول اعطيته درهما ونصفه وبه فسر قوله تعالى (ومايعمر من معمر ولاينقص من عمره) (كما تكرع الدابة) اى تشرب بفمها بلاآنية وقيل معنى كرع دخل النهر ووضع رأسه ليشرب (تواضعا لله بما اكرمه من كلامه) اذ كلمه بلاواسطة كما قال وكلم الله موسى تكليما (واخبارهم) اى الانبياء عليهم الصلوة والسلام (فى هذا كله) من النعوت التى تقدمت فى هذا الفصل المعقود لها (مسطورة) فى كتب الحديث والتفسير المعول عليها (وصفاتهم فى الكمال وحسن الاخلاق(۲)) كما تقدم من الصبر والقناعة والتواضع (وحسن الصورة والشمائل) جمع شمأل وهى الخلق والسجية وينبغى ان يراد بالاخلاق القوى الطبيعية وبالشمائل مايشتق عنها من الآثار (معروفة مشهورة) وعبر فى الاولى بانها مسطورة وفى هذه بانها مشهورة تفننا فى العبارة ولان الاولى اخبار يحتاج لنقلها من الكتب المعتبرة وهذه كمالات لائقة بهم تدرك بالعقل ولكونها مدونة مشهورة غير محتاجة للاعادة ولكن ذكر منها ماذكر ليعلم قدرهم وفضلهم (فلانطول بها) مع انها معلومة ثم لما كان فى بعض الكتب امورا متعلقة بالانبياء عليهم الصلوة والسلام غير لائقة بهم حذر منها فقال (ولاتلتفت) اى لاتعتبر ولاتعتقد واصل الالتفات لى العنق اوانعطاف بالجانب لنظر ماتريد معرفته

(۲) وجميل الاخلاق نسخه

فتجوزبه عماذكر ومنه الالتفات الذيبى (الى ماتجده) وتقف عليه (فى كتب بعض جهلة المؤرخين) جمع مؤرخ بالهمزة وقد تبدل واوا وهو المصنف فى التاريخ وهوفن معروف وهولفظ عربى اصله من الارخ مستعار للحادث من ولد البقرة اوهومعرب ماه روز وهو بعيدجدا واول ماحدث فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه (و) فى كتب بعض (المفسرين مما يخالف ذلك) امثال (هذا) المذكور ﴿فصل قدتيناك اكرمك الله﴾ جملة اعتراضية والخطاب لمن سأله تصنيف هذا الكتاب كما مر اولكل من يقف على كتابه وليس فيه تجريد لمخاطب من نفسه كما قيل ومفعول آتينا مقدر اى مما عرفته وسمعته اومما فيه مقنع بقرينة ماسيأتى (من ذكر الاخلاق الحميدة) اى المحموده الممدوحة وهو بيان لمقدر اولما الآتية بناء على جواز تقدمه (والفضائل الجيدة) اى الكريمة الشريفة (وخصال الكمال العديدة) اى الكثيرة المعدودة وقد تقدم انه قديقيد الكثرة لان القليل لا يحتاج للعد وقد يراد به القلة والمراد الاول (واريناك) اى اعلمناك واوضحناك (صحتها له صلى الله عليه وسلم) اى كونها صحيحة فى حقه لائقة به (وجلينا) بجيم ولام مفتوحتين ومثناة تحتية ساكنة اى اوضحنا وبينا وفى نسخة جلبنا بباء موحدة اى روينا ونقلنا وفى بعض النسخ حكينا بالكاف بدل اللام والمعنى واحد (من الآثار) جمع اثر وهو مابقى من علامات الشيء الدال عليه ويطلق على الحديث وقد يختص بالموقوف وكلام الصحابة رضى الله عنهم ويراد به مطلق الخبر الشامل للحديث المرفوع او الموقوف وكلام الاكابر وهو المراد هنا (مافيه مقنع) بفتح الميم والنون وبينهما قاف ساكنة مصدر ميمى بمعنى القناعة اوهو صفة مشبهة بمعنى مابه القناعة والرضى وفى القاموس يقال شاهد مقنع وقنعان اى مرضى ويكتفى بشهادته وقدقال ابن الحاجب ان مفعلا يكون صفة نحو مركب بمعنى مركوب الاانه نادر وعلى هذا فماذكره هو المقنع نفسه فعدل عنه للمبالغة وهو تجريد كقوله تعالى ﴿لهم فيها دارالخلد﴾ والتجريد يكون بمن وفى والباء وماقيل من ان المرادبه الدليل وهذه الآيات والاخبار تتضمن الدليل تضمن اللفظ للمعنى تكلف مذهب لرونق الكلام (والامر اوسع) جملة حالية اى شأنه صلى الله تعالى عليه وسلم ومقامه اعظم مما ذكرناه واكثر فان محاسنه لا تطيق العبارات حصرها

وعلى تفنن واصفيه بحسنه ✻ يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

(فمجال هذا الباب) بفتح الميم والجيم من جال يجول اذا طاف ودار اى محل تجول فيه الافكار حول نعوته وصفاته وهذا الباب عبارة عن خصاله ومحاسنه صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مايقال فى امره وشأنه الذى يحق له (ممتد) اى واسع فكنى عن كثرتها وعظمتها بسعة محالها كما يقال المجالس والمقام العالى عبارة عمن هو فيه ثم بين سعته بقوله (ينقطع دون نفاده الادلاء)

جمع دليل وهو من يتقدم الركب ليهديهم الى الطريق وانقطاع سالك الطريق
ان يعجز ويقف دون بلوغ غايتها ففيه استعارة تمثيلية شبه صفاته صلى الله تعالى
عليه وسلم بطريق ممتد طويل وشبه العلماء الذين يريدون معرفتها بركب
سلكوا طريقا وشبه من يستفيدون منه بها ويهديهم فى الطريق وعجزه عن الوقوف
على كنهها بمن انقطع ووقف فيها لا يهتدى لسبيله والادلاء جمع دليل كما علمت لا بمعنى الحجة
بل بمعنى هادى السابلة كانبياء جمع نبى واصله ادللاء وقيل انه جمع ادلة بمعنى
دليل فهو جمع الجمع وليس المعنى ان محاسنه وكمالاته صلى الله تعالى عليه وسلم
لو اريد غايتها بالادلة كالآيات والاحاديث واقوال الصحابة لم يكن الا ان يراد
بين المقصود منه ونفاد بالفاء والدال المهملة بمعنى الذهاب والفناء قال تعالى
(ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) ولا وجه لتفسيره بفراغه (وبحر علم خصائصه(٢)
من اضافة المشبه به بالمشبه كلجين الماء وقد تعكس لكنه قليل (لا تكدره الدلاء) جمع دلو
وهو ما يؤخذ به الماء من الاديم وعدم تكديره عبارة عن عدم بلوغ آخره لانه اذا بلغه
حرك طينه فيتكدر ماؤه وهو ترشيح للتشبيه فان الترشيح لا يختص بالاستعارة
من الكدرة خلاف الصفو وفيه اشارة لصحته وكثرته (لكنا اتينا فيه بالمعروف)
المشهور الذى يعرفه الناس (مما اكثره فى الصحيح) اى الكتب الصحيحة كالكتب
الستة واشار بقوله اكثره الى ان فيه احاديث غير صحيحة اعتمد على شهرتها وذكر
ان بعض المصنفين لها اوردها لما فيها من الفضائل كما اشار اليه بقوله (والمشهور من المصنفات)
التى لم يلتزم فيها الصحيح (واقتصرنا فى ذلك) الذى اتينا به واريناه اى اكتفينا
(بقل من كل) وفى نسخة من اكثر والاصح ما ذكرناه والقل بضم القاف وتشديد
اللام بمعنى القليل او بمعنى القلة كالذل بمعنى الذلة اى ذكرنا امرا قليلا منه لا كثيرا
اودون الجميع لانه لا يمكن الاحاطة به (وغيض من فيض) الغيض بفتح الغين المعجمة
وسكون المثناة التحتية والصاد المعجمة من غاض الماء اذا نقص والمراد انه قليل والفيض
بفاء ومثناة تحتية وصاد معجمة من فاض الماء اذا تدفق وانسكب والمراد انه كثير
وفيه طباق واقتران (ورأينا) هو من الرأى لا من الرواية اى خطر له خاطر (ان نختم
هذه الفصول) اى نجعل خاتمة هذه الفصول التى سبق ذكرها فى هذا الباب (بذكر
حديث الحسن) رضى الله تعالى عنه بن على بن ابى طالب كرم الله وجهه الذى
رواه الترمذى فى شمائله واخرجه ابن سعيد والبيهقى والطبرانى ورواه المصنف
رحمه الله تعالى عن مشايخه (عن ابى هالة) وهو هند بن ابى هالة الصحابى رضى الله
تعالى عنه ربيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه ابن خديجة بنت خويلد
ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها وقد تقدم الكلام عليه وترجمته (جمعه) الضمير
للحديث وهو علة لذكره وجعله مسك الختام (من شمائله واوصافه) عطف تفسير

(٢) وفى غالب النسخ
وقع هنا زاخر لصححه

(كثيرا) معمول جمه المصدر المضاف لفاعله (وادماجه) اى اشتماله من ادمج الشيء اداالفه وستره وقيل المراد لاحكامه واتقانه وانه اولى (جملة كافية من سيره وفصائله) معمول الادماج لما فيه من معنى الادخال قال الجوهرى دمج دموجا اذادخل واستحكم (ونصائح بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله) اى تبين فى التنبيه مافى الحديث من غريب اللغة ومايشكل من تركيبه (حدثنا القاضى ابو على الحسين بن محمد الحافظ بقراءتى عليه سنة ثمان وخمسمائة) هوالامام الحافظ ابوعلى بن سكرة الذى تقدمت ترجمته (قال حدثنا الامام ابوالقاسم) التكنية بهذه الكنية جائز ومارد فى حديث تسموا باسمى ولاتكنوا بكنيتى محمول على حيوته صلى الله تعالى عليه وسلم اوعلى الجمع بينهما على مايأتى لما فى ذلك من الخلاف (عبدالله بن طاهر) بطاء مهملة تقدمت ترجمته (التميمى) منسوب لبنى تميم قبيلة مشهورة (قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبدالله بن الحسن النيسابورى) الاديب هوالعارف بعلوم الادب الاثنى عشر المشهورة (والشيخ الفقيه ابو عبدالله محمد بن احمد بن الحسن المحمدى) منسوب للمحمدية قرية من قرى تونس وتسمى بهذا الاسم قرى اخر بنواحى مصر وبغداد واليمامة (والقاضى ابوعلى الحسن بن على بن جعفر الوخشى) بواو مفتوحة وخاء وشين معجمتين نسبة لوخش قرية من اعمال بلخ وقيل بحاء مهملة والصحيح الاول وعليه اقتصر البرهان وهوالحافظ الرحلة الحسن بن على بن محمد بن جعفر الباجى يروى عن جماعة وحدث عنه الخطيب وهو من اقرانه وسمع منه الحسن بن على الباجى سنن ابى داود وهو ثقة ترجمته معروفة الاانه اتهم بالقدر توفى خامس ربيع الاول سنة احدى وسبعين واربعمائة ببلخ وعمره ست وثمانون سنة (قال حدثنا ابو القاسم على بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعى) بضم الخاء المعجمة نسبة لخزاعة قبيلة معروفة قال (انبأنا ابوسعيد الهيثم بن كليب الشاشى) نسبة لشاش بلدة معروفة بماوراء النهر وهوالحافظ الثقة ابوسعيد الهيثم بن كليب بن سريج بن معقل صاحب المسند محدث ماوراء النهر سمع من الترمذى وغيره توفى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة قال (انبأنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ) الامام الترمذى صاحب السنن وسورة بفتح السين المهملة وسكون الواو وراء مهملة كما تقدم (قال حدثنا سفيان بن وكيع) بن الجراح ابو محمد روى عنه اصحاب السنن وله ترجمة فى الميزان توفى سنة سبع واربعين ومائتين (قال حدثنا جميع) بزنة مصغر جمع ضد المفرد (ابن عمر بن عبدالرحمن العجلى) الكوفى وعجل اسم قبيلة بكسر العين المهملة وسكون الجيم (املاء من كتابه) الذى بيده او بيد غيره وهو احد طرق الرواية المقبولة من الثقة المصحح لكتابه ومارووى من منع الرواية من كتابه الصحيح

خلافه فاقصلوه (قال حدثنا رجل من بني تميم من ولد ابي هاله زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها يكنى ابا عبد الله) هذا الرجل هو عبد الله بن ابي هالة الذي كان تزوج خديجة قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كامر وهذا الرجل اخرج عنه الترمذي في شمائله (عن ابن لابي هالة) قال الذهبي وتبعه البرهان ان هذا الرجل لايعرف اسمه فهذا الحديث منقطع لان فيه راويا مجهولا وهالة علم منقول من هالة القمر وهي دارته (عن الحسن بن علي بن ابي طالب قال سألت خالي هند بن ابي هالة) لانه اخو فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها لامها (قال القاضي ابو علي) بن سكره المتقدم فروى هذا الحديث من طريقين (وقرأت على الشيخ ابي طاهر احمد بن (٢) احمد بن خدادادا الكرخي الباقلاني) وخدادادا بضم الخاء المعجمة وفتح الذال المعجمة والف ودال مهملة والف ثم دال معجمة والف مقصورة كذا ضبطه البرهان وهو معرب خداداد بدالات مهملة ومعناه بالفارسية عطية الله والكرخي بفتح الكاف والراء المهملة ثم جيم منسوب للكرخ اسم بلدة لابي دلف العجلي واسم بلدة بالدينور وبضم فسكون اسم مملكة معروفة والباقلاني بتشديد اللام قال الجوهري الباقلاء اذا شددت لامها قصرت وان خففت مددت (قال) ابو علي (واجازنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون) هو الحافظ المتقدم ترجمته (قالا اخبرنا ابو علي الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان) بشين معجمة والف وذال معجمة والف ونون معرب ومعناه بالفارسية السرور (بن حرب) كضد السلم (بن مهران) بكسر الميم (الفارسي) منسوب لفارس ديار العجم (قراءة عليه فاقر به) هو شرط لقبول الرواية عمن قرئ عليه فيقال له اخبركم بهذا فلان عن فلان فيقول نعم اخبرني به فلذا قيده المصنف رحمه الله تعالى بهذا (قال اخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيي بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي) هذا الرجل ترجمه الذهبي في الميزان ونسبه كما هنا وروى حديث علي وذريته يختمون الاوصياء الى يوم القيمة وهذا الحديث يدل على كذبه ورفضه وهو متهم بالكذب ولولا هذا الازدحم الناس عليه لانه معمر توفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة (قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين) علي هذا هو جعفر بن محمد الصادق روى عن ابيه واخيه موسى روى عنه الترمذي دون اصحاب السنن الا انهم لم يوثقوه وانفرد بالرواية عنه الترمذي (عن اخيه موسى بن جعفر) هو موسى بن جعفر بن محمد الكاظم وهو امام ثقة (عن جعفر بن محمد) هو الصادق وقد تقدم (عن ابيه محمد) هو محمد (بن علي) ابو جعفر الباقر (عن علي بن الحسين) هو زين العابدين الامام المشهور (قال قال الحسن بن

(٢) ووقع هنا في بعض النسخ الحسن فصححه

علي) رضي الله تعالى عنهما (واللفظ لهذا السند) يعني اللفظ المذكور مخصوص بالطريق الثاني والسند بالنون بمعنى الاسناد وليس السيد بمثناة تحتية لانه لم يذكر انه رواه عن علي بن الحسين زين العابدين وكذا لم يذكر انه رواه احد مع الحسن هو ابن علي كما في المقتفى وهذا اسناد شريف لان روايته كلهم من اهل البيت ومثله حديث صفة الصلوة حتى نقل التلمساني رحمه الله تعالى انه اذا قرئ على مصاب افاق ورجال سنده كلهم معروفون (سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الحلية بمعنى مايتحلى به الانسان اي مما يرى من وجهه الشريف وبدنه وهي بكسر الحاء المهملة وسكون اللام (وكان وصافا) اي كان فصيحا له خبرة بوصف الناس لحذقه اوكان معروفا بذكر صفات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وانا ارجو) حال حالية اي راجيا (ان يصف لي منها) اي من حلية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (شيئا) اي مقدارا منها لان جميعها لاتحصى او بعضها لاتفي العبارة به (اتعلق به) اي احفظه واتمسك به تبركا (قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخما مفخما) بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة والمفخم بوزن المكرم والفخم بمعنى العظيم واصل الفخامة العظمة في الاجسام ثم شاعت في المقدار والشرف فان كان المراد الاول وهو الظاهر فالمعنى ان اعضاءه صلى الله تعالى عليه وسلم تامة الخلقة واسعة سعة غير مفرطة كما تقدم في الباب الثاني انه كان واسع الصدر وعينه نجلاء اي واسعة الشق ووجهه الشريف ممتلئ باللحم وان قامته الشريفة غير قصيرة والمراد بكونه مفخما انه كذلك في العيون الناظرة اليه ويحتمل ان يراد بكونه فخما هذا المعنى وان يراد بكونه مفخما انه صلى الله تعالى عليه وسلم مهابة في العيون والصدور مع الجلال (يتلألأ وجهه) اي يضيء ويشرق وهو مأخوذ من اللؤلؤ لصفائه ولمعانه (تلألؤ القمر ليلة البدر) اي فيه نور كنور القمر في ليلة البدر وقد تقدم الكلام فيه وتقديره (اطول من المربوع) وهو الذي بين الطول والقصر كالربعة وقال التلمساني المراد به هنا القصير الذي تحت الربعة لئلا يناقض ماورد من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه ربعة واصل المربوع الحبل المفتول على اربع طاقات فاستعير لما ذكر انتهى . اقول لاحاجة لما ذكر لصرفه عن ظاهره لان المراد انه يزيد على الربعة زيادة يسيرة لاتخرجه عن كونه ربعة فهذا امر تحقيقي وربعة امر تقريبي فلامنافاة بينهما ولذا قال (واقصر من المشذب) بضم الميم وفتح الشين والذال المعجمتين المشددة والباء الموحدة وهو المفرط في الطول كالبائن وهو مستعار من النخلة المشذبة وهي التي قطع بعض جريدها والمشذب قطع كالتشذيب (عظيم الهامة) بالهاء وتخفيف الميم وهي الرأس وليس المراد انه مفرطة في الكبر بل كبيرة كبرا مناسبا لان صغرها وافراط كبرها غير ممدوح لدلالته على قلة العقل وقيل الهامة

(وسط)

وسط الرأس وقيل محه ولها معان احر غير مناسبة هنا (رحل الشعر) بكسر الجيم على وزن حذر والشعر معروف ويجوز فتح عينه وسكونها كما مر والمراد ان فيه تجعدا قليلا وهو من صفاته الممدوحة فيه ويقال لضده قطط وهو الشديد الجعودة والسبط المسترسل (ان انفرقت عقيقته فرق) انفرق اى صار شعر رأسه فرقتين والعقيقة الشعر الذى على رأس المولود الذى يخرج عليه حين يولد من عق اذا قطع لانه يحلق فى اليوم السابع فسمى به شعر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق المجاز المرسل لاستعمال المقيد فى المطلق وليس استعارة تحقيقية كما قيل ومعنى فرق ابقاه منفرقا على حاله اذا انفرق بنفسه يقال فرقه فانفرق والفرق والمفرق البياض الواقع بين شعر الرأس وفى رواية عقيصته بالصاد المهملة بدل عقيقته (والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنه) وفى رواية اذنيه بالتثنية وهما بمعنى كما يقال نظرت بعينى اذا نظر بعينيه وهكذا فى كل عضو كان كذلك كما هو مقرر فى العربية وشحم الاذن مالان منها حيث يعلق القرط وتقدم فى هذا الحديث ما رأيت من ذى لمة فى حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان اللمة الشعر الذى يجاوز شحمة الاذن فاذا وفر شعره صار لمة اى مايلم بالمنكبين واللمة دون الجمة والوفرة دون اللمة والجمة اكثر من الوفرة وهى ما سقطت على المنكبين فالوفرة ابلغ منها اللمة والجمة ابلغ منهما وفيه كلام تقدم والفرق سنة بخلاف السدل من قدام او خلف ومعنى قوله والا وان لم يفرق فعلم منه اذا فرق جاوز الشحمة ووصل المنكب واحواله مختلفة فى الطول ولذا قيل له لمة وجمة (اذا هو وفره) وفى بعض النسخ وفر بدون ضمير والمعروف رواية الاول كما قال المزى وفاؤه مخففة ومشددة اى كثرة وقد نقل بعد الحلق وغيره كما عرفته وهذا اولى من حمل اختلاف الروايات على التقريب (ازهر اللون) سيأتى معنى الازهر وان معناه ابيض مشرب بحمرة وقد ورد انه ليس بالابيض الامهق ولا بالادم وبهذا علم ماروى انه كان اسمر ولعله رآه عقيب سفر ونحوه او لم يحققه لانه لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم لا يحدق النظر فى وجهه وفى رواية انه كان ابيض شديد الوضح والمراد بالوضح البياض وقد يطلق على البرص ولذا سمى جذيمة الابرص الوضاح ويؤيده انه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عنقه كوز فضة ويأتى كان ساقه جماره وكشف ظهره وكأنه سبيكة فضة وقيل ان سمرته حمرته ولذا قيل فى الجمع بين الروايات انه كان يميل الى السمرة او البياض لونه وهذا عرض له بعد ذلك لكثرة اسفاره (واسع الجبين) فى القاموس الجبينان حرفا الجبهة وحاجاها عند الصدغين وبعد الحاجبين والجبهة وسطه او هو جميع ما بين الصدغين متدخل فيه الجبهة الى قصاص الشعر (ازج الحواجب) ازج افعل كاحمر والزجج تقوس فى الحواجب مع طول فى طرفه وامتداد بدقة فى طرفيه

واراد بالحواجب الحاجبين وجمع لان اول الجمع اثنان او لاطلاقه على اجزائه وهما العظمان فوق العينين بلحمهما وشعرهما ويطلق على الشعر وسمى به لانه يحجب الشمس وغيرها عن العين (سوابغ) بالسين والصاد جمع سابغ لانه لما لا يعقل وقيل جمع سابغة وفية اى طوال كاملة (من غير قرن) بفتحتين اى من غير اقتران واتصال لانه غير ممدوح عند العرب وماوقع فى حديث ام معبد من وصف حاجبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالقرن فيحتمل انه كان بينهما شعر دقيق جدا اذا سافر وعلاه غبار السفر ظن قرنا وما قيل انه بطريق الرأى او انه لاختلاف الرؤية قربا وبعدا او انه حدث له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ذلك بعيد جدا بل لا وجه له (بينهما) اى بين الحاجبين وهذا يدل على ان الجمع فى الحواجب بمعنى المثنى هنا (عرق يدره الغضب) بضم الياء مضارع الادرار من ادر الضرع والسحاب اذا كثر دره وهو لبنه وماؤه فخاب والمراد انه يظهر لامتلاء الدم بالغضب بعد ماكان خفيا لانه يحدث بعد ان لم يكن وهذا لا ينافى ماورد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم حليم لا يغضب لانه باعتبار اكثر احواله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه لا يغضب لنفسه ولا لاجل امر دنيوى ولكنه قد يشتد غضبه لله اذا انتهكت حرمه وفى ضربه للاعداء كما قال الصرصرى رحمه الله

بجبينه عرق يدر اذا سطا * غضبا على الاقران يوم طعان

والغضب تهييج الحرارة الغريزية فيغلى الدم منها ولذا يحمر الوجه وتنتفخ العروق (اقنى العرنين) القنا فى الانف طوله ودقة ارنبته اى طرفه مع ارتفاع يسير فى وسطه والعرنين بكسر العين الانف او ما صلب منه او ماتحت مجمع الحاجبين وهو اول حيث يكون الشمم والجمع عرانين ويكنى به عن الاشراف لشموخ انفهم وارتفاعه على اقرانه قال

ان العرانين تلقاها محسدة * ولن ترى للئام الناس حسادا

(له نور يعلوه) الضمير له صلى الله تعالى عليه وسلم وجوزوا ان يعود للعرنين لانه وان كان وجهه كله له نور لكنه اول مايتعلق به ولذا سمى انفا ايضا (يحسبه من لم يتأمله اشم) الشمم فى الانف ارتفاع وسط قصبته مع استواء اعلاه واشراف ارنبته قليلا اعنى ان وسطه فيه استواء مع اعلاه واسفله ولكنه لتلألؤه قد يظن ان فيه ارتفاعا او ان فيه ارتفاعا قليلا جدا لا يعد شمما والشمم قد يعبر به عن عزة النفس وعدم التنزل للامور وهو مايمدح به كما قال كعب رضى الله عنه

شم العرانين ابطال لبوسهم * من نسج داود فى الهيجا سرابيل

والتأمل اعادة النظر وتكراره ليثبت فيه ويقف على كنهه وهو فى الاصل تفعل من الامل والرجاء لان الانسان لا يعيد النظر غالبا الا لما فيه امل فاطلق على لازمه وشاع حتى صار حقيقة فيه وقيل الشمم طول الانف مع سيلان فى دقته والاول اصح واشهر (كث اللحية)

بفتح الكاف وتشديد المثلثة والكث كون اللحية كثيرة الشعر من غير طول ولا دقة شعر ومما اشتهر من قوله من سعادة المرء خفة لحيته لم يثبت انه حديث مع انه قيل انما هو خفة لحيته مثنى لحى وان معناه كثرة تحريكهما بذكر الله اوالمراد عدم طولها (ادعج) اى سواد عينيه شديد مع بياضها ويقال رجل ادعج اى اسود وليس بمراد وسيأتى فيه كلام (سهل الخدين) اى غير مرتفع الوجنة وكثير اللحم فيهما فانه غير محمود وقيل المراد انه طلق منبسط (ضليع الفم) بضاد مفتوحة معجمة اى طويل انشقاق الفم واسعه وهو مما يتمدح به ويوصف صده لدلالته على الفصاحة وليس المراد به عظم الاسنان وتراصها كما قاله التلمسانى وشعراء المولدين يمدحون صغر الفم وهو خطأ منهم او لمعنى آخر لا يلتفت اليه كامر (اشنب) بنون بين شين معجمة وباء موحدة اى ذو شنب وهو كما فى النهاية بياض وبريق وصفاء وتحديد فى الاسنان وقيل هو رونقها وماؤها وقيل برد وعذوبة فيها وقيل نقط بيض وتحرير فيها وسئل رؤبة عن قول ذى الرمة

لمياء فى شفتيها حوة لعس * وفى اللثات وفى انيابها شنب

فاخذ حبة رمان وقال هذا هو الشنب اى انه صفاء وماء فيها كهذا ومن امثال المولدين فاتك الشنب لمن اراد التشبه بمن لا يشبهه قال ابن الوكيل رحمه الله تعالى

يا بارقا بأعالى الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

(مفلج الاسنان) تقدم ان الفلج عدم تلاصق الاسنان وهو ابقى للفم واطيب وفى حديث على كرم الله تعالى وجهه افلج الثنايا وهو المراد بالاسنان اوالمراد الثنايا والرباعيات لان تباعد الاسنان كلها معيب وقد تقدم كلام فيه ومفلج مضموم الميم مشدد اللام ويشبه به تقارب الدار مع عدم التلاقى كقوله

مالى به مع قرب دارى ملتقى * فهل رأيت ثغره المفلجا

(دقيق المسربة) بميم مفتوحة وسين مهملة ساكنة وراء مهملة مضمومة وباء موحدة مفتوحة تليها هاء وهو شعر كالخيط سائل من الصدر الى السرة ووصفه بالدقة لانه غير عريض ولا متكاثف طويل (كأن عنقه جيد دمية) الجيد العنق الا ان السهيلى قال ان العنق يستعمل فى غير المدح والجيد يستعمل فى مقام بخلافه وان قوله تعالى (فى جيدها حبل من مسد) تهكم لحمل الحبل عقدا لها وماهنا على اصل اللغة لا على نهج الاستعمال فلا اعتراض عليه والدمية بضم الدال المهملة وسكون الميم وتخفيف المثناة التحتية وهى الصورة من رخام او عاج والمراد شدة بياضه وطوله ويؤيده ماروى من ان عنقه صلى الله تعالى عليه وسلم كابريق فضة ويشير اليه هنا قوله (فى صفاء الفضة) اى بياضها الخالص وهذا يؤيد ما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بأسمر واعاشته بالدمية لان صانعها يبالغ فى تحسينها ولهذا

ضرب بها المثل (معتدل الخلق) بفتح فسكون اى متوسط الخلقة بين الطول والقصر والسمن والهزال والضخامة والصغر فهو متناسب الاعضاء مستقيم فى احسن تقويم (بادنا) اى ضخم البدن غير دقيق الاعضاء صغيرها واردفه بقوله (متماسكا) اى كان اعضاءه تمسك بعضها بعضا لشدة ارتباطه به ومناسبته له وهو منصوب صفة بادنا وروى بالرفع خبر مبتدأ مقدر (سواء البطن والصدر) اى متساويهما لم يرتفع احدهما على الآخر (مشيخ الصدر) ضم الميم وكسر الشين المعجمة ومثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة بمعنى عريض متسع مع مساواته لبطنه من غير تقاعس وانخفاض فيه وروى بفتح الميم وكسر السين المهملة وهو بمعناه (بعيد ما بين المنكبين) تثنية منكب بفتح الميم وكسر الكاف ونون بينهما وآخره باء موحدة وهو ما بين الكتف والعنق والمراد ببعدها سعتهما وهو اقوى للبدن والبطش وعبر عنه تارة بالبعد وتارة بالعظم والكل واحد وما موصولة (ضخم الكراديس) جمع كردوس وهو رأس العظم او ملتقى كل عظمين كالمرفقين وضخم بمعنى كبير وكل عظم كثير اللحم كردوس (انور المتجرد) اسم مفعول يعنى ما خوى من البدن من التجرد وهو الكشف ورفع الثياب وانور بمعنى نير مشرق او افعل تفضيل لان ما تحت الثياب من البدن لعدم ملاقاته الهواء والشمس ابيض من الاطراف المكشوفة وورد فى وصفه صلى الله عليه وسلم انه اجرد وهو ضد الاشعر فان الشعر كان على اماكن مخصوصة من بدنه كالمسربة والساعدين والساقين وقال الشريف الغرناطى فى شرح البردة قال بعض الصحابة رأيت ساق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غرز الركاب كانه جمارة يعنى فى بياض اللون والطراوة * فان قلت الوارد فى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم انه ازهر اللون اى مشرب بحمرة وبياض الجمار خالص * قلت يمكن الجمع بان ما تحت الثياب مما لم يباشره الشمس خالص البياض بخلاف غيره انتهى (موصول ما بين اللبة) بفتح اللام وتشديد الباء الموحدة وهى النحر وقيل الصدر وقيل موضع القلادة وما موصولة لا زائدة (والسرة) وهى موضع ما يقطع من المولود والمقطوع سر (بشعر) متعلق بموصول (يجرى كالخط) وهو المسربة السائلة وجريانه امتداده كالجارى والخط الطريقة المستطيلة المستقيمة وفى الاصطلاح ما وصل بين نقطتين متقابلتين فكانه جعل اللبة وهى النقرة التى فوق الصدر نقطة والسرة نقطة اخرى والشعر الرقيق بينهما خطا (عارى الثديين) تثنية ثدى بفتح المثلثة وكسرها تذكر وتؤنث وروى الثندوتين بتاء مثلثة ونون وهما بمعنى * قال الجوهرى الثدى يكون للرجل والمرأة ووافقه الصاغانى وفى درة الغواص الثدى خاص بالمرأة والذى للرجل ثندوة وهو غير مهموزة كترقوة على فعلوة وهو مغرز الثدى او رأسه فان ضممت همزته وهو فعلوة ففيه تفصيل بيناه فى شرح الدرة وعلى ما قاله الحريرى تبعا لبعض

(اهل)

اهل العصر صوب بعضهم رواية الشدوتين وزعم ان غيره خطأ لعدم ثبوته فى اللغة وماقيل من انه صحيح على الاستعارة غير صحيح ومعنى عاريهما انه لاشعر عليهما وقيل لالحم عليهما لما سيأتى من انه اشعر الى آخره وفيه نظر لانه لم يذكر فيه انه على ثدييه شعر كما ستسمعه قريبا (ماسوى ذلك) اى ما سوى الشعر الذى بين السرة واللبة وهو بدل من الثديين وفيه نظر وروى ماسوى ذين وهو اظهر (اشعر) اى كثير الشعر فى (الذراعين) بكسر الذال المعجمة مابين المرفق وطرف الاصابع (والمنكبين) تقدم بيانهما (واعالى الصدر طويل الزندين) تثنية زند وهو طرف الذراع المتصل بالكف وطرفاه الكوع وهو رأس الذراع مما يلى الابهام والكرسوع وهو رأسه مما يلى الخنصر وهما العظمان اللذان فى ظاهر الساعد والمراد عظم الذراع فسماه باسم بعضه ولذا وصفه بالطول (رحب الراحة) اى واسع الكف والكف والراحة بمعنى والراحة من الروح وهو الاتساع (شثن) بفتح الشين المعجمة وسكون الثاء المثلثة والنون وهو الضخم الممتلئ لحما ويؤيده انه ورد فى رواية انه ضخم (الكفين والقدمين) وما فى النهاية فى تفسيره من انهما يميلان الى الغلظ والقصر غير مناسب لقوله رحب الراحة وقيل هو الذى فى انامله غلظ بلاقصر وذلك محمود فى الرجال دون النساء لانه اشد للقبض والبطش وقال ابن بطال كانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما وهى مع ضخامتها لينة وفى حديث انس رضى الله عنه مامسست حريرا الين من كفه صلى الله تعالى عليه وسلم * وقول الاصمعى الشثن غلظ مع خشونة لم يوافق عليه ولاحاجة لتأويله بانه لامر عارض فى اسفاره وجهاده واستعمال يديه فى مهنة بيته فانه مناف لعده من الحلية وهى الصفات الخلقية فان الذى ارتضاه اهل اللغة انه الضخم ولاينافيه قوله (سائل الاطراف) واسط الكفين اوسط الكفين كماقيل لان المراد بالاطراف الاصابع والكف والقدم معرسهما فليست داخلة فى معناها ومعنى سائل باللام طويل فكأنه شبهها بعين سال من بركة لطولها وصفائها وبياضها ولينها لان راحته صلى الله تعالى عليه وسلم تنبع منها الخيرات والمياه كما قلت فى قصيدتى الهمزية

تنبع الماء من اصابع كفه * باياد ماغاص فيها المياء
لاتقسها على اصابع نيل * كم لكسر من جبرهن وفاء

(او قال شائن الاطراف) شك من الراوى فى قول ابن ابى هالة انه قال ماتقدم او قال شائن بنون مبدلة من اللام كما يأتى وقالوا جبرين وجبريل واسمعيل واسماعين (وسائر الاطراف) بالراء المهملة مكان اللام ومعناه باقى اوجميع وليس الثانى خطأ كماقاله الحريرى وتبعه فى الشرح الحديد كما فصلناه فى شرح الدرة وعلى هذا الاخير هو مجرور ومعطوف على القدمين اى ضخم اطرافه كلها وليس شكه لتقارب الحروف الثلاثة فى الخط والمخرج

كما قيل وقد ضبط في النسخ على قوله ساش بالنون والصواب اثبات الالفاظ الثلاثة لما سيأتي في تفسيرها كما قاله في المقتفى وجاء هذا في بعض الروايات من غير شك (سبط العصب) سبط بسكون الباء الموحدة وكسرها بمعنى ممتد ليس به تعقد ونتوء كما في النهاية والعصب وقع في اصل البرهان بعين وصاد مهملتين كما ضبطه ابن الانبارى والذى اتفق عليه ابن الاثير والهروى انه القصب بالقاف لا بالعين والمراد بالقصب ساعداه وساقاه وفي العرسين كل عظم عريض لوح وكل اجوف فيه قصبة وجمعها قصب ويشهد له ان العرب تتمدح به كما قال

فجاءت به سبط العظام كأنما * عمامته بين الرجال لواء

لانه يدل على قوة البدن والشجاعة والعصب بالعين ما يمتد في البدن لربط الاعضاء وتحريكها كما بين في علم التشريح وهو اطناب المفاصل وقيل المراد به ههنا عظام الساقين والساعدين مجازا لما بينهما من المجاورة فتتحد الروايتان وهو بعيد جدا (خمصان الاخمصين) خمصان بضم الخاء المعجمة وفتحها وسكون الميم لا بفتحها كما توهمه عبارة القاموس وتبعه بعضهم هنا وبهما ضبط لفظ الشماء ومعناه الضامر البطن وهو هنا بمعنى المتجافى عن الارض اى المرتفع والاخمصين مثنى اخمص بوزن احمر وهو ما دخل من باطن القدم ولم يصب الارض لعدم مساواته العقب ومقدم القدم وسمى به لضموره ودخوله ولما كان اخمص القدم قد يطلق على ما يلى الارض منها مطلقا اتى بقوله خمصان مضافا اليه ليبين انه على ظاهره وهو المحل المرتفع وليس المراد به المبالغة في ارتفاعه كما فسره بعضهم هنا بالشديد التجافى لهذا فجعله كاليل الليل وقد قال ابن الاعرابى اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفله فهو احسن فان استوى او ارتفع جدا فهو مذموم فمعنى خمصان الاخمصين انه مرتفع باعتدال وقال البرهان وسيأتى ما ينافى هذا من قوله مسيح القدمين قال المازرى فى كتاب توثيق عرى الايمان خمصان الاخمصين متجافى اخمص القدم وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم وقوله (مسيح القدمين ينبو عنهما الماء) قال المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى اى املسهما ولذا قال ينبو عنهما الماء وفى حديث ابى هريرة خلافه فيه اذا وطئ بقدميه وطئ بكليهما ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وقد قالوا سمى عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم مسيحا لانه لم يكن له اخمص وقيل معنى مسيح القدمين لا لحم عليهما وهو مخالف لقوله شثن القدمين انتهى واقره صاحب المقتفى وفى شرح الحديد فى النهاية معنى مسيح القدمين انهما ملساوان لينان ليس فيهما التواء واشقاق فاذا اصابهما الماء سال ومر سريعا من جانب الكعب القبلى وقال ابن الحنبلى فى شرح قصيدة الصرصرى النونية ليس المسيح باطن القدمين الذى هو محل الخمصان بل ظاهرهما للملامسة فلا تعارض بين العبارتين * اقول هذا كله خلط منهما وليت شعرى ما يقول فى حديث ابى هريرة الذى نقله المازرى

فالاشكال الذى ذكره البرهان غير مندفع اللهم الا ان يقال ان الحمصة فيه قايلة حدا ومعنى ينبو يرتفع والمراد به مفارقة الماء وانصبابه محارا وانشدوا ههنا لبعضهم

يارب بالقدم التى اوطأتها * من قاب قوسين المحل الاعظما
وبحرمة القدم التى جعلت لها * كتف المؤيد بالرسالة سلما
ثبت على متن الصراط تكرما * قدمى وكن لى منقذا ومسلما
واجعلهما ذخرى فمن كانا له * ذخرا فليس يخاف قط جهنما

والقدم الاولى قدمه صلى الله عليه وسلم والثانية قدم على رضى الله عنه لما قال له صلى الله عليه وسلم يوم الفتح اصعد لكسر اصنام الكعبة فصعد على كتفه صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه صاحب الصفوة ومسيح بفتح الميم وكسر السين المهملة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة وفى بعض النسخ مشيح بضم الميم وشين معجمة ولم يفسرها وكانها تحريف من النساخ او معناها خفيف المشى (اذا زال زال تقلعا) وروى اذا مشى تقلع اى رفع رجليه رفعا قويا ليتثبت فى مشيه فكأنه يقلع رجليه من الارض فيقارب خطاه من غير احتيال واسراع كما ورد من قوله الآتى كانما يحط من صبب وروى اذا زال زال قلعا بفتح القاف وسكون اللام وكسرها وروى بالضم ايضا (ويخطو تكفأ) اى اذا مد خطاه يميل الى قدامه كمن يتكفى وتكفؤا ان همز ضمت فاؤه كالمصادر الصحيحة مثل تقدم تقدما لان الهمزة حرف صحيح فان ابدلت ياء كسر ما قبلها فقيل تكفيا كتسمى تسميا ونحوه من المصادر المعتلة الآخر (ويمشى هونا) بفتح الهاء اى اذا مشى مشى برفق ولين ووقار كما يأتى لانه ممدوح قال تعالى ﴿ ويمشون على الارض هونا ﴾ (ذريع المشية) بفتح الذال المعجمة وكسر الميم والذريع الواسع الخطواى ما بين قدميه واسع فمع عدم سرعته يساوى مشيه المشى السريع او يفوقه (كانما يحط من صبب) اى ينحدر من مكان عال والمنحدر من عال يكون له سرعة مع سهولة وانما قال كانما لانه ليس منحدرا على الحقيقة وانما هو كالمنحدر فى السرعة والسهولة (واذا التفت التفت جميعا) اى اذا اراد ان يدور (٢) لجانبه او فى جانبه لا يلوى عنقه بل يصرف جميع بدنه فيقبل جميعا ويدبر جميعا من غير مسارقة نظر فانه خفة وطيش (خافض الطرف) مصدر بمعنى تحريك الجفن ثم صار بمعنى الخفض ضد الرفع والطرف العين وفسر هذا بقوله (نظره فى الارض اطول من نظره فى السماء) يعنى ان نظره لجانب السفل اكثر من نظره فى جانب العلو لخشوعه وحيائه ووقاره وليس هذا مخصوصا بالصلوة والدعاء فانه مكروه فيهما ولا ينافى هذا قوله قد نرى تقلب وجهك فى السماء لان هذا باعتبار الاغلب كما يشعر به لفظ قد (جل نظره الملاحظة) جل بضم الجيم بمعنى المعظم والاكثر والملاحظة النظر باللحظ

(٢) ان ينظر اليه

وهو طرف العين مما يلي الصدغ ومما يلي الانف موق وماق اى ينظر بطرف عينه
تأدبا وحياء (يسوق اصحابه) اى يمشي خلفهم وفي ساقهم ولا يدع احدا يمشي خلفه
كما هو عادة المتكبرين وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول خلوا ظهري للملائكة
وفي قوله يسوق اشارة الى انه هو المحرك لهم فاقيل من انه لا يتقدم الصغار الكبار الا
اذا ساروا ليلا او خاضوا سيلا ليس على وفق السنة (ويبدأ من لقيه بالسلام) لانه
من السنة ان يسلم الاكبر على الاصغر والسلام دعاء وتحية وهو تحية اهل الجنة كما ورد
في السنة فهو دعاء بالسلامة واسم من اسمائه تعالى وجوز ارادته هنا بمعنى ان الله
معك ومطلع عليك وابتداؤه سنة لا واجب بالاجماع وفيه قول به ضعيف لا يعتد به
ورده فرض كفاية لا على كل احد بعينه لان السلام معناه الامان فاذا سلم احد ولم يجب توهم
الشر فيجب دفعه كما قاله الحليمي وهذا منه صلى الله تعالى عليه وسلم تواضع والطف
مناسب لما نحن فيه من حسن الخلق قال الحسن رضي الله عنه الراوي لهذا الحديث
(قلت) لخالي هند بن ابي هالة رضي الله تعالى عنه (صف لي منطقه) مصدر
ميمي اى نطقه وكلامه صلى الله تعالى عليه وسلم والنطق هو اللفظ الدال على معنى
واما قول سليمان عليه الصلوة والسلام علمنا منطق الطير وقول الشاعر * لقد نطق
اليوم الحمام لنطربا * فاتيربه منزلة افهم سليمان عليه الصلوة والسلام منه معنى
ولادعاء الشعراء شوقه وطربه كما قاله الهروي (قال كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم متواصل الاحزان) هذا مشتمل على الجواب وزيادة فالجواب قوله
الآتي ولا يتكلم في غير حاجة فكانه قال كان كلامه موجزا قليلا وقيل معناه ان كلامه
لم يكن بفرح وبطر بل بحزن واسف وقال ابن قيم الجوزية قول ابن ابي هالة
متواصل الى آخره لم يثبت عنه وفي سنده مجهول كيف وقد صانه الله عن الحزن
واسبابه ونهاه عنه بقوله لا تحزن وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلا خوف عليه
ولا حزن في الدنيا والآخرة فمن اين يأتيه الحزن وقد ورد وصفه صلى الله تعالى
عليه وسلم بانه كان دائم البشر ضحوك السن وقد استعاذ من الهم والحزن وفرق بين الهم
لما سيأتي والحزن على ما مضى وقال ابن تيمية في حديث ابن ابي هالة انه صلى الله
تعالى عليه وسلم كان كثير الصمت دائم الفكر متواصل الاحزان ليس المراد بالحزن
الالم على فوت مطلوب او حصول مكروه فانه لم يكن من خلقه صلى الله تعالى
عليه وسلم وانما المراد به التيقظ لما يستقبل من الامور وهو مشترك بين الهم والغم
انتهى قيل وهو نهيه عن ذات لانه ليس باختياره وانما نهي عن تعاطي اسبابه كما قيل

ومن سره ان لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

انتهى وقال ابن قيم الجوزية في [illegible] مدارج السالكين ليس الحزن من منازل السالكين ولذا
ورد النهي عنه فقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وقد استعاذ منه صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible]

يسر الشيطان لانه يعتر العزم ولذا قال اهل الجنة الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الآية وهو من المصائب واما خبر ان الله يحب كل قلب حزين فلم يثبت * اقول هذا تطويل بغير طائل وانكار وورود الحديث مردود لانه ثابت كما قاله الحافظ ابن تيمية وغيره واما كونه ليس من المقامات مع كونه غير مسلم كما مر فلا يضر والمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان على هيئة الحزين حال سكوته لكثرة افكاره فى امور امته واحوالهم كما يدل عليه قوله (دائم الفكرة ليس له راحة) وكيف لا وقد قاسى صلى الله تعالى عليه وسلم فى التبليغ مالا يوصف واما وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالبشر والتبسم فهو فى حال آخر وهو مخاطبته للناس والنظر فى امورهم (ولا يتكلم فى غير حاجة) له صلى الله تعالى عليه وسلم اولامته كما قال من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (طويل السكوت) عما لايجدى نفعا لكثرة افكاره صلى الله تعالى عليه وسلم ودوام اذكاره (يفتتح الكلام ويختمه باشداقه) جمع شدق بفتح اوله وكسره وسكون داله المهملة وهو جوانب الفم وذلك لسعة فمه الدالة على فصاحته صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وهو مما تتمدح به العرب كما يأتى واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ابغضكم الى الله المتشدقون فمعناه من يتكلف كثرة الكلام بلا احتياط فيه فسقط ماقيل انه من صفة الفم ولامدخل له فى الجوانب (ويتكلم بجوامع الكلم) وهى الكلمات الموجزة المشتملة على الحكم النافعة السائرة مسير الامثال جمع جامعة وتطلق على القرآن (فصلا) بفتح الفاء وسكون الصاد المهملة اى كلاما فاصلا للخصومة وفارقا بين الحق والباطل (لافضول فيه) اى لازيادة فيه على اداء المراد وهو اسم مفرد وقيل انه جمع فضل خص بما ذكر ونقل لمعنى آخر ولذا نسب اليه فقيل فضولى كما فى المعرب (ولا تقصير) فيما يريده بتقليل مخل بالفهم (دمثا) بفتح الدال المهملة وكسر الميم وبالثاء المثلثة من الدماثة وهى سهولة الخلق مستعار من الارض الدمثة وهى ذات الرمل المتلبد اى لين الخلق لطيف المعاملة (ليس بالجافى) اى ليس غليظ الطبع وهو اصل معنى الجفاء اولم يكن يجفو اصحابه (ولا المهين) روى بضم الميم وفتحها فالاول من الاهانة والميم زائدة اى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يهين احدا من الناس والثانى من المهانة وهى الحقارة والميم اصلية اى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم حقيرا متذللا لاحد من الناس لشرف نفسه وعزتها وهذا وصف لذاته صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل ان يكون وصفا لمنطقه (يعظم النعمة وان دقت) اى يعد كل ما انعم الله به عليه عظيما وان لم يكن كذلك ومعنى دقت صغرت وقلت (لايذم شيئا) اى شيئا يستحق الذم (لم يكن يذم ذواقا) بفتح الذال المعجمة وفتح الواو المخففة والف وقاف فعال مصدر صار بمعنى مايذاق من مأكول ومشروب مما قدم له صلى الله تعالى عليه وسلم من طعامه ونحوه ان اعجبه اكل منه والا كف يده ولا يقول

فيه شيئا فلايذمه (ولا يمدحه ولا يقام لغضبه) من قام اذا ثبت اى لا يثبت له احد او من قام بمعنى دام اى لا يدوم احد على تحمل غضبه ويقام بضم المثناة التحتية مبنى للمجهول وفيه دلالة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغضب لله احيانا وقد ورد مايدل على ذلك (اذا تعرض للحق بشئ) بضم التاء الفوقية والعين وكسر الراء المهملة المشددة والضاد المعجمة اى اذا اعترض احد للحق بمايبطله او يقتضى خلافه وبشئ بالباء الجارة واللام وعامله اما يقام او تعرض (حتى ينتصر له) اى للحق فيؤيده ويبطل خلافه (ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها) اى اذا اذاه احد من الاعراب وغيرهم بمايتعلق بنفسه كالاعرابى الذى امسكه صلى الله تعالى عليه وسلم بردائه ولبسه والذى قال ان هذه قسمة غير عادلة ونحو ذلك ككلام بعض المنافقين كابى بن سلول رأس المنافقين وما كان يصدر منه (اذا اشار اشار بكفه كلها) اى اذا اشار لشئ خارج الصلوة اشار برفع يده واما فى الصلوة اذا اشار للتوحيد اشار باصبعه السبابة والمسبحة ليفرق بين الاشارتين وله صلى الله تعالى عليه وسلم اشارات اخر نبه عليها بقوله (واذا تعجب قلبها) اى قلب كفه وجعل باطنها نحو السماء وظاهرها للارض وتأنيث الكف لانها مؤنث سماعى وهو اشارة لانقلاب الحال عمايعتاد من غير اظهار للتعجب واستغراب لامر وهذا ممايدل على سكونه صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم خفته وهو امر ممدوح (واذا تحدث افصل بها) فى شرح الدلجى بهمزة وفاء وصاد مهملة ولام والضمير للكف اى وجه كفه من فصل عليها اذا خرج من طريق اوظهر من حجاب قاصدا بها اى بكفه ولم يبينه غيره ووقع فى بعض النسخ اتصل بها اى بمثناة فوقية بدل الفاء وفى حاشية التلمسانى وللحديث يتصل بها اى لا يزال يحركها وذلك انث لانه قول وفعل انتهى وهذا يدل على ان اتصل بها رواية ففى العبارة ثلاثة وجوه افصل واتصل ويتصل والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم فصل حديثه باشارته بيده لجهة من يخاطبه كعادة من يهتم بكلامه فى امر مهم * اقول هذا كلام مع غموضته غير محرر مع مافيه اما ماذكره الدلجى من انه افصل بهمزة وفاء فتحريف لانه لم يسمع فى هذه المادة مزيد بزنة اكرم فالصواب فصل اواتصل ومعناه انه صلى الله عليه وسلم فصل كلامه باشارته او وصل احدى يديه بالاخرى ثم رأيته فى كتاب النعمة فى الصلوة والسلام على شفيع الامة ذكر هذا الحديث وانه اتصل افتعال من الوصل وهو الصحيح وذكر انه صلى الله عليه وسلم كانت له اشارات مختلفة فيشير بالمسبحة للتوحيد ويجمع كفه لغيره فرقا بينهما وانه كان اذا حدث وصل حديثه بالاشارة بيده توكيدا له والظاهر ان الفاء الآتية فى قوله (فضرب) تفصيلية كقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الى آخره ولم يبينوا معناه والظاهر ان المعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشير بجميع كفه اذا كان مع اصحابه على وجه

متعارف كالاشارة للذهاب والجلوس ونحوه فاذا تحدث وضع ابهامه على راحته وقت حديثه لتثبيت حديثه اوانتهائه فاعرفه وقوله (بابهامه اليمنى راحته اليسرى) كذا فى اكثر الروايات وفى بعضها فضرب براحته اليمنى باطن ابهامه اليسرى والابهام معروف يذكر ويؤنث وجمعه اباهيم واباهم قالوا وهذا عادتهم اذاتحدثوا (واذاغضب اعرض) عمن غضب عليه من غير لوم له لشدة حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم (واشاح) بشين معجمة وحاء مهملة بينهما الف قيل معناه صرف وجهه فهو تأكيد لماقبله وقيل معناه قبض وجهه وزواه من غير لوم وعقاب وهذا من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم فلايقال كيف ادرج هذا فى صفات المدح فاجاب بان العرض بيان صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم للسائل لان المقام يأباه وسيأتى من المصنف تفسيره بما يقارب هذا وقيل ان فى النهاية ان المشيح الحذر اوالجاد فى الامر اوالمقبل عليك المانع لماوراء ظهره وفى حديث سطيح اقبل على جمل مشيح اى جاد مسرع فيجوز ان يريد احد هذه المعانى اى حذر من موجب غضبه او حذر فى الامر ليشعر باعراضه عن موجب غضبه اواقبل عليه ليمنع من وراءه من ضرر المغضوب عليه ولايخفى انه تكلف مخالف لمااختاره المصنف مما هو اظهر هنا (واذافرح) لرؤية مايسره اوسماعه (غض طرفه) اى ارخاه واطرق تباعدا من الاشر والمرح (جل ضحكه التبسم) اى اكثره وقدتقدم بيانه وقد يضحك صلى الله تعالى عليه وسلم احيانا حتى تبدو نواجذه والتبسم مبادى الضحك (ويفتر) بفتح الياء وسكون الفاء وفتح التاء الفوقية وتشديد الراء المهملة من قولهم افتر ضاحكا اذا ابدى اسنانه قال

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

وهو من فررت الدابة اذا كشفت فمها لتعرف سنها من سمها وذلك هو الفرار بالضم (عن مثل حب الغمام) متعلق بيفتر والغمام السحاب واحده غمامة كسحابة وحبه هو البرد المعروف لاقطر المطر كماتوهم فانه مع عدم مناسبته لايسمى حبا لان الحب الجامد دون السائل وتشبيه اسنانه صلى الله تعالى عليه وسلم به لصفائه ولمعانه ورطوبته دون حريه حتى يقال انه نوع منه وهو مشهور فى كلامهم كامر (قال الحسن) بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما (فكتمتها) اى اخفيت صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم التى سمعتها من ابن ابى هالة (الحسين) مفعول ثان لكتم وفى نسخة عن الحسين بن على (زمانا) مدة من الزمان (ثم حدثته) بماسمعته من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم (فوجدته قدسبقنى اليه) اى الى الحديث المعلوم من قوله حدثته اى حفظه قبلى الا انه رواه عن ابيه على رضى الله تعالى عنهما (فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومخرجه ومجلسه)

وفى نسخة وملبسه بدل مجلسه فان كانت الثلاثة مصادر ميمية فظاهر والا بان كان اسم زمان اومكان فالمراد سألته عن حاله فى مخرجه ومدخله والمراد خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم للناس ودخول بيته وجلوسه عندهم كما سيأتى وقيل المراد بمجلسه بكسر اللام هيئة جلوسه وانما ذكر استقراء لجميع احواله يعنى الحسن انه سمع هذه الصفات من ابن ابى هالة خاله ولم يخبر اخاه بما سمعه منه والحسين لم يسمعها من خاله فلما حدثه بها وجد عنده علما منها من طريق وهى روايته لها عن امير المؤمنين ابيه مع زيادة وانما كتم ذلك عنه مع النهى عن كتمان العلم عن اهله لانه لم يسأله ولم ينحصر علمه فيها ولو كان كذلك دخل فى حديث من كتم علما الجمه الله بلجام من نار اوانه كتم عنه كلام ابى هالة الوصاف البليغ دون معناه لعلم اهل البيت بذلك فان الثابت والحديث لهم (وشكله) بفتح اوله اى هيئته فى ذلك الحال وبكسره بمعنى الهدى والسمت قاله التلمسانى (فلم يدع من ذلك شيئا) اى لم يترك شيئا من احواله الا بينه لى (قال الحسين سألت ابى رضى الله تعالى عنه عن دخول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه) اى دخوله منزله ليجتمع باهله لمصالحه وقضاء مآربه وقيلولته (مأذونا له فى ذلك) من الله اذنا عاما بحيث يدخل اى بيت من بيوته فى اى وقت من غير استيذان من زوجاته رضى الله تعالى عنهن لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لايجب عليه القسم وقيل المراد دخوله بيوت اصحابه رضى الله تعالى عنهم وهو بعيد لقوله (فكان اذا اوى) الاصح قصره ويجوز مده (الى منزله جزأ دخوله) اى قسم زمن دخوله لبيته (ثلاثة اجزاء جزأ لله) اى لعبادته والتفكر فى ملكوته (وجزأ لاهله) يدبر فيه امورهم ويصلحها ويتلطف بهم (وجزأ لنفسه) من مأكل ومشرب وراحة وغيره مما يليق به لقوله (ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس) اى قسم الزمن الذى جعله لنفسه فجعل قسما منه مخصوصا بذاته واحواله فى نفسه وجزأ آخر للناس وسائر الامة وهو فى منزله ولا يلاقيه فيه الا اهله او خواص اصحابه الذين يؤذن لهم فى الدخول عليه وغيرهم لا يصل اليه ثمة فلذا قال (فيرد ذلك على العامة بالخاصة) يرد بمعنى يوصل ويعطى كانه لما كان لهم حق فى الجملة احد منهم ثم رد اليهم وقيل معناه يستعين لانه ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يستعين بالخاصة على العامة وهو بيان لمحصل المعنى وذلك اشارة لما فهم من السياق وهو جزء الناس والعامة من عدا الخاصة التى عرفتها فكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعته منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا لم يكن مما ينبغى كتمه عنهم والباء فى بالخاصة للسببية وكونها للبدل كقوله * فليت لى بهم قوما اذا ركبوا * بعيد لانه ليس المراد انه يجعل وقت العامة بعد الخاصة وبدلا منه وعلى على ظاهرها وقيل بمعنى الى وروى

بدل يرد يبدل بالمعجمة والمهملة مع ضم الياء المثناة التحتية وفتحها فيهما (ولا يدخر عنهم شيئا) اى عن المذكورين من العامة والخاصة وقيل عن الداخلين عليه صلى الله تعالى عليه وسلم والمآل واحد ويدخر بدال مهملة مشددة واصله يذتخر بدال معجمة وتاء افتعال من الدخر قلبت تاؤه وذاله دالا وفعل به ما علم من كتب الصرف وكذا امثاله من ادكر ويجوز يدخر بدال معجمة مشددة وخاء (فكان من سيرته فى جزء الامة) وهو الجزء الذى جعله للناس وافرزه مما كان لنفسه اى كان دأبه صلى الله عليه وسلم وعادته فى هذا الجزء (ايثار اهل الفضل باذنه) الايثار تقديم ما يؤثره على غيره والمراد باذنه انه يأذن لهم فى الدخول فى خلوته فى بيته كما مر وما قيل من ان المراد باهل الفضل اغنياء الصحابة رضى الله تعالى عنهم والفضل زيادة مالهم على حاجتهم والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يأذن لهم ان يؤثروا بصدقاتهم اقرباءهم كما وقع لابى طلحة رضى الله تعالى عنه فى شرحاء تكلف اوقعه فيه قوله (وقسمته على قدر فضلهم فى الدين) فتوهم ان المراد تقسيم المال والعطاء وليس كذلك وانما معناه قسمة حرثه فى حديثه معهم واشتغاله باحوالهم وقوله فى الدين لان اكرمهم عند الله اتقاهم فتفاوتهم عنده بذلك لا بالنسب والمال وفى بعض النسخ وقسمه بدون تاء ثم بين سبب تفاوتهم بقوله (منهم ذو الحاجة) الواحدة (ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج) الثلاثة فاكثر (فيتشاغل بهم) اى بقضاء حوائجهم وارشادهم لما يصلح معاشهم ومعادهم (ويشغلهم) بفتح الياء المثناة التحتية مضارع شغل واما اشغل فلغة رديئة كما مر اى يجعلهم صلى الله عليه وسلم مشغولين بما امرهم به (فيما اصلحهم) وفى نسخة يصلحهم اى ما فيه صلاحهم (والامة) بالنصب اى واصلح الامة لتبليغه لهم ما يليق بهم بعد معرفته عليه السلام بحالهم (من مسئلته عنهم) وهو بيان لما اى سؤاله عن احوالهم وروى مسألتهم اى الخاصة ذوى الفضل (واخبارهم) اى اخبار ذوى الفضل (بالذى ينبغى لهم) اى يليق ويناسب حال المسئول عنهم من الامة وهو مطاوع بغى بمعنى طلب قال الراغب اذا قيل ينبغى ان يكون كذا فهو على وجهين * احدهما ما يكون مسخرا للفعل نحو النار ينبغى ان تحرق * الثانى الاستيهال نحو فلان ينبغى ان يعطى لكرمه قال الله تعالى ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له﴾ (ويقول) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن حضر عنده (ليبلغ الشاهد) امر وهو للوجوب فى الامور الشرعية وهو بتخفيف اللام بقرينة ذكر الاتساع بعده ويجوز تشديدها والاول اصح ها والشاهد الحاضر عنده لمقابلته بقوله (الغائب) وهو من لم يكن حاضرا او موجودا فهو من كبار الصحابة والغائب من صغارهم اوهم الصحابة والتابعون قيل ويحتمل ان يراد العالم والجاهل واهل الحضر والبادية والسامع ومن لم يسمع والمسلم والكافر وهذه احتمالات عقلية اوهى تأويلات وتعميم لمفهومه

فتأمل (وابلغونى حاجة من لا يستطيع ابلاغى) اى حاجته وروى ابلاغ حاجته وهو تعميم بعد تخصيص للترغيب والحث وبيان لسبب الامر (فانه) اى الامر والشان (من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها) قيل يريد ان من ابلغ سلطانا حاجة جوزى بهذا الجزاء العظيم فكيف بمن بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والا فهو اجل من ان يكون ملكا اوسلطانا وقد قال كما تقدم لست بملك + قلت فيه نظر وقد يقال المراد بالسلطان هنا الامام الاعظم خليفة الله وقد اطلق الفقهاء ذلك عليه كما بيناه فى حكمه بالسلطنة والفتيا والقضاء المذكور فى القواعد للسبكى كما سيأتى وهذا الحديث مستقل رواه الاصبهانى وفى بعض الفاظه اختلاف (ثبت الله قدميه يوم القيمة) على الصراط يوم تزل الاقدام كما ورد مصرحا به فى رواية لابن ابى الدنيا وذلك لانه مشى بقدميه وسعى لحاجة اخيه فهو جزاء من جنس العمل وهو كناية عن نجاته من اهوال الموقف (ولا يذكر عنده) اى لا يذكر فى مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (الا ذلك) الاشارة لجميع ماتقدم من ذكره مصالحهم وسؤاله عن الامة والامر بالتبليغ والحث عليه والترغيب فيه (ولا يقبل من احد) بالبناء للفاعل والمفعول (غيره) اى لا يرضى كلاما غير مايكون من هذا القبيل (وقال) اى على رضى الله تعالى عنه فى رواية (فى حديث سفيان بن وكيع) بن الجراح ابو محمد الكوفى وهو امام حافظ روى عنه الترمذى والدارقطنى وغيرهما توفى سنة سبع واربعين ومائتين ووالده امام جليل حافظ رحمه الله تعالى (يدخلون) اى اصحابه رضى الله تعالى عنهم (روادا) بضم الراء المهملة وتشديد الواو والف ودال مهملة جمع رائد واصله من يتقدم القوم المسافرين ليختار لهم منزلا فيه الماء والكلأ فاستعير هنا للطالبين المحتاجين لحاجتهم ومايرشدهم وقيل يحبسون وقت الوصول اليه (٢) وقال التلمسانى ان روادا بكسر الراء وتخفيف الواو مصدر رود يرود ويروى لواذا بلام وذال معجمة اى ملتجئين لائذين به (ولا يتفرقون) من مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (الا عن دواق) بفتح الدال المعجمة والواو المخففة والف وقاف فعال من الذوق بمعنى المذوق وهو المأكول فاستعير للعلم الذى يتعاطونه ويحتمل ان يريد حقيقته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عادته ان يطعم شيئا لمن يدخل بيته وعلى هذا جرت عادة السلف الصالحين وحقيقة الذوق كما قاله الراغب وجود الطعم بالفم واصله فيما يقل تناوله وفيه تفصيل ذكرناه فى كتابنا طراز المجالس اى لا يتفرقون الا عن علم وادب هو غذاء لارواحهم وسبب لبقائهم (ويخرجون) من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (ادلة (٣) يعنى فقهاء) عالمين بامور الدين اى هداة مرشدين للناس ويهتدى بهم غيرهم فادلة جمع دليل بمعنى هادى او بمعناه المشهور كما يقال فلان حجة الاسلام والصحابة رضى الله تعالى عنهم كلهم مجتهدون خلافا لبعض الحنفية كما فى تحرير ابن الهمام

(٢) وفى حديث على كرم الله وجهه يدخلون روادا ويخرجون ادلة اى هداة مرشدين للناس وسيأتى مثله نسخه

(٣) ادلاء نسخه

(قلت) قائله الحسين لابيه رضى الله تعالى عنهما (فاخبرنى عن مخرجه) اى عن حاله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد خروجه من منزله (كيف كان يصنع فيه) بعد خروجه من منزله (قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من وضع الظاهر موضع الضمير الاهتمام والتلذذ والتبرك بذكره (يخزن لسانه) بالخاء وضم الزاى المعجمتين والنون اى يصونه ومنه الخزانة لانه لايحب كثرة الكلام قال

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه ✽ فليس على شئ سواه بخزان(٢)

(٢) بخازن نسخه

ولمافيه من المنع عداه بمن فقال (الا مما يعنيهم) وفى نسخة الافيما ويعنى بفتح المثناة التحتية اى يهمهم ويعمهم من جواهر كلمه وزواجر حكمه (ويؤلفهم ولا يفرقهم) اى يجعلهم مؤتلفين به غير متفرقين عنه لمداراتهم ولطفه بهم كما قال الله تعالى ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ او يجعل الله بينهم الفة لحثهم على التحاب والمواخاة بينهم (يكرم كريم كل قوم) كما قال اكرموا عزيز كل قوم لمعرفته صلى الله عليه وسلم بمقادير الناس (ويوليه عليهم) اى يجعله حاكما عليهم فلا يولى احدا من اصحابه غيرهم ولا غيرهم عليهم ولا يولى صغارهم عليهم رعاية لاهلية ذوى الولايات وتحسا لاعلاء الاسافل ترغيبا فى الاسلام (ويحذر الناس ويحترس منهم) لان من الحزم سوء الظن وعدم الوثوق بكل احد وقال عمر رضى الله تعالى عنه احتجزوا بسوء الظن وهو من بديع حكمه وليس المراد بالناس جميعهم بل عوامهم بخلاف خواصهم والاحتراز والاحتراس والحذر متقاربة وقيل الاحتراس التحفظ والاحتراز التعوذ والحذر الخوف (من غير ان يطوى) اى يخفى ويمنع استعارة من طى الثياب (عن احد بشره) اى طلاقة وجهه وانبساطه معه بأنيساله وتأليفا لقلبه واذهابا لخوف مهابته (وخلقه) اى حسن خلقه ولم يذكر الحسن اشارة الى انه مجبول على الحسن فيه (ويتفقد اصحابه) اى يسأل عمن لم يحضر عنده وفقد من مجالسه وقد يذهب صلى الله تعالى عليه وسلم لمنزله اذا طالت غيبته وتطلبه (ويسأل الناس عما فى الناس) من احوالهم وامورهم ليعلم امرهم فيتدارك ماينبغى تداركه وينصح من يلزم نصحه وليس هذا من التجسس او الغيبة المنهى عنه بل من سؤال الطبيب ليشفى المريض فاذا اخبروه بحال حسن حمد الله على ذلك (يحسن الحسن ويصوبه) اى يبين حسنه وكونه صوابا ويمدح فاعله ترغيبا فيه (ويقبح القبيح ويوهنه) بضم اولهما وتشديد ثانيهما والنون او بالياء التحتية من الوهى بمعنى الوهن وهو الضعف اى يقول هو فعل قبيح وضعيف ساقط تنفيرا وتحذيرا ونصحا ونفعا والمراد الحسن والقبيح عادة او شرعا وفيه صنعة الطباق (معتدل الامر) اى اموره صلى الله تعالى عليه وسلم كلها معتدلة فلا يبالغ فى تحسين وتقبيح غيره (غير مختلف) اى على سنن

واحد فى جميع اوقاته (لا يغفل) عن شئ من احوال الناس (مخافة ان يغفلوا) عما يصلحهم وهو بضم الفاء فيهما (اويملوا) اى يحصل لهم فتور وكسل عن صالح امرهم اذا لم ينبههم عليه ولو ارجع هذا لقوله معتدل الامر لم يبعد ويجمع هذا قوله تعالى ﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (لكل حال) من احوال الناس (عنده عتاد) بعين مهملة مفتوحة ومثناة فوقية ودال مهملة وهو كالعتيد العدة والحاضر المعد لاصلاحه وتداركه اذا وقع فهو متخلق بقوله رقيب عتيد وقيل اصل العتاد عداد لانه من العدة فابدلت داله تاء هربا من التكرار (ولا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره) فاذا رآه عمله واذا رأى منكرا ازاله من غير تأخير (الذين يلونه من الناس) اى يقربون منه فى مجلسه ونحوه (خيارهم) اى افضلهم واشرفهم (وافضلهم عنده اعمهم نصيحة) اعم هنا بمعنى اكثر نصيحة او اكثر منصوحا بان ينصح فى كل امر كل احد بارشاده لما هو خير له ولذا قال عليه السلام الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين فنصيحة الله اخلاصه فى اعتقاده له بما يليق به من توحيده وعبادته مخلصا لوجهه ولكتابه فهم معانيه والعمل بما فيه والنصيحة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الايمان به واجتناب نواهيه وامتثال اوامره ولائمة المسلمين طاعتهم وعدم الخروج عليهم ونصيحته العامة ارشادهم لمصالحهم والنصيح ارادة الخير لمن ينصحه باخلاص وهى كلمة جامعة يقال نصحته ونصحت له (واعظمهم عنده منزلة) اى رتبة وشرفا (احسنهم مواساة) لكل احد لان حذف المتعلق يفيد العموم والمواساة اعطاء من يريد ما يريد وبذله له يقال آساه وواساه بواو مبدلة من الهمزة اذا جعله اسوة له (ومؤازرة) اى اعانة لمن التجأ اليه يقال آزره ووازره اذا اعانه وقواه وساعده من الازر وهو الظهر لان قوة البدن به او من الوزر وهو الملجأ ومنه الوزير وفى الحديث ما احد عندى اعظم يدا من ابى بكر واسانى بنفسه وماله وهذا يدل على انه افضل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين قال الحسين رضى الله تعالى عنه (فسألته) يعنى عليا والده رضى الله عنهما (عن مجلسه) اى عن حاله فى مجلسه خارج بيته مع الناس ومعاملته لهم فيه ولذا اردفه بقوله (ما (٢) كان يصنع فيه فقال كان (٣) لا يقوم) من مجلسه (الا على ذكر) لله يجعله صلى الله تعالى عليه وسلم ختام مجلسه فكان اذا قام منه قال * سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت * فيجعل ذلك علامة لانصرافه عن العامة والذكر بالذال المعجمة اذا اطلق اريد به ذكر الله تعالى وان كان عاما وقال التلمسانى رحمه الله تعالى وقد تهمل داله قليلا فقيل انها لغة وقيل لغة ولا دليل لقائله فى نحو هل من مدكر فانه مغالطة (ولا يوطن) بضم المثناة التحتية وسكون الواو وكسر الطاء مشددة ومخففة وفتحها مشددة كما فى بعض الشروح وفى بعضها انه بالكسر من اوطنه ووطنه اذا اتخذه

(٢) عما نسخه

(٣) لا يجلس ولا يقوم نسخه

(وطنا)

وطنا (الاماكن) جمع امكن او امكنة جمع مكان فهو جمع الجمع في ميمه خلاف هل هي اصلية او زائدة (وينهى عن ايطانها) اى اتخاذها وطنا والمراد ملازمة محل بخصوصه في غير بيته مما ليس بملك كالمسجد وغيره من الاماكن المباحة لان لكل احد حقا فيه والنهي الوارد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انما هو في حق المسجد بان يتخذ مصلى معينا منه ولذا نص الفقهاء على كراهة ارسال السجادة للجامع وفرشها فيه وفي الحديث نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يوطن الرجل المكان بالمسجد قيل وهو عام مخصوص بما لم يتضمن مصلحة كمن الف مكانا للافتاء والتدريس فله ايطانه واقامة غيره منه اذا كان من لا يعرفه يأتي لاستفتائه فيعرفه في مكانه وقوله ايطانها يؤيد ان يوطن مخفف ولا يعينه كما قيل لانه يجوز ان يذكر فعل من باب ويذكر له مصدر او اسم فاعل او مفعول واسم مكان وغيره من باب آخر نحو تبتل اليه تبتيلا وقوله

وداع دعا يا من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

ويجوز في نحو اجراه مجراه ضم الميم وفتحها وقد تكون المغايرة ابلغ واكثر معنى وهذا مما ينبغي التنبيه له (واذا انتهى) مشيه قاصدا (الى القوم ٢) الذين يريد الجلوس معهم (جلس حيث ينتهي به المجلس) اى في اى مكان حال منه من غير تصدر على اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وينتهي من النهاية لانه نهاية محل الجالسين فيه (ويأمر) اصحابه (بذلك) تشريعا وتأديبا فعلم ان تحرى الصدر مكروه شرعا لما فيه من الكبر والترفع على اصحابه لاسيما اذا لم تطب انفسهم بذلك فيتأذون به فانه قد يحرم كما يفعله علماء السوء في زماننا (ويعطي كل) احد من (جلسائه نصيبه) اى ما يستحقه من ملاطفته ومحاورته سؤاله وبشره صلى الله تعالى عليه وسلم له (حتى لا يحسب) اى يظن (جليسه ان احدا اكرم عليه منه) اى يظن انه اكرم الناس واحلهم عنده لما يرى من لطفه به فهو كقولهم ليس في البلد اعلم منه كما مر تحقيقه فهو غاية لذلك الاعطاء (من جالسه او قاومه في حاجة ٣) اى من حادثة او قام مع قيامه لعرض حاجته او لغير ذلك فهي مفاعلة من الجلوس والقيام (صابره) اى صبر عليه او صبر مقدار صبره فلا ينصرف عنه حتى ينصرف هو كل ذلك لاشتمالهم وتطييب قلوبهم فلا يمل حتى يملوا (حتى يكون هو المنصرف عنه) والحصر بتعريف الطرفين في محرهما (من سأله حاجة لم يرده الا بها) اى رده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقضى الحاجة غير خائب (او بميسور من القول) اى اورده بقول لين سهل لا غلظة فيه كوعده وقد تقدم بيانه (قد وسع الناس) بالنصب مفعول وسع (بسطه وخلقه) باضافته لضميره ورفعه على الفاعلية اى عمهم بسطه اى بسط يده صلى الله تعالى عليه وسلم وسماحته اى بشره وطلاقة وجهه وابداء سروره وحسن خلقه فشبهه بمكان متسع رحب واثبت له السعة والبسط بهذا المعنى مسموع وليس

(٢) الى قوم نسخه

(٣) لحاجة نسخه

لغةمولدة كمايتوهم كماذكره المصنف رحمه الله فى المشارق وتقدم فى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فاطمة منى يبسطنى مايبسطها (فصار لهم ابا) اى بمنزلة الاب فى البر والصلة وقصد الخير وفيه دليل على انه يجوز ان يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم ابو المؤمنين كما يقال لزوجاته رضى الله عنهن امهات المؤمنين ولاينافيه قوله تعالى (ماكان محمد ابا احد من رجالكم) لان نفى الحقيقة لاينافى المجاز كما سيأتى (وصاروا عنده فى الحق متقاربين) اى يقرب بعضهم من بعض اذا كانوا على الحق او فى اداء حقوقهم اى فى اصل الحق فلاينافيه قوله (متفاضلين فيه بالتقوى) اى بحسب مراتبهم فى تقوى الله لقوله تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقيكم) وقال صلى الله تعالى عليه وسلم (انزلوا الناس منازلهم) وسيأتى فى الرواية الاخرى وصاروا فى الحق سواء فلاينافيه هذه الرواية ولان بينهم تفاوتا تاما وفى الحديث لايزال الناس بخير ماتفاضلوا فان تساووا اهلكوا وصاروا كاسنان المشط ليس فيهم فضلاء او تنافسوا فى الفضائل فانكروا فضل بعضهم على بعض

وماعبر الانسان عن فضل نفسه * كمثل اعتراف الفضل فى كل فاضل

(وفى الرواية الاخرى صاروا عنده فى الحق سواء) كما بيناه (مجلسه مجلس حلم وحياء) اى يظهر فيه حلمه عليهم وحلمهم على غيرهم بحيث لايستفزهم الغضب وهم مطهرون للحياء لايرفعون رؤسهم واصواتهم ولايتكلمون مالايعنى قولا وفعلا قيل ولو قدم هذا وادرجه فى جواب السؤال عن مجلسه كان احسن * قلت مابالعهد من قدم (وصبر وامانة لاترفع فيه الاصوات) احتراما له صلى الله تعالى عليه وسلم ولوقارهم وادبهم (ولاتؤبن فيه الحرم) كالكبر جمع حرمة وهى مالايحل والمراد النساء لحرمة النظر اليهن ونحوه اى لاتذكرن بسوء من ابنته فابنته اذا ذكرته بما يكره مأخوذ من الابنة والابن وهى عقد فى القسى تعاب بها اى لاتذكر فيه النساء لانه رفث من القول او لايذكر فيه مايحرم كالغيبة وسيأتى تفسيره (ولاتنثى فلتاته) بتاء مثناة فوقية مضمومة ونون ومثلثة مقصورة من النثاء وهو ذكر القبيح ضد الثناء بتقديم المثلثة وهذا هو الموافق لما سيأتى وروى ولاينثى بتقديم المثلثة على النون اى لاتعاد والفلتات بفتحات جمع فلتة بفتح فسكون ويجوز تسكين لام فلتات ويجوز ضم فاء فلتة كما قاله التلمسانى وهى الزلة اى القبيح الذى يقع بغتة والمراد انه لافلتة فيه حتى يذكر فى مجلس آخر فيعاد ذكرها فنفى الشىء بذكر لازمه لانها لو وقعت ذكرت كقوله

* ولاترى الضب بها ينجحر * (وهذه الكلمة) اى قوله لاتنثى فلتاته (من غير الروايتين) رواية الحسن عن خاله ورواية الحسين عن ابيه ويجوز ان يراد ظاهره اى ان الفلتة اذا وقعت لاتذكر بل تستر (يتعاطفون بالتقوى) اى يعطف بعضهم على بعض ويشفق عليه ويرحمه بسبب تقوى الله لالرياء ولالسمعة ولالخوفا

(واتقاء)

واتقاء شر فالباء سببية كقوله تعالى ﴿رحماء بينهم﴾ (متواضعين) اى يتواضع بعضهم لبعض لايتكبر احد على احد فيخدمه ويخفض جناحه له (يوقرون فيه) اى فى المجلس (الكبير) سنا (ويرحمون الصغير) شفقة عليه ورأفة وهو مفتوح الصاد ويكسر فى لغة ردية (ويرفدون) بفتح المثناة التحتية وضمها اى يعينون ويواسون يقال رفده يرفده بالكسر وارفده بمعنى (ذا الحاجة) اى كل من كانت له حاجة ومسألة لهم اوله صلى الله تعالى عليه وسلم اعانوه بقضائها او بابلاغها او الشفاعة ويجوز ان يراد به الفقير المحتاج (ويرحمون الغريب) اى يشفقون عليه ويعطفون تأنيسا له وازالة لوحشة غربته قال الحسين (فسألته عن سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى جلسائه فقال كان صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر) اى طلاقة الوجه وبشاشته واظهار السرور فى مجالسه العامة وهذا لاينافى مامر من قوله دائم الاحزان كما مر فتذكره (سهل الخلق) اى خلقه وسجيته السهولة وعدم الشدة فى اقواله وافعاله وقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملة السمحة السهلة (لين الجانب) بتشديد الياء وسكونها اى لاغلظة فيه ولا جفاء متذللا متواضعا (ليس بفظ) اى سيء الخلق (ولا غليظ) اى شديد متوعد لاحد ممسك عنه لطفه ورفده (ولا صخاب) بالصاد والسين اى لايرفع صوته جدا فى خصومة ونحوها (ولا فحاش) اى لايتكلم بقبيح كالشتم (ولا عياب) اى ذاكرا لعيوب الناس ونقائصهم (ولا مداح) اى لايكثر المدح لغيره ويطريه بمبالغة فوق مافيه وان كان يذكر الحسن والقبيح بما فيه كما مر وذكر هذه بصيغة المبالغة اشارة الى انه قد يصدر قليلها احيانا منه صلى الله تعالى عليه وسلم لمقتضى الحال ومثله لايعاب والمدح انما يذم اذا كان زيادة عن حده لانه كذب ومداهنة واما مدح من يستحق المدح بما فيه اذا لم يلزمه محذور فامر حسن الاترى الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿لو وزن ايمان ابى بكر بايمان العالم لرجح﴾ وقوله لعمر رضى الله عنه ﴿لو لم ابعث لبعثت انت ياعمر﴾ فاى مدح يزيد على هذا لكنه صدق ناش عن بصيرة ولايورثهم ذلك اعجابا ولافتورا ومامن شيء الا وهو ممدوح من وجه مذموم من آخر (يتغافل عما لايشتهى) اى يتغافل عن ماليس بمنكر شرعا لكنه غير مستحسن عادة او طبعا اذ لو كان منكرا شرعا نهى عنه ولم يقر عليه وهذا من مكارم الاخلاق كما قال ابو نواس(٢)

ليس الغبي بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابى

(ولا يؤيس منه) قال فى المقتفى يؤيس بضم اوله وسكون الواو وهمزة مكسورة وهى ترسم ياء ويجوز فتحها على انه مبنى للفاعل او المفعول وهو من اليأس ضد الرجاء يعنى اذا سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما لايليق تغافل عنه ولم يرد السائل حتى ييأس اويحس له انه سأل مالايليق فيخجل سائله (وقد ترك نفسه من ثلاث) اى نزهها عنه ومنعها وقيل فيه قلب اى ترك الثلاث من نفسه (الرياء والاكثار ومالا يعنيه) بفتح المثناة التحتية اى يهمه وهى بدل من ثلاث مبينة لها والرياء اظهار

(٢) ابو فراس نسخه

مافيه من الصفات الحميدة والافعال الجميلة للناس حتى يحمدبها ويشيع وهو الشرك الاصغر وهو صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عنه بلاشبهة ، فان قلت كونه غير ثابت له امر ظاهر الانتفاء عنه فما الحاجة لذكره * قلت كانه ذكر هذه الجملة الحالية لبيان وجه تغافله عما لايحبه من غير ان يقنط راجيه يعني انه لم يقل انا لا احب هذا فلذا لم احبك عنه حتى يتوهم انه سيفعله لما فيه من الرياء ولذا قال (وترك الناس من ثلاث) اى ابعدهم عنها اوترك ذكر الناس ونحوه من اجل ثلاث تضمنها قوله (كان لايذم احدا) من الناس يستحق الذم كالمنافقين لعنهم الله (ولا يعيره) بعين مهملة يقال عيره كذا اوبكذا اى ذكر ما فيه بما هو عار عليه وعيب فيه قد سلف منه فالفرق بينه وبين ماقبله انه اخص منه وليس عينه حتى لاتكون امور الناس المتروكة اربعة كما ذكره التلمساني رحمه الله تعالى (ولا يطلب عورته) اى لايتجسس عن معايب الناس ويبحث عنها كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل مع المؤلفة قلوبهم واصل العورة الخلل ومايجب ستره كما في حديث ابي داود يامعشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لاتؤذوا المسلمين ولاتعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته وهذا كما قيل في المثل كل من عير ابتلي وهذا اذا لم يلزم اظهاره شرعا كالمتجاهر بفسقه ونفاقه وقوله (ولا يتكلم الافيما يرجو ثوابه) صفة اخرى مرتبطة بماقبلها وليست من الثلاث وهذا كنصيحة الامة وارشادهم وتعليم الخير والتبليغ (اذا تكلم اطرق جلساؤه) اى خفضوا رؤسهم تأدبا وانصاتا (كانما على رؤسهم الطير) اى بسكون ووقار من غير طيش وخفة لان الطير لاتقع الا على ساكن وهذا مثل مشهور (واذا سكت تكلموا) فلايقطعون حديثه بحديثهم تأدبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم وتوجها لفهم مقاله لحرصهم على حفظه مراعاة لعظيم قدره (لايتنازعون عنده الحديث) اى اذا كانوا في مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم لايديرون الحديث بينهم فيتحدث بعضهم بعضا كما هو جار بين الناس اذا اجتمعوا في ناد وهذا بيان لقوله تكلموا اوان المراد يتكلمون مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسؤالهم له ونحوه من مهماتهم لانهم يريدون الحديث بينهم وهذا هو معنى تنازع الحديث في كلامهم ومن فسره بالتخاصم لاغتراره بظاهر التنازع لم يصب لعدم مناسبته للمقام ولايخفى انه لامعنى لقولك تخاصموا الحديث الابتأويل اى تخاصموا في الحديث وهو ركيك قال امرىء القيس

فلما تنازعنا الحديث واسمحت * هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

قال ابن السيد في شرح ادب الكاتب تنازعنا الحديث اى تداولناه فحدثتني مرة وحدثتها اخرى وههنا بحث وهو ان سيبويه قال في كتابه لاتقول تفاعلت الا وانت تريد فعل اثنين فصاعدا ولايجوز ان يتعدى لمفعول بنفسه وفي تفاعلنا تلفظ بالعين الذي في فاعلته كتضاربنا وتقاتلنا وقد يجىء تفاعلت

على غير هذا كتقاضيته انتهى فلم يجز تعدى تفاعل لمفعول الا اذا كان لواحد لان تفاعل قد تضمن الفاعل والمفعول الذى كان فى فاعل الاشتراك تقول ضاربنى زيد فتأتى بفاعل ومفعول فاذا قلت تضاربنا لايتعدى لاشتماله على فاعل ومفعول ليس لنا غيره وليس تنازعنا كذلك لان نازع يتعدى لمفعولين تقول نازعته الحديث فاذا قلت تنازعنا لم يكن بد من ذكر المفعول الثانى لان تنازع لم يتضمنه كذا قاله ابن السيد فى المقتضب شرح ادب الكاتب * اقول فى كلام سيبويه حينئذ قصور لانه كان عليه ان يقول ان باب تفاعل بمعناه الاصلى ينقص عن فاعل مفعولا فان كان متعديا لواحد كان لازما وان كان متعديا لاثنين تعدى كما ذكره بعض النحاة فاطلاقه لاينبغى وقد نقل ابن السيد هذا فى محل آخر عن الكوفيين فقال قال ثعلب يقال فلان متعهد ضيعته ولا يقال متعاهدها قال ابن درستويه انما انكرها لانها على وزن يتفاعل وهو عند اصحابه لايكون الامن اثنين ولا يكون عندهم متعديا لمفعول مثل تقاتلا وتعاملا وهو غلط لان تفاعل قد يكون لواحد ويكون متعديا كقول امرئ القيس

تجاوزت احراسا واهوال معشر * على حراص لو يسرون مقتلى

وجاء تفاعل متعديا لاثنين كقوله فلما تنازعنا الحديث الخ قال الخليل التعاهد والتعهد الاحتفاظ بالشيء واحداث العهد به وقول سيبويه السابق يشبه قول الكوفيين انتهى والتنازع هنا كالتجاذب مجاز بديع كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن قرأ خلفه مالى انازع القرآن (من تكلم عنده) اى فى مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم من الصحابة اوغيرهم (انصتوا له حتى يفرغ) من حديثه وفى بعض النسخ (من كلامه) وانصت يكون لازما بمعنى سكت ومتعديا يقال انصته اذا اسكته (حديثهم حديث اولهم) مبتدأ وخبر او حديثهم فاعل يتفرغ لجمع الضمير وهو من رعايته للمعنى وحديث اولهم بدل منه اى لايقطع كلام من تقدم بكلام آخر ولايخاصم فهذا فى معنى لايتنازعون وهو مرتبط بماقبله فان كان مبتدأ بدليل رواية من كلامه فهو تشبيه اى حديث كل واحد منهم انما هو حديث من قبله يعنى انه لاحديث له معه يقطعه كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم زكوة الجنين زكوة امه وقد خفى هذا على بعض الشراح فعلقوه بانصتوا (يضحك) صلى الله تعالى عليه وسلم (مما يضحكون منه) اى الصحابة رضى الله عنهم (ويتعجب مما يتعجبون) وفى نسخة ويتعجب ممايتعجبون لانه من حسن الصحبة ان يسرك مايسره ويرضيك مايرضيه وهم على نهج واحد وطبائعهم سليمة فلايضحكون ويتعجبون من غير مقتض فلايقال انه يلزم من ضحك احد وتعجبه فعل غيره مثله لانه امر طبيعى وهذا فى احيان قليلة فلاينافى قوله السابق كأنما على رؤسهم الطير (ويصبر للغريب على الجفوة) اى الغلظة وتكلمه بما يؤلم (فى المنطق) اى فى تكلمه مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتحليف الاعرابى له صلى الله عليه وسلم

وقوله له آلله ارسلك بهذا وانما قيد بالغريب لانه معذور لانه لايعرف احواله وهذا من مكارمه ومعاملة كل احد بما يليق به حتى ان كان اصحابه ليستجلبونهم (ويقول) صلى الله عليه وسلم لاصحابه (اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه) بوصل الهمزة وقطعها من رفده وارفده اذا اعانه او اعطاه لان الرفد العطية والارفاد الاعانة وكل منهما قابل هنا (ولا يطلب الثناء) بمعنى يقبله كما ورد فى رواية فهو مجاز مرسل او استعارة والثناء الذكر الحسن الجميل والمدح (الا من مكافئ) بالهمزة اختلف فى تفسيره اى ممن اثنى جزاء على نعمه واحسانه تقدم له منه وقد صرح به فى بعض الروايات بقوله عن يد ولا يرد عليه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة عامة مامن احد الا وله عنده يد فالصواب تفسيره بمسلم اى غير متجاوز فى المدح مطر لان القرينة قائمة على ان المراد نعمة حادثة خاصة (ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه) اى يجمعه يقال تجوز فى الصلوة اذا اسرع وخفف (فيقطعه بانتهاء) اى اتمام لحديثه وبه يقطع الكلام (او قيام) من المجلس لانه انقطع كلامه فمضى لشأنه (هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع) السابق ذكره (وزاد الآخر) اى صاحب الرواية الاخرى (قلت) القائل احد السبطين رضى الله تعالى عنهما كما مر (كيف كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر) لما كان الحلم والحذر من جميع الناس معلوما وقد تقدم لم يفسره وقال (فاما تقديره) اى لم يسطر مقداره اذا صدر منه او من غيره ممن يقتدى به (ففى تسوية النظر) فى الامور ومايترتب عليها من المنافع الدنيوية والاخروية (والاستمتاع) اى استمتاع الناس به صلى الله تعالى عليه وسلم او بامورهم فيما بينهم ومعنى الاستمتاع الانتفاع وقوله (بين الناس) متعلق بالتسوية وهى جعلهم متساوون وليس المراد تساويهم حقيقة بل ان يكون لكل احد مقدار يليق به (واما تفكره ففيما يبقى ويفنى) اى فى امور الدنيا الفانية والآخرة الباقية المخلدة * فان قلت كيف يعلم هذا وهو امر مضمر فى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يطلع عليه الا الله * قلت هذا طريق الاستدلال العقلى والفراسة الصادقة الشاهد لها مايظهر من آثاره ويتعلق به اذا تكلم فان الظاهر عنوان الباطل (وجمع) بالبناء للمفعول اى جمع الله (له) وكذا ماسيأتى بعده (الحلم) باللام اى جمع له سائر جزئيات الحلم المختص كل حليم ببعض منه وفى بعض النسخ الحكم بالكاف وله وجه (فى الصبر) اى مع الصبر على امور الناس والامة فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع حلمه صابرا لا يضجر ولا يقلق كما اشار اليه بقوله (فكان لا يغضبه شئ) مما يتعلق به فى نفسه وان كان قد يغضب لله (ولا يستفزه ٢) بكسر الفاء وتشديد الزاى المعجمة اى يستخفه بحيث يبدو منه خفة وقلق لامور الدنيا والاعداء (وجمع له فى الحذر) اى فى حال حذره واحتراسه من الناس او مع ذلك

(٢) وفى بعض النسخ (يستعره) فيكون حينئذ صفة لشئ قبله ويكون له وجه قاله مصححه (احمد طاهر)

(اربع) نائب الفاعل (آخذه بالحسن) وفى بعض النسخ ترك قوله اربع وهو مرفوع نائب الفاعل اومنصوب معمول لآخذ له اى تمسكه بكل امر مستحسن مشروع (ليقتدى به) و يتبعه الناس (وتركه القبيح) شرعا و خلاف الاولى (لينتهى عنه) علة للترك اى لينتهى الناس عنه (واجتهاد الرأى) اى اجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يراه رأيا (بما اصلح امته) اى فيما يصلحهم او بسببه (والقيام لهم) اى الامة (بما جمع لهم امر الدنيا والآخرة ٢) فى المعاش والمعاد ومعنى القيام التعهد والالتزام والاجتهاد بذل ما فى وسعه وطاقته من اصلاحهم اوهو بمعناه المصطلح بناء على جواز اجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اختلاف مذكور فى كتب الاصول قال الابى فى شرح مسلم نقلا عن المصنف لاخلاف انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجتهد فى امور الدنيا ويرجع الى رأى غيره فى ذلك كما فعل فى تلقيح النخل واختلف فى انه صلى الله تعالى عليه وسلم هل له ان يجتهد فى الشرعيات وهل هو معصوم فى اجتهاده ام لا والصواب انه له ذلك وانه معصوم وتفصيله فى اصول الفقه فلا حاجة للتطويل به ﴿ فصل فى تفسير غريب هذا الحديث ومشكله ﴾ المراد بالغريب ما لم يكن استعماله مشهورا بين العرب بحيث يخفى على غير العرب العرباء الا ان لايكون جاريا على قوانين اللغة كما قيل والمشكل ما لم يكن واضح الدلالة بحيث يحتاج للتأويل (٣ المشذب) بضم الميم وفتح الشين وتشديد الذال المعجمتين المفتوحة والباء الموحدة (اى البائن) اى الظاهر احترازا عما فوق الربعة بقليل (الطول فى نحافة) هى قلة اللحم وضدها الضخامة وقيل الطويل مطلقا (وهو مثل قوله فى الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط) بضم الميم الاولى وفتح الثانية وتشديدها وكسر الغين المعجمة وطاء مهملة واصله منمغط فابدلت النون ميما وادغمت بمعنى الطويل من امغط النهار اذا امتد ويقال بالعين المهملة بمعناه كما فى النهاية وقال التلمسانى بالمعجمة والمهملة والميم الثانية مشددة او مخففة وهو الطول فى نحافة او الطول الذى ليس بفائق فليس بذم (والشعر الرجل) بفتح الراء المهملة وكسر الجيم من الترجيل وهو تسريح الشعر وتمشيطه والمرجل الذى سرح بمشط والرجل الذى بحاله خلقة كما فى الاكمال واليه اشار بقوله (الذى كأنه مشط) بالتخفيف والتشديد (فتكسر قليلا) التكسر التثنى كانه كسر (ليس بسبط) بفتح الباء وكسرها وهو المرسل الذى فيه تثن كما قاله ابن عبد البر (ولا جعد) بفتح فسكون اى كثير الشعر كشعر الزنج وقال المازرى شعر رجل ورجل ورجل بفتح وكسر وسكون وبكسر الراء ثلاث لغات بين السبوطة والجعودة وقيل الذى كانه مشط (والعقيقة) وهى كما تقدم فى الاصل الشعر الذى يولد به الطفل لانه يعق اى يقطع سريعا ومنه العقيقة للطعام الذى يصنع عنده والشاة التى تذبح له (شعر الرأس) واصله كما علمت شعر المولود ثم اطلق على غيره (اراد)

(٢) وفى سائر النسخ غير الشهاب وقع هنا « انتهى الوصف بحمد الله » قاله مصححه (احمد طاهر)

(٣) وفى نسخ المتن وبعض شروحه وقع هنا « قوله » ولعله هو الصواب لان المقام مقام الحكاية على ما لا يخفى قاله مصححه (احمد طاهر)

اى ابن ابى هالة فى وصفه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (ان انفرقت) اىها انفرقت (من ذات نفسها) وذات مقحمة تأكيدا لنفسها ان وقع تفرقها من غير صنع (فرقها) بالتخفيف اى تركها منفرقة غير ملتفة (ولا تركها معقوصة) اى ان لم تتفرق بنفسها والتفت واجتمعت تركها على حالها والعقص ضفر الشعر على الرأس وليه وقيل هو لى الخصلة من الشعر ثم عقصها ثم ارسالها وعقص شعره عقده فى قفاه (ويروى عقيصته) بدل عقيقته وهى الشعر المعقوص اى المضفور من العقص وهى اللى وادخال اطراف الشعر فى اصوله كما فى المقتفى والمشهور عقيقته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن يعقص شعره وقيل ان هذا كان فى صدر الاسلام لانه كان يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر به شىء وكانوا يسدلون شعورهم والمشركون يفرقون فسدل صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد وقال النووى المختار جوازها والفرق افضل (وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحيوة الدنيا اى زينتها) من ازهر السراج اذا نوره وممما قلته كما تقدم

من حرصك بالغناء كم تشتغل * والعمر مضى فما يفيد الامل
مازهرة هذه الحيوة الدنيا * للفرك نائل المنا تحتمل

(وهذا كما قال فى الحديث الآخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع) اى الخالص (البياض) والمهق شدة البياض من غير مخالطة حمرة وقيل مايقرب بياضه من الزرقة ويقال اهمق بتقديم الهاء ايضا وهو من القلب (والادم الاسمر اللون ومثله فى الحديث الآخر ابيض مشرب) بالتشديد على زنة اسم المفعول المزيد ويقال مشرب بالتخفيف والتشديد للتكثير والمبالغة والاشراب خلط لون بلون فكأنه شرب واكثر مايقال فى الحمرة (اى فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاسم الطويل قصبة الانف والقرن) بفتحتين (اتصال شعر الحاجبين وضده البلج) كما تقدم مافيه ولا حاجة لقول التلمسانى البلج صباحة الوجه فلاينافى مافى حديث ام معبد من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالقرن الذى اشار اليه بقوله (ووقع فى حديث ام معبد وصفه بالقرن) ورواية مثله عن ابى عبيدة فان المشهور خلافه ويؤيده ان العرب تكرهه (والادعج الشديد سواد الحدقة) فى الصحاح الدعج شدة سواد العين مع سعتها وكذا فى غيره (و) هو لاينافى قوله (فى الحديث الآخر اشكل العين واسجر العين) بسين مهملة وجيم (وهو الذى فى بياضها حمرة) اى اللون الذى فى بياض العين وحمرة بدل منه بناء على جواز ابدال النكرة من المعرفة او الذى صفة لمقدر وحمرة خبر آخر وهو ممدوح لانه فى البياض لا فى الحدقة وقيل الاشكل طويل شق العين كما فى المصابيح الا انه غلط فيه كما فى الفصل الثانى ومنهم من قال الدعج لعة (٢) زرقة

(٢) لعة سجة

فى بياض مستدلا بقوله

يارب ان العيون السود مدفتكت * فينا وصالت باسياف من الدعج

اذا السيوف زرق اى مخلوقة من الدعج كقولهم انت مما تفعل وخلق الانسان من عجل على قول وقيل لا تحة فيه لاحتمال انه من الدعج بصمتين على انه تجريد وهو جمع ادعج وتشبيهها بالسيوف فى فتكها لا فى لونها فانها يقال لها البيض كما يقال للرماح والزرق انما هى السهام قال امرىء القيس

اتقتلنى والمشرفى مضاجعى * ومسنونة زرق كانياب اغوال

(والصليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد فى اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا) الى آخره كما تقدم مافيه وماؤها صفاؤها كما يقال ماء الجمال والماء يستعار لمعان فصلها الثعالبى فى المضاف والمنسوب وقيل المراد بالماء ريق الفم والمراد بتحريزها بزائين معجمتين كون اطرافها دقيقة كالسرافات لها (ودقيق المسربة خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة بادن ذو لحم متماسك) اى لا سمين فانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن كذلك وهو ممدوح فهو (معتدل الخلق) فى المقتفى هو اشارة لدفع احتمال السمين وكذا قوله (يمسك بعضه بعضا مثل قوله فى الحديث الآخر لم يكن بالمطهم) اى فاحش السمن منتفخ الوجه (ولا بالمكلثم) اى ليس بمسترخى اللحم والمكلثم القصير الدقن وسواء البطن والصدر اى مستويهما ومشيح الصدر) بضم الميم والشين المعجمة كما مر (ان صحت هذه اللفظة) فى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم (فيكون من الاقبال) فى صدره (وهو احد معانى اشاح) اى انه كان بادى الصدر و)المراد به انه (لم يكن فى صدره قعس) بفتحتين وعين وسين مهملتين بعد قاف (وهو تطامن فيه) اى فى الصدر قيل ان هذا مخالف لقول الجوهرى القعس خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدب لان التطامن الانخفاض كقول ابن مالك رحمه الله تعالى فى نظم الكفاية

والميل من ارنبة الانف خنس * وعرض انف مع تطامن فطس

وفى الروض الانف الحدب انحناء فى الظهر وقد يكون مستعملا فى معنى المحاجمة اذا قرن بالقعس كقوله

فان حدبوا فاقعس وان هم تقاعسوا * لينتزعوا ماخلف ظهرك فاحدب

قلت وكذا فسره الشراح والظاهر ان مراده عدم الارتفاع بقرينة انه ورد انه مستوى البطن والصدر وقد صرح به المصنف فى قوله (وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اى ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن) واعجب منه بعد هذا كيف يعترض عليه وكيف يصح تفسيره بغير ما ذكر ومفاض بضم الميم وفتح الفاء وآخره صاد معجمة ضخم البطن وقيل مسترخى اللحم وقيل عظيم البطن اوعظيمها مسترخى اللحم (ولعل هذه اللفظة مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع

فى الرواية الاخرى و حكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله فى الحديث الآخر جليل المشاش والكتد) جليل بفتح الجيم بمعنى عظيم (والمشاش) بضم الميم وشينين معجمتين واحده مشاشة وهى رؤس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين وفى الصحاح (رؤس المناكب) اى العظام اللينة التى يمكن مضغها ويقال تمشمشها (والكتد) بفتح الكاف وكسر المثناة الفوقية ويجوز فتحها فسره المصنف بانه (مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الدراعين وسائل الاطراف اى طويل الاصابع) وسائل مرالكلام عليه مفصلا (وذكر ابن الانبارى) محمد بن قاسم بن بشار العوى ... الهمزة قرية قريبة من الفرات وليه انبارى ... راو للحديث ... والانبار معربة ... (انه روى سائل الاطراف ... بمعنى واحد تبدل اللام من النون ... على الرواية الاخرى وسائر الاطراف اشارة الى ... والسلام (كما وقعت مفصلة فى الاحاديث ... (٢) ... قوله (خمصان الاخمصين) ... (اى معتدل ... القدم وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم) موضع السين والكثير سكونها وضابطه ... كالناس والدواب فالسكون وقد تفتح او فى متصلها كالدار والراس ... وقال الجوهرى وغيره والاول طرف والثانى اسم ... يدوى ... فى امثال هذا الكلام اسم المصدر خصوصه ... انه ليس طرفا ... (ومسيح القدمين اى ... (١) ... رضى الله تعالى عنه (... لا يمس الارض ... اخمص وهذا يوافق معنى قوله ... اى لم يكن له اخمص وقيل مسيح ... القدمين) اذا غمر ملحمهما واما اذا قصر ... ابو عبيدة ان شئهما ... وهو سائل الاطراف يشير الى ... رد لمن زعم انه عيب (٤) ... وقصده والعون ... صلى الله تعالى عليه وسلم كان ... سمته وكل ذلك ... قوله) فى صفته عليه الصلاة والسلام (... (٧) ...

(٢) كنى به نسخه

(٣) ولهذا نسخه

(٤) فقد تقدم انه محمود فى الرجال دون النساء نسخه

(٦) بالخاء المعجمة وسكون الطاء المهملة وفسره بقوله آه نسخه من الشهاب

(٧) تمادح نسخه

بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على
العامة أي جعل من جزء نفسه مايوصل الخاصة اليه فيوصل عنه للعامة وقيل يجعل
منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة و) قوله (يدخلون روادا اى محتاجين اليه وطالبين
لما عنده و) قوله (لا ينصرفون الا عن ذواق) مر ضبطه (قيل عن علم يتعلمونه)
منه عليه الصلوة والسلام (ويشبه ان يكون على ظاهره اى في الغالب والاكثر
والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اى
لا يتخذ للصلوة (٢) موضعا معلوما وقد ورد نهيه) صلى الله عليه وسلم (عن هذا مفسرا (٢) لمصلاه نسخه
في غير هذا الحديث وصابره اى حبس نفسه) الشريفة (على ما يريد صاحبه و)
قوله (لا تؤبن فيه الحرم) مر ضبطه وفسره هنا بقوله (اى لا يذكرن بسوء و)
قوله (لا تثنى فلتاته) تقدم ضبطه وفسره هنا بقوله (اى لا يتحدث بها اى لم يكن
فيه فلتة وان كانت من احد سترت و) قوله (يرفدون) ذا الحاجة (يعينون
والسخاب الكثير الصياح و قوله ولا يقبل الثناء الامن مكافئ قيل مقصد في ثنائه
ومدحه وقيل الامن مسلم وقيل الامن مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له)
اى نعم واليد تطلق على الجارحة وعلى النعم لانها بمنزلة الآلة الفاعلية لها
لصدورها عنها الا انه خولف بينهما في الجمع فقيل في الجارحة ايد وفي النعمة ايادي ويدي
بضم المثناة التحتية وكسر الدال المهملة وتشديد الياء كقوله * فان له عندي يديا وانعما *
والاصح انها في الجمع سواء كما اثبته اهل اللغة بشواهده فلا حاجة للاطالة بذكره
(ويستفره يستخفه وفي حديث آخر في وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم منهوس)
بسين مهملة ومعجمة (العقب اى قليل لحمها) اى قليل لحم العقب وقيل بالمعجمة
معناه ناتئ العقبين معروقهما قاله ابن قرقول برمته واول هذين التفسيرين
يوافق كلام المصنف والمراد جنس العقب لا عقب واحد كما تقدم مثله وثانيهما
يخالفه لانه اعتبر فيه التوسع قلة اللحم لانه معنى المعروق قليل اللحم كما في الصحاح
(واهدب) بدال مهملة (الاشفار) بشين معجمة وفاء وراء مهملة وهي حروف
الاجفان التي ينبت عليها الشعر المسمى بالهدب واحدها شفر بضم فسكون
كهدب ويكون مطلق الطرف (اى طويل شعرها) انتهى التفسير والحمد لله
رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين وسلم تسليما كثيرا
﴿ الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ﴾ المراد ما رواه الثقات بسند
متصل وسلم من العلة القادحة وقد يطلق على مايشمل الحسن كما فصل
في مصطلح الحديث والخبر تقدم انه يراد بالحديث وقد يراد به معناه الاعم الشامل له
ولغيره وعلى هذا فالصحيح بمعناه اللغوي وما ثبتت صدقه فقوله (ومشهورها) ليس
من عطف الخاص على العام ومن قال كأنه اراد به قسما من وهو ما اشتهر بين
المحدثين اوارجع الضمير لصحيح الاخبار وانه رعاية لمعناه لا كما تسنى به التأنيث

من المضاف اليه فلاوجه لتخطئته فيه (بعظيم قدره عند ربه) متعلق بورد والباء للتعدية اوالالصاق (ومنزلته) عطف تفسير والقدر والمنزلة والمرتبة والرتبة بمعنى الشرف (وماخصه به في الدارين) الدنيا والآخرة غلب اطلاقه عليهما (من كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لما وكرامته وجلالته وعزته وضمير خصه له اولما وكذابه والباء داخلة على المقصور اوالمقصور عليه وكل منهما جائز بلاخلاف انما اختلافهم في اصله وحقيقته (لاخلاف) اى لاحد من المسلمين بل العقلاء لانعقاد الاجماع عليه ولايعتد بمازعمه بعض اهل الكتاب (انه اكرم البشر) والنوع الانساني وتقديره في انه وحذف الجار في مثله مقيس مطرد (وسيد ولد آدم) السيد من ساد غيره اى فاقه في الشرف والكمال وفي اطلاق السيد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الله وعلى غيره اقوال قال البيهقي في كتاب الاسماء والصفات السيد اسم لله تعالى لم يرد في القرآن وورد في الحديث فمن مطرف انطلقت في وفد بني عامر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلنا انت سيدنا فقال السيد هو الله قلنا وافضلنا فضلا واعظمنا طولا فقال قولوا بقولكم او ببعض قولكم ولايستجرنكم الشيطان * قال الحليمي ومعناه المحتاج اليه بالاطلاق الله فان سيد الناس انما هو رأسهم الذي يرجعون اليه وبامره يعملون وعن رأيه يصدرون ومن قوته يستمدون الى آخره فهذا دليل على اطلاقه على الله ودليل اطلاقه على غيره سواء كان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما في هذا الحديث او غيره كقوله تعالى ﴿ والفيا سيدها لدا الباب ﴾ فهذا يدل على اطلاقه على الله وعلى غيره مطلقا وهو القول الاصح وحكى عن مالك امتناع اطلاقه على الله تعالى ويطلق على غيره وهو القول الثاني والثالث انه لايطلق الا على الله لحديث السيد الله بالحصر والرابع انه اذا عرف بالالف واللام اختص بالله كما ذكره الدماميني في اول شرح التسهيل وهو انه اذا اطلق على الله فمعناه المحتاج اليه في جميع الامور واذا اطلق على غيره فمعناه الرئيس الذي يتبعه قومه كما فصلناه في شرح اسماء الله الحسنى وقد ورد في الحديث النهي عن تسميته سيدا وهو اما تواضع منه صلى الله تعالى عليه وسلم اوالمراد نهيه عن سيادة دنيوية فلامنافاة بينه وبين هذا واما في الصلوة فاختلف في الافضل فيها هل هو صلى الله على سيدنا محمد اوعلى محمد ولابن حجر كلام فيه في الفتاوى سيأتي في محله والولد يطلق على الواحد الذكر وغيره والمراد سيد آدم وولده ولداعمه بقوله (وافضل الناس منزلة عند الله) واذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم افضل الناس علم انه افضل الثقلين ولاحاجة الى ان يقال ان الناس يطلق على مايشمل الجن وان ذهب اليه بعض اللغويين في قوله تعالى ﴿ قل اعوذ برب الناس ﴾ وقالوا قوله تعالى ﴿ من الجنة

(والناس)

والناس) بيان له والعرب تقول ناس من الجن وذهب السبكي في فتاويه الى انه يطلق على مايقابل الجن وعلى مايشملهما وانه على الاول اصله اناس من الانس وعلى الثاني من نوس فالناس الاول غير الثاني وهو كلام حسن (واعلاهم درجة) الدرجة واحدة الدرج وهي مواطئ السلم لما يعلو وذكره بعد المنزلة فيه لطف لان علو المراقي يقتضي زيادة علو المنازل (واقربهم زلفى) اى قربى وهو كد جده وقيل هو اسم اقيم مقام المصدر المؤكد فهو في معنى اقربهم تقريبا وليس تمييزا كمنزلة ودرجة (واعلم ان الاحاديث) جمع حديث على خلاف القياس قيل ولايناسب ان يكون جمع احدوثة لانها تختص بالمضحكات والشر ورد بانها تستعمل في الخير ايضا كقوله

من الخفرات البيض ودجليسها ❊ اذا ما انقضت احدوثة اوتعيدها

وقول القاضي في سورة المؤمنين في قوله تعالى ﴿ وجعلناهم احاديث ﴾ ان احاديث اسم جمع للحديث وقد شرطوا فيه ان لايكون على وزن مختص بالجمع او يغلب فيه وصيغة منتهى الجموع لاتوجد في المفردات يدفع بما في الكشف من ان اسم الجمع يطلق بمعنى آخر وهو ماكان على خلاف القياس كما يقال في ليال انه اسم جمع وقد علمت ان الحديث مايضاف للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم من اقواله وافعاله وتقريراته وصفاته وسائر احواله في منامه ويقظته (الواردة في ذلك) اى في عظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم (كثيرة جدا) بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة وهو معمول مطلق محذوف عامله وجوبا لجريه مجرى الامثال وهو مؤكد لما قبله اى متناه في الكثرة واصله من الجد بمعنى الاجتهاد لان المراد انه اجتهد في كثرته وبولغ فيها (وقد اقتصرنا منها) اى من تلك الاحاديث الكثيرة (على صحيحها) الصالح للاعتماد عليه والاحتجاج به (ومنتشرها) اى مشهورها (وحصرنا) من حصر الكل في اجزائه لا الكلي في جزئياته (معاني ماورد منها في اثنى عشر فصلا) فيه مسامحة لان الفصول اسم الالفاظ وهي مغايرة المعاني فتحتاج لتقدير مضاف في الاول اوالثاني ﴿ الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه ﴾ المكانة كالمنزلة علو قدره ويجوز ان يكون من التمكن وهو الثبوت كما يقال له مكنة وتمكن من السلطان اى قرب (والاصطفاء ٢) اى اختياره صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره وتقديمه (والتفضيل وسيادة ولد آدم) كامر (وماخصه به في الدنيا من مزايا الرتب) جمع مزية بزنة عطية وهي الفضيلة التي تقدمه على غيره وفي شرح المفتاح انه لافعل له ويخالفه مافي الاساس من انه يقال تمزيت عليه كامر وفسرها الشريشي بالتمام والكمال (وبركة اسمه الطيب) اى كونه يتبرك باسمه المشهور وهو احمد ومحمد والطيب صفة لابدل لان الطيب ليس من اسمائه المشهورة وهذا اشارة لما ورد في الحديث (كل امر لايبدأ فيه بحمد الله والصلوة علي فهو ابتر) اى ممحوق البركة

(٢)وقع في بعض النسخ هنا ٥ ورفعة الذكر ٥ فيه مصححه احمد طاهر

ذكره السخاوى فى شرح الفية الحديث وقال هو وان كان ضعيفا لكنه يذكر فى الفضائل (اخبرنا الشيخ ابو محمد عبدالله بن احمد العدل) لقب به وهو امام حافظ تميمى توفى سنة احدى وخمسمائة (اذنا بلفظه) اراد بالاذن الاجازة بروايته عنه وقال بلفظه لانه لم يكن من كتابه وهو يقرؤ كما هو وهذا جائز قال (حدثنا ابو الحسين الفرغانى) بالفاء والراء المهملة والغين المعجمة نسبة لفرغانة بلدة بماوراء النهر وهو الامام على بن عبدالله المقرئ ووقع فى بعض النسخ الحسن والاصح الاول قال (حدثتنا ام القاسم بنت ابى بكر بن يعقوب عن ابيها) قال (حدثنا حاتم وهو ابن عقيل) بفتح العين وكسر القاف وهو ابن المهتدى ابن المرارى اللؤلؤى المشهور (عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الحمانى) بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم والف ونون وياء نسبة وهو يحيى بن عبد الحميد بن عبدالرحمن بن ميمون ابو زكريا الكوفى وهو ثقة وضعفه بعضهم وقال انه كذاب وله ترجمة فى الميزان قال (حدثنا قيس) بن الربيع ابو محمد الكوفى احتاموا فيه ايضا فقيل ثقة وقيل ضعيف واخرج له اصحاب السنن توفى سنة خمس او سبع او ثمان وستين ومائة وترجمته فى الميزان (عن الاعمش) سليمان بن مهران تقدمت ترجمته (عن عباية بن الربعى) بفتح العين وآخره ياء ويقال عباءة بالهمزة علم منقول من اسم الكساء والربعى بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة وعين مهملة وياء نسبة هو من غلاة الشيعة وله ترجمة فى الميزان (عن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما وهذا الحديث رواه الطبرانى وابن ابى فى الدلائل (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين) قيل هذه قسمة تقديرية فى علم الله تعالى وقيل حقيقية كما يدل قوله (فجعلنى من خيرهم قسما) منصوب على التمييز اى من القسم الذى هو خير يعنى اصحاب اليمين المشار اليهم فى قوله (فذلك) التقسيم بما فسره (قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال) لا العرب كما توهم لقوله (فانا من اصحاب اليمين) من تبعيضيه او ابتدائيه (وانا خير اصحاب اليمين) اى اكرمهم وافضلهم (ثم جعل القسمين اثلاثا) اى جعل مجموع القسمين ثلاثة اقسام لا كل قسم منهما كما تبادر الى الذهن (فجعلنى فى خيرها ثلثا) وقيل اصحاب اليمين هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة واصحاب الشمال هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار او هم الذين كانوا عن يمين آدم والذين كانوا عن شماله فى عالم الذر او الذين اخذوا من شقه الايمن والايسر او من اعطى كتابه بيمينه وشماله او الذين رآهم فى الاسراء عن يمين آدم عليه الصلوة والسلام وشماله (وذلك) اى التقسيم الثلاثى ما فى (قوله واصحاب الميمنة) اى اليمين او اليمن على انه مصدر ميمى وهم بعض السعداء غير السابقين لثلا يتداخل الاقسام (واصحاب المشئمة) هى كالميسرة بمعنى الشمال لان العرب تقول للعضو الشمال شؤمى ومنه الشام لانها

عن شمال الكعبة فى قول او الشامة (والسابقون) وفى بعض النسخ والسابقون السابقون بالتكرير كما فى الآية ولا بد من تغايرها ليفيد الحمل فهو اما كقوله * انا ابو النجم وشعرى شعرى * اى الذين عرفوا بكمال السبق او الاول بمعنى السابقين للايمان والطاعة والثانى بمعنى السابقين الى الجنة ونعيمها وهو احد التفاسير وقيل هم الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه ويحكمون لغيرهم بما يحكمون به لانفسهم وقيل السابقون للصلوات او التوبة وقيل هم الانبياء عليهم الصلوة والسلام (فانا من السابقين وانا خير السابقين) فهو من اعلى الاقسام لا قسم مستقل حتى تكون القسمة رباعية كما توهم ومن هذا القسم الانبياء عليهم الصلوة والسلام فهو افضل من كل واحد منهم ومن مجموعهم كما تقدم (ثم جعل الا لاب قبائل) اى جعل كل ثلث او مجموعها وهذا اظهر والقبائل جمع قبيلة وهم بنو اب واحد والقبيل بدون هاء الجماعة مطلقا بالآية فصاعدا (فجعلنى من خيرها قبيلة وذلك قوله سبحانه وتعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية) والشعوب جمع شعب بالكسر وقيل انما هو بالفتح والذى بالكسر الطريق [illegible] واحد [illegible] تقسيم الناس وقيل الشعب اكثر من القبيلة وبعدها الفصيلة ثم العشيرة ثم الذرية ثم العترة ثم الاسرة وهذا مخصوص بالعرب وقيل هم [illegible] طبقات شعب [illegible] وفصيلة فالشعب الطبقة الاولى وبعدها القبيلة [illegible] العمارة بكسر العين المهملة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة بالصاد المهملة [illegible] يجمع القبائل [illegible] تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطون [illegible] شعب وكنانة قبيلة وقريش [illegible] وهاشم [illegible] وعبد المطلب [illegible] في الآية ما يؤذن [illegible] الفصيلة [illegible] شرف الاصل يستلزمه عالبا [illegible] (فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر) جملة حالية اى لا اقول هذا تفاخرا [illegible] الامة [illegible] تقى كريم على [illegible] السلام من [illegible] ان [illegible] اعز المعدى [illegible] بيوت [illegible] بالبيوت [illegible] الفخذ او الفصيلة لا الشعب كما قيل والبيت [illegible] محارا عن [illegible] والشرف كما فى قوله

ان [illegible]

وعلى الاصول والاقارب كما يقال هو بيت علم اى من قوم علم وفى اضافته للمكان اثبات لمن فيه بطريق الكناية التى هى ابلغ من التصريح كما قرر فى كتب المعانى (وذلك) اى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم من خير بيت واشرفه مادل عليه (قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) وهذا يدل على مافسرنا به البيت والرجس النجس المستقذر استعير للمعاصى والتطهير ترشيح للمعاصى وما استعير لها لانها تلوث الاعراض واهل البيت والآل الاقرباء وقول الشيعة انهم على وفاطمة والسبطان وهم اهل الكساء رضى الله تعالى عنهم وادعاؤهم عصمتهم وان اجماعهم حجة استدلالا بهذه الآية ينافيه السياق وفى الآية مبالغة فى شرفهم بليغة لذكر تطهير اعراضهم من دنس المعاصى وهو احلى النعم وتعريف الرجس بلام الاستغراق الدال عليه اطلاقه فى مقام المدح والتعبير بالاذهاب والازالة بالكلية وحذف مفعول يريد للتعميم ليذهب النفس كل مذهب ونصب اهل البيت على المدح والنداء وتعريف البيت العهدى والتعبير بالتطهير الدال على التكثير وتأكيده بالمصدر وسيأتى تتمة لهذا (وعن ابى سلمة) هو ابن عبدالرحمن بن عوف احد الفقهاء السبعة كما تقدم (عن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه عبدالرحمن بن صخر على الاصح من نحو ثلاثين قولا كما تقدم وهذا الحديث رواه الترمذى وصححه وقال انه حسن غريب (قال قالوا) اى بعض الصحابة رضى الله عنهم (يارسول الله متى وجبت لك النبوة) اى فى اى زمان ثبتت لك اذ لايجب على الله شئ (قال وآدم بين الروح والجسد) الجسد والبدن والجسم بمعنى وهذه الجملة حالية من الجواب المقدر لمتى الزمانية اى ثبت لى فى هذه الحال وفى هذا الحديث روايات متعددة صحيحة منها انى عبدالله (٢) لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته ومنها متى استنبأت قال وآدم بين الروح والجسد وفى رواية بين الماء والطين وقال ابن تيمية والزركشى وغيرهما حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وكنت نبيا ولا آدم ولاماء ولاطين لااصل لهما يعنى بهذا اللفظ * قلت ليس معناه انه موضوع كما توهم فانه رواية بالمعنى وهى جائزة لانه بمعنى الحديث السابق ومعنى منجدل ساقط على الجدالة وهى الارض وليس المعنى انه كان نبيا فى علم الله كما قيل لانه لايختص به بل ان الله خلق روحه قبل سائر الارواح وخلع عليها خلعة التشريف بالنبوة اعلاما للملأ الاعلى به واذا كانت النبوة صفة لروحه علم انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته نبى رسول ولايضر انقطاع الاحكام والوحى وقد اكمل دينه وانكار ذلك جهل فاحفظه فانه نفيس جدا وهذا هو المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى خلق نوره قبل ان يخلق آدم عليه الصلوة والسلام باربعة عشر الف عام كما رواه ابن القطان وفى رواية يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه وهذا يؤيد انه صلى الله تعالى عليه وسلم مرسل للملائكة كغيرهم فهذا صريح فى ان نبوته صلى الله تعالى

(٢) « عبدالله » نسخه

(عليه)

عليه وسلم ظهرت في الوجود العيني قبل نبوة آدم وغيره وان الملائكة لم تعرف نبيا قبله وانه صلى الله تعالى عليه وسلم النبي المطلق وسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام حلفاؤه والشرائع شريعته ظهرت على لسان كل نبي بقدر استعداد اهل زمانه فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اول الانبياء وآخرهم ولا يمكن ان يجرى على شريعته قلم نسخ ولا يكتب على نسخه رسالة حواشي زيادة كما قيل * ابدا حديثي ليس بالمنسوخ الا في الدفاتر * وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم سابق على سائر الانبياء روحا لما مر وجسدا لان مادة جسده صلى الله تعالى عليه وسلم خلقت قبل سائر المواد لما روى ابن الجوزي في الوفاء عن كعب الاحبار انه تعالى لما اراد ان يخلق محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم امر جبريل عليه الصلوة والسلام ان يأتيه بالطينة البيضاء فهبط في ملائكة الفردوس وقبض قبضة من موضع قبره بيضاء نيرة فعجنت بماء التسنيم في معين الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي والسموات والارض حتى عرفته الملائكة قبل ان تعرف آدم عليه الصلوة والسلام اى عرفت روحه وعنصره والبينية في هذا الحديث الظاهر ان المراد بها عدم الطرفين الروح والجسد اى لا روح ولا جسد كما صرح به في الرواية السابقة لا آدم ولا ماء ولا طين لانك اذا قلت مسكني بين البصرة والكوفة علم انه ليس بهما فاريد به لازم معناه بطريق الكناية وليس المراد انه قريب منهما كما يقال لون بين البياض والحمرة ومزاج بين الصحة والمرض كما قيل وليس معنى بين الماء والطين انه لم يكن ماء صرفا ولا طينا صرفا لنبو المقام عنه وعدم ملاقاته لما قررناه وقد حققنا هذا المقام بما لم يسبق اليه ولله الحمد (وعن واثلة بن الاسقع) بمثلثة ولام والاسقع بسين مهملة وقاف وعين مهملة الصحابي الجليل القدر من اهل الصفة اسلم رضي الله تعالى عنه ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوجه لتبوك فخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد مشاهد الشام وتوفي بدمشق سنة خمس اوست وثمانين وله ثمانون سنة ويكنى ابا محمد وفضائله لا تحصى نفعنا الله ببركاته ورزقنا زيارته وهذا الحديث رواه مسلم وقد تقدم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل) اى اصطفى ابراهيم عليه الصلوة والسلام واختاره من الانبياء لشرفه واصطفى من ولده اى من اولاده اسمعيل عليه الصلوة والسلام فهو افضل من اسحق (واصطفى) اى اختار (من ولد اسمعيل بني كنانة) وهم اربعة النضر وعبد مناف ومالك وملكان وكنانة علم منقول من كنانة السهام وجعبتها قال الشاعر

صاح في العاشقين بالكنانة * رشا في الجفون منه كنانة

(واصطفى من بني كنانة قريشا) وهو النضر بن كنانة وقيل قريش بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وتقدم سبب تسميته قريشا (واصطفى من قريش بني هاشم)

ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب فبنوه مصطفون من قريش (واصطفاني من بني هاشم) بن عبد المطلب (ومن حديث انس رضى الله تعالى عنه) بن مالك بن النضر خادم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودعا له واحاديثه والرواية عنه كثيرة مشهورة جدا وتوفى سنة ثلاث وتسعين وقد جاوز عمره المائة وهذا الحديث والذى بعده اخرجهما الترمذى (انا اكرم ولد آدم) اى اعزهم واشرفهم وتقدم ان لفظ ولد يطلق على الواحد المذكر وغيره (على ربي ولا فخر) تقدم معناه (وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما انا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر) قيل قال فيما مر فى حديث انس ومن حديث انس وهنا وفى حديث ابن عباس اشارة الى ان الاول بعض حديث طويل وهذا حديث مستقل وفيه نظر (وعن عائشة رضى الله عنها) كما رواه الطبرانى وابو نعيم والبيهقى فى الدلائل مسندا (عنه عليه الصلوة والسلام) انه قال (اتانى جبريل) لم يذكر ما اتاه لاجله لان قوله (فقال قلبت) بتشديد اللام بمعنى فتشت وليس المراد به قلبها ظهرا لبطن لم يذكر فيه انه اوحى اليه بهذا (مشارق الارض ومغاربها) جمع مشرق وهو الجهة التى تطلع منها الشمس وجمع مغرب وهو مقابله وجمعهما لان للشمس فى كل زمان مشرق او تشرق بعده من درجة غيره وكذلك المغرب واذا افردا فباعتبار الجهة واذا ثنيا فباعتبار المشرق الجنوبى والشمالى ولذا ورد فى القرآن بالوجوه الثلاثة كما بيناه فى حواشى البيضاوى واختار الجمع هنا لانه انسب للعموم والمراد انه فحص عن جميع اهل الارض مشرقا ومغربا ونظر احوالهم كمالا ونقصا (فلم ار رجلا افضل من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) الظاهر ان رأى علمية ونفى الافضلية يدل على نفى المساواة ايضا كما بيناه سابقا (ولم ار بنى اب افضل من بنى هاشم) الذين هم عشيرته وبيته فهو خيار من خيار (وعن انس رضى الله تعالى عنه) فى الحديث الحسن الذى رواه الترمذى وقد تقدم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بالبراق) مبنى للمجهول اى اتاه جبريل عليه الصلوة والسلام به ليركبه للاسراء وقدم ان البراق بالضم على شكل دابة فوق الحمار دون البغل سمى به للمعانه وبريقه او لسرعته كالبرق الخاطف (ليلة اسرى به) طرف اتى وهى ليلة سبع عشر من رمضان او سبع وعشرين رجب قبل الهجرة وبعد مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم بخمس سنين او بخمسة عشر شهرا كما سيأتى فيه (فاستصعب عليه) اى لم ينقد له وامتنع منه لبعد عهده بركوب الانبياء عليهم الصلوة والسلام لطول زمن الفترة او لسبب آخر لقول جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم لعلك مسست الصفراء اى الذهب او صنم اصفر فقال انما مررت عليه فقلت تبا لمن يعبدك من دون الله (فقال له) اى للبراق (جبريل عليه الصلوة والسلام ابمحمد تفعل هذا) الاستصعاب وقدم

متعلق الفعل اى افعله به دون غيره والاستفهام انكارى بينه بقوله (فما ركبك
احد اكرم على الله منه فارفض عرقا) اى سال عرقه كما مر بيانه (وعن ابن عباس
رضى الله عنهما) رواه ابن الجوزى فى الوفاء وابو نعيم فى الدلائل وقال السيوطى
رواه ابن عمر والعدنى فى مسنده (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلق الله آدم
اهبطنى فى صلبه الى الارض) يعنى ان الله خلق نوره صلى الله تعالى عليه وسلم
وعنصره الذى عجن بالتسنيم وهو الطف شئ فاودعه فى صلب آدم واهبطه فيه كما مر
ثم نقله منه بوسائط (وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة) فكان ذلك ببركته صلى الله
تعالى عليه وسلم وباسم الله مجريها ومرسيها (وقذف بى فى النار فى صلب ابراهيم)
فكانت بردا وسلاما ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وفى المكررة هنا اما
لان الاول بدل منه او لانه مطلق ومقيد كما قرر فى قوله كلما رزقوا منها من ثمرة فينزل
ذلك منزلة المغاير فلا يرد عليه انه لا يتعدى عامل بحرفى جر بمعنى (ولم يزل ينقلنى
فى الاصلاب الكريمة) الشريفة (الى الارحام الطاهرة) من دنس الزنا ونكاح الجاهلية
وفيه كلام تقدم (حتى اخرجنى) الى الدنيا اخراجا حقيقيا (بين ابوى) يعنى اباه عبد الله
الذبيح وامه آمنة بنت وهب بن عبد مناف واختلف فى زمن موتهما فقيل مات ابوه
وامه حاملة به وقيل فى المهد وقيل وهو ابن شهرين وقيل ابن سنتين ومات عند اخواله
بنى النجار وماتت امه وقد بلغ سنه خمسا او ستا او سبعا او اثنى عشر على اختلاف فيه
(لم يلتقيا على سفاح قط) جملة حالية والمراد بالسفاح نكاح بغير عقد او عقد جاهلى وهذا
علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالوحى او اعلمه باخبار الجاهلية لانالا اتهام كما توهم (والى
هذا) المذكور فى الحديث بجملته (اشار) عمه (العباس رضى الله عنه بن عبد المطلب
بقوله) فيه يمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الشعر رواه الطبرانى وصاحب
الغيلانيات وفى الزاهر لابن قتيبة ان العباس اتى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال
اريد ان امدحك فانشده هذه الابيات فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لا يفضض الله
فاك او لا يفضض الله فاك وكان ذلك لما رجع صلى الله تعالى عليه وسلم من غزوة تبوك
(من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق) اى
من قبل هذه النشأة او الدنيا وقيل قبل النبوة او قبل الولادة او قبل كل ذلك
فاعاد الضمير على غير مذكور لعلمه من السياق والجار متعلق بطبت وقدم لافادة
ان طيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ثابت له قبل ظهوره لا بعده فقط وطبت
اى تطهرت من الادناس البشرية لطيب عنصره صلى الله تعالى عليه وسلم
والظلال جمع ظل بمعنى فى ظلال الجنة فى صلب آدم عليه الصلوة والسلام قبل
ان هبط وليس المراد به المتعارف الذى تنسخه الشمس اذ لا شمس فى الجنة
ولا قمر وقد ورد فى الحديث ظل الجنة سجسج اى لاحر فيه ولا برد بل المراد الكن

والمقر اوهو كما في قولهم انا في ظل فلان اى في حمايته ومستودع بضم الميم وفتح الدال المهملة يعنى به مكان آدم وحوا من الجنة كما قال ابن قتيبة هو المحل الذى كان فيه آدم عليه الصلوة والسلام من الجنة كانه وداعة فيه وفيه ايماء الى اخراجه منه للارض اواراد به الرحم وكان ابو عبيدة يقول في قوله تعالى مستقر ومستودع المستقر الصلب والمستودع الرحم وخصف الورق الصاق بعضه ببعض ومنه الخصاف ويروى حيث يستر الورق يعنى به الجنة والورق ورق الجنة الذى كان يستتر به آدم عليه الصلوة والسلام قبل ان يعلم الحياكة فلما اهبط الى الهند تفتت الورق الذى عليه قيل ومنه حصل العود والعنبر وغيره من الطيبات فاوحى الله اليه صنعة النسج واتخذ الثياب للسترة (ثم هبطت البلاد لا بشر * انت ولا مضغة ولا علق) اى هبطت فى صلب آدم عليه الصلوة والسلام من الجنة الى الدنيا وهى المراد بالبلاد والهبوط كما قال الراغب الانحدار قهرا وهو متعد وقال تعالى اهبطوا مصرا ولا يحتاج لتأويله بالدخول كما قيل والبلاد وان اختصت بالبيان فهو باعتبار الاول هنا ولما كان المراد من هبوطه صلى الله تعالى عليه وسلم هبوط نوره قال لا بشر وهى جملة حالية اى فى حال كونك غير جسد كاجساد البشر والمضغة قطعة لحم بمقدار لقمة تمضغ غير مخلقة والعلق بفتحتين جمع علقة وهى دم منجمد من المنى (بل نطفة تركب السفين وقد * الجم نسرا واهله الغرق) النطفة الماء الصافى والمنى فى الاصلاب والسفين جمع سفينة وهى المركب اى فى صلب نوح عليه الصلوة والسلام لما اغرق الله قومه بالطوفان والجم وصل الى الفم وعلا محلا يوضع فيه لجام الفرس والنسر طائر معروف سمى به صنم كان يعبده قوم نوح عليه الصلوة والسلام وهو المراد هنا واهله قوم نوح والمراد بالغرق الماء المغرق اوهو على ظاهره والجم بمعنى ادرك لان الانسان اذا عم الماء فمه منع من الكلام والسفين المراد به سفينة نوح عليه الصلوة والسلام فان كان مفردا فهو ظاهر والا فهو جمع اريد به واحد تجوزا فلا اشكال فيه كما هو ظاهر (تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق) الصالب والصلب والصلب بفتحتين وبضمتين وضم فسكون ففيه لغات اقلها استعمالا صالب كما قاله ابن قتيبة وهو فقار الظهر والرحم مقر الولد من المرأة والعالم المراد به هنا قرن من القرون وبدا بمعنى ظهر ووحد وطبق بمعنى قرن اصلا لانه يطبق وجه الارض اى لا تزال تظهر فى عالم بعد عالم يريد اذا مضى قرن بدا قرن آخر ويروى هنا بيت هو

وردت نار الخليل مكتتما * تجول فيها ولست تحترق

ومعنى مكتتما محفوظا فى كمه اوتحيط بك نارها ولست تحترق وروى مكتتما اى مستترا (حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق) احتوى بالحاء المهملة افتعال من حوى بمعنى حاز والبيت بمعنى الشرف والنسب كما مر والمهيمن بمعنى الشاهد على فضلك اوالامين وخندف بكسر الخاء المعجمة وكسر الدال

(المهملة)

المهملة ونون وفاء اسم امرأة الياس بن مضر وهو من الخندفة وهي المشى السريع والعليا العز والشرف وتحتها روى دونهما والمعنى واحد والنطق بضمتين جمع نطاق وهو ما انشد فى الوسط كالمنطقة استعارته العرب لجبال واسعة فوق بعض وبيتك فاعل احتوى وهو تمثيل لشرفه صلى الله تعالى عليه وسلم اى ان شرفك وعلو نسبك واصلك من خندف اشتمل على عليا دونها الجبال الشامخة وقال ابن قتيبة فى هذا البيت اقوال احدها انه اعلى قومه وهم دونه كالنطاق له والآخر انه يريد العفاف من نطاق المرأة الذى يحسنها اى تحتها العفاف والحسب والثالث ان النطق المتكلمون جمع ناطق اى كل خطيب من العرب فهو دون بلسان قومك من قوله بل هم قوم خصمون انتهى وروى فى هذا الشعر زيادة ذكرها الغسانى وهى (وانت لما ولدت اشرقت الار * ض وضاءت بنورك الافق * فنحن فى ذلك الضياء وفى النـ * ور وسبل الرشاد نخترق * يا رد نار الخليل يا سما * لعصمة النار وهى تحترق) ومعنى نخترق بالخاء المعجمة نقطعها ونجاوزها وضاء يكون لازما ومتعديا والافق الناحية وانثه هنا لتأويله بها قال العارف بالله ابن عربى ذهب بعضهم الى ان عالم الاجسام من وقت خلقه لم يزل فى سفر الى ما لانهاية له فاذا لاح له منزل يقول هذا هو الغاية القصوى فاذا وصلت اليه لم يلبث ان يخرج منه راحلا فكم سافرت فى اطوارك الى ان تكونت بين ابيك وامك اذا اجتمعا من اجلك ثم انتقلت الى نطفة وعلقة الى مضغة الى عظم كسى لحما ثم انشئت نشأة اخرى واخرجت الى الدنيا وتنقلت فى اطوارك من الطفولية والصبا والشباب الى الكهولة والشيخوخة الى الهرم ومنه الى البرزخ ثم الى الحشر ثم الى دار القرار انتهى من كتاب الاسفار له (وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا الحديث مشهور رواه ابوذر وغيره واخرجه احمد والبزار والبيهقى عن ابن عمر واخرجه الطبرانى وابو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس واحمد والبزار وابن ابى شيبة والبيهقى عن ابى هريرة واخرجه الشيخان عن جابر بن عبدالله فاخرجوه عن جماعة من الصحابة بين رواياتهم مغايرة فى بعض الالفاظ وقد ساقها كلها وذكر رواية كل واحد منهم على حدة الشيخ قاسم بن قطلوبغا فى تخريجه لاحاديث هذا الكتاب كما رأيته بخطه ولولا خوف الاطالة اوردت كلا منها على حدة والى هذا اشار المصنف بقوله (ابوذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبدالله) بن عمرو ابن حزام الانصارى روى كل واحد من هؤلاء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (انه قال اعطيت خمسا وفى بعضها) اى فى بعض طرق هذا الحديث المعلومة من تعدد رواياتها (ستا) اى ست خصال وخصائص ولذا حذف التاء مع انه غير لازم اذا لم يذكر المعدود

(لم يعطهن نبي قبلي) ولا رسول لان نفي الاعم يستلزم نفي الاخص ولا تنافي بين الروايتين ان قلنا ان مفهوم العدد غير معتبر وان قلنا به فنقول انه صلى الله تعالى عليه وسلم اطلع اولا على بعض خصائصه فاخبر به ثم اطلع على باقيه فاخبر به ثانيا وروى احد قبلي اى لم يعط واحدة منهن احد (نصرت بالرعب مسيرة شهر) اى نصرني الله تعالى على اعداء الدين الكفرة بالرعب بضم الراء المهملة المشددة وهو شدة الخوف الذي القاه الله في قلوبهم فاذا سمع بي من بيني وبينه مسيرة شهر ارتعد وخاف من غزوي له وانما خص مسافة شهر وان خافه من هو ابعد منه قيل لانه لم يكن بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين من اظهر العداوة له اكثر من ذلك وقد قال ذلك في غزوة تبوك آخر غزواته وابعدها فاذكر بيان لما وقع له صلى الله عليه وسلم حال تكلمه فلا ينافي الزيادة وهذا من خصائصه حتى لو سار وحده بغير عسكر ارعب اعداءه وقد وقع هذا لبعض خلفائه ومن اتقى الله من امراء الاسلام فهذه الخاصة بالنسبة لمن قبله من الامم وعليه يحمل رواية لم يعطهن احد او نقول ان ذلك لا يتيسر لغيره او فعل اتباعه كفعله (وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما) وفي رواية وايما بالواو بدل الفاء (رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل) قال العلامة الزركشي في احكام المساجد قال القاضي عياض هذا من خصائص هذه الامة لان قبلنا كانوا لا يصلون الا في موضع تيقنوا طهارته ونحن خصصنا بجواز الصلوة في جميع الارض الا ما تيقنا نجاسته وقال القرطبي هذا مما خص الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت الانبياء قبله انما ابيحت لهم الصلوة في مواضع مخصوصة كالبيع والكنائس وقال المهلب في شرح البخاري المخصوص به جعل الارض طهورا واما كونها مسجدا فلم يأت في اثر انها منعت من غيره وقد كان عيسى عليه الصلوة والسلام يسيح في الارض ويصلي حيث ادركته الصلوة فكانه قال جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيري مسجدا ولم تجعل طهورا انتهى * اقول حاصله انه لو كان كل منهما مخصوصا به ونامته لزمه اشكال وهو ان الانبياء السالفة واممهم كانت لهم صلوة مفروضة وكانوا يسافرون فلو لم تجزلهم الصلوة الا في مساجدهم لزمهم اما ترك الصلوة او عدم صحتها وهو مخالف للظاهر فاجابوا عنه بالوجوه المذكورة وهو ان الخاص بهذه الامة مجموع الامرين لا كل واحد منهما او جعل جميع الارض مسجدا حتى تيقن نجاستها وهم لم تحل لهم الصلوة الا فيما تيقن طهارته وعلى هذا قوله تعالى (واجعلوا بيوتكم قبلة) كما في بعض التفاسير فقوله فايما رجل الى آخره معناه على ظاهره او ما لم تيقن نجاسته ولك ان تقول انه مخصوص بغير حال السفر والضرورة لان الضرورات تبيح المحظورات كقصر الصلوة ويؤيده جعله قرين التيمم المخصوص بالضرورة وهذا اقرب ثم ان طهارة التيمم حكمية لا حقيقية كما بينه الفقهاء وفي قوله الارض

دون التراب نصرة لمن جوز التيمم بجميع اجزاء الارض ولم يخصه بالتراب وهو المناسب للمقام وان خصه الشافعي رحمه الله تعالى بالتراب لرواية وتربتها طهورا والمطلق يحمل على المقيد وتخصيص الرجل غير مراد لدخول النساء في هذا الحكم ايضا واما خصوا الذكر لانهم الاصل ويعلم النساء بالطريق الاولى ومعنى ادركته الصلوة ادركه وقتها اذا دخل ولا ينافيه ايضا النهي عن الصلوة في بعض الاماكن لثبوت المنع فيه بدليل آخر والمراد بالارض جميعها الامكنة وماحولها ولاما راى به مسجدا او محلا للصلوة وقوله فايما الى آخره لدفع توهم انه مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم وحده (واحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي) تحل بفتح التاء المثناة الفوقية وكسر الحاء المهملة وروى بضم التاء وفتح الحاء وكان من قبله صلى الله تعالى عليه وسلم من الانبياء منهم من لم يؤذن له في الجهاد فلم تكن له مغانم ومنهم من اذن له فيه ولم يؤذن له في الاكل منها فكانت الغنائم تجمع في محل فتأتي النار من السماء فتحرق ماتقبل منه على ما مر بيانه وكانت في صدر الاسلام تحل له صلى الله تعالى عليه وسلم فقط ثم امر بعد ذلك بتخميسها كما بينه الفقهاء والغنائم جمع غنيمة مايؤخذ من الكفار بقتال ونحوه والفيء ماحصل منهم بدون ذلك (وبعثت) بالبناء للمجهول بمعنى ارسلت وطوى ذكر الفاعل للعلم به اى ارسلني الله (الى الناس كافة) المراد بالناس جميعهم اوما يشمل الانس والجن كما مر وروى الى الخلق كافة وكافة حال بمعنى جميعا وفي ارساله صلى الله تعالى عليه وسلم للملائكة كلام سيأتي وعموم البعثة مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم بالاحاديث الصحيحة ومر انه لايرد عليه ان نوحا عليه الصلوة والسلام كان مبعوثا لاهل الارض بعد الطوفان لانه لم يبق الامن كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم لان هذا العموم لم يكن في اصل بعثته وانما اتفق لحادث اقتضى انحصار الخلق الموجودين (٢) على ان ارساله عليه الصلوة والسلام انما كان لقومه ولم يأت مايدل على عموم رسالته واما دعاؤه على جميع اهل الارض واهلاكهم فلايدل على ذلك لجواز ان يرسل غيره في مدته ولم يؤمنوا به فلذا دعا عليهم قال ابن حجر هذا جواب حسن الاانه لم ينقل انه نبيء في زمنه غيره ويحتمل ان خصوصيته ببقاء شريعته الى يوم القيمة بحيث لاينسخها غيرها ويحتمل انه دعا الناس للتوحيد فاشركوا واستحقوا العقاب والدعوة للتوحيد يجوز ان تعم وان كانت فروع شريعته غير عامة كما قاله ابن دقيق العيد واشار اليه ابن عطية في سورة هود اوانه لم يكن في عهده غير قومه واولاده كآدم عليه الصلوة والسلام فلا يرد نقضا على هذه الخصوصية مدكر (واعطيت الشفاعة) اللام اما للعهد فالمراد الشفاعة العظمى في فصل القضاء لاهل الموقف اجمعين بعد مراجعة سائر الانبياء واظهارهم العجز فيأتونه صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع وتقبل شفاعته وهو المقام الاعلى اوهي للاستغراق كانت

(٢) في الموجودين نسخه

الرجل اى الشفاعة الكاملة وله صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات كثيرة شاركه في بعضها بعض الانبياء كشفاعته في قوم يدخلون الجنة بغير حساب وهذه مخصوصة به وشفاعته في قوم استحقوا دخول النار فلا يدخلونها وفي بعض اهل النار فيخرجون منها وفي تخفيف عذاب بعض اهل النار كابي طالب وشفاعته لمن مات بالمدينة ومن صبر على لأوائها وشفاعته لمن صلى عليه بعد الاذان وغير ذلك مما ورد في الاحاديث الصحيحة (وفي رواية بدل هذه الكلمة) اراد بالكلمة قوله واعطيت الشفاعة وسماها كلمة لانها كلمة لغوية وهي تطلق على الجمل وفي نسخة الكلمات (وقيل لي سل تعطه) اى قال الله او حذف الفاعل للعلم به وقيل له ذلك لما انحصرت الشفاعة فيه ولم يلتزمها احد من الرسل فقال انا لها وخر تحت العرش ساجدا فقال له الله ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع وفيه كمال الادب اذلم يسأل حتى اذن له في السؤال وامر به وهذا في القيمة ويحتمل انه اشارة الى ما في الاسراء كما سيأتي في حديث ابن وهب واصل سل اسئل فخفف بنقل حركة الهمزة واسقاطها واسقاط همزة الوصل وفي حذف المعمول عموم كرم اى سل كل ما تريد تعط اكثر مما تسأل وتعط مجزوم في جواب الامر والهاء للسكت او ضمير عائد على مقدر (وفي رواية اخرى وعرض على امتى فلم يخف على التابع من المتبوع) اى الشريف والوضيع ويحتمل ان الله عرض عليه صلى الله عليه وسلم بالوحي تفصيل احوالهم وذواتهم وصفاتهم وسائر تصرفاتهم في زمنهم اوانه ابرزهم له حقيقة فوجا فوجا متلبسين باعمالهم على وجه لا نقف على حقيقته وذكر العراقي في شرح المهذب انه صلى الله تعالى عليه وسلم عرضت عليه الخلائق من لدن آدم الى قيام الساعة فعرفهم كلهم كما علم آدم الاسماء كلها وروى الطبراني انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى قد رفع لي الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيمة كانما انظر الى كفي هذه وحديث حذيفة الطويل المذكور فيه الفتن وما يكون فيها مطول ذكره العراقي قال فيه ما ترك فيه شيئا الاسماه باسمه واسم ابيه وقبيلته الى يوم القيمة ومنه احد الجفر والجامعة الذي رواه جعفر الصادق عن علي رضي الله تعالى عنه وان توقف بعضهم في صحته كما ذكره ابن خلدون في اول تاريخه (وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود) اى الى جميع الناس او جميع الجن كما يكنى عن مثله بالعرب والعجم اى الى كل فرد فرد والمقصود عموم رسالته صلى الله عليه وسلم للجن والانس وفيه رد على من زعم من اهل الكتاب ان بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم مخصوصة بالعرب كالعيسوية لانه يعود بالنقض عليهم اذ يقال لهم اذا اعترفتم بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وجب تصديقه فيما قاله وقد صح عنه انه قال بعموم رسالته واشار المصنف رحمه الله تعالى الى معناه بقوله (قيل السود) جمع اسود وفي نسخة الاسود (العرب)

وهذا مذكور في الحديث معنى لان تعريف الاسود ليس للعهد بل للاستغراق فهو بمعنى السود وبين علته فقال (لان الغالب على الوانهم) اى العرب (الادمة) بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وهي في الادميين السمرة وفي الطعام بياض يشوبه سمرة (فهم من السود) اى فهم المقصودون من قوله الاسود الذي بمعنى السود كما عرفته (والحمر) جمع احمر وعبر عن الاحمر بالحمر للناس (العجم) اى المراد بهم في الحديث العجم والمراد بهم من عدا العرب وقد يخص باهل فارس ولم يعلله لغلبته اى لغبة لون الحمرة عليهم فاعتبر الغالب لان النادر لا حكم له لان القلة اخت العدم ولذا لم يعبر بها عنها (وقيل البيض) جمع ابيض يعني قيل المراد بالحمر البيض اى بالاحمر الابيض لان العرب تقول امرأة حمراء بمعنى بيضاء وقال ثعلب العرب لا تقول ابيض من بياض اللون فاذا ارادوه قالوا احمر والابيض عندهم بمعنى النقي من العيوب قال ابن الاثير وفيه نظر فانهم قد استعملوا الابيض في الوان الناس وغيرهم وهو اعتراض وارد وماقيل من ان مراده انه لا يستعمل في محل الناس كما هنا فانه لو قال بعثت الى الابيض لتوهم انه اريد به السالم من العيوب لا يجدى نفعا وكيف يراد المجاز من غير قرينة (وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن) وهذا مبنى على ما في مخيلتهم من انهم سود (وفي الحديث الآخر عن ابي هريرة) الذي رواه البخاري ومسلم واورده لما فيه من الزيادة على قوله (نصرت بالرعب) قوله (واوتيت جوامع الكلم) جمع جامعة لجمعها الحكم والمنافع في لفظ قليل والكلم اسم جنس جمعي للكلمة لا جمع ولا اسم جمع على الاصح وهو من اضافة الصفة للموصوف وفسرت بالقرآن لما في جمعه من المعاني في الفاظه الموجزة وقيل المراد به كلماته الموجزة المتضمنة للحكم والمنافع وفي نسخة (وخواتمه) فقيل هي بمعنى الجوامع وقيل التي ختم بها الكلام ولا يأتى بعدها مايقرب منها لعدم الحاجة له (وبينا انا نائم) اصله بين فاشبعت فتحتها حتى صارت الفا وهو ظرف زمان كبينما المتصلة بما المزيدة ويجيء بعدها اذ كقوله (اذ جيء) بالبناء للمجهول اى جاءني ملك ارسله الله واذ للمفاجأة وهو جواب لها ويعاب بعدها كقوله

استقدر الله خيرا وارضين به * وبينما العسر اذ دارت مياسير

وقد تخلو عنها كقولك بينا انا جالس دخل على عمر وهي مضافة لجملة انا نائم وقيل مضاف لمحذوف تقديره بين اوقات النوم موجود كما فصله اهل العربية (بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدى) بتشديد الياء مثنى مضاف او بالتخفيف مفرد ومفاتيح جمع مفتاح وهو آلة يفتح بها الاقفال معروفة والخزائن جمع خزينة او خزانة وهي مايدخر فيه المال والامور النفيسة لتحفظها والمراد ما في الارض من الكنوز والاموال فاما ان يكون رأى في رؤيا نومه ملك الرؤيا وضع في يده مفاتيح حقيقة وقال له هذه مفاتيح خزائن الارض ارسلها الله اليك ورؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام وحي يقع بعينها تارة ويعبر بما يحكيها اخرى

وظاهر تعبيره ان امته تملك الارض ويجبى لهم اموالها وفى المواهب اللدنية انها خزائن من اجناس العالم بقدر مايطلبون فان الاسم الالهى لايعطيه الامحمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الذى بيده مفاتيح الغيب التى لايعلمها الاهو فالمراد ان الله خصه بتمكين امته من الارض ويحتمل ان الملك اخبره وقال له ذلك فيكون استعارة للامر والقول بان المراد العناصر ومايتولد منها وانه لم يقبل ذلك تعسف وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقبله يأباه عده خاصية له بل قبله فان عطاء الكريم لايليق رده ولكنه ادخره لامته (وفى رواية) لمسلم (عنه) اى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (وختم بى النبيون) اى جعلنى خاتمهم وآخرهم حتى لايبعث نبيا بعده غيره فلا يرد عيسى عليه الصلوة والسلام ومجيئه آخر الزمان لانه يجيء على انه من امته ايضا واما الحصر فعلى تقدير نبوته معناه فلم يأت بعده وفى هذا الختم تكريم له حيث لاينسخ شريعته ولايطول مكث امته فى البرى واشاره الى ان دينه كامل جامع لجميع الكمالات لايحتاج الى مله اخرى تتمه وماروى من قوله لانبوة بعدى الاماشاء الله الاستثناء لايقتضى وقوع مشيئته على فرض صحته والمنفى النبوة لاالنبى فيحتمل ان الذى تحت المشيئة الرؤيا الصالحة لانها جزء من اجزاء النبوة (وعن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه) وهو ابو اسد اوابو حماد اوابو عمر الجهنى الصحابى الفصيح السيد الجليل توفى بمصر سنة ثمان وخمسين وهذا الحديث رواه الشيخان وابو داود والنسائى (انه قال) (٢) فرط لكم نسخه

عقبه (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا فرطكم٢ على الحوض) الفرط بفتحتين والفارط الذى يتقدم القوم ليهيء لهم فى منازل اسفارهم الماء والكلأ ونحوه ممايحتاجون له ويقال رجل فرط وقوم فرط ايضا وفى الدعاء للطفل الميت اللهم اجعله فرطا اى اجرا يتقدمنا حتى نرد عليه والحوض هو حوضه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى يسقى منه عطاش امته يوم القيمة وعلى متعلقه بفرط او حال من الضمير فيه لانا صفة مشبهة وهل الحوض الكوثر اوغيره اختلف فيه وعليه اوان كالنجوم وفى الحديث بلاغة بديعة اذ المراد ان نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وانهم فيه نعمته عظيمة هى سبب دخولهم الجنة واجر عظيم فشبههم بقوم مسافرين وشبه نفسه بمن تقدمهم لنفعهم والفرط من سبق للماء كامر وذكر الحوض فيه مناسبة عظيمة وان متاع الدنيا قليل فهم على اثره صلى الله تعالى عليه وسلم واردون جمعنا الله به وسقانا من يده شربة لانظما بعدها (وانا شهيد عليكم) شهيد بمعنى شاهد قال الله تعالى (ويكون الرسول عليكم شهيدا) اى يوم القيمة فان الله تعالى يسأل الرسل هل بلغتم فيقولون نعم ويقول لاممهم هل بلغوكم فيقولون ماأتانا من نذير فيقول للرسل من يشهد لكم فيقولون امة محمد فيشهدون بانهم بلغوهم وهذا هو قوله (لتكونوا شهداء على الناس) ويشهد لهم صلى الله تعالى عليه وسلم بصدقهم

ويزكيهم على ماص ببيانه وهده شهادة لهم لكنه عداها بعلى حثا على الطاعة لانه رقيب عليهم ومهيمن (واني والله لانظر الى حوضي الآن) اى اشاهده الآن لان الجنة والنار موجودتان الآن وتأكيده بان والقسم يقتضي انها رؤية بصرية حقيقية لانكشاف الغطاء عن بصره الحائل عن رؤيته وليس بطريق الكشف ونحوه وفي هذا بيان لما مر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال انه فرط على الحوض حقق ذلك بانه مشاهد له لاشبهة فيه والآن مبني على الفتح ولايستعمل الابالالف واللام (واني قد اعطيت مفاتح خزائن الارض) تقدم قريبا بيانه (واني والله ماأخاف عليكم) الصحابة او معاشر الامة (ان تشركوا بعدي) اى من ان تكفروا بعد موتي فهي مقدرة لانهما تحذف هنا قياسا مطردا لان من ذاق حلاوة الايمان لايرجع عنها (ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها) اى في الدنيا اى اخاف عليكم من رغبتكم في نفائس الدنيا وانهماككم في تحصيلها حتى تؤديكم ذلك الى الهلاك وارتكاب مايلهيكم عن الله تعالى وهذا تنبيه لهم على انهم لاتلهيهم الحرائث عن المعاد (وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما) كما رواه عنه الامام احمد بسند حسن (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي) هو الذي لايقرأ ولايكتب نسب لامه لانه كان على حاله يوم ولدته امه او الى ام القرى لان الكتابة كانت عزيزة في اهلها او الى امة العرب وهذه الصفة في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم من اجل النعم عليه واعظمها اذ اعطاه علم الاولين والآخرين وحفظه هذا الكتاب الذي لم يعادله كتاب وهو لايقرأ ولايكتب ولم يدارس ولم يلاق احدا له شغل بذلك ﴿تنبيه﴾ كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اميا من معجزاته الشريفة الباهرة كما تقدم مبسوطا غير مرة واشار اليه الابوصيري رحمه الله تعالى في قوله * كفاك بالعلم في الامي معجزة * وهذا كان في اول امره الا ان بعضهم ذهب الى انه بعد ذلك قرأ وكتب من غير تعلم وهو معجزة اخرى الا ان الجمهور على خلافه كما ذكره الحافظ بن حجر في تخريج احاديث الرافعي وقال ابن عربي في سراج المريدين رحل ابو الوليد الباجي وابعد رحلته فلما عاد قرأ البخاري وقال في درسه انه صلى الله عليه وسلم في الحديبية محى الكتاب وكتب بيده الا ترى انه قال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن الكتابة فكتب هذا ماقاضى الى آخره فابتدر رجل معري وصاح في المجالس انه زنديق الا ان الامير كان متفهما فدعا الفقهاء وسألهم فشنعوا عليه وقالوا انه كفر فاستظهر الباجي بالحجة عليهم وقال ان هؤلاء جهلة فاكتب الى علماء الآفاق فكتب الى علماء افريقية وصقلية فجاءت الاجوبة بتصديق الباجي الى آخر ما فصله ورأيت في بعض الكتب انه مما يدل على ذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لكاتبه طول السنات(٢) وقوله تعالى ﴿ ماكنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك ﴾ فقوله من قبله يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم

(٢) السينات نسخه

بعد ذلك كان يكتب نادرا فاعرفه وقوله (لانبي بعدي) تقدم بيانه (اوتيت جوامع الكلم وخواتمه) تقدم معناه ولفظه وانما كرره هنا ليبين انه مع كونه اميا اوتي مالم يؤته احد ممن افنى عمره في القراءة والكتابة (وعلمت) بضم العين المهملة وسكون اللام المشددة او بفتحها وتخفيف اللام (خزنة النار) جمع خازن ككتبة وكاتب وهم الملائكة الموكلون بها (وحملة العرش) جمع حامل وهم الملائكة يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم علم مالم يعلمه غيره بمشاهدته لهم الاتري ماورد في الاحاديث من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم لهم وبيان هيئاتهم مما كان له رأي عين وحملة العرش اليوم اربعة ويوم القيمة ثمانية كما نطق به القرآن العزيز (وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) كما رواه احمد بسند حسن (بعثت بين يدي الساعة) اي القيمة سميت ساعة لانها عند الله قليلة تشبيها لها بالساعة التي هي جزء من اجزاء الزمان وقال الراغب لسرعة الحساب فيها كما قال تعالى (وهو اسرع الحاسبين) او لما نبه عليه بقوله تعالى (كانهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) وقيل الساعات التي هي القيمة ثلاث ساعات الكبرى وهي بعث الناس للحساب والوسطى وهي موت اهل القرن الواحد والصغرى وهي موت كل انسان وقد وردت الساعة بهذه المعاني في الحديث والمراد هنا الاولى والمراد بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديها انه قريب منها ففيه استعارة مكنية وفي الحديث انا والساعة كهاتين يشير بالوسطى والسبابة وفيه اشارة الى بقاء دينه صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم نسخه ولاجل هذا ذكره المصنف رحمه الله تعالى (ومن رواية ابن وهب) من تبعيضية اتى بها اشارة الى انه بعض من حديث الاسراء الطويل الذي رواه البيهقي في الدلائل وغيره عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وابن وهب هو عبد الله ابو محمد بن وهب بن مسلم الفهري المصري احد الاعلام في الحديث وغيره روى عن مالك والليث وخلق كثير وروى عنه خلق كثير وكان افقه من ابن القاسم وطلب للقضاء فتجن وانقطع الى ان مات سنة سبع وتسعين ومائة والجار والمجرور خبر مقدم لقوله (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال الله تعالى) له صلى الله تعالى عليه وسلم حين كلمه بغير واسطة في الاسراء كما يدل عليه سياق الحديث (سل يا محمد) حذف احد مفعوليه للتعميم اي كل ماتريد والآخر للعلم به فانه لامسئول سواه ولدلالة قوله (فقلت ما اسئل يارب) عليه ورب بكسر الباء وضمها ولم يقل اسئلك تأدبا يعني ان جميع الكمالات استودعتها الانبياء عليهم الصلوة والسلام قبله فلم يبق مايخص به حتى يسأله ثم فصل بعض ما اجمله فقال (اتخذت ابراهيم خليلا) اي اصطفيته وخصصته بالخلة وكرامتها وسيأتي تحقيقها (واتخذت موسى كليما[٢]) اي اصطفيته وفضلته بان كلمته بصفات بكلامك القديم فلى ولايرد انه كلمه ايضا (واصطفيت نوحا) اي فضلته على غيره بان جعلته اول رسول

(٢) وكلمت موسى تكليما

اهلك من عصاه كما قال الله تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحا) فهو ابو البشر واول الرسل (واعطيت سليمان ملكا لا ينبغى لاحد من بعده) اى لا يتيسر لغيره من الرسل الملوك لتسخير الجن والانس والريح وملك الدنيا كلها بعظمة البسته اياها من عظمتك (فقال الله تعالى له) صلى الله تعالى عليه وسلم (مااعطيتك خير من ذلك) كله وهو مبتدأ وخبر بينه بقوله (اعطيتك الكوثر) فوعل من الكثرة وذكر البيضاوى فيه سبعة اقوال أشهرها انه نهر فى الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فى وسط الجنة حصباؤه الدر والياقوت وقيل هو القرآن وقيل النبوة وقيل غير ذلك مما تقدم (وجعلت اسمك مع اسمى) اى مقرونا باسمى فى التشهد والاذان وكلمة الشهادة وغير ذلك ولذا قال (ينادى به فى جوف السماء) اى تنادى الملائكة عليهم الصلوة والسلام باسمى وتصلى عليه لامر الله لهم بذلك اولما رأوا من منزلته صلى الله عليه وسلم وقربه من ربه وكتابته اسمه على ساق العرش وتفسير السماء هنا بالامكنة العالية كمنارة الاذان كما قيل لا وجه له (وجعلت الارض طهورا لك ولامتك) لان الله تعالى شرفها بك فكانت طاهرة مطهرة وهذا من خواص هذه الامة تسهيلا لها وما احسن قول ابن رشيق القيروانى

سألت الارض لم كانت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا
فقالت غير ناطقة لانى * حويت لكل انسان حبيبا

وقد تقدم هذا الحديث وشرحه (وغفرت لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر) اى لو صدر كان مغفورا فلا ينافى هذا عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم او المراد بالذنب التقصير وان لم يكن صغيرة ولا كبيرة واعلامه بمغفرة كل مقدم ومؤخر تشريفا وتطمينا لقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال العز بن عبد السلام ان هذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقله الله لغيره من الانبياء ولذا قالوا فى الموقف نفسى نفسى والى هذا اشار بقوله (فانت تمشى فى الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك) فليس المراد باحد غير الانبياء كما قيل (وجعلت قلوب امتك مصاحفها) اى مننت عليك بان جعلت فى امتك حفظا لم يكن فى غيرهم من الامم السالفة حتى ان من كان يحفظ التورية وغيرها من الكتب الالهية افراد معدودون فى كل عصر وحفظة القرآن والحديث من هذه الامة لا يحصون فى كل عصر والمصحف ما كان جامعا للصحف المكتوبة وجمعه مصاحف ثم خص بالمصحف المكتوب فيها القرآن وقد قيل انه لفظ حدث فى الاسلام وكونه معربا من اللغة الحبشية لا اصل له وهذا تشبيه بليغ اى جعل قلوبهم كالمصاحف التى تحفظ القرآن وقيل انه استعارة تصريحية وله وجه وفى رواية صدور بدل قلوب وهذا بناء على ان محل الحفظ والادراك القلوب واضافته للصدور لانها محله والحكماء يقولون ان محل الحفظ الخيال الذى هو خزانة الحس المشترك فى الدماغ واهل الشرع والمتكلمون

من اهل الاسلام لم يثبتوا الحواس الباطنة مع ان كلام الحكماء مضطرب فيها وفى محالها كما ذكره الجلال الدوانى فى شرح هياكل النور وليس هذا محل تفصيلها (وخبأت) بخاء معجمة مفتوحة وموحدة وهمزة اى اخفيتها واخرتها الى يوم القيمة (شفاعتك) المراد بها الشفاعة العظمى فى فصل القضاء ونحوها من الشفاعات الخاصة به كما تقدم (ولم اخبأها لنبى غيرك) وفى نسخة قبلك وان كان لهم شفاعات غير هذه (وفى حديث آخر رواه حذيفة) بن اليمان العبسى الصحابى رضى الله تعالى عنه صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفى سنة ست وثلاثين وهذا الحديث رواه ابن عساكر فى تاريخه عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بشرنى يعنى ربه) ولم يذكر الفاعل فى اصل رواية هذا الحديث للعلم به كما فى قوله تعالى ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ (اول من يدخل الجنة) مبتدأ ومن موصولة وجملة يدخل صلته (ومعى) ظرف متعلق به و (من امتى) حال من عائد من المستتر تحت يدخل (سبعون الفا) خبره (مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب) صفة سبعون او حال منه اى لا يحاسبون ولا يناقشون بل يؤمر بادخالهم الجنة تكريما لهم وقوله مع كل الف سبعون الفا جعلهم معهم لانهم اتباعهم ودراريهم قوله وليس الى آخره صفة للالف الثانية فيعلم منه عدم محاسبة الاولى بالطريق الاولى وفى البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال ذلك دخل بيته فخاض الصحابة فى هؤلاء فقيل لعلهم الذين صحبوه وقيل لعلهم الذين ولدوا فى الاسلام ولم يشركوا الى غير ذلك فخرج عليه السلام وسألهم عما خاضوا فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة رضى الله عنه فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم فقال انت منهم ثم قام آخر فقال مثل ذلك فقال عليه السلام سبقك بها عكاشة وفى الحديث ايضا وعدنى ربى ان يدخل الجنة من امتى سبعين الفا مع كل الف سبعون الفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربى رواه ابن ابى شيبة والطبرانى وقد حسب ما فى الحديث فبلغ اربعمائة الف الف وسبعمائة الف وفى هذا الحديث كلام ذكره ابن القيم فى حادى الارواح (واعطانى ان لا تجوع امتى) اى ان لا تبتلى بالجدب والقحط حتى يهلكوا عن آخرهم ويستأصلوا جميعهم فلا ينافيه ما وقع فى بعض الازمنة فى بعض الاقطار بخصوصها اذلم يعم ولم يستمر (ولا تغلب) بصيغة المبنى للمفعول اى الامة جميعها او يستمر مغلوبيتها او هذا مشروط بالطاعة فاذا بدلوا وغيروا خرجوا عن اضافة التشريف بقوله وقد شاهدناه فى بعض السنين واليه الاشارة بقوله تعالى ﴿ان تنصروا الله ينصركم﴾ (واعطانى النصر) اى على من يعادينى ولو مع قلة العدد وفى بدء الامر (والعز) اى الغلبة والقوة عليهم (والرعب يسعى بين يدى امتى شهرا) قيل شهرا مفعول مطلق لا ظرف اى العدو الذى بينه وبينهم مسافة شهر يخافهم خوفا شديدا وهذا

من خواصه صلى الله عليه وسلم وخواص امته وخص هذه المسافة لانها ابعد مسافة اعدائه الموجودة فى زمانه كما مر وبهذا علم ان قوله فى المواهب فى حديث نصرت بالرعب وكون هذا له صلى الله عليه وسلم ولامته فيه احتمال غفلة عن هذا الحديث وفى قوله يسعى تشبيه للرعب بمقابله بتقدمه وفيه مبالغة بليغة كما قلت فى قصيدة

ولم يهزم(٢) عداه جيوش جنده * وجيش الرعب قد هزم القلوبا

ولو ثبتوا لفرّ الهام منهم * وارواح وما عرفوا الهروبا

(٢) ولم يهزم نسخه

(وطيب) بالتشديد والبناء للمجهول اى احل لقوله حلالا طيبا (لى ولامتى الغنائم) هى شاملة للفيء هنا وقد مر منتزعه (واحل لنا كثيرا مما شدد) فيه (على من قبلنا) من الامم السالفة كقطع الاعضاء والتوبة بقتل النفس وقرض محل النجاسة ووجوب القصاص فى العمد والخطأ الى غير ذلك مما ذكروه وتفنن فى العبارة ولم يراع التقابل ولو راعاه قال سهل علينا ما شدد مع انه لو عبر به توهم انه رخصة وليس كذلك على انه قد يقال احل فيه طباق او ايهامه للحل الذى هو ضد الشد (ولم يجعل علينا فى الدين من حرج) اى شدة وضيق وقال علينا لانه له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته فوسع عليهم بالرخص كترك القتال لمن له عذر واكل الميتة للمضطر وقصر الصلوة والتيمم (وعن ابى هريرة رضى الله عنه) فى حديث صحيح رواه الشيخان (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما من نبى من الانبياء) زاد من وبينه بقوله من الانبياء للتعميم (الا وقد اعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر) اى كل نبى جعل الله له معجزة اظهرها على يديه اطاعه بها الناس كعصى موسى عليه الصلوة والسلام واحياء الموتى لعيسى الى غير ذلك مما هو مشهور مأثور مناسب لزمانه الا ان تلك الآيات انقطعت بانقطاع عصره ومضت بمضيه بخلاف اعظم معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فانها باقية غير منقطعة غضة طرية فى كل عصر تتلى وتشاهد بركاتها وتستخرج من جواهر معانيها مالا يخفى وهى القرآن كما اشار اليه بقوله (وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحى الله الى) وما نافيـة ومن صلة لتأكيد النفى وهو مبتدأ وسوغ الابتداء به وقوعه بعد النفى ومن الثانية تبعيضية او بيانية والجار والمجرور صفة نبى وقوله الا وقد اعطى خبر والواو مزيد فيـه لتأكيد الاتصـال واللصوق والضمير المستتر فى اعطى مفعوله الاول وما الموصولة او الموصوفة مفعول ثان ومثله مبتـدأ ايضا والجمـلة بعده خبر لا وامن مضمن معنى غلب ولذا عداه بعلى او هى بمعنى البـاء والضمير المجرور بعلى عائد على ما فالجار والمجرور متعلق بامن او حال منه اى مغلوبا عليه والمراد بالآيات المعجزات ومفعول اوتيت محذوف اى اوتيته والحصر فى انما ادعائى او باعتبار الاعظم او المعظم ووحيا بمعنى كلام موحى به او قصر افرادى اى اوتيته انا لا غيرى من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فليس حصرا حقيقيا

بمعنى انه لم يعط غيره اذ المعنى انه ما من معجزة اعطيت لنبي الا اعطيها وزاد عليها بما هو مخلد في صحائف الدهر يعرف في كل زمان ولذا رتب عليه قوله (فارجو ان اكون اكثرهم) اى الانبياء عليهم السلام (تابعا يوم القيمة) وذلك لان هذه المعجزة لما كانت باقية الى يوم القيمة وهي باهرة ظاهرة يؤمن بها كل من وقف عليها من الناس لزم اكثرية من آمن به عليه السلام واتبعه على من آمن بغيره من الرسل وصدق بمعجزته المخصوصة بعصره فاذا مات انقطع التحدي بمعجزته وغابت عن الادراك وصارت خبرا كغيره من الاخبار اذ لم يأت احد منهم بمعجزة يدوك بعده اعجازها فاما التورية وسائر الكتب السماوية فليست بمعجز نظمها ولذا وقع فيها التحريف والتبديل وترجمت بلغات مختلفة وسيأتي الكلام على الاعجاز مفصلا وقد حقق الله رجاءه والى هذا اشار بقوله (ومعنى هذا الحديث عند المحققين بقاء معجزته) المذكورة (ما بقيت الدنيا) اى مدة بقائها وكون القرآن يرفع في آخر الزمان كما ورد في حديث حذيفة بن اليمان الذي رواه ابن ماجة ان الاسلام يندرس ويرفع كتاب الله في ليلة حتى لا يبقى منه في الارض آية ويبقى ناس يقولون ادركنا اباءنا على هذه الكلمة كلمة لا اله الا الله فقال له صلة ما يفعهم هذه وهم لا يدرون صلوة ولا صياما ولا نسكا فقال تنجيهم من النار لا ينافيه اما لانه باعتبار الاكثر والظاهر فانه محقق بقاؤه في نفس الامر لم ينسخ ولم يبدل وقيل انه زمن يسير بقاؤه كالعدم (وسائر معجزات الانبياء) اى جميعها (ذهبت للحين) المراد بالحين عقب وقوعها او انقراض عصره او المراد ذهبت بذهابه ولم تبق بعده وبينه بقوله (ولم يشاهدها الا الحاضر لها) بخلاف من اتى بعدهم (ومعجزة القرآن) اى القرآن المعجز او المعجزة التي هي القرآن فالاضافة بيانية (يقف عليها) اى يعلم بها ويحيط بها مجاز لان من وقف على شيء اطلع عليه كما في الاساس (قرن) فاعل يقف (بعد قرن) اى يطلع عليها جميع القرون والناس الذين حدثوا بعد عصر النبوة بخلاف غيرها (عيانا) بكسر العين كما مر اى مشاهدة (لا خبرا) اى لا باخبار غيرهم لهم (الى يوم القيمة) اى الى آخر الزمان وقيام الناس الى المحشر وهو كناية عن التأبيد والبقاء في الدنيا (وفيه) اى في هذا الحديث ومعناه للعلماء (كلام يطول هذا نخبته) بضم النون وسكون الخاء المعجمة والباء الموحدة اى مختاره وزبدته قال في الاساس نخب الشيء وانتخبه اذا نزعه ومنه الانتخاب الاختيار كأنك تنزعه من بين الاشياء وهؤلاء نخبة قومهم لخيارهم انتهى (وقد بسطنا) اى وصلنا من بسط يده اذا مدها (القول فيه هذا وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن على رضى الله تعالى عنه) في حديث رواه ابن ماجة والترمذي وحسنه وهو موقوف عن على كرم الله وجهه له حكم الرفع لان مثله لا يقال بالرأى وستأتي رواية ابي نعيم له مرفوعا (كل نبي) من الانبياء (اعطى سبعة نجباء) جمع نجيب وهو الكريم

(الحسيب)

الحسيب ويكون بمعنى الرفيق المعين فى المهمات والشدائد وهو المراد هنا (ونبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى اربعة عشر نجيبا) اى رفيقا كاملا شريفا وجعلهم ضعف مالكل نبى مرتين تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم واشارة لكثرة امته حتى يحتاج زيادة فى وزرائه والمراد بهؤلاء كما رواه ابو نعيم عن على ايضا رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن نبى الا وقد اعطى سبعة رفقاء نجباء وزراء وانى قد اعطيت اربعة عشر وهم حمزة وجعفر وعلى وحسن وحسين وابو بكر وعمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وابو ذر والمقداد وحذيفة وعمار وسلمان وفى رواية بلال انتهى وقد وقع فى تعيينهم اختلاف * اقول وبعد عصره صلى الله تعالى عليه وسلم خليفته القطب ووزراؤه النجباء والنقباء والبدلاء ومن فسر الاربعة عشر هنا بهؤلاء لم يصب رواية ودراية وقد ورد التصريح بهؤلاء فى احاديث جمعها السيوطى فى رسالة مستقلة ومن العجيب ان هذا مع انه متفق عليه بين اهل الشرع والحكماء كما قال صاحب حكمة الاشراق فى كتابه لا بد لله من خليفة فى ارضه وانه قد يكون متصرفا ظاهرا فقط كالسلاطين وباطنا كالاقطاب وقد يجمع بين الخلافتين كالخلفاء الراشدين كابى بكر وعمر بن عبد العزيز قد انكره بعض الجهلة فى زماننا قال ذو النون النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والبدلاء اربعون والاخيار سبعة والعمدة اربعة والغوث واحد وحكى ابو بكر المطوعى عن ابى الخضر عليه الصلوة والسلام انه قال له لما قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شكت الارض الى ربها وقالت الهى وسيدى بقيت لا يمشى علىّ نبى الى يوم القيمة فقال الله تعالى لها اجعل على ظهرك من هذه الامة من قلوبهم على قلوب الانبياء لا اخليك منهم فقالت له كم هم قال ثلثمائة وهم الاولياء وسبعون وهم النجباء واربعون وهم الاوتاد وعشرة وهم النقباء وسبعة وهم العرفاء وثلاثة وهم المختارون وواحد وهو الغوث فاذا مات حمل واحد من الثلاثة مكانه ونقل من السبعة الى الثلاثة ومن العشرة الى السبعة ومن الاربعين الى العشرة ومن السبعين الى الاربعين ومن الثلثمائة الى السبعين ومن سائر الخلق الى الثلثمائة وهكذا الى ان ينفخ فى الصور (منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار) وقد بينا ذلك (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل) وهو حديث مشهور رواه الشيخان عن ابى شريح قاله يوم فتح مكة يوم الجمعة تاسع عشر رمضان سنة تسع من الهجرة ومعنى حبس منع وفى رواية القتل بقاف وتاء فوقية وقصة الفيل مشهورة غنية عن البيان (وسلط عليها رسوله) محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقل سلطنى اشارة الى انه مأمور من الله لا حظ له فى ذلك من نفسه لنزاهته عن الحظوظ والاعراض النفسانية (والمؤمنين) من امته وجنده (وانها) اى مكة (لا تحل لاحد بعدى) وفى نسخة (من امتى) وفى نسخة

لم يبدل لا وفي اخرى لن وفيه اشارة الى ان تحريمها سابق في علم الله وفي زمن ابراهيم عليه الصلوة والسلام فانه حرمها وجعلها حرما آمنا وكان ذلك اظهارا لما سبق في علمه وحكمه (وانما احلت لى ساعة من نهار) اى انما اعلمنى الله بحلها لى وكان حل القتال لى فيها في ساعة من نهار يوم الفتح وكان ذلك من الصبح وحمله ساعة تقليلا لزمانه لانه ساعة حقيقة كما قال الله تعالى (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام) الى آخره والحرم مثل المسجد فى ذلك وهذه الآية محكمة عند ابن عباس ومجاهد تمسكا بهذا الحديث وقوله فيه ثم عادت حراما الى يوم القيمة وروى بمعناه من طرق اخر وقتاله صلى الله تعالى عليه وسلم امره بقتل من لجأ الى الحرم كابن خطل من خصائصه كما روى عن السلف وقيل عليه ان قوله احلت يدل على تقدم حرمته فيكون نسخا ولو كان نسخا استمر فيكون رخصة لانها استباحة مع المانع وبه قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقال قتادة والضحاك انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبآيات اخر فى معناها وتمسكوا بفعله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا دليل فيه لتصريحه بالتخصيص وبه قال الشافعى رحمه الله تعالى (وعن العرباض بن سارية رضى الله تعالى عنه) فى حديث رواه احمد والبيهقى والحاكم وقال انه صحيح الاسناد والعرباض بكسر العين وسكون الراء المهملتين وموحدة وآخره ضاد معجمة معناه القوى نقل للعلمية وهو من كبار الصحابة اهل الصفة رضى الله تعالى عنهم سكن بحمص من ارض الشام ومات بها سنة خمس وسبعين (سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) جملة حالية او معمول ثان على الخلاف فى سمع اذا تعلق بالذوات الغير المسموعة كما يعرفه من تبحر فى العربية وقدمر بيانه (انى عبد الله) وفى رواية انى عبد الله مكتوب (خاتم النبيين) قدم على هذه الكلمات وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعبودية اشارة الى انها اشرف عنده مما سواه وانه انما نالها بمحض كرم الله وفضله واحترازا عمن يطريه ان يتجاوز فيه الحد كما وقع للنصارى فى عيسى عليه الصلوة والسلام ولذا قال انى عبد الله آتانى الكتاب الآية وخاتم بكسر التاء وفتحها آخرهم ومن به كمالهم (وان آدم لمنجدل فى طينته) اى مختلط فى تربته او ساقط فيها كما تقدم وفى طينته حبر ثان لا ظرفا لمنجدل ثم اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم باول امره بانه (وعدة ابراهيم) بكسر العين وتخفيف الدال المهملتين مصدر بمعنى الوعد كالزنة وفى نسخة دعوة اى ابراهيم وهى اشهر واظهر لانه اشارة الى قوله تعالى (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) والمقتة بالله انه لا يخيبه جعل ذلك وعدا منه لذريته وجعله نفس الدعوة مبالغة باقامة السبب مقام المسبب لانه دعا ان يجعل من ذريته وذرية اسمعيل رسولا ولم يكن من ذريتهما معا غيره مرسلا فان الانبياء من ذريته كداود

وسليمان ايسوا من ذرية اسمعيل فتعين كونه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (وبشارة عيسى ابن مريم) فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله تعالى (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد) وجعله نفس البشارة مبالغة وهي بكسر الباء مصدر كالبشرى وبضمها مايعطى البشير واسم مصدر بمعنى المبشور ويكون في الخير والشر اذا اطلقت ثم خصت بالخير وصارت حقيقة ونحو فبشرهم بعذاب اليم تهكم على هذا وعلى الاول هي حقيقة مطلقا اواذا قيدت وسميت بشارة لتاثيرها في بشرة الوجه مايسمى ورد السرور وفي شرح الجامع الصغير الفرعي ان البشارة تختص بالصدق وجهل المخاطب والخبر لان ذلك يغير بشرة الوجه الفرح وهي في اللغة خبر يغير بشرة الوجه مطلقا الا انه صار فيما ذكر حقيقة عرفية والاصل فيه مافي الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال من اراد ان يقرأ القرآن غضا طريا كما انزل فليقرأ بقراءة ابن ام عبد فابتدر ابو بكر وعمر ليخبراه بذلك فسبق ابو بكر رضي الله تعالى عنه فكان يقول بشرني ابو بكر واخبرني عمر قال العلامة ابن كمال * فان قلت الخبر الكاذب يغير البشرة ايضا وليس من شرط الحنث بقاء المعلق عليه كما لو قال ان دخلت الدار فانت طالق فدخلت ثم خرجت حنث * قلت في الكاذب لم تتم البشارة فوزانه وزان ما لو حلف على لبس خفيه فلبس احدهما ولم يذكر الصدق في الهداية وفيه قصور ومن ثمه قالوا لو قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم زيد فهو حر عتق الاول لانه الذي ظهر السرور بخبره دون الثاني و فبشرهم بعذاب اليم تهكم ومن هنا علم ان البشارة مشروطة بجهل المخبر اذ البشرة لاتتغير بما علمه قال وفي هذا الحديث دلالة على ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام قبل عيسى لم يخبروا باتيان نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه فقوله في الكشاف في تفسير قوله تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه) ان ابن سلام رضي الله تعالى عنه دعا ابني اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام وقال قد علمت انه تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فيه انه صريح في بشارة موسى بمحمد عليهما الصلوة والسلام باسمه الخاص وهو مخالف لنص القرآن والحديث الصحيح لايقال اليهود حرفوا التورية فزال تلك البشارة وصح ان عيسى هو المبشر لانا نقول انما كان هذا بعد عيسى لقوله تعالى (مصدقاً لما بين يدي من التورية) فنسبة البشارة لعيسى ظاهرة في عدم البشارة قبله والا لقال بشارة اخي موسى وكذا قولهم في الخطب المنبرية في التورية والزبور والانجيل انتهى * اقول هذا غير وارد بل غير صحيح من وجهين * الاول ان كونه مبشرا به قبل الانجيل في الكتب السماوية كلها او جلها مما لاشبهة فيه وقد صنف في ذلك كتابا مستقلا سماه خير البشر بخير البشر

الحافظ ابن ظفر ولولا خوف الاطالة اوردت مافيه هنا * الثاني ان قوله انه مخالف للقرآن والحديث كلام ناش من عدم تدبر معنى البشارة والفرق بينها و بين الخبر الصادق فان كل بشارة على ماورد خبر بلا عكس والبشارة خبر سار بمافيه ينفع المخبر في زمن ما بعيدا او قريبا كالبشارة بالجنة ولما كان من قبل عيسى بينهم و بين نبينا رسل وامم لم يكن ذلك بشارة لعلمهم بان المخبر لايدركه بخلاف عيسى فان امته ومؤمنوهم ادركوا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كسلمان ونحوه فكان اخباره به بشارة لمن اتبعه منهم وحثا لهم على اتباعه كما اشار اليه قوله من بعدي فلم يخالف النص الا ابن اخت خالته فاعرفه (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) في حديث رواه البيهقي والدارمي وابن ابي حاتم (قال ان الله فضل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم على اهل السماء) يعني ملائكة السماء وهم افضل من ملائكة الارض فيعلم منه تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم على جميع الملائكة حتى الخواص منهم ورسلهم خلافا للمعتزلة والحليمي من الشافعية القائلين بتفضيل خواص الملائكة على الانبياء ولم يختلفوا في تفضيلهم على ملائكة الارض كما سيأتي (وعلى الانبياء كلهم) فردا فردا وعلى المجموع فلا وجه لتخصيصه بالاول كما تقدم فتذكره (قالوا) اي الحاضرون عند ابن عباس السامعون لكلامه (فما فضله على اهل السماء) اي ماسببه ودليله (قال ان الله قال ومن يقل منهم) اي من اهل السماء (اني اله من دونه) اي من يثبت منكم الهية غيره (فذلك) القائل (نجزيه جهنم) تهديدا لمن اشرك منهم وتقطيعا(٢) لامر الشرك وتعظيما لتوحيده تعالى (وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انا فتحنا لك الآية) فجعله مغفورا له غير مؤاخذ بما صدر ومايصدر واورد عليه انه لادلالة فيما ذكر على المدعى لانه على سبيل الفرض مع القطع بعصمتهم وقد خاطبه بمثله في قوله تعالى (لئن اشركت ليحبطن عملك) ولك ان تقول وجه الدلالة انه هددهم على سبيل الفرض بعذاب جهنم ودخولها ولم يهدده بمثله وهذا يدل على انحطاط رتبتهم عنده عن رتبته فتأمل (قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس) اي ان هذه الآية تدل على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وتخصيص رسالة كل رسول بقومه وكافة صفة مفعول مطلق مقدر اي رسالة كافة اي عامة وللناس متعلق به والحاصل ان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فهم من هذه الآية العموم والخصوص فاستدل بها فلا يقال انه لايلزم من انه لاينطق الا بلسان قومه انه لم يرسل الا لهم لانه على مقتضى الظاهر فلا يدعى غيره الا بدليل والدليل قائم على خلافه كما مر (وعن خالد بن معدان رحمه الله تعالى) هذا الحديث روي من طرق كما اشار اليه المصنف ورواه ابن اسحق مرسلا والدارمي واحمد موصولا عن خالد عن عبد الرحمن السلمي عن عتبة بن

(٢) وتقطيعا نسخه

عبدالسلمى بطوله ومعدان حمصى تابعى من كبار التابعين وزهادهم ادرك سبعين من الصحابة وتوفى سنة اربع ومائة (ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله اخبرنا عن نفسك) اى عن حالك وشانك من ابتداء امرك (وقد روى نحوه) اى نحو مارواه خالد (عن ابى ذر) الغفارى الصحابى رضى الله عنه اخرجه الدارمى (وشداد بن اوس) بن ثابت بن منذر بن حرام وهو ابن اخى حسان بن ثابت بن حرام بالمهملتين المفتوحتين صحابى نزل بيت المقدس وتوفى بالشام سنة ثمان وخمسين رضى الله عنه والرواية عنه اخرجها ابو نعيم فى الدلائل (وانس بن مالك) اخرجه ابو نعيم ايضا (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله عن نفسه (نعم) جواب لسؤالهم اى اخبركم بذلك (انا دعوة ابى ابراهيم) بدل من ابى او عطف بيان اى اثر دعوته او عينها مبالغة ونعته بانه اب لاطلاقه على الجد ولبيان انه من ذريته الذين دعا لهم (يعنى قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) فهو المراد بالرسول فى دعوته المجابة (وبشرى عيسى) عليه الصلوة والسلام تقدم بيانه (ورأت امى) اراد رؤيا امه فغير الاسلوب لانه نوع لما قبله فهو على نهج قوله وجعلت قرة عينى فى الصلوة كما تقدم (حين حملت بى) وفى رواية حين وضعتنى فالرؤيا وقعت مرتين وهذا يحتمل انه رؤيا منام ورؤية يقظة والمرئى محذوف دل عليه قوله (انها خرج منها نور اضاء له قصور بصرى) بضم الباء والقصر بلدة من اعمال دمشق هنا وهى ايضا اسم بلدة اخرى من قرى بغداد تقرب عكبرا كما فى معجم ياقوت وهى مدينة حوران وقيل انها قيسارية او حوارزم وهو غير صحيح لان قوله (من ارض الشام) يأباه فهو غفلة من قائله والصحيح انها مدينة بين المدينة ودمشق وهى اول بلاد الشام فتوحا فتحت سنة ثلاث عشرة والشأم الاقليم المعروف بهمزه ويجوز ابدالها الفا كراس وفيه لغة اخرى شآم بالمد قال ابن قرقول اباها اكثرهم وحده طولا من العريش الى الفرات وقيل الى نابلس وعرضا من جبل اجا(٢) وسلمى الى بحر الروم وماسامته ودخله من الصحابة كثيرون ودخله صلى الله تعالى عليه وسلم اربع مرات مرة مع عمه ابى طالب لما رآه بحيرا ومرة فى تجارته لخديجة مع غلامها ميسرة ومرة حين اسرى به ومرة فى غزوة تبوك قال ابن عساكر رؤية آمنة النور حقيقة حين وضعته واما رؤيتها له حين حملت فكان فى المنام كما قاله الواقدى ثم حقق الله لها ذلك اذا وضعته لانها كما ورد فى الحديث اتيت وقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة وآية ذلك ان يخرج معه نور يملأ قصور بصرى فحقق الله لها مارأته اولا وهو كلام حسن وتخصيصه لانه اول فتح فى الاراضى المقدسة (واسترضعت) بالبناء للمجهول اى طلبت امى ان اكون رضيعا (فى بنى سعد بن بكر) ارضعته منهم حليمة السعدية بنت ابى ذؤيب زوجة الحارث بن رفاعة بعدما ارضعته ثويبة مولاة ابى لهب وله اخوة من الرضاعة مذكورون

(٢) قوله اجا بضم الهمز وتشديد الجاء المعجمة والقصر اسم موضع بالبصرة مشتمل على قرى وانهار قاله مصححه «احمد طاهر»

مع قصة ارضاعه في كتب السير (فبينا انا مع اخ لي) من الرضاع لا من النسب اذ ليس له صلى الله تعالى عليه وسلم اخ ولا اخت من النسب وبينا ظرف والفه للاشباع اوكافة كبينما والكلام عليها مفصل في كتب العربية (خلف بيوتنا) اضاف البيوت له باعتبار السكنى او التغليب لان المراد بيوت بني سعد (نرعى بهما) الرعي اكل الحيوانات النبات والذهاب بها لترعى وهو المراد هنا والمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان مع الرعاة لا راعيا لصغر سنه والبهم بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء والميم وهي جمع بهمة اسم لاولاد الضأن واولاد المعز سخال ويطلق على مايعمهما قال

صغيرين نرعى البهم ياليت اننا * الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

(لنا) اضافها له معهم لاختلاطه باصحابها لادنى ملابسة (اذ جاءني رجلان) اي ملكان في صورة رجلين فهو مجاز (عليهما ثياب بيض) وفي حديث آخر ثلاث رجال وهم جبريل واسرافيل وميكائيل عليهم الصلوة والسلام كما اشار اليه بقوله (وفي رواية اخرى ثلاثة رجال) وجمع بينهما بانه جاءه اثنان اولا لشق صدره والثالث اتى بعد مباشرته (بطست من ذهب مملوة ثلجا) وفي رواية ملكان وفي رواية كوكبان كانهما انقضا عليه كوكبان ثم تمثلا بصورة رجلين والطست بفتح الطاء وسكون السين المهملة ومثناة فوقية وفيه لغة اخرى طس بتشديد السين وطسه بهاء وفي طائه الفتح والكسر ففيه خمس لغات وهو اناء معروف واستعمال الذهب لم يكن حراما اذ ذاك لاسيما وهو من الجنة لا من جنس ذهبنا فلا حاجة للجواب بانه يجوز للصغار وانه يجوز تحلية آلات الطاعة به كالمصحف والسيف مع مافيه وفي رواية انه من زمرد اخضر وانه صب عليه من ابريق فضة واما كون الطشت بشين معجمة فقيل انه غلط وقيل انه لغة فيه ومملوة بالتأنيث لان الطست يذكر ويؤنث اوهو لتأويله بآنية وهي مجرورة صفة او منصوبة حال والمراد انه نقي بالثلج او بمائه ولا حاجة للبحث فيه هل هو مطهر ام لا لان هذه امور لا يطلع عليها وروي انه غسل بماء الجنة وبماء زمزم وهذا كان في حال الطفولية ووقع في رواية انه كان بعد هذه المدة لما اسري به فمنهم من قال الروايتان متعارضتان ورد هذه وقال السهيلي لا تعارض بينهما وانه وقع مرتين الاولى لتنقيته من الحظوظ النفسانية والاخرى ليقدس فيقوى على العروج لمشاهدة الانوار العلوية وكونه مخلوقا من النور لا ينافيه كما توهم وروي بان الطست مملوء حكمة وايمانا وان الثلج لبرد اليقين فهو اما بتأويله او بتجسيم الاعراض وليس ذلك على الله بعزيز والثلج بسكون اللام وقال التلمساني بفتحها بمعنى اليقين فيجوز قراءته بالفتح فتكون هذه الرواية كرواية مملوءة حكمة وايمانا (فاخذاني) اي امسكاه صلى الله تعالى عليه وسلم واضجعاه (فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني) النحر اعلى الصدر ومراق بفتح الميم

وتشديد القاف وهو مارق ولان من البطن ولا واحد له من لفظه والميم زائدة (ثم استخرجا منه) عائد على الجوف المعلوم من السياق او للبطن اتأويله به (قلبي) مفعول استخرجا (فشقاه) اي القلب وهذا من المعجزات لان الاطباء اجمعوا على ان القلب لا يحتمل جراحة اصلا فكيف يعيش صاحبه اذا شق (واستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها) اي رمياها لانها حظ الشيطان ومغمزه وفيها الحسد والحقد ووسوسة الشيطان والحرص والشهوة المذمومة والعلقة دم منجمد كالعلقة المعروفة في دود الماء قال السبكي رحمه الله تعالى في طبقاته سئل الوالد رحمه الله عن هذه العلقة التي اخرجت من قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم حين شق فؤاده وقول الملك هذا حظ الشيطان منك فاجاب بان تلك العلقة خلقت في قلوب البشر قابلة لما يلقي الشيطان فيه ولم يكن للشيطان فيه حظ وانما الذي نفاه الملك منه امر في الجبلة البشرية فازيل القابل الذي لا يلزم من حصوله حصول الالقاء في القلب وانما خلقت على هذا لانها من اجزاء البدن المكملة لخلقه فلابد منه ثم نزعت بامر رباني طرا بعده وقريب منه قول الاستاد محمد البكري في رسالته النافعة نزع العلقة من باطنه المقدس المطهر وقول الملك انها حظ الشيطان اي لو تعلق الشيطان بمحل منه كان هذا فخلق ابتداء تكملة لاصل الخلقة وتسوية للنشأة الانسانية مع زيادة اظهار يأس الشيطان باخراجها منه وهذا من تقديس السر وتنزيهه اعلاه واشرفه وقدر لا يدانيه احد فيه * اقول حاصله ان الله خلقه صلى الله عليه وسلم كامل البنية مكملا فاقتضت الحكمة الربانية ان يكون جسمه احسن الاجسام وقلبه اقوى القلوب كما ان روحه صلى الله تعالى عليه وسلم اعظم الارواح وانورها ولما كان القلب رئيس الاعضاء بقوته تقوى صفاته من الشجاعة والفطنة وغيرها وهذه العلقة جزء سوداوي به يكون القلب قوي البنية فهي الثمرة وعليه ينبني لكونه كحب العنب والفواكه فبعد نضج ثمرته ينزع عجمه ويرمى ولكونه سوداويا رديء الاخلاط كان محلا لافداء الاوهام والخيال الذي هو لريحان الفكر كالحشيش النابت بينه بقلعه يقوى فاندفع انه لم لم يخلقه الله بدونها حتى يتطهر من دنس الوسوسة وما يقبلها فلا يأ لم بشق وقلع وظهر ان معنى كونها حظ الشيطان انها محل حظه لو كان لكنه لم يكن وانما اطلت هنا لانه سر من اسرار الله تعالى ولله در ابن قرناص الحموي في قوله

اما والله لو شقت قلوب * ليعلم ما بها من فرط حب

لارضاك الذي لك في فؤادي * وارضاني رضاك بشق قلبي

(ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه) ولما كان ارضه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ثلج بها غسل بذلك ليعلم انه من عالم الغيب والجنة ويقال نقاه بالتشديد وانقاه اذا جعله نقيا نظيفا والمشهور الاول وفي هذا دليل على عصمته صلى الله

تعالى عليه وسلم قبل النبوة من جميع الآثام والنقائص وكيف يتصور بعد ما نبأ ان يصدر منه زلة او امر لا يرضى الا سهوا ومثله لا يؤاخذ به (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث آخر ثم تناول احدهما) اى اخذ من ملك غيره او اخرجه من يده واصل المناولة الاخذ من غيره (شيئا فاذا بخاتم فى يده من نور) اى يتلألأ ويضيء اضاءة زائدة حتى كانه مجسم من النور ففيه مبالغة فى اشراقه كقوله تعالى (خلق الانسان من عجل) وفى رواية انه خيط بمخيط وكان يرى فى صدره الشريف اثر الخياطة (يحار الناظر دونه) اى فيما دونه او اقل منه (بهاء) اى نورا ونفاسة والناظر اما بمعنى الشخص الذى ينظره ويحتمل ان يريد به العين وانسانها لانه يطلق عليها فعلى الاول المعنى انه يتحير من نوره وحسنه فى معرفته وعلى الثانى النسبة اليه مجازية والمراد صاحبه او معناه يبهت ولا يطرق اجفانه وفيه وفى قوله دونه لانه اذا تحير فيما دونه فكيف به (فختم به قلبى) كما يختم الكيس والخزانة التى فيها الجواهر وكل نفيس وختمه لئلا يصل اليه مالا يليق به من الوسوسة ولئلا يضيع مافيه وفيه اشارة الى انه خاتم الانبياء وليس هذا ولا اثره خاتم النبوة المذكور فى الحديث حتى يقال انه احتاج فيه هل ولد به او كان حدوثه حين نبئ ولا فى هذا الحديث بيان لانه كان حين شق صدره كما توهم والختم حفظا له عن ان يخرج مما احرز شئ بغير علمه فلا يرد ما قاله السهيلى انه ينافى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم الناس الحكمة وتفجرت من قلبه ينابيع الحكم وفاض انواره على العالم (فامتلأ ايمانا وحكمة) فى تفسيرها اقوال والذى صفا منها انها العلم المشتمل على معرفة الله مع البصيرة وتحقيق الحق والعمل به وفى التفريع هنا خفاء لان مقتضى الظاهر ان يقدمه على الختم ولا يرتبه عليه فيقول ملأه فامتلأ ثم ختمه لانه بعد الختم لا يدخله شئ الا ان يؤول بانه تبين فيه انه امتلأ اللهم الا ان يقال انه دخل فيه نور من الخاتم ثم ملأه بما ذكر ومر ان العلم والحكمة معنى لا يملأ حيزه فاما ان يقال انه تجسم او جعل بمنزلته (ثم اعاده مكانه) اى اعاد الخاتم فى مكانه الذى كان من يده او يد غيره وليس الضمير للختم كما توهم حتى يقال انه يشعر بانه كان من اصل خلقته (وامر) بتشديد الراء المهملة اجره اى مسح والصق يده مارة (الآخر) اى الملك الآخر (يده على مفرق صدرى) بفتح الميم والراء وكسرها بينهما فاء ساكنة اى محل الشق والافتراق الذى كان منه فهو بمعناه اللغوى وان اختص عرفا بوسط الرأس او هو مصدر ميمى (فالتأم) بهمزة بعد المثناة الفوقية اى انضم واجتمع حتى لم يبق فرجة من الشق (وفى رواية اخرى ان جبريل عليه الصلوة والسلام قال) بعد ما مر (قلب وكيع اى شديد) وفى كتب اللغة تفسيره بصلب وغليظ والمراد هنا ما ذكره المصنف ومنه نقل العلم (فيه) اى فى قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم (عينان)

بصران واذنان سميعتان) لايخفى ان حمله على ظاهره كما قيل بعيد فالمراد انه شديد الادراك لما يبصر و يسمع و كون القلب لايدرك المحسوسات لانه انما يدرك المعقولات لاوجه له فانه يدركها بواسطة الحواس وفي التعبير عن الاول بالمضارع وعن الثانى بالاسم الدال على الثبوت تفنن وايماء الى ان الاول لايكون الا بفعل يحدث منه كالمقابلة و فتح الجفن بخلاف الثانى واسنادهما ليس بمجازى وهذا كالتعليل لما قبله (ثم قال احدهما) اى الملكين (لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فرجحتهم(٢) ثم قال زنه بالف من امته فوزنني بهم فورنتهم) الوزن معروف ورجحانه زيادة ما فى الكفتين و ثقله فينزل الراجح ويعلو مقابله والمراد بامته من اتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهم امة الاجابة او من وجد فى عهده وهم امة الدعوة فمن فسره بالاول يعلم الثانى منه بالطريق الاولى وعدم الاعتداد بغيرهم. ويجوز ارادة الثانى وهذا الوزن الظاهر ان المراد منه مجرد المقابلة بين كماله صلى الله تعالى عليه وسلم وكمالاتهم بحسب النظر العامى ومنهم من ذهب الى انه على ظاهره وحقيقته وان لم يعرف كيفيته الا انه يحتاج لتأويله لان الامة لم يكونوا موجودين فقيل المراد منهم ارواحهم وان الله اطلعهم على ذلك وانما ذكروه ليطلع على ذلك وتعلم به امته ثم انه وقع فى هذا الحديث اختلاف فى رواية ابى ذر رضى الله تعالى عنه ان الوزن قبل الشق وانه ابتدأ فى الوزن بالواحد ثم العشرة واختار المصنف هذه الرواية لان الرجحان مما اودعه الله تعالى فيه بعد اماطة ما لاوزن له عند الله وفيه ايضا انه وضع فيه خاتم النبوة بين كتفيه وقال شيخ والدى الشهاب بن حجر الهيتمى انه وقع فى بعض الروايات انه ولد بخاتم النبوة فان الحاكم روى بسند حسن عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن بعض الاحبار انه قال ولد فى هذه الليلة يعنى ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم نبى هذه الامة بين كتفيه علامة فيها شعرات وفيه دليل على انه ولد بخاتم النبوة لكن جاء بسند اصح من هذا ان الملكين لما شقا صدره الشريف ختماه بخاتم النبوة ويمكن الجمع بانهما ختما ذلك المحل الثانى عند الوضع بعد ختمه اولا اشارة الى زيادة الاعتناء والتشريف ثم رأيت من جمع بينهما بانه كان فى موضعين على الكتف وبين كتفيه وروى بسند ضعيف انه رفع بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم واعلم ان بعض الشراح قال ان الشق والغسل فى ذلك ليس مخصوصا به صلى الله تعالى عليه وسلم لكان لسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام لما روى انه كان فى تابوت السكينة الطست الذى غسلت فيه قلوب الانبياء عليهم الصلوة والسلام (ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته وزنها) اى لعلاهم فى الوزن ولا عادلهم وباب المغالبة معلوم من كتب التصريف وفى هذا الحديث دليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من جميع

(٢) فورنتهم نسخه

الناس واقواهم شجاعة وقدرة على الجماع وعلما وفطنة كما مر لما اودع فى قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم مالم ينله غيره (قال فى الحديث الآخر ثم ضموني الى صدورهم) اى عانقوني اظهارا لمحبتهم وتكريمهم لى (وقبلوا رأسي ومابين عيني) بتشديد الياء للتثنية وفيه استحباب تقبيل الرأس ومابين العينين لمن ينبغي محبته واكرامه اظهارا لذلك (ثم قالوا ياحبيب) بالبناء على الضم واصله ياحبيب الله (لم ترع) بضم المثناة الفوقية وفتح الراء المهملة وعين مهملة اى لم تخف وتفزع وهو مبنى للمجهول اى حصل لك من قوة القلب مالا يعتريك بعده خوف من شيء والمراد تطمين قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما وقع من الشق له ثم استأنف بجملة مؤيدة لماقبلها فقال (انك لو تدري مايراد بك من الخير) اى مايريده الله لك من الكمال والخير الدنيوى والاخروى (لقرت عيناك) اى لسررت سرورا عظيما وقدمر ان قرة العين الفرح وهو ضد سخنت فهو من القر بمعنى البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حر او من قر بمعنى ثبت وسكن طرفه لانه لم يبق له شيء يطمح له عينه ويطرفه (وفى بقية هذا الحديث من قولهم) اى من قول هؤلاء الملائكة وهذا موافق لكونهم ثلاثة كما مر (ما اكرمك على الله) تعجب من رفعته صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته عند ربه (ان الله معك وملائكته) بعنايته وفضله وليس فى قوله من قولهم ما يقتضى انه مشتمل على مقولهم ومقول غيرهم كما قيل (قال فى حديث اى ذر) المشهور المذكور اولا وهذا الحديث رواه الدارمى (فماهو) اى فعلهما بعد ذلك وما نافية وقيل الضمير للشان وهو على حد قولك لم يلبث فلان ان فعل كذا والمراد السرعة (الا ان وليا) اى رجعا وانصرفا عنى بعد فعلهما ومقالتهما السابقة (فكانما ارى الامر معاينة) المراد بالامر هنا مااكرمه الله به وماسيكرمه به من مقدمات النبوة وارهاصاتها ومااراد فى فطنته وعلمه ولتحققه لذلك جعل كالمحسوس المرئى ببصره وليس المراد به القصة المذكورة من مشاهدة الملكين ومافعلاه كما توهم وقد اتى بخبط وخلط فى تفسيره لاطائل تحته (وحكى ابو محمد مكى وابو الليث السمرقندى وغيرهما) تقدم ترجمتهما والكلام عليهما (ان آدم عليه الصلوة والسلام عند معصيته) اى اكله من الشجرة وسيأتى الكلام عليه فى عصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وهذا الظرف متعلق بقوله (قال) ومقوله (اللهم بحق محمد) اى بما يستحقه عندك من الزلفى والكرامة وهذا الحديث رواه البيهقى والطبرانى عن عمر رضى الله عنه بسند فيه ضعف وفيه دليل على انه يجوز ان يقال فى الدعاء بحق الانبياء ونحوه خلافا لمن افتى من علماء العصر انه لايجوز ان يقال مثله لانه ليس لاحد على الله حق وقد وقع مثله فى احاديث كثيرة ومعناه مامر (اغفر لى خطيئتي ويروى وتقبل توبتي فقال له الله من اين عرفت محمدا فقال رأيت فى كل موضع من الجنة) رأى هنا بصرية

(مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله) نائب فاعل اسم المفعول (و يروى محمد عبدى ورسولى) بدل رسول الله (فعلمت) بما رايته من كتابته و اقتران اسمه باسمك (انه اكرم خلقك) اى مخلوقاتك (عليك فتاب الله عليه وغفر له) ذنبه لتوسله الى الله بحبيبه وصفيه و بما علمه من ذلك (وهذا) اى الحديث المذكور (عند قائله) اى عند من رواه واعتمده وهو مكى رحمه الله تعالى ومن سبق ذكره وليست الاشارة لقول آدم عليه السلام اللهم الى آخره كما قيل (تأويل قوله تعالى) اى تفسيره لان التأويل يرد بمعنى مطلق التفسير و بمعنى التفسير بمقتضى العربية من غير نقل مأثور ويكون ايضا بمعنى مايؤول اليه ويتحقق به فى الواقع وهو اصل معناه (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وهذا فيه خفاء لان معنى تلقيها من الله اخذها منه بغير واسطة والمذكور انه رآها مكتوبة فى الجنة فكانه جعل الهام الله له الدعاء بمنزلة تلقيها عنه وقيل انه على قراءة ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات ومعنى تلقيها استغناؤها باحدها والعمل بها حين علمها واشار بقوله عند قائله الى ان فيه اقوالا اخر فقيل الكلمات المتلقاة هى (ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وقيل * اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فاغفر لى فانك خير الغافرين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فتب علىّ انك انت التواب الرحيم * فسقط ماقيل انه ليس فيه على هذه الرواية انه تلقى من الله والكتابة لا تسمى كلمات الا مجازا ولا قرينة تدل عليه قيل وفيه دلالة على ان آدم عليه الصلوة والسلام كان يعلم الكتابة وسؤال الله له بقوله من اين الى آخره ليس استفهامه على حقيقته لعلمه به وانما هو تشريف له بخطابه وليبين له فضيلة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عقبه (وفى رواية اخرى فقال آدم عليه الصلوة والسلام لما خلقتنى رفعت رأسى الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله) فيه خبر مقدم ومكتوب مبتدأ مؤخر صفة شئ مقدر ولا اله الا الله الى آخره بدل منه او هو مبتدأ مكتوب خبره وفى بعض النسخ وفى رواية الآجرى بالمد وضم الجيم وتشديد الراء المهملة وياء نسبة للآجر المعروف وهو الامام القدوة ابو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى مصنف كتاب الشريعة شيخ ابى نعيم سكن مكة وتوفى بها فى المحرم سنة ستين وثلثمائة (فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك) فلا يرد ما للمقارنة قبل هذا فى الرواية الاولى ظاهر اذ هيها فى كل موضع واما هنا فهو فى موضع واحد واجيب بانه يحتمل ان الرواية الاولى زيادة على هذه وتركها لئلا يتكرر ولا يخفى بعده ولا حاجة الى مافهمه من لزوم المقارنة بل المقارنة فى هذا المحل العظيم تكفى فيما قاله قلت ومن هذا الحديث يؤخذ ان كتابة اسماء الله ونحوها

فى سقوف المساجد وغيرها غير مكروهة كما توهم (فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ماخلقتك) فروحه صلى الله تعالى عليه وسلم مخلوقة قبل الارواح والانبياء كلهم خلقوا لاجله ووجوده سبب لوجودهم فهو اب معنوى لهم وكلهم اتباعه فى الوجود قيل قوله فاوحى الله اليه يقتضى ان هذا الخطاب وحى لامشافهة وقوله لماخلقتنى قبله يدل على خلافه وقد يقال انه خاطبه اولا واوحى اليه بعد ذلك مع ان الداعى مخاطب ربه وان لم يخاطبه فلايدل كلامه الاول على ان كلام الله معه بدون وحى (قال وكان آدم عليه الصلوة والسلام يكنى بابى محمد وقيل بابى البشر) كما رواه البيهقى عن على كرم الله وجهه مرفوعا والثانى اشهر ﴿تنبيه﴾ قوله ولولاه ماخلقتك خلاف اللغة فانها فى الاكثر يليها ضمير رفع منفصل يحذف خبره وجوبا اذا كان عاما وقد يكون مخصوصا فيذكر على قول ويليها ضمير مجرور صورة كما هنا قليلا فيقال لولاى ولولاك ومنعه المبرد رحمه الله تعالى واجازه غيره فقيل انها حرف جر وقيل انه نائب عن المرفوع واتصل بغير عامله ومنعه سيبويه بمنع النيابة فى غير الضمائر المنفصلة وغيره يجيزه مع الحروف والافعال كما تقرر فى محله وعليه الزمخشرى (وروى عن سريج بن يونس) بضم السين وفتح الراء المهملتين وياء مثناة تحتية وجيم وصحفه بعضهم بشين معجمة وحاء مهملة وهو غلط وهو ابو الحارث البغدادى امام الحديث توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وروى له مسلم والبخارى (انه قال) ان كان الضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المعلوم من السياق فهو ظاهر وان كان لسريج فهو فى حكم المرفوع لان مثله لايقال بالرأى (ان لله تعالى ملائكة سياحين) من السياحة من ساح الماء اذا جرى ثم شاعت فى السير الطويل والمشى فى الارض والسفر من غير مقصد معين للنظر فى المصنوعات ونحو ذلك (عبادتها) اى الملائكة وانثه نظرا لظاهر لفظه او لتأويله بطائفة وعبادتها بتاء موحدة فيه مضاف مقدر اى حفظ (كل دار (٢) فيها) من اسمه (اسمه احمد او محمد) او دخول كل دار ونحوه وضبط ايضا مثناة من تحت والمراد بالعبادة الزيارة وقدم احمد لانه مسمى به قبل محمد ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم معروف به عند الملائكة او للترقى (اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم) اى زيارتهم لاجل الاكرام وقال بعضهم لاثلاثيتوهم انهم اتوا باكرام من غيرهم وانهم رسل فى ذلك والا فهو حشو ويأتى ان اهل مكة ونقل بعض اهل المدينة يقولون كل دار فيها من اسمه محمد يوسع الله رزقهم وهو عن تجربة منهم وقيل هذا لايختص بهذين الاسمين بل كل من تسمى باسم من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك وفيه نظر (وروى ابن قانع القاضى) بقاف ونون بعد الف وعين مهملة وهو عبد الباقى بن قانع بن مرزوق الاموى البغدادى صاحب معجم الصحابة وكتاب القوم وترجمته فى الميزان وهو ثقة فى الرواية الا انه قيل

(٢) على دار نسخه

انه تغير في آخر عمره و توفي سنة احدى وخمسين وثلثمائة قال البرهان كان على المصنف ان يذكر تقدم السند من ابن قانع الى قوله (عن ابي الحمراء) حتى يعرفه و يعرف اباالحمراء واعتذر بانه لم يلتزم الاسناد في كتابه وانما اشترط ماصح عنده واشتهر والظاهر انه استغنى عنه بروايته عن ابن قانع لانه ذكره مسندا فيه وقد اسنده الطبري ايضا وفي بعض النسخ ابن نافع بالفاء وهو الفقيه صاحب الامام مالك وهو وهم وتحريف وابوالحمراء بحاء مهملة وميم وراء مهملة ممدود قال البرهان ولا يعرف من المرادبه فان اباالحمراء الصحابي مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه هلال بن الحارث اوابن ظفر اخرج له ابن ماجة حديثا غير هذا وكان بحمص وقال يقال له صحبة ولايصح حديثه ومن الصحابة ابوالحمراء مولى آل عفراء البدري ولا يعرف له رواية ولا يعرف في التابعين من اسمه ابوالحمراء ولا فيمن بعدهم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما اسري بي الى السماء اذا) هي فجائية اي صادفت فجأة (على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله) العرش في اللغة سرير الملك وعرش الرحمن غير السموات وهو سقف الجنة وهل هو الكرسي اوغيره فيه خلاف ليس هذا محله وكون اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوبا مع اسم الله على العرش وفي الجنة ورد في احاديث كثيرة والظاهر ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرف تلك الكتابة بالهام من الله او بذكر جبريل عليه الصلوة والسلام لها اوغيره من الملائكة قالوا له هذا اسمك مكتوب هنا فلا يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم امي لايقرأ ولا يكتب وقد تقدم ما في ذلك (ايدته بعلي) كرم الله وجهه في حيوته لماله من الصحبة القديمة والآثار العظيمة في غزواته معه والتأييد التقوية والنصر ولا يلزم من هذا تفضيله على غيره من الخلفاء كابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ولان تأييده له اعظم ولعل تخصيصه هنا وجه لايقف عليه الا الانفس القدسية (وفي التفسير) اي في كتبه ولم يعين المنقول عنه لوجوده في كثير منها (عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) رواه الخطيب عن مالك وورد مرفوعا عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه واخرجه البزار موقوفا عن علي وعمر رضي الله تعالى عنهما والبيهقي في الشعب (في) تفسير (قوله تعالى وكان تحته) اي الجدار الذي اقامه الخضر عليه الصلوة والسلام (كنز لهما) لليتيمين (قال) اي ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالكنز وهو المال المدفون (لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا) منصوب بفعل محذوف وجوبا اي اعجب عجبا واللوح بفتح اللام وقد تضم صحيفة مبسوطة (لمن ايقن بالقدر) اي تيقن قضاء الله وقدره وانه لايكون الا ماقدر وماقدر لابد ان يكون فالتصميم معنى امر عداه بالباء واليقين الاعتقاد الجازم (كيف ينصب) بفتح اوله وثالثه من النصب بصاد مهملة وهو التعب والاستفهام للتعجب الانكاري اي كيف يتعب نفسه في تحصيل

رزقه وماقدرله لايتخلف عنه مقدار ذرة ولحظة وللقاضى ناصح الدين الارجانى

يا قلب تحل من هموم وشجون * بادر فرص الزمان من قبل يحون

لا تأس فان حملك الهم جنون * ما قدر ان يكون لابد يكون

(عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك) اى من تيقن وجود النار وعلم انه لايخلو من زلة يعاقب عليها فكيف لايخاف منها ويكون ضاحكا مسرورا وهو لايعلم اشقى هو ام سعيد والموت اقرب له من حبل الوريد (عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها) اى تغير احوالها فى كل حين قال الراغب التقلب التصرف قال الله تعالى (او يأخذهم فى تقلبهم) فالباء بمعنى فى او مع اى تصرفها فى اهلها او تغيرها وتغير اهلها (كيف يطمئن) قلبه ويركن (اليها) بعدما رأى منها وشاهد (انا الله لااله الا انا) فله الحكم والامر وبيده كل شئ فى قبضة تصرفه (محمد عبدى ورسولى) ارسلته للناس كافة وهذا التفسير يشعر بانه حديث قدسى اوحاه الله لبعض انبيائه وقد ذكره القرطبى فى تفسيره بهذا اللفظ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن عجب لمن يؤمن بالرزق كيف ينصب عجب لمن آمن بالموت كيف يفرح عجب لمن آمن بالحساب كيف يغفل عجب لمن عرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لااله الا الله محمد رسول الله انتهى وعجب فى هذه الرواية مرفوع بالابتداء كسلام عليكم وهذه رواية عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقيل الكنز مال وقيل غير ذلك (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما على باب الجنة مكتوب انى انا الله لااله الا انا محمد رسول الله من قالها) اى من نطق بكلمة الشهادة مؤمنا مخلصا (لا اعذبه) وان ارتكب الذنوب وهذا كقوله تعالى (لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) وقد ورد مثله كثيرا فى الاحاديث الصحيحة (وذكر انه وجد) بالبناء للمجهول فيهما ولم يذكر فاعلهما لعدم وقوفه عليهما ولاينافى هذا انه ذكر هنا ما صح او اشتهر لانه باعتبار الاغلب وكونهما مبنيين للفاعل والضمير المستتر لابن عباس كاقيل يحتاج لنقل (على الحجارة القديمة) اى الموجودة قبل عصر النبوة ولان الكتابة لو كانت حديثة بخط هذه الامة لم تكن دالة على ماحن فيه (مكتوب محمد تقى) اى ممتثل لاوامر الله مجتنب لنواهيه صلى الله تعالى عليه وسلم (مصلح) لجميع الناس بهدايتهم لكل خير وسعادة وللدنيا بعدله (وسيد امين) على الوحى وغيره كما تقدم (وذكر السمنطارى) بسين مهملة وميم مكسورتين ونون ساكنة وطاء مهملة بعدها الف وراء مهملة وياء نسبة مشددة قال صاحب القاموس فى تاريخ المدينة انه نسبة لسمنطار قرية من جزائر المغرب وقيل هو الذهبى نسبة لاهل المغرب ... ابو بكر بن عتيق بن على احد عباد الجزيرة ... وزهادها وله ...

مخلدا كثيرا لم يسبق لمثله ومنه نقل المصنف هذا الحديث انتهى وقال التلمساني انه من الاخلة وله تأليف في فنون العلم فمن قال لم ار له ترجمة ونحن في غنية عما نقل عنه من الغريب فقد شهد على نفسه بقلة الاطلاع (انه شاهد في بعض بلاد خراسان) هو اقليم معروف قيل وقد تسكن راؤه وتحذف الفه وفي الزاهر لابن الانباري معناه مطلع الشمس لان خور بالفارسية معناه الشمس (مولودا ولد) اي حين ولادته وخروجه من بطن امه فلا يتوهم ان وصف المولود بانه ولد من اللغو (وعلى احد جنبيه) اي شق بدنه وصفحته (مكتوب لااله الاالله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون) المراد بهم المورخون الذين لهم اعتناء باخبار الامم السالفة ولما كان الاخبار جمع خبر وهو عام مخصوص بهذه الطائفة نسب للجمع لمشابهته العلم كالانصار والانصاري ولولا هذا ورد في النسبة لمفرده كسائر الجموع المنسوب اليها (ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض لااله الاالله محمد رسول الله) اي مكتوب فيه بلون ابيض عكس المشهور من كتابة الالوان في البياض للدلالة على انه ليس من صنع البشر وهذا كقول الابوصيري في مطلع قصيدة له

كتب المشيب بابيض في اسود * نغصا لعين الحاسد الحرد

وقد ذكر ابن العديم في تاريخه حكايات كثيرة منها انه وجد ببلاد الهند مثله في الثمار والاوراق وان الصيادين رأوا مثله في السمك واعلم ان ما اشتهر من ان الورد الاحمر خلق من عرق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او من عرق جبريل عليه الصلوة والسلام موضوع كما نقله ابن حجر عن النووي والذهبي وابن عساكر وكذا ما في الفردوس من ان الورد الابيض خلق من عرقي ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبريل والورد الاصفر خلق من عرق البراق وعن انس رضي الله تعالى عنه يرفعه قال لما عرج بي الى السماء بكت الارض من بعدي فنبت اللصف وهو الكبر من مائها فلما ان رجعت قطر من عرقي على الارض فنبت ورد احمر الا من اراد ان يشم رائحتي فليشم الورد الاحمر والورد كما قاله ابو حنيفة الدينوري نور كل شجرة وزهر كل نبت ثم خص بهذا الورد المعروف فقيل لاحمره الحوجم ولابيضه الوتير وفي شرح سقط الزند الورد ما يضرب الى حمرة يقال اسد ورد وعمر ورد ودم ورد اي احمر والورد المشموم ليس بعربي في الاصل الا ان العرب تسمى الزهر وردا انتهى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة ينادي مناد في الموقف الا ليقم من كان اسمه محمدا فليدخل الجنة الكرامتي ويأتي شرحه فيما بعده وفي روايه يقول الله له عبدي لم تستحي مني اذ اعصيتني واسمك محمد وانا استحي ان اعذبك وانت سميّ حبيبي اذهبوا به الى الجنة والى هذا اشار في البردة بقوله

فان لي ذمة منه بتسميتي * محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم

(روى عن جعفر بن محمد) هو جعفر الصادق وقد تقدمت ترجمته ومحمد هو

محمد الباقر وقد تقدم ايضا (عن ابيه) ابو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (اذا كان) هي تامة بمعنى وجد (يوم القيمة نادى مناد) من الملائكة امره الله بالنداء بقوله (الا ليقم من اسمه محمد) الا حرف استفتاح وتنبيه والمراد بالقيام الانفصال عمن معه ليمتاز عن غيره ممن لم يسم بهذا الاسم كما ان من قام عند قوم جالسين يتميز عنهم فهو استعارة او مجاز مرسل اريد به لازمه او كناية وليس هذا امر تسخير للاموات قبل احيائهم اى ليقوموا من قبورهم اولمن قعدوا في ارض المحشر لما عرض له من الاهوال وطول القيام فانه بعيد من السياق ويأباه قوله (فليدخل الجنة) لانه مؤمن شرفه الله بهذا الاسم اذلم يعهد التسمية احد من الكفار به بعد بعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لكرامة اسمه عليه الصلوة والسلام) وهذا من تتمة الحديث فهو من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما علم من الرواية المتقدمة ولم يقل باسمى التفاتا او تجريدا اوهو مايدرج فيه من كلام جعفر رضي الله تعالى عنه وعلى الاول هو من كلام المنادى وليس هذا مما يقال بالرأى فهو حديث له حكم الرفع وماقيل من انه يؤدى الى الاتكال وعدم العمل مما لا يلتفت اليه وقد تقدم تتمته قريبا (وروى ابن القاسم) فقيه مصر عبدالرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة صاحب مالك وراوى الموطأ عنه وهو من الثقات توفى سنة احدى وتسعين ومائة (في سماعه) اعنى الكتاب له في مسموعاته عن شيوخه (وابن وهب) ابو محمد عبد الله بن وهب تفقه بمالك وروى عنه وعن غيره كابن دينار والليث بن سعد وصنف الموطأ الكبير والموطأ الصغير وكان اسن من ابن القاسم بثلاث سنين وعاش بعده خمس سنين (في جامعه) وهو اسم كتاب له الفه على الابواب بخلاف ماالفه على الصحابة فانه من المسانيد (عن مالك) محيى السنة وامام دار الهجرة الامام المشهور رحمه الله تعالى (قال سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد) اى مسمى باسمه او المراد ظاهره لانه لايكون الاسم بدون مسماه (الا نمى) اى زاد ذلك البيت بكثرة الاولاد والاهل فيه وزادت البركة فيه (ورزقوا) اى زادالله رزقهم ببركة ذلك الاسم وفي نسخة الاوقدوقوا من الوقاية اى حفظهم الله من كل سوء واسم محمد يحتمل ان تكون اضافته بيانية اى اسم هو محمد فيختص بهذا الاسم او لامية اى اسم من اسماء هذه الذات فيشمل جميع اسمائه وفي نسخة (ورزق جيرانهم) جمع جار وهو لعله الملاصق ونسبتها الى اربعين دارا ويحتمل ارادة هذا ايضا لان بركته اعم جميع الدنيا (وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث مرفوع مسند كما قاله السيوطى وذكر سنده (ماضر احدكم) ما نافية واحدكم مفعول ضر و(ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة) فاعله في محل رفع ولا سعى كونها موصولة وبقى الضرر المراد به وجود النفع ولكن هذا استعمل للحث على ان يكون فيها ضرر

كى سببا فكيف وفيه نفع عظيم واى نفع ويجوز ان يكون استفهامية وان يكون مجرورا بحرف مقدر اى اىّ شئ حصل له من الضرر لكونه فى بيته وتوهم بعضهم انه لايصح لان ان يكون فاعله فتبقى الجملة التى هى خبر عنها بلاعائد فيها وعندى انه احسن لقول الناس ماضرك لوصليت لمن ترك الصلوة وهذا فيه حث عظيم حتى لايتركه الامانع وضرر والاستعمال عليه وكون الضرر باعتبار الالتباس فى تعدد المسمى باسم واشتقاق مما لايلتفت اليه وفى بعض النسخ (وعن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مااجتمع قوم فى مشورة) بفتح الميم وضم الشين المعجمة ويجوز سكونها اى فى امر يتشاورون فيه (معهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه فى مشورتهم الا لم يبارك لهم رواه جماعة منهم ابن عتاب) لان من تسمى به يبارك الله فيه ويلقى الرأى السديد ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اعرض عنه كان بضد ذلك (وعن عبد الله بن مسعود) رضى الله عنه فى حديث رواه احمد والبزار والطبرانى بسند رجاله ثقات وهو وان كان موقوفا له حكم الرفع لان مثله لايقال من قبل الرأى كما اتفق عليه فى مصطلح الحديث اكثر المحدثين (ان الله نظر الى قلوب العباد) ومافيها من العقل وقيل المراد ارواحهم لان القلوب تطلق عليها (فاختار منها قلب محمد) اى اصطفاه وارتضاه (فاصطفاه لنفسه ٢) اى جعله صفياله مقربا عنده (٣) مختصا به لاتعلق له بغير الله فى ظاهره وباطنه ولذا جعله محلا لسره ومبلغا لاوامره ونواهيه وهذا كله على طريق التمثيل فهو استعارة اى عامله معاملة عظماء الملوك الذين ينتخبون من الناس من يكون وزيرا محرما لاسرارهم والمراد ان روحه وقلبه اشرف مما عداه فلذا كان مقربا عنده وخليفة له وفى اطلاق النفس على الله من غير مشاكلة كقوله تعالى (ويحذركم الله نفسه) وادعاء انه مشاكلة تقديرية تكلف فقول اهل المعانى انه لايطلق عليه الامشاكلة كقوله تعالى (تعلم مافى نفسى ولااعلم مافى نفسك) غير صحيح وجمع بين القولين بعض المحققين فقال النفس لها معنيان الذات وهذا يصح اطلاقه من غير مشاكلة والجسم ومايلزمه من النفس اللوامة والامارة وهذا لايطلق عليه الامشاكلة (وحكى النقاش) ابو بكر محمد بن الحسن المفسر المشهور وقد تقدمت ترجمته (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت) آية (وماكان لكم) اى لاينبغى لكم ولايحل ولايجوز (ان تؤذوا رسول الله) باىّ اذية كانت (ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده) اى بعد موته (ابدا الآية) لان حرمتهن مؤبدة وهى امهات المؤمنين حتى قال الشافعى رضى الله تعالى عنه من استحل ذلك كان كافرا لانه صلى الله تعالى عليه وسلم حى لم تزل عصمته عنهن وهن معه فى الجنة وكسوتهن ونفقتهن من بيت المال وسبب نزول هذه الآية ان بعض المنافقين قال ان مات محمد تزوجت عائشة وماقيل ان القائل ذلك طلحة احد العشرة المبشرة وانه ندم

(٢) فعيله برسالته اسمه
(٣) مقربا منه اسمه

فحج ماشيا واعتق رقبة وحمل على عشرة افراس فى سبيل الله كفارة لمقالته لا يصح لان مثله لا يصدر عنه مثل ذلك بل لا يصدر ممن دونه بطبقات (قام خطيبا) على عادته صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اذا بلغه مالا يجوز واراد اعلام الناس به (فقال) فى خطبته (يامعشر اهل الايمان) المعشر الجماعة (ان الله فضلنى عليكم تفضيلا) عظيما تفضل به على الامة (وفضل نسائى على نسائكم تفضيلا الحديث) لانهن افضل من جميع نساء عصره وفى فضل بعضهن على بعض كلام ليس هذا محله واشار به الى عدم كفاءة احد لهن وان كان الله خصه بانه لا يجوز لاحد نكاح زوجاته للناس ﴿ فصل فى تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم بما تضمنه كرامة الاسراء ﴾ اى مااشتملت عليه قصة الاسراء ووقع فى ضمنها مما فضله الله به على سائر الرسل عليهم الصلوة والسلام والمراد بما اكرمه الله به من خارق العادة وليس المراد به مايقابل المعجزة فانه من اعظم معجزاته ووقاعلم به وبما فيه من فضله ولك ان تقول المراد به ظاهره لانه امر لا يطلع عليه غيره وماهو كذلك لا يتحدى به ولذلك عبر المصنف عنه بالكرامه والباء للتعدية او السببية والاسراء مصدر اسرى ويقال سرى واسرى اذا سار ليلا واختلف فيهما فقيل هما بمعنى وقيل بينهما فرق فقيل اسرى سار من اول الليل وسرى سار من آخره وقيل العرب تقول سرى ليلا اذا سار بعضه واسرى ليله اذا سار جميعها ولا يقال اسرى ليلا الا اذا وقع سيره فى اثنائه فاذا وقع فى اوله قيل ادلج فمعنى اسرى بعبده ليلا انه فى وسطه واسرى متعد ومفعوله محذوف هنا اى اسرى البراق وقيل انه لازم اسرى وانهما متغايران معنى كما مر واخطا لان سرى من السرى واسرى من السراة وهى الظهر فمعنى اسرى به ذهب به فى سراة الارض وهى ظهرها كذا فى المفردات ويدل على تغايرهما اتفاقهما على التعبير بالاسراء هنا دون السرى واتفاقهم على القراءة به فصار معناه سيره الى بيت المقدس فالاسراء غير المعراج كما سيأتى ثم بين ما تضمنه بقوله (من المناجاة) وهى الكلام سرا لان السر يقال له نجوى وتختص المناجاة فى العرف بكلام العبد مع ربه كمناجاة موسى صلى الله تعالى عليه وسلم (والرؤية) اى رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه بعين بصره او رؤية مافى الملأ الاعلى من العجائب ورأى اذا كانت بصرية مصدرها رؤية واذا كانت علمية مصدرها رؤيا واذا كانت اعتقادية مصدرها رأى * وقال السهيلى الرؤيا تكون بمعنى الرؤية ايضا وله شواهد فى كلام العرب كقوله قول المتنبى * ورؤياك احلى فى العيون من الغمض * فلا يرد ماقيل انه شىء كما توهم ومايقوله صلى الله تعالى عليه وسلم بمنزلة مايرونا (وامامه الانبياء) اى صلوته صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء اماما لهم فانه يدل على تفضيله عليه الصلوة والسلام لدلالته على تقدمه على كل [illegible]
ورضى الله تعالى عنه فى التفضيل [illegible] الى [illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible]

فى مرض موته وقالوا الا نرضى لدنيانا مارضيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لديننا (والعروج به الى سدرة المنتهى) العروج بمعنى الصعود فى جهة العلو وفعله عرج يعرج كقتل يقتل وتأتى فى الحديث عرج بى بفتحتين وقال المصنف رحمه الله تعالى انه بضم العين وكسر الراء ومنه المعراج والمعراج بكسر الميم وهو السلم ذو الدرج وجمعه معارج ومعاريج وللسماء معراج تصعد فيه ارواح الموتى وهو الذى يشخص اليه بصر المحتضر لما يروى من نوره وحسنه فاذا رآه لم يتمالك روحه ان تخرج وبه تصعد الملائكة بالاعمال وبه فسر قوله ذى المعارج فالاسراء سيره صلى الله تعالى عليه وسلم لبيت المقدس والمعراج صعوده للسماء وهو مصدر ميمى او اسم السلم اطلق عليه اوفيه مقدر وقد يطلق الاسراء على جميع الاسراء والمعراج ويطلق المعراج على كل ذلك مجازا فقيل انه تغليب وفيه نظر والسدرة شجرة معروفة وهى شجرة النبق وقيل للتى فى الجنة سدرة المنتهى وهذه الشجرة فى السماء السابعة وقيل فى السادسة واقتصر عليه المصنف رحمه الله فيما يأتى وجمع بينهما بان اصلها فى السادسة واعلاها فى السابعة ويأتى ان نبقها كقلال هجر وان اوراقها كآذان الفيلة وانه يغشاها نور من الله وفراش من ذهب وانه يسير الراكب فى ظلها مائة عام ويخرج من اصلها انهار اربعة منها النيل والفرات وانه انما سميت سدرة المنتهى لانه ينتهى اليها مايهبط من فوقها ومايصعد من تحتها وقيل انه ينتهى اليها علم الخلائق فلايعلم وراؤه او منتهى الملائكة فلايتجاوزونها وقيل لان من وصل اليها انتهى لاقصى الكرامة الى غير ذلك من الاقوال (ومارأى من آيات ربه الكبرى) ماموصولة عائدها مقدر اى رآه او مصدرية والكبرى معمول رأى ومن آياته بيان مقدم عليه او هو صفة لآياته ومن تبعيضية اوزائدة وآيات الله كل مارآه مما يدل على عظمته اوجبريل على صورته الاصلية اومايغشى السدرة من الانوار التى لايمكن النظر اليها ولا وصفها وقيل هو رفرف اخضر سد السماء والرفرف ماسمى بالفارسية سايبان وقيل انه بساط (ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ماخصه الله به من دون الانبياء عليهم الصلوة والسلام مع ماله من المعجزات التى تساوى معجزات سائر الانبياء كما فصل فى محله (قصة الاسراء وما انطوت عليه) اى احتوت عليه واشتملت (من درجات الرفعة) اى العلو فى الرتبة والدرجة المرقاة الحسية فشبه ما اعطيه من المراتب المعنوية بالمراقى الحسية واستعار لها اسمها استعارة مصرحة (مما نبه عليه فى كتابه العزيز) فى سورة الاسراء وسورة النجم (وشرحه) اى كشفته رواية (صحاح الاخبار) وفى بعض النسخ صحائح الاخبار وكلاهما جمع صحيح قال فى القاموس يقال صح يصح فهو صحيح جمع صحاح بكسر الصاد وصحائح انتهى وصحاح بفتح الصاد بمعنى صحيح او مصدر بمعنى الصحة وهو من اضافة الصفة للموصوف اى الاخبار الصحاح وهى

ما رواه الثقات بسند متصل وسلم من الشذوذ والعلة القادحة كما فصل في مصطلح الحديث (قال تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية) وقد مر الكلام على لفظ الاسراء وسبحان منصوب على المصدرية وهو علم جنس لمعنى كفجار وغدوة فاذا اضيف قصد تنكيره فان علم الجنس منكر كعلم الشخص وانكره بعضهم بناء على انه غير معين فلايتصور تنكيره وعلى العلمية هو ممنوع من الصرف فاذا نكر صرف وانكر بعض النحاة علميته وخطأ من قال به كما ذكره ابو على فى تذكرته والكلام فيه طويل الذيل فسبحان مصدر بمعنى التسبيح والتنزيه او اسم مصدر وابتداء السورة والقصة به لانه لما ذكر الاسراء والرؤية ربما توهم ان الله تعالى فى جهة فنزهه عن ذلك وهى مع التنزيه تدل على التعجب ولما كذبوه فى الاسراء نزهه الله عن الكذب وعجب عباده فى اسنته لمثله ومما انعم عليه من النعم التى خصه بها قيل ويحتمل ان يكون بمعنى الامر اى سبحوه تسبيحا وقال ليلا اى فى مدة قليلة ولذا ذكره ونكره مع ان السرى يختص به كما مر وقال بعبده لان صفة العبودية اشرف الصفات واضافه له لتشريفها وايماء الى انه مجرد لدخول سرادق العز والمسجد الحرام يخص المسجد نفسه ويكون لمطلق الحرم وكل منهما صحيح هنا واسراؤه به صلى الله تعالى عليه وسلم كان من الحجر وهو نائم به وروى انه كان فى بيت امهانىء وجمع بينهما بان جبريل اتاه فى بيت امهانىء فايقظه جبريل عليه الصلوة والسلام وذهب به الى الحرم ثم تساقط لحيته منام فى الحجر ثم اسرى به الى بيت المقدس سمى به لبعده عن المسجد الحرام وضمير انه هو لله اى هو السميع لما قيل فى حقه والبصير المطلع على احواله وقيل انه للنبى صلى الله عليه وسلم اى هو السميع لكلامه ربه المشاهد لآياته (وقال عز وجل والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى) الواو للقسم والنجم عام لكل نجم او المراد به الثريا لعلميته عليه او المراد به نجوم القرآن المنزلة عليه وهو بمعنى غرب او انقض او طلع او نزل عليه وحيه واقسم به لوقوع ذلك ليلا وله تعالى ان يقسم بما شاء او التقدير ورب النجم والكلام عليه مبسوط فى التفاسير اذا علمت ماذكر من النص (فلاخلاف بين المسلمين فى صحة الاسراء به عليه الصلوة والسلام) بحسب النقل الشاهد له العقل فالمسلمون يجمعون عليه وانما اختلفوا فى كونه يقظة او مناما كما سيأتى (اذ هو نص القرآن) تعليل لما قبله ووقوع الخلاف فيه بعد نص القرآن الذى لايجحده مسلم (وجاءت بتفصيله) بعد ما اجمله النص (وشرح عجائبه) الواقعة فيه (وخواص نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيه) اى ما خصه الله به فى الاسراء (احاديث كثيرة منتشرة) وفى نسخة اخبار كثيرة وهى منتشرة انها متفرقة فى كتب الاحاديث باسانيد مختلفة (ربيا) من الرأى وهو النظر والتدبر فى الامور المهمة لاستمرارنا جئنا بطول ويعسر (بتقديم اكملها) اى الحديث الذى هو اكملها اى اجمعها لتلك القصة واصحها والمراد سنذكر اجمعها وكانه له

{ وقال }

فقالت له هايك نعمى انهما * ولا تبتئس ان المهم المقدم

وهذا رواه مسلم فلذا جعله اصح من غيره بناء على رأى المغاربة من انه اصح من البخارى (واشير الى زيادة من غيره) اى من غير هذا الحديث وقعت روايتها لغير مسلم وهى مهمة (بحث ذكرها حدثنا القاضى الشهيد ابو على) هو الحافظ بن سكرة وقد تقدمت ترجمته (والفقيه ابو بحر) بالباء الموحدة المفتوحة والحاء المهملة الساكنة ابن القاضى الامام المشهور (بسماعى عليهما) اى بسماعى ممن يقرؤ عليهما فان حدثنا يختص بالسماع عند الجمهور وبعضهم يجعلها تشمل السماع وغيره فذكر المصنف هذا لدفع توهم غيره (والقاضى ابو عبدالله التميمى) وهو محمد ابو عبدالله بن عيسى التميمى استاذ المصنف الذى تفقه عليه واليه اشار بقوله (وغير واحد من شيوخنا) والشيخ فى الاصل معناه الكبير سنا ثم صار فى العرف اسما لمن يقرؤ عليه الناس ويستفيدون منه لانه فى الاكثر لا يصل لهذه المرتبة الا من كبر سنه وكان فى العصر الاول يقال لابى بكر وعمر رضى الله عنهما شيخا الاسلام كما ذكره السخاوى (قالوا حدثنا ابو العباس العذرى) بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة والراء المهملة نسبة لبنى عذرة قوم من العرب مشهورون وفى بعض النسخ بواو بدل الراء وهو تحريف من الناس قال (حدثنا ابو العباس الرازى) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو احمد الجلودى) تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه ضم الجيم وفتحها قال (حدثنا ابن سفيان) تقدمت ترجمته قال (حدثنا مسلم بن الحجاج) صاحب الصحيح الامام المشهور قال (حدثنا شيبان) بالشين المعجمة المفتوحة والمثناة التحتية الساكنة والباء الموحدة (بن فروخ) بفتح الفاء وتشديد الراء المهملة المضمومة وواو ساكنة وخاء معجمة وقال ابن حجر فى التقريب انه بدون واو والذى نعرفه فى لغة العجم انه بالواو فان صح ما قاله فلعله تعبير بعد التعريب ومعناه السعيد طالعه وهو علم غير منصرف للعلمية والعجمة وقول البرهان انه ضبط فى بعض النسخ بالتنوين خطأ لا ينبغى ذكره وكذا قول التلمسانى انه ينصرف ولا ينصرف وصرفه اكثر وقال صاحب العين انه اسم لابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام وهو ابو العجم كما فى المطالع ونقله النووى فى شرح مسلم وتبعه صاحب القاموس وهو ابو محمد الحبطى الايلى روى له اصحاب السنن فهو امام ثقة توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وترجمته فى الميزان قال (حدثنا حماد بن سلمة) بن دينار احد اعلام المحدثين وهو ثقة صدوق لكنه قد يغلط توفى سنة سبع وستين ومائة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا ثابت البنانى) بضم الباء الموحدة نسبة لحى من العرب يقال لهم بنانة ونونه مخففة وهو ابن اسلم رأس العلماء العابدين فى عصره توفى سنة سبع وعشرين ومائة وعمره ست وثمانون وهو ثقة ثابت كاسمه اخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة فى الميزان (عن انس بن مالك) صاحب

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتيت بالبراق) بزنة غلام وهو من دواب الجنة سمي به لشدة بريقه ولمعانه او لسرعته كالبرق الخاطف كما مر (وهو دابة) اي على صورتها وهي في عرف اللغة ذوات الاربع واصل معناها وضعا كل ما يدب اي يتحرك ويمشي من ذوات الارواح وهو يذكر ويؤنث (ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل) اي في الجثة وابيض خبر بعد خبر لا صفة دابة وطوله باعتبار ما بين عنقه وذنبه لانه اعون في مد خطوه وليس المراد طول قوائمه وقيل انه بادي البشرة خده كخد الانسان وعرفه كالفرس وقوائمه كالابل واظلافه وصدره كالبقر وصدره ياقوت لا يشبه الدواب قال ابن المنير في المقتفى انما اوتي له صلى الله تعالى عليه وسلم بالبراق تأنيسا له بجريه على العادة والله تعالى قادر ان يرفعه بغير شيء واظهارا لكرامته فان عادة الملوك اذا دعوا من يحبونه بعثوا له بمركوب في وفادته ولم يكن على شكل الفرس تنبيها على انه حال سلم لا حرب واظهارا للآية في اسراعه العجيب وليس شكله مما يوصف بالسرعة عادة ولذا ركب صلى الله تعالى عليه وسلم البغلة في حنين اظهارا لثباته وشجاعته وتساوي الحرب والسلم عنده وبغلته بيضاء ايضا كالبراق قال ابن المنير اي شهباء والاشهب المائل الى البياض والشاة البرقاء هي البيضاء ومنه البراق ويجوز الجمع في التسمية بين البياض واللمعان والسرعة (يضع حافره عند منتهى طرفه) الحافر مجاز كالمشفر فان الحافر لا يطلق لغير الخيل ونحوها وهذا له ظلف كالبقر لكنه لقربه من البغل سماه حافرا ومنتهى مصدر بمعنى الانتهاء كما مر والطرف العين والمراد به النظر ولا يلزمه ان يصل الى السماء بخطوه كما توهم (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فركبته حتى اتيت بيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال المخففة وتقدم انه يجوز ضمها وفتح الدال المشددة وانه من التقديس وهو التطهير واختلف هل ركب جبريل عليه الصلوة والسلام معه ام لا فقيل ركب معه لانه ورد في بعض طرق هذا الحديث فسارت على ظهره انا وجبريل وسيأتي التصريح به عن حذيفة وحينئذ فيحتمل انه كان خلفه ويؤكده ما تقدم في عدة ممن اردفهم ويحتمل انه كان قدامه قال ابن المنير والاظهر اختصاصه بالركوب وقد صرح في الحديث بان صعوده صلى الله تعالى عليه وسلم كان على البراق ولم يذكر ان هبوطه كان عليه فقال الدميري ان الله انزله دونه اظهارا لقدرته وقيل انه هبط به ايضا ولكنه لم يتعرض له اكتفاء بذكر العروج (فربطته) اي البراق (بالحلقة) بفتح الحاء المهملة وسكون اللام وهي معروفة واختلف في فتح لامها فجوزه بعض اهل اللغة وجعله بعضهم خطاء وقال الابي بالتحريك جمع حالق ككاتب وكتبة (التي يربط بها الانبياء) وروي به في مسلم وفي الشفاء تأويل الحلقة بشيء ونحوه وقالوا امر التذكير والتأنيث سهل وعبر بالمضارع حكاية

للحال الماضية ولم يبين اين كان الحلقة وقيل كانت بباب المسجد الاقصى والذى فى حديث الترمذى انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين انتهى الى بيت المقدس اشار جبريل عليه الصلوة والسلام الى الصخرة فخرقها وربط البراق فيها وهذا هو المعروف ولا اعرف ماقبله عمن نقل ولم يذكر المربوط وظاهر السياق انه البراق بنساء على ان الانبياء كانت تركبه وهو الصحيح فان ركبه جميعهم فهو ظاهر والافراد بالانبياء الجنس واثبت للجميع فعل البعض وهو جائز واحتمال ان المعنى تربط دوابهم بعيد وكون البراق قوى يمكنه قلع الحلقة بجذبه فلا فائدة فى الربط لايضر لانه مسخر لايخالف فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اشارة الى مباشرة الاسباب وانها لاتمنع التوكل وكماك شاهدا اعقلوا وتوكلوا (ثم دخلت المسجد) الاقصى وعطف بثم للتراخى الرتبى وجعل بعد مرتبة المسجد عن الارض التى ليست بمسجد بمنزلة البعد الحقيقى (فصليت فيه ركعتين) تحية المسجد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى قبل فرض الصلوة بالاسراء وفرض عليه صلوة اختلف فيها فقيل صلوة الليل وقيل صلوة بالغداة وصلوة بالعشى ونقله ابن الملقن وقال ثم فرضت الصلوات الخمس فى الاسراء من غير تعيين اوقاتها فكانوا يصلونها متى ارادوا مجموعة ومفرقة ثم عينت اوقاتها بوحى من الله (ثم خرجت) من المسجد (فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن) وخيرنى فى شرب ايهما اردت (فاخترت اللبن) بأخذه وشربه (فقال جبريل اخترت الفطرة) وروى اصبت الفطرة وقد تقدم ان الفطرة الخلقة والطبيعة التى فطر الناس عليها وتكون بمعنى الاسلام والاستقامة اى ما اخترته هو الموافق للخلقة الانسانية التى خلق الله النـاس عليها وللطبائع المستقيمة فان اللبن شراب لذيذ وطعام نافع موافق للانسـان سريع النماء ولذا كان غذاء للاطفـال دون غيره وفى حديث آخر هديت وهديت امتك ولو اخترت الخمر لغويت امتك وفى طريق آخر هدى الله بك اواصاب بك وروى ان الآنيـة كانت ثلاثا واناء فيـه ماء وفى رواية اربع هى واناء فيه عسل والاصح مارواه المصنف وقال ابن المنير التخيير انما يكون بين واجبين كخصال الكفارة اومباحين كخالس الحسن اوابن سيرين اومابين واجب وممنوع اومباح وممنوع فلا فالتخيير بين الخمر واللبن سواء اريد اباحتهما والاذن فيهما جميعا اواريد الاذن فى احدهما لابعينه مشكل فامعنى تخييره حتى اختار احدهما وقول جبريل له اصبت الفطرة باختيار اللبن اى ثابت الخلقة عليه وبه نبت اللحم واشتد العظم واخترته لانه الحلال الدائم فى دين الاسلام واما الخمر فحرام فيما سيستقر عليه الامر والذى يرفع الاشكال ان يكون المراد تفويض الامر فى تحريم وتحليل الى اجتهاده الذى ذكر فيه فصوب بناء على جواز الاجتهاد له ثم برح اليه شئ انه صلى الله تعالى عليه وسلم

معصوم في احتهاده بخلاف غيره انتهى واجاب غيره بان الخمر لم تحرم اذ ذاك اوانه كان في السماء وليس دار تكليف اوهى من جملة خمور الجنة وليست محرمة ويجوز ان يترتب عليها ما غوى امته كما تترتب القبائح على بعض المباحات قال ابن المنير واللبن في الرؤيا يعبر بالعلم ففيه اشارة الى انه لمالئ قلبه ايمانا وحكمة اردف ذلك بالعلم وجعل شرب ذلك اللبن سببا لترادف العلوم عليه وشحن قلبه وقالبه بالانوار والاسراء وان كان يقظة الا انه ربما وقع في اليقظة اشارات على حكم الفال تعبر كما يعبر المنام ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الفال الحسن وجاء في الحديث انه قدم له الاناآن قبل العروج وجاء في حديث آخر انه بعده ويجمع بينهما بان تقديمهما له صلى الله تعالى عليه وسلم وقع مرتين وكرر جبريل تصويب فعله تأكيدا للتحذير مما سواه (ثم عرج بنا الى السماء) بفتح العين والراء اى عرج جبريل وصعد وضمير بنا له صلى الله عليه وسلم والبراق اوهوله وجبريل وفي نسخة بي وفاعل عرج البراق والباء للتعدية اوالمصاحبة وتقدم انه يجوز ضم العين وكسر الراء والسماء هي السماء الدنيا هنا ولم يبينه لظهوره (فاستفتح جبريل) وهواما بقرع لها او بصوت قيل والظاهر الاول لانهم يعرفون صوته اى طلب فتحها من الملائكة الموكلين بها (فقال) الموكل بها (من انت) ايها المستفتح (فقال) المستفتح انا (جبريل) فهو خبر مبتدأ مقدر هوانا اوالمستفتح وفيه اشارة الى ان من دق الباب ينبغي له ان يسمى نفسه ولا يقتصر على قوله اناوان السماء لها ابواب تفتح خلافا للحكماء المانعين للخرق والالتيام عليها (قيل ومن معك قال محمد) عطف على مقدر اى جبريل ومن معك قيل انما استفتح لان معه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولوكان وحده لم يحتج لاستفتاح وقيل انما استفتح تكريما وتأنيسا له وقال ابن المنير استفتاحه لان ابوابها مغلقة ولم تفتح الالاجله صلى الله تعالى عليه وسلم تنويها بقدره ولو صادفها مفتوحة لم يعلم ذلك (قيل وقد بعث اليه) اراد الاستفهام بحذف الهمزة للعلم بها واصله اوقد بعث اليه والنحويون يمنعون حذفها ويحمل كلامهم على انه اذا لم يكن قرينة على الحذف والا فالحديث حجة عليهم كما قاله ابن المنير في المقتفى ولم يرد بالبعث بعث النبوة والرسالة فانه كان معلوما لهم وانما المراد انه بعث اليه للمعراج وقول ابن حجر انه يجوز ان يكون استفهاما عن اصل بعثته بالنبوة والنبواب لم يطلع عليها لاشتغاله بشانه لاوجه له لان المراد بسؤاله بيان سبب موجب لفتح السماء له ومجرد نبوته ليست تصلح للسببية الا انه يحتمل كونه تعجبا مما انعم الله به واستبشارا بعروجه وهذا مع مافيه احسن مما قاله ابن حجر وفيما ذكر دلالته على ان من اذن له في شئ يقتضي رفع الموانع عما اذن له فيه فمن اذن له بالسمع اذن له في قبض الثمن والوكيل اذا اذن له في شئ اذن له في لوازمه فلذا لم يطلب البواب الاذن له في الفتح ولذا قال جبريل

(قد بعث اليه فيفتح لنا) بالبناء للفاعل والمفعول وفي بعض الطرق ان الخازن قال له مرحبا به ولنعم المجيء جاء قال ابن المنير وفيه دليل على ان حاشية الملك اذا فهموا منه اكرام وافد ان يبشروه وان لم يؤذن لهم فيه وليس هذا من افشاء السر لانه تعرف الرضا به لان استدعاءه انما هو لاكرامه فعجل له بالبشرى ثم افاد فائدة هنا جليلة منقسمة الى متعبد به لا يقوم غيره مقامه وان ادى معناه كالاحرام بلفظ التكبير والتلبية والتشهد الى ما لا حجر في لفظه فيقوم مقامه كل ما ادى مؤداه كدعاء الجنازة والقنوت وتسبيح الركوع والسجود ونحوه وهذا انما يعلم من حملة الشريعة اذا علمت هذا فالتحية بالسلام هل هو تعبدي من القبيل الاول او من الثاني فيقوم مقامه ما يؤدي معناه كاهلا وسهلا ومرحبا ولذا كان بعض المتورعين لا يرد سلام من لم يلفظ به ويقول ليس هذا بسلام يستحق الرد واكثر الناس والخلف على التسمح فيه وهذا الحديث دليل انهم فان الملك حياه بمرحبا ونعم المجيء وكذا من لقيه من الانبياء عليهم الصلوة والسلام ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم (فاذا انا بآدم) عليه الصلوة والسلام (فرحب بي ودعا لي بخير) اي قال لي مرحبا بك اي جعل الله تعالى مكانك رحبا واسعا وهو كناية عن اكرام نزله وبره واداء التحية وبدأ بادم عليه الصلوة والسلام لانه اسبقهم وجودا قال ابن المنير في المقتفى اختلف طرق المتكلمين على حديث الاسراء في ذكر الانبياء عليهم الصلوة والسلام وترتيبهم في السموات فمنهم من لم ير التكلم في سره اصلا ومنهم من تكلم فيه من مشايخ الصوفية وفيه كلام طويل افردناه برسالة لا يسع المقام تفصيله ثم اختلف هؤلاء فمنهم من قال انما اختص من اختص من الانبياء بلقائه صلى الله تعالى عليه وسلم على عرف الناس اذا لقوا الغائب متبدرين للقائه فالغالب ان يسبق بعضهم بعضا ومنهم من يصادفه ومنهم من لا يصادفه وهذه طريقة ابن بطال في شرح البخاري وذهب بعض شيوخ الاندلس الى ان ذلك تنبيه على الحالات الخاصة بهؤلاء الانبياء عليهم الصلوة والسلام وتمثيل لما سيتفق له صلى الله تعالى عليه وسلم كما اتفق لهم مما قصه الله تعالى في كتابه قالوا وهذا يرجع الى فن التعبير فمن رأى في منامه نبيا كان ذلك دليلا على حاله فآدم عليه الصلوة والسلام تنبيه على الهجرة لخروجه من الجنة بعداوة ابليس وحيلته كخروجه صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة باذية قومه له وللمسلمين وعيسى ويحيى عليهما الصلوة والسلام دليل على ما سيلقاه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من اذى اليهود لانهم قتلوا يحيى وراموا قتل عيسى فرفعه الله اليه وكذلك فعلت اليهود برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ادخلوا واحول قتله وسموه في ذراع شاة كانت سببا للشهادة في قصته المشهورة ويوسف دليل على ما فعل به قومه مما كان سببا لرفعته وظفره عليهم ثم احسانه اليهم وعفوه عنهم كما فعل مع عمه

العباس وابن عمه عقيل اذ فداهما وقال يوم فتح مكة ادعما عن قريش واطلق الطلقاء
اقول كما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم الى آخره ففعل كما فعل يوسف عليه
السلام وهارون دليل على عداوة قومه وان تنقلب بغضتهم مودة كما كان هارون عليه
السلام محببا عند بنى اسرائيل حتى آثروه على موسى عليه السلام وادريس دليل على
كتبه صلى الله عليه وسلم الى الآفاق لانه اول من خط بالقلم مع رفعته وعروجه وموسى
دليل لفتحه عليه السلام مكة وقهر المستهزئين به كما فعل موسى بالجبابرة وابراهيم عليه السلام
فى اسناد ظهره للبيت المعمور كحاله فى حجه فى آخر عمره ولذا لقيه فى آخر السموات انتهى
وفيه اشارة الى حكمة الترتيب فى منازلهم ولقياهم وهذا مما ينبغى تأمله فانه مما تفرد به
وللمشايخ فى ذلك كلام كثير واشار اليه الشيخ فى فتوحاته وقد تقدم ان اليقظة فيها
احوال كالمنام من الفال ونحوه تعبر كما يعبر الرؤيا ولعمر رضى الله تعالى عنه فى ذلك
امور كثيرة كقوله اذ سأل رجلا عن اسمه فقال شهاب قال ابن من قال ابن جمرة قال
ممن قال من الحرقة اسم قبيلة فقال اين مسكنك قال بالحرة فقال اين انت منها قال من ذات
لظى فقال ادرك قومك فقد احترقوا فذهب فاذا النار مشتعلة فى بيوتهم وفى هذا
الحديث انه رأى رجلا فى سماء الدنيا عن يمينه اسودة وعن شماله اسودة اذا نظر ليمينه
ضحك واذا نظر ليساره بكى يعنى آدم وذريته وقد استشكل بانه يعارض قوله تعالى
﴿ ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ﴾ والحديث
الصحيح ان ارواح الكفرة فى سجين واسفل سافلين واجيب بان المراد بذلك ارواح
العصاة وما فى الآية والحديث المراد به ارواح الكفار الجاحدين وهؤلاء يرحمهم
وقد نهى ابراهيم عليه الصلوة والسلام عن استغفاره لابيه وللموعدة التى وعده جعل
فى صورة ضبع يذبح حين القائه فى النار حين يحزن عليه واجيب ايضا بانه يجوز
ان تمثل ارواح الاشقياء والسعداء ويراهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مثلوا له
وان لم تكونوا هناك كما كان صلى الله عليه وسلم يرى من خلف ظهره وهذا هو الجواب
عن الاشكال الآخر وهو كيف يرى ارواح السعداء والاشقياء وكثير منهم لم يموتوا
واما كون المراد بالاسودة العصاة فغير مستقيم لان المسلمين كلهم من اصحاب اليمين وعلم
مما مر ان آدم عليه الصلوة والسلام انما كان فى اول السموات لانه اول الانبياء وجودا
وليكون اقرب لاولاده فينظر لاسودتهم ﴿ ثم عرج بنا الى السماء الثانية ﴾ فيه مامر اولا
﴿ فاستفتح جبريل ﴾ عليه الصلوة والسلام ﴿ فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد ﴾
عليه السلام ﴿ قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابنى الخالة عيسى ابن مريم
ويحيى بن زكريا عليهم الصلوة والسلام فرحبا بى ودعوا لى بخير ﴾ بالف التثنية
وفى بعض الروايات اذ قد ارسل اليه وهما بمعنى وقوله ابنى الخالة لان مريم ابنت عمران
اختها ايشاع ام يحيى على ما قاله السهيلى وهو الموافق للحديث وارتضى غيره
ان مريم بنت حنة بنت فاقوذا وام يحيى ام ابيه زكريا بنت فاقوذا ايضا فالجدة فى الجدة

﴿ فيكونا ﴾

فيكونان ابنا خالة لان الخالة اخت ام والجدة يقال لها ام واستدل لهذا بقول زكريا لما اراد كفالة مريم عندي خالتها وارتضى هذا السعد فى شرح الكشاف فعلى هذا فى كونهما ابنا خالة تجوز سهل وقال الازهرى يقال هما ابنا عم ولا يقال ابنا خال ويقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة لان من كان ابن عم انسان كان الآخر ابن عمه ايضا ومن كان ابن خالة انسان كان الآخر ابن خالته ايضا بخلاف ابن الخال وابن العمة وانما كانا فى السماء الثانية لانه رفع الى السماء وسينزل منها فحل فى مكان قريب الى الدنيا مع يحيى لانه لدته وبينهما من القرابة والمحبة ما لا يوصف ولذا جعلا فى سماء واحدة ولم يكن فى سماء اثنان من الانبياء غيرهما وقال ابن المنير لما كان عيسى عليه الصلوة والسلام سينزل كان معينا ليحيى وحده (ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف) عليه الصلوة والسلام (واذا هو قد اعطى شطر الحسن) تقدم معناه وان الشطر النصف (فرحب بى ودعا لى بخير) لم يذكر الدعاء والقول بانه قوله مرحبا لا وجه له فانه لا يسمى دعاء ولما كان لقاؤه له صلى الله تعالى عليه وسلم دليلا على مفارقة اهله ووطنه على وجه يؤل لعزة ونصرة وهو بعد البعثة والدعوة فهو الثالث من اطواره رآه فى الثالثة وقد تقدم بسطه (ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس) عليه الصلوة والسلام (فرحب بى ودعا لى بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا) ولما ترادف الوحى عليه عليه الصلوة والسلام بعد الهجرة واظهر المؤمنون شعائر الاسلام وهو طور رابع رأى ادريس فى الرابعة لشهرة علمه وكتابته وفيه عز الاسلام وكمال رفعته وفى تلاوة الآية ايماء لهذا وادريس اسمه اخنوخ بالعبرية وهو سبط شيث وجد ابى نوح وهو المثلث بالحكمة لانه اول من نظر فى النجوم وخط ودرس وقال له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الرواية المشهورة مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح وفى اخرى شادة بالابن الصالح وهو الظاهر وقد استشكل كونه اخا مع انه جد اعلى حتى قال بعضهم ان ادريس الذى لقيه غير ادريس هذا وهو الياس وروى هذا عن ابن مسعود رضى الله عنه وعلى هذا لا اشكال وقيل المراد اخوة النبوة والاسلام واختلف فى رفع ادريس الى السماء هل هو بعد موته كما رفع سائر الانبياء او فى حيوته كعيسى ففى قصص الانبياء ان الملائكة عليهم الصلوة والسلام احبته لكثرة عبادته فسأل ربه ان يذيقه الموت ملك الموت حتى يهون عليه فاذاقه ثم حيى ثم سأله ان يورده النار ليزداد رهبة فاورده ثم خرج منها فسأله ان يدخله الجنة ليزداد رغبة فيها فادخلها فلما قيل له اخرج قال يارب انى ذقت الموت ووردت النار ودخلت الجنة وقد وعدت من دخلها ان لا يخرج منها ابدا فاوحى الله لخازنها دعه فبادى فعل مافعل فبقى فى الجنة فى السماء الرابعة نقله ابن المنير ونبه على وجه كونه فى الرابعة على الاصح وقيل انه فى الثانية وقيل فى السادسة (ثم عرج بنا الى السماء الخامسة

قد كر مثله فاذا انا بهارون) عليه الصلوة والسلام (فرحب بى ودعالى بخير) جعل فى الخامسة لانه كالوزير لموسى عليه الصلوة والسلام لايفارقه فلذا كان فى جواره (ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى) عليه الصلوة والسلام (فرحب بى ودعالى بخير) لما كان اجل الانبياء بعد ابراهيم عليه الصلوة والسلام وكتابه اعظم الكتب قبل القرآن وجاهد فى سبيل الله وظفر بما لم يظفر به غيره رفعت مرتبته على غيره وتوفى فى حظائر القدس تحت منزلة الخليل فكان فى السادسة (ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم) عليه الصلوة والسلام لما كان ابراهيم عليه الصلوة والسلام افضل الانبياء قبل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو خليل الرحمن كان ارفعهم منزلة وما ذكرناه فى وجه التخصيص والترتيب هو الناظر للظاهر نظرا لمناسبة الحال بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وما استدل به عليه ولعل هناك مناسبة اخرى بين اهل كل سماء ومن فيها من الرسل وهذا مما لانعرفه (مسندا ظهره الى البيت المعمور) وهو بيت نطوف به الملائكة وتحجه للعبادة وهو محاذ للكعبة ويسمى الضراح بضم الضاد المعجمة وراء وحاء مهملتين وسمى معمورا لكثرة الملائكة فيه قال التلمسانى قيل فيه دلالة على ان الافضل فى غير الصلوة اسناد الظهر للقبلة وقيل الافضل استقبالها فعلى هذا لعله اسند ظهره ليتوجه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويخاطبه بما امر وانما اسند ظهره للبيت لانه الذى اول من بنى الكعبة من الناس اولا (واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لايعودون اليه) لان حجه مرة كفرض الحج علينا او لاشتغال غيرهم وكونه فى السابعة حذاء العرش هو الاصح وقيل انه فى الرابعة (فذهب(٢) بى الى سدرة المنتهى) لم يقل عرج لانها فى السماء السابعة وتقدم معنى سدرة المنتهى(واذا ورقها كآذان الفيلة) بكسر الفاء وفتح المثناة التحتية جمع فيل وانما شبهه بها وان لم يكن بارض الحجاز لانها كثيرة فى بلاد الحبش وهم كثيرا ما يأتونها للتجارة واليها كانت الهجرة الاولى فهم يعرفونها والا فالتشبيه بما لا يعرف عادة غير مقبولة (وثمرها كالقلال) جمع قلة وهى الجرة وشبهها بها لمد طلها ولطف ورقها وطيب ثمرها وحسن رائحته وان كان شجر الجنة انما يحكى امور الدنيا صورة والفرق بعيد (٣ فلما غشيها) اى طرأ عليها وغطاها (من امر الله) الظاهر ان المراد بامر الله وحيه او تجليه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانها بذلك اشرق عليها نور الهى فرهت به وحسنت حسنا لاينعت ونور لايمكن ان تقابله الابصار لقوله بعده (ماغشى) اى امر عظيم غشى فان الابهام بمثله يفيده كقوله تعالى (الحاقة ماالحاقة) وامثاله (تغيرت) اى عن حالها التى كانت عليه (فما احد من خلق الله يستطيع) ويقدر (ان ينعتها من) اجل (حسنها) الذى طرأ عليها لكونها من اشجار الجنة المعتادة لاشراق تلك الانوار عليها ولو كانت من اشجار

(٢) ثم ذهب نسخه

(٣) قال فلما نسخه

(الارض)

الارض احترقت كما صار الجبل دكا ويدل على ماقلناه قوله (فاوحى الله الى ماأوحى)
وفي هذا الابهام تعظيم وتكثير لطرق الكناية الابهامية حتى كأنه مما لا يمكن ان يدركه فينعت
وفي هذا الموصول وتعريفه اشكال اجباعنه في حواشي التسهيل لان ماموصولة
تتعرف بالعهد الذي في الصلة فاذا كانت كذلك كيف تكون الجملة معهودة معروفة
وقيل المراد بها الملائكة التي تغشاها فانه شاهد على كل ورقة منها ملكا وقيل فراش
من ذهب وجواهر نزل عليها اوجراد من ذلك وقال مجاهد رفرف اخضر وقيل
طيور خضر وانما نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قطع السدر لذلك وفسر
ماأوحى بقوله (ففرض على) وعلى امتي (خمسين صلوة) تكون (في كل يوم وليلة) وقيل
ماأوحاه اليه مبهم لا يعلمه احد وقيل سورة الم نشرح وقيل ان الجنة حرام على الانبياء عليهم
الصلوة والسلام حتى يدخلها هو صلى الله عليه وسلم وعلى الامم حتى تدخلها امته وقال
السيوطي في الخصائص فرضت الصلوة خمسين والغسل من الجنابة وغسل
نجاسة الثوب سبعا سبعا والوضوء لكل صلوة (فنزلت الى موسى عليه الصلوة والسلام)
انما قال نزلت لانه كان في السادسة والوحي في السابعة وتخطى ابراهيم ونزل ليشاوره
لانه يعلم ما في شريعته من الاحكام والصلوات ومارس من ذلك اكثر من ابراهيم
لانه لم يفرض على امته مافرض على امة موسى عليه الصلوة والسلام (فقال مافرض
ربك على امتك) قال اولا فرض علي وقال هنا على امتك لان مافرض على النبي
فرض على امته ففيه احتباك وهو من انواع البديع وهو ان يذكر شيئين يحذف
من كل منهما ماذكر في الآخر فحذف من الاول وعلى امتي ومن الثاني علي ووقع
فرض الصلوة في السماء لانها اعظم العبادات ففرضت في اجل المواضع وبين الله
فرضها بنفسه من غير واسطة ملك اعتناء بشانها ولذا قيل يكفر تاركها وذهب
الشافعي الى انه يقتل كما سيأتي (قلت) فرض (خمسين صلوة) منصوب لانه تمييز
(فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف) منها برفع بعضها وانما اشار عليه بذلك
لمحبته له وجعله له مايليق بنفسه وقيل ذلك لانه سأل الله تعالى ان يكون من امته
لما رأى في التوراة مما لامته صلى الله تعالى عليه وسلم من الكمال فقال يارب من هؤلاء
قال امة احمد فقال يارب اجعلني منهم فخشي ان يفرض عليهم تكاليف شاقة وهو
منهم فيقصر فيها وقال السراج البلقيني انما قصد موسى تكرار رؤية محمد عقب
رؤيته الله بعينه كما قيل * لعلي اراهم اواري من راهم * وموسى عليه الصلوة والسلام
وان كان يرى الله في الآخرة لكن رؤيته روحانية وهي ليست جسدية عينية ولا تتيسر
في كل حين قال ابن حجر رحمه الله يحتاج ماقاله البلقيني الى ثبوت تجدد رؤيتنا في كل مرة يعني
رؤية محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لربه وقال مصلح الدين اللاري ماقاله البلقيني
لايتوقف على تجدد الرؤية ويكفي حصول اصلها (فان امتك لا يطيقون ذلك)

حص الامة اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يطيق ذلك لما رزقه الله تعالى من قوته على عبادته ولذا كان يواصل الصوم وقد نهى عنه ومعنى لا يطيقونه انه يشق عليهم فيقصرون فيه لا انه محال حتى يقال انه مبنى على تكليف المحال وهو جائز وفائدته الاخذ فى مقدماته حتى يعلم امتثاله ويطيقون بضم اوله مضارع اطاقه (فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم) عطف تفسير لان الابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان يقال خبره يخبره كقتله يقتله وفيه مقدر اى خبرتهم مع قوة احسادهم وطول اعمارهم فلم اجدلهم صبرا على ذلك فكيف حال امتك وفى نسخة قبلك (قال فرجعت الى ربى فقلت يارب خفف عن امتى) مفعوله محذوف للعلم به اى مافرضته عليهم من الصلوة ولم يقل وعنى لما مر اوحياء منه بسؤاله لنفسه (فحط عنى خمسا) منها واصل الحط معناه تنزيل الحمل فشبهه بالحمل تشبيها مكنيا كما قال الله تعالى (لاتحملنا مالاطاقة لنابه) (فرجعت الى موسى فقلت) له (حط عنى خمسا) منها (فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسئله التخفيف) وفى نسخة فاسئله (قال فلم ازل ارجع بين ربى تعالى وبين موسى) اى بين موضع مناجاتى له تعالى وملاقاتى لموسى عليه الصلوة والسلام (حتى قال) الله تعالى لما انتهى التخفيف الى خمس (يامحمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة) استدل به الشافعية على عدم وجوب الوتر وجوابه مسطور فى كتب الفروع الحنفية (لكل صلوة عشر فتلك خمسون ٢) فى الثواب والاعتبار لان الحسنة بعشر امثالها كما سيأتى تحقيقه (ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة) واحدة لنيته عملها (فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت له سيئة واحدة) الهم القصد من غير تصميم فان صمم فهو عزم ومذهب الباقلانى انه يأثم بالعزم المصمم وهذا الحديث محمول على الاول وانكار بعضهم المؤاخذة بالعزم مردود بالنصوص الصريحة كقوله تعالى (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم) والكاتب الملائكة فتكتب حتى مافى القلب كما قاله الطحاوى وفى حديث مسلم القدسى كتبها الله تعالى عنده عشر حسنات الى سبع مائة الى اضعاف كثيرة وهو صريح فى ان المضاعفة تزيد على العشر ولاتقف على سبعمائة وقول القرطبى انها لايجاوزها مردود بهذا الحديث المجمع على صحته وتحقيقه كما فى الاحياء ان اول مايرد على القلب الخاطر كما لو خطر له صورة امرأة وراء ظهره بحيث لو التفت لرآها والثانى هيجان الرغبة الى النظر وحركة الشهوة وميل الطبع المتولد من الاول المسمى حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغى ان يفعل بان ينظر اليها وهو يتبع الخواطر والميل والرابع تصميم القلب على الالتفات وجزم النية ويسمى هذا بالفعل وهذه قد يكون لها مبدأ ضعيف فاذا اصغى الى الخاطر حتى طالت محاولته للنفس

(٢) صلوة نسخه

(حتى)

حتى تخرم النية فاذا انخرمت فقد يندم ويترك وقد يغفل فلا يعمل وربما يعوقه عائق عنه فهي اربعة احوال وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فالخاطر لا يؤاخذ به لانه غير اختياري وكذا هيجان الشهوة والميل المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عفي عن امتي ماحدثت به نفوسها فحديث النفس خاطر يهجس في النفس لا يتبعه عزم والثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب وهو اما اضطراري لا يؤاخذ به او اختياري يؤاخذ به والرابع وهو الهم بالفعل فان لم يعمل به وتركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه منه حسنة لمجاهدة نفسه وان عاقه عنه عائق غير خوف الله تعالى كانت سيئة لان همه فعل اختياري له (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فنزلت حتى انتهيت الى موسى) اى انتهى سيري فوصلت له ولم يقل انتهيت قبل هذا وقوله هنا اشارة الى انه تمام المراجعة ولا مراجعة بعده (فاخبرته) بما قال الله تعالى له (فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف) من الخمس (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما قصه من حديث الاسراء (فقلت) لموسى عليه الصلوة والسلام (قد رجعت الى ربي) مرارا وراجعته في سؤال التخفيف (حتى استحييت منه) ان اراجعه في السؤال بعد ذلك واعلم انهم اختلفوا في جواز النسخ قبل التمكن من الفعل والبلاغ وقبل دخول الوقت فذهب اهل السنة الى جوازه وهو مبني على جواز التكليف بما لا يطاق واستدلوا بانه وقع كما فيما نحن فيه وبقصة الذبيح اذ امره بذبح ولده ثم نسخه قبل تحققه بالفداء ومنعه المعتزلة فمنهم من قال لم يأمره لانه منام وورد بان رؤياهم وحي يجب العمل به ولذا باشره ومنهم من قال انما امر بمقدماته من الشد والتل ونحوه ورد بان قوله اني اذبحك يرده والفداء يأباه وقيل انه فعل ولكن انقلبت السكين او قلب عنقه حديدا وقيل ذبح والتحم وهو مكابرة وقالوا ان النسخ قبل البلاغ مناقض والجواب بانه المأمور وقد بلغه ضعيف لانه عام له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته لان الفرض عليه فرض عليهم ولذا قال له موسى عليه الصلوة والسلام ان امتك لا تطيقه وفيه ايضا النسخ قبل البيان لانه لم يبين وقته وعدد ركعاته وهو حق واعلم انهم يريدون بالمنسوخ جز التكليف لا نفس الامر لانه قديم ووقع في بعض طرق هذا الحديث ان موسى عليه الصلوة والسلام قال له اسئله التخفيف فاني اعلم بالناس منك فكيف يقول هذا وقد قاسى مع الخضر عليه الصلوة والسلام ماقاسى لما قال انا اعلم الناس منك وكيف يقوله للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والجواب ان مراده علم التجربة والرؤية بما رآه ومثله لا يضر ومايقال من انه جز لا يدخله النسخ مردود بقوله وقيل ان قوله خمسون اولا بيان لما في اللوح المحفوظ والمراد انها بحسب الثواب كذلك فلا نسخ فيه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم

فهمه على ظاهره فراجع ربه فى غاية البعد (قال القاضى) هو شيخه القاضى الشهيد المذكور فى اول السند السابق ولذا لم يسمه استغناء باعادة المعرفة معرفة وتعريفه عهدى (جوّد) بفتح الجيم وتشديد الواو اى حسن من الجودة ضد الرداءة والحسن ضد القبح (ثابت) البنانى الراوى (هذا الحديث عن انس رضى الله تعالى عنه ماشاء ٢) اى احسن فى روايته واتقنها اتقانا محكما لان ماىكرة موصوفة اى تجويدا شاءه اى بذل جهده وفعل كل مادخل تحت ارادته والمراد ان روايته جيدة خالية عن الاعتراض ولذا اختارها على غيرها من الروايات وقيل ماشاء كناية عن كثرة تجويده اى اتى بها جودة تجويدا كثيرا (وقد خلط فيه غيره ٣) خلط بتشديد اللام وضمير فيه للحديث والخلط ادخال شئ فى شئ والمراد انهم ادخلوا فى حديث الاسراء ماليس منه كشق الصدر كما سنبينه (لاسيما) اى لامثل روايته وفسرها الرضى رحمه الله تعالى بخصوصا وقال الدمامينى رحمه الله تعالى انه لاسند له فيه وشئ منصوب ومابعده يجوز رفعه ونصبه وجره وقد عدها النحاة من كلمات الاستثناء وفيه كلام طويل بيناه فى غير هذا الكتاب ونحن فى غنية عنه (من رواية شريك بن ابى نمر) بفتح النون وميم مكسورة تليها راء مهملة التابعى الصدوق الثقة القاضى المدنى وقد ضعفه ابن حزم رحمه الله تعالى لما وقع له فى حديث الاسراء من الاوهام الاربعة التى اشار اليها المصنف رحمه الله وقيل انها ثمانية وتوفى سنة اربعين ومائة وله ترجمة فى الميزان (فقد ذكر فى اوله) اى ذكر شريك رحمه الله تعالى فى اول حديث انس رضى الله تعالى عنه (مجئ الملك له) اللام للتقوية لان جاء متعد بنفسه (وشق صدره ٤) عليه الصلوة والسلام (وغسله بماء زمزم) وقد تقدم انه بالثلج وفى رواية بماء الكوثر وقد انكروا عليه روايته هذه وقالوا فيه انه وهم من وجوه تزيد على العشر منها مافى سنده فان قتادة رحمه الله تعالى رواه عن انس رضى الله تعالى عنه عن مالك بن صعصعة والزهرى رحمه الله تعالى عن انس رضى الله تعالى عنه عن ابى ذر رضى الله تعالى عنه وشريك جعله عن انس رضى الله تعالى عنه من غير واسطة وخالف سياقه سياقهم بالزيادة المنكرة والتقديم والتأخير وقد نبه على ذلك مسلم رحمه الله فى صحيحه وماذكره المصنف رحمه الله موافق لقدح ابن حزم فيه الا ان الحافظ ابا الفضل بن طاهر رحمه الله انتصر له فى جزء مستقل الفه فيه قال تعليل حديثه بتفرده به ودعوى ابن حزم ان الآفة من شريك اذ لم يسبق اليه لاتقبل فان ائمة الجرح والتعديل وثقوه ورووا عنه وقالوا لا بأس به وحدث عنه مالك رحمه الله وغيره من الثقاة وحديثه اذا رواه عنه ثقة لاضعيف لابأس به وقد روى عنه سليمان بن هلال رحمه الله وهو ثقة وتفرده بقوله الآتى وذلك قبل ان يوحى اليه لايقتضى طرح حديثه فوهم الثقة فى موضع لايقتضى رد جميع ماروى ولو قيل بهذا لزم رد كثير من السلف ولعله اراد

(٢) ولم يأت احد عنه باصوب من هذا نسخه

(٣) عن انس تخليطا كثيرا نسخه

٤) بطنه نسخه

(ان)

ان يقول بعد ان اوحى اليه فقال قبله انتهى وقدسبق ابن حزم الى هذا الخطابى رحمه الله تعالى وقال النسائى رحمه الله انه قول ليس بالقوى وكان بعضهم لايحدث عنه وقال محمد بن سعد رحمه الله وابو داود رحمه الله تعالى انه ثقة والحاصل انه اختلف فيه فيعد ما انفرد به شاذا منكرا وقد خالف غيره فى مواضع من هذا الحديث منها امكنة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وكون المعراج قبل البعثة وكونه مناما وكون سدرة المنتهى فوق السابعة والمشهور انها فيها او فى السادسة وفى نهرى النيل والفرات وكون اصلهما فى سماء الدنيا والمشهور انهما من تحت السدرة وكون شق الصدر عند الاسراء وكون الكوثر فى السماء الدنيا وهو فى الجنة ونسبة الدنو والتدلى الى الله تعالى وهو لجبريل عليه الصلوة والسلام وكون مراجعته صلى الله تعالى عليه وسلم فى سؤال التخفيف عند الخامسة وفى قوله فعلا به الى الجبار وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم راجع بعد الخمس فهذه مواضع مخالفته فى السند والمتن الذى قال المصنف رحمه الله تعالى انه خلط فيها وقد اجيب عن بعضها (وهذا) اى المذكور من الشق والغسل (انما كان وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (صبى) عند مرضعته حليمة رضى الله تعالى عنها (وقبل الوحى) واتى بانما ردا لقول شريك رحمه الله تعالى انه كان ليلة الاسراء واجيب عنه بان الشق وقع مرارا مرة وهو صلى الله عليه وسلم طفل صغير يلعب مع الصبيان لازالة حظ الشيطان منه كما مر ومرة وهو صلى الله عليه وسلم ابن عشر سنين لازالة الطفولية عنه ومرة عند البعثة لتثبيت (٣) قلبه بالوحى وليلة الاسراء ليقوى عليه وزيد خامسة ضعفها ابن حجر رحمه الله فى شرح البخارى وصحح هو والبرهان الحلبى رحمه الله الاربعة الاول (وقد قال شريك فى حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه) اى شق صدره صلى الله عليه وسلم قبل البعثة (وذكر قصة الاسراء) فقال سمعت انس بن مالك رضى الله عنه يقول ليلة الاسراء جاءه ثلاثة قبل ان يوحى اليه وهو نائم فى المسجد ثم لم يرهم صلى الله عليه وسلم حتى اتوه ليلة اخرى الخ وقد اجيب عنه بان قبل متعلق بجاءه فيحتمل ان مجيئهم بعد ذلك بسنين لا بليالى فلا خطأ فيه (ولا خلاف انها) اى ليلة الاسراء (كانت بعد الوحى وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا) هذا اشارة الى الخلاف فى سنة الاسراء وزمنها فقيل كانت ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقيل قبل البعثة بخمس سنين وقيل بعد البعثة بخمسة عشر شهرا وقول شريك رحمه الله تعالى انه قبل ان يوحى اليه غلط منه الا ان يقال هذا الاسراء كان مناما غير هذا كالذى روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه كان بالمدينة فانه منام ايضا قال ابن المنير رحمه الله تعالى فى المقتفى رجح القاضى عياض رحمه الله تعالى انه كان قبل الهجرة بخمس سنين ولا يرد عليه

(٣) ليتثبت نسخه

ان خديجة رضي الله عنها كانت تصلي معه وقد احتلف في مدة وفاتها قبل الهجرة على اقوال اقلها انهـا ثلاث سـنين والصلوة لم تفرض الا في الاسراء لان هذه الصلوة غير المفروضة كالتي صلاهـا في بيت المقـدس وصحح ابن المنـير رحمه الله تعـالى الاول لان قول غيره تقدير وقوله تحديد وهو قول الحربي رحمه الله تعالى لانه عين ليلة معينة من شهر معين من سـنة معينة واذا تعـارض خبران احدهما احاط بتفصيل القصة كان اولى لانه يدل على ان راويه احفظ واوعى قلبـا كقول الفقهاء ان الشهادة المورخة تقـدم وكانت تلك الليلة ليلة الاثنين كما قاله ابن المنير رحمه الله تعـالى وكان مقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم للمدينة الشريفة يوم الاثنين من ربيع الاول ثاني عشرة قبل الضحى وقيل عند استواء الشمس واذا كان الثاني عشر الاثنين كان اوله الخميس واول شهر الاسراء السبت او الاحد او الاثنين لان بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين اما ثلاثة ايام او اربعة او خمسة ولذا تكون الوقفة من كل سـنة خامس يوم الوقفة التي قبلها او رابعه اوسـادسه واعدل الاحتمالات الخامس فالجمعة يعقبها الثلاثا والاثنين يعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكـون السادس وذلك بحسب تمام الشهور ونقصها فبناء على اقل الاحتمالات اول ربيع الاول من سنة الاسراء الاثنين واول الآخر منه الاربعـا بفرض ربيع الاول تاما فالسابع والعشرون منه يوم الاثنين ليوافق مولده صلى الله تعالى عليه وسلم ومبعثه ووفاته فان يوم الاثنين في حقه صلى الله تعـالى عليه وسلم كيوم الجمعة لآدم عليـه الصلوة والسلام فانه فيه خلق ونزل الى الارض فيه وتاب الله عليه فيه ومات فيه وقيل انه كان ليلة الجمعة لفضلها ثم ان كونها ليلة سبع وعشرين موافق لليلة القدر فانها ليلة سبع وعشرين من رمضان على الاصح والحاصل انه قيل ان الاسراء قبل الهجرة بسنة وقيل بسنة ونصف وقيل بسنة وكسر وقيل بعد البعثة بخمس سنين وقيل قبل الهجرة بخمس سنين واختلف في شهره فقيل انه شهر ربيع الاول وقيل الآخر وقيل رجب وقيل رمضان وقيل شوال وقيل قبل نقض الصحيفة وقيل بعد ليله سبع وعشرين او سبع عشر او ثاني عشر ليلة الاثنين او الجمعة وفي الهدى النبوي ان ابن تيمية رحمه الله سئل هل ليلة الاسراء افضل ام ليلة القدر فاجاب بان القائل ان ليلة الاسراء افضل ان اراد انها ونظائرها من كل عام افضل فلا وجه له وان اراد انها بخصوصها افضل لانه حصل له صلى الله تعـالى عليه وسـلم فيها مالم يحصل له في غيرها ومالم يحصل لغيره فهو صحيح ان سلم ان ما انعم الله به عليـه صلى الله تعـالى عليه وسلم افضل من انزال القرآن وهو يحتاج الى علم بحقائق تلك الامور انتهى (وقد روى ثابت عن انس رضي الله تعـالى عنه من رواية حماد بن سلمة ايضا) اي كما روى عنه قصة الاسراء (بحي جبريل)

بالنصب مفعول روى (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان

عند ظئره) بكسر الطاء المشالة وسكون الهمزة والراء المهملة والهاء وهي المرضعة التي ليست بام وهي حليمة السعدية (وشقه) مصدر منصوب معطوف على مجيء (قلبه) مفعول الشق (تلك القصة) بدل من مجيء بدل اشتمال وفي نسخة بتلك اى معها (منفردة من حديث الاسراء) وفي نسخة منفردة وهو منصوب على الحال (كما رواه الناس) غير شريك وهم اكثر الحفاظ المحدثين (مجود) من ضبطه اى هذا الراوى المميز بين القصتين كما اشار اليه بقوله (في القصتين) اى قصة الاسراء وقصة شق القلب وهو طفل رضيع فلم يخلط احديهما بالاخرى (وفي ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة) لاقصتان كما في رواية شريك وغيره ممن جعل صعوده صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء معراجا آخر (وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج من هناك) اى صعد به الى السماء من البيت المقدس لانه ارفع مكان في الارض (فازاح) بزاى معجمة والف وحاء مهملة اى ازال واذهب (كل اشكال) اى مشكل (اوهمه) اى اوقعه في ذهن الناس ووهمهم (غيره) اى غير ثابت كشريك الذى وقع في روايته الوهم والتخليط السابق بيانه (وقد روى يونس) بن يزيد الايلى القرشي وفي يونس كيوسف لغات تقدمت مع ترجمته وهو يروى عن الزهرى ونافع وتوفي بمصر سنة تسع وخمسين ومائة (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زيد بن مرة الزهرى التابعي رحمه الله تعالى لقى عشرة من الصحابة توفي ليلة الثلاثا لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة اربع وعشرين ومائة ودفن بالشام بقرية تعرف بالشعب واوصى بدفنه على قارعة الطريق لتدعوله المارة وكان احفظ اهل زمانه واحسنهم سياقا لمتون الاحاديث فقيها فاضلا كاملا (عن انس) بن مالك خادم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قدمنا ترجمته (قال كان ابوذر) الصحابي الغفارى (يحدث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرج سقف بيتى) بضم الفاء وكسر الراء اى شق او رفع جانب منه حتى صار مكشوفا ينزل منه الملك الرسل اليه ولم يأته من الباب وقد قال تعالى ﴿ وأتوا البيوت من ابوابها﴾ قال ابن المنير تنبيها على المبالغة في المفاجأة وان استدعاءه للكرامة كان بدأ من غير ميعاد وقيل انه ليتيقن كونهم ملائكة اوهو تمهيد لشق صدره صلى الله تعالى عليه وسلم والتئامه من غير تألم لسبق الشق كما تقدم قيل وكان خلفاء بني العباس اذا نصبوا خليفة نقبوا جداره واخرجوه منه تنويها بامره وانه لم يكن يطلب منه والبيت لام هانئ واضافه اليه لادنى ملابسة وروى انه كان بالحطيم وروى ببطحاء مكة فان كان مرارا فظاهر والا يحتاج للجمع (فنزل جبريل) عليه الصلوة والسلام (ففرج صدرى) بفتح الفاء والراء وقد تقدم ان شق الصدر وقع مرات منها هذه فلا اشكال فيه

(ثم غسله) اى صدره (من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب) تقدم بيانه ومافيه (ممتلئ حكمة وايمانا) تقدم تفسيره وانه بناء على التجوز اى ملئ نورا ينشؤ عنه ماذكرناه او انه تعالى قادر على تجسيم المعانى والاعراض كما قيل فى وزن الاعمال وذكر الطست وان كانت مؤنثة لتأويلها بالاناء فان كان قوله (فافرغها (٢)) ضميره للطست رعاية للفظه وتقديره افرغ مافيها يقال افرغت الاناء وفرغته تفريغا اذا صببت مافيه ويجوز كون الضمير للحكمة لدخول الايمان فيها اولانه عطف تفسير (ثم اطبقه) اى الصدر اى اعاده محله اشارة الى ان شقه والتيامه بغير آلة وقيل شق بمقار الملك وخيط بمخيط للمورد كما ترى اثر المخيط فى صدره ﴿فائدة﴾ قال ابن الجوزى فى كتاب الوفاء بعدما ذكر حديث ولدت مختونا ولم ير احد سوأتى * فان قيل فلم لم يولد مطهر القلب من حظ الشيطان حتى شق صدره واخرج قلبه * قلت قال ابن عقيل لان الله سبحانه احق ادون التطهيرين التى جرت العادة ان تفعله القابلة والطبيب واظهر اشرفهما وهو القلب واظهر آثار التحلى والعناية بالعصمة فى طرقات الوحى (ثم اخذ بيدى فعرج) بنا (الى السماء فذكر القصة) بتمامها واحده بيده يحتمل انه على حقيقته وان يكون كناية عن جعله شارعا فى العروج (وروى قتادة) ابن دعامة ابو الخطاب السدوسى الضرير اعلم الناس بالفقه والقرآن والحديث توفى سنة سبع عشرة ومائة وعمره ست وخمسون بواسط ونسب للتدليس وليس كذلك (الحديث) مفعول روى (بمثله) اى بمثل الرواية المذكورة (عن انس عن مالك بن صعصعة) الخزرجى المازنى روى له البخارى واصحاب السنن حديث الاسراء قال وروى خمسة احاديث (وفيها) اى فى رواية قتادة المفهومة من قوله روى (تقديم وتأخير وزيادة ونقص) عن غيرها من الروايات (وخلاف فى ترتيب الانبياء فى السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود) اى اكثر اتقانا وجودة منها فى الروايات ولذا اختاره المصنف رحمه الله تعالى خلافا للنووى اذ رجح رواية قتادة كما عرفت (وقد وقعت فى حديث الاسراء زيادات) من الرواة فى بعض طرقه (نذكر منها نكتا مفيدة فى غرضنا) من تأليف هذا الكتاب وايراد حديث الاسراء النكت بضم النون وفتح الكاف والتاء المثناة جمع نكتة وهى ما نكت من الارض ومايكون فى الكون مما يخالفه كالنقطة فاستعير لكل معنى دقيق يحصل بالفكر اما لمخالفته لغيره او لكون الفكر يخط فى الارض وشاع حتى صار حقيقة عرفية فى ذلك وقد يجمع على نكات ايضا (منها) اى من النكت المفيدة (فى حديث ابن شهاب) الزهرى الذى تقدم آنفا ومنها خبر مقدم وفى حديث الى آخره صفة مبتدأ مقدر وجاز حذف الموصوف بوصف غير مفرد لانه بعض اسم مجرور بمن قبله لان المعنى من النكت نكت الى آخره ومثله جائز قياسا مطردا (وفيه) اى فى حديث

(٢) فيه نسخة اى فى صدرى

ابن شهاب ولو حذف قوله وفيه كما وقع فى بعض النسخ كان احسن والضمير فى فيه راجع لحديث الاسراء (قول كل نبى له مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهيم فقالا له والابن الصالح) فانه ليس كل نبى من اجداده وفى عمود نسبه لكنه جرى منهم على سبيل الشفقة والمحبة كما جرت العادة ان الاقدم والاسن يقول لغيره ياولدى وفى غير هذه الرواية منهم من قال له الابن الصالح ومنهم من قال الاخ الصالح وقد تقدم انه يشكل قول ادريس له الاخ مع انه جد له صلى الله تعالى عليه وسلم وفى وصفه بالصلاح دون غيره وتكراره وكان الظاهر ان يقال الابن الكريم والنبى العظيم مثلا الا انه وصف بالصلاح لانه امدح الصفات لانه بمعنى الجدير لكل خير كما قاله السبكى فوصف الابن به بمعنى انه حقيق بمحبة الله ومحبة رسله ووصف النبى به بمعنى انه المستحق بالذات لان يكون نبيا وان كان فى العرف لا يمدح به الكبار لان الصلاحية شىء لا يقتضى الاتصاف به بالفعل ولذا قال ابن المنير رحمه الله ان الله اطلق على كثير من الانبياء انه كان نبيا صالحا ولا يصح ان يقال لاحد منهم انه رجل صالح لانه يوهم التسوية بينهم وبين آحاد الامم كما انه لا يجوز ان يقال لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم انه ملك وسلطان لايهامه التعظم والتجبر وان كان كذلك فى نفس الامر انتهى ولما لم يفهم هذا بعض المفسرين قال ان المراد به مدح الصفة لا الموصوف كما فى شروح الكشاف ومنه يعلم ان الصفة قد تكون مدحا فى مقام ومن قائل وذما فى غيره كصالح ومبارك (وفيه من طريق) البخارى المسندة (عن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (ثم عرج بى حتى ظهرت) اى علوت وصعدت كما فى قوله والشمس فى حجرتها لم تظهر اى لم تعل او بعدت كقوله * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها * وفى نسخة ثم انطلق بى حتى ظهرت (بمستوى) بضم الميم وفتح الواو والباء بمعنى فى او على وهو اسم مكان عال او وسط او واسع منبسط (اسمع فيه) اى المستوى (صريف الاقلام) الصريف بصاد وراء مهملتين وفاء كالصرير وهو صوت حركة الاجرام والمراد صوت القلم على اللوح او رق اى انتهى صلى الله تعالى عليه وسلم الى محل سمع فيه صرير اقلام الملائكة الكتبة وهى تكتب ما تنقله من اللوح او ما يؤمر بكتابته من الوحى وغيره فالاقلام على ظاهرها قيل ويحتمل ان الجمع للتعظيم وهو صريح فى ان اللوح والقلم والكتابة على ظاهرها خلافا لمن تأوله ونحن نؤمن بانه على ظاهره وحقيقته ويجب علينا اعتقاده وهذا عبارة عن غاية القرب منه لان مثله لا يسمع من بعيد وروى لمستهى بدل بمستوى قال التوربشتى بمعنى انه بلغ من الرفعة لمقام اطلع فيه على التكوين وما يراد ويؤمر به من تدبير الله عز وجل وهذا منتهى لا يرام ولا تصل اليه الافهام ولا ينطق فيه غير صرير الاقلام (وعن انس) فيما رواه عنه الشيخان (ثم انطلق بى) بالبناء للفاعل والضمير فيه لجبريل عليه الصلوة

والسلام اوبالبناء للمجهول (حتى اتيت سدرة المنتهى) تقدم معناه (فغشيها الوان لاادرى ماهى) لكونها ليست مما تشبه الوان غيرها فى الحس اولان شدة نورها يمنع تحقيقها (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ادخلت الجنة) وهذا يدل على انها موجودة الآن وانها فى السماء وهو الذى نعتقده بلا شبهة (وفى حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته) اى فارقته وقدتم لى ماتم وفسر ضمير المفعول بقوله (يعنى موسى عليه الصلوة والسلام بكا) لحزنه اذلم ينل هو وامته ماناله صلى الله تعالى عليه وسلم لامنافسة وحسدا لتنزههم عن مثله (فنودى) اى ناداه الله اوالملك وقال له (مايبكيك قال رب) هذا يدل على الاول بحسب الظاهر (هذا غلام) اطلاقه هذا عليه وهواذ ذاك كهل اوشيخ لانه فى نحو الخمسين اما لانه اسن منه اولانه فى الزمن الاول يعد مثله غلاما وقال ابن قرقول معناه القوى وهو غير قوى (بعثته بعدى يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتى) لما علم عموم دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وتأبيد رسالته علم كثرة امته وقد ورد انه براهم فى عرص المحشر اضعاف الامم وقد جوز كون بكائه غبطة وهى غير مذمومة كالحسد بل هى ممدوحة لانها من علو الهمة وقيل انه علم من اكثرية امته فى الجنة فضيلته على غيره لانه لازم بين واما كونه على قلة امته فليس بشئ (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) فى الاسراء الذى رواه البيهقى وغيره (وقد رأيتنى) بضم التاء ضمير المتكلم والرؤية هنا بصرية بناء على الصحيح من ان الاسراء يقظة الا انهم قالوا لايتعدى عامل لضمير والفاعل ضمير مثله الا فى افعال القلوب وماحمل عليها كعدم وفقد واجيب بانها لمشابهتها لرأى العلمية لفظا ومعنى لانها جهة ادراك اجازوا فيها ذلك وقدسمع كقول عائشة رضى الله تعالى عنها لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومالنا طعام الا الاسودان الماء والتمر وقول الحماسى

ولقد ارانى للرماح دريئة * من عن شمالى تارة وامامى

(فى جماعة من الانبياء) اى بينهم اومعهم (فحانت الصلوة) بالحاء المهملة اى دخل وقتها وجاء حينها لابمعنى دنت وقربت كما قيل لانه مجاز قامت القرينة على خلافه وهذه الصلوة قيل انها العشاء لان الاسراء يكون فى اول الليل كما هو الظاهر لانها كانت مفروضة على بعض الانبياء كما رواه المحدثون واختاره النووى قالوا وهذا كان بارواحهم ممثلة اوباجسادهم لانهم احياء ثم ان هذا ان كان بعد الاسراء فهى الصلوة المفروضة لان المعراج بعدد كما سيأتى تفصيله والافهى نفل وليس المراد بالصلوة الدعاء كما قيل لان قوله (فاممتهم) اى صليت معهم جماعة وانا امام لهم يأباه ظاهرا (فقال قائل) قيل هو جبريل عليه الصلوة والسلام (هذا مالك خازن النار) اى الموكل بها وباهلها (فسلم) مالك (عليه) اى على القائل اوسلم جبريل على مالك وهو

(الظاهر)

الظاهر ويحتمل ان جبريل امره عليه الصلوة والسلام بالسلام على مالك (فالتفت) اى مالك (فبدأني بالسلام) على والالتفات الانصراف عما كان ينظر اليه لغيره ولو بعنقه وانما بدأه بالسلام لانه قادم وليعظمه و يعلمه بامنه منه لتأمين الله له لان السلام امان وسلامة ومالك رئيس خزنة النار وملائكة العذاب ولهم صور مهولة جدا وفى الروض الانف انه صلى الله عليه وسلم لم يلقه احد من الملائكة الاضاحكا مستبشرا غير مالك فانه لم يضحك لاحد قط وهذا ينافيه ماورد انه صلى الله عليه وسلم تبسم فى صلوة فسئل عن ذلك فقال رأيت مالكا راجعا من طلب القوم وعلى جناحه الغبار فضحك الى فتبسمت واجيب بان المعنى انه لم يضحك منذ خلقت النار الا فى هذه المرة وهذه القصة وقعت بعد الخبر الاول وهذه الرؤية يحتمل ان تكون بصورته الاصلية وبغيرها وفى فتاوى النووى هذه الصلوة يحتمل ان تكون بعد صعوده صلى الله عليه وسلم للسماء و يحتمل ان تكون بعدها والظاهر الاول (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ثم سار) اى جبريل عليه الصلوة والسلام (حتى اتى الى بيت المقدس فربط فرسه الى صخرة) المراد بالفرس هنا البراق لقرب صورته منها لا لان الفارس يطلق على مقابل الماشى سواء كان راكبا فرسا او حمارا او بغلا وقد ورد تسمية البراق فرسا فى حديث المعراج فى رواية اخرى انه اتى بفرس فحمل عليه واحتمال ان يكون جبريل ركب فرسا معه كما جاء فى قصة مقاتلة الملائكة معه بعيد والمراد بالصخرة صخرة بيت المقدس التى كانت قبلة قال البرقى فى غريب الموطأ انها من عرائب الدنيا فان جميع المياه تخرج من تحتها وهى صخرة صماء فى وسط المسجد الاقصى كجبل بين السماء والارض معلقة لا يمسكها الا الله وفى اعلاها موضع قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ركب البراق ليلة الاسراء فمالت من تلك الجهة من هيبته وفى الجهة الاخرى اثر اصابع الملائكة التى امسكتها اذ مالت ولذا كان بعضها ابعد من الارض من بعض وتحتها غار عليه باب يفتح لمن يدخله للصلوة والدعاء وعدى ربط بالى لتضمينه معنى ضم اوالى بمعنى الباء او عند كقوله * اشهى الى من الرحيق السلسل (فصلى) اى جبريل عليه الصلوة والسلام وقيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (مع الملائكة) لما وجدهم يصلون ثمه (فلما قضيت الصلوة) اى تمت وفرغوا منها وقضى مبنى للمجهول نائب فاعل الصلوة وتاؤه ساكنة للتأنيث وضبط فى الشرح الجديد بالبناء للفاعل وضم تائه على انه التفات وهو خلاف الظاهر فان استند لرواية فبها ونعمت (قالوا ياجبريل من هذا معك) خبر بعد خبر او حال (قال هذا محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خاتم النبيين) والرسل لان نفى الاعم يستلزم نفى الاخص وخاتم بكسر التاء وفتحها بمعنى اخرهم كما مر وقوله فى الحديث لانبوة بعدى الا ماشاء الله المستثنى هو المبشرات ان صحت هذه

الرواية كما مر ولا يرد عيسى عليه الصلوة والسلام لانه ينزل على شريعته صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينبأ بعده كما مر (قالوا وقد ارسل اليه قال نعم) تقدم شرحه (قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة) هي تحية ودعاء بالبقاء والسلامة فان حي واحي بمعنى ومن زائدة او مبينة للضمير وجعله الملائكة اخالهم والمراد اخوة الايمان وخليفة لانه خليفة الله في ارضه استخلفه فيها لعمارة الارض وسياستها وتكميل النفوس البشرية وتنفيذ الاوامر الالهية لا لاحتياجه تعالى بل لقصور الخلق عن التلقي بغير واسطة وتاؤه للمبالغة قال التلمساني لا يقال للسلطان خليفة الله لان الله حي لا يغيب وانما الخليفة لمن يغيب او يعجز وانما يقال له خليفة فقط ان اتبع الشرع والسنة والا يقال له امير (ثم لقوا ارواح الانبياء) ببيت المقدس بعد انقضاء الصلوة او بعد العروج في مراتبهم في السماء اي لقي الملائكة ارواح الانبياء وفي هذا دلالة على تشكل الارواح وتمثلها في الملأ الاعلى على ما كانوا عليه في الدنيا من الرتبة وماتقدم ايضا يحتمل هذا (فاثنوا على ربهم) اي اثنى الملائكة على ربهم اذ لاقوا ارواح الانبياء كما تقول اذا رأيت احدا من الصالحين الحمد لله الذي من علينا بلقائك الا ان آخر الحديث يدل على انهم الانبياء عليهم الصلوة والسلام بدليل قوله الآتي كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على ربي وقوله (وذكر كلام كل واحد منهم) اي من الانبياء (وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم الصلوة والسلام ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي فاقول الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين) فيه مخالفة لما ذكر في اول الحديث من الانماء وهو من باب الابدال لا الزيادة الا ان يكون اقتصر هنا على الزيادة وقوله الحمد لله دليل على انه تحديث بنعم الله لا مدح والعالمين شامل للمسلمين ورحمتهم ظاهرة لسعادتهم في الدارين في معاشهم ومعادهم وللكافرين بامنهم من الخسف والمسخ والاستيصال (وكافة للناس) بيان لعموم رسالته فهو كما مر اما صفة مصدر اي ارساله كافة اي عامة كفتهم عن الخروج منها فهو مفعول مطلق لارسلني او اسم فاعل حال من الياء اي حال كوني كافا للناس فالتاء للمبالغة وكونه حالا من الناس مقدما على صاحبها المجرور قول ضعيف (بشيرا ونذيرا) اي مبشرا بالخير لمن آمن واتقى محذرا من كفر وعصى وهو حال مترادفة او متداخلة حمد اولا على ماانعم به عليه ثم ثنى بماله من المنافع والفوائد (وانزل على الفرقان فيه تبيان كل شيء) سمي الفرقان لانه يفرق بين الحق والباطل وهو بحسب اللغة عام خصه العرف بالغاية وهو مصدر صار بمعنى الفارق او المفرق آياته او انزاله والتبيان بكسر التاء كتلقاء شاذ قياسه الفتح وهو جائز في غير القرآن وكونه مبينا لكل شيء كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء

يحتاج اليه من الامور المهمة الشرعية تفصيلا فى بعض واجمالا فى بعض واحالة على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اذ امر باتباعه وعلى الاجماع بقوله تعالى (ويتبع غير سبيل المؤمنين) واتباع ائمة الدين وهو شامل للقياس والاجتهاد كما فى الكشاف وغيره من التفاسير (وجعل امتى خير امة) كما قال تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس) وفسره بقوله تعالى (تأمرون بالمعروف) الآية (وجعل امتى امة وسطا) اى عدولا اخيارا جامعين بين العلم والعمل وسائر الصفات التى بين التفريط والافراط استعير من المكان المستوى الجوانب لما ذكر (وجعل امتى هم الاولون وهم الآخرون) هم ضمير مبتدأ ويفيد الحصر وليس ضمير فصل لانه لو كان كذلك قال الاولين ومعنى اوليتهم سبقهم الناس فى القيام من القبور وفى دخول الجنة وفصل القضاء وتأخرهم باعتبار الوجود الخارجى وقد فسره بهذا فى حديث البخارى وهو قوله نحن الاولون السابقون يوم القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب قبلنا وليس تفسيره بسبق السعادة فى الازل كما قيل بواضح (وشرح لى صدرى) اى وسعه بالعلم والايمان والحكمة واليقين بحيث لا احزن على امر من امور الدنيا وشقه وملأه بانواره كما مر (ووضع عنى وزرى) اى طهر قلبى من حظ الشيطان وعصمنى فلا ارتكب ما لا يرضى الله ولذا قال الله تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فسوى بين ما تقدم وما تأخر لعدم وقوعهما او خفف اعباء النبوة والتبليغ بافاضة اياديه علىّ فالجملتان فى غاية التناسب (ورفع ذكرى) اى جعلنى مذكورا فى الملأ الاعلى وجعل اسمى طراز الجنان ومقرونا مع اسمه على كل لسان وعلى المنابر فى كل اقامة واذان كما قال حسان رضى الله عنه

وضم الاله اسم النبى الى اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد

(وجعلنى فاتحا وخاتما) للنبوة اذ خلق روحى قبل الارواح ونبأها قبل كل نبى (فقال ابراهيم عليه الصلوة والسلام بهذا) اى بمجموع ما ذكر وبكل واحدة منها لا بالاول فقط كما قيل (فضلكم محمد) اى زاد فضله صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم وقدم المعمول للحصر وقال هذا ابراهيم عليه الصلوة والسلام خطابا للانبياء لما سمع مقالته صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ذكر انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او جبريل فقوله (عرج به) مبنى للفاعل او المفعول (من السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفى حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) الذى رواه ابن عرفة فى جزأيه وابو نعيم فى الدلائل (وانتهى بى) اى جبريل عليه الصلوة والسلام اى وصل نهاية عروجه بى او هو مبنى للمفعول (الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة) وتقدم ان الاكثر على انها فى السابعة والجمع بينهما ان اصلها فى السادسة وفروعها فى السابعة الا انه قيل ان خروج النيل والفرات من اصلها يقتضى انها فى الارض وورد فى حديث آخر ان الانهار اربعة جيحان وسيحان وجيحان ووردا انها فى الجنة قال ابن المنير رحمه الله تعالى

« فان قلت كيف انصبابها للارض » قلت يمكن ان يكون كالمطر فيفترق ثم يجتمع ويساق
كل لمستقره ومجراه ويحتمل ان انصبابها في نواح من الارض غائبة عنا شآبيب غزيرة
متصلة بمبادي هذه الانهار فان منها مالم نقف على مباديه الى الآن « قلت يشهد له قصة النيل
وبهذا يجمع بين كونها في السماء والجنة والارض وقوله (اليها ينتهي مايعرج به من الارض)
بالبناء للمفعول اي ماتعرج به الملائكة عليهم الصلوة والسلام من امور الارض للعرض
على الله من امور عبيده (فيقبض منها) بالبناء للمجهول والقاف والضاد المعجمة
قبلها باء موحدة مفتوحة كذا صححوه اي تقبضه الكتبة وتكتبه ومن للابتداء
والضمير للسدرة والمراد انه عندها يرفع اليهم (واليها ينتهي مايهبط من فوقها)
من العرش بواسطة الملائكة المقربين (فيقبض منها) اي يوحي اليهم علمه ولو قيل ضمير
منها للملائكة للعلم بهم من السياق كان اظهر (قال تعالى اذ يغشى السدرة مايغشى)
اي امر عظيم لايعلم كنهه وظاهر السيق ان المراد بهذا امر الله ووحيه وكان عليه
ان يبينه (قال) اي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (فراش من ذهب) اي ذهب
على صورة فراش وفراش مرفوع عامله مقدر اي غشيها فراش والفراش معلوم
(وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس) البكري البصري نزيل خراسان
التابعي الثقة يروي عن انس رضي الله عنه والرواية عنه مشهورة توفي سنة تسع وثلاثين
ومائة (فقيل لي هذه سدرة المنتهى) التي سمعت بها والظاهر ان القائل جبريل
عليه الصلوة والسلام ووقع في بعض النسخ السدرة المنتهى بتعريفهما دون
اضافة كالآتي اي السدرة التي هي المنتهى فالمنتهى مبدل منها (ينتهي) ويصل
(اليها كل احد من امتك خلا) بفتح المعجمة واللام المخففة اي مضى كقوله تعالى (تلك
امة قد خلت) وفي نسخة بضم الخاء وتشديد اللام المكسورة (على سبيلك) اي على
طريقتك وسنتك اي من مات من امتك مؤمنا بك عرج بروحه مع الملائكة اليها فيقال
هذا عبدك فلان بن فلان فيؤتى له بصك الامان وبهذا فسر قوله تعالى
(ان كتاب الابرار لفي عليين) الآية (وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها) اي
عروقها الداخلة في الارض (انهار من ماء غير آسن) اي لايتغير طعمه ولونه ورائحته
اصلا وان طال مكثه وعدم جريانه وليس المراد نفي التغير في الحال لان كثيرا
من انهار الدنيا كذلك وهذا مع عذوبته فان المياه العذبة هي القابلة للتغير ولذا كان
البحر المحيط مالحا بالجعل على ماقرره ارباب الطبائع في علم الحكمة (وانهار من لبن
لم يتغير طعمه) اي لم يحمض كغيره اذا مكث (وانهار من خمر لذة للشاربين) اي لذة
سائغة ليس كخمر الدنيا المرة المستكره شربها حتى على من ابتلي بشربها حتى قالوا
اثقل من القدح الاول (وانهار من عسل مصفى) من القذا والشمع وان لم تمسه نار لانه

(ليس)

ليس رحيق النحل وقيء الذباب (وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق) بضم الميم وكسر الظاء المشالة وتشديد اللام المكسورة اسم فاعل من اظل مضاف للخلق والمراد الجمع الكثير لا سائر الخلق اذ لا يصح هنا وهذا عبارة عن سعة ظلها * فان قلت قد تقدم انها كادان الفيلة * قلت اجيب بانه في الشكل ومن قال التشبيه في الكبر فيه ما فيه (فغشيها نور) من الانوار الالهية (وغشيتها الملائكة) وهم نور مصور قابل للصور (قال فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى) اي في تفسير هذه الآية على قول كما مر (فقال الله تبارك وتعالى) ولا يخفى مناسبة هذا التمجيد هنا لان تبارك تفاعل من البركة وكثرة الخير الفائض منه ولذا لا تسند هذه الصيغة لغيره والتعالي العظمة والرفعة في عظمة الربوبية لا المحسوس فانه منزه عنه (له) اي لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (سل) اصله اسئل فخفف وحذف المفعول للعموم اي سل كل ما تريد (فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا) اي اصطفيته وخصصته بالخلة وسيأتي تحقيقها والفرق بينها وبين المحبة (واعطيته ملكا عظيما) قال ابن المنير الملك العظيم الذي اوتيه ابراهيم يحتمل انه ما اوتيه ذريته كيوسف وسليمان وداود وغيره من ملوك بني اسرائيل من ذريته كما قال الله تعالى (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) وكونه ملك النفس والزهد غير مناسب هنا او المراد قهره صلى الله تعالى عليه وسلم لعظماء الملوك في عصره كنمرود اذ القاهر اعظم من المقهور وجاء في التفسير ان الملك النبوة * فان قلت كيف هذا وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للاعرابي خفف عليك فلست بملك وقال ابو سفيان للعباس رضي الله تعالى عنهما اذ اوقفه على كتائب الفتح فلم يرضها حتى مرت الكتيبة الخضراء التي فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانوا يسمونها الخضراء لكثرة الحديد فيها وهو عند العرب اخضر ولذا قال ابن هانيء

وحييتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

ورعاسموا السيف بذلك نابعة فقال لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما فقال لا تقل ملكا انما هو النبوة فلم يرض تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم ملكا قلت المنفي الملك العرفي المذكور في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون عاما ثم تعود ملكا واما الملك الحقيقي الذي فليس بمنفي ومع هذا لا يجوز ان يطلق على نبينا وابراهيم عليهما الصلوة والسلام انهما ملكان لان مقام النبوة اشرف وعدمه فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي آبائه من دلائل النبوة ولذا سأل هرقل هل كان في آبائه ملك وخرجت الخلافة عن اهل بيته لئلا يتوهم انه ملك متوارث انتهى وبهذا يندفع ما يرد على الفقهاء في تقسيم احكامه الى فتيا وقضا وسلطنة (وكلمت موسى تكليما) اي خصصته بكلامك له من غير واسطة حقيقة كما يشير اليه التأكيد خلافا لمن انكره من المعتزلة كما بين في الاصول (واعطيت

داود ملكا عظيما) اى ملكا شرعيا لاعرفيا وهوالخلافة العظمى حتى سخرت له الطير والجبال (والنت له الحديد) بحيث كان في يده كالعجين تخذ منه الدروع (وسخرت له الجبال) فكانت تسبح معه اذا سبح (واعطيت سليمان ملكا عظيما) اذ ملكته الدنيا باسرها (وسخرت له الجن والانس) فكانت الجن تخدمه عليه الصلوة والسلام في بنائه وغيره فبنت له بيت المقدس بالرخام المزخرف بناء عاليا حتى كان يضيء في الليلة المظلمة ولم يزل كذلك حتى خربه بخت نصر ونقل مافيه لمملكته بالعراق وكان جميع جنده ورعاياه لايعصونه في شيء (والشياطين) وهم مردة الجن فهو من عطف الخاص على العام فكانوا يغوصون البحار ويستخرجون الدر له والجواهر ويعملون له مايريد (والرياح) فكانت تجرى بامره كمايشاء وتحمل كرسيه وبساطه مسيرة شهر غدوا ومسيرة شهر رواحا (واعطيته ملكا لاينبغى لاحد من بعده) كان سأله من الله وهو ملك الانس والجن والرياح فملك مافوق الارض وماتحتها وقد عرض هذا على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبله واختار كونه عبدالله (وعلمت عيسى) وهو ضمير (التورية والانجيل) الذى انزل عليه وحفظ التورية وعمل بها لان الانجيل ليس فيه احكام وانما هو حكم وحقائق التوحيد وقيل فيه احكام قليلة بالنسبة للتورية وفي نسخة وعلمت موسى التورية وعيسى الانجيل (وجعلته يبرىء الاكمه) الذى ولد اعمى بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمك وقال التلمسانى هو الذى لايبصر بالليل ويبصر بالنهار قاله البخارى عن قتادة ولا يعلم هذا فى لغة والمعروف ماتقدم والذاهب البصر بعد الابصار اعمى والاكمه الذى سلب عقله بتنزيل البصيرة منزلة البصر اوالذى اعترته ظلمة فغيبت بصره انتهى وكلامه تناقض فان المعنى الاخير هو عين ما انكره فان كان منقولا عن اللغة صح ماقاله قتادة وهو ثقة ليس متهما بالمجازفة فى تفسير القرآن لاسيما وقد تابعه البخارى ومتابعته تعتمد فى حديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فكيف اللغة (والابرص) وهو علة مزمنة لايتيسر علاجها للحكماء بها يبيض لون البدن ويصير قبيحا وهو اقبح الامراض بعد الجذام ولذا جوز الشافعى رضى الله تعالى عنه فسخ النكاح به (واعذته) اى حفظته واجرته (وامه) مريم (من الشيطان الرجيم) الرجم كناية عن اللعن والطرد من رحمة الله ولذا قال انى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وسيأتى فى حديث مسلم مامن مولود يولد الانخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسه الا ابن مريم وامه وكذا نبينا عليه افضل الصلوة والسلام لان المتكلم لايدخل فى عموم كلامه ولانه علم بالحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم ولد مشيرا الى السماء نظرا لربه ولم يسلط عليه شيطان كما جعل بينه وبين مريم وابنها حجابا وهذا غير القرين الذى مع كل احد حتى الانبياء عليهم الصلوة والسلام وفى هذا كلام فى الكشاف وشروحه سيأتى بيانه مع الكلام

على الحديث (فلم يكن له عليهما سبيل) اذ حماها وعصمهما منه (فقال له ربه) اى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم لما سمع مقالته وان المقامات العلية سبق لها السابقون من الرسل عليهم الصلوة والسلام (قد اتخذتك حبيبا) هذا فى مقابلة الخلة والمحبة اعظم من الخلة كما سيأتى ولم يذكر مايقابل مابعده لانه معلوم اذ هو لم يرض الملك وقد خبأ دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم لما هو اعظم من هذا وهو الشفاعة العظمى والقرآن اعظم من التورية والانجيل وابراء الاكمه ونحوه وقد وقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم مثله كرد عين قتادة وبرء كثير من الامراض بمس يده الشريفة كما سيأتى وتقدم الكلام على اعاذته من الشيطان (فهو مكتوب فى التورية محمد حبيب الرحمن) وهذا من كلام الراوى كالشاهد لصحة الزيادة المذكورة وفى السمعيات للهمدانى قال ثبت فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هممت ليلة المعراج ان اخلع نعلى فسمعت النداء من قبل الله تعالى يا محمد لاتخلع نعليك لتشرف السماء بهما فقلت يارب انك قلت لموسى اخلع نعليك انك بالواد المقدس فقال يا اباالقاسم ادن منى لست عندى كموسى فان موسى كليمى وانت حبيبى انتهى وقد سئل الامام القزوينى عن وطىء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العرش بنعاله وقول الرب جل جلاله لقد شرف العرش بنعلك يا محمد هل ثبت ذلك ام لا فاجاب بان ذلك ليس بصحيح ولا ثابت بل وصوله صلى الله تعالى عليه وسلم الى ذروة العرش لم يثبت فى خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت اصلا وانما الذى صح فى الاخبار انتهاؤه الى سدرة المنتهى فحسب واما الى ما ورائها فلم يصح وانما ورد ذلك فى اخبار ضعيفة اومنكرة لايعرج عليها انتهى وتابعوه على ذلك وقوله (وارسلتك الى الناس كافة) قد تقدم شرحه وكذا قوله (وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون) لسبقهم فى دخول الجنة وتأخرهم وجود او المنة بهذا عليه لما تضمنه من كثرتهم وقلة مكثهم فى القبور وعدم نسخ شريعتهم (وجعلت امتك لايجوز لهم خطبة) هى كلام يقال على رؤس الاشهاد للاعلام بامر مهم وكان عادة العرب اذا اجتمعوا فى نادقام منهم واحد فخطب اذا تفاخروا او تصالحوا اوارادوا وعظا وقس فى سوق عكاظ خطيب مشهور فجاء الشرع على نهجهم فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا وقع امر قام بينهم خطيبا فالخطبة مشتقة من الخطب وهو الامر العظيم وبقى ذلك مشروعا فى الجمعة والعيدين والنكاح والاستسقاء لوعظ الناس ونحوه (حتى يشهدوا انك عبدى ورسولى) اى لايعتد بخطبهم الا اذا اتوا فيها بكلمتى الشهادة لما ورد فى الحديث (كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء) اى هى ناقصة لابركة فيها وهذا يقتضى ان التشهد فيها ركن اوشرط قيل وهذا لم يقل به احد من الفقهاء والائمتهم * فان قيل المراد انه لايصح خطبة من لم يصدر منه الشهادة اى لاتصح الا خطبة المسلم المصدق بك ولا امة الدعوة فهو

بعيد واجيب بان الشافعي وغيره اشترط في الخطبة الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهي تتضمن الشهادة بذلك ولايخفى ان هذا غير موافق لظاهر الحديث فالظاهر انه كان واجبا فنسخ وجوب الاقتصار على مقدار تهليلة وتسبيحة وقال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى لابد من ذكر طويل يسمى خطبة واقله قدر التشهد الى قوله عبده ورسوله يثني بها على الله ويصلي على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعو للمسلمين لان الخطبة واجبة ومادون ذلك لايسمى خطبة عرفا كما قاله الزيلعي والحديث شاهد له (وجعلتك اول النبيين خلقا) لانه خلق روحه قبل الارواح ثم خلق الارواح ونشأه فهو اولهم خلقا ونبوة (وآخرهم بعثا) وارسالا كما تقدم بيانه (واعطيتك سبعا من المثاني) اى الفاتحة لانها سبع آيات وهي تثنى وتكرر في كل ركعة اوالسبع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والتوبة وحدها اومع الانفال بناء على انهما سورة واحدة لعدم البسملة بينهما لتكرير المواعظ والعبر فيها (ولم اعطها نبيا قبلك) كما تقدم بيانه (واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي) الكنز المال المدفون فشبه به مافي اللوح المحفوظ مما لم يطلع عليه خلقه فجعل خواتيم سورة البقرة وما فيها من الثواب المعد لمن قرأها بمال عظيم اخرج من ذلك الكنز الذي هو اللوح وفي الحديث (من قرأها كفتاه) اى عن قيام الليل اومن الشيطان ويؤيده ماروى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (انزل الله على آيتين من كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من قرأهما بعد العشاء مرتين كفتاه من شر الشيطان ولايكون له عليه سلطانا) قال التوربشتي المعنى انه استجيب له مضمون قوله غفرانك الى آخره ونصره ولما قرأهن صلى الله تعالى عليه وسلم قيل له قد فعلت واوثر الاعطاء لمناسبة الكنز (لم اعطها نبيا قبلك) اى لم يعط مثل ثوابها احد قبله صلى الله عليه وسلم (وجعلتك فاتحا وخاتما) اى فاتحا لكل خير وشريعة فهو اعم من قوله جعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا فمن فسره به فقد قصر (وفي الرواية الاخرى) التي رواها مسلم (قال اعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا) من الفضائل المخصوصة به صلى الله عليه وسلم (اعطي الصلوات الخمس) اى لم تجتمع لغيره ولغير امته ولالنبي قبله فان الانبياء قبله كانت لهم صلوة موافقة لبعض هذه دون مجموعها وكان عليه السلام يصلي قبل الاسراء ولكن لم يشتهر بيان كيفيتها ونقل السيوطي رحمه الله في آخر الخصائص انه لم يكن فيها ركوع ولذا نزل قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) وقد مر ذلك (واعطي خواتيم سورة البقرة) كما تقدم (وغفر لمن لم يشرك بالله شيئا من امته المقحمات) بضم الميم وقاف وحاء مهملة مكسورة بزنة اسم الفاعل

من الاقحام وهو الالقاء والمراد الكبائر التي تلقي صاحبها في النار او المهلكات وهذا كقوله تعالى (ان الله لايغفر ان يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء) اي بتوبة وبدونها خلافا للمعتزلة والكلام فيه مشهور (وقال) اي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في الحديث الذي رواه (ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين) هذا لفظ القرآن والمنقول عن راويه من الزيادة انما هو تفسيره بقوله (رأى جبريل في صورته) الاصلية التي خلق عليها (له ستمائة جناح) لا في صورة تمثل بها فان الله اعطى الملائكة قوة التشكل باي صورة ارادوا ونقل الشمني عن السهيلي في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله ابدل جعفرا رضي الله تعالى عنه بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء ليس هذا كما يسبق الى الوهم جناح بريش كالطير لان الصورة الآدمية اشرف وانما هي عبارة عن قوة روحانية ملكية اعطيها جعفر رضي الله تعالى عنه كما اعطي الملائكة فان اجنحتهم صفات ملكية لاتدرك الا بالمعاينة لان قوله تعالى (فيهم اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع) يدل على ذلك اذ لم ير طائرا باكثر من جناحين فكيف بستمائة كما في صفة جبريل عليه الصلوة والسلام فدل على انها صفات لاتضبط كيفيتها بالفكر انتهى واعترض عليه بان هذا اشبه بكلام الفلاسفة والحشوية فاي مانع من ابقائه على ظاهره وكون طيور الجنة ليس لها غير جناحين غير ضار والاحاديث صريحة في انها اجنحة حقيقية كثيرة من زبرجد وياقوت ملونة كاجنحة الطواويس ولاينكر هذا الامن ينكر الملائكة وكون جناحي جعفر رضي الله تعالى عنه حقيقيين يؤيده كون ارواح الشهداء في جوف طيور خضر في الجنة فاي حاجة للتأويل ومثله لايليق بمثل الامام السهيلي (وفي حديث شريك) المتقدم مع ما فيه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى موسى في السابعة) وهو مخالف لما مر من انه في السادسة فان كان الاسراء متعددا فظاهر انه لامنافاة والا فيجمع بينهما بانه رأه اولا في السادسة ثم صعد الى السابعة فرأه بعد رجوعه فيها (قال) اي النبي صلى الله عليه وسلم او الراوي على انه من كلام شريك فهو مدرج فيه (بتفضيل كلام الله) اي علو رتبته عليه الصلوة والسلام وصعوده للسابعة لفضله على غيره بكونه كليم الله فالباء سببية وهو مضاف للفاعل (قال) شريك في الحديث (ثم علا به) اي برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من السابعة (فوق ذلك) الاشارة للسماء السابعة (بما لايعلمه الا الله) اي بمقدار لايعلم محله وحقيقته وقيل نهايته وهو بدل من فوق والباء للاستعلاء كما في قوله تعالى تأمنه بقنطار او بمعنى الى كما في قوله تعالى (وقد احسن بي) فكان مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع من مقام موسى عليه الصلوة والسلام ولذا عقبه بقوله (فقال موسى) اذا رأى رفعه صلى الله تعالى عليه وسلم

(لم اظن ان يرفع علىّ احد) ومشأطبه تفرده بتكليم الله وقد شاركه فى ذلك وزاد عليه بما اقتضى رفعته على سائر الانبياء واعترض على هذا بانه كيف يقول موسى عليه الصلوة والسلام هذا وقد علم بتفضيله وهو مذكور فى التورية واللائق بالانبياء عليهم الصلوة والســلام التواضع وهذا مما نطعن به فى رواية شريك (وقد روى عن انس) ابن مالك (رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقــدس) اماما ولاحاجة الى حمله على انه بعد الاسراء الذى فرضت فيه الصلوة وان كان محتملا ايضا كامر (وعن انس) رضى الله تعالى عنه كما رواه البزار والبيهقى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه الصلوة والسلام) اصله بين فاشبعت فتحته الفا وهو ظرف مضاف للجملة مضمن معنى الشرط والعامل فى اذ معنى المفاجأة اى وقعودى يوما فاجأنى فيه دخول جبريل اووقت دخوله وذات يوم توكيد دفعا لتوهم التجوز عن مطلق الزمان وذات وذو تزاد كثيرا كقوله رحل من ذى يمن (فوكز) اى ضرب ضربا خفيفا كما يفعل من يوقظ غيره بحيث لا يطلع على ايقاظه وقيل الوكز الضرب بجمع الكف (بين كتفى) وفى رواية بينا انا نائم وجمع بينهما بانه صلى الله تعالى عليه وسلم يجوز ان ينام وهو قاعد ولذا وكزه ليستيقظ وهذا من جملة الزيادة وفى بعض الشروح انه كان ببيت المقدس (فقمت) معه من محل قعودى (الى شجرة فيها مثل وكرى الطائر) مثنى وكر وهو للطير كالبيت للانسان والحجر للحشرات والكناس للظبى كما بينه اهل اللغة اى بيتين شبيهين بالعش وصفا وهيئة لامقدارا لانه لايسع الآدمى ولوكان كفوا فى الطير كالنسر والعقاب (فقعد) اى جبريل عليه الصلوة والسلام (فى واحدة وقعدت فى الاخرى) قيل انثه لانه كالعش يذكر ويؤنث والغالب على السنة اهل مكة تأنيثه او هو لتأويله بالزاوية والطاقة ونحوهما وماقيل لانه مأوى اناث الطيور غالبا لاوجه له (فنمت) بالنون والضمير للشجرة اى زادت وارتفعت وروى سمت بالسين من السمو كالعلو لفظا ومعنى (حتى سدت الخافقين) هما المشرق والمغرب خفوق الشمس والنجم فيهما اى غيابهما او حركتهما واصل معنى الخفوق الاضطراب والحركة ولذا حسن قوله

اما والله لولا خوف شخصك ❊ لهان علىّ ما القى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا ❊ وليس هما سوى قلبى وقرطك

(ولوشئت) ملوهــ ... (لمسست السماء) بكسر السين وفتحها ويروى مست بسين واحدة من المس اوهو مخففة و نقل حركته (وانا اقلب طرفى) تقليب طرفه تعنى نظره فى جوانبها اشاته صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم دهشته وتامله فى آيات الله فى الآفاق (ونظرت جبريل) اذ فاتت طرفى فوقع عليه بحذائى (كانه حلس) بكسر الحاء المهملة

وسكون اللام وسين مهملة وهو كساء رقيق يوضع تحت القتب والبردعة ويبسط في البيت (لاطئا) اى لاصق بالارض والمراد انه لما قرب من السماء غشيته مهابة حتى خضع والتصق بالارض من الغشى الذى هو فيه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم متثبت لم يمسه روعة كاغشى جبريل عليه الصلوة والسلام ويقال فلان حلس بيته لمن لايخرج منه قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه كن حلس بيتك حتى تأتيك يد خاطئة اومنية قاضية ولاطئ بلام وطاء مهملة مهموز بمعنى لاصق كما في الصحاح وفي بعض النسخ حلس لاطئا بفتحتين ونصب لاطئ وصحح رواية ولم يفسر وجملة كانه حال جبريل (فعرفت فضل علمه بالله على) اى عرفت بما اعترى جبريل عليه الصلوة والسلام من الخشية انه اعرف بالله مني لانه بقدر العلم يكون الخوف والخشية قيل هذا تواضع منه عليه الصلوة والسلام لانه افضل منه وورد بانه قد يكون في المفضول ماليس في الفاضل والملائكة المقربون قد يعرفون من احوال الملكوت مالا يعرفه غيرهم وان كان افضل والقول بانه صلى الله عليه وسلم قاله قبل العلم بتفضيله عليه لايناسب هنا (وفتح لي باب السماء ورأيت النور الاعظم) قيل هو نور العرش او الله تعالى لانه سمي نورا كما قال الله نور السموات والارض والحكماء والمتكلمون جوزوه من غير تأويل قال الاشعري نور لا كالانوار وقال الغزالي النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره فان فهمت فهو نور على نور وبعد هذا كلام لايصرح به (ولط دوني الحجاب) وفي نسخة واذا دوني الحجاب ولط بضم اللام وتشديد الطاء المهملة مبني للمجهول يقال لططت الباب اذا اغلقته وكذا اذا استرته يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما شاهد النور ارخى بينه وبينه حجاب ستره عنه وسيأتي الحجاب وتأويله عن قريب (وفرجه) بضم الفاء وفتح الراء المهملة والجيم مضافا لضمير الحجاب جمع فرجة بوزن غرفة وهي مابين الشيئين من خلاء او بين اجزاء شئ مفتوحة اى فرج الحجاب المرخى وطاقاته الذي يخرج منها نوره (الدر والياقوت) وهما نوعان من الجواهر معلومان (ثم اوحى الله الى ماشاء ان يوحى) بالبناء للفاعل او المفعول وحديث انس هذا سقط من بعض النسخ (وذكر البزار) بفتح الموحدة وتشديد الزاي المعجمة والف وراء مهملة نسبة لعمل البزر وهو بزر الكتان الذي يستخرج منه السليط وبالدال المعجمة كل بذر يبذر للزراعة وهذا هو احمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري صاحب المسند الكبير المعلل توفي بالرملة سنة اثنين وتسعين ومائتين وترجمته مشهورة وهو ثقة حافظ واعلم ان البزار كذا هو في اكثر النسخ قال البرهان الحلبي وفي نسخة بخط الحافظ مغلطاي البزار براي معجمة آخره (٢) وفي صحتها نظر والمعروف انه براء مهملة آخره (عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لما اراد الله تعالى ان علم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يعرفه (الاذان) الذي شرعه له

(٢) قال علي القاري وفي نسخة بخط مغلطاي البزار بفتح موحدة وجيمة وراء انتهى اقول وما حكاه الشارح من نسخة بخط ذلك الحافظ مخالف لما قاله القاري فليتتبع قاله مصححه ط هر

للاعلام بدخول وقت الصلوة (جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق) من الكلام عليه وظاهر سياقه ان هذا معراج آخر غير الذي كان بمكة قبل الهجرة كما مر وهذا بعده فان الاذان كان بالمدينة وسياقه يقتضي ان هذا المعراج كان المقصود منه تعليم الاذان وسيأتي ما فيه (فذهب يركبها) اي شرع في الركوب وذهب وردت بهذا المعنى كثيرا وليس من الذهاب بمعنى المضي تقول ذهب يقول كذا اي شرع في مقاله وقوله (فاستصعبت) تلك الدابة (عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا) الملك (قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه) تقدم شرحه فلا نكرره وتأنيث البراق لغة او مأول بدابة وهذا الحديث رواه بسند متصل بعلي رضي الله تعالى عنه وفي سنده زياد بن المنذر وقد قيل فيه انه كذاب والحديث ضعيف ومال السهيلي لصحته وذكر الحجاب وسيأتي بيانه (فقال الملك) الذي خرج من خلف الحجاب ولم يعرفه جبريل عليه الصلوة والسلام (الله اكبر الله اكبر) الى آخر الاذان واجابة المؤذن بما يليق برب العزة فلذا شرع لنا ذلك بما يناسب حالنا على ما عرف في كتب الفقه والسنة (فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا وذكر) الراوي (مثل هذا) الذي ذكر قولا وجوابا للمؤذن (في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلوة حي على الفلاح) لانه لا يتصور في حقه معناه او لان جوابه لا حول ولا قوة الا بالله اي لا يقدرنا على الصلوة والسعي لها واداء حقوقها الا من هي له وهذا لا يليق الا بالمخلوق بخلاف ما قبله (وقال) اي الراوي (ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقدمه) على من كان بحضرته من الانبياء عليهم الصلوة والسلام (فام) اي صار اماما يؤم (اهل السماء) حال كونهم (فيهم آدم ونوح عليهما الصلوة والسلام) خصهما بالذكر لانهما ابو الانبياء الجسمانيين كما انه ابوهم الروحاني المتقدم عليهم تقدما حقيقيا ومعنى حي اقبل وهلم وهو اسم فعل قال القاضي منذر بن سعيد والعرب تريد بها حي سريعا حثيثا لا كما تقول الفقهاء مطلقا وفي حي لغات مذكورة في كتب العربية واللغة واصلها حي هلا ثم قد تفرد حي وقد تفرد هلا والمعنى واحد والفلاح معناه الفوز بالسعادة يقال افلح الرجل اذا اصاب خيرا وفاز وقيل معناه البقاء والمعنى اقبلوا على البقاء في الجنة (قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين) بن علي بن ابي طالب وهو ابو جعفر الامام المشهور في آل الرسول واهل بيته (راويه) اي راوي هذا الحديث الذي رواه عن ابيه عن جده (اكمل الله لمحمد

صلى الله تعالى عليه وسلم الشرف) والعلو (على اهل السموات واهل الارض)
اما على اهل الارض فلانه صلى الله تعالى عليه وسلم اشرف الرسل وامته اشرف
الامم واما على اهل السماء فلانه صلى الله تعالى عليه وسلم اشرف من سائر الملائكة
بدليل انه امهم وتقدم عليهم كما تدل عليه الاحاديث المذكورة بقي ههنا ان ماذكر
يدل على ان الاذان شرع ليلة الاسراء قبل الهجرة مع انهم جزموا بانه صلى الله تعالى
عليه وسلم كان يصلي بغير اذان منذ فرضت الصلوة الى ان هاجر الى المدينة وفي حديث
ابن عمر رضي الله تعالى عنهما الصحيح المذكور في الصحيحين قال كان المسلمون
حين قدموا المدينة يجتمعون يتحينون الصلوة ليس ينادي لها فتكلموا في ذلك
يوما فقال بعضهم اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بوقا مثل بوق
اليهود فقال عمر رضي الله تعالى عنه اولا تبعثون رجلا ينادي بالصلوة فقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بلال قم فناد بالصلوة وفي حديث ابي اسحق
بزيادة على ماذكر فبيناهم على ذلك اذ سمع عبدالله بن زيد بن ثعلبة الخزرجي النداء
فاتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد طاف بي الليلة
طائف مر بي رجل عليه ثوبان اخضران يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله
اتبيع هذا الناقوس فقال وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلوة قال اولا ادلك
على خير من ذلك قلت وما هو قال تقول الله اكبر الله اكبر الى آخره فلما اخبر به
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انها رؤيا حق فقم لبلال فالقها عليه
فليؤذن بها فانه اندى صوتا منك فلما اذن بلال رضي الله تعالى عنه سمعه
عمر رضي الله تعالى عنه وهو في بيته فخرج يجر رداءه وهو يقول يا نبي الله
والذي بعثك بالحق نبيا لقد رأيت مثل الذي رأى فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم الحمد لله وفي وسيط الغزالي انه رأى هذه الرؤيا بضعة عشر رجلا وانكره
النووي وابن الصلاح وقالا لم يثبت الا رؤيا زيد وعمر رضي الله تعالى عنهما فهذا
يدل على ان الاذان انما روي بالمدينة وماذكرها يدل على انه بمكة في الاسراء وهما
متعارضان الا ان الثاني صحيح والاول ضعيف وقال ابن حجر رحمه الله تعالى قول
القرطبي انه لا يلزم من رؤيته في الاسراء مشروعيته في حقه فيه انه يأباه قوله في الحديث
لما اراد ان يعلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاذان وقول الطبري يحمل الاذان
في الاسراء على معناه اللغوي يأباه ذكره بالفاظه بعينها وماقيل من انه صلى الله
تعالى عليه وسلم رآه في الاسراء ولم يؤمر به بمكة للعجز عن اظهاره بين المشركين
واخره الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثم لما رؤوا ذلك اظهره ليكون مدحه على لسان
غيره في غاية الضعف ولو كان كذلك لم يؤخره حين قدم المدينة * اقول هذا
كله كلام مضطرب والذي ظهر لي في التوفيق بين الحديثين على وجه لا كدر فيه

ان المذكور في رواية البزار اسراء غير المعروف وانه بروحه او في رؤياه لان الاسراء
تعدد فيكون رأى في منامه ذلك ورؤيا الانبياء وحي وعقب ذلك قص عليه الصحابة
رضي الله تعالى عنهم رؤياهم فاظهر موافقتهم والعمل بها لتكون الشهادة والمدح
من غيره وليسروا بموافقتهم رأيهم وكون ذلك مأثورا عنهم والا فهو فرض كفاية
مشروع ومباح لاثبات برؤيا غيره فيحتاج الى انه اجتهاد بما يوافق الرؤيا وهو خلاف
وهذا ان شاء الله من بركاته ولمعات مشكاته ثم ان المصنف رحمه الله تعالى استشعر
اعتراضا قياسيا من الحديث الذي ذكر فيه الحجاب وهو في حقه تعالى محال لاستلزامه
الجهة والتحيز فاراد دفعه بقوله (قال القاضي) ابو الفضل عياض مؤلف هذا الكتاب
رضي الله عنه (ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق) الرائي
(لا في حق الخالق) زاد الفاء في خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط وهو جائز وكذا ما ورد
في الحديث حجابه النور اذ الحجاب بمعنى المنع والحاجب المانع ومنه حاجب العين وحاجب
الامير والحاجب يحيط بالمحجوب فيقتضي تناهيه وتحيزه تعالى الله عن ذلك ولذا قال
ابن عطاء الله رحمه الله كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي اظهر كل شيء كيف يتصور
ان يحجبه شيء وهو اظهر من كل شيء كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الواحد الذي
ليس معه شيء (فهم) اي الخلق (المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه) لما سيأتي
ولذا علا علي كرم الله وجهه بالدرة من قال لا والذي احتجب بسبع اطباق وقال ويحك
يا لكع ان الله لا يحتجب ثم علل استحالة ذلك في حقه فقال (اذ الحجب) بضمتين جمع حجاب
او بفتح فسكون مصدر (انما تحيط بمقدر محسوس) اي بذي مقدار له طول وعرض
وعمق في جهة تحس سوحه الساطر فتقتضي الجهة وهو منزه عن ذلك (ولكن
حجبه عن ابصار خلقه وبصائرهم) جمع بصيرة وهي القوة المدركة لغير المحسوس
من العقل ونحوه فلا تحيط به ابصارهم اي لا تدرك ادراك احاطة بذاته لاقتضائه
التحديد والتناهي ونحوه مما هو منزه عنه كما فسره به قوله لا تدركه الابصار كما ذكره
البيضاوي ردا على من انكر الرؤية واستدل بهذه الآية ويأتي الكلام عليها ولا تدركه
بصائرهم والمراد بالادراك العلم اي لا تعلم كنهه وحقيقته عقولهم ادراكا تاما يقينا
(و) حجبه عن (ادراكهم) اي انواع العلم والادراك معطوفا على ادراك ذاته
فلا رؤية ولا تصور ولا اكتناه في غير اوانه (بما شاء وكيف شاء ومتى شاء) متعلق بحجب
اي منعهم عن رؤيته وادراك ذاته ومعرفة حقيقته ليس بحجاب كحجاب البشر
بل بسبب ارادته وكيفيته لا يدركها في اي زمان اراده وفيه ايماء الى ان رؤيته الله في الدنيا
ممكنة وفي الآخرة واقعة وان معرفة حقيقته ممكنة لنا وهو الاصح بل واقعة للانبياء
عليهم الصلاة والسلام ومن امسك دليل حقيقته فهم (كقوله) اي كقول الله في الكفار
(كلا انهم عن ربهم) اي ان الكفار (يومئذ) اي يوم القيامة وفي الآخرة اذ سمع

المؤمنون رؤيته ورضوانه (لمحجوبون) وقال كقوله بالكاف لان المدعى عام وهذا خاص بالكفار ولكن فيه اثبات لمدعاه اذ جعلهم هم المحجوبون لا الله * فان قلت الحجاب امر نسبي لا بد من تعلقه بالطرفين فيلزم منه ما فررت منه * قلت نعم هو نسبي ولكن من جانب محجوب والحاجب سبحات الانوار وستائر العظمة والمحجوب مخلوقاته لا هو لانه محجوب عنه لا محجوب فيجوز ان يوصف بانه محجوب عنه وحاجب ومحتجب خلافا لمن انكره ومثاله جمرة عميقة فيها نمل على رأسها انسان حديد البصر فالنمل محجوب عن رؤيته بالحفرة لا يرى من فوقه وهو يشاهده ويشاهد حركاته والحجاب للمشهود لا للشاهد فعلى هذا يطلق الحجاب ونحوه عليه لوروده بهذا المعنى مطلقا او مقيدا اذ ابهام ما سمع من الشارع لا يلتفت اليه كاليد والبصر وغيره فاعرفه فانه امر مهم كثير في القرآن والحديث (فقوله في هذا الحديث الحجاب) بالجر على حكاية الحجاب او الرفع (و) قوله (اذ خرج ملك من الحجاب) اراد ملك الاذان الذي سئل عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل (يجب ان يقال) في تفسير معناه (انه حجاب يحجب به) الله تعالى (من وراءه من ملائكته عن الاطلاع) بكسر الطاء المشدده اى رؤيتهم متعلق يحجب (على ما دونه) اى ما خلفه ووراءه من جانب الغيب وباطنه فهو الباطن والظاهر (من سلطانه) الظاهر انه اراد به ما نقصة قدرته عند بصره مما لا يطلع عليه رسل الملائكة وغيرهم الا نادره نادرا (وعظمته وعجائب ملكوته) وما لا يدرك من ذلك والمراد بالملكوت عالم الغيب اى ما غاب عن الملائكة (وجبروته) وهو يطلق على القهر وعلى عظائم الملكوت وغرائبه مما احتجب عن غيره وهو المراد وجبروته بغير همزة قال الخاني وهو مهموز في بعض النسخ وهو لحن (ويدل عليه) اى يدل على ان الحجاب امره لا لذاته (من الحديث قول جبريل) له صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الملك الذي خرج من ورائه ان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه) فانه صريح في ان الحجاب انما يحجب الخلق فان جبريل قد حجبه الله تعالى عما في سرادق جلاله وخلف حيطة عظيمة (فدل على ان هذا الحجاب) المذكور في الحديث (لم يختص بالذات) اى لم يخص بحجوبيته بذاته تعالى اذ يحجب بعض الملائكة ايضا كملك الاذان وبما فسرناه به علمت انه لا يتوهم ان المصنف رحمه الله حقه ان يقول يختص بغير الذات لان نفي الاختصاص يقتضي المشاركة كما لا يخفى (ويدل عليه) اى على عدم اختصاص الحجاب بالذات كما مر (قول كعب الاحبار (في تفسير سدرة المنتهى) اى في بيان سبب تسميتها به (قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم) فهذا وجه تسميتها به ومنه يعلم ان الحجاب انما هو بالنسبة لغيره لا له وان المحجوب عنهم ذاته وامره وملائكته المقربون وقوله يجدون معناه يفهمون ويعلمونه (واما قوله) في الحديث (الذي يلي

الرحمن) لما كان ظاهره انه حائل بينه وبين غيره اشار الى تأويله بقوله (فيحمل) اي يفسر بانه (على حذف المضاف اي الذي بلي عرش الرحمن) فالمضاف المقدر لفظ عرش او لفظ امر (او امرا ما) زيادة ما للعموم او للتعظيم اي بلي امر الرحمن (من عظيم آياته) من بيانية لايضاح ما انهم اولا وهو اوقع في النفوس لحصوله بعد الشوق اليه (او من به ادى حقائق معارفه) اي امرا يكون مبدأ لما يحقق به معرفة الله (مما هو) اي الله تعالى (اعلم به) من رسله وملائكته عليهم الصلوة والسلام (كما قال تعالى واسئل القرية التي كنا فيها اي اهلها) اشاره الى ان تقدير المضاف لقرينة عقلية كثير شايع لان القرية لا تسئل وانما يسئل اهلها (وقوله) تعالى في حديث الاذان اجابة للملك لما قال الله اكبر من كل كبير (فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى) اي الملك القائل (انا اكبر فظاهره انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (سمع في هذا الموطن) اي المكان الذي كان فاراده كما يقر الانسان في وطنه (كلام الله) من غير واسطة كما سمعه موسى صلى الله تعالى عليه وسلم (ولكن من وراء حجاب) حجبه عن رؤية الله تعالى وهو يراه من غير حجاب بالنسبة له وان كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محجوبا عن رؤيته معاينة ثمة فهو لا يراه ثم استدل على ذلك بقوله (كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يراه) اي لا يرى الله معاينة اذ (حجب بصره) اي بصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (عن رؤيته) اي رؤية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ربه في هذه الدنيا ولما كان هذا يوهم امتناع الرؤية مطلقا قال (فان صح) الحديث و (القول بان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه) عيانا حين اسرى به (فيحتمل انه في غير هذا الموطن) الذي سمع فيه الاذان (بعد هذا) الموطن والمقام (او انه رفع الحجاب عن بصره حتى رأه) عيانا في مقام آخر (والله اعلم

﴿ فصل ﴾

في تحقيق الاسراء اعلم انهم اختلفوا في المعراج والاسراء هل كانا في ليلة واحدة او ليلتين وهل كانا جميعا يقظة او مناما او بعضه يقظة وبعضه مناما فقيل ان الاسراء كان مرتين مرة بروحه مناما ومرة بروحه وبدنه يقظة ومنهم من قال بتعدد الاسراء في اليقظة ايضا بل قيل انه اربع مرات وبعضها كان بالمدينة ووفق ابو شامه رحمه الله تعالى بين الروايات بالتعدد وانه وقع من مكة الى بيت المقدس فقط على البراق ومرة من مكة الى السموات الى آخر مافصله وقال انه الى بيت المقدس ثابت بنص القرآن والحديث وقد تقدم الفرق بين الاسراء والمعراج وان الاول سيره للبيت المقدس والثاني صعوده منه للملأ الاعلى وان كلا منهما يطلق على الجميع واما حمل الذي على انه بطريق الانسلاخ الذي ذهب اليه الصوفية فاخراج للحديث عن ظاهره لمعنى لا نبي التعويل عليه وانما ذكرناه لانه هلك عليه لئلا يغتر بكلام بعض جهلة

المصوفه والحكماء (ثم احتلف السلف والعلماء) من عطف العام على الخاص والمراد بالسلف الصحابة ومن عاصرهم وبالعلماء من بعدهم (هل كان اسراء بروحه اوجسده) اسراء بالنصب خبر كان اى هل كان الاسراء الى آخره (على ثلاث مقالات) اى احتلاف واقع على ثلاثة اقوال للسلف والخلف ثم فسره وفصله بقوله (فذهب طائفة) اى جماعة ممن صرح به (الى انه) اى الاسراء (اسراء بالروح وانه رؤيا منام) عطف تفسير لا بدل كما توهمه المحشى وفى تفسير القاضى اختلف فى انه كان فى المنام او فى اليقظة بروحه اوبجسده وقوله بروحه اوبجسده لف ونشر اى بروحه فى المنام او بجسده مع روحه فى اليقظة وليس متعلقا بقوله فى اليقظة فقط كما توهم والصحيح الثانى كما سيأتى قال البرهان وبقى قولان احدهما انه تعدد مرة بجسده ومرة اومرات بروحه والثانى انا نقول بالاسراء ولا نعين كونه يقظة او مناما كما فى الهدى النبوى وهو غريب (مع اتفاقهم) سلفا وخلفا على (ان رؤيا الانبياء حق ووحى) لانهم عليهم الصلوة والسلام تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم ولان الشيطان لم يسلط عليهم فيمثل لهم والوحى على انواع منها المنام الا انه على قسمين منه ما يقع بعينه وهو الاكثر ولذا ذهب الخليل الى ذبح اسمعيل عليهما الصلوة والسلام ومنها ما يعبر ويأول (والى هذا ذهب معاويه) بن ابى سفيان بن حرب بن امية كما رواه عنه ابن جرير وابن اسحق وهو رضى الله تعالى عنه صحابى ابن صحابى توفى بالشام حاكما بها سنة ستين وعمره ثمان وستون اوست وثمانون وكان عنده ازار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورداؤه وشئ من شعره وظفره فكفن بردائه وازاره وحشى شعره وظفره بفيه ومنخره بوصية منه رضى الله تعالى عنه (وحكى عن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى وحكى مبنى للمجهول (والمشهور عنه) اى عن الحسن (خلافه) اى له قولان اشهرهما انه كان يقظة (واليه) اى الى ما ذكر عن الحسن اولا (اشار محمد بن اسحق) بن يسار صاحب المغازى وهو ثقة وان طعن فيه بعضهم (وحجتهم) اى دليل القائلين بانه رؤيا منام (قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس) لانكار كثيرين لها وارتداد بعض ممن اسلم حين بلغهم ذلك لضعف عقولهم وايمانهم ولا حجة فى ذلك لان لها تفاسير اخر وفى بعض النسخ هنا (وقيل رأوا عام الحديبية) اسم بئر مشهورة وياؤها مخففة ويروى مشددة ايضا كما سيأتى بيانه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى انه هو واصحابه دخلوا مكة كما قال الله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) الى آخره فلما صدوا عن الدخول فتن بعضهم فقيل لم نقل فى هذا العام وقيل الآية فى وقعة بدر لقوله تعالى (اذ يريكهم الله فى منامك قليلا) وقيل المراد بها رؤيا بنى امية ينزو على منبره صلى الله تعالى عليه وسلم (و) مما احتجوا به (ما حكى عن عائشة رضى الله

تعـالى عنها مافقدت جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخه مافقد بالبناء للمفعول وفي رواية لم تفقـد بمجهول ايضا قال التلمساني وهي الاشبه بالصواب فهو اخبار منها عن غيرها لانها لم تكن حينئذ زوجته بل لم يوجد اسمها وسيأتي الاشارة اليه في كلام المصنف مع ان له صلى الله تعالى عليه وسلم زوجات اخر فلا يلزم من عدم فقدها لذلك فقد غيرها له وقيل ولاحجة فيه ايضا لاحتمال انه تعالى اراد ان يحجب عنها حقيقة ذلك مع ان النفي مقدم على الاثبات ولايخفى مافيه من الكلام (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في رواية (بينا انا نائم) قال ابن المنير في المقتفى جنح هؤلاء الى قضايا طووها تحيل الاسراء يقظة من حيث العقل وذلك غلط بين وانما هو استبعاد عادي ظنوه محالا عقليا فاحتجوا بما ورد في بعض الروايات من التصريح بانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان نائما فايقظه الملك وقوله بين النائم واليقظان ليس تصريح بان النوم استمر بل كان مجيء الملك اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو وسن وناول من ذلك تستيقظ النائم المستغرق لانها الوسن واحتجوا على انه استمر بان النوم مصرح به وبما ورد في بعض الطرق اي الآتية فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام ورد عليهم بان المراد الافاقة البشرية من الغمرة الملكية اي كما سيأتي بيانه وبالجملة فان صح النقل في الطرق وتعارضت وتعذر التأويل حمل على التعدد وتنزيله على اسراآت بعضها يقظة وبعضها مناما لايقـال لوكان كذلك لما تكرر فرض الصلوة فانها انما فرضت دفعه فلما فرضت في اليقظة وجاء المنام بعد ذلك كالذكرى وتجديد العهد او تقدم المنام كالمقدمة والتعريض بالفرض وانما تكون ثم فرضت يقظة وكثيرا مايرى النائم انه فعل فعلا كان فعله قبله وفعله انه الفعل المتقدم بعينه فيكون ذلك لمعنى ما انتهى (وقول انس رضي الله تعالى عنه وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة) الوارده في حديث الاسراء الذي رواه البخاري وهو يدل على انه كان مناما (ثم قال في آخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام) اي انتبهت من منامي فوجدتني بهذه الحالة فانتفى كونه حجة لذلك وقدعلمت مافيه (وذهب معظم السلف والمسلمين) عطف للعـام على الخاص وفيه اشارة الى ان خلافه لاينبغي لمسلم اعتقاده (الى انه اسراء بالجسد) مع الروح (وفي اليقظة) المقابله للنوم وهي بفتح الياء والقاف وتسكينها لحن الا لضرورة شعرية كقول الهامي

فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال ساري

وبالتسكين علم كاليقظان (وهذا هو الحق) الذي تقتضيه الاسلام اذ لاحاجة لصرف النصوص عن ظاهرها بغير داع ولو كان كذلك لم ينكره احد من العقلاء (وهو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة) رضي الله تعالى عنهم وهو عبد الرحمن بن صخر على الاصح من الاقوال في اسمه مشهور كما تقدم (ومالك بن صعصعة) الصحابي المدني كما تقدم

(وابى حبة البدرى) بفتح الحاء المهملة بلا خلاف ثم باء موحدة مشددة على الاصح وقيل انه بنون مشددة وقيل بمثناة تحتية مشددة ثم هاء واسمه عامر وقيل مالك وقيل عمرو وقيل ثابت بن النعمان كما فى الاستيعاب واختلف فى ابى حبة الانصارى وابى حبة البدرى هل هما واحد او اثنان على اختلافهم فى ضبطهم المتقدم وقوله البدرى اى شهد بدرا اشارة الى انه من كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقيل اسمه كنيته (وابن مسعود والضحاك) وهو ابن مزاحم الهلالى المفسر المكنى بابى القاسم او ابى محمد يروى عن ابن عباس وابى هريرة وهو ثقة وابن معين ضعفه توفى سنة خمس ومائة وقيل سنة ست واخرج له اصحاب السنن الاربعة دون الشيخين (وسعيد بن جبير) المشهور وهو الوالبى ابو محمد اخرج له اصحاب الكتب الستة (وقتادة) المتقدم ترجمته (وسعيد بن المسيب) بفتح الياء وكسرها كما تقدم فى ترجمته (وابن شهاب) ابو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى كما تقدم (وابن زيد) عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وترجمه فى الميزان (والحسن) بن ابى الحسين البصرى كما تقدم (وابراهيم) النخعى المتقدم ذكره (ومسروق) بن اجدع ابو عائشة الهمدانى احد الاعلام الذى لم يخرج من همدان مثله صاحب المناقب الجمة وكان اعلم بالفتيا من شريح توفى سنة ثلاث او اثنين وستين واخرج له اصحاب الكتب الستة ولقب بمسروق لانه سرق وهو صغير ثم وجد (ومجاهد) بن جبر المتقدم ترجمته (وعكرمة) بن عبد الله الامام المفسر مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما احد اوعية العلم الثقة وهو اباضى وسيأتى بيان الاباضية آخر الكتاب روى له الشيخان وتوفى سنة خمس او ست او سبع ومائة وترجمه مفصله فى الميزان (وابن جريج) عبد الملك بن عبد العزيز وقد تقدمت ترجمته (وهو دليل قول عائشة رضى الله تعالى عنها) قيل كيف يكون الاسراء بقظة دليل قول عائشة مافقدت جسده الشريف الدال على انه منام لا يقظة وهذا عجب اذ ذكره فى المذهبين وجعل مايبطله دليلا عليه كما سيأتى فهذا سهو منه بلا ريبة * اقول لاشك انه وارد وان كلامه لايخلو من اشكال الا ان يقال انه سقط منه شئ واصله دليل على عدم صحة قول عائشة لانه لم يثبت نقله عنها وقد يقال مراده انه دليل على قول عائشة قولا موافقا لما عليه اكثر الصحابة وانها قائلة بانه يقظة كالجمهور كما سيأتى فى كلامه فالمراد ابطال مانقلوه عنها وهذا وان كان مخالفا للظاهر لكنه اسهل من تغليط المصنف وهو الانسب بقوله (وهو قول) محمد بن جرير (الطبرى) المتقدم ترجمته (واحمد بن حنبل وجماعة عظيمة) اى كثيرة والعظمة تطلق بمعنى الكثرة كثيرا وان كان المعروف خلافه او المراد انهم ائمة مقدارهم جليل (من المسلمين وهذا قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين) فعلى كثرة نقلة وشهرة الاخبار الصحيحة به لايناسب مخالفة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها فيه

(وقالت طائفة) هذا هو القول الثالث (كان الاسراء بالجسد يقظة من المسجد الحرام الى بيت المقدس) فقط (و) منه (الى السماء بالروح) نفى مناما ولا يخفى بعده اذ لم ينقل انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام ثمة و هذه الحالة لا تناسب النوم ثمة (واحتجوا بقوله سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى بيت المقدس) وفى نسخة الى المسجد الاقصى وهى الموافقة للنظم الشريف وهى اصح عندى واعلم انهم فسروا العروج الروحانى بالمنام وليس بمتعين لانها قد تفارق البدن بدونه وهذا مما اتفق عليه الحكماء واهل التصوف وليس هذا محل تحقيقه وقوله (فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء) تفسير وتفصيل للاحتجاج لانه لما جعله غاية اقتضى انه لم يتجاوز الى السماء ببدنه الشريف ولا يخفى ضعفه لان كونه غاية لمسيره فى الارض لا ينافى صعوده لما يحاذيه فى جهة العلو وما قيل من انه انما تم اذا كان الاسراء مرة واحدة وعلى تقديره يكون غاية لركوبه البراق ثم عرج منه الى السماء والحكمة فى عدم ذكره لهما بيانه للنسبة دون الكتاب وهو ابلغ فى المدح انتهى ليس بشئ ولو قيل انه هو الذى انكروه وانه اكتفى بأقل ما ثبتت به معجزته واوصار على ما تفهمه عقولهم القاصرة كان اظهر ونحوه قول ابن المنير فى المقتفى ورد الاحتجاج بان الحكمة فى تخصيص المسجد الاقصى ان تسأل قريش على سبيل الامتحان عن الاعلام التى عرفوها والصفات التى شاهدوها فى بيت المقدس وقد علموا ان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسافر اليها قط فيجيبهم عما عاين ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع ولذا لم يسألوه صلى الله تعالى عليه وسلم عما رأى فى السماء اذ لا علم لهم بذلك انتهى واقصى بمعنى ابعد لانه ابعد مسجد فى الارض وآخر محل عبد الله فيه بحق وقوله (الذى وقع التعجب فيه) ضمير فيه للاسراء اى وقع التعجب فى شانه لقطع مسافة طويلة فى بعض ليلة والتعجب بعده قوله سبحان لانه مصدر منصوب على المصدرية ومعناه تنزيه الله عما لا يليق بعظمته ثم شاع استعماله فى التعجب ووجهه مذكور فى الكشاف وشروحه والتعجب من المعجزات لكونها خارقة للعادة وهو من الله تعجيب لما يتعجب منه وقد ورد استعماله فى حق الله وورد فى الحديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عجب ربنا من كذا وهو من المتشابه لاستحالة ما تعجبوا منه او استبعاده واشار الى المراد من تعجب الله فقال (لعظيم القدرة) منصوب لانه مفعول له اى لعظم قدرة الله الباهرة المؤثرة على وفق الارادة وفى نسخة بعظيم بالباء الجارة (والتمدح بتشريف النبى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم به) اى بالاسراء والجار متعلق بتشريف ويجوز رفعهما بوقع اى وقع فيه تعظيم القدرة والتمدح وكذا قوله (واظهار الكرامة له) صلى الله تعالى عليه وسلم (بالاسراء اليه) اى الى المسجد الاقصى وهو من وضع الظاهر موضع

(الضمير)

الضمير اعتناء به لانه من اجل كراماته واعظم معجزاته (قال هؤلاء) الذاهبون الى ان الاسراء بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم الى المسجد الاقصى وهم ارباب المذهب الثالث (ولو كان الاسراء بجسده الى) مكان ارفع (زائد على المسجد الاقصى لذكره) الله تعالى فى القرآن حين قص قصة الاسراء (فيكون) ذكره فيه (ابلغ فى المدح) من عدم ذكره (ثم اختلفت هذه الفرقتان) الثانية والثالثة فى انه صلى الله تعالى عليه وسلم (هل صلى بيت المقدس) حين اسرى به (ام لا) فقيل صلى به وام معادلة لهل وهو من نوادر العربية سمع ذلك فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لجابر رضى الله عنه * هل تزوجت بكرا ام ثيبا وان انكره بعض النحاة (ففى حديث انس وغيره ما تقدم من صلوته) صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء (فيه) اى فى بيت المقدس وسيأتى رواية اخرى انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم فى السماء وفى روايه انه لم يصل بهم فيه كما اشار اليها بقوله (وانكر ذلك) اى صلوته بالانبياء عليهم الصلوة والسلام فيه (حذيفة بن اليمان وقال) كما رواه احمد بن حنبل رحمه الله تعالى (والله مازالا) اى جبريل والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وزال هنا تامة اى لم ينفصلا ولم يزلا (عن ظهر البراق حتى رجعا) الى الارض فكان جبريل عليه الصلوة والسلام راكبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم ويروى انه كان ماشيا (قال القاضى) ابو الفضل عياض المؤلف رضى الله تعالى عنه (والحق من هذا والصحيح) رواية (ان شاء الله) قيده بالمشية مع انه امر واضح واقطع تبركا وتأدبا وللاشارة الى احتمال التعدد وكل رواية لاتنافى الاخرى فلاينافى قوله ان شاء الله كونه حقا صحيحا كما يتوهم وهذا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم * وانا ان شاء الله بكم لاحقون (انه اسراء بالجسد والروح) لا بالروح فقط مناما او يقظة (فى القصة كلها) اى فى قصة الاسراء الى المسجد الاقصى والسموات (وعليه تدل) اى مما يدل عليه نقلا نص القرآن وهو (الآية) الدالة على سطرها صريحا و (صحيح الاخبار) المشهورة المستفيضة الدالة على عروجه صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء والاحاديث الآحاد الدالة على دخوله الجنة ووصوله الى العرش او طرف العالم كما سيأتى وكل ذلك بجسده يقظة (والاعتبار) بالرفع معطوف على ما قبله كما صححه البرهان والمراد به التتبع لاقوال السلف اوبمعنى الفكر والتأمل فى الاحاديث المرويه والقصه يعنى انه يدل على ذلك العقل والنقل (ولا تعدل) بالتاء للمجهول من العدول اى لايخالف احد ويرجع ويميل (عن الظاهر) الذى يقتضيه العقل والنقل (والحقيقة) المتبادره من لفظ الحديث الصحيح وليس عطفا تفسيريا كما قيل (الى التأويل) متعلق بيعدل اى لا تصرف عن ظاهره ويؤول النصوص الواردة فيه (الاعند الاستحالة) اى الا اذا كان ظاهره مستحيلا عقلا وشرعا حتى يتعذر حمله على حقيقته وليس

ما نحن فيه كذلك (وليس في الاسراء بجسده حال يقظته استحالة) تقتضي العدول عن الظاهر والتأويل وماقيل من ان ماذكره غير مسلم لانه يكفي في المصير الى التأويل قيام المعارض للظاهر من الروايات التي اوردها المخالف الذاهب الى انه منام لايقظة مردود بان هذه الرواية عنده اصح واقوى لعدد من رواها وذهب اليها من كبار الصحابة وكثرتهم جدا كما قيل به فان قيل بالتعدد كما تقدم لم تكن معارضة اصلا فتدبر

﴿ تنبيه ﴾ الاستحالة المذكورة اى عد الاسراء محالا صدر من كفار قريش ومن بعض ضعفاء المسلمين اذ توهموا ان قطع مثل هذه المسافة ذهابا وايابا في بعض ليلة محالا لانها بعيدة بحيث تقطع في ايام كثيرة ومن بعض ارباب علم الهيئة الذين قالوا ان الافلاك لا فرجة فيها ولا تقبل الخرق والالتيام وكلاهما خطأ عقلا ونقلا الا ترى نقل عرش بلقيس في مسافة ابعد من هذه في طرفة العين وغير ذلك مما هو مأثور مشهور وقد نطقت النصوص بان السماء لها ابواب تفتح وتغلق فلا عبرة باوهام الفلاسفة وقال البيضاوي تبعا للامام الرازي الاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل لموضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية والاجسام كلها متساوية في قبول الاعراض والله قادر على كل الممكنات فيقدر على ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او فيما حمله والتعجب من لوازم المعجزات انتهى وقد اورد عليه اعتراضات بسطناها مع جوابها في حواشينا عليه واعلم ان كلامه مبني على ان الحقيقة بعدم مطلقا وعند الشافعي يقدم المجاز الغالب عليها ثم ان العجب والعجب اذا اسند الى الله فهو مأول وكذا صيغه التعجب وفي حديث عجب ربكم من شاب ليس له صبوة قال ابن فورك في كتاب الكشف قد ورد مثله في احاديث كثيرة والعجب والتعجب اصله ان يفاجأ امر لم يعلمه من فاجأه فيستعظمه وهذا لا يليق بالله عز وجل فالمراد لازمه يعني انه جعله عظيما بحيث يتعجب من جلله او المراد الرضاء والقبول لان من اعجبه شيء رضيه وقوله فلا تعجب مما يكره عالما فاذا اراد تعظيم شيء اخبر عنه بما يقتضي تعظيمه الى آخر ما فصله وسيجان كثر استعماله في ذلك وقوله (اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم نقل بعبده) تعال ان اصحه كونه يقظة ولعدم الاستحالة (وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به) ووهموا في انه اى آية عظيمة توقعهم في العذاب لردتهم وتكذيبهم له ولكن هم لما اخبرهم به صلى الله عليه وسلم بما هو خارق للعادة وهو اخبره لانه معجزة تحداهم بها (اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر) تعليل لعدم

الاستبعاد والتكذيب * فان قلت هذا يقتضي ان رؤية الله في المنام جائزة بلا خلاف وقد قالوا انه اختلف فيها * قلت قال الامام الغزالي ان الخلاف فيها غير معتد به ولان المرئي مثاله وفرق بين المثال والمثل وقد افردته برسالة فان اردت تحقيقه فراجعها (بل لم يكن منهم ذلك) المذكور من الاستبعاد والتكذيب والارتداد والافتتان (الا وقد علموا ان خبره انما كان عن) اسرائه (جسمه وحال يقظته) احدا مما قاله لهم واما كون رؤيا الانبياء وحي وحق فهذا انما يعرفه من صدقه وصدق بخبره فاقيل من انه ممنوع لان رؤياهم حق ولذا قال الله تعالى لابراهيم عليه السلام قد صدقت الرؤيا واذا كانت رؤياهم كذلك استقام كونها معجزة له ويتعلق الانكار بان رؤياهم حق كلام في غاية السقوط (الى ما ذكر في الحديث) المتقدم وذكر مبني للمجهول وتصح قراءته للفاعل ايضا والى بمعنى مع كقوله ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم وللغاية بتقدير من البيت المقدس الى المذكور في الحديث بقرينة المقام وقوله (من ذكر صلوته (٢) ببيت المقدس) بيان لما وبيت المقدس هو مسجد ايلياء ومعنى ايلياء بالسريانية وهي لغة آدم عليه الصلوة والسلام بيت الله (في رواية انس او في السماء على ما روى غيره) كما تقدم بيانه (وذكر مجيء جبريل له) صلى الله عليه وسلم (بالبراق وخبر المعراج) بكسر الميم اسم آلة للعروج وهو الصعود في جهة العلو كالسلم وقد تقدم بيانه (واستفتاح السماء) اى طلب فتحها له صلى الله تعالى عليه وسلم من جبريل (وقال) من انت اى تقول ملائكة السماء لجبريل من انت فيقول جبريل فيقال له (ومن معك فيقول محمد ولقائه) الضمير لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (الانبياء فيها) اى السماء (وخبرهم معه) فيما وقع له معهم من المكالمة (وترحيبهم به) اى قولهم له صلى الله تعالى عليه وسلم مرحبا بالاخ الصالح او الابن الصالح كما مر وهو تفعيل من الرحب بضم الراء المهملة وفتحها ومعناه السعة اى صادفت مكانا رحبا اى واسعة وهو كناية عن وجوده ما يسره وتكرمه (وشأنه في فرض الصلوة) خمسين ثم عودها على امته ثم تخفيفها وهو مجرور معطوف على مجيء والشأن الامر العظيم الذي جرى له في ذلك (ومراجعته موسى) اى جريه في استشارته (في ذلك) كما مر (وفي بعض هذه الاخبار) والحديث الذي رواه الشيخان عن انس رضي الله تعالى عنه (فاخذ يعني جبريل بيدي) اى امسك بها اهتماما معه (فعرج بي الى السماء) اى صعد وانا معه (الى قوله ثم عرج بي) بالبناء للفاعل او المفعول بعرج بفتح عين ماضيه وضمها مضارعا لكن قال في القاموس اذا كان خلقة فعرج كفرح او يثلث (٣) بضمتين الجاه فهو اعرج من العرج اسمي وذكر في الادباء في اعرج من الله

فانت العلماء ... وحمله ... وثبات اعواد الاعيان من اجله

(٢) الانبياء نسخه

(٣) قوله يثلث آه يريد انه يجيء من الابواب من نصر وعلم وحسن قاله مصححه احمد طاهر

فعرج الى الارض لا الى السماء ✱ وعرس العود نكهه ولكن ماأورق ولا نما
وحل العصا هو العذاب الاليم ✱ ولا افلح من لازمها بعد موسى الكليم
انتهى (حتى ظهرت) اى صعدت وعلوت وهو كناية لانه يلزم من العلو على مكان عال ان يظهر ويشاهد من هو به (بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام) المستوى بضم الميم اوله مقصور اسم مكان وقد تقدم الكلام عليه وان الصريف والصرير بمعنى وهو الصوت الذى يسمع من الاجرام الجامدة اذا حركت وان المراد بالاقلام اقلام الملائكة عليهم الصلوة والسلام التى تكتب ماقدره الله وهناك وقع فرض الصلوة او هو قلم واحد لله جمع تعظيما ولكثرة مكتوبه وهو العلم المقارن للوح المحفوظ كما قيل (وانه وصل الى سدرة المنتهى) ورأى ماغشيها من الالوان وغيرها كما تقدم (وانه دخل الجنة ورأى فيها ماذكره) من جنابذ اللؤلؤ وترابها المسك الى آخر ماذكره (قال ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما فيما صح عنه من رواية البخارى (هى رؤيا عين رآها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا رؤيا منام) ولا يعارضه ماروى عن عائشة وغيرها كما قيل لصحة هذا وكثرة طرقه وشهادة ظاهر النصوص له كما مر ولا وجه لما قيل ايضا ان صوابه رؤيا نائم كما لا يخفى (و) روى ابن اسحق وابن جرير مرسلا (عن الحسن) البصرى (فيه بينا انا نائم) وفى نسخ جالس (فى الحجر) بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم ونقل التلمسانى عن بعضهم انه يقال بفتح الحاء المهملة وفى القاموس ان الاول معناه وما حواه الحطيم المدار بالكعبة من جانب الشمال وديار ثمود والانثى من الخيل وبالهاء لحن اقول ماقاله وان سبقه اليه غيره ليس بصواب فانه ورد فى الحديث وصححه بعض اهل اللغة كالقزوينى فى مثلثاته والبسه ذهب شيخنا المقدسى فى حواشيه والحجر معروف بحسب الان الشريف كنصف دائرة عليه جدار قصير وهو من البيت وقيل الذى منه مقدار ستة اذرع او سبعة كما افاده البرهان (جاءنى جبريل فهمزنى بعقبه) همزه كضربه وماوقع فى بعض النسخ بهرنى من تحريف النساخ اى مسنى بشدة انتهى والهمز والضغط بمعنى وفى العين همزته غمزته والهمزة فى الحروف لانها تهمز فتهمز عن مخرجها انتهى وهو يدل على انها صحيحة لغة فلا وجه لما فى بعض شروح الكشاف من انها لم تسمع وانما سمعها الف وعقبه بفتح العين المهملة وكسر القاف ثم الموحدة مؤخر الرجل وهذا يدل على انه تمثل له صلى الله تعالى عليه وسلم بصورة رجل حين همزه والضمير لجبريل عليه الصلوة والسلام وليس فيه سوء ادب ممن لم يقصد التنقيص كما قيل (فقمت) اى انتبهت من منامى بدليل قوله (فجلست) والانتباه بهذا المعنى كثير (فلم ارشيئا فعدت لمضجعى) اى رجعت لما كنت عليه من هيئة النائم فالمضجع مصدر ميمى او اسم مكان (ذكر ذلك ثلاثا) واعاد ذكره ثلاثا لانه وقع الهمز ثلاث مرات (فقال فى) المرة (الثالثة

فاحد بقصدى) بالاضافة الى ياء المتكلم المخففة والقصد ما فوق المرفق (فخرجى الى باب المسجد) اى اخرجه اليه تأدبا معه اذلم يدخل ماهو على صورة دابة لفناء بيت الله وقيل الله اعلم بصحة هذا لبراءة جبريل عن ان يفعل به صلى الله عليه وسلم ذلك الخروج ويه نظر (فاذا بدابة وذكر خبر البراق) المتقدم فى شكله وهيئته وسرعته وهذا رواه ابن اسحق وابن جرير والطبرانى (وعن ام هانئ) بهمزة فى آخره وتبدل ياء واختلف فى اسمها فقيل فاختة وقيل عاتكة وقيل جمانة وقيل فاطمة وقيل رملة وهى بنت ابى طالب صحابية عظيمة المقدار اخرج لها اصحاب الكتب الستة وكانت اسلمت يوم الفتح وهرب زوجها هبيرة المخزومى فمات بنجران كافرا وخطبها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاعتذرت بانها مصبية اى ذات اولاد (ما اسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى) وهو مخالف لما مر انه كان بالحجر اوغيره فان قيل بتعدد الاسراء فلا اشكال (تلك الليلة) التى اسرى به فيها من بيتها (صلى العشاء الاخيرة) والعشاء الاولى المغرب (ونام بيننا) اى بين اهل بيتها واولادها وفى رواية ونام شيئا بسين معجمة اى نام ما لا من الليل (فلما كان قبيل الفجر) تصغير قبل تصغير تقريب وتقليل (اهبنا) بالهمزة اوله وتشديد الموحدة اى ايقظنا يقال هب اذا استيقظ واهبه ايقظه من منامه وتنبهه منه (فلما صلى الصبح) اى صلوة الصبح (وصلينا) معه (قال يا ام هانى لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت) بكسر التاء اى كما شاهدت صلوتى لها (بهذا الوادى) اى بمكة وهى واد لاحاطة الجبال بها واختصاصها بها قالوا وهذا مشكل من وجوه لانها انما اسلمت عام الفتح كما مر فكيف تكون صليت معه العشاء وايضا ان الصلوة انما فرضت فى الاسراء واول صلوة صلاها بعد الفريضة الظهر فما معنى صلوة العشاء والصبح ولذا اشار المصنف لضعف هذا فى الفصل الذى يليه وايضا المغرب لاتسمى عشاء لغة وشرعا وقولهم العشاآن للمغرب والعشاء تغليب وما قيل من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى قبل الاسراء قبل طلوع الشمس وغروبها وان المراد بقولها صلينا صلاتنا له مايحتاج اليه فى صلوته كلام لايجدى لانه فى غاية الخفاء اوهو مدرج من كلام غيرها مع كون المغرب لا تسمى عشاء اولى على منتجه لانه ورد فى الحديث تسميتها عشاء اولى والمراد بالعشاء اول الليل وكون ماورد تعلما غير مسلم فان الاصل هو الحقيقة والقول الذى يظهر لى فى التوفيق بين الروايات والجواب عما ذكر ان لم نقل بتكرار الاسراء مرارا ادعاء ان الامر ظاهره انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان بيت ام هانى ثم خرج الى الحرم للصلوة فغشيه النوم ثم استيقظ وعرج به واما قول ام هانى رضى الله تعالى عنها وصلينا فيدفع اشكاله المذكور بما بيت ابى طالب وابو طالب وآله كانوا محبين له صلى الله تعالى عليه وسلم مصدقين صدقه

ولم يظهروا ذلك لغيره جاهلية وحكمة جعية ولذا اسلم على كرم الله وجهه في صباه وكان رضي الله تعالى عنه معه صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر ذلك ابو طالب في شعره المشهور في السير فلما خرج صلى الله تعالى عليه وسلم من بيتها تلك الليلة وصلى بالحرم ومعه علي فلا شك انه كان يصلي قبل الاسراء بالغداة والعشي صلوة غير الخمس المفروضة فقولهما صلينا كقولهم بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم لان الفعل المرضي لجماعة اذا وقع من احدهم ينسب للجميع وهو مجاز تام مشهور اي صلى معه بعض آلنا وهو علي رضي الله تعالى عنه اويقال انها كانت مسلمة سرا كما نقل مثله عن العباس رضي الله تعالى عنه فاندفاع الايراد الذي طووه غير مندفع ظاهر فلاحاجة لماقيل الصلوة هنا لغوية بمعنى الدعاء (ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون) وتشاهدون والغداة والغدو بمعنى وهو اول النهار وهو بتقدير مضاف اي صلوة الغداة وهي صلوة الصبح (وهذا) المذكور برهان ودليل (بين) بتشديد الياء المكسورة اي ظاهر واضح (في انه) اي الاسراء (بجسمه وروحه لا بروحه فقط كما قيل وقيل انما انه رؤيا منام وفيه نظر (وعن شداد بن اوس) بن ثابت بن المنذر بن الحرام ابو يعلى الانصاري انه جاني نزل بيت المقدس وليس بدريا كما توهم وقد اخرج له الائمة الستة واحمد في مسنده وهذا الحديث ليس فيها وانما رواه البيهقي وابن مردويه توفي سنة ثمان وخمسين ودفن بفلسطين وهو ابن اخي حسان بن ثابت كما مر في ترجمته (عن ابي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنه افضل الصحابة وفي اكثر النسخ عن ابي بكر من رواية شداد بن اوس عنه (انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة اسري به) في هذا ما لا يخفى اذ لا يصح مع قوله (طلبتك البارحة (٢) وهي الليلة الماضية قبل ليلتك وفي المثل ما اشبه الليلة بالبارحة فهو بتقدير بعد ليلة اسري بك ومعنى طلبتك اي تفقدت جسدك في مضجعك (فلم اجدك) فيه اوفيه تقديم والتقدير اي طلبتك البارحة ليلة اسري بك وهذا كله خلاف الظاهر ولم ينبهوا عليه فاجابه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (ان جبريل حملني) وفي نسخة حمله (الى المسجد الاقصى) وان بكسر الهمزة اوفتحها والتقدير بان الى آخره فبل هذا حمل انه كان بيت عائشة رضي الله تعالى عنها بدليل السياق لكنه معارض بقول عائشة المتقدم وقوله حملني جبريل مخالف لكونه على البراق الا ان يقال لكونه سببا له اسند اليه مجازا وفيه نظر وهذا دليل على انه كان يقظة بجسده ايضا (وعن عمر رضي الله تعالى عنه) كما رواه ابن مردويه من طرق (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد) الاقصى (ثم دخلت الصخرة) اي دخلت المسجد الذي تحت الصخرة المعروف الآن بمسجد داود عليه الصلوة والسلام ففيه مضاف مقدر اي تحت (فاذا ملك قائم) لم يسموه (معه آنية ثلاث

(٢) في مكان كتب نسخة

وذكر الحديث) اى ساقه الى آخره واداها بخانية اى فاجأنى بغتة لقاؤه والآنية بالمد جمع اناء كوعاء وزنا ومعنى واوانى جمع الجمع وليس مفردا كما توهم العامة كما ولذا وصفه بانه ثلاث فهو صفة او بدل منه وقيل خبرهى مقدرة وكان الظاهر ان يقال ثلاثة لان مفرده مذكر وكانه اوّله بكأس ونحوه يعنى اناء من خمر واناء من لبن واناء من ماء وانه خيرفيه فاختار اللبن وقيل له اخترت الفطرة ولو اخترت الخمر غوت امتك وهذا تمام الحديث وقدتقدم واعترض عليه بانه يحتمل لكونه مناما ولامانع فى هذه الرواية اصلا فقوله (وهذه التصريحات ظاهرة) فى انه كان يقظة (غيرمستحيله) شرعا وعقلا حتى تقتضى استحالتها التأويل (فتحمل على ظاهرها) ولا نعدل الى التأويل مع عدم الحاجة اليه يؤيد ذلك (وعن ابى ذر) الصحابى الغفارى رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه الشيخان (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (فرج) مبنى للمجهول مخفف الراء ونائب فاعله (سقف بيتى) وفى نسخة عن سقف بيتى والمعنى كشف من السقف جانب حتى انفتحت منه فرجة ولم يبق حائل بينه وبين السماء (وانا) مقيم (بمكة) قبل الهجرة وهذا مع قوله سابقا بينا انا بالحجر او الحطيم وقول ام هانى السابق ما اسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو بيتى بينهما من المعارضة مالايخفى * فان قيل بالتعدد فلامنافاة بين الروايات ولايكفى هنا كون اضافة البيت له لانه ساكن فيه ولام هانى لكونه ملكها وقد تقدم قول ابن المنير ان فرج السقف وعدم اتيانه من بابه انه مبالغة فى المفاجأة وتنبيه على ان دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته كانت على غير ميعاد وكان هذا عادة الخلفاء العباسيين ههنا ولتدل على ان هذا امر الهى وكرامة تسر ولا تضر ولواتى من الباب لتوهم انه احد من اعدائه الذى هو بين اظهرهم (فنزل جبريل عليه الصلوة والسلام فشرح صدرى) وفى رواية ففرج صدرى اى شقه وهى انسب بفرج البيت (ثم غسله بماء زمزم الى آخر القصة) لانه افضل المياه حتى الكوثر فى قول ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم الفه صغرا وكبرا وشرح الصدر لاينافى شق القلب لانه مقدم عليه ولاحاجة الى القول بانه تجوز عن القلب بالصدر لعلاقة المجاورة وقد تقدم انه شق قلبه وصدره صلى الله تعالى عليه وسلم وهو صغير عند ظئره حليمة رضى الله تعالى عنها فهذه مرة ثانية فالاولى لتطهيره من الكدورات البشرية وتشحيذه للرسالة والنبوة وهذه ليقوى على العروج ومشاهدة عجائب الملكوت فهو وقع مكررا فى مرة غسل بماء زمزم وفى اخرى بماء ثلج ليثلج صدره وتصبره فلاتعارض بين الروايات قال ابن المنير ولما لم يقع هذا للكليم عليه الصلوة والسلام لم يطق فى الدنيا الرؤيا ولم يذكرها انه كان معه ملكان بطست وماء كما مر وانه وضع عليه خاتم النبوة وسيذكره (ثم اخذ بيدى فعرج بى) بالبناء للفاعل او المفعول كما مر

وشرح صدره كان بعد نزول جبريل عليه الصلوة والسلام اليه والتعقيب بالفاء عرفى نسبى فلا ينافى قوله (وعن انس اتيت) بالبناء للمجهول لا للفاعل كما توهم (فانطلق بى) مجهول ايضا وفى نسخة فانطلقوا بى بصيغة الجمع لان مع جبريل ملكان اخران معهما طست الذهب كما مر ولا منافاة بين الروايات كما توهمه من لا بصيرة له (الى زمزم فشرح عن صدرى) اى شق صدره وملئ ووضع فيه نور النور ليقوى على العروج ومشاهدة الملكوت وعجائبه (و) روى مسلم (عن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه عبد الرحمن بن صخر (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (لقد رأيتنى) جواب قسم مقدر لاتأكيد بالمثناة الفوقية المضمومة ورأى علمية او بصرية (فى الحجر) تقدم ضبطه وما يتعلق به (وقريش تسألنى عن مسراى) جملة حالية والمسرى مصدر ميمى او اسم مكان اى سأله كفار قريش عن علاماته بعدما كذبوه تحقيقا لما زعموه (فسألتنى) قريش وتأنيثه باعتبار القبيلة (عن اشياء) من بيت المقدس واماراته (لم اثبتها) اى لم اكن اثبت صورتها فى ذهنى وفكرى لاشتغالى عنها واهم منها من معاينة ما وقع له ثمة من صلوته مع الانبياء وتهيئه للعروج فسقط ما قيل من ان هذا يدل على انه كان مناما لان الانسان اقل ضبطا لما يراه فى منامه من المستيقظ ورؤيا صلى الله تعالى عليه وسلم حق وان نام عيناه لا ينام قلبه (فكربت كربا ما كربت مثله قط) بصيغة الكافين من الماضى المجهول والكرب الغم والحزن الشديد مع القلق والاضطراب قال الراغب اصله من كرب الارض وهو قلبها بالحفر والحرث والغم يثير النفس كاثارة ذلك وفى المثل الكراب على البقر وليس ذلك من قولهم الكلاب على البقر فى شئ (فرفعه الله لى انظر اليه) اى رفع الله له صلى الله تعالى عليه وسلم بيت المقدس حتى ينظر اليه ويثبت ما فيه ويخبرهم به على حقيقته فجملة انظر اليه حالية او مستأنفة (ونحوه عن جابر رضى الله تعالى عنه وقد روى عن عمر) بن الخطاب رضى الله عنه (فى حديث الاسراء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجعت) من مسراى (الى خديجة) ام المؤمنين رضى الله عنها (وما تحولت) اى والحال ان خديجة رضى الله عنها ما تحولت وتحركت (عن جانبها) التى كانت عليه حين فارقها النبى صلى الله عليه وسلم وهذا يقتضى انه كان فى بيت خديجة وقد تقدم انه كان فى بيت ام هانى رضى الله تعالى عنها وفى رواية انه كان فى الحجر وفى اخرى فى الحطيم وهو الحجر الذى لى الميزاب الذى هو قبلة اهل المغرب وقيل الحطيم ما بين المقام الى الباب وروى عن مالك وعن ابن جريج هو ما بين الركن والمقام عند زمزم وقيل والصحيح انه ما بين الركن الاسود الى الباب ﴿ وقيل ﴾ ثم انطال جمع من قال انها نوم ﴿ لانقطه وان الاسراء لم يتكرر

مرارا اربعة كما رنصه ابوشامة رحمه الله تعالى ونابيت ضمير انها لان الرؤيا مؤنث سماعي لا باعتبار انها رؤيا منام كما قيل (احتجوا بقوله تعالى وماجعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة فسماها رؤيا) وهذا مبنى على ان رأى مشترك فيكون بمعنى ابصر يقظة ومصدرها رؤية ومناما ومصدرها رؤيا ورأى بمعنى علم وحكم ومصدر الاخير الرأى وهذا هو المشهور وقد رده السهيلي فى الروض الانف وقال الرؤيا مشتركة بين البصرية والحلمية واورد له شواهد من كلام العرب وقد من جمع ذلك وقيل الرؤيا اذا كانت بصرية تختص بما يرى ليلا (قلنا) جوابا عما احتجوا به (قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده برده لانه لا يقال فى النوم اسرى) اذ الاسراء كما مر هو السير ليلا وهذا انما يكون يقظة لاسيما وقد ذكر فى الحديث ما تسلزمه لزوما بينا من صلوته صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلوة والسلام واستصحاب البراق عليه او غير ذلك مما تقدم واحتمال ان يكون معناه انه رأى فى منامه انه اسرى به بعيد جدا ولذا جعله ابطالا لما قالوه لانه فى قوة الخطاء فما قيل ان الاولى ان يقول تدفعه مانذكر ليس بشئ يعول عليه (وقوله فتنة للناس) اى بلية ومحنة جرأتهم على تكذيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ورده بعضهم (تؤيد انها رؤيا عين) بصر يقظة (واسراء بشخص) اى سير بجسده حقيقة يقظة لا تخيلا وما كما قيل (اذ ليس فى الحلم) بضمتين او بضم فسكون وهو مايراه النائم واصل معناه العقل يقال حلم فى نومه يحلم حلما وحلما وقيل حلم بضم ثم فتح كرفع فاله الراغب (فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون فى ساعة واحدة فى اقطار متباينة) اقطار جمع قطر وهو الجانب والمكان البعيد ومن سان لذلك او لملل اى يرى فى مدة قليلة انه وصل لاماكن بعيدة ولا ينكره عليه احد من العقلاء ثم اشار الى رد ذلك بوجه آخر فقال (على ان المفسرين قد اختلفوا فى هذه الآية) التى استدلوا بها وعلى بمعنى مع هنا والعلاوة ضم امر لآخر كقوله * على ان قرب الدار خير من البعد * والمراد بالآية وماجعلنا الرؤيا الآية (فذهب بعضهم الى انها نزلت فى قصة الحديبية) الحديبية بالصاد المعجمة واحدة القصابا على الاصح الا ... روى بعضه بالصاد المهملة والحديبية مصغرة بحاء ودال مهملتين وياء تحتية ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء مخففة وهاء تانيث وتشديد يائه ... اكثر المحدثين وبعض اهل اللغة فهى صحيحة رواية ودراية فلا وجه لمنعه ... سميت بها لشجرة حدباء وقع تحتها بيعة الرضوان ثم صار اسما لبئر بها وقرية على مرحلة من مكة ... بعد المسجد ... هى من الحل او من الحرم او بعضها من الحل وبعضها من الحرم اقوال ذهب الى كل ... بعض العلماء ... رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقام بالمدينة ... ست عشرة فى المصطلق فى شوال وخرج فى ذى القعدة معتمرا ومعه من الانصار والمهاجرين نحو الف وخمسمائة وساق

الهدى معه وهو محرم ليعلم انه لم يخرج لحرب فلما بلغ قريشا ذلك خرج منهم جمع صادين له صلى الله تعالى عليه وسلم عن دخول مكة وانه ان قاتلهم قاتلوه وخرج مع الكفار خالد بن الوليد رضى الله عنه الى كراع الغميم فلما وصل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الحديبية بركت ناقته فقال حبسها حابس الفيل والله لاتدعونى قريش اليوم الى خطة فيها صلة رحم الا اعطيتهم اياها ولم يكن ثمة ماء فغرز سهما له فى بئر فغار ماؤها حتى كفى الجيش ثم جاءت السفراء بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والكفار وتنازعوا حتى جاءه سهيل بن عمرو العامرى وقاضاه على ان ينصرف ويأتى فى العام القابل وان يكون بينهم صلح عشرة اعوام يأمن بعضهم بعضا على ان من اتاه مسلما منهم رده اليهم ومن اتاهم لم يردوه فعظم ذلك على المسلمين ووقع ماوقع ولذا سمى عام القصة قال ابن عبد السلام فى قواعده * فان قيل لم التزم صلى الله تعالى عليه وسلم الصلح وماشرطوه مع مافيه من ادخال الضيم على المسلمين والدنية فى الدين * قلنا وقع ذلك دفعا لمفاسد عظيمة وهى قتل المؤمنين والمؤمنات الذين كانوا خاملين بمكة لايعرفهم اهل الحديبية وفى قتلهم معرة عظيمة على المؤمنين فاقتضت المصلحة ايقاع الصلح على ما ارادوه وهو اهون من قتل اولئك مع انه علم ان فى تأخير القتال مصلحة عظيمة وهى اسلام جماعة من الكفار ولذا قال تعالى (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) اى فى ملة الاسلام وقال لو تزيلوا الآية والى هذا اشار بقوله (وماوقع فى نفوس الناس من ذلك) اى من صلح الحديبية حتى راجعه عليه السلام فى ذلك عمر رضى الله عنه مرارا وقال ماقال واشمأزت خواطرهم وقال ابن المنير لم يكن ذلك شكا وريبة ولكن من فرط الغيرة وقوة الحمية على الحق والعصب لله ورسوله وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من علمه بالعاقبة الحميدة ماليس عندهم فلما بان لهم ذلك عادوا للرضاء والوفاق (وقيل) فى تفسير الآية وسبب نزولها (غير هذا) الذى تقدم من ان هذه الرؤيه لم تكن عام الحديبية وانما كانت قبل بدر وهى التى فى قوله تعالى (اذ يريكهم الله فى منامك قليلا) الآيه (واما قولهم انه قد سماها فى الحديث

مناما وقوله فى حديث آخر بين النائم واليقظان) كالنعسان جالسا (وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت) وانا بالمسجد الحرام (فلاحجة فيه) للقول بانها رؤيا منام كما مر (اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه وهو نائم) بدليل قوله فى الحديث فهمز بى بعقبه السائق مع ما نصاه به (او اول حمله) على البراق (والاسراء به وهو نائم) ولا يخفى بعده مع كونه صلى الله تعالى عليه وسلم تنام عيناه ولاينام قلبه ويدل ايضا انه مخالف للظاهر فهو مشترك الالزام (وليس فى الحديث انه كان نائما فى القصة كلها الا مايدل عليه قوله ثم استيقظت وانا فى المسجد الحرام) فانه يقتضى انه صلى الله تعالى عليه

وسلم لم يستيقظ قبل وصوله اليه وعوده وكون استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظت
من نوم آخر تكلف لا حاجة اليه وتأييده بانه لم يستغرق الليل باسرائه فيكون لسرعة
مسيره ومشقته نام بعده للاستراحة ابعد منه فلذا عبر عنه بقوله (فلعل قوله استيقظت
بمعنى اصبحت) اى دخلت فى وقت الصباح لان صيغة الترجى تقتضى ضعفه على عادة
المصنفين فى التعبير بها (او استيقظت من نوم آخر) غير ما كان قبله فى الحجر او فى بيت
ام هانى او غيره (بعد وصوله بيته) اى البيت الذى كان فيه فالاضافة لادنى ملابسة
فلا ينافى ما قلناه (ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان فى بعضه) بدليل
قوله تعالى ليلا فى الآية كما ذكره المفسرون (وقد يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد
الحرام) وعبر بقد اشارة لضعفه ايضا (لما) بكسر اللام وتخفيف الميم احترازا
من ما المصدرية (كان غمره) اى لاجل الذى عرض له مما يدهشه ويستغرق لبه وفكره
(من عجائب ما طالع) اى شاهد ورأى (من ملكوت السموات والارض) الذى
لم يطلع عليه غيره من البشر فاستعار لتلك المشاهدة الغمرة وهو ما يغمر من الماء
ويقطر منه ففيه استعارة تصريحية تبعية او مكنية وتخييلية او هو تشبيه بليغ كقوله تعالى
الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر على ان من تجريدية بيانية ولما كانت
المطالعة بمعنى المشاهدة بالحواس الظاهرة قدمها واتبعها بقوله (وخامر باطنه)
بالخاء المعجمة والف وميم وراء مهملة بمعنى مازجه وخالطه لا بمعنى ستره ومنه
الخمر لسريانها فى بدن شاربها وان قيل انما سميت بها لسترها العقل والمراد
باطنه قلبه وحواسه الباطنية (من مشاهدة الملأ الاعلى) وتعبيره بالمشاهدة يقتضى
ما فسرنا به المخامرة وان اشتهرت بمعنى الستر كما فى قول سلمان الفارسى لابى الدرداء
رضى الله عنهما حين دعاه الى الارض المقدسة يا اخى ان بعدت الدار من الدار
فان الروح من الروح قريب وطير السماء على ارفه خمر الارض تقع على اى خصب
ستر وجه الارض يعنى ان وطنه ارفه وارفق به فلا يفارقه والمراد بالملأ الاعلى
السموات وما فيها او الملائكة لان الملأ الجماعة الاشراف (وما رأى من آيات ربه
الكبرى) العظيمة التى تدهش عظمتها من رآها وما قيل من انه خلاف الظاهر لانه
صلى الله تعالى عليه وسلم اثبت الرسل قلبا فلا تعروه لذلك دهشة ليس بشئ
لانه لم يرد بها دهشة بمعنى الذهول وان كان قوله (فلم يستفق) بقال افاق واستفاق
بمعنى تنبه واستيقظ من نومه (ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام)
يوهمه اذ المراد به حالة اعترته وانسته عالم الدنيا وكسته حالة ملكية على انه لو سلم كان
مؤيدا للمصنف غير وارد عليه وليس المراد انه عرض له صلى الله عليه وسلم النوم
فى رجوعه كما توهم فانه ينافى قوله (ووجه ثالث) وهو (ان يكون نومه واسراؤه
حقيقة على مقتضى) ظاهر (لفظه) وصادفه بمعنى تجوز وبها بالفتح والكسر والمراد

بلفظه قوله ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام (ولكن ما اسرى بجسده) وعيناه نائمتان (وقلبه حاضر) وان غض بصره كالنائم مافهو مساو لليقظان (ورؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام (حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم) وقد قيل عليه ان كون نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم نائمة مع الاسراء بجسده مع انه خلاف المعتاد لا فائدة فيه وماذكره المصنف من الحكمة الآتية من انه لئلا تشغله المحسوسات عن الله لايدفع ماذكر لان الحكم حينئذ للروح فلامعنى لرفع الجسد وهو حاصل بدونه وقوله تعالى (لنريه من آياتنا) يأباه وقد استدرك عليه المصنف بقوله الآتي ولا يصح ان يكون هذا في وقت صلوته الى آخره والجواب انه ليشاهد الملائكة وينص عليهم بركاته لايجدى نفعا (وقد قال بعض اصحاب الاشارات) يعني بهم مشايخ الصوفية والمراد بالاشارة ماياخذونه من الحقائق من النصوص القرآنية وغيرها وهم لايقصدون تفسيرهم انه صريح النص كاذكره العز بن عبد السلام ومن لايعرف ذلك يعترض عليهم بما لاوجه له (الى نحو من هذا) اى الى قريب مما قاله صاحب هذا الوجه حيث (قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله) قال الزمخشري في شرح الفصيح قولهم حسم حساس لحن كالحسوا في قولهم محسوسات لان فعالا لايبنى من افعل والحق ثبوته وثبوت حس بمعنى احس كما قاله الدماميني في شرح التسهيل والنووي في شرح مسلم فعلى هذا لالحن في هذه العبارة (ولا يصح ان يكون هذا) المذكور من ان الاسراء بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم وهو نائم او وفق بين الروايتين ان لم نقل بالتعدد (في وقت صلوته بالانبياء) عليهم الصلوة والسلام لان النائم لا يصلي ولا تصح صلوته وظاهره انه فيما عداه من امور الاسراء صحيح بلا ريب وانما ياباه لفظ الحديث ولا يخفى ان مناجاة ربه ومراجعة موسى عليه الصلوة والسلام لذلك بمكان يعني ان نقول والامور الواقعة في حديث الاسراء لا تصح في بعضها ان يكون منا ما فان قيل يجوز ان يكون رأى ذلك في المنام فاما وكذا يجوز ان يكون رأى في منامه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم ايضا الا ان يفرق بينهما (ولعله كان له) صلى الله تعالى عليه وسلم (في هذا الاسراء حالات) وكان في بعض نائما خاصة الصورة بادنا ليلا يرى سوى ربه وفي بعضها منبسطا وفي بعضها بين النائم واليقظان وبهذا يجمع بين الروايات ويدل ان الحديث الذي وقع فيه هذا ملفق من احاديث وهذا الوجه قيل انه حدس وتخمين ولو تركه المصنف كان احسن لما مر (ووجه رابع) لتأييد كونه يقظة وتأويل مايخالفه (وهو ان تعبيره بالنوم ههنا) في هذه الرواية (عن هيئة النائم من الاضطجاع) بيان للهيئة والاضطجاع الالصاق بدنه ممدا بالارض غير جالس ولا قائم فهو استعارة

او مجاز مرسل للرؤية عالما النوم وكان على هذه الهيئة عند وصول الملك اليه وفي بعض النسخ اذ كثيرا مايعبر بالنوم عن الاضطجاع ونحوه لما بينهما من الملابسة وفي بعض الشروح هنا تكرار لاحاجة اليه ولذا قال انه يتعين كونه مجازا مرسلا وليس بلازم (ويقويه) اى يقوى هذا التأويل (قوله في رواية عبد بن حميد) الامام الحافظ المقدم ترجمته وعند غير مضاف هنا وهو ابو نصر عبد الرحمن بن الكشي ويقال الكجي بشين اوجيم (عن همام) بفتح الهاء وتشديد الميم الاولى ابن يحيى العوذي بفتح العين المهملة وسكون الواو وذال معجمة وياء نسبة منسوب للعوذ بطن من الازد امام ثقة اخرج له الستة وتوفي سنة ثلاث وستين ومائة (بينا انا نائم وربما قال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (مضطجع) فعبيره بهذا تارة وبهذا اخرى يشهد لانهما بمعنى (وفي رواية هدبة) بضم الهاء وسكون الدال المهملة والموحدة وتاء تأنيث ابن خالد القيسي البصري الحافظ الثقة روى له الشيخان وغيرهما وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وفي بعض النسخ بدل هدبة معاوية (عنه) اى عن همام (بينا انا نائم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع) تقدم الكلام فيه والنوم (وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان) يؤيد كون المراد بالنائم المضطجع (فيكون سمى هيئته) اى هيئة النبي صلى الله عليه وسلم اوهيئة النوم (بالنوم لما كانت) تلك الهيئة (هيئة النائم) حقيقة (غالبا) اى في الغالب وبما ذكرنا سابقا من ان هذا في اول وصول الملك له سقط ماقيل من ان هذا ينبو عنه السمع لان ركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم البراق وربطه بالحلقة وصلوته بالانبياء عليهم الصلوة والسلام يأباه واما قوله فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام فاول النصب يأمر فلا ينافي هذا فتأمله (وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب) اى قربه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (الواقعة في) رواية (هذا الحديث) اى حديث الاسراء (انما هي من رواية شريك عن انس رضي الله تعالى عنه فهي منكرة من روايته) لا مطلقا والانكار المراد به معناه اللغوي او مصطلح المحدثين وهو روايته المعبر بسوء حفظه والمخالف للثقات وشريك طعن فيه ابن حبان وغيره وقالوا ليس بثبت (اذ شق البطن) اى بطنه وصدره صلى الله تعالى عليه وسلم (في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه الصلوة والسلام) وهو عند مرضعته حليمة كامر (وقبل النبوة) اى قبل ظهورها للناس هذا بيان لوجه انكار هذه الرواية وقد تقدم عن الامام السهيلي وغيره ان الشق وقع مرتين مرة لتنشئته للنبوة ومرة اخرى بعد بعثته ليقوى على المعراج ومشاهدة عجائب الملكوت فلا يرد ماذكر على هذه الرواية فقضى انها منكرة وقيل انه وقع اربع مرات عند حليمة وبحراء وليلة الاسراء ومرة اخرى في اليوم الاان ابن حجر قال ان هذه لم تثبت

كما تقدم (ولانه) اى شريك (قال فى) هذا (الحديث) الذى رواه عن انس رضى الله عنه (قبل ان يبعث والاسراء بالاجماع) من المحدثين (كان بعد المبعث) مصدر ميمى بمعنى البعث وقد تقدم الكلام فيه (فهذا كله يوهن) بتشديد الهاء اى يضعف او تخفيفها لانه يقال وهنه واوهنه فوهن اى ضعف (ما فى رواية انس) هذه التى رواها شريك عنه (مع ان انسا قد بين من غير طريق) اى من طرق متعددة لامن طريق واحده (انه انما رواه عن غيره) من الصحابة كمالك بن صعصعة وابى ذر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مرسل الصحابى وفيه ان مرسل الصحابى اذا روى من طريق مقبول فهذا لا يضعفه (وانه لم يسمعه من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لانه سمعه من غيره (فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفى كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك) من مسلم فلعل مستعارة من الترجى بجامع عدم الوقوع فيهما وقال الحاكم مدار حديث المعراج على انس رضى الله عنه وقد سمع بعضه من مالك بن صعصعة و بعضه من ابى ذر و بعضه من ابى هريرة (وقال انس مرة كان ابو ذر يحدث) اى ينقل حديث الاسراء السابق عنه صلى الله عليه وسلم (واما قول عائشة) رضى الله تعالى عنها (ما فقد جسده) صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه عنها ابن اسحق وابن جرير وتقدم ان فيه رواية ما فقدت بالاسناد لضميرها والاسناد للفاعل وهو فى هذه الرواية مبنى للمجهول (فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة) له صلى الله تعالى عليه وسلم لانه كان بمكة قبل تزوجها او قبل ولادتها كما اشار اليه بقوله (لانها لم تكن حينئذ) اى فى وقت الاسراء وزمانه (زوجة) له صلى الله عليه وسلم (ولا فى سن من يضبط) بالتحتية والفوقية اى لم يكن سنها وعمرها حينئذ سن ضبط واتقان لعدم تمييزها لصغرها فهو مستعار من الضبط وهو الامساك والحفظ للعلم والتمييز فالرواية عنها ليست مسلمة او هى حدثت به عن غيرها فعلى رواية ما فقد الامر ظاهر وعلى رواية ما فقدت فيه تقدير اى قال فلان او فلانة ما فقدت الى آخره وهو فى غاية البعد كما قيل (ولعلها لم تكن ولدت) بالبناء للمجهول (بعد) مبنى على الضم اى بعد هذه القصة ووقوعها وهى ضد قبل وتستعملان فى التقدم والتأخر المتصل والمنفصل والمراد هنا الاول والمراد زمان وقوعه للمجاورة والتضاد وهو استعمال شائع وحينئذ لا ينبغى ان ينسب لها هذا القول اذ لم يثبت كما سيأتى وكونها حدثت به عن غيرها تأباه سياقه (على الخلاف فى) زمن (الاسراء متى كان فان الاسراء كان فى اول الاسلام) بمكة قبل الهجرة (على قول) محمد بن مسلم بن شهاب (الزهرى ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة فى) وقت (الهجرة بنت ثمانية اعوام) فعلى هذا لم تكن ولدت فى زمن الاسراء (وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة) هذه

اللام توقيتية اى وقت هو سنة خمس كما فصله النحاة فى باب العدد وفصل التاريخ (وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه) اى القول الاصح الاولى والاحسن (انه خمس) لان مثله يكون كثير الشبه بخلاف النادر الغريب الذى لا نظير له (والحجة لذلك تطول وليست من غرضنا) اى ليس مقصودنا فى هذا الكتاب بسط الادلة والحجج بل الاكتفاء بما صح من اوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم او المراد ان مقصوده الاختصار وعدم التطويل وتفصيله كما فى المنتقى لابن المنير قال الاقوال فيه كثيرة اصحها عندى قول ابراهيم الحربى انه كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقيل بعد المبعث بخمس سنين وقيل بعده بخمسة عشر شهرا وقال ابن اسحق اسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد فشا الاسلام وفى مسلم عن شريك انه قبل ان يوحى اليه ولا يصح هذا بوجه الا على القول بانه منام كما وقع لعائشة انه كان بالمدينة ورجح القاضى عياض القول بانه قبل الهجرة بخمس سنين وقول ابن اسحق انه قبل الهجرة بسنة وضعف هذا بان خديجة رضى الله عنها صلت معه صلى الله تعالى عليه وسلم وهى ماتت قبل الهجرة بمدة اقل ما قيل فيها ثلاث سنين والصلوة لم تفرض الا فى الاسراء وهو غير وارد لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى قبل الاسراء صلوة غير الخمس على خلاف فيها والحجة لما فى ترجيحه ان كل قول سواه خرج مخرج التقدير لا التحديد لانه لم ينص فيه الشهر فضلا عن اليوم وقول الحربى عين فيه ليلته بعينها من شهر بعينه وسنة بعينها فقال ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة واذا تعارض خبران احدهما احاط راويه بفصل فى القصة زائد فالمفصل احضرهما واولى فاسا من اجل وعاه الفقهاء فى كتاب الشهادة اذا ارجح احدى البينتين واليوم الذى اسرى فيه ليلة الاسراء يوم الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الاول واذا كان الثانى عشر من الشهر يوم الاثنين كان اوله الخميس قطعا فاول ربيع اما السبت او الاحد او الاثنين لان بين كل يومين متقابلين من سنين متواليتين اما ثلاثة ايام او اربعة او خمسة ولذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم من الوقفة التى قبلها او رابعة او سادسة واعدل الاحتمالات الخامس والجمعة بعقبها الثلاثا والاثنين بعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب التمام والنقص الى آخر ما ذكره وقد وقفناه (فاذا لم تشاهد ذلك) المذكور من زمن الاسراء (عائشة) رضى الله تعالى عنها (دل) عدم مشاهدتها (على انها حدثت ذلك عن غيرها) من الصحابة فحديثها من مرسلات الصحابة فهو صحيح ايضا كما قاله المحدثون الا انه لم يوثق به وبين غيره (فلم يرجح خبرها على خبر غيرها) الظاهر ان نقول فرجح خبر غيرها على خبرها لروايتها عن مجهول بل لعدم سؤيه عنها كما سـ ـى (وغيرها يقول

بخلافه مما وقع نصا) اى صريحا فان النص له معان منها هذا (فى حديث ام هانئ) وفى نسخة من حديث ام هانئ بيان لما (وغيره) كحديث ابى ذر ومالك بن صعصعة وابى هريرة وقد قيل عليه ان حديث ام هانئ المذكور فى الفصل الذى قبل هذا غير صريح فيما ذكر ويدفع بانه ظاهر فيه والعدول عن الظاهر لا وجه له (وايضا) منصوب على المصدرية مصدر آض بمعنى رجع (فليس حديث عائشة) اى قولها مافقدت جسده (بالثابت) عنها عند المحدثين لما فى متنه من العلة القادحة وفى سنده محمد بن اسحق وقد ضعفه مالك وغيره (والاحاديث الاخر) الواردة فى الاسراء عن غيرها (اثبت) اكثر ثبوتا واصح من حديثها (لسنا نعنى) اى لا نريد انا وغيرنا من المحدثين بقولنا انها اثبت (حديث ام هانئ) وقولها ما اسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى (وما) اى وحديث عن غيرها كحديث عمر رضى الله تعالى عنه الذى (ذكرت فيه خديجة) رضى الله تعالى عنها لانهما لم يردا فى الصحيح بل احاديث اخر تعارضها غير هذين (وايضا فقد روى فى حديث عائشة مافقدت) باسناد الفعل المعلوم لضميرها كما روى مافقد بالبناء للمجهول المسند لغيرها كما مر (ولم يدخل بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا بالمدينة) والاسراء كان بمكة وهى صغيرة ليست عنده اولم تولد والجملة حالية وهذا يدل على عدم صحته وتأويله بما علمت من هذا او بكونه حكاية لكلام غيرها فى غاية البعد (وكل هذا) اى ذلك المذكور سابقا ولاحقا بما سبق وما تأخر (توهنه) بالتشديد والتخفيف اى يضعفه (بل الذى يدل عليه) اى الذى يدل على ما ذكر من عدم صحته عنها (صحيح قولها) اى ما صح عنها رضى الله تعالى عنها من رواية اخرى (انه) اى الاسراء (بجسده الشريف لانكارها(٢) رؤياه لربه) ليلة الاسراء (رؤيا عين) فان هذا يدل على انه اسرى بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم الا انه لم ير ربه عيانا (ولو كانت) الرؤيا فى الاسراء (عندها مناما لم تنكره) لان رؤيا المنام جائزة وانما الكلام فى رؤيا العيان والخلاف فيها فرواتها فى ذلك الآتى تدل على ما ذكر وهذا يدل على ان لها قولا آخر مرويا عنها مخالف لما اشتهر وهذا معنى قوله فيما سبق دليل قولها قد ذكره والمص وصف قولها بانه صحيح منافيا لما مر من الطعن فى حديثها لان هذا رواية اخرى لها وما قيل من انه مؤيد لكونه مناما عندها ناش من عدم التدبر (فان قيل) فى رد كونه بقظة (قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فجعل ما رآه للقلب) اى اثبت الرؤية للقلب دون البصر وعلقها به وفيه اشارة الى ان الفؤاد بمعنى القلب وله معان اخر وما مصدرية والجار والمجرور متعلق بجعل او بمقدر اى مسندا للقلب (وهذا) الجعل او المذكور (يدل على انه رؤيا نوم ووحى) بالجر عطفا على نوم (لا مشاهدة عين وحس) بصرى والعطف تفسيرى (قلنا) فى الجواب عنه (مقابله) اى يعارضه فيسقطه عن مرتبة الاحتجاج وفيه اشارة الى انه لا يعارضه

(٢) وقد وقع فى غالب النسخ هنا «ان تكون» وهو الظاهر على ان قوله رؤياه اسمه وقوله رؤيا عين خبره قاله مصححه طاهر

ايضا (وما زاغ البصر وما طغى) زاغ بمعنى مال وطغى تجاوز عن الرؤية المتحققة التي
انتهى وتبعها (فاطلاق الامر) اى امر الرؤية (للبصر) يقابله ايضا ما (قاله
قال اهل التفسير) فى تأويله اى معناه حتى لا يعارضه وينافيه (فى) تفسير (قوله ما كذب
الفؤاد ما رأى اى) معناه (لم يوهم القلب العين) فهو مقول القول والقلب مرفوع
فاعل يوهم والعين منصوب مفعوله وقوله (غير الحقيقة) مفعول ثان له لانه ينصب
مفعولين وغير بغين معجمة ومثناة تحتية وراء مهملة ونقل عن بعض الشروح انه
يجوز فى كل من العين والقلب الرفع والنصب والمرفوع فاعل تقدم او تأخر وتوقف
فى فهمه الملمسانى وليس بمحل توقف لان المراد ان البصر والبصيرة متمعان لم يخالف
احدهما الآخر لوقوعهما على الحقيقة لان العين قد ترى امرا ثم يتبين خلافه وانه
غير متحقق وقد يتصور القلب شيئا فيشاهد خلافه والحاصل ان ما رآه ليس تخيلا
كاذبا بل امرا محققا تواطأ عليه العين والقلب وما قيل من ان الامور القدسية يدركها
القلب اولا ثم يوردها على البصر ليس بسلم (لم يصدق رؤيتها وقيل) فى التوفيق
بينهما ودفع التنافى (ما انكرته) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما رأته عينه) وهذا
قريب مما قبله ولتعارض ظاهرهما لم يذكره فى صحيح البخارى كله وانما ونقله عليه
واورده سؤالا وجوابا ولما كان محصل الجواب انه يدل على ثبوت الرؤيتين سقط
ما قيل انه مشترك الالزام والاعتراض بانه لا فرق بين الجوابين لان المراد انه لم يطرأ عليه
وسوسة نفس وزعه شيطان تشككه فيما رآه وتوهمه خلاف ما شاهدت عيناه
فيه فصل واما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه عز وجل فى تلك الليلة يقظة
فى اسرائه بجسده والرؤية بحصر الحقيقة فلذا عبر بهذا دون ما وان اطلقت على
غيرها تكون على خلاف المشهور بعكس الرؤيا كما تقدم (واخرج الامام ذكرها
فانكرته عائشة رضى الله عنها) ذكر ضمير الرؤية لانه بتأويل المصدر غير معتبر او باعتبار
الوقوع كما قيل وفى بعض النسخ فانكرها وهى ظاهرة وانكارها لها وقع فى مسلم وغيره
كما اشار اليه المصنف بقوله (حدثنا ابو الحسن بن ...) بكسر السين وفتح الراء
المهملة المخففة وآخره جيم (ابن عبد الملك) اراد بالملك انه فى الاعلام المكرامة
السنة ... حتى ... وهو امام حافظ شيخ المصنف رحمه الله تعالى
وحده ... القدر (الحافظ ...) بضم الكلام ... (قال
حدثنى ابى وابو عبد الله بن عباد ...) ... رحمه (قالا حدثنا القاضى يونس
ابن مغيث) بضم الميم وكسر الغين المعجمة والمثناة التحتية الساكنة وبالمثلثة ...
... وهو يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله ...
المعروف بابن الصفار ولد فى رجب سنة ... وتوفى ...

اثنين وثلاثين وخمسمائة لثمان من جمادى الاولى (قال حدثنا ابو الفضل الصقلى) بفتح الصاد المهملة والقاف وتشديد اللام المكسورة نسبة لصقلية بلد بالاندلس (قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده) ثابت بن حزم العوفى السرقسطى وابوه ابو محمد قاسم بن ثابت مؤلف كتاب الدلائل فى غريب الحديث يروى عن ابيه وجده وعمر جده حتى قرأ عليه وكان ثابت وقاسم يشتركان فى التأليف والشيوخ والرحلة وولد ابوه سنة خمس وخمسين ومائتين ومات بسرقسطة سنة اثنين وثلاثمائة (قالا حدثنا عبدالله بن على قال حدثنا محمود بن آدم) هو المروزى توفى سنة ثمان وخمسين ومائتين (قال حدثنا وكيع) بن الجراح بن مليح بن عدى الحافظ الثقة ولد سنة تسع وعشرين ومائة وتوفى سنة ست او سبع وسبعين ومائة (عن ابن ابى خالد) هو اسماعيل بن سعيد البجلى الكوفى توفى سنة خمس او ست واربعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة (عن عامر عن مسروق انه قال لعائشة) رضى الله تعالى عنها (ياام المؤمنين هل رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) عز وجل ليلة الاسراء بقرينة السؤال لانها لا تنكر رؤية الآخرة ولا رؤية المنام (فقالت) مجيبة له (لقد قف شعرى) القفف فى الشعر معناه قيامه وانتصابه وانما يكون هذا غالبا عند الفزع والخوف القوى (مما قلت) اى خفت من كلامه ان يهلك الله من قاله واستعظمه لانه امر منكر لا يرضاه الله ولم يثبت عندها وقال التلمسانى قف بمعنى اقشعر واصله ان الجلد ينقبض عند البرد والجزع فيقوم الشعر لذلك والمراد انكار ما قاله واستعظامه وما فى قولها مما قلت مصدرية او موصولة (ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت) مستدلة لما قالته (لا تدركه الابصار الآية) بناء على ان الادراك شامل للرؤية وانه حكم كلى فان قلنا الادراك بمعنى الاحاطة اى لا يحيط به الابصار ولا يعرف كنهه ورفع الايجاب الكلى سلب جزئى لم يكن فى الآية دليل على ما ذكر ويأتى بيانه عن قريب وقد استدل بهذه الآية المعتزلة على نفى الرؤية مطلقا ورده اهل السنة كما فصل فى كتب الاصول وروى فى بعض النسخ من حدثك بلا كاف عن العرفى والثلاث الاولى هى هذه والثانية قولها من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتم شيئا من الوحى ثم قرأت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الى آخره والثالثة من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم يخبر بما يكون فى غد فقد اعظم الفرية ثم قرأت ان الله عنده علم الساعة الآية واعلم ان هذا الحديث فى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وهو فى البخارى عن يحيى عن وكيع بسند المصنف رحمه الله تعالى فهو بدل او موافقة كما فصله البرهان (وذكر) مسروق (الحديث) بتمامه كما سمعته آنفا من ذكر الثلاث

قال مسروق وكنت متكأ فجلست وقلت يا ام المؤمنين انظريني ولا تعجلي [illegible] قال الله تعالى ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله عليه الصلوة والسلام فقال انما هو جبريل لم اره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين كما رواه مسلم (وقال جماعة) من المحدثين والعلماء لا المتكلمين لان خلافهم ليس في رؤية الاسراء (بقول عائشة) رضي الله تعالى عنها (وهو المشهور عن ابن مسعود وغيره ومثله) اي مثل قول ابن مسعود وعائشة (روي عن ابي هريرة) رضي الله تعالى عنه في تفسير قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى (انه) بفتح الهمزة (قال) اي ابو هريرة (انما رأى جبريل) لا ربه عز وجل كما قيل فاتى بصيغة انما للرد على من فسر الآية بما ذكر (واختلف) بالبناء للمفعول في النقل (عنه) اي عن ابي هريرة فروى عنه انه قال رآه بعينه كغيره وفي رواية اخرى انكره (وقال بانكار هذا) القول المحرر لرؤيته ووقوعه (وامتناع رؤيته تعالى في الدنيا) وجوازه في الآخرة (جماعة من المحدثين) انكروا صحة نقله عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (والفقهاء) ذكروه في مباحث الردة والكفر وان احدا لو قال رأيت الله تعالى في الدنيا هل يكفر ام لا (والمتكلمين) من علماء اصول الدين والخلاف بين اهل السنة والمعتزلة في هذه المسئلة وادلتها مشهور في كتبهم حتى انه افرد بالتأليف (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه رآه بعينه وروى عطاء عنه) اي عن ابن عباس (انه رآه بقلبه) وعطاء هو ابن ابي رباح الفقيه المكي (وعن ابي العالية) وهو رفيع بن مهران الرياحي وقيل هو زياد بن فيروز وقيل اسمه فيروز (عنه) اي عن ابن عباس انه (رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحق) صاحب المغازي عن عبد الله ابن ابي سلمة (ان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ارسل الى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم) مراده هل رآه يقظة بعينيه فقوله (والاشهر عنه) اي عن ابن عباس (انه رأى ربه بعينه) وفي نسخة بعينيه مثنى وهما بمعنى تفسير للرواية التي قبله وان كانت ظاهرة انه غيره لمخالفتهما في العبارة (وروى ذلك عنه من طرق) اي باسانيد مختلفة لفظا لا معنى تقوي بعضها بعضا وهو لا ينافي ما روي عنه انه رآه بفؤاده فهو كقوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى ما زاغ البصر وما طغى) كما مر (وقال) اي ابن عباس فيما روى عنه الحاكم والنسائي والطبراني وهو في معنى ما قبله في ان الرؤية فيهما بصرية (ان الله اختص موسى بالكلام) بغير واسطة لقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) (وابراهيم بالخلة) بضم الخاء المعجمة لقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا (ومحمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالرؤية) البصرية لا القلبية اذ لم اختصاصها به صلى الله تعالى عليه وسلم ولم عليه ان الخلة والكلام

نبينا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا فتفريق هذه الخصائص غير ظاهر واجيب
عنه بان مراده ان موسى الكليم اشتهر بذلك وان كان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
كلمه الله في الاسراء في مقام اعلى والخلة ثبتت له مع زيادة المحبة فمحمد صلى الله تعالى
عليه وسلم خليل وحبيب كما اعترف به الخليل عليه الصلوة والسلام في حديث الشفاعة
حيث قال انا كنت خليلا من وراء وراء وهذا الجواب لايجدي نفعا فالاولى
ان المراد بالكلام مناجاته تعالى بغير واسطة في الارض وبالخلة معاملة مخصوصة له
مع الله تعالى في هذه الدار ايضا وسيأتي بيانه (وحجته) اى دليله على الرؤيه (قوله)
تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) اى ما اعتقد قلبه خلاف ما رأه بصره في مشاهدة
ربه فسماه كذبا تجوزا لاشتراكهما في ان كلا منهما خلاف الواقع اى ما رأه
صلى الله تعالى عليه وسلم ببصره ليلة الاسراء لثبوت ذلك بالاحاديث الصحيحة واما انكار
عائشة رضي الله تعالى عنها لذلك فقد تقدم ما فيه واستدلالها بقوله تعالى (لاتدركه
الابصار) اجابوا عنه بوجوه منها ان الادراك بالبصر ليس رؤيه مطلقة بل رؤية
على وجه الاحاطة بجوانب المرئي لان حقيقة الادراك اللحوق والوصول في المكان
كقول اصحاب موسى انا لمدركون اوالزمان كما يقال ادرك فلان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم اوالصفة كما يقال ادرك الغلام اذا بلغ وادركت الثمرة اذا نضجت ثم نقل
لابصار الشيء المتناهي المحدود بالجهات اوهم معنى اللحوق فيه كان البصر قطع
المسافة التي بينه وبينه حتى بلغه ووصل اليه فابصار ما ليس في جهة لايعقل فيه
معنى البلوغ فلا يسمى ادراكا فلا يلزم من نفيه وهو رؤية مخصوصة نفي المطلقة
وهذا تحقيق ما في التفسير وكتب الكلام (افتمارونه على ما يرى) اى اتجادلونه
في رؤيته لما رأه من مريت الضرع اذا مسحته للحلب فاستعير للمجادلة كان كلا
من المتجادلين يمري ما عند صاحبه لطلبه (ولقد رأه نزلة اخرى) اى مرة اخرى قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان له في تلك الليلة مرات من العروج ولكل مرة
نزلة لسماء اخرى لما راجع في حط الصلوات وهذا مراده هنا (قال الماوردي)
الامام الجليل ابوالحسن علي بن محمد الشافعي صاحب التاليف الجليلة كالتفسير
الكبير والحاوي وغيرهما وتقدمت ترجمتها وهذا نقله عنه ابن سيد الناس في سيرته
(قيل ان الله قسم) اى جعل (كلامه ورؤيته) مقسومين (بين موسى ومحمد صلى الله
تعالى عليهما وسلم فرآه محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (مرتين) حين كان
بين قوسين او ادنى [illegible] المنتهى (وكلم موسى) عليه الصلوة والسلام
(مرتين) مرة [illegible] ومرة [illegible] الطور والحق انه
[illegible] الصلوة والسلام بالكليم لانه
[illegible] الله تعالى

عليه وسلم لتكليمه اياه مع قربه منه في حظائر قدسه لكن لكون تكليم موسى مما يعرفه
الناس خص بكونه كليما فاندفع مامر (وحكى ابو الفتح الرازي) ليس هو الفخر
الرازي كما توهم (وابو الليث السمرقندي) الحنفي وقد قدمنا ترجمته والمحكي مامر
عن الماوردي كما اشار اليه بقوله (الحكاية) التي ذكرها الماوردي (عن كعب)
وليست صيغة قيل في كلامه ليست للتمريض فانها يقصد بها مجرد النقل *
فان قلت كيف قال قسم الكلام والرؤية والقسمة انما تكون في امر واحد يوزع بين
اثنين فاكثر ولذا قيل ان هذه العبارة مما لا ينبغي * قلت هذا وهم من قائله فان المراد
قسم تقريبهما وتعظيمهما قسمين وجعل قسما لهذا وقسما لهذا كقوله

قسم الاله الامر بين عباده * فالصب ينشد والخلي يسبح

(وروى عبد الله بن الحارث) كما ذكره الترمذي وهو عبد الله بن نوفل بن الحارث بن
عبد المطلب البصري سكنا الوالي بها مات بعمان بعد انقضاء فتنة ابن الاشعث
لما خرج اليها هاربا من الحجاج وولد في زمنه صلى الله عليه وسلم ومات سنه اربع وثمانين
ومن الرواة ايضا عبد الله بن الحارث ابو الوليد البصري حدث عن ابن عباس رضي الله
عنهما وهو زوج اخت محمد بن سيرين وخرج الشعبي رحمه الله بانه هو المذكور هنا وهو
الراجح لان عبد الله الاول وان وافقه في الاسم والنسبة لكن الحارث جده وهذا
راوي ابن عباس كما مر (قال اجتمع ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكعب)
الاحبار (فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا رأى ربه مرتين)
خص بني هاشم لانهم اقرب اليه واعرف بحاله لا سيما قبل الهجرة وكان اجتماعهما
بعرفة كما ذكره الترمذي وبنو هاشم مرفوع بدل من نحن كما في النسخ ولو نصب
على الاختصاص جاز وليس المراد بني هاشم ما سوى الناس وظاهره انه رأى
واحد بعد منهم وهذا لا ينافي مامر عن ابن عباس رضي الله عنهما لان عنه روايتين فلا وجه
للاعتراض على المصنف (فكبر كعب) الاحبار لسروره بمقاله الموافقة لما عنده
(حتى جاوبته الجبال) اي رفع صوته بالتكبير حتى سمع صداه من الجبال وجعله جوابا
تجوزا او تجوزان يكون بكثيره بعد امثاله واستنطاقه كقوله (وقال) اي كعب الاحبار
(ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه ورآه محمد بقلبه)
فيكون منكر الرؤيه بعين رأسه او يقول هو موافق لان الرؤيه القلبية لا تنافي
البصرية وعليه الشراح واعترض موسى عليه الصلوة والسلام بكونه كليما لما مر
من ان المراد كلامه مرارا في الارض فلا ينافي كون نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
كلمه ايضا بغير واسطة كما مر (وروى شريك) تقدم الكلام عليه وعلى روايته (عن
ابي ذر في تفسير الآية) المذكورة ما كذب الفؤاد ما رأى الآية ونحوه نظر (قال رأى محمد)
وفي نسخة بالله اي (صلى الله عليه وسلم ربه) هذا كلام محتمل متفق عليه وقيل المراد انه رآه

بقلبه بشهادة اول الآية وفيه نظر (وحكى السمرقندى) الحبر المقدم (عن محمد بن كعب القرظى) بضم القاف وفتح الراء المهملة وكسر الظاء المعجمة نسبة لبنى قريظة وهو تابعى واسمه محمد كما تقدم (وربيع بن انس) التابعى الذى تقدمت ترجمته فالحديث مرسل كما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض الصحابة (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادى ولم اره بعينى) وهذا يحتمل ان يكون فى المرة الاولى فانه روى عن ابن عباس وغيره انه رآه مرتين ولا ينافى ما مر وما يأتى من ان المراد بنفى مجرد الرؤية او نفى رؤيته كسائر الاشياء المرئية بعينه لا ينبغى ذكره هنا (وروى مالك بن يخامر) بضم المثناة التحتية وخاء معجمة يليها الف وميم مكسورة ثم راء مهملة علم منقول ممنوع من الصرف وهو سكسكى حمصى يقال ان له صحبة والاصح انه تابعى روى عن معاذ بن جبل كما ذكره المصنف وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما ومات سنة سبعين اواثنين وسبعين وروى عنه جماعة (عن معاذ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال رأيت ربى) فى حديث رواه احمد بن حنبل وغيره وهو حديث صحيح اوله قال معاذ رضى الله تعالى عنه صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الغداة ثم اقبل علينا فقال انى سأحدثكم انى قمت من الليل فصليت ما قدر لى ونعست وفى رواية فوضعت جنبى فاذا انا بربى فى احسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت انت اعلم اى ربى فوضع كفه وفى رواية يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى فعلمت ما فى السموات والارض ثم تلا وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض الى آخره ثم قال فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت فى الكفارات قال وما هن قلت المشى على الاقدام الى الجماعات والجلوس فى المساجد خلف الصلوات واسباغ الوضوء اماكنه فى المكاره من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكون من خطيئته كيوم ولدته امه وروى يخرج من خطيئته ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام وان يقوم بالليل والناس نيام قال قل اللهم انى اسئلك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لى وترحمنى وتتوب على واذا اردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون وهذا الحديث اخرجه ايضا الترمذى والبغوى فى المصابيح وهو نبى لى احلى الله له بلطفه وحسن معاملته وما افاضه عليه من المعارف الكاشفة لغيبه مع انشراح صدره ببرد الفيض وتحقيقه فى شرح المصابيح وشرح الاربعين للصدر القونوى وادراج بعض الشراح لهذا فى المتن كعادته غير صحيحه (وذكر كلمة) اشارة لما مر وهو اسم جمع لكلمة مضافا لضمير الله او الحديث لادنى ملابسة (وقال) الله (فيم يختصم الملأ الاعلى) اى فيم تسأل الملائكة بعضهم بعضا عن المراتب المقربة الى الله المكفرة بالخطايا

ولذا امره صلى الله تعالى عليه وسلم بالدعاء بنيل كمال هذه المراتب (الحديث) بالنصب اى اقرأ اواذكر (وحكى عبدالرزاق) همام بن رافع الصنعانى صاحب التصانيف الجليلة اخرج له الأئمة الستة وتوفى سنة احدى عشرة ومائتين وترجمته مشهورة (ان الحسن) البصرى السابق ذكره وترجمته (كان يحلف بالله لقد رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) بعين بصره (وحكاه ابو عمر الطلمنكى) عمر بزنة زفر وهو بالطاء المهملة واللام والميم المفتوحات وسكون النون وكاف مكسورة يليهما ياء نسبة كما ضبطه الحفاظ وهو الامام الحافظ المقرئ احمد بن عبدالله بن لب بن يحيى المعافرى الاندلسى عالم قرطبة ولد سنة اربعين وثلاثمائة وتوفى فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين واربعمائة وروى عنه ابن حزم وابن عبدالبر وغيرهما من الاعلام (عن عكرمة) مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب) وهو رؤية الله بعينه (عن ابن مسعود) رضى الله تعالى عنه (وحكى ابن اسحق) محمد بن اسحاق بن يسار الامام الحافظ صاحب المغازى وقد تقدمت ترجمته (ان مروان) بن الحكم بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى ولد سنة اثنين ولم يصح له سماع ولا رواية واعله رواية عن عثمان رضى الله تعالى عنه وميسرة وغيرهما وكانت دولته تسعة اشهر واياما وتوفى سنة خمس وستين فى رمضان ثم تولى ابنه عبدالملك وترجمته مفصلة فى التواريخ (سأل اباهريرة رضى الله تعالى عنه هل رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) بعينه (فقال نعم وحكى النقاش) محمد بن الحسن بن زياد وقد تقدم ترجمته (عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه رأى ربه) بدل من حديث ولم يزل يكرر ماقاله رافعا بصره (رآه رآه رآه حتى انقطع نفسه) بفتحتين اى عجز عن الكلام واعيى وترك الكلام (يعنى نفس احمد) بن حنبل وانما فسره بذلك لئلا يتوهم عوده لابن عباس (وقال ابو عمر) السابق ذكره (قال احمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول) بفتح الجيم وضم الباء وحكى الجوهرى فتحها وهو ضعف فى القلب فقصر عدم الاقدام يريد انه لم يتجرأ تأدبا عن ان يقول اى عن القول (برؤيته فى الدنيا بالابصار) بكسر الهمزة وفتحها جمع بصر وتعبيره بالجبن يدل على انها جائزة عقلا عنده وهو الحق (وقال سعيد بن جبير) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (لااقول رآه ولالم يره) اى توقف فى ذلك ولم يقل لاحد القولين (وقد اختلف فى تأويل الآية) يعنى قوله تعالى (ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى) فى النقل (عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكى عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه) رواه مسلم عنه فى صحيحه فى تفسير هذه الآية فالضمير فى رآه لله والرؤية قلبية (وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل) فالضمير فيها لجبريل عليه

الصلوة والسلام كما في مسلم عن ابن مسعود وابى هريرة فرآه بالافق الاعلى وله ستمائة جناح يتنثر منها الدر والياقوت كما قاله المهدوي (وحكى عبدالله بن احمد بن حنبل عن ابيه) وهو كابيه امام في السنة والفقه اخذ عنه الاعلام وتوفى سنة تسعين ومائتين في سن ابيه (انه قال رآه) اى بعينه لانه المتبادر وقد روى عنه التصريح به ولاينافى ذلك مامر من انه جبن عن القول بذلك لانه قد يخفيه فى بعض المجالس المقتضى لذلك (وعن ابن عطاء في) تفسير (قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام) اى قوى قلبه واذهب رعبه حتى صبر مع مشاهدة جلاله وعظمته وسماع كلامه (وقال ابو الحسن على بن اسمعيل الاشعرى) ابن ابى بشير بن اسحق بن ابى سالم بن اسمعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن ابى بردة بن ابى موسى الاشعرى صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمعروف ان ابا الحسن هذا شافعى المذهب وقال التلمسانى انه مالكى المذهب ونسبته الى اشعر وهو نابت بن ادد ونشجب بن يعرب بن زيد بن كهلان بن سبا وكان حبرا عظيما وهو امام اهل السنة صاحب التصانيف المشهورة ولد سنة ستين ومائتين ومات سنة اربع وعشرين وثلثمائة وقيل اربع وثلاثين فى ذى الحجة (وجماعة من اصحابه انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى الله ببصره وعينى رأسه) تأكيد لكون الرؤيا بصرية واضافة العين للرأس احتراز عن عين قلبه وظهره فانها وردت فى الحديث فان لم يكن عينا حقيقة (وقال) الاشعرى رحمه الله تعالى (كل آية) ومعجزة (اوتيها نبى) اى اعطاها الله اى (من الانبياء فقد اوتى مثلها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد فصله ابن المنير فى المقتفى والكلام فيه طويل لايسعه كتابنا هذا ولاينافى هذا تخصيص موسى عليه الصلوة والسلام بالكلام كامر قيل الحقيقة المحمدية صورة الاسم الاعظم الجامع للاسماء فله التصرف فى العوالم ومنه نستمد وتستمد ماؤها من جهة جمعه لامن جهة بشريته فهو الخليفة حقيقة واى معجزة كانت لنبى فهو له اولا وبالذات ثم جاءت منه لغيره والى هذا اشار فى البردة بقوله

وكل آى اتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم

اقول الحق ان يقول ان الله خلق روحه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الارواح وخلع عليها خلعة النبوة ثم خلق ارواح البشر وامر ارواح الانبياء بان يؤمنوا به واخذ عليهم الميثاق باتباعه ان ادركوه كما نطق به الكتاب العزيز فلما اجابوه اشرق عليهم نوره الروحانى الربانى وصارت فى ارواحهم قوى مستعدة لاظهار المعجزات كالاولياء امته اذا اظهروا الكرامات لما اشرق عليهم نوره وهذا هو الذى قصده الابوصيرى رحمه الله تعالى فاعرفه (وخص من بينهم) اى اختص صلى الله تعالى عليه وسلم عن سائر الانبياء (بتفضيل الرؤية) اى بتفضيله

رؤية ربه عيانا في الدنيا فلم يره غيره فيها (ووقف بعض مشايخنا في هذا) اي توقف فيه فلم يعتقد ثبوته ولا نفيه والمشايخ جمع مشيخة اوشيخ على خلاف القياس وفيه كلام في شرح ادب الكاتب (وقال ليس عليه) اي على ثبوته (دليل واضح) اي صحيح ظاهر (ولكنه جائز) بحسب العقل (ان يكون) اي ان يصح ويوجد في الدنيا (قال القاضي ابو الفضل) عياض المصنف رضي الله تعالى عنه (والحق الذي لا امتراء فيه) اي القول الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة لان المرية هي الشبهة (ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا) لانه موجود حقيقة في كل موجود وكل موجود تجوز رؤيته عيانا (وليس في العقل ما يحيلها) اي ما يقتضي انها مستحيلة ثم ذكر دليلا نقليا تؤيد العقل فقال (والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه الصلوة والسلام لها) بقوله رب ارني انظر اليك وموسى من اولي العزم لا يسأل من الله تعالى ما لا يجوز فلو لم يعتقد صحة ذلك ما سأله والا كان جهلا منه باحوال الربوبية وهو مبرأ منه وكلامه في تحقيق الرؤية لا في وقوعها فقط فاول من انه ليس الكلام في جوازها بل في وقوعها والفرق بينهما ظاهر والقائلون بامتناعها لهم ادلة على مقالهم وان كانت مردودة والقائلون بالجواز العقلي ذاهبون للمنع الشرعي ولذا قال النسفي رؤية الله في الدنيا جائزة عقلا ممتنعة شرعا والمصنف بصدد اثبات الوقوع له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو امر نقلي لا مجال للعقل فيه فكلامه خارج عن المطلوب الا ان يقال انه استطرادي انتهى ليس بشيء لانه ان لم يثبت الجواز لا يثبت الوقوع والوقوع امر نقلي فقدمه اولا ثم حقق ما يتوقف عليه من الجواز عقلا وما نقله عن النسفي مخالف لما ارتضاه المصنف واذا كان هذا نقليا وثبت نقله كما لا يكون عيانا فما ذكره كلام مموه ركة خير ه وما ذكره المصنف هو دال اهل السنة على جواز رؤيته تعالى والمعتزلة يقولون لم يسأله لجوازه عنده بل لتبكيت القائلين له ارنا الله جهرة (ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه) تنوين نبي للتكثير والتعميم اي اي نبي كان فكيف بالكليم عليه الصلوة والسلام وقيل انه للتعظيم اي نبي عظيم من اولي العزم كبار الرسل والاستحالة عادة مقررة وعقلا لانه بعث ليعلم امته الشريعة والعقائد الحقة وهي معرفة ما يجوز على الله ويمتنع ولو جهل ذلك كان الله آمرا له بما لا يعلمه وهو محال لانه اما جهل او عبث والمعتزلة يقولون انما يلزم هذا لو كان سؤالا حقيقيا اما لو كان لالزام غيره او تبكيته لمن سألها من قومه فلا وهذا مردود لان السياق يأباه وتفصيله في علم الكلام (بل لم يسأل) موسى من الله تعالى (الا جائزا غير مستحيل) لان سؤال المحال منه له محال وكونه سألها مع علمه بانه محالها لا يكذا الدليل العقلي بالسمع وليطمئن قلبه كما قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى ثم قال ليطمئن قلبي فان العلم يتفاوت قوة وضعفا مردود بان تفاوته غير مسلم والخلل

لم يسئله لذلك وانما كان علم ان الله متخذا خليلا يحيي الموتى بدعائه فسأل ذلك ليعلم اهو هو ام لا ولو لم يسلم فلا يلزم طلب مالا يجوز وينافي الادب عنده بهذه الطريقة اذ له ان يقول رب بين لي علم ذلك جوازا او استحالة (ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب) اي جوازه مقررثابت ووقوعه له دون غيره بمشاهدة ربه امر مغيب عن كل احد كسائر المغيبات الجائزة كالحشر وغيرها فالغيب بمعنى المغيب عن البشر (الذي لا يعلمه الا من علمه الله) باخباره به واطلاعه على حاله وقوعا وعدمه مطلقا او في بعض الاحوال فلذا اعلمه الله به (فقال له الله لن تراني) اي الرؤيا جائزة ولكنك لا تصل اليها في الدنيا (اي لن تطيق) اي تقدر (ولا تحتمل رؤيتي) اي لا تقوى عليها في هذه الحالة وهذا كله مما يدل على الجواز (ثم ضرب له مثالا) اي اتى له بمثال من المخلوقات فانه لا يطيق تجلي الله عيانا ليكشف له امرها ويعلم حاله من حال غيره (مما هو) وفي بعض النسخ بما متعلقا بضرب (اقوى من بنية موسى واثبت) اي اشد قوة واكثر ثباتا وبنية بكسر الباء الموحدة وسكون النون الخلقة والتركيب (وهو الجبل) في قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فانما ثبت الاقوى علم عدم ثباته بالطريق الاولى ولما كان استقرار الجبل ممكنا كان ما علق به (٢) ممكنا ايضا فعلم منه جواز الرؤية والى ذلك اشار بقوله (وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا) اي يقتضي استحالته فيها (بل فيه) ما يقتضي (جوازها على الجملة) كما سمعته آنفا من ان سؤاله وتعليقه بالممكن يقتضي امكانه وقوله على الجملة بمعنى انه بطريق الاجمال لا التفصيل فانه من قبيل اشارة النص والمعروف في كلامهم في الجملة والمعنى واحد لان المراد جواز اقتضاه على طريق الاجمال (وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا) دليل قاطع على (امتناعها) وان لم يكن مستحيلة فلا دليل على امتناع وقوعها مطلقا او في الدنيا (اذ كل موجود) في الخارج جوهرا كان او عرضا لا في العلم والذهن كما قيل لتصور الممتنعات وهو تعليل الجواز لان اداة التعليل كما حققه النحاة واهل المعاني والتعليق بالمشتق يقتضي عليه مبدأه فالعلة الوجود لا الحدوث وهو مشترك بين الباري تعالى وسائر الموجودات فكما تجوز رؤيتها تجوز رؤيته الا انه قيل انه يقتضي صحة رؤية نحو الاصوات والروائح والطعوم وكيفية الملموس فانها موجودة مع انها غير محسوسة بالبصر الا ان هذا الدليل منقول عن الاشعري وهو التزم جواز رؤيتها والكلام في الجواز لا الوقوع (فرؤيته جائزة غير مستحيلة) تفسير للجواز فانه قد يقابل الحرمة والوجوب (ولا حجة) مسلمة عند الخصم (لمن استدل على منعها) اي الرؤية (بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التأويلات في) هذه (الآية) كما حققناه ثلث فلا افادة في الاعادة (واذ ليس) معطوف على قوله اذ كل موجود او على قوله لاختلاف لان معناه ليس (تقتضي قول من قال) منعها (في الدنيا الاستحالة) مطلقا بل تخصص

(الدنيا)

الدنيا يقتضي وقوعه في الآخرة فيدل على الجواز في الدنيا وهذا رد على المعتزلة فان هذه الآية اعظم ادلتهم على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة ثم بالغ في الرد عليهم بان مااستدلوا به عليهم لا لهم (وقد استدل بعضهم بهذه الآية) اي قوله لاتدركه الآية (نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة) كما يعلم من ذكره اختلاف التأويل وانما استدل بها لان نفي الشيء عند العلماء يقتضي جوازه والا كان عبثا فلا يقال للحائط انه لا علم له والله تعالى قد ساق نفي ادراك الابصار في سياق المدح وانما يتمدح بامر ثبوتي كمالي لا بالعدم الصرف فكل نفي مدح به تضمن امرا وجوديا كنفي السنة او النوم المتضمن لكمال القيومية ونفي الموت المتضمن للحيوة السرمدية فلو كان نفي الابصار معناه انه لايرى اصلا كسائر المعدومات لم يكن فيه مدح بل المراد لايحيط بعظمته وجلاله الابصار وهذا مافهمه الصحابة رضي الله عنهم ولذا فسره ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بلا يحيط به الابصار كما ذكره المصنف وكذا ذكره غيره وفي الاحاطة تفسير للرؤية بدونها او المراد العموم اي لاتراه جميع الابصار فان منها ماتحجبه فهي سالبة في قوة موجبة جزئية كما مر واليه اشار بقوله (وقد قيل لاتدركه ابصار الكفار وقيل) معنى (لاتدركه الابصار لاتحيط به وهو قول ابن عباس) لانه كما قيل يحتمل ان يكون رفعا للايجاب الكلي بان لا يلاحظ الايجاب الكلي اولا ثم يرد عليه النفي وحينئذ لا احتجاج لهم علينا فانا قائلون بان الكفار لايرونه او المنفي ادراك بتقليب الحدقة نحو المرئي فانه المتبادر من اطلاق ادراك البصر وهو المعتاد وانما يحتاج لهذا اذا كان تعريف الابصار استغراقيا والا تكون القضية سالبة مهملة فهي في قوة السالبة الجزئية كما تقرر فمعنى لاتدركه بعض الابصار وتخصيص النفي بالبعض يدل بالمفهوم على الاثبات للبعض فالآية حجة لنا وعلى تقدير تسليم عمومها للاشخاص لانسلم عمومها للاوقات لانها سالبة مطلقة وهي اعم من السالبة الدائمة وماذكر من ان لاتدركه الابصار موجبة مطلقة فنقيضها سالبة دائمة ممنوع لجواز كون الامر بالعكس بل الظاهر عكسه اقول كونه دالا بالمفهوم على الاثبات للبعض قال بعضهم فيه نظر لان القضية المهملة والدالة على رفع الايجاب الكلي ليس صريح مفهومها السلب الجزئي والعرض للنفي عن البعض بل السلب الجزئي لازم معناها الصريح المحتمل للسلب الكلي والجزئي مع الايجاب للبعض ومجرد كون مفهومها مستلزما للسلب الجزئي لايدل مفهومه على مفهوم السلب الجزئي فلا حجة لنا فيه وانما يكون حجة ان لو كان صريح مفهوم القضية (وقد قيل) في بعض التأويلات (لاتدركه الابصار) نفسها (وانما يدركه المبصرون) يعني ان الادراك نوع من العلم وهو صفة الناظر حقيقة لانفس النظر فانه واسطة دالة ولايخفى ركاكة هذا التأويل وان كانت عهدته على قائله (وكل هذه التأويلات) السالفة (لاتقتضي منع الرؤية ولا استحالتها)

بل جوازها كما من فلا حجة فيها (وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى لن تراني الآية) التي استدل بها بعض المعتزلة وقال ان لن للنفي المؤبد والمؤكد فاذا نفي عن موسى عليه الصلوة والسلام فغيره يعلم بالطريق الاولى و قد رد بانها للنفي في المستقبل فقط وكلام الله تعالى وغيره دال عليه كما اثبته النحاة مما هو مشهور في كتبهم ونفي الرؤية عنه لا يدل على نفيها عن غيره لانه نفي مخصوص فلا دليل لهم فيه (وقوله تبت الملك) من سؤال الرؤية المقتضي لانه محال وطلب ما لا يليق فهو ذنب وسيأتي جوابه (لما قدمناه) من ادلة الجواز الصريحة المقتضية لتأويل هذه الآية (ولانها) اي هذه الآية (ليست على العموم) بل مخصوصة بموسى عليه الصلوة والسلام في المسئلة بل والنفي الخاص لا يدل على عموم ولا استحالة (ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا اعاهو تأويل) فلا دليل فيه على مدعاهم العام ولا على الاستحالة فان القائل بين معنى الآية ولم يذكر انه تفسير مأثور ولانه برهان على المنع العقلي والعموم فلا حجة فيه (وايضا فليس فيه نص الامتناع) اي صريح عموم امتناع الرؤية لكل احد (وانما جاءت في حق موسى عليه الصلوة والسلام) اي ان آية لن تراني مخصوصة بموسى عليه الصلوة والسلام فكيف يستدل بها على امتناع الرؤية مطلقا في الدنيا وغيرها يقظة ومناما كما ذهب اليه المعتزلة ولا يلزم من نفي الوقوع نفي الجواز الذي نحن بصدد اثباته (وحيث تتطرق التأويلات) اي اذا امكن تأويل ما استدلوا به (وتتسلط الاحتمالات) اي توجد احتمالات في الدليل (فليس للقطع به سبيل) فلا يصح القطع والجزم بما استدل كما قالوا اذا ظهر الاحتمال سقط الاستدلال وفيما استدلوا به على امتناع الرؤيه امور كثيرة ذكرها المفسرون والمتكلمون كما قدمه المصنف واصل معنى التطرق وجود الطريق وسلوكه فشبه التأويلات بصاحب مطلب وجد الطريق اليه على سبيل الاستعاره التبعية او المكنية والتخييلية وكذا في التسلط لانه من السلاطه وهي القهر والغلبه قال الله تعالى (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) ومنه السلطان كما قاله الراغب وغيره من اهل اللغة وقيل يتطرق من الطرق وهو الخلط او من التطارق وهو التتابع والازدحام وهو عبارة عن كثرتها وهو قريب من التسلط (وقوله تعالى تبت اليك) الذي استدلوا به على انه دال على امتناعه عقلا لعدهم سؤال الرؤيه ذنبا لاستحالتها لا دلالة على مدعاهم لان له تفسيرا آخر (اي من سؤالي مالم تقدره لي) في الدنيا في ذلك الوقت لحكمة خفية لما غشيه من انوار عظمته حتى صعق كما تقول من فعل امرا جائزا اعتراه منه مشقة عظيمة تبت عن مثل هذا كما قال ابن نباته السعدي

أأمل مأمولا لغير صدودها * فوا حجتي اني الى الحد تائب

ونقدو بضم النون وتشديد الدال وتخفيفها (وقد قال ابو بكر الهذلي) الامام العلامه نسبه الى قبيلة صاحب الافعال كان من الادباء الظرفا وله شعر بديع

(ق) تفسير (قوله تعالى لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق) اي يقدر (ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي) فيها (مات) وقيل هذا مأخوذ من قوله تعالى وخر موسى صعقا فانه يدل على ان القوى البشرية لا تطيق النظر في الدنيا لسبحات جلاله الا من اقدره الله تعالى وادام نطق ذلك مثل موسى عليه الصلوة والسلام فغيره يموت فجأة لخوفه او لاحراق سبحات النور له وفي هذا دليل على جواز وقوعه في الدنيا لكنه من وقع له فيها لا يعش كما قيل ان من رأى الملك في الدنيا يعمى كما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وان قيل انه لم يصح والمراد عن الانبياء هنا (وقد رأيت لبعض السلف) من المتقدمين (و) لبعض (المتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة) لمانع منها لا لذاتها من حيث هي هي لما مر من جوازها عقلا فامتناعها لعارض (لضعف تراكيب اهل الدنيا) اي لضعف ابدانهم المركبة كما قال الله تعالى خلق الانسان ضعيفا (وقواهم) جمع قوة وهي امر اودعه الله تعالى في البدن بها الادراك او المراد به المعنى اللغوي (وكونها) اي التراكيب والقوى او هو راجع للقوى فقط (متغيرة) بالازدياد في اول امرها ثم التبدل والنقص بعده وذلك يدل على ضعفها (عرضا للآفات) هو حال او خبر بعد خبر للكون ولم يعطف لكونه سببا لما قبله وقيل لكمال الاتصال بينهما وفيه ان ذلك مخصوص بالجمل كما حقق في مباحث الفصل والوصل والعرض بالعين والضاد المعجمتين اصله الهدف الذي ينصب لرمي السهام فشبه الجسد بهدف وآفات الدهر ومصائبه كسهام لا تزال يرمى بها حتى تفنى كما قال ابو العتاهية

ان الفتى لعرض الآلام * ترميه نبل الدهر والايام * فصميه رام ومخطي رام

ويجوز ان يكون بالعين المهملة اي معرضا لها ولكن الاول اصح رواية ودراية وقال التلمساني روى معترضة بدل قوله متغيرة اي ذات اعراض وهي الآفات والامراض او من العرصة اي متعرضة للآفة وقد ضبطهم عرضا بفتح العين المهملة اي منصوبا للآفات مقابلا لها كالهدف والآفة والعاهة كل ما يعرض لشيء فيفسده (والفناء) بفتح الفاء والمد وهو الزوال والعدم (فلم يكن لهم قوة على الرؤية) لضعف ابدانهم وقواهم في الدنيا (فاذا كان في الآخرة) اي اذا اخرجهم الله تعالى وادخلهم دار البقاء (وركبوا تركيبا آخر) غير تركيبهم الاول (ورزقوا قوى ثابتة) بمثلثة ونون ومثناة تحتية اي قوى غير القوى الاولى الدنيوية وفي بعض النسخ باقية بموحدة ومثناة فوقية فقوله (باقية) تفسير له اي مخلدة لا تفنى لقوة تركيبها وبقاء قواها (واتم انوار ابصارهم وقلوبهم) اي جعلها تامة كاملة مستعدة لبقاء السرمدي (قووا بها على الرؤية) جواب اذا والضمير راجع للمذكور من التراكيب والقوى والانوار اي منحها الله تعالى لهم في الآخرة

فهذا يدل على وقوع الرؤية في الآخرة وجوازها في الدنيا لانه لو رزقهم ذلك في الدنيا صح ذلك منهم ايضا ولذا سبق صدور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واودع فيه ماقوى به على ذلك كما تقدم وهذا مما اوحى لايوب عليه الصلوة والسلام قال عطاء اوحى الله لايوب انك لتنظر الى عدا فقال يارب افبهاتين العينين فقال اجعل لك عينين باقيتين فينظر الى الباقى بالباقى (وروى) وفى نسخ وقد رأيت (نحو هذا لمالك بن انس) رحمه الله تعالى (قال لم ير) بضم التحتية ونائب الفاعل عائد على الله (لانه باق ولايرى الباقى بالفانى فاذا كان) النظر او الناظر (فى الآخرة ورزقوا ابصارا باقية رؤى الباقى بالباقى) ظاهره ان البقاء الابدى علة لصحة الرؤية والفناء مانع ولا مدخل للفناء فى الرؤية كما ان الفناء والحدوث لامدخل له فى المنع لان الرؤية بخلق الله وليست مشروطة بشىء بداهل السنة فكانه اراد ان البقاء يلزمه قوة التركيب والقوى المعدة لصحة النظر فيكون بمعنى ماقبله ولذا قيل ان مراده ان الرائى والمرئى لابد ان يكون بينهما مناسبة وابصار هذه الدار فانية فاذا عادت وكساها الله صفة دوام البقاء تحملت رؤية الحى القيوم للمناسبة فى الجملة وان كان بقاؤه قديما دائما وبقاؤها طارئ عرضى وهو كلام اقناعى (وهذا كلام حسن مليح) عند على مافيه (وليس فيه دليل على الاستحالة) والامتناع عقلا بل هو دال على الجواز اذلا مانع منه (الامن حيث ضعف القدرة) البشرية فى الدنيا (فاذا قوى الله من شاء من عباده) بان رزقه قوة تطيق ذلك (واقدره على حمل اعباء الرؤيه) اى جعل له قدرة وطاقة على رؤيته ومشاهدته والاعباء جمع عبء بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمزة وهو الحمل الثقيل وهو فى المحسوسات حقيقة فاستعيرت للمعانى (لم يمتنع) الرؤية (فى حقه) لتمكنه منها بما منحه من القوة (وقد تقدم ماذكر فى قوة بصر موسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام ونفوذ ادراكهما) بدال معجمة اى خروجه وبلوغه (بقوة الهية منحاها) بضم اوله مبنى للمجهول اى اعطاها (لادراك ماادركاه ورؤية مارأياه والله اعلم) بحقيقة ذلك (وقد ذكر القاضى ابوبكر) محمد بن الطيب امام اهل السنة الباقلانى بالنون نسبة الى الباقلاء على خلاف القياس كالصنعانى توفى سنة ثلاث واربعمائة وقيل ثلاث وتسعين وثلاثمائة قالوا وليس هو الامام ابوبكر بن محمد بن العربى شيخ المصنف (فى اثناء اجوبته عن الآيتين) اى فى خلال كلامه فى الجواب عما استدل به المانعون من الآيتين لاتدركه الابصار ولن ترانى (مامعناه) ما موصولة او موصوفة مفعول ذكر اشارة الى انه رواية عنه بالمعنى دون اللفظ والعبارة (ان موسى عليه الصلوة والسلام رأى الله فلذلك خر صعقا) مغشيا عليه مع صحته لان وقوع مثل هذا بمجرد رؤية الجبل دكا بعيد وان جاز ان يكون لبحانه وظهور انواره لكن هذا مناف لظاهر قوله لن ترانى وقوله

انظر الى الجبل ولماقله المصنف اولا من ان الله قسم الكلام والرؤية بين موسى ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (وان الجبل) ايضا (راى ربه) اى خلق فيه ادراكا وحيوة (فصار دكا) اى انهد حتى صار ترابا من هيبة الله وذلك (بادراك خلقه الله له) كما نقله الماتريدى عن الاشعرى رحمهما الله تعالى وهذا مما يدل على جواز الرؤية لان الذى قدر الجماد على ذلك كيف لا يقدر كمل البشر (واستنبط) اى استخرج (ذلك) واصل الاستنباط استخراج الماء من البئر فاطلق على مطلق الاستخراج اواستعارة له وذلك اشارة لرؤية موسى عليه الصلوة والسلام ورؤيه الجبل (والله اعلم) فيه اشارة الى انه لم يصرح به (من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) اى مدكوكا والدك والدق متقاربان وفسر دكه بانه صار رملا اوترابا وقيل غار وقيل استوى بالارض وقيل افترق فرقا قال الواحدى هذا الجبل يسمى زبير وليس هو الطور (وخر موسى صعقا) اى سقط صائحا مغشيا عليه من هول مارآه من هذا الجبل (وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه) اى شاهد المتجلى ونوره فذاب كما يذوب الحديد من النار فلو لم يجعل له حيوة وادراكا ورؤية لم يخف خوفا هده ورفته (على هذا القول) اى قول ابى بكر الباقلانى السابق بان موسى والجبل رأياه معا وهذا بناء على مذهب اهل السنة فى انه يجوز خلق العلم والنظر فى اى جرم اراد وليس من شرطه البنية والمزاج كما قاله المعتزلة فانه وهم باطل كما قاله ابن عرفة فقيل هذا غير ظاهر لان التجلى لموسى لا للجبل وكون موسى خر صعقا انما هو لدكه الجبل وشدة وقوعه لا من تجلى الله له ورؤيته ويناسبه قوله (وقال جعفر) الصادق (بن محمد) المتقدم ترجمته (شغله) الله تعالى (بالجبل) واشتغاله بدكه حين امر بالنظر اليه (حتى تجلى) اى ظهر ظهورا تاما لموسى عليه الصلوة والسلام فرآه (ولولا ذلك) اى اشتغاله بالجبل بان ظهر له نور التجلى ابتداء (لمات صعقا) بسكون العين وكسرها وعلى الاول هو تمييز وعلى الثانى حال (بلا افاقة) من صعقته وغشيه (وقوله هذا) اى قول جعفر (يدل على ان موسى عليه الصلوة والسلام رآه) كالجبل لانه معنى التجلى لانه لا يقال تجلى له الا اذا شاهده فقول من قال فى عدم الرؤية لان التجلى الواقع فى الآية انما هو للجبل لا لموسى عليه الصلوة والسلام غير جيد لان المصنف رحمه الله تعالى انما بنى كلامه على ماقاله هؤلاء وفهموه وقال لا تمشيه عليه فان حاصله ان موسى لما سأل الرؤية فى مناجاته لربه امره بالنظر للجبل المقابل له حتى اذا تجلى له ابتداء لم يهلك وحرقه الانوار ويموت وهذا بناء على انه حين صعق لم يمت وذهب كثير من المفسرين الى انه مات ثم احياه الله وما قاله هؤلاء محاصل الكلام المفسرين فانهم ذهبوا الى انما امر موسى عليه الصلوة والسلام بالنظر للجبل ودكه ليعلم انه لا طاقة له على رؤيته تعالى

فان ما لاتطيقه الجبال كيف تطيقه بنية الانسان (وقد وقع لبعض المفسرين) انه قال (في الجبل انه رآه) بخوة وادراك خلقه الله تعالى فيه فرآه وشاهده وقد نقله الماتريدى عن الاشعرى وهو الظاهر من التجلى وان حملوه على معنى آخر قال في الكشاف في تفسيره فلما ظهر اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اى مدكوكا والظاهر انه عنده استعارة تمثيلية وقيل انه على حذف مضاف وفيه مجاز آخر حيث اسند التجلى للاقتدار وليس بشئ (ورؤية الجبل له) اى لله عز وجل (استدل من قال برؤية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم له) فان الجبل ليس له ادراك ونظر الا انه يجوز ان يخلق الله فيه ذلك ولابس جعله دكا متوقفا على الرؤية ومسلزما لها ولوكان كذلك قال فان رأى واستقر فاندكه ليعلم موسى عدم طاقته لمشاهدة نور الانوار وفي الحقيقة جعله دليلا فيه مافيه الا ان يقال معنى قوله (اذجعله دليلا على الجواز) انه جعل تعلق الرؤية بامر ممكن في نفسه دليلا على جوازها فاذا كانت امرا جائزا لاحاجة لتأويل الاحاديث الواردة بانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه (ولامرية) بكسر الميم وضمها معناها الشك والتردد (في الجواز) اى جواز الرؤية (اذليس في الآيات) التي استدل بها على عدمها كآية لاتدركه الابصار ولن ترانى ونحوها (نص في المنع) للرؤية صريح فيه اذهى مأولة بل مشيرة للجواز كامر (واما وجوبه لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وجوب وقوع رؤيته لربه في الاسراء بعين رأسه واعترض عليه بانه لم يقل احد بالوجوب وانما قيل بالجواز والوقوع والجواب بانه من خصائصه التي يجب اعتقادها تعسف وليس المراد وجوبه على الله حتى يقال انه لايجب عليه شئ وكل ذلك محض تفضل منه وقيل المراد وجوب الجواز لان الجائز عقلا اذا وقع في الخارج انقلب واجبا بالغير وان كان في حد ذاته ممكنا والمراد وقوع الرؤية انتهى ولايخفى ما فيه من التعسف والتمحل الذى لاتساعده العبارة وكون الجائز اذا وقع انقلب واجبا لغيره لامعنى له فالظاهر ان يقول ان الوجوب هنا بمعناه الاصطلاحى لانه لوورد مصرحا به في نص قطعى من القرآن او الحديث المتواتر اوالمشهور وجب علينا اعتقاده ولايسع احدا من اهل الملة ان يخالف فيه واليه اشار في آخر الفصل بقوله وجب المصير اليه الا ترى انه لماصح انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر بالاسراء وورد في القرآن انه اسرى به من الحرم للبيت المقدس لايجوز انكاره سواء كان مناما او يقظة اوهو بمعناه اللغوى وهو الوقوع فانه اصل معناه واطلاق الواجب على اللازم عقلا اوشرعا معنى عرفى منقول منه والمراد بالعرف فيه عرف اللغة وهذا مماصرح به ائمة اللغة والمصنف منهم قال الامام الراغب يقال وجبت الشمس اذا وقعت ومنه قوله فاذا وجبت جنوبها وقول الفقهاء الواجب اذا لم يفعل استحق عليه العقاب وصف له بما هو

عارض له فيجري مجرى قولك الانسان اذا مشى مشى برجلين اسفى والى هذا اشار فقهاؤنا فى الفرق بين الفرض والواجب فقوله (والقول بانه رآه بعينه) يشير اليه من طرف خفى فلا اشكال فى كلامه وهذا يقع فى مقابلة الجائز بمعنى الممكن فلا وقوع كما صرح به الراغب ايضا فلا يرد على ماقلنا ان وقوعه فى مقابلة الجائز فى كلامه يأباه فان هذا كله انما جاء من توهم انه اريد بهما ماقاله الفقهاء وقوله بعينه متعلق برآه او توكيد للضمير ففيه صنعة من البديع وهى حسنة اذا جاءت احيانا من غير تكلف لا كما يقصده بعض شعراء مصر فانه قبيح وهذا كقوله

رأيت من اهواه لما ان رنا ✻ فقلت هذا قاتلى بعينه

(فليس فيه قاطع) اى دليل قطعى (ايضا) اى كما ان المنع لم يقم لمدعيه دليل قطعى (ولا نص) اى دليل صريح فيه من الكتاب والسنة (اذ المعول فيه) اى المعتمد فى استدلالهم على وقوعه لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (على آيتى) اى على آيتين فى سورة (النجم) ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة اخرى الآية ✻ (والتنازع فيهما مأثور) اى النزاع فى المراد منهما منقول عن سلف المفسرين والمتكلمين كما مر للقول بان الضمير لجبريل والرؤية له بصورته الاصلية (والاحتمال لهما ممكن) لعدم صراحتهما وقطعيتهما فى المدعى (ولا اثر) اى حديث (قاطع متواتر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) اى بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه بعين رأسه (وحديث ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما الموقوف عليه المتقدم الذى ذكر فيه انه رآه بعينه (خبر عن اعتقاده) اى اخبر به عما كان يعتقده بحسب ما ادى اليه علمه الجازم (ولم يسنده الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لم ينقله عنه ويقول انه صرح له بذلك حتى يعتبر (فيجب العمل) اى القول به والجزم (باعتقاد مضمنه) بضم الميم الاولى وفتح الضاد المعجمة والميم المفتوحة المشددة اى ماتضمنه ودل عليه لفظه من رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه بعينه فسماه عملا لانه من الاعمال القلبية وان اشتهر ان العمل فيما يكون بالجوارح الظاهرة يعنى ان الرؤية العينية ليس فيها نص قرآنى ولا حديث قطعى حتى يجب اعتقاده ويكفر منكره لمخالفة كثير من الصحابة والعلماء فى وقوعها وان كان الراجح عندهم ثبوتها وبه صرح العراقى والنووى والية ذهب المصنف رحمه الله تعالى وان قيل انه مال لخلافه فى شرح مسلم (ومثله) اى مثل قول ابن عباس فى اثبات الرؤية (حديث ابى ذر) الغفارى رضى الله عنه الذى رواه مسلم قال سألته صلى الله تعالى عليه وسلم هل رأيت ربك فقال رأيت نورا الى آخره (فى تفسير الآية) يعنى آية سورة النجم (وحديث معاذ ابن جبل (محتمل للتأويل) كما مر (وهو مضطرب الاسناد) اى الطرق فى روايته (والمتن) هو نفس الحديث وكلام الرسول الذى رواه لانه المراد منه والمتن اصله

الطهر الذي به قوام البدن فشبه به مايقصد من الكلام كلفظ الحديث واللفظ المنقول ليشرح واضطرابه اختلاله واختلافه افتعال من الضرب قيل اضطراب سنده لانه رواه تارة عن ابن عباس الحضرمي مرسلا لانه ليس بصحابي و تارة عن معاذ بن جبل واضطراب متنه لانه قال فيه رأيت ربي في احسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث الذي تقدم وفيه لما صلى الغداة قال صليت الليلة ماقضي لي ثم وضعت جنبي فاتاني ربي وفي اخرى عنه قمت من الليل فصليت ماقدر لي فنعست في صلوتي حتى استيقظت فاذا انا بربي واختلافه والسند واحد يوجب الاضطراب وقيل ان الحديث بطوله رواه ابن حنبل والترمذي وقال انه حسن غريب وقال انه صحيح الاسناد وهو احسن مايتمسك به في الرؤية وكذا قال المنذري في الترغيب فما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من اضطرابه ان اراد معناه اللغوي لاختلاف الفاظه فهو غير قادح لان الحديث الواحد قد تختلف الفاظه ولايختلف معناه وان اراد معناه الاصطلاحي وهو ما اختلف فيه راويان فاكثر فرووه بوجوه مختلفة لم تترجح احدها فليس فيه شيء منه ولو كان كذلك اوجب ضعفه وائمة الحديث صححوه كما سمعته آنفا وفيه نظر (وحديث ابي ذر الآخر مختلف) الفاظه المروية ومثله قد يوجب الضعف لدلالته على عدم ضبط الراوي (محتمل) للرؤية العينية وغيرها (مشكل) من حيث المعنى لجعله ذاته تعالى نورا (فروي) بالبناء للمجهول (نور) منون مرفوع و روي منصوبا ايضا (اني) بفتح الهمزة وتشديد النون والف بعدها مقصور بمعنى كيف (اراه) اي معنى وجهي اوظهر لي نور اورأيت نورا عشاني فكيف ارى ذات الله وقد حال بيني وبينه سحاب النور المانعة من الرؤية في جاري العادة وروي نوراني بالنسبة للنور على خلاف القياس كصنعاني وقيل انه تصحيف والصواب الاول وفي المفهم للبرهان يحتمل هذه الرواية ما سبق بان يكون معناه الخالق للنور المانع للرؤية فهو من صفات الافعال وقال المصنف رحمه الله تعالى لم ار هذه الرواية ومن المستحيل ان يكون ذاته نورا لانه جسم وهو تعالى منزه عنه باجماع المسلمين ومعنى نور السموات منورها او هادي اهلها او منور قلوبهم او ذو بهجة وجمال وقال العراقي في تخريج احاديث الاحياء مارأيت لهذا الحديث منكرا وقال ابن خزيمة في قلبي من صحة اسناده شيء وزاد احمد في حديث ابي ذر رجال اسناده رجال الصحيح انتهى وقيل هذا الحديث لايثبت رؤيته ولا عدمها والمعنى على روايته هو الاول وكيف للانكار اوالتعجب اي كيف تمكن من رؤيته ويحتمل انه قاله لان عنده من حديث اسلامه ممن لايفهم مراده لانه روي رأيته نورا ومادكره البرهان تكلف فان النور من اسمائه تعالى * اقول كل هذا كلام مدخول والذي ارتضاه العراقي كما ان النور يطلق على الله تعالى حقيقة فان معناه الطاهر بنفسه المظهر لغيره

وهو وان كان مبرهنا حكمياصوفيا فقد وقع فى كلام الاشعرى مايوافقه فانه قال الله نور ليس كالانوار كماسيأتى وعلى هذا فالروايتان بمعنى فانه نور النور الخفى بفرط الظهور فان فهمت فهو نور على نور وقوله انه جسم غير مسلم (وحكى) اى نقل (بعض مشايخنا انه ٢) اى هذا الحديث اوهذا اللفظ (نورانى اراه) قد عرفت معناه وسمعت ماقاله المصنف اى فى شرح مسلم من ان هذه الرواية لم تثبت (وفى حديثه) اى حديث ابى ذر (الآخر) اى المروى من طريق آخر (سألته) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت له هل رأيت ربك (فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح رأيت نورا) هذا محتمل لان يكون اطلق عليه النور حقيقة كاسم اوباعتبار لازمه كسائر اسمائه التى لاتليق حقيقتها به اوان المراد انه لم يره لان حجابه النور والى هذا اشار المصنف بقوله (فهو) اى النبى صلى الله عليه وسلم (قد اخبر انه لم يرالله تعالى وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى) بناء على مافهمه ولم يرتضه بعض الشراح (والى هذا) المعنى وانه لم يره (يرجع قوله نور انى اراه) فانه تعجب او انكار لرؤيته (اى كيف اراه) هذا كقوله تعالى (كيف تكفرون بالله) فكيف للانكار او التعجب اى كيف يتمكن من رؤيته (مع حجاب النور المغشى للبصر) اى الساتر اوالمانع له عن الرؤية كالعشاوة (وهذا مثل مافى الحديث الآخر حجابه النور) وهذا الحديث رواه مسلم والطيالسى والبخارى عن ابى موسى الاشعرى وهو ان الله لاينام ولاينبغى له ان ينام ولكنه يخفض القسط ويرفعه ويرفع عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لوكشفه احرقت سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه وهو حديث صحيح (وفى الحديث الآخر لم اره بعينى ولكن رأيته بقلبى مرتين وتلى) قوله تعالى (ثم دنى فتدلى) اى نزل لتقرب من عبده وهذا بناء على ان الضمير فيهما لله تعالى لالجبرئيل عليه الصلوة والسلام وبذا من المتشابه كقوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا والكلام فيه مشهور ثم بين معنى الرؤية القلبية فقال (والله قادر على خلق الادراك الذى فى البصر فى القلب) بان يدرك بقلبه مايدرك ببصره حتى يكون مشاهدا محسوسا له واقفا على ذاته لان فى القلب نورا هو مبدأ الابصار ويقربه الله حتى يرى بلا واسطة لامن (اوكيف شاء) اى بكيفية اخرى غير خلق الادراك فى قلبه ارادها لمن اراد ان يتجلى له بان يحصل له علما ضروريا يدركه به على وجه لايعلمه الاهو (لااله غيره فان ورد حديث نص) صريح (بين فى الباب) فى ثبوت الرؤية له يجب لايحتمل التأويل (اعتقد) بالبناء للمجهول اى اعتقده كل من وقف عليه وثبت عنده (ووجب المصير اليه) اى وجب علينا ان نذهب لاعتقاده ولا نعدل عنه (اذلا استحالة فيه) اى فيماذكر من صحة الرؤية ووقوعها وهذا معنى الوجوب الذى قاله اولا كما وعدناك به (ولامانع قطعى يرده) فيمنع من اعتباره ويوجب تأويله اوالوقف فيه

(٢) شيوخنا انه روى نسخه

كسائر المتشابهات (والله الموفق للصواب) اى الخالق للتوفيق المنعم به على عباده وفى الختم بهذا لطف لما فيه من الاشارة الى ان تعارض احاديث الرؤية محتاج للتوفيق لمن رزق التوفيق ولا شبهة فيما قاله وهو لا ينافى ان الاصح الراجح انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعين رأسه حين اسرى به كما ذهب اليه اكثر الصحابة الا انه لما ورد وتقل خلافه ابن صادهب الى انه امر غير قطعى فالاعتراض عليه بانه ان اراد بالقطعى كلام الله او حديثا متواترا فمسلم لكنه ليس بلازم فكم من امر علم او جزم بانه وهو ليس فى القرآن ولا فى الحديث المتواتر وان اراد انه ليس فيه حديث صحيح صريح يعمل به فهو غير مسلم ساقط واه تركه خير منه والله اعلم ﴿فصل واما ماورد فى هذه القصة ﴾ اى قصة الاسراء (من مناجاته لله تعالى) اى مخاطبته له ومحادثته لما ارتفع الى المقام الاعلى والمناجاة تكون بمعنى اخاديه و بمعنى المساره مما (٢) يرضاه واصل معناها ان تخلو بمن تخاطبه على نحوه اى مكان مرتفع من الارض وقيل هو من النجاة لان من سره تحامى ان يطلع عليه غيره ثم شاع فى مطلق المخاطبة فلذا عطف عليه قوله (وكلامه معه) ان من المراد به والضمير الاول للرسول كضمير مناجاته او لله كضمير معه اى كلامه معه الثابت (بقوله فاوحى الى عبده) المقرب اليه والى سرادقات عظمته وهو الرسول المكرم صلى الله عليه وسلم او جبريل وقد مر ان مقام العبودية اشرف المقامات فلذا قال الى عبده ولم يقل رسوله ولا نبيه (ما اوحى) اى ما يوحى امرا عظيما لا يحيط به العباره ففى الابهام اشاره الى تفخيمه وتعظيمه وانه محرم الاسرار وبحر المعارف (٣) لا يطلع على ما اطلعه الله عليه غيره ففى الابهام ولفظ العبد هنا موقع لا يليق بغيره (الى ما تضمنته الاحاديث) الآية والى بمعنى مع او غايه لابتداء مقدر اى ينتهى من الكلام الى ما تضمنه الاحاديث (فاكثر المفسرين) جواب ما قبل الاكثر نقابله الكثير فلا يناسب مقابلته الشاذ والنادر منهم تحقق العبارة جمهور المفسرين والامر فيه سهل (على ان الموحى) اسم فاعل اوحى اى الفاعل للايحاء فى قوله فاوحى فى هذه الآية (الله الى جبريل عليه الصلوة والسلام وجبريل الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الاشذوذا منهم) اى الاجماعه من المفسرين فانهم شذاذ خالفوهم فيه فشذوذا اما جمع شاذ كقعود جمع قاعد او مصدر اطلق على الفاعل مبالغة فى اتصافهم به حتى كانهم عينه (فذكر) مبنى للمفعول (عن جعفر بن محمد الصادق) صفة جعفر وقد تقدمت ترجمته انه (قال اوحى اليه بلا واسطه) اى كلم الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بلا واسطه ملك او غيره والمراد بالوحى هنا الكلام وان كان اعم منه فعلى هذا ضمير اوحى لله والمراد بالعبد محمد صلى الله عليه وسلم وهذا بيان لمذهب الشاذ (ونحوه) اى ومثل ماقاله جعفر نقل (عن الواسطى) وقد تقدمت ترجمته (والى هذا) القول المنقول عن جعفر والواسطى (ذهب بعض المتكلمين ان محمدا صلى الله عليه وسلم كلم ربه فى الاسراء) بغير ترجمان وهو وما بعده بدل من هذا (وحكى) بالبناء للمجهول (عن الاشعرى وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس) رضى الله تعالى

(٢) مما يرضيه

(٣) محرم الاسرار المعارف نسخه

عنهم (وانكره) اى انكر تكلم الله له صلى الله تعالى عليه وسلم بلا واسطة قوم (آخرون) وليس المنكر النقل فقط كما يوهم لان السياق يأباه (وذكر النقاش) السابق ذكره فى تفسيره المشهور نقلا (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قصة الاسراء عنه عليه الصلوة والسلام فى) تفسير (قوله دنى فتدلى قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فارقنى جبريل) اى تخلف عنه فى المعراج لان له مقاما لا يتعداه (فانقطعت الاصوات عنى) بعد ما فارقته وبعدت عنه (فسمعت كلام ربى وهو يقول لى) جملة حاليه اى قائلا لى (اهدأ روعك يا محمد) بلام الامر ويهدأ بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الهاء ودال مهملة خفيفة مفتوحه وهمزه ساكنة لانه مضارع مجزوم بلام الامر فاذا ابدل الهاء جاز حذفها كالمعتل الآخر والروع بفتح الراء الخوف والهدأ معناه السكون والمعنى ليسكن فزعك اى ليذهب فزعك وخوفك ويجوز ضم الراء المهملة والروع بالضم القلب والمراد ليقر قلبك ولا يضطرب من الخوف ويجوز ان يراد بالمفتوح ايضا القلب لانه محله فالروايتان بمعنى (ادن ادن) امر من الدنو وهو القرب اى تقدم وادخل الى حظائر القدس وانما قال له تيسر بقاله صلى الله تعالى عليه وسلم والاخلاء لمنزلته وتأنيسا لاستيحاشه لما انقطعت عنه الاصوات ولذا امره باطمئنان قلبه اولا وكرر امره تأكيدا او بيانا لزيادة قربه من الله تعالى وان كان اقرب اليه فى كل حال لتنزهه عن المكان وانما هذا بالنسبة له فاحسن اشارة عنه بقوله دنا اشارة الى امتثاله الامر (وفى حديث انس رضى الله تعالى عنه فى الاسراء) السابق ذكره (نحو منه) اى ما يفيد مثله فالحاصل فى قوله فاوحى الآية ان الضمير الاول فى اوحى لجبريل وفى عبده لله والمراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اضمار قبل الذكر لانه معلوم وضمير اوحى الثانى يجوز ان يكون لجبريل وفيه تفخيم وتعظيم للوحى اولله اى اوحى جبريل لعبد الله محمد ما اوحى الله اليه ويجوز ان يكون الضمير فى اوحى الاول لله وعبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اى اوحى الله الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ان يكون المراد بعبده جبريل اى اوحى الله تعالى الى جبريل والضمير فى اوحى الثانى لله اى اوحى الله الى عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما اوحاه الله اليه ففيه تفخيم للوحى ايضا ويجوز ان يكون لجبريل اى اوحى الله الى عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما اوحى جبريل اليه فايحاؤه اليه بواسطة وعلى ان المراد بعبده جبريل وضمير اوحى الثانى لله والمعنى اوحى الله لعبده جبريل ما اوحى الله اليه ففيه تفخيم وعلى ان المراد بعبده جبريل وضمير اوحى الثانى له اى اوحى الله لعبده جبريل ما اوحى جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم او لكل رسول لانه امين وحيه وما مصدريه او موصوله والذى اوحاه احكامه او امر الصلوة او اوحى اليه لا يدخل نبى ولا امة الجنة قبلك وقيل امتك او هو سر فى سر كما قيل

بين المحبين سر ليس يعرفه ، قول ولا قلم للخلق يحكيه

وسيأتي تفسير بقية الآية وتحقيقه (وقد احتجوا في هذا) اي استدلوا على انه تعالى كلمه بلا واسطة (بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء) ووجه الاحتجاج بينه بقوله (فقالوا هي) اقسام الكلام المثبتة في هذه الآية على وجه يفيد نفي ماعداها لان معنى ما كان لا يصح ولا يقع (ثلاثة اقسام) منحصرة فيها الاول منها الكلام (من وراء حجاب) يحجب من خاطبه وكلمه عن رؤية ذاته لا يحجب الله فانه يراه ولا يحجبه شيء كامر تفصيله فهو يسمع كلامه من غير واسطة وهو لا يراه والحجاب سبحات النور ومالا يعلمه الا الله (كتكلم موسى) اي كتكليمه تعالى لموسى عليه الصلوة والسلام في الدنيا وموسى لا يراه فالتشبيه فيما ذكر فانه سمع من الشجرة كلام الله تعالى بغير واسطة ملك وهو لا يرى ذاته تعالى (و) القسم الثاني من الوحي يكون (بارسال الملائكة) الى رسل البشر ليبلغوهم كلامه تعالى ووحيه الذي اوحاه اليهم وهذه الحالة في الوحي (كحال جميع الانبياء) عليهم الصلوة والسلام (واكثر حال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وموسى ايضا في غير ما ندر من كلامهما بغير واسطة في الدنيا فهل سواء رأوا الملك او لم يروه فان الوحي على اقسام كما كان يسمع كصلصلة الجرس من غير ان يراه وفيه نظر فان هذا داخل في قوله وحيا او في قوله بارسال الملائكة اشارة الى انه غير مختص بجبريل لما روي ان اسرافيل عليه الصلوة والسلام وكل به صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث سنين في اول الامر وقد قسموا الوحي الى نحو اربعين قسما ولكنهما لا تخرج عن هذه الاقسام (الثالث) من اقسام الوحي وكلام الله لرسله عليهم الصلوة والسلام (قوله وحيا) اي القاء في قلبه بالهام ونحوه قال الراغب في مفرداته اصل الوحي الاشارة السريعة ولتضمنه السرعة قيل امر وحي وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وباشارة ببعض الجوارح وبالكتابة ويقال للالقاء لانه انه وحي وهو على اضرب حسبما دل عليه قوله وما كان لبشر الى آخره فذلك اما برسول مشاهد يرى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صورة معينة واما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله واما بالقاء في الروع كما ذكر ان روح القدس نفث في روعي واما بالهام او منام انتهى فالاخير هو المراد بالوحي هنا وسيشير اليه المصنف (ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة) اي الكلام من غير واسطة وهو في الاصل مأخوذ من الشفة وتجوز به عن هذه المخاطبة والمكالمة (مع المشاهدة) اي معاينة المخاطب لمن كلمه من غير واسطة ولا حجاب مانع من الرؤية وخص الله بها من شاء من خاص عباده المقربين كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقد استدل بهذه الآية على نفي الرؤية لحصر تكلم البشر في الثلاثة فاذا لم يره من تكلمه وقت الكلام لم يره غيره اجماعا واذا لم يره هو اصلا لم يره غيره ايضا اذ لا قائل بالفصل والجواب

انه يحتمل ان يكون المراد حصر الكلم في الدنيا في هذه الثلاثة او نقول يجوز ان تقع الرؤية حال التكليم وحينئذ الوحي كلام بسرعة كما تقرر وهو لا ينافي الرؤية فلا دليل على ما ذكر اصلا كما حققه ابن الخطيب في رسالته المشهورة يعني ان اعلام احد احدا بامر اما بغير مشافهة وكلام معروف او بمشافهة بواسطة او بدونها والثاني اما مع مشاهدة او بدونها فالحصر في هذه الصور الاربعة والآية استوفت الاقسام الا ما كان مع مشاهدة الذي خص الله من اراد وقد علمت ان ما ذكره غير متعين ولذا قال بعضهم ان قوله لم يبق الا المشافهة مع المشاهدة ممنوع الا ان سنده معه غير صحيح ولم يصرح احد منهم على تحرير كلامه هنا (وقد قيل) القائل هو الراغب وغيره كما سمعته آنفا (الوحي هنا) في هذه الآية (هو ما يلقيه في قلب النبي) اي في قلب اي نبي كان من الانبياء عليهم الصلوة والسلام الهاما ونحوه (دون واسطة) اي بغير واسطة ملك يبلغه ما اوحاه الله اليه والالهام كما قال الزركشي ما حرك القلب بعلم يلقيه الله فيه يدعوه الى العمل به من غير نظر واستدلال بحجة والذي عليه الجمهور انه خيال لا يجوز العمل به الا عند فقد الحجة وذهب بعضهم الى انه حجة بمنزلة الوحي لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها ونحوه وقال السمعاني انكار اصله لا يجوز انتهى ولا يخفى ان الخلاف في غير الهام الانبياء ومن كان في حكمهم فانه وحي وعلى هذا ينبني تقييده ما في شرح جمع الجوامع وقال الواحدي في تفسيره نقلا عن الواقدي في تفسير قوله تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى) الآية ان الرسول الذي ارسل الى الخلق بارسال جبريل عيانا وشفاها والنبي تكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وقال النووي في تهذيبه ما ظاهره ان النبوة المجردة لا تكون بتبليغ الملك بذلك وليس كذلك وكلام العراقي الذي استشهد به يرد عليه انتهى (وقد ذكر ابو بكر البزار) بموحدة وزاي معجمة والف وراء مهملة لعمل بزر الكتان واستخراج زيته وهي لغة بغدادية وهو الامام الحافظ الذي تقدمت ترجمته (عن علي كرم الله وجهه في حديث الاسراء) الذي رواه المصنف رحمه الله تعالى بتمامه في اول الباب (ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكلام الله من الآية) يعني قوله تعالى (فاوحى الى عبده ما اوحى) لان الآية فيها احتمالات وحديث علي رضي الله تعالى عنه فيه التصريح بسماعه صلى الله تعالى عليه وسلم كلام الله من وراء الحجاب وقوله صدق عبدي فلا يأباه كون ضمير عبده لجبريل في قول وان خلافه شاذ وكذا كون الوحي في الآية مبهم وثمة معان ولا ينافيه اختصاص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بالمشافهة مع الرؤية اختصاص موسى عليه الصلوة والسلام بالكليم كما توهم (وذكر) اي البزار او علي رضي الله تعالى عنه (فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب) اي قال الله

تعالى لملك الاذان (صدق عبدى انا اكبر انا اكبر وقال فى سائر كلمات الاذان مثل ذلك) الاقوله حى على الصلوة حى على الفلاح كامر ولكونه معلوما لم يذكره ووجهه ان المشروع لسامع الاذان ان يقول مايقوله المؤذنون كله تكلمة تصديقه اله بافراده الاقوله حى على الصلوة الى آخره فانه يقول فيه لاحول ولاقوة الابالله وهذا لايليق به تعالى فلذا لم يجبه ﴿ تنبيه ﴾ هنا امران الاول اختلف العلماء فى صفة الاذان على اربع صفات (٢) مشهورة *احدها تثنية التكبير وتربيع الشهادتين وباقيه مثنى وهو مذهب اهل المدينة ومالك وغيره واختار جماعة من اصحاب مالك الترجيع وهو ان يثنى الشهادتين اولا خفضا ثم يثنيهما مرة ثانية برفع الصوت * والصفة الثانية اذان المكيين وبه قال الشافعى رحمه الله تعالى وهو تربيع التكبير الاول والشهادتين وتثنية باقى الاذان * والصفة الثالثة اذان الكوفيين وهو تربيع التكبير الاول وتثنية باقى الاذان وبه قال ابوحنيفة رحمه الله تعالى * والصفة الرابعة اذان البصريين وهو تربيع التكبير الاول وتثليث الشهادتين وحى على الصلوة وحى على الفلاح يبدأ باشهد ان لااله الاالله حتى يصل حى على الفلاح ثم يعيده كذلك مرة ثانية اعنى الاربع كلمات تبعا ثم يعيده ثالثة وبه قال الحسن البصرى وابن سيرين كذا قاله ابن رشد فى كفاية المقتصد * الثانى ان حديث على رضى الله تعالى عنه يقتضى ان الاذان شرع ليلة المعراج وحديث الصحيحين المشهور انه شرع بعد الهجرة بين لما رآه بعض الصحابة فى منامه كامر ولايخفى مابين الحديثين من التعارض ولم يتعرض احد للتوفيق بينهما وان اعترض ذلك بانه كيف يثبت التشريع بمنام لغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واجيب بانه ثبت بوحى لكنه صادف ذلك المنام فاظهر العمل به تطمينا لقلوبهم وجبرا لخواطرهم والظاهر ان يقال انه ثبت بحديث الاسراء الا انه لم يبين له زمانه ولم يمكن اعلامه به قبل الهجرة فاخر ذلك حتى يستقر ظهور الدين وبهذا يتم التوفيق بينهما (ويجيء الكلام فى) بيان (مشكل هذين الحديثين فى الفصل بعد هذا مع مانشبهه وفى اول فصل من الباب مئة) وسيذكر ماوعده (وكلام الله) عزوجل (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اختصه من انبيائه) اختص ورد لازما ومتعديا كماهنا بمعنى خصه (جائز غير ممتنع عقلا) اى ثبت جوازه وعدم امتناعه عقلا وسمعا كامر فلاتصغ لنزاع المعتزلة فيه كابوهم (ولاورد فى الشرع قاطع بمنعه) اى دليل قطعى بمنعه كما لم يرد دليل قطعى بثبوته ايضا (فان صح فى ذلك) اى فى الكلام بلاواسطة لغير موسى عليه الصلوة والسلام (خبر اعتمد عليه) فى الجزم بوقوعه وروى احتمل وكلاهما مبنى للمجهول كماقاله البرهان (وكلامه تعالى لموسى) وروى ومكالمته لموسى عليه الصلوة والسلام (كائن حق مقطوع به نص ذلك) بالبناء للمجهول على الحذف والايصال كمشترك اى نص بثباته (فى الكتاب) العزيز والقرآن (واكده)

(٢) كيفيات سبعة

الله تعالى (بالمصدر دلالة على الحقيقة) اى دلالة على ان الكلام فيه بمعناه الحقيقى وان اختلف اهل السنة فى معناه الحقيقى القديم بل هو الكلام اللفظى او النفسى كما ذهب اليه الاشعرى وتحقيقه فى كتب الاصول وهو مبحث طويل الذيل لا يسعه هذا المقام وهذا رد على المعتزلة القائلين بان الله لم يكلمه وانما خلق الكلام فى جسم آخر كالشجرة فسمعه عليه الصلوة والسلام منها لانهم نفوا الكلام النفسى وقالوا اللفظى حادث لا يقوم بذاته ودعوى قدمه لا تعقل عندهم فمعنى متكلم عندهم خالق الكلام وموجده قائما بغيره فان قالوا انه حقيقة لانه الخالق له والفاعل فباطل لان الفاعل الحقيقى فى اللغة من قام به الفعل لا من اوجده فهذا ناش من عدم الفرق بين الفاعل الحقيقى اللغوى والحقيقى فى الحقيقة ونفس الامر كما حققه الابهرى فى حواشى العضد ويلزمهم اثبات المشتق بدون ثبوت مأخذه له فان قالوا هو مجاز فالتأكيد بالمصدر فى قوله وكلم الله موسى تكليما يرده لان التأكيد اللفظى والمعنوى يمنع التجوز كما ذكره اهل المعانى وهذا من قبيل الاول كما اشار اليه المصنف هكذا قرره الاصوليون ورده ابن عبد السلام بان التأكيد بالمصدر لمنع التجوز فى الطرف ودفع الشك فى الحدث لا الحدث عنه والاسناد اذ التأكيد انما هو للفعل فالكلام وقع حقيقة ولكن ممن صدر والتأكيد لتحقيق وقوعه فقط واجاب ابن عرفة بان تأكيد المصدر وان كان لازالة الشك فى الحديث فلا بد من ملاحظة من صدر عنه فهو لازالة الشك عن حدث فلان ولذا قال النسابيون فى قول هند زوجة روح بن زنباع تهجوه

بكى الخز من روح وانكر جلده * وعجت عجيجا من جذام المطارف

انه ترشيح للمجاز اقول هذا كلام ساقط جدا فانهم ادعوا ان تأكيد المصدر يرفع التجوز عن الاسناد فيقتضى ان الكلم مسند لفاعله الحقيقى والمعترض منعه ونقول انما يمنع التجوز فى الطرف وهو الكلام لا مؤكد لفعله كما صرح به واهل المعانى لم يتعرضوا لهذا والعجب وارد عليهم لان الصحيح مجاز وقد اكد فلا يمنع مجازا اصلا وكونه ترشيحا عليه لا له وبهذا عرفت ما يرد على المصنف (ورفع مكانه) اى مكان موسى الكليم (على ما ورد فى الحديث) الصحيح الذى فيه مقامات الانبياء عليهم الصلوة والسلام الذين لقيهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى السموات حين اسرى به انه (فى السماء السابعة) هذا بناء على بعض الروايات والذى صححه الحاكم وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى السماء السادسة وجزم به ابن المنير وغيره وما ذكره المصنف رحمه الله موافق لما ذكره البخارى فى التوحيد وعدل عن المشهور لانه انسب بمراده فالقول بانه غلط وان الذى فى السماء السابعة ابراهيم عليه الصلوة والسلام وهم من قائله وقوله (بسبب كلامه) متعلق برفع اى سبب رفعه عليه الصلوة والسلام على غيره كونه شرفه بكلامه فى الدنيا (ورفع محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) حين اسرى به (فوق هذا كله) اى فوق هذه المقامات كلها

في حيوته صلى الله تعالى عليه وسلم بهيكله البشري (حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام) تقدم شرحه (فكيف يستحيل) ويمتنع عقلا (في حق هذا او بعد) بعد جوازه وثبوت مايدل عليه (سماع الكلام) من كلام الله تعالى بغير واسطة (فسبحان) تنزيه لله وتعظيم له حيث دله على ما انعم به لا لتعجب فانه غير مناسب هنا (من اختص من شاء) من رسله وخلص عباده (بما شاء) من جزيل نعمه وكرمه (وجعل بعضهم) راجع لمن باعتبار معناه (فوق بعض درجات) كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اذ فضله على جميع الانبياء وخصه بما لم يصل اليها سواه وهذا اقتباس من قوله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) فالمراد ببعضهم هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وابهمه تفخيما لشانه واشارة الى تعينه كما قيل

واقول بعض الناس عنك كناية * خوف الوشاة وانت كل الناس

وان اختلف المفسرون في المراد به في الآية ولا يخفى ما في ختم الفصل بهذه الآية من حسن المناسبة وبراعة المقطع لما فيها من ذكر الكلام ورفع الدرجات المناسب لهذا المقام

﴿ فصل واما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب ﴾

عطف تفسيري وهو بيان لما وظاهر بالرفع والجر (من قوله ثم دنا فتدلى) الدنو القرب ولذا عطف عليه عطفا تفسيريا وهو حسي ومعنوي والتدلي الامتداد من علو الى اسفل كما تلقى الدلو في البئر هذا اصله ثم استعمل في القرب من علو حسا او معنى فهو اخص مما قبله فلا تقدم ولا تأخير فيه اصلا والاصل فتدلى فدنا وليس بمعنى لان العطف بالفاء يأباه والتأسيس خير من التأكيد وقيل دنا بمعنى قصد القرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم فتحرك من مكانه نحوه وقيل تدلى من الدلال كتمطى اصله تمطط والضمير فيهما(٢) لجبريل عند الجمهور اي دنا جبريل من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض وتدلى عليه لانه لما رآه بصورته(٣) هاله فرده الله تعالى لصورته التي كان يراه عليها وقرب منه وقيل الضمير لله اي دنا من نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مجاز عن اجابة دعائه واعطائه ما شاء باشراق نور المعرفة ومشاهدة اسرار الغيب لانه منزه عن المكان كما سيأتي بيانه (فكان قاب قوسين او ادنى) القاب ما بين مقبض القوس وموضع ربط الوتر من طرفيه ولكل قوس قابان وقيل القاب حيث الوتر من القوس وقيل معناه قدر والقوس معروف وقيل هي هنا الذراع لانه يقاس به فالمعنى قدر ذراعين وروي عن ابن عباس وعلى الاول قيل فيه قلب اي قابي قوس اي بينهما مسافة مقدار قاب قوسين اي بين النبي وجبريل لان جبريل هو الموصوف بما قبله وهذا رواية عائشة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورجح هذا الوجه على روايه شريك انه الله ولهم هنا كلام كثير

(٢) وفي بعض النسخ فيهما على ان يكون راجعاً الى دنا وتدلى والمعنى والضمير في دنا وتدلى لجبريل فاله مصححه طاهر
(٣) الاصلية نسخه

(وقال)

وقال الرازي هذا على عادتهم اذا تعاقد كبيران او تصالحا جعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما يصح كمه بكمه واو لتحقق قدر المسافة لا للشك كقوله فارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقيل للشك بالنسبة للراوي وقيل بمعنى بل او الواو وادنى افعل تفضيل اى اقرب من قاب (فاكثر المفسرين) جواب اما (ان الدنو والتدلي مقسم بين محمد وجبريل عليهما الصلوة والسلام) اى كل منهما ثبت لكل منهما لا لله اى دنا محمد من جبريل ودنا جبريل من محمد وتدلى كل منهما للآخر او المراد ان الدنو لمحمد والتدلي لجبريل فالانقسام بمعنى توزيع الوصفين بينهما وهذا المارأه بصورته الاصلية (او مختص باحدهما من الآخر) اى مختص بمحمد صلى الله عليه وسلم او بجبريل والمعنى دنى وتدلى محمد من جبريل او دنا وتدلى جبريل من محمد (او من السدرة المنتهى) اى يختص الدنو والتدلي من السدرة لا من الآخر (قال الرازي) فخر الدين المشهور ٢ (وقال ابن عباس) كما رواه ابن ابي حاتم عنه (هو) اى الذي دنى وتدلى في الآية (محمد دنا فتدلى من ربه) ودنوه منه كناية عن قرب منزلته ومشاهدته من قدسه مالم تيسر لغيره (وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب) فهو ترق في تقربه من ربه قربا معنويا لا حسيا (وقيل هما) اى دنا وتدلى (بمعنى واحد اى قرب) قربا معنويا بالغا النهاية ولا يخفى ان العطف بالفاء غير وارد في مثله ولذا ضعفه واخره والقول بانه للتأكيد وافادة انه قرب بليغ لا تساعده العبارة (وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما في رواية ابن جرير عنه (هو) اى من اسند اليه الدنو (الرب دنا من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ليس المراد الدنو المكاني لتنزهه عنه ولا العلم لانه لا يختص به حتى يذكر في مقام مدحه وتعظيمه بل قرب المنزلة باعلاء مقامه واطلاعه على عجائب ملكوته (وتدلى اليه) اى نزل الرب لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو على حد قوله تعالى (ينزل ربنا الى السماء الدنيا في الثلث الاخير) اى تجلى له ونظر اليه بلطفه وكرمه وتشريفه بخطابه كما سيأتي بيانه فقوله (اى امره وحكمه) لم يرد به انه فاعل تدلى كما قيل وانما هو ضمير الله ايضا وهو استعارة او كناية عما ذكر واليه اشار القاضي رحمه الله تعالى بقوله المقصود من الآية تمثيل تحقيق اسماعه لما يوحى اليه بنفي البعد عنه (وحكى النقاش) في تفسيره (عن الحسن) البصري انه (قال دنا) الله (من عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) دنو مرتبة وقرب معنوي (فتدلى) اى (فقرب منه) بعنايته واختصاصه والاولى فزاد قربه اليه كما مر (فاراه ماشاء ان يريه من) آثار (عظمته وقدرته) فاري بصرية تعدت لمفعولين او علمية ومفعولها الثالث مقدر اى اراه عظمته وقدرته مشاهدة معاينة والاول اظهر واقرب (قال) اى النقاش او الحسن (وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر) فاصله

(٢) اعلم ان ههنا اشكالا وهو انه ان كان مراد الشارح من فخر الدين المشهور صاحب التفسير الكبير الذي توفي سنة ست وستمائة من الهجرة لم يصب رواية ودراية منشأه فيه التخصص لان القاضي المصنف توفي الى رحمه الله سنة اربع واربعين وخمسمائة منه ومولده سنة ست وسبعين واربعمائة فيكون التفاوت بين تاريخ وفاتهما مقدار اثنين وستين سنة فكيف يصح نقل المص عنه والقول بانه يمكن ان المتقدم ربما ينقل عن المتأخر على ان يعاصرا في مدة من الزمن بان يدرك المتأخر في اول امره زمن المتقدم فيروى عنه بعض الكلام فبعيد في مثل هذا المقام يظهر وجهه لمن ضبط تاريخ ولادتهما وظني ان مراد المصنف من الرازي غير من ذكر ولم يتيسر لي رفع هذا الاشكال لمراجعة كثرة الاشغال فليحرر فانه محله ظاهر

فتدلى فدنى اى (فتدلى الرفرف لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج) وهو البساط مطلقا او البساط الاخضر وقيل ما كان من الديباج وفى الصحاح الرفرف ثياب خضر تتخذ منه المجالس وكسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منه واحده رفرفة فهو من البسط والفرش وفسر بالرزانى والمرافق وقيل الثوب العريض اوحواشيه من رف يرف تحرك ومنه رفرفة الطائر بجناحيه ويطلق على الستارة وطرف الخيمة وفى الحديث رفرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرفع لنا الرفرف فرأينا وجهه ومنه رفرف الاولياء فى الجنة وهو بساط اذا استقروا عليه طار بهم لاى جهة ارادوها بقدرة الله تعالى وورد فى المعراج انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه بالرفرف جبريل عليه الصلوة والسلام فتناوله فطار به الى العرش يرفعه ويخفقه وجبريل رافعا صوته بالتحميد فهو من كلمه صلى الله تعالى عليه وسلم كالبراق وقد فسر قوله متكئين على رفرف خضر ببعض هذه الوجوه وبانه رياض الجنة والى هذا اشار بقوله (فجلس عليه ثم رفع) اى رفعه الله بقدرته وهو مبنى للمجهول (ودنا) الرفرف او النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (من ربه) بالمعنى السابق (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم بيانا لما هو عليه بعد ان علا الرفرف (فارقنى جبريل وانقطعت عنى الاصوات) اى اصوات الملائكة عليهم الصلوة والسلام (فسمعت كلام ربى) عز وجل من غير واسطة وليس كلاما خلقه الله تعالى فى بعض الاجرام كما زعمه المعتزلة كما مر وفيه اثبات الكلام اللفظى لله تعالى كما ذهب اليه السلف وبعضهم الشهرستانى فى مقالاته المشهورة ومن ينكره يقول الكلام النفسى سمعه الله تعالى بقدرته والمبحث بطوله مقرر فى علم الكلام (وعن انس فى الصحيح) اى مروى فى صحيح البخارى (عرج بى جبريل) صاعدا (الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة) عطف بيان او بدل والجبار هنا بمعنى العلى الاعلى من قولهم نخلة جبارة اى طويلة من يفعه هذا هو المناسب للمقام لانه انسب من تفسيره بالقاهر لعباده على ما اراده من امر ونهى وان فسر به ايضا والعزة من عز يعز بالفتح اشتد وبالكسر صار عزيزا وهذا من حديث شريك السابق وقد انكر به الذهبى وفيه نظر (فتدلى) تقدم تفسيره (حتى كان) رب العزة (منه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلوة) كما مر (وذكر حديث الاسراء) بتمامه كما تقدم (وعن محمد بن كعب) القرظى السابق بيانه (هو) اى الموصوف بانه دنى كما ثبت بانه (محمد) صلى الله عليه وسلم اى (دنا) محمد صلى الله عليه وسلم (من ربه فكان قاب قوسين) اى مقدار قاب قوسين فى القرب منه (او ادنى قال) اى محمد بن كعب (وقال جعفر بن محمد) وهو الآتى بعده ايضا (ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد) المذكور (والدنو من الله

لأحد له) اى الدنو من جانب الله ليس دنوا مكانيا محدودا بحيز كالاجسام بل دنو معنوى (ومن العباد بالحدود) المكانيه الحاصره لهم لا الحد المنطقى المميز للماهية (وقال) جعفر (ايضا) كما قاله السابق (انقطعت الكيفية عن الدنو) من جانب الله اى دنو من عباده ليس له كيفيه مخصوصه وحالة معروفة لانه امر معنوى غير محسوس والكيفيات احوال محسوسة وسميت كيفية لانها يسئل عنها بكيف وهذه لفظه مولدة لم تسمع من العرب ومخالفة للقياس لان كيف لا ينسب اليها ثم وصح ذلك بقوله (الا ترى) الخطاب عام لكل من وقف عليه كقوله تعالى (ولو ترى اذ وقفوا على النار) والرؤية نظريه او ادعائية او علمية والا بفتح الهمزة وتخفيف اللام وما فى بعض النسخ الا بصورة الاستثناء وانه سمع منه بعد (كيف حجب) بالبناء للفاعل اى منع (جبريل) بالنصب مفعوله ويجوز بناؤه للمجهول ورفعه (عن دنوه) الى ربه (ودنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى ما) موصولة او موصوفة وفى نسخه ودنوه مصدر منصوب على كيف اى الا ترى كيف الحجر وترك دنوه (اودع قلبه) صلة ما اوصفه له واودع مبنى للمجهول وقلبه نائب فاعله وفى بعض النسخ بالبناء للفاعل ونصب قلبه مفعوله كما قاله البرهان (من المعرفه) الالهية والمواهب الربانيه (والايمان) مما لا طريق له الا السمع بعد البعثه وعليه حمل قوله تعالى (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان) اى الايمان بما يقتضيه العقل كوجود البارى ووحدانيته ومعنى قوله (فتدلى) اى نزل عما كان عليه قبل هذا (بسكون قلبه الى ما ادناه) الى ربه لما اطمأن قلبه (وزال عن قلبه الشك والارتياب) فى انه هل يصل الى حضرة الرب وينال اياه بالاكرام والانعام ويترقى الى اعلى مقام فانجح الله تعالى امنيته وليس المراد الشك فيما يتعلق بالله ومعرفته فانه صلى الله تعالى عليه وسلم اقوى الناس معرفه وايمانا وانه يهم خاسا وايمانا واسدهم طمأنينة وسكونا وبهذا سقط ما قيل انه لم يكن عنده شك لامتلاء قلبه بالمعرفه والايمان وتطهيره من دنس الشك ووسوسة الشيطان وقيل انه لما فارق جبريل حين اختطفه الرفرف خشى ان يكون ذلك الاخذ مؤديا الى الهلاك وخاف من مكر الله به وشك فيما يؤول اليه امره فلما جاءه الله وقال له لهدأ روعك علم ان الله انما اراد تقريبه والانعام التام عليه فزال شكه وانشرح صدره وثلج قلبه ببرد اليقين وحصول مراتب التمكين والافطاهره لا يليق بمقامه (قال القاضى ابو الفضل) عياض المؤلف رضى الله عنه (اعلم ان ما وقع) بفتح الهمزة وتقدم معنى اعلم (من اضافه الدنو والقرب هنا) اى من اسناده (الى الله او من الله تعالى) ووصفه به فالاضافة بالمعنى اللغوى لا الاصطلاحى وقوله هنا اى فى هذه الآيه (فليس بدنو مكان) هو خبر ان المفتوحة وزيدت الفا لان اسمها موصول اى ليس فيه قربا محسوسا بل معنوى (ولا قرب مدى) بزنة فتى فسر بالغاية والنهاية والظاهر ان معناه المكان الممتد كما يقال مدى البصر ومده ولا عبرة بما قيل ان الياء خطأ فانه

ورد في الحديث كما ذكره النووي في شرح مسلم (ثم كما ذكرناه عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته) الابانة بكسر الهمزة بمعنى الاظهار وهو منصوب خبر دنو المبتدأ وتقدم معنى المنزلة والرتبة وانها العلو المعنوي (وتشريف رتبته) بالجر ويجوز رفعه (واشراق انوار معرفته) اى اظهار آثار معرفة الله عليه فيه استعارة مكنية او تشبيه ان كان من قبيل لجين الماء (ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته) اى وقوفه على ما في عالم الملكوت لما هو محجوب عن خلقه الا من خصه الله تعالى باطلاعه عليه (ومن الله تعالى له) اى اما دنو الله اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه بعد العلم بتنزيهه عن الحيز والقرب الحسي فمعناه (مبرة) مفعلة بالفتح بمعنى البر وله معان منها القبول والاحسان (وتأنيس) اى لطف به يذهب استيحاشه لما انقطع عنه الاصوات وغاب اليه وهو جبريل عليه الصلوة والسلام (وبسط) اصل معناه التوسعة قال الله تعالى (ولو بسط الله الرزق لعباده) ومنه البساط ويطلق على المسرة ايضا وليس بمعنى مولد لانه ورد في الحديث فاطمة بضعة مني يبسطني ما يبسطها كما من وذكره ابن قرقول في مطالعه وهو المراد اى تأنيسه بما يسره من مخاطبته بما يسره (واكرام) تحيته وتعظيمه (ويتأول فيه) اى يأول الدنو الوارد في الحديث (ما يتأول في قوله ينزل ربنا الى السماء الدنيا) يعني ان الدنو الواقع في الآية كما ورد مثله في بعض الاحاديث ان اولياء الله تعالى قريبون من الله ليس على ظاهره قربا حسيا بل معنويا باللطف والاكرام وقد تأول بعلم الله سرائرهم وظواهرهم وقدرته على التصرف فيهم وعليه قوله تعالى (ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون) كما اول النزول المسند الى الله تعالى في حديث ابي هريرة رضي الله عنه المتفق على صحته انه صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخير يقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له بالاقبال عليهم بالنعمة واجابة دعائهم ومغفرة ذنوبهم وافاضة مواهبه عليهم وتأويله بنزول ملائكته بعيد هنا وان ذهب اليه بعضهم ويتأول فيهما مبني للمجهول (على احد الوجوه) في تأويله من ان نزوله تعالى انما هو (نزول افضال) تفضل له وانعامه (واجمال) اى فعل جميل بهم على عادته (وقبول) لتوبتهم واستغفارهم (واحسان) بالجود والكرم عليهم وليس المراد انه بتقدير مضاف من مجاز النقص اى نزول احسانه كما قيل فهو تمثيل لسرعة احسانه واخاح طالبه وارادة لطفه وانالته عن قربه كمنزلة ممام عال حتى انه قد ينزل اليه اذا سمع نداءه فهو استعارة تمثيلية اوفيه تصريحية (وقال الواسطي) المتقدم رحمه (من توهم انه) تعالى وله المثل الاعلى (بنفسه دنا) دنوا حقيقة محسوسا بذاته لا دنو لطف واكرام معنوي مجازي فقد (جعل ثم) بفتح المثلثة وتشديد الميم وقال عنه بناء ايضا كما تكون بها من سوفه حطا بانه لفظا في الوقف

ومعناه هناك واصل وضعها للاشارة الى المكان بعيدا او قريبا على اختلاف فيهما
وقد يتجوز بها عن المعنى ونحوه تشبيها له بالمكان على انه استعارة فيه كما هنا فانه
اشارة للآية والحديث المذكور فيه الدنو والنزول وقوله (مسافة) باعتبار مدلوله
فان جعلت الاشارة له على تقدير انه على حقيقته فلا والمسافة المفازة من السوف
وهو شم التراب والاول وجه قيل للمفازة مسافة لان الدليل يشم ترابها كما حققه الراغب
ولا مسافة لاستحالتها عليه تعالى (بل كلما دنا) احد من المخلوقات بزعمه (بنفسه
من الحق) اى الله تعالى (تدلى) نزل من علو الى اسفل (بعدا) اى ابعده عما قصده
فهو مفعول له او تمييز من نسبة تدلى (يعنى) الواسطى بقوله هنا تدلى بعدا اى كلما
حاول القرب نزل لساحة البعد (عن درك حقيقته) متعلق بمقدر يعنى بعد او بعدا
عن ادراك حقيقته وذاته قال البرهان الحلبي فى حاشيته درك بفتح الدال والراء المهملتين
وضبطه بعضهم باسكان الراء والاشهر هنا الفتح ومعناه الادراك واما الدرك ضد
الدرج فبالفتح لا غير وحكى فيه الوجهان وفيه نظر (اذ لا دنو للحق ولا بعد) بالمعنى
المكانى لاستحالتهما عليه تعالى وما ورد مما يوهمه مأول كما عرفته واما بمعنى حقيقته تكيفهما
فيه خلاف ليس هذا محله ولا وجه لا عراض له هنا (وقوله فكان قاب قوسين او ادنى) بالمعنى
الذى مر بيانه وهذا جواب عن سؤال ودفع لما يتوهم من انه يقتضى قربا حقيقيا او مسافة
كما اشار اليه بقوله (فمن جعل الضمير) المقدر فى قوله تعالى ثم دنا فتدلى (عائدا
الى الله تعالى لا الى جبريل عليه السلام على هذا) التأويل السابق آنفا (كان) الدنو
المذكور (عبارة عن نهاية القرب) اى معبرا به عن غاية القرب المعنوى من عباده
(ولطف المحل) اللطف عبارة عن الامور الخفية وما لا يدرك بالبصر كما فى قوله (وهو
اللطيف الخبير) اى هو عبارة عن دنو معنوى ومنزلة معنوية لا تحس بالابصار (وايضاح
المعرفة) الالهية التى فيها من العلم اللدنى فى حظائر قدسه لمن خصه برفعة المنزلة
من خاص عباده الذين جعلهم محرم اسراره واصبح بالمناه الموهبة افعال
من الوضوح وفى بعض النسخ بالمثناة التحتية مصدر او صحه اصباحا (والاشراف
على الحقيقة) اى الاطلاع عليها واصله من اشرف اذا وقف على شرف
وهو المكان العالى ثم اريد به لازمه من الوقوف والاطلاع كناية او مجازا (من محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كان الدنو المعنى المذكور من نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم (و) يكون الدنو المعنوى (عبارة عن اجابة الرغبة) اى اجابته لمأموله
الذى هو غاية مطلوبه ومرغوبه (وقضاء المطالب) اى اعطائه مطالبه الذى طلبه
منه وفى عطفه على القضاء اشارة الى انه كان من لازم ذلك ثم دنا (واظهار
التحفى) بحاء مهملة وفاء ومعناه حفيه وهو المبالغة فى البر (وانافة المنزلة) بالنون
والفاء بمعنى اعلائها ورفعها (والمرتبة) عطف تفسير (من الله له) متعلق بما وليه

اشارة الى انه كانه فصل وموهبة منه تعالى (ويتأول فيه) بالبناء للمجهول اى يتأول القرب والدنو بتأويل مثل (ماتأول فى قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى على طريق التمثيل والاستعارة فى قوله تعالى (من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتانى يمشى) اى من اطاعنى وسعى فى امتثال اوامرى والمراد انه يمشى مشيا غير بطىء بالهوينا لمقابلته بقوله (اتيته هرولة) وهى المشى والجرى بسرعة والمراد انى اعجل له جزائى واوصل اليه احسانى سريعا وتفسيره بسبقه بجزائى غير صحيح هنا (اى) والتأويل الذى اول به من تقرب الى آخره ومابعده هو (قرب بالاجابة) لدعائه وهو مرفوع خبر لمبتدأ مقدر (والقبول) لتوبته (واتيان بالاحسان وتعجيل بالمأمول) اشارة لمعنى الهرولة وهذا نص حديث قدسى صحيح رواه ابو هريرة رضى الله تعالى عنه اوله قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى من نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار ومن اقترب منى شبرا اقتربت منه ذراعا ومن اقترب منى ذراعا اقتربت منه باعا ومن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه واطيب ومن جاءنى يمشى اتيته هرولة ومن جاءنى يهرول جئته سعيا قالوا معناه سرعة الاجابة والثواب لمن دعاه واطاعه فالقرب تمثيل للتحبب الى الله بالطاعة والعبادة وتفويض اموره وانه يضاعف ثوابه ويزيده بما هو خارج عن القياس وليس فى قوله فى ملأ خير منه دليل على افضلية الملائكة كما سيأتى ان شاء الله تعالى وهذا تأييد لما سبق وتوضيح له فلا يعترض عليه بانه تكرار من غير فائدة ﴿فصل فى ذكر﴾ مايدل على (تفضيله) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى القيامة بخصوص الكرامة) اى بما خصه الله يوم القيامة وفضله به على سائر الانبياء والرسل عليه وعليهم الصلوة والسلام وذكر مايدل على ماعقدله بحديث اسنده المصنف من طريق الترمذى فقال (حدثنا القاضى ابو على) الشهيد المعروف بابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو الفضل) ابن خيرون البناني رحمه الله ايضا (وابو الحسين) بالتصغير وهو المبارك بن عبدالجبار هكذا هو فى اكثر النسخ الصحيحة وفى بعضها ابو الحسن مكبرا والصواب الاول كما ذكره البرهان الحافظ فالحسن ليس بالحسين هنا وهذا الحديث تقدم فى اول الكتاب مسندا الى الترمذى بهذا السند (قالا حدثنا ابو يعلى) بفتح اوله وهو احمد بن عبدالواحد بن محمد بن جعفر المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم فى ترجمته قال (حدثنا السنجى) ابو على الحسن بن محمد بن احمد بن شعبة السنانى ذكره وضبطه قال (حدثنا ابن محبوب) ابو العباس المحبوبى راوى جامع الترمذى عنه قال (حدثنا الترمذى قال حدثنا الحسين ابن يزيد الكوفى) المعروف بابن الطحان اخرج له ابو داود والترمذى وقال

ابو حاتم انه لين توفى سنة اربع واربعين ومائتين وترجمته فى الميزان قال (حدثنا عبدالسلام بن حرب) النهدى روى عنه اصحاب الكتب الستة وترجمته فى الميزان (عن ليث) بن ابى سليم بالتصغير القرشى الكوفى العابد الزاهد وفيه ضعف يسير لسوء حفظه توفى سنة ثمان وثلاثين ومائة (عن الربيع بن انس عن انس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا) اى خرجوا من قبورهم الى المحشر لانه صلى الله عليه وسلم رأسهم وقائدهم فيبعث قبل موسى وسائر الرسل كما سيأتى وهذا الحديث انفرد به الترمذى وقال انه حسن غريب (وانا خطيبهم اذا وفدوا) اى قدموا على الله وقاموا بين يديه للحساب واصل الوفد الجماعة تقدم الى من لهم فيه رجاء وعنده قضاء امورهم وعطاياهم ولما كان صلى الله عليه وسلم هو الشفيع المشفع فى المحشر المأذون له فى التكلم وفصل القضاء كان ثمة كالخطيب فى المجمع على نادبهم اذ كان لكل وفد خطيب غالبا وهذا انسب هنا من قوله امامهم لا لانه لا تكليف ثمة كما يوهم وفيه دليل على افضليته صلى الله عليه وسلم وانه لم يدهش لهول المحشر (وانا مبشرهم) بالخلاص من المحشر وطول موقفه (اذا ايسوا) من النجاة من شدة ذلك اليوم وهوله اذا ازفت الآزفة وبلغت القلوب الحناجر والاياس بتقديم الهمزة القنوط من رحمة الله وروى يئسوا بتقديم الياء على الهمزة وهما لغتان ورواياتان (لواء الحمد بيدى) يوم القيمة ليعرفه صلى الله تعالى عليه وسلم ويتبعه كل من فى الموقف واللواء معروف وهو لواء حقيقى سمى لواء الحمد لانه حمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره او لحمد الناس كلهم له ويجوز ان يكون كناية عن شهرته وتقدمه كقوله

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

فهو اشارة لتقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم وعظمته وكثرة حمده وامته الحمادون وهو احمد ومحمد وتقدم الكلام عليه واللواء والعلم والراية والبند متقاربة معنى لكن اللواء اكبرها وروى الطبرى ان لواء الحمد يحمله على كرم الله وجهه بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم ولعل الاختلاف باعتبار مواطن الحمد فلا مخالفة بينهما (وانا اكرم ولد آدم على ربى) اى اشرفهم ذاتا وصفة واقربهم منزلة والكرم صفة تجمع كل خير وان اختص عرفا بالسخاء وهذا تحدث بنعمة الله تعالى واظهار لما يجب اعتقاده وفى نسخة على ربه والضمير لاكرم او آدم والرواية الصحيحة الاولى والولد صفة مشبهة بمعنى المولود تطلق على الواحد وغيره كما مر (ولا فخر) جملة حالية مؤكدة اى انا لا اذكر ذلك للفخر بل لاتحدث بنعم الله او لا افخر بهذا اذ لى عند الله ما هو اعظم واشرف من هذا مع اني لم اناله بسعي واجتهاد فمن وخبر لا محذوف اى فيه او عندى ونحوه والفخر الافتخار والتبجح بالامر بان يذكره اظهارا لعلوه على غيره (وفى رواية ابن زحر عن الربيع بن انس فى لفظ هذا الحديث)

وزخر بفتح الزاي المعجمة وسكون الخاء ثم راء مهملتين وهو عبد الله بن زخر الافريقي العابد واصل معنى الزخر الصوت والانين ومنه الزحير للمرض المعروف في الامعاء والعامة تغلط فيه وتقول زحل باللام وروى عنه اصحاب السنن وله ترجمة في الميزان واخرج له البخاري في الادب وفي روايته زيادة ومغايرة في اللفظ على الرواية السابقة وهي ظاهرة وفي الاصل بخطه وفي رواية ابن زخر والربيع بن انس وفي رواية الحرفي عنه عن الربيع عن انس وعلى كلا الوجهين المروي عنه انس بن مالك رضي الله تعالى عنه كما قاله التلمساني (انا اول الناس خروجا اذا بعثوا) كما تقدم (وانا قائدهم اذا وفدوا) القائد في الاصل الذي يقود الدابة بزمام ونحوه ثم صار حقيقة في الرئيس الذي يتبعه الناس ويرتضونه وفي امر الحروب وجمعه قادة وتقدم معنى الوفد وان المراد به القادمون للمحشر فالمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم مقدم ثمة حسا ومعنى (وانا خطيبهم اذا انصتوا) اي انا المتكلم عنهم بين يدي ربي في امرهم والشفاعة لهم وقد سكتوا ولم يطيقوا نطقا لحيرتهم والانصات والسكوت بمعنى (وانا شفيعهم اذا احبسوا) في الموقف واضطربوا وفزعوا للانبياء عليهم الصلوة والسلام فقال كل منهم نفسي نفسي فيشفع لهم صلى الله تعالى عليه وسلم الشفاعة العظمى في فصل القضاء (وانا مبشرهم) بالخلاص من هول الموقف والحبس فيه (اذا ابلسوا) انقطعت حجتهم وتحيروا وسكتوا ليأسهم من النجاة وقيل الابلاس الحيرة والندم ومنه ابليس (لواء الكرم بيدي) قريب مما مر لفظا ومعنى (وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم) في الجنة من الحور العين (كانهم لؤلؤ مكنون) رواه الترمذي وصححه ومكنون بمعنى محفوظ مستور لم تمسسه الايدي فهو كناية عن كونها كثيرا ذات بهاء بحسب رؤيتها (وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) في حديث رواه الترمذي وصححه (واكسى حلة من حلل الجنة) اصل معنى الحلة ثوبان من برود اليمن واحدا فوق واحد ثم اطلق على كل لباس فاخر يعطى زيادة الانسة فيه دلالة على قربه صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته اذ كسي وجميع الناس عراة وحفاة (ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري) ذلك في محل نصب على الظرفية وفي مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم في جانب اليمين في مقام لم يقمه نبي مرسل ولا ملك مقرب من التكريم الدال على عظمة الرب وسماع كلامه وقبول رحمته ما ينبئ عن غاية التشريف والخلائق جمع خليقة وهو اسم جمع بمعنى جماعة من المخلوقين (وعن ابي سعيد) الخدري في حديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه (انا سيد ولد آدم يوم القيمة) ظرف متعلق بسيد وقيده به ليس للتخصيص كما [illegible] بل لانها سيادة مسلمة

له صلى الله تعالى عليه وسلم وهي اشرف من سيادة الدنيا ومن ان الصحيح ان السيد يجوز اطلاقه على الله وعلى غيره والخلاف فيه مشهور على ثلاثة اقوال مشهورة (وبيدي لواء الحمد ولا فخر) تقدم معناه (وما من نبي آدم فمن سواه) بدل من نبي اي جميع الانبياء (الا تحت لوائي) اي تابع لي في القيامة وليس المراد انه تحته حقيقة وعطف فمن بالفاء لانهم بعده من غير فاصلة والمراد الترتيب الرتبي او الحقيقي (وانا اول من تنشق عنه الارض) يوم بعثرة القبور وتنشق بقدرة الله تعالى وفيه اكرامه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا فخر) تقدم معناه (وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) في حديث صحيح رواه مسلم (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة) اي انا اشرفهم واقربهم عند الله في يوم لا يسود فيه غيري كما مر (واول من ينشق عنه القبر) اي قبره الشريف (واول شافع) يشفع للناس في الموقف (واول مشفع) بفتح الفاء المشددة اي اول من يؤذن له في الشفاعة وتقبل شفاعته وتفصيله ما في حديث البخاري يحبس المؤمنون يوم القيمة فيقولون له صلى الله تعالى عليه وسلم استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فاستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء ان يدعني فيقول ارفع رأسك محمد وقل تسمع واشفع تشفع (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) في حديث رواه الترمذي والدارمي (انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر) كما مر (وانا اول شافع) في ازالة هول الموقف (واول مشفع) تقبل شفاعته وتقبل (ولا فخر) لي فخر تكبر وتبجح فيما خصني الله به (وانا اول من يحرك حلق) باب (الجنة) افتح لي ولمن يدخلها بعدي وحلق بفتح الحاء المهملة واللام ويجوز كسر الحاء فيكون بزنة بدر جمع حلقة بسكون اللام وقد تفتح وتكسر وفي القاموس ليس في الكلام حلقة محركة الا جمع حالق وهي لغة ضعيفة والمراد بباب الجنة باب مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم يسمى باب محمد وباب الرحمة وانها ابواب غيره وقيل المراد جميع ابوابها وانه الظاهر والظاهر خلافه (فيفتح لي) بابها (فادخلها) وفي رواية وادخلها بالواو (١) حلها (٢) (ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر) ويفتح بالتحتية والبناء للمجهول والفقراء جمع فقير او فقيرة والضمير للجنة والفاء للتعقيب من غير مهلة في الفتح والدخول والمراد بالفقراء الصابرين وهو شامل للمساكين والفرق بينهما مشهور والخلاف غير خفي وفي هذا دليل على ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر وقيل الغني الشاكر افضل والاول اصح ويدل خبر الفقراء اكثر من الانبياء والاولياء واسبق ابو بكر رضي الله تعالى عنه ماله في سبيل الله ادخل في سابقهم والمحمود منه ما كان مع غنى القلب والنفس فالغنى ليس بكثرة العرض وانما هو غنى النفس وهو كما قيل

غنى النفس ما كفاك عن سد حاجة * فان زاد شيأ عاد ذاك الغنى فقرا

(٢) وقع في نسخ الشرح قوله يدخلها من المتن ط

وفقر النفس ولو مع المال مذموم ولذا استعاذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منه وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم اول من يدخل الجنة لاينافي ماورد في حديث الترمذي من انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بلالا رضي الله تعالى عنه وقال له يابلال بم سبقتني الى الجنة فمادخلتها قط الاسمعت خشخشتك وفي رواية سمعت دق نعلك بين يدي في الجنة فانه كان في رؤياه لافي هذا الدخول اوهو كما قال ابن القيم كان دخوله دخول الخادم والحاجب الذي يتقدم سيده والمطرق في طريق سيده وهو بيان لفضيلة الاذان وانما سأله صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان اعلم به تطييبا لنفسه والمراد بقوله معي ليس المساواة بل التبعية فلايقال لاحاجة لقوله معي في الجنة وهي حاله بعضي المفاوته ﴿ وانا اكرم الاولين والآخرين ولافخر ﴾ المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشرف من جميع الخلق ﴿ وانا اكثر الناس ﴾ اى الانبياء عليهم الصلوة والسلام وكذا روى ايضا ﴿ تبعا ﴾ جمع تابع كخدم جمع خادم يعني ان امته صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر من سائر الامم ويقتضي هذا اكثريته اجره عليهم ويأتي التصريح به وافضليته على كل واحد منهم وعلى جميعهم ايضا كما قررناه في محله ﴿ وعن انس رضي الله تعالى عنه ﴾ كما رواه الشيخان ﴿ انا سيد الناس ﴾ واجلهم واعظمهم ﴿ يوم القيمه ﴾ خصه مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم في الدنيا والآخره لظهوره فيه واختصاصه به ظاهرا من غير منازع ومنكر كما وقع في الدنيا من المشركين وسيأتي تفصيله في كلام المصنف رحمه الله تعالى ﴿ ويدرون لم ذلك ﴾ فيه استفهام مقدر اى اتدرون ماسبب هذه السياده وحذف الاستفهام لقرينة جائز كما صرحوا به ﴿ يجمع الله الاولين والآخرين ﴾ في المحشر ﴿ وذكر حديث الشفاعه ﴾ اى ذكر انس رضي الله عنه هذا الحديث المذكور وفيه الشفاعة بتمامه ولم نذكره هنا لانه سيأتي في الشفاعه وانه اذا كان يوم القيمه ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم عليه الصلوه والسلام ليشفع لهم فيقول لست لها الى ان قال فاقول انا لها انا لها الخ ﴿ وعن ابي هريره رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اطمع ﴾ اى ارجو من الله تعالى طمعا ورجاء حققه له كقوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وتعبيره صلى الله تعالى عليه وسلم بالطمع هضما لنفسه ﴿ ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة ﴾ لان امته صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر الامم واجر اعمالهم له مثله لان من سن سنة حسنة له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة واعمالهم مضاعفه وله صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها ومثل اضعافها وهو اعظمهم مشقه لعموم دعوته وكثره من عاداه وعاند من الكفره مع تحمله وصبره حتى قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم لعلك باخع نفسك ﴿ وفي حديث آخر اما ترضون ﴾ معاشر المسلمين ﴿ ان يكون ابراهيم ﴾ الخليل عليه الصلوة

﴿ والسلام ﴾

والسلام (وعيسى) عليه الصلوة والسلام (كلمة الله فيكم) اى محسوبان من جملتكم ومحشوران معكم (يوم القيمة) فيعدان من امتى وخصهما بالذكر لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام اشرف الانبياء بعد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابو الانبياء وابو اسمعيل عليهما الصلوة والسلام الذى كان العرب تزعم انهم على ملته ولان عيسى يبعث آخر الزمان على دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويغير احكام النصرانية واما اداة استفتاح كالا او مركبة من همزة الاستفهام وما النافية والمعنى واحد (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (انهما فى امتى يوم القيمة) اى يعدان منهم (اما ابراهيم فيقول) له صلى الله تعالى عليه وسلم (انت دعوتى وذريتى) اما دعوته فقوله (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك الخ) فجعل عين الدعوة مبالغة اى انت من جعله الله منهم باجابة دعوتى والذرية النسل والولد يطلق على الواحد وغيره ولا شبهة فى انه صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل ولده اسمعيل عليه الصلوة والسلام ولم يبعث فيهم نبى سواه فهو المجاب دعوته (واما عيسى) اى كونه تابعا له صلى الله تعالى عليه وسلم وفى جملة امته يوم القيمة (فالانبياء كلهم اخوة) اى كالاخوة فى اتحاد امورهم مع الله تعالى ومع الخلق والاخوة اما لاب وام وتقال لهم بنو الاعيان او لاب فقط وهم بنو العلات او لام وهم بنو الاخياف ولذا قال (بنو علات) المراد بالعلات الزوجات الضرائر وهو من العلل وهو الشرب مرة بعد مرة والشرب الاول يسمى نهلا فكان الزوجات موارد للزوج اوكان الاولاد متسابقين محامية فى الرضاع وهذا اقرب والى هذا اشار بقوله (امهاتهم شتى) وامهات جمع ام واصلها امهة ولذا جمع على امهات وصغر على اميهة وقيل انه فى الاصل بمضاعف لقولهم امات وامية وقيل اكثر ما يقال امات فى البهائم ونحوها وامهات فى الانسان وهو يطلق على الام الفرسية والعددية وشتى من الشتات وهو التفرق جمع شتيت كمرضى ومريض اى مختلفة فى الذوات والنسب وشبه الدين والعقيدة الحقة التى هى سبب لقائهم بالاب ... لاتحاد اعتقادهم ومعرفة ربهم على طريقة الاستعارة واثبت لهم الاخوة ... وكونه بنو علات ترشيح ولنسبة الاستعارة تحقيقه كما يوهم وشبه فروع الشرائع والاحكام بالامهات فى خطئهم وتعددهم فهو استعارة مستقلة محققة او ترشيح بناء على جواز التجوز فيه والحاصل انهم صلى الله عليهم وسلم بعثوا متفقين فى اصول التوحيد مختلفين فى فروع الشرائع وقيل اراد انهم فى ازمان متباينة والاول اولى (وان عيسى اخى) بكسر همزة ان واقيم الظاهر فيه مقام الضمير والاخوة بمعنى المشابهة فى الرسالة والصفات الحميدة (ليس بينى وبينه نبى) لانه لم يبعث فى الفترة التى كانت بينهما احد من الانبياء

(و) لما بينهما من المناسبة والقرب زمانا ومعنى كان (أولى الناس به) وهو افعل تفضيل من الولاء والتوالي وهو عدم الفاصل بين الشيئين ثم صار عبارة عن القرب فيقال اولى بمعنى احق واقرب من حيث المكان او الزمان او النسب او الدين كما ذكره الراغب وهو المراد هنا وهذا من حديث رواه البخاري ومسلم وهو انا اولى الناس بعيسى ابن مريم في الاولى والآخرة الانبياء بنو علات امهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيني وبينه نبي وهو حديث صحيح روي من طرق فعلم ان ما ذكره الراغب والزمخشري وابن عربي في فصوصه من انه كان بينهما نبي اسمه خالد بن سنان كان هو وقومه ببلدة فخرجت نار عظيمة من مغارة اهلكت الزرع والضرع فالتجأ قومه اليه فاخذ خالد يضرب تلك النار بعصاه حتى رجعت هاربة الى المغارة التي خرجت منها فقال لقومه انا ادخل خلفها المغارة حتى اطفئها وامرهم ان يدعوه بعد ثلاثة ايام تامة فانهم ان نادوه قبلها يخرج ويموت وان صبروا اخرج اليهم سالما فلم يصبروا ونادوه في اليوم الثاني فخرج وقال لهم اضعتموني واضعتم امري وامرهم ان يدفنوه اربعين يوما ينظرون فيها فاذا جاء اليهم قطيع غنم تقدمه حمار مقطوع الذنب فاذا حاذى قبره نبشوه فيقوم ويخبرهم باحوال البرزخ وما عاينه يقينا فالهام المعاد كما قال هم مؤمنوا قومه ان ينبشوا قبره فأبى اولاده خوف العار وان يقال لهم اولاد المنبوش فحملتهم الحمية الجاهلية على ان ضيعوه فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءته ابنته فقال لها مرحبا بابنة نبي اضاعه قومه غير صحيح وما قيل من ان المراد نبي ذي مشرع مبلغ للاحكام تأباه لفظ الحديث فان النبي اعم ولو كان كما ذكر لقال انه رسول واحسن منه ان يقال انه كان مستعدا للنبوة ولم يرز ذلك وكذا ما نقل انه كان بينه وبينه غيره كلقمان وشمعان فانه لا يعارض حديث الصحيحين كما ذكره الحافظ ابن حجر والبرهان وغيرهما واعلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما خص هذين بالذكر لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام ابو الانبياء عليهم الصلوة والسلام واسمعيل كان على شريعته والعرب يزعمون انهم على ملته وعيسى عليه الصلوة والسلام قريب العهد وينتصر من امته جمعه وهذا لا ينافي قوله تعالى (ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا) كما يتوهم لان المأمور به اتباعه في التوحيد والعقائد دون غيرها من الاحكام وليس المراد تقليده بل مراده انه موافق له فتأمل (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في الاحاديث السابقة (انا سيد الناس يوم القيمة) جواب عن سؤال مقدر وهو لم خص سيادته صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك اليوم وهي غير مخصوصة به (وهو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة) بل سيد جميع المخلوقات والجملة حالية (ولكن اشار) عليه الصلوة والسلام بقوله هذا كما تقدم (لانفراده) عن غيره (فيه بالسؤدد والشفاعة) الا طمى الدال

على عظمة قدره عند الله (دون غيره) من الرسل والملائكة المقربين والسودد بضم السين المهملة وفتح الدال الاولى وقد تضم وبهمز الواو لضم ما قبلها وهي لغة طي بمعنى السيادة وسيد وزنه فيعل او فعيل ودلالة الثانية للالحاق (اذ لجأ الناس اليه) اي التجأوا واستندوا للتوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم (في ذلك) الوقت او ذلك الامر وهو تعليل لما قبله (فلم يجدوا سواه) صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم ويخلصهم مما هم فيه من الكرب الذي لا يطيق غيره دفعه (والسند) معناه لغة (هو الذي يلجأ الناس اليه في حوائجهم) اي يعتمدون عليه اذا قصدوه لقضاء مصالحهم فلذا وقع هنا موقعه اذ المعنى انا من تقضى حوائج جميع الناس في الموقف ومن هذا ظهر للتخصيص وجه آخر الا ان هذا تفسير له بلازم معناه لان معناه من يتبعه جماعة قومه وسواده والحوائج جمع حاجة على خلاف القياس او مفرده حائجة مقدر او نادر وقد ورد في الاحاديث وكلام العرب كثيرا فصيحا فلا وجه لمن انكره كالحريري وقد شنع عليه ابن بري وانشد له شواهد كثيرة وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب قضاء الحاجة وهو دأبه في الدنيا والآخرة ولله در الصرصري في قوله

الا يا رسول الاله الذي * هدانا به الله في كل تيه
سمعت حديثا من المسندات * يسر فؤاد النبيل النبيه
وانك قد قلت فيه اطلبوا * الحوائج عند حسان الوجوه
ولم ار احسن من وجهك * الكريم فجد لي بما ارتجيه

(فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (حينئذ) اي في وقت التجائهم اليه (سيدا منفردا من) سائر (البشر) اي منفردا عن جميع الناس حتى الانبياء عليهم الصلوة والسلام بهذه السيادة (لم يزاحمه احد في ذلك) اي لم يشاركه احد في كونه ملجأ للناس واصل معنى المزاحمة المدافعة (ولا ادعاه) لانكشاف الامر يوم القيمة حتى لا يمكن احدا ان يدعي ما ليس فيه (كما قال تعالى لمن الملك اليوم) يعني انه تعالى يقول يوم القيمة لمن الملك في هذا اليوم او ينادي به منادي على رؤس الاشهاد فلا يجيبه احد فيجيب نفسه بقوله (لله الواحد القهار) اي الملك مخصوص به او يقول اهل الموقف يعني ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم اليوم كقوله تعالى (لمن الملك اليوم) ووجه الشبه انه خص الملك بذلك اليوم كما خص رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم سيادته به (والملك له تعالى في الدنيا والآخرة لكن) انما خصصه بملك هذا لانه (في الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا) متعلق بالمدعين ان ملوك الدنيا لما تصرفوا فيها تصرف الملاك بتقديره تعالى ذلك لهم وتفضله عليهم ظنوا ان لهم ملكا حقيقة فلما قهرهم بالموت وكشف الغطاء ظهر انهم عبيد عاجزون ليس لهم من الامر شيء فانقطعت الدعاوى (وكذلك)

اى مثل كونه تعالى منفردا بالملك وظهوره حين انقطعت الدعاوى وتفرده صلى الله تعالى عليه وسلم حتى (لجأ الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الناس فى الشفاعة) العظمى المعهودة (فكان سيدهم فى الاخرى) اى الآخرة لانه يقال انها اخرى وآخرة وفى نسخة فى الآخرة (دون دعوى) من احد من اهل الموقف انه سيد لعدم المنازع والمدافع (وعن انس رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح رواه مسلم (آتى) بمد الهمزة (باب الجنة يوم القيمة فاستفتح) اى اطلب الفتح بتحريك الحلقة (فيقول الخازن) اى بواب الجنة الموكل بها والمراد به رضوان رئيس خزنتها لانه ورد التصريح بان انها خزنة (من انت فاقول) انا (محمد فيقول بك امرت) اى بسببك امرت بالفتح اذا قرع الباب وتقديم الجار والمجرور للحصر بالنسبة لاول الفتح كما اشار اليه بقوله (ان لا افتح لاحد قبلك) والجملة مستأنفة لبيان ما امر به وقيل انه بدل مما قبله اى امرت بان لا افتح لاحد قبلك وانما فتح له قبل كل احد لسبق روحه صلى الله تعالى عليه وسلم لقوته وسبق درته فى الاجابة على سائر الذرات وفيه اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر الناس عملا واعتقادا وافضلهم لقوله تعالى (وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون) (وعن عبد الله بن عمرو) ابن العاص حديث رواه الشيخان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوضى مسيرة شهر) اى مسافة كل جانب منه مقدار شهر والحوض مجمع الماء وهو معروف وهذا الحوض العظيم مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم كما صرح به القرطبى فى شرح مسلم وورد فى حديث مرفوع رواه الترمذى ان لكل نبى حوضا ترده امته وروى انه صلى الله عليه وسلم له حوضان احدهما فى ارض الموقف والآخر بعد الصراط له ميزابان من الكوثر وقوله (وزواياه سواء) يدل على انه مربع (وماؤه ابيض من الورق) بفتح الواو وفتح الراء المهملة وكسرها وسكونها الفضة مطلقا او ماضرب منها وفى نسخة من اللبن وابيض افعل تفضيل من البياض ضد السواد وقد سمع من العرب وورد فى الحديث الا ان صاحب القاموس قال انه شاذ وعلى الاول فلا وجه لاطلاق بعض النحاة انه لا يبنى افعل من الالوان ومن العيوب وانما يقال اشد بياضا وابلغ ونحوه (وريحه اطيب من المسك) الريح كالرائحة ما يشم وتطلق على الهواء وهو الاشهر ونحوز ارادته ايضا لان الهواء اذا نكيف بكيفية طيبة كان طيبا ايضا (كيزانه كنجوم السماء) كثرة واشراقا وكونها اكثر من النجوم حقيقة لامانع منه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث والذى نفسى بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء انما اكده بالقسم وقيل المراد المبالغة والكيزان جمع كوز وهو اناء صغير يتناول به الماء للشرب والاصل انه اناء صغير له عروة فان لم يكن له عروة فهو كوب وجمعه اكواب كما تقدم فان كان

فيه شراب فهو كأس (من شرب منه شربة لم يظمأ ابدا) اى لم يعطش بعده ابدا وروى لن يظمأ ولا يظمأ ولا كلام فيه واما هذه الرواية فاستشكلت بان لم لنفي الماضي والمراد هنا نفي الظمأ في المستقبل بدليل قوله ابدا المفيده لاستغراق المستقبل واجيب بان المراد نفي الماضي كأنه لم يذق ظمأ في الماضي لشدة اللذة التي انسته ماقبلها واما ابدا فانها تكون للماضي ايضا كما في التسهيل * اقول هذا تعسف فالحق انها لنفي المستقبل بقرينة قوله ابدا وهي ترد كذلك اذا قرنت بالشرط نحو ان لم تحسن لي غدا كان كذا وهو كثير في كلامهم ومن هنا شرطية اوفي معناها فهذا سهو من قائله ويظمأ مهموز ساكن الهمزة ويجوز ابدالها الفا وقيل ان لذة المشروب انما تكون بالاشتهاء وهو انما يكون لمن عطش واهل الجنة يعمون في المأكل والمشرب واجيب بان المراد انه لا يشتد عطشه وليس لشيء لانه قد شرب بدون عطش للتلذذ كما يشاهد في خمور الدنيا وروى من شرب بالرفع على ان من موصولة ومجزوما على انها شرطية كما تقرر (وعن ابى ذر رضي الله تعالى عنه) حديث بن جنادة (نحوه) اى روى عنه ماهو بمعناه اوقريب منه وان لم يكن مثله (وقال) زيادة على ما مر في روايته (طوله مابين عمان الى ايلة) اى طول الحوض كطول مابين هاتين البلدتين وعمان بضم العين وفتح الميم المخففة وبفتح العين وتشديد الميم وهو المروى في حديث الحوض قرية بالشام وحكى فيه التخفيف ايضا وهو المراد والتى باليمن بالضم والتخفيف لاغير وقيل انها المرادة هنا لرواية مابين بصرى وصنعاء والمراد زيادة الطول فلا تعارض الروايات وايلة بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية ولام وهاء بلدة بالشام بساحل البحر بين طيبة ودمشق وقيل غير ذلك وهى سميت بعمان بن لوط لانه سكنها وقيل نعمان بن سنان من ولد ابراهيم عليه الصلوة والسلام (يشخب فيه ميزابان من الجنة) بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الشين وضم الخاء المعجمتين وفتحها وموحدة ومعناه انه ينصب مع صوت وروى يغت بغين معجمة مضمومة ومثناة فوقية ومعناه سوالي صبه وروى ابن ماهان يعب بعين مهملة وموحدة ومعناه يتفجر ماؤه واصل الشخب مايخرج من الضرع عند الحلب والميزاب بكسر الميم وهمزه ساكنة وتبدل ياء مسيل الماء (وعن ثوبان مثله) اى مثل حديث ابى ذر (وقال) اى ثوبان عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (احدهما) اى احد الميزابين (من ذهب والاخر من ورق) اى فضة (وفى رواية حارثة بن وهب) الخزاعي الصحابي المعروف رضي الله عنه واخرج له اصحاب الكتب الستة (كما بين المدينة وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء) هي بصاد وعين مهملتين ممدودة باليمن والتى بالشام قرية على خلاف القياس وبينها وبين المدينة مسيرة شهر والمراد عظمه فالروايات كلها بمعنى وبقرب دمشق قرية تسمى صنعاء ايضا

(وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) فى حديث رواه الشيخان (كما بين الكوفة) مدينة العراق المشهورة (والحجر الاسود) والروايات متحدة كاعرفته فانها تقريبية لاتحديدية فخاطب صلى الله تعالى عليه وسلم كلا بما يعرفه ولا حاجة الى ان يقال انه وقع الخطاب به عند الحجر الاسود كما قيل واصل معنى الكوفة رمل مستدير او حجارة بيض فسمى بها ثم شرع المصنف رحمه الله فى بيان هذا الحديث روى من طرق كثيرة دالة على صحته وانه على ظاهره ولذا ذهب المصنف رحمه الله تعالى الى انه متواتر فقال (وروى حديث الحوض ايضا) كالروايات المقدمة (انس) بن مالك الانصارى الصحابى خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رواه عنه مسلم من غير الطرق المتقدمة فلا يقال انه تقدمت روايته وايضا تقتضى مغايرته ماتقدم (وجابر بن سمرة) بفتح فضم ابن جنادة الصحابى السوائى وما فى بعض النسخ هنا وفى اول الشفاء جابر وسمرة قال البرهان صوابه جابر بن سمرة وكذا هو على الصواب فى النسخ المكتوب عليها صح فان صحت الرواية الاخرى فالحديث رواه جابر بن عبد الله وسمرة الا ان رواية جابر بن عبد الله فى مسند احمد واما رواية سمرة فلم اقف عليها فالثابت رواية بن سمرة كما فى مسلم وغيره (وابن عمر وعقبة) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب الصحابى احد العبادلة وعقبة وهو ابن عامر الصحابى المشهور الجهنى (وحارثة بن وهب الخزاعى) الصحابى المنسوب لخزاعة قبيلة معروفة (والمستورد) بفتح اسم الفاعل ابن شداد الفهرى نزيل مكة ثم مصر الصحابى (وابو برزة الاسلمى) نضلة بن عبد الله الصحابى الامام الجليل وبرزة بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وزاى معجمة بعدها هاء توفى سنة ستين او اربع وستين وحديثه فى الصحيح والترمذى واسلم قبيلة معروفة (وحذيفة بن اليمان) العبسى الاشهلى الصحابى صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحديثه رواه مسلم وابن ماجه (وابو امامة) بن صدى بن عجلان الباهلى الصحابى وحديثه اخرجه الطبرانى وامامة بضم الهمزة (وزيد بن ارقم) الخزرجى الصحابى المشهور وحديثه اخرجه ابن حنبل والحاكم وصححه (وابن مسعود) الصحابى المشهور وحديثه اخرجه الشيخان (وعبد الله بن زيد) الصحابى الذى ارى الاذان فى منامه كما مر وحديثه اخرجه الشيخان ايضا (وسهل بن سعد) الصحابى (الساعدى) منسوب لساعدة وبنو ساعدة قوم من الخزرج واليه تنسب السقيفة التى كانت فيها بيعة ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (وسويد بن جبلة) بفتحات وهو سويد بن جبلة الفزارى قيل لم تصح صحبته فحديثه مرسل وقيل انه صحابى ولم يروعنه الا حديث واحد وقيل لعله سويد بن عقلة ولهم سويد بن عامر وهذا الحديث عنه فى سنن البيهقى والاولى تأخيره للاختلاف فى صحبته (وابو سعيد الخدرى) الصحابى المشهور وقد تقدم (وعبد الله الصنابحى) بضم الصاد المهملة وفتح النون والف بعدها باء موحدة

مكسوره وحاء مهمله وباء نسبه صحابي وقيل نسب لجده صنابح واسمه عبد الله وقيل ابو عبد الله وقيل ابو عمرو وقيل انه منسوب لصنابح ابن بطن من العرب وفي الشرح الجديد لم اقف على من نسب لهذا البطن من الصحابه سوى عسال الصنابحي وآخر اسمه صنابح بن الاعسر فلعله نسب لجده وفي التابعين عبد الرحمن بن عسيله الصنابحي فلعله التبس على القاضي وقال صوابه الصنابح (وابو هريرة) وحديثه في الصحيحين (والبراء) بن عازب وحديثه في الصحيحين ايضا (وجندب) عبد الله بن سفيان البجلي الصحابي وهو بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهمله وضمها وفي الصحابه من يسمى جندب غيره ولكنه عند الاطلاق فالمراد هذا (وعائشه) ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها (واسماء ابنة ابي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنهم والحديث في الصحيحين وفي بعض النسخ (وابو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريده) مصغر بردة وابن بريده اسمان سليمان وعبد الله قاضي مرو وعالمها وهما تابعيان فلا ينبغي ذكرهما هنا مع الصحابه وفي مسند احمد روايه حديث الحوض عن عبد الله بن بريدة وقال حديث بها جني قال البرهان لعل القاضي اراد ابن بريده هذا اوقال بريده فزيد عليه ابن ولم ار لبريده بن الحصيب حديثا في الحوض في الكتب السته ومسند احمد وله ذكر في مسند البزار (وابو بكره) وهو نفيع بن الحارث كناه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بها لانه تدلى ببكره من حصن الطائف لما منع من الخروج (وخوله بنت قيس) بن فهد بن قيس الانصاريه البخاريه الصحابيه زوجه سيد الشهداء حمزه بن عبد المطلب وحديثها في مسند احمد والطبراني (وغيرهم) من الصحابه وترك المصنف ذكرهم اختصارا فلذا تركناهم اقتداء به وقد تقدم ان المصنف اكثر طرق هذا الحديث قال انه متواتر وقيل تواتره معنوي لقول ابن الصلاح انه لا يكاد يوجد شروطه ﴿فصل في تفضيله﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره من الانبياء (بما) يقتضي (المحبه والخله) كما سيأتي تحقيقه اي بكونه حبيب الله وخليله (جاءت بذلك الآثار الصحيحه) يعني روايه وقد تقدم الكلام على الاثر والحديث وان الاثر يطلق على الحديث مرفوعا كان او موقوفا او غيرهما واما تخصيص الفقهاء الاثر بالموقوف فاصطلاح لهم وما رواه الخطيب في جامعه مرفوعا ما جاء عن الله فهو فريضه وما جاء عني فهو حديث وما جاء عن صحابي فهو سنه وما جاء عن اتباعهم فهو اثر وما جاء عمن دونهم فهو بدعه فهو موضوع كما نص عليه ابن حجر والسخاوي والمحبه من العبد لله ومن الله لعبده كما قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وهذا مما لاخلاف فيه الا ان المحبه ميل القلب لما يلذ به حواسه الباطنه والظاهره ولا يوصف بهذا على الصوره الحقيقيه كمحبه الصالحين والعلماء او غيرهم من ارباب الكمال فهي في حقه تعالى لا يصح بمثل ذلك وبحوه بل هي ارتضاؤه له لاتصافه بالكمال وانقياده لطاعه مولاه وجعله له من طريق الفضل

لامن طريق الانس والراحة وهو الذي تخلله وخشه ولذا قيل انه عبر عن اللطف بالمحبة ومحبة العبد تعظيمه له بمشاهدة صفات كماله ومعاملته لانعامه واحسانه فان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها والخلة صفة الخليل وهو مما يستوى فيه المذكر والمؤنث يقال خل وخليل بين الخلة والخلولة وخليل الله نبيه امام من اصطفاه وخصه بكرامته لتخلقه باخلاق الله لان الخليل من يخاللك اى يوافقك فى خلالك ويسايرك فى طريقك من الخل وهو الطريق فى الرمل او يسد خلتك ومعنى كون الله خليل عبده انه محب له قائم بأموره بحيث لايحوجه لغيره اصلا (واختص صلى الله تعالى عليه وسلم على الالسنة المسلمين بحبيب الله) اى جرى على الالسنة تخصيصه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك دون خليل الله لاطلاقه على ابراهيم عليه الصلوة والسلام وان كان غيره من الانبياء محبوبا لله ايضا ثم استدل على اتصافه صلى الله عليه وسلم بالخلة بحديث رواه مسندا اعنى البخارى فقال (اخبرنا ابو القاسم ابن ابراهيم الخطيب وغيره) هو الامام المقرى خلف بن ابراهيم المعروف بابن النحاس بالخاء المعجمة المشددة ولد سنة سبع وعشرين واربعمائة ومات بقرطبة سنة احدى وعشرين وخمسمائة يوم الثلاثاء سادس عشر صفر والكنية بابى القاسم جائزة بعده صلى الله عليه وسلم على الصحيح كما سيأتى (عن كريمة بنت احمد بن محمد) وفى نسخة بنت محمد وصححها رواية بعض الشراح وفى الاكمال انها كريمة بنت احمد بن محمد ابن حاتم المروزية سمعت صحيح البخارى من الكشميهنى وروت الحديث وحدثت به كثيرا وجاورت بمكة الى ان ماتت قالت (حدثنا ابو هيثم) الكشميهنى وقد تقدم ضبطه وترجمته (وحدثنا حسن بن محمد) بن سكرة (الحافظ) السابق ذكره (سماعا عليه) فهو احد شيوخه وهذا سند وطريق آخر للمصنف فى رواية هذا الحديث وفى نسخة وحدثنا وح تكتب عند الانتقال من سند لآخر اشارة الى التحول كما فصلوه فى مصطلح الحديث قال (حدثنا القاضى ابو الوليد) الباجى الذى نباه سابقا قال (حدثنا عبد بن احمد) عبد بغير اضافة ابو ذر الهروى السابق ذكره قال (حدثنا ابو الهيثم) الكشميهنى السابق فى الطريق الاول قال (حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف) الفربرى الامام الحافظ راوى البخارى المشهور كما تقدم قال (حدثنا محمد بن اسماعيل) هو الامام البخارى صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا محمد بن عبد الله) المعروف بالمسندى والبخارى روى عن اربعة كل منهم اسمه محمد بن عبد الله والمراد هنا هذا كما ذكره الكلاباذى وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان توفى يوم الخميس لست بقين من ذى القعدة سنة تسع وعشرين ومائتين قال (حدثنا ابو عامر) عبد الملك بن عمرو بن قيس العقدى بفتح العين والقاف ودال مهملة وهو محدث بصرى مشهور اخرج له الائمة الستة توفى سنة خمس ومائتين

قال (حدثنا فليح) بضم الفاء وفتح اللام ومثناة تحتية وحاء مهملة ابن سليمان العدوى المدنى اخرج له اصحاب الكتب الستة وهو ثقة وقيل ليس بالقوى توفى سنة ثمان وستين ومائة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا ابو النضر) بالضاد المعجمة الساكنة سالم ابن ابى امية المدنى الثقة راوى انس توفى سنة تسع وعشرين ومائة (عن بسر بن سعيد) بضم الباء الموحدة وسكون السين وراء مهملتين المدنى الزاهد الثقة توفى سنة مائة (عن ابى سعيد) سعيد بن مالك بن سنان الخدرى السابق ترجمته رضى الله تعالى عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر) هذا حديث صحيح رواه البخارى وغيره من طرق متعددة ومفعوله الثانى محذوف تقديره خليلا ولو حرف شرط لامتناع مايليه وهو الشرط فان لم يكن للجزاء سبب غيره لزم من امتناعه امتناعه والا فلا يلزم فامتنع اتخاذه خليلا غير ربه فيلزم امتناع اتخاذ ابى بكر خليلا فالمعنى لا اصل فى محبة احد من الخلق الى مرتبة الخلة فانها مختصة بربى فلو فرض جعلها لاحد كان ابو بكر الحق بها من جميع الخلق لبذل نفسه وماله ووطنه واهله فى طاعته وهذا صريح فى تفضيله على غيره وتقدمه عنده فان كان من الخلة بالضم وهى الصداقة والمحبة التى تخلل باطن القلب فالمعنى ان محبته مقصورة على ربه وان كان من الخلة بالفتح والكسر وهى الحاجة فالمعنى انى ابرؤ من الاعتماد والافتقار الى غير ربى وفى هذا الحديث دلالة على ماعقد له الفصل وهو نعته صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحبة والخلة وقد تقدم ما اتفق عليه المسلمون من المحبة وما هنا دال على الخلة وما قيل من انه كان ينبغى للمصنف ان يذكر حديثا صريحا فى اتخاذ الله خليلا وتقدم ماذكره فى آخر الفصل غنى عن الرد (وفى حديث آخر وان صاحبكم خليل الله) يعنى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التجريد والاحاديث تفيد ان المخاللة من الجانبين اذا كانت بمعنى المحبة لا من الخلة بمعنى الحاجة فان الله غنى عن العالمين (ومن طريق عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه) التى رواها البخارى وغيره (وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا) كما اتخذ ابراهيم عليه الصلوة والسلام ولا يصح ان يراد بصاحبكم ابو بكر كما توهم وفى هذا دلالة على انه من جانب الله فهو دلالة على انه من الجانبين بخلاف ماقبله ولا ينافيه كون ابراهيم عليه الصلوة والسلام خليلا كما سيأتى تحقيقه (وعن ابن عباس رضى الله عنهما) فى رواية الدارمى والترمذى (قال جلس ناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرونه) اى ينتظرون خروجه من بيته لمجلس اصحابه والجملة حال من ناس لوصفه بالجار والمجرور (قال) ابن عباس رضى الله عنهما (فخرج) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى اذا دنى) قرب (منهم سمعهم يتذاكرون) اى يذكر بعضهم لبعض فيتحادثون او يذكر بالتشديد كل منهم من عنده ما نسيه (فسمع) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حديثهم) وفسر هذا الحديث بقوله

(فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا) اى من دون خلقه او اختاره للخلة من بينهم اى تعجب عجبا من هذا والتعجب يكون من امر فيه غرابة ولا اغرب عند من عرف عظمة الله وغناه عن مخلوقاته وان كل شئ من فضله واحسانه استغرب اتخاذه خليلا من عبيده وهو ابراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم فمن ان بدا كان خليلا لانه كان مختصا بذلك فلا وجه لما قيل انه يرد اختصاص ابراهيم بكونه خليلا على مامر (وقال آخر ماذا) اى ليس اتخاذ الله ابراهيم عليه السلام خليلا (باعجب من كلام موسى) حين ناجاه فى الدنيا و (كلمه الله تعالى تكليما) مع انه تعالى فى الدنيا لم يكلم انبياءه الا بواسطة ملك الوحى (وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه) هذه الفاء فصيحة فى جواب شرط مقدر اى اذا ذكرتم خليل الله وكليمه وتعجبتم من ذلك فاذكروا عيسى عليه السلام وكونه كلمة الله وروحه وسمى عيسى كلمة الله لان الله خلقه من دون اب بمجرد قوله كن اولانه بداء الناس كما اهتدوا بكلامه وقال الصدر القونوى فى نفحاته لكل شئ فى عرصة العلم الالهى الازلى مرتبة الحرفية فاذا صبغه الحق صورة الذاتى وذلك تحركه معقولة معنوية بعضها شأن من الشؤن الالهية المعبر عنها بالكتابة تسمى تلك الصورة كلمة فالموجودات كلماته تعالى كما قال تعالى * اليه يصعد الكلم الطيب * اى الارواح الطاهرة انتهى ومعنى روحه انه روح منه بدون واسطة تولد فالاضافة للتشريف (وقال آخر) ممن كان معه (وآدم اصطفاه الله) اى اختاره وجعله صفيه وهذا كله مما يتعجب منه من لاحظ عظمة الربوبية وانه غنى عن العالمين (فخرج النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (عليهم وسلم) لما ذكر قوله فخرج اولا ثم اعادهما وهو مكرر ولا يصح كونه تأكيدا فقيل كرره لبعد عن ما يتعلق به اولا ويحتمل ان يكون الخروج الاول من مكان والثانى من آخر وفيه ان هذا اوهم ان العطف ينافى التأكيد وليس كذلك فان النحاة ذكروا كما فى التسهيل ان التأكيد قد يقرن بالعاطف فالاكثر انه كقوله * كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون * وقد يكون بالفاء وصرح المفسرون بانه قد يعاد اللفظ اذا طال الكلام بتكريره وهنا بحث نفيس وهو ان ما قاله النحاة ينافى ما اتفق عليه اهل المعانى من ان التأكيد لا يصح عطفه لما بينهما من شدة الاتصال ولان العطف يقتضى المغايرة والتأكيد عين المؤكد والعجب انهم لم يتعرضوا لما قاله النحاة والمثله من مسائل الكتاب فان لم يقفوا عليه فهو عجب وان وقفوا عليه واعرضوا خلافه فهو اعجب كما قال

فان كنت لا تدرى فتلك مصيبة * وان كنت تدرى فالمصيبة اعظم

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (قد سمعت كلامكم وعجبكم) اى تعجبكم و قولكم عجبا كما مر فى اول الحديث وقد قيل ان سمعت مضمن معنى ادركت او فيه مقدر عامل فى الثانى اى وعرفت عجبكم على حد قوله قلدته سيفا ورمحا

اى واعطاته ولاحاجة لما ذكر لما قدمناه لك وقوله (ان الله اتخذ ابراهيم خليلا)
وقد صحح فى النسخ المقروءة فتح همزة ان فهو بدل وفى الشرح الجديد يجوز ان يكون
جملة مستأنفة كأن سائلا سأل ماكلامهم وماتعجبوا منه فاجابهم بقوله ان الله الخ
وان يكون مقول قول محذوف وهو مقتضى ان انّ مكسورة الهمزة (وهو كذلك)
اى اتخذه خليلا (وموسى نجى الله) اى كلمه والمناجاة المكالمة واصل معناها
ان تخلو بخوه من الارض لتسارغيره ثم ساغ فيما ذكر وقيل اصلها من النجاة فمعناه
ان تكلمه بما فيه خلاصه (وهو كذلك) اى هو نجى الله وكليمه فما ذكره واقع (وعيسى
روح الله وهو كذلك) اى هو روح الله كما علم وتقدم بيانه وان الاضافة للتشريف
اوهو بمعنى رحمة الله (وآدم اصطفاه الله وهو كذلك) كما علم فان الله اصطفاه
واختاره للنبوة والخصائص الروحانية وكونه ابا البشر (الاوانا حبيب الله) الا بفتح
الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح تؤكد به الكلام المستأنف فتحقق مابعده
نحو (الا ان اولياء الله لاخوف عليهم) وتدخل على الجملتين ودخولها هنا
على العاطف لتحقيق اختصاصه بكونه حبيب الله واشارة الى ان هذه الصفة
اعلى درجة مما لهم اى من محب بما وصف به الانبياء قبلى فانا موصوف بما هو احب
واعلى وهو كونى حبيب الله اى محبوب له فانه فعيل بمعنى مفعول وماقيل من انه
من القول بالموجب البديعى كقوله تعالى (ليخرجن الاعز منها الاذل * ولله العزة
ولرسوله) فانه سلم لهم اخراج الاذل بمعنى غير الذى ارادوه فانهم ارادوا بالاعز
غير المؤمنين وبالاذل المؤمنين فعكسه عليهم وهو على ضربين كما تقرر فى علم المعانى
غير صحيح لانهم لم يقصدوا تفضيلهم على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقصد
الرد عليهم حتى يقال انه من هذا القبيل باعتبار نفى لازمه ولذا قال التلمسانى انه
قريب من القول بالموجب لانه قرر اولا ماذكروه من فضائلهم بقوله هو كذلك
ثم نبه على انه افضل منهم كلهم وقوله (ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر
وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى)
تقدم شرحه فى حديث آخر (ويدخلنيها) بضم المثناة التحتية والضمير الثانى
للجنة ويجوز فيه الفصل والوصل خلافا لسيبويه للزوم الفصل عنده كقوله ان الله
ملككم اياهم (ومعى فقراء المؤمنين) اكراما لهم وفيه اشارة الى ان الفقير الصابر
افضل من الغنى الشاكر كما مر والجملة حالية (ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين
ولا فخر وفى حديث ابى هريرة) الذى رواه البيهقى وصححه (من قول الله تعالى)
وفى نسخة فى قول الله والاصح رواية بلفظ من (انه صلى الله عليه وسلم اى
احدثك خليلا) كما تقدم (فهو مكتوب فى التورية انت حبيب الرحمن) قال السمنى
انه وقع هكذا فى النسخ المعتمدة من الشفاء بهمزة مفتوحة وسين مهملة ساكنة

وباء موحده وهى هكذا وفى نسخة المصنف المبيضة المروية عنه وصححها بعضهم وكتب اب وهى لفظة عبرانية بمعنى اب وقال الدلجى ان بعد السنين تاء مثناة فوقية وفسره بابت وعبر الشمنى بقوله بعد السين حرة اى مدة حطابه فلم يبينها لشكه فيها قيل حاصله انه نبه لنا ما صلى الله تعالى عليه وسلم وصف المحبة من غير مشاركة فيها والخلة التى شاركه فيها ابراهيم عليه الصلوة والسلام وقد اثبتها صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه فى آخر خطبة خطبها قبل وفاته بخمسة ايام فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه عن اسمه انه قدكان لى فيكم اخوة واصدقاء وانى ابرؤ الى الله ان اتخذ احدا منكم خليلا ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابابكر خليلا ان الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا او بيت الارحمة مفاتيح خزائن الارض والسماء وهو تعريض منه صلى الله تعالى عليه وسلم باعلى مقامه واكمل حالاته ومن خلته وخلة ابراهيم عليه الصلوة والسلام فرق لان خلته حقيقة اصلية وخلة ابراهيم مستعارة من خلة الذاتية ولذا قال ابراهيم فى حديث الشفاعة انما كنت خليلا من وراء وراء فالخليل غيره وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اسمى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم مخصوص بالمحبة وبالخلة الحقيقية من والا فقد قال تعالى ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ ولكل صفة مراتب فهو صلى الله تعالى عليه وسلم مخصوص باعلاها وسنأتى تتمته قريبا ﴿ قال القاضى ابو الفضل وفقه الله تعالى ﴾ هو عياض المصنف ﴿ اختلف ﴾ بالبناء للمجهول اى اختلف العلماء ﴿ فى تفسير الخلة ﴾ وبيان معناها ﴿ واصل اشتقاقها ﴾ بيان لمحل الخلاف ومنشأه وفى قواعد الطوفى الاشتقاق اقتطاع لفظ من اصل يوافقه فى حروفه الاصول كضارب من الضرب والاشتقاق الاكبر رد تراكيب المادة الواحدة المختلفة الى معنى واحد مشترك بينهما وقد يكون ظاهرا فى بعضها خفيا فى البعض فيحتاج فى رده الى ذلك المعنى الى تلطف فى معرفة المناسبات انتهى وتفسير اقسام الاشتقاق وتحقيقه مذكور فى كتب ابن جنى كالخصائص وغيرها ﴿ فقيل الخليل المذكور هنا ﴾ ﴿ المنقطع الى الله ﴾ اى الذى قطع رجاءه واعتماده عما عدا الله ﴿ الذى ليس فى انقطاعه اليه ومحبته له اختلال ﴾ اى خلل ونقص يحتاج لجبر وتكميل لخلوصه فيه وبقائه الذى لا يحل اصلا ونحو ماقاله الامام الراغب انه يقال خلل الثوب بالخلال والرمية بالسهم ادخله فيه والخلة بالضم الطرائق فى الرمل وبالفتح الاختلال العارض للنفس لشهوتها او لحاجتها اليه ولذا فسرت الخلة بالحاجة والخصلة والمودة لانها تخلل النفس اى توسطها او تؤثرها تأثير السهم فى الرمية او لفرط الحاجة وابراهيم عليه الصلوة والسلام خليل لافتقاره الى الله وقيل

من الحلة واستعمالها كاستعمال المحبة وقال ابو القاسم الناجي هو من الحلة بالفتح لامن الخلة بالضم ومن قاسه بالحب فقد اخطأ لانه تعالى لايجوز ان يحب عبده فان محبته الشاء منه ولايجوز ان يخاله وهذا منه تشبه فان الحلة من تخلل الود نفسه ومخالطته ولذا يقال تمازج روحاهما والمحبة بلوغ الود حبة القلب يقال حببته اذا اصبت حبة قلبه فاذا استعملت في الله اريد مجرد الاحسان وكذا الخلة فيجوز في احدهما كما يجوز في الآخر فاما ان يراد بالمحبة بلوغ حبة القلب وبالخلة تخلل الخلل فحاشا الله عنه انتهى وفي كلام المصنف رحمه الله تعالى دلالة على ان الخلة تستلزم المحبة ومن تفسيره للخليل بعلم معنى الخلة التي هي مأخذه فلا يرد ان اول كلامه في الخلة وما ذكره تفسير للخليل فسقط ماقيل من انه انما يستقيم على ان الخلة بمعنى الخليل تستوي فيه المؤنث والمذكر لانه مصدر في الاصل وان الكلام في معناه اللغوي الوصفي الثبوتي وتفسيره بالسلبي غير مناسب لانه بيان لحاصل معناه (وقيل الخليل) معناه (المختص) بين خلانه مطلقا فهو الصديق الذي صار من خاص احبابه واصدقائه وتفسيره بانه اختص بخدمة الله واختار ما كلفه من فعل وترك اقتصار فيه قصور (واختار هذا القول غير واحد) من الائمة المحققين ورجحه السراج (وقال بعضهم اصل الخلة) بالضم (الاستصفاء) اى كون محبته ومودته صافيه اى خالصة من الكدورات وقيل هو من الصفوة بمعنى الاختيار وهو من لوازم الصداقة ثم فرع على الاقوال قوله (وسمى ابراهيم خليل الله لانه يوالى فيه ويعادى فيه) الموالاة المحبة وفي بمعنى اللام كقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا) اى لاجلنا اى لايحب الامن احبه الله من المؤمنين اهل الطاعة ولايبغض الااهل المعصية والضلال كقوله تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) ولذا قالوا

اذا صافى صديقك من تعادى * فقد عاداك وانفصل الكلام

(وخلة الله له) اى لابراهيم عليه الصلوة والسلام (نصره) على عدوه كنمرود وهذا جواب سؤال مقدر اى قد علم معنى كون ابراهيم خليل الله فما معنى كون الله خليلا له (وجعله اماما لمن بعده) لقوله تعالى (انى جاعلك للناس اماما) اى مقتدى متبعا لجميع من بعده لان الانبياء بعده كلهم من ذريته وهذا من تمام نصرته لانه لولم تنتصر حالفه من بعده ولذا ذكره معه تأسيدا وتأكيدا (وقيل الخليل اصله) اى اصل معناه الذي وضع له لغة (الفقير المحتاج) صفة كاشفة مفسرة له (المنقطع) اى المنفرد عن الناس لعدم اعوانه واخوانه (مأخوذ من الخلة) بفتح الخاء (وهى الحاجة) لاحتياج صاحبها الغيره لعجزه عما يقوم بامور (فسمى به) اى لقب بما سمى به وهو الخليل (ابراهيم) فالضمير للحاجة او للفظة الخلة والاظهر انه سمى بفقر مضاف اى بفقرها

ونحوه (لانه قصر) بفتح القاف والصاد المخففة والقصر كالحصر بمعنى التخصيص (حاجته على ربه) اى لم يكن له حاجة الا الى ربه فلا يؤمل نفعا من غيره ولا يقبله (وانقطع اليه بهمه) الهم هنا مايهتم به المرء ويعتنى به ويعزم عليه يعنى كما انه قصر حاجته على الله قصر امله وعزمه على الله وعلى مايرضيه (ولم يجعله قبل غيره) قبل بكسر القاف وفتح الموحدة واللام بمعنى المقابل الذى يدرك ويرى فالمراد انه عنده وفى جانبه وانه لم يجعل امره ورجاءه فى غير الله اى لم يطلب شيئا من غيره ولم يؤمله (اذ جاءه) اى جاء ابراهيم عليه الصلوة والسلام (جبريل) عليه الصلوة والسلام (وهو فى المنجنيق ليرمى به) اى وقد وضع فيه ليرمى به (فى النار) التى اوقدت لاحراقه وكان لهبها اشتد حتى لم يمكن احد ان يدنو منها حتى يرمى شيئا فيها فصنعوا المنجنيق لالقائه من بعيد وهو بفتح الميم وكسرها آلة لرمى العدو بحجارة كبيرة بان يشد سوارى مرتفعة جدا من الخشب يوضع عليها مايراد رميه ثم تضرب بسارية توصله لمكان بعيد جدا وكانت هذه الآلة قديمة قبل وضع النصارى للبارود والمدافع وهو فارسى معرب وفى وزنه ومعناه قبل التعريب كلام طويل لهم واصله من جى نيك اى ما اجودنى وهو مؤنث كما قال

لقد تركتنى منجنيق ابن جندل * احيد عن العصفور حين احيد

وميمه زائدة ووزنه منفعيل وقال سيبويه فعليل والاستدلال عليه مشهور (فقال له) جبريل عليه الصلوة والسلام (الك حاجة) عندى من سؤال مايجيبك ونحوه (قال اما اليك فلا) حاجة لى لقصر حاجته على ربه كما مر وهذا رواه ابو نعيم (وقال ابو بكر ابن فورك) بضم الفاء وفتح الراء المهملة وكاف ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وقال البرهان انه صحح فى النسخ بالتنوين والصرف لظن انه علم مرتجل وقيل انه عربى معناه الفار ولا يعرف فى اللغة وانما المذكور فيها انه بمعنى نوع من الطباء ومن قال معناه الفار لعله اراد انه من عجمة اندلس وتحريف عامتهم قلت رأيت فى كتب التواريخ ان ملك الهند ارسل للاسكندر رسولا اسمه فورك وسألت عنه فقيل معناه غلام حقير وهو يقتضى انه اعجمى غير مصروف وعندى انه يجوز فيه الوجهان وقد مر فيه كلام لنا وماقلناه هنا ربدته (الخلة صفاء المودة) وهى المحبة مع التودد وهى المواسة والمساعدة وصفاؤها خلوصها بان يوافق الظاهر الباطن كما قال المعرى

والخل كالماء يبدى لى ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

(التى توجب الاختصاص) اى يلزمها اختصاص الواد بمن يوده بان يلازم صحبته واسعافه (بتخلل الاسرار) جمع سر وهو مايخفيه المرء عن غيره وتخللها دخولها فى باطنه لاطلاعه عليها وعلمه بها فلا يخفى عليه شئ من احواله والباء سببية وقيل

الاسرار يتجاويف حبات القلوب وهو مجاز او معناه رسوخ المودة فى القلب واعلم انه تقدم ان الفرق بين المحبة والمودة والخلة ان المحبة ميل القلب لما هو حسن عنده سواء كان حسن صورة اوكمال كمحبة العلماء والصلحاء او انتفاع وانعام لان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها والمودة مواصلة من تحبه والتودد اليه فاذا زادت المودة وخلصت كانت خلة * فان قلت حينئذ الخلة اخص من المحبة فتكون افضل فلم قيل ان المحبة افضل * قلت المحبة اعم فقد تكون من غير مخالطة وقرب فلا خلة فيها الا ان المحبة قد تصل الى مرتبة بحيث يكون الحبيب لايغيب عن ذكره وذكره طرفة عين حتى يصل الى الهيام وذهاب العقل وتبذل لها الارواح فضلا عما سواها وهذه تسمى عشقا والعشق لايجوز فى الشرع اضافته لله فلا يقال عشقت الله كما ذكره ابن تيمية وغيره وان وقع من بعض الحكماء والصوفية وان كان مع هذه المرتبة خلة وتقريب فليس كهذا المحب محب ولا كحبيبه حبيب وهذه المحبة هى التى اختص بها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الاسراء لما رأى الله وشاهد من جماله وجلاله ووصل من قربه لمرتبة لم يصل لها رسول ولا ملك مقرب وتمت له خلة مقربة لم ينلها غيره فلم يحتج لغيره ولا سأل سواه وعرض عليه مفاتيح خزائن السموات والارض واعانه الله ونصره نصرة عزيزة وغفر له ما تقدم وما تأخر مع انه لم يصدر عنه زلة واطلعه على اسراره وحظائر قدسه واى خلة كهذه فلذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم مخصوصا بانه خليل الله ايضا وقال الخليل عليه الصلوة والسلام انا خليل من وراء وراء كامن وكرر وراء اشارة الى زيادة قرب نبينا فى الارض والسماء فلا منافاة بين اختصاصه ووصف ابراهيم وان اشتهر بذلك لانه اجل صفاته واشتهر محمد بالحبيب لانه بهذا المعنى اجل من الخليل وهذا من جانب العبد واما من الله فمحبته له بمعنى تقريبه وانعامه وتعليمه مالم يعلمه غيره وتفضيله على ماسواه وخلته له واسعافه له بجليل هذه النعم وتوفيقه لحمله نصب نصره وبصيرته حتى كأنه معه فى كل حين فاعرفه (وقال بعضهم اصل الخلة المحبة) يحتمل ان اصل معناها الوضعى المحبة لانها من تخلله فى قلبه وروحه ويحتمل ان المراد ان المحبة اساس الخلة ومنشؤها لانها تكون بعد تحققها (ومعناها) اى معنى الخلة الوضعى بناء على الثانى وهو الارجح وقيل ضميرها راجع للمحبة المرادفة للخلة (الاسعاف) اى الاعانة والنصرة والامداد لكل ما اراد (والالطاف) بفتح الهمزة اى الانعام والاحسان قال الزمخشرى فى شرح مقاماته الالطاف الهدايا واحدها لطف بفتحتين قال كم له عندنا التكريم واللطف انتهى ويحتمل انه جمع لطف كقفل وهو التوفيق لفعل كل خير وتسهيله وكونه بكسر الهمزة تحريف

(والترفيع) باعلاء رتبته بالكمالات الظاهرة والباطنة (والتشميع) باذنه له في الشفاعة وقبولها وله صلى الله عليه وسلم شفاعات كما مر فيشفع في فصل القضاء ولرفع درجات قوم في الجنة ولمن مات بالمدينة كما رواه الترمذي وسيأتي ولبعض المؤمنين في التجاوز عن سيئاتهم ولبعض من كان من اهل النار بعدم دخولها واخراجه منها ولتخفيف عذاب بعض الكفرة كابي طالب لجعله في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه كما رواه البخاري وهو لاينافي قوله تعالى (لايخفف عنهم العذاب) كما قيل وقد بيناه في حواشي القاضي ولقبول شفاعة بعض الانبياء والصلحاء وقيل التشفيع بمعنى التأييد والتقوية من الشفع (وقد بين ذلك تعالى) اى كون المحبة والخلة تقتضي الاسعاف وما بعده بطريق المفهوم واللزوم (في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم الآية) يعذبكم مضارع بمعنى الماضي اى عذبكم في الدنيا بالمسخ والقتل وغير ذلك وهذا برهان اى لو كنتم ابناؤه واحباؤه ماعذبكم لكنه عذبكم فلستم كذلك او هو على اصله اى لم يعذبكم في الآخرة فعلم منه ان من كان محبوبا لله لايعذبه ولا يسوءه لاقتضاء المحبة لذلك والعجب ان هذا مع ظهوره قيل عليه انه لادليل في الآية على مدعاه وليس فيها على تقدير التسليم الاعدم مؤاخذة المحبوب بذنبه على انه ممنوع في احباء الله لان من احبه الله عصمه من الذنوب ويمتحنه بالمناقشة والابتلاء ولا دليل فيها على ان اصل الخلة المحبة وهو غاية غنى منه العجب وقولهم ابناء الله اى مثل ابنائه وهو المسيح وعزير او نحن اتباع نبيه وقيل انهم ادعوا ذلك لانهم رأوا في التورية يا ابناء احباثي فبدلوها بيا ابناء ابكاري (فاوجب للمحبوب) اى بطريق اشارة النص فيهم ان كل محبوب وخليل يجب (ان لايؤاخذ بذنوبه) اى لايعاقب بها ويجازى عليها (قال) ذلك النص (هذا) اسم الاشارة يتخلص به من كلام لآخر فيكون خبر مبتدأ مقدر اى الامر هذا او مبتدأ خبره مقدر وقد يذكر كما في قوله هذا ذكر او معمول فعل مقدر اى خذ هذا وقد يقال ها اسم فعل بمعنى خذ وذا مفعوله لكن الرسم يخالفه (والخلة اقوى من البنوة) بموحدة ونون مصدر بمعنى كونه ابنا متولدا منه ثم بين ذلك بقوله (لان البنوة قد يكون فيها العداوة) اى معها او فيمن اتصف بها وهو من طرفية الصفة للموصوف (كما قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم) اى منهم من يظهر العداوة والعقوق كما هو مشاهد فاحذروهم وخافوا شرهم (ولا يصح ان يكون عداوة مع خلة) لان المحبة معناها او داخلة فيه او لازمة له وهي ضد العداوة فلا يجتمعان بخلاف البنوة فانها وان كانت الفطرة تقتضي المحبة لكن قد يتخلف لعارض ويكفي هذا فلاوجه للاعتراض بان الاصل فيها المحبة والعارض لايعتد به كما توهم ومن العجب انه ايده بقولهم زيد ابوك عطوفا وكم له مثلها تجاوز الله عنه (فاذن) تفريع

على ماقبله (تسمية ابراهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام بالخلة) اى بما اخذ من الخلة وهو الخليل او المراد بالتسمية الوصف تجوزا وقدم ابراهيم عليه الصلوة والسلام لتقدمه رتبة وشهرته وهو باضافة تسمية وفى نسخة اضافه بالضمير (اما بانقطاعهما الى الله تعالى) هذا ناظر لان الخلة الحاجة اى لاعتمادهما عليه واما لمنع الخلو فقط (ووقف حوائجهما عليه) اى بجعلهما موقوفة على انعامه لا كتفائهم بفضله (والانقطاع عمن دونه) اى الانقطاع اليه تعالى وترك غيره (والاضراب عن الوسائط والاسباب) الاضراب بمعنى الاعراض والترك يقال اضرب عن كذا اذا امسك عنه وتركه (اولزيادة الاختصاص منه تعالى لهما) معطوف على ماقبله اما بان الله اختصهما زيادة اختصاص به فاغناهما عما سواه كما يغنى الخليل خليله وهذا ناظر الى انه من الخلة بالضم (وخفى الطافه عندهما) خفى بالخاء المعجمة لان لطفه يكون من حيث لايدرى او بالحاء المهملة اى زيادة مبالغة فى اكرامه لهما يقال احفى به وحفى اذا بالغ فى اكرامه وهو مجرور معطوف على زيادة اوما اضيف اليه والطاف بالفتح تقدم تفسيره وقيل انه بكسر الهمزة مصدر وفيه مامر (اوما خالل) اى تخلل ودخل (بواطنهما من اسرار الهيبة) اشارة الى انه من التخالل كما تقدم وفى نسخة من اسرار الهيبة بمثناة تحتية وموحدة (ومكنون غيوبه) جمع غيب وهو مالايدرك بالحواس الظاهرة اوماسيكون قبل وقوعه وهو من جملة المستحرات ولايطلع على غيبه الامن ارتضى من رسول والمكنون بمعنى المستور (ومعرفته) اى معرفة افاضها عليهما من علمه اللدنى او معرفة ذاته وصفاته مالا يطلع عليه كل احد (او لاستصفائه لهما) اى لاختياره لهما من دون خلقه وجعلهما صفوة له حتى يستحقا وصف الخلة لانهما خيرة الله من خلقه والمصدر مضاف لفاعله وقوله (واستصفاء قلوبهما) مضاف لمفعوله واسم المفعول مضاف لامين يجوز افراده وجمعه وتثنيته اى جعل مراتبهما صافية خالصة له خالصة لاسراره ومعرفته (عمن سواه) بحيث لايكون فيها غير معرفته وحده (حتى لم) يخلهما) اى لم يدخل فى خلالهما (حب لغيره) هو نتيجة الاستصفاء وماله فان بصفائهما وصفى باطنهما من الدرجة السوى المانعة عن الصعود البشرى (ولهذا) اى لكون معنى الخلة الانقطاع عما سواه والاعراض عن العوارض البشرية (قال بعضهم الخليل من لايتسع قلبه لسواه) لامتلائه بمحبته ومشاهدة جلاله بحيث لايبقى فى قلبه سواه او سوى مراقبته كما قيل

تملك بعض حبك كل مالى * فان ترد الزيادة هات قلبا

(وهو) اى ماذكر من معنى الخليل وانه (عندهم معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث البخارى ان من امن الناس على فى صحبته وماله ابابكر (ولو كنت متخذا خليلا) من الناس غير ربى ارجع اليه فى امورى واعتمد عليه فيما يهمنى (لاتخذت ابابكر خليلا) لانه اعز اصحابى واقدم اصدقائى ولو تعلق قلبى باحد لم يكن يتعلق

بغيره لما اعرفه من ايثاره لي على نفسه واهله (لكن اخوة الاسلام) وقديم الصحبة الذي هو بمنزلة القرابة القريبة النسبية كما قيل

صحبة يوم نسب قريب * وذمة يعرفها اللبيب

وهو استدراك على مضمون الجملة الشرطية فنفى الخلة واثبت الاخوة المؤذنة بالمساواة تفضلا منه فالخلة اعظم من النبوة والاخوة واخوه بهمزة مضمومة وروى في الاكمال انه خوة بدون الف وهي لغة قليلة (واختلف العلماء وارباب القلوب) اي اصحاب القلوب الكاملة الصافية فجعل غيرهم كأنه لاقلب له والمراد بهم الاولياء وذوو النفوس القدسية وقيل المراد بهم الباحثين عن احوال القلوب وقيل المراد بهم اكابر الصوفية وسموا بذلك لنظرهم في العلوم الباطنة دون ظواهر الالفاظ (ايهما) اي المحبة والخلة (ارفع) اي ايهما افضل في نفس الامر وعند الله (درجة الخلة او درجة المحبة) وكني برفع الدرجة عن رفع ماهيها وافضليته والتقدير اهو درجة (فجعلهما بعضهم سواء) اي الدرجتين او المحبة والخلة متساويتين في الفضل لا تفاوت بينهما (فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا) لا يخفى ان هذا غاية ما يقتضي تلازمهما لا مساواتهما مرتبة ودرجة ثم اشار الى جواب سؤال مقدر وهو انهما اذا استويا وتلازما فلم خص كل منهما بموصوف فقال (لكنه) اي الله او الامر والشان (خص) مبني للفاعل او المفعول (ابراهيم بالخلة ومحمدا) بالنصب او الرفع (بالمحبة) بان سمى الاول خليلا والثاني حبيبا وهو امر اتفاقي لمجرد التمييز بينهما ولا يخفى ضعفه (وبعضهم قال درجة الخلة ارفع) منزلة وافضل واعلى درجة ويشهد له ان اشتقاقه مأخوذ من معنى الخلة واخص منها لكنه قيل انه يرد عليه ما تقدم من قوله في مناجاته حيث قال له الله سل تعطه فقال يارب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال تعالى له الم اعطك خيرا من هذا واتخذتك حبيبا او ما في معناه مما يقتضي ان درجة المحبة ارفع الا ان قوله لو كنت متخذا الحديث يخالفه فالمقام لا يخلو من الاشكال والجواب ان القائل انما فضله بمجموع ما ذكر في الحديث (واحتج) هذا القائل لمدعاه (بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه البخاري (لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه) اي غير الله (خليلا وقد اطلق المحبة) اي وصفه بمحبته غير ربه والجملة حالية (لفاطمة) الزهراء ابنته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متعلق باطلق (وابنيها) الحسن والحسين (واسامة) ابن زيد بن حارثة فانه ذكر انه كان يحبه ويسمى حب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وغيرهم) كابي بكر وعمر وعائشة رضي الله تعالى عنهم وقد ورد هذا كله مصرحا به في احاديث صحيحة وقد قدمنا لك ان محبة الله تعالى لعبده بمعنى غير محبة العبد لله ولغيره وان محبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لله بمعنى كونه ليس في قلبه ود كره غيره وانها مأخوذة من حبة القلب كما قلت

قد تملكت حبة القلب مني * ولذا سمي الحبيب حبيبا

فلاينافي كونه يحب فلانا لانها لمطلق الميل وبهذا سقط الاحتجاج بماذكر وسيأتي مايؤيده (واكثرهم) اى اكثر العلماء وارباب القلوب (جعل المحبة ارفع) درجة وافضل (من الخلة لان درجة الحبيب نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم بدل من الحبيب او عطف بيان (ارفع من درجة الخليل ابراهيم) فيقتضى ان صفته وهى المحبة افضل من صفته وهى الخلة وفيه انه لايقتضى ذلك لان تفضيل الذات على الذات قد يكون لمعنى آخر غير تلك الصفة لاسيما اذا قلنا ان الخلة هى المحبة او غايتها (واصل المحبة) الوصفى الحقيقي (الميل الى مايوافق المحب) بضم وفتح الحاء بمعنى المحبوب يقال حبه واحبه بمعنى الا انهم احدوا اسم الفاعل في اكثر استعمالهم من المزيد فقالوا محب واسم المفعول من الثلاثى فقالوا محبوب وحبيب وقالوا فى غير الاكثر حاب ومحب بالفتح كقول عنترة فى معلقته * منى بمنزلة المحب المكرم * فراعوا الكلامين والمراد بما يوافقه مايرضيه ويميل اليه فيحب كل مايحبه ويعمه ويترك لاجله مراداته والمراد بالميل ميل قلبه ولذا قال (ولكن هذا) المعنى يكون (في حق من يصح الميل) القلبى (منه) اى المحب لا المحبوب والعكس جائز وجرم به بعضهم (والانتفاع بالوفق) بفتح الواو وسكون الفاء قبل القاف اى الموافق وسمى الفاعل بالمصدر اوهو على اصله بمعنى الموافقة بين الشيئين وهذا الاخير خير (وهى درجة المخلوق) وهو راجع الى المحبة بمعنى الميل القلبى ممن يصح منه اوانث باعتبار الخبر فيرجع للمثل والدرجة مجاز عن الصفة (واما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض) بغين معجمة وراء مهملة وضاد معجمة على ماتقدم فالميل بمعنى ترجيح شئ وتقديمه على غيره لفائدة غرض وعلة للفعل لايجوز على الله ولذا ذهب اكثر الاصوليين الى ان افعاله تعالى لاتعلل بالاغراض لانه يقتضى استكماله تعالى بغيره وهو منزه عنه امابمعنى الثمرات والفوائد المترتبة على الفعل فلاينكر وخالفهم بعض المحققين وقال النصوص تدل على خلافه والاستكمال عنده غير مسلم وقد بسطنا الكلام عليه فى غير هذا الكتاب وفى نسخة الاعراض بعين مهملا وليس جمع عرض بمعنى مرض وبزنته كما قيل بل بمعنى الكيفيات النفسانية الحادثة والميل منها وفى نسخة الاعتراض ولامناسبة لها هنا الا بتكلف واذا كانت المحبة بهذا المعنى لاتليق برب العزة (فمحبته) اى الله (لعبده تمكينه من سعادته) اى اقداره على مايفيده سعادة الدارين بتوفيقه لطاعته وعبادته (وعصمته) من ارتكاب الذنوب ويجوز رفعه وجره عطفا على تمكين وسعادة والعصمة هنا بمعناها الحفظ (وتوفيقه) فى اموره بجعلها على وفق رضاه ويجوز رفعه وجره ايضا (وتهيئة اسباب القرب) تهيئة بزنة تكرمة بياء مثناة تحتية بعد الهاء وهمزة وهاء تأنيث مصدر هيأته اذا جعلته حاضرا سهل التناول اى يسر له الله كل سبب

يقربه الى ربه من صلوة وجهاد ومعرفة ونحوها (وافاضة رحمة عليه) اى ايصال الخيرات الدنيوية والاخروية ايصالا كثيرا متواليا فشبه الرحمة بالماء واثبت الافاضة بمعنى الصب تكثرة على طريقة المكنية والتخييلية (وقصواها) بضم القاف وسكون الصاد المهملة فعلى من اقصاه اذا ابعده والمراد غايتها والضمير للمحبة المفسرة بما كتبه وما بعده وذكر الغاية لان صفاته تعالى التى لا يليق به تؤخذ باعتبار غايتها وغاية المحبة (كشف الحجب) بضمتين جمع حجاب اى ازالة الموانع (عن قلبه) كالشواغل الدنيوية (حتى يراه بقلبه) اى يعلمه علما يقينيا كالمشاهدة الحسوسة (وينظر اليه ببصيرته) وهى قوة للقلب كالبصر يدرك بها ما يتوجه اليه (فيكون كما قال) اى الله تعالى اوالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الناقل له (فى الحديث) الذى رواه البخارى (فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به) ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وهو حديث قدسى طويل ومعناه اذا صفى قلبه وبعل نفسه بالله احبه الله ومحبة الله تقدم انها عنايته ولطفه به وافاضة نعمه على ظاهره وباطنه فيكون حواسه وادراكها واعضاؤه وحركاتها كلها متوجهة لله ولما فيه رضاه من غير تصنع ومشقة قوية على ذلك حتى يكون كأن افعالها صادرة عن الله والى هذا اشار المصنف بقوله (ولا ينبغى ان يفهم) بالبناء للمجهول اى لا يفهم احد (من هذا) الحديث والكلام (سوى التجرد الى الله) اى تجريد افعاله واحساسه عما يشغله عن الله (والانقطاع الى الله) بترك غيره واخراجه عن فكره ونظره (والاعراض عن غير الله) حتى يصير مراداته فى جميع احواله (وصفاء القلب لله) بحيث لا يكون فى فكره غيره وصفوه من كدر الاوهام ودنس الخلق (واخلاص الحركات لله) بان لا يحرك عضوا من اعضائه الا لعبادته اولما يعين عليها (كما قالت عائشة رضى الله عنها) كما تقدم (كان خلقه القرآن) اى اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم كانها على وفق ما امر به فى القرآن فجعل القرآن عين خلقه مبالغة والى هذا يشير قولها (برضاه يرضى) اى يرضى ويحب ما ذكر فى القرآن انه فعل مرضى لله من واجب ومندوب ومباح يقصد به ما يصيره قربة (وبسخطه) بفتحتين وضم فسكون (يسخط) اى يكره ما ذكر فيه ان الله يكرهه من كل حرام ومكروه وخلاف الاولى وقدم الجار والمجرور للتحصير فلا يرضى الا ما يرضاه ولا يكره الا ما اباه والحاصل علم مما ذكر ان اخلاقه صلى الله عليه وسلم الطبيعية استحالت وذهبت لما سوى فانه الشريف فلم يبق له ارادة لغير ما يريده الله ولا رضا لغير ما يرضاه ولا شئ فى ارتباط هذا بما قبله من قوله كنت سمعه وبصره فاعرفه (ومن هذا) اشارة الى ما سبق فى اول كلامه من معنى الخلة ولم يذكر الخلاف فيها وما حدا اشتقاقها (عبر بعضهم عن الخليل بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني * وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي * واذا ما سكت كنت الغليلا

وفي رواية كنت الدخيلا يعني ان الشاعر عبر عن معنى الخلة بناء على انها من التخلل كانها تخللت باطنه وجرت مجرى الروح الجسمية السارية في البدن سريا مسرى ماء الورد في الورد بناء على ان احد الاقوال فيها لا على انها مجردة خارجة عنه ومتصلة او بناء على انها لطيفة نورانية في احد طابقي القلب لها الحيوة والاحساس ومسلك منصوب على الظرفية تخللت المتضمن معنى دخلت اسند التخلل اليه مبالغة والمراد تخلل محبته ومودته في مسالك روحه او في قلبه الذي هو مقرها بحيث لا يكون فيه سواه كما مر ثم فرع على انه ليس في روحه وقلبه غيره انه اذا تحدث لم يذكر غير محبوبه وحاله واذا سكت لم يكن في فكره وقلبه غيره فالمراد بالغليل بالغين المعجمة ما كان داخل القلب من قولهم تغلغل الماء وتغلل بين الشجر اذا جرى فيه مستترا وكذا المراد بالدخيل ماهو داخل القلب والبدن لا الاجنبي كما في قول السكاكي الدخيل كالناسي هذا ما قصده الشاعر واشار اليه المصنف وان كان ظاهر الشعر على تفضيل الخلة على المحبة فالمراد بالخليل فيه كل محبوب بالخلة لا ابراهيم كما قيل فانه لا يصح هنا وليس المراد بالغليل حرارة العطش اي كنت لعدم ذكري لك مضمرا حوائج فاني عطشانا لعدم ذكرك فان اراحه انجع واراحه النفس بذكر الاحبة وما رائده في الشعر والدخيل بدال مهملة وخاء معجمة ومن العجيب قولا في الشرح الجديد ان المعنى اذا سكت كنت حيلك في فاي كالكلام الجملة والضمائر وليس المراد بالغليل الظمأ والسعائر وليس عم الاعلى الاستعارة فانه يمسك لا ينفي ذكره (فاذن) تفريع لجواب سؤال مفرع على ما قبله (مرتبة الخلة) اي فضيلة الخلة وفي شرح العلامة انه لم يقل فعلى وهذا انه يرده قوله في الاساس عبرت عليه اذا زدت في الفضل عليه (وخصوصية المحبة) بفتح الخاء وضمها بمعنى اختصاصها وعبر في الاول بالمرتبة اشارة الى ان الخلة وان شاركه فيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والخليل عليه الصلوة والسلام فهي مختصة بنبينا باعتبار معنى زائد فيها لا شمالها على المحبة المختصة معنى ولفظا وان لم تطلق على الخليل حبيب الله كما مر وان كانت محبته ثابتة لهما بل لغيرهما كما قال تعالى (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) ان هذه غير المحبة المختصة كما مر تحقيقه وكما ان المحبة من الخاص فكذلك الخلة فانه يقال حبيب الله والله حبيبه كما يقال خليله خلافا لمن توهم ان الخليل لا يطلق على الله للحديث المتقدم ولو كنت متخذا خليلا غير ربي وفيها تشبيه تنكيته تعبيره بالمرتبة والخصوصية (حاصلة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة خالصة اي مختصة وكان الظاهر ان يقول

حاصلان لكنه افرد لجعلهما كالشيء الواحد (كما دلت عليه الآثار الصحيحة) الباء للتعدية متعلقة بحاصلة ويجوز ان تكون سببية والمراد بالآثار الاحاديث التي تقدمت كقوله لو كنت متخذا خليلا غير ربي الى آخره وقوله الا وانا حبيب الله وقوله (المنتشرة) اي الشائعة المشهورة (المتلقاة بالقبول من الامة) ذكر شهرتها والقبول لها مؤيدا لاختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادته على غيره من الرسل ثم استشهد لذلك بنص القرآن فقال (وكفى بقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية) الباء زائدة في فاعل كفى او للتعدية وكفى بمعنى اكتفى كما هو مشهور ووجه الدلالة في هذه الآية انه لما جعل من اتبعه محبوبا لله علم انه محبوب عند الله محبة ليس فوقها محبة ومقرب تقربا لا يدانيه احد فيه فعلم منه خلته وحبه ولذا قال المصنف وكفى الى آخره ومن لم يفهم مراده قال هذا لا يدل على مدعاه لانه علق محبته على اتباعه فيما جاء به من الشرائع وتصديقه وذلك محبوب لله وانما يدل لو علق محبته على محبتهم للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان كنتم تحبون الله فاحبوا الرسول (حكى اهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد) بقوله لنا اتبعوني يحببكم الله (ان نتخذه حنانا) بفتحتين مخفف النون معناه الرحمة والاشفاق مأخوذ من الحنين وهو يكون مع صوت والمراد ان نعطف عليه ونجعله موضع الحنان والرحمة اي نعبده ونتضرع له وقد تقدم الكلام فيه (كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم) عليه الصلوة والسلام حنانا ومعبودا يتقربون بعبادته الى الله تعالى (فانزل الله تعالى غيظا لهم) مفعول له اي انزل الله لغيظهم وبغضهم بغضه عليهم فان الغيظ الغضب على العاجز (ورغما على مقالتهم) بتثليث الراء المهملة وسكون الغين المعجمة والميم وهو الذل والخزي والاساءة بما يكره واصله كل مود بصب الانف ولذا قال رغم انفه وعلى رغم انفه وضمنه معنى التكبت والتقريع فعداه بعلى والمآل الى انه اذلهم بتوبيخهم ورد مقالتهم هذه وقوله (هذه الآية) مفعول انزل (قل اطيعوا الله والرسول) ثم بعد ما بين سبب النزول من انكارهم جعل اتباعه سبب محبة الله لهم وتقربهم الى الله تعالى ذكر الآية وانها ابلغ من الاولى واشد لان الاولى لا تقتضي لزوم اتباعه فانه تعالى يتقرب اليه بالنوافل ويحب فاعلها والامر بطاعته يقتضي الوجوب واقترانها بطاعته يدل على تأكيده مع تعظيمه وتشريفه كما دل عليه قوله (فراده شرفا بامرهم بطاعته) وايجابها عليهم (وقرنها بطاعته) اي الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم زيادة في شرفه والاتباع وان كان عين الطاعة او لازمها فليس هو امر وايجاب ومن جعل غيره قال هما سواء الا ان هذا فيه التصريح بالطاعة (ثم توعدهم على التولي عنه) بالاعراض عن طاعته وهو عدمها (بقوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين) كان الظاهر

ان يقال فان الله لايحبهم فوضع الظاهر موضع المضمر وعلقه بالمشتق الذى هو علة للحكم فكانه قال لايحبهم لانهم كفروا بالله سواء كان تعريفه للاستغراق او للعهد فهذه الآية اصرح وادل على وجوب طاعته وعلو مرتبته صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره من الانبياء كعيسى عليه السلام (وقد نقل الامام ابو بكر ابن فورك عن بعض المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة والخلة يطول) هذه الجملة صفة قوله كلاما فاشار الى انه لم ينقله لطوله ثم استأنف فقال (جملة اشاراته ترجع الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه) اى من كلام ابن فورك (طرفا) بفتحتين اى بعضا قليلا (يهدى) اى يدل (على ما بعده) اى باقيه فالمدة غير مرادة لانه مختصر (فمن ذلك قولهم) اى قول المتكلمين الذى نقله ابن فورك عنهم (الخليل يصل) الى من خالله (بالواسطة) اى بتوسط آخر بينه وبين خليله كما يدل قوله يصل به الآتى ثم بين ان هذا المعنى مأخوذ (من قوله) عز وجل (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) فوصل لمعرفة الله بواسطة ما رآه من آيات ملكوته التى اوصلته لمعرفته (والحبيب يصل لحبيبه به) اى هو دله على نفسه بنفسه من غير واسطة لغيره وهذا مأخوذ (من قوله فكان قاب قوسين او ادنى) فاراه عين اليقين كما تقدم وهذا وان كان المصنف رحمه الله تعالى ناقلا له والعهدة فيما نقله على قائله الا ان هذا غير ظاهر لانه ان اراد بالوصول الوصول الى الله برؤيته وسماع كلامه من غير واسطة فالآية لامناسبة لها بما ذكر وان اراد الوصول الى معرفة الله تعالى ومشاهدته فكذلك ثم انه لايتم الفرق لانه ان اراد من مفهوم المحبة والخلة فما ذكر لايدل عليه بل ليس بصحيح وان اراد من ذاتى من قاما به فلا يفيد شيئا مما نحن فيه ثم انه مبنى على القول بان ابراهيم عليه الصلوة والسلام لم يعرفه قبل هذا الاستدلال بناء على جواز مثله على الانبياء مطلقا او قبل النبوة مع ان المحققين على انه ورد على طريق الجدل مع قومه الذين كانوا يعبدون الكواكب وبالجملة فهذا كلام غير متقح (وقيل الخليل الذى تكون مغفرته) اى مغفرة الله له ما قد يصدر منه مما يحتاج لعفوه عنه (فى حد الطمع) اى واقعة فى حال يطمع صاحبها فى التجاوز عنها لان الخليل لا يؤاخذ خليله بزلاته واصل معنى الحد الحاجز بين الشيئين والمحيط به كحدود الدار فاستعير للحال المغيرة له والمقصود تحقيقه (من قوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين) اى قول ابراهيم عليه الصلوة والسلام فى قصته مع قومه هضما لنفسه وتعليما لامته والا فهو معصوم (والحبيب الذى مغفرته فى حد اليقين) اى متيقنة وهذا مأخوذ (من قوله) اى قول الله لحبيبه حبيب الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى كل ما صدر عنك وما لم يصدر مما هو بالنسبة لمقامك قد يعد نقصا وفى الآية اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يصدر

منه اذ سوى المقدم بالمتأخر في عدم الوقوع ولذا سُرّ صلى الله تعالى عليه وسلم بها لما نزلت مرجعه من الحديبية وقال نزلت عليّ آية احب الي مما على وجه الارض والكلام على الآية مبسوط في التفسير وقد تقدم طرف منه ايضا ثم ذكر فرقا آخر قريبا من هذا فقال (والخليل قال ولا تخزني يوم يبعثون) اي لا تفضحني ولا تعذبني في يوم القيمة وقد قيل انه ورد في الحديث ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام اذا رأى اباه في المحشر يقول يارب وعدتني ان لا تخزني فيمسخ الله آزر ذيخا بذال معجمة ومثناة تحتية وخاء معجمة وهو ضبع منتن فيقال له انظر لما تحت قدمك فيراه فيكره ويلقى في النار فيحول الله صورته حتى لا يعرفه الناس حين يلقى في النار فيصح بيانه قيل ومنه يعلم ان ابوي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليسا في النار وفيه ما سيأتي (والحبيب) اي نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدئ بالبشارة) بنفي الخزي عنه برؤية ما يكره (قبل السؤال) لذلك كما سأله غيره منهم والخزي ليس هو العذاب كما في قوله تعالى (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته) وانما هو الفضاحة بكل مولمة او لامته كالعتاب فلا يقال ان الله امنه من عصيته وعذابه فما فائدة البشارة بعد هذا ثم ذكر فرقا آخر فقال (والخليل قال في المحنة) هي والامتحان بمعنى الابتلاء والمراد بذلك قصته مع نمرود حين القاه في النار وكانت عليه بردا وسلاما وقال (حسبي الله) اي هو كاف لي في جميع اموري (والحبيب) وهو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (قيل له يا ايها النبي حسبك الله) يعني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ذلك طالبا كفاية الله له وهذا قاله الله له فيكون كفايته له محققة مقررة بخلاف الاول كما سمعته قريبا (والخليل قال واجعل لي لسان صدق) اي ذكرا جميلا صدقا فعبر باسم الآلة عما يصدر منها مجازا (في الآخرين) اي في الامم الآتين من بعدي الى يوم القيمة فهو طلب ودعاء واجابة الله فما من امة الا وهي تثني عليه وتحبه (والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك) اي جعلناه عاليا شريفا لما نعتنه من النداء مقرونا باسم الله في الصلوة والخطبة والاذان وغيرها (اعطي) الحبيب (بلا سؤال) منه وهذا بيان لمزية الحبيب كما سمعناك عامه اولا (والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام) اجنبني بمعنى بعدني بعدا حسيا ومعنويا بان لا يصدر منهم ذلك وقد اجاب الله تعالى دعاءه لان المراد بنوه الصلبية ويفهم انه عصمهم الله تعالى وابقاء حفظهم (والحبيب قيل له) اي قال الله تعالى له (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) هو كل مستقذر حسيا او طبعا او عقلا او شرعا اي الله يكرمكم بان حفظكم من الذنوب وما يدنس الاعراض وقال يريد الله ليذهب ولم يقل اذهب مع انه اخصر اشارة الى انه قضى لهم بذلك في الازل وفي عالم الارواح والذر (اهل البيت) منصوب على المدح او النداء او المراد اهل بيت النبوة فيشمل اولاده صلى الله تعالى عليه وسلم وزوجاته واتباعه واقاربه ولا يختص ذلك بعلي وفاطمة والحسنين كما زعمه الشيعة وهذا

ابلغ مما في حق ابراهيم بوجوه لاختصاصه بنفي عبادة الاصنام وهذا عام في كل دنس ونقص وذلك خاص بنفيه وهذا شامل لكل من شمله بيته كما نبه عليه تأكيدا ومبالغة في تطهيره بقوله (ويطهركم تطهيرا) ولا يخفى ان كل ما نقله ابن فورك انما يدل على شرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادة علو مرتبته على غيره ولا علاقة له بنفس المحبة والخلة لاسيما الآيات لم يذكر فيها بعنوان لفظ الحبيب (وفيما ذكرناه) من تفسير المحبة والخلة واشتقاقهما والخلاف في ايهما ارفع درجة (تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال) المقصد مصدر ميمي بمعنى القصد او هو بمعنى المقصود لان مفعل يأتي بمعنى مفعول كمركب وان كان نادرا او هو مجاز من المصدر او من اسم المكان باستعارته منه استعارة مصرحة اصلية (من تفضيل المقامات والاحوال) بيان للمقصد والمقامات بفتح الميم جمع مقام وهو محل القيام وبضمها محل الاقامة وجمعه جمع المؤنث لا لمراده فيما لا يعقل كحمامات وسجلات والمراد بالمقام هنا امر يكون عليه العارف بالله تعالى من الانبياء والاولياء يرتفع به من حضيض البشرية في درجات العبودية حتى يرقى الى المقام الاعلى وما يطرأ عليه هو المراد بالاحوال وليس بمعنى واحد هنا كما قيل وقيل المقامات الصفات الثابتة والاحوال الصفات الزائلة وهو قريب مما قبله والظاهر ان المراد بقوله السابق ما ذكرناه ما لخصه من كلام ابن فورك وهو جواب عما تقدم من ان هذا لا يدل على بيان الخلة والمحبة الذي هو بصدده فاشار الى انه وان تعلق بذات الحبيب والخليل فالمقصود بيان تفاوت وصفهما فيرجع ما قاله الى بيانهما فان فيهم من يسلك مسالك التصريح ومنهم من يقصد الايماء والتلويح (وكل يعمل على شاكلته) اي لكل احد طريقة يجاريها والشاكلة في الآية التي اقتبس منها المصنف وهي قل كل يعمل على شاكلته بمعنى سجيته وجبلته وهي كما قال الراغب مأخوذة من الشكال وهو قيد تقيد به الدابة لانها قيدته وذلك لان سلطان السجية قاهر لصاحبه ومنه شكل الكتاب يقال شكلت الخط كما يقال قيدته واشار بقوله (فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) اي الله اعلم من طريقته اقوم واكثر ايصالا الى الحق وارشادا للهداية يشير الى ان الخلاف السابق في تفضيل الخلة والمحبة مبني على امور يطول فيها كل من الفريقين وكأنه لم يجزم باحدهما لان الخلاف لفظي وقد قيل ان غاية ما ذكره ابن فورك تفضيل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ابراهيم عليه الصلوة والسلام في حد ذاته من غير نظر لما جبلوا عليه من تفضيل الصفة على الصفة والحق تفضيل الخلة كما ذكره ابن قيم الجوزية وقد غاب ما قيل وقد قدمنا لك ما يغني عنه (فصل في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم برفعة مقامه على غيره (بالشفاعة) ان كان تعريفه للعهد والمراد الشفاعة العظمى في المحشر التي يخلص الله بها اهله من هوله وكربه فقوله (والمقام المحمود) عطف تفسير والا فهو من عطف الخاص على العام والمقام المحمود كل

مقام يتضمن كرامة محمد ولكنه خصها بفرد معين من افراده اختلف فيه كما قاله
البرهان نقلا عن القرطبي على ستة اقوال فقيل هي الشفاعة العامة السالفة وقيل
اعطاؤه لواء الحمد وهو لا ينافي ما قبله وقيل هو ان يجلس صلى الله عليه وسلم مع الله
على الكرسي وهذا مما نقل فيه حديث طعنوا فيه ويأتي ما فيه ومنهم من اوله وقيل
هو شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لاخراج بعض اهل النار منها وقيل هو شفاعته
رابع اربعة اذ يقوم له روح القدس جبريل عليه الصلوة والسلام ثم يقوم ابراهيم
ثم يقوم موسى او عيسى عليهم الصلوة والسلام ثم يقوم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فيشفع ولا يشفع احد بعده في اكثر مما يشفع وبه فسرت الآية وقيل هو مقام يكون
اقرب فيه من جبريل والشفاعة ثابتة له صلى الله تعالى عليه وسلم بالاجماع الا انها
عند اهل السنة لاصحاب الكبائر لحديث شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وعند المعتزلة
لزيادة الثواب لا لدرء العقاب والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وكونه محمودا
على ظاهره او اسناده مجازي اي صاحبه محمود (قال الله تبارك وتعالى عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا) استشهد بالآية على ما قاله وقد علمت ما فسر به المقام المحمود
ومقاما منصوب على الظرفية بمحذوف اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعث معناه
او هو حال بتقدير اي ذا مقام واما الوجه الثالث وهو جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم
مع الله على العرش والكرسي وقال الواحدي رحمه الله تعالى انه قول فاسد مبني
على التجسيم وبين فساده بوجوه منها ان البعث هو الاثارة والاقامة والجلوس ضده
فكيف يفسر به وايضا هو ينفي التحديد والا فهي المستلزم للحدوث وايضا انه
قال مقاما ولو كان كذلك لقال مقعدا ومثله لا يدل عليه البعث ورد هذا بانه رواه
احمد من طرق شتى ومثله من المتشابه كقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقد صححه
الدارقطني وقال ردا على منكره واجاد في ذلك رحمه الله تعالى رحمة واسعة

حديث الشفاعة عن احمد * الى احمد المصطفى نسنده
وقد جاء الحديث باقعاده * على العرش ايضا ولا نجحده
امروا الحديث على وجهه * ولا تدخلوا فيه ما يفسده
ولا تنكروا انه قاعد * ولا تنكروا انه يقعده

لجلوسه صلى الله عليه وسلم لا مانع منه واما نسبة ذلك لله وقوله انه معه فليس المراد ظاهره
بل هو وامثاله مأولة وهي كثيرة وعسى للترجي ومعناها وعملها مشهور في كتب النحو
فمعناها الترجي في المحبوب والاشفاق في المكروه والترجي منه صلى الله عليه وسلم ظاهر ومن
الله قالوا انه ايجاب اي جزم بوقوعه اذ الله تعالى لا يجب عليه شيء كما تقرر في الكلام (حدثنا)
وفي نسخة اخبرنا (الشيخ ابو علي الغساني الجياني) شيخ المص وغسان اسم ماء في الاصل
سمي به قبيلة من اليمن نزلت عليه وجيان بالجيم المفتوحة وتشديد الياء المثناة التحتية ونون
بلدة بالاندلس منها ابن مالك وابو حيان رحمهما الله تعالى (فيما كتب الي بخطه)

(اشارة)

اشارة الى ان هذا الاخبار ليس بالمشافهة اى اخبارا كائنا فى ضمن امور اخر واحاديث كتبها له والكتابة نوع من التحمل والاجازة لها حكم الاتصال عند كثير من المحدثين واهل الاصول كالسمعانى وصاحب المحصول ووقع ذلك فى الصحيحين سواء كانت حاضرا اوغائبا بشرط ان يعرف خطه قال (حدثنا سراج بن عبد الله القاضى) السابق ذكره وترجمته قال (حدثنا ابو محمد الاصيلى) الذى تقدم الكلام عليه وعلى نسبته قال (حدثنا ابو زيد) المروزى وقد تقدمت ترجمته (وابو احمد) محمد بن محمد بن يوسف بن مكى الجرجانى (قالا حدثنا محمد بن يوسف) الفربرى السابق ترجمته قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو امام السنة صاحب الصحيح البخارى وقد تقدم قال (حدثنا اسمعيل بن ابان) ابو اسحق الوراق الازدى الكوفى وابان بفتح الهمزة وتخفيف الباء علم منقول تردد فى صرفه وعدم صرفه بعضهم واجاز بعضهم فيه الصرف وعدمه وسبب الخلاف فيه ان منهم من قال وزنه فعال فتعين صرفه وقيل انه منقول من ماضى ابان سين وجزم به ابن مالك وصاحب التوضيح وقال القرافى المحدثون والنحاة على منع صرفه ونقله ابن بطال عن الجمهور بناء على ان وزنه افعل بمعنى اوضح فاعل على خلاف القياس وابقى على اصله فاندفع قول الدمامينى لوكان كذلك وجب تصحيحه لان افعل الاجوف الوصفى لا يعل وفى شرح مسلم انه يجوز فيه الصرف وعدمه والصحيح صرفه كما فى جامع اللغة وبه جزم ابن السيد * اقول عدم صرفه بعيد وقد تتبعت كلام العرب فوجدته مصروفا فيه كقول ابى عطاء الحماسى

العرف مستجدا ابى عم * فوق الملوك دون بنى ابان

(وقول مهلهل)

لهف نفسى على عدى ولم * اعرف عديا اذ مكننى البنان
طل من طل فى الحروب ولم * اعرف ه لا اباؤه من ابان

الى غير ذلك مما لا يحصى فلاوجه للتردد فيه ولذا قال بعض ائمة اللغة من لم يصرف ابان فهو اتان وهو امام ثقة توفى سنة ست عشرة ومائتين وترجمه فى الميزان قال (حدثنا ابو الاحوص) بحاء وصاد مهملتين واسمه سلام بتشديد اللام بن سليم بالتصغير الامام الثقة الرواية توفى سنة مائة وتسعة وتسعين واخرج له اصحاب الكتب الستة وقيل اسمه عوف بن مالك بن فضالة والصحيح الاول (عن آدم بن على) العجلى الثقة التابعى روى عن ابن عمر وغيره (قال سمعت ابن عمر) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنهما (يقول) حال اومفعول كما بينه النحاة وقد تقدم بيانه (ان الناس يصيرون يوم القيمة جثى) هذا الحديث رواه البخارى فى التفسير موقوفا على ابن عمر ومثله مما لا مجال للرأى فيه له حكم المرفوع واحتمال انه سمعه من اهل الكتاب بعيد لا يعول عليه وكونه سمعه من صحابى آخر لا يضر لان مرسل

الصحابي مقبول * اقول هذا مما قاله اهل الاصول وبه الائمة في مصطلح الحديث وفيه بحث لانه يجوز ان تكون الصحابي ممن قرأ الكتب القديمة او يكون اسمه من كتاب اوسنة فدخل فيما تقدم نحاذكر وحثى بضم الجيم مقصورة ونون وجور كسرة مه اصاحمع حثوة مثلث الاول واصله الكوم المجتمع من تراب ونحوه فاستعير للمي الجماعة اي يجتمعون جماعات كل امة جماعة تابعة لنبيها كما ذكره وروى البرهان عن الحافظ العراقي جثاء بضم الجيم والمد وانه كذا صحيح في نسخ البخاري وصححه الهروي وابن الاثير وروي جثي بضم الجيم وكسر المثلثة وتشديد الياء جمع جاث وهو البارك على ركبتيه ومنه بعضهم بان يجلس كذلك للخصومة وانشدوا * قوله

احاصمهم مده قائما * واحثوا اذا ماجثوا للركب

ولاشاهد فيه وهذا على خلاف الغالب اذا صحت الرواية فلا يرد عليه ان فاعل لايجمع على فعل كما قيل (كل امة تتبع نبيها يقولون) حال من فاعل تقول اي تكون معه تابعة له باصحابها اله (يافلان اسمع لنا يافلان اسمع لنا) اي تنادي كل امة نبيها باسمه تسئلونه ان تشفع لهم عند ربهم في الخلاص من هول الموقف كما مر فيجيبهم بانه لايقدر على الشفاعة كما تقدم ويدلون لغيره من الرسل فيجيبهم به (حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي حتى ينتهي الامم وسؤالهم لواحد بعد واحد تكون غايته ان يأتوا له صلى الله تعالى عليه وسلم فيجيبهم ويشفع لهم ويقبل شفاعته وفي الحديث طي لجمل علمت من السياق ومن احاديث اخر صرح فيها بذلك ومعنى ينتهي تنتاح وتصل كما يقال بلغ الامر منتهى وهذه هي الشفاعة العظمى وقد تقدم ان له صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات اخر (فذلك) اي ماذكر من الشفاعة ومانعها (يوم يبعثه الله المقام المحمود) اي كائن في ذلك اليوم منصوب يوم على الظرفية فان رفع يجعل الجملة الجمعية بكاملها عينه مالغة ويجوز جار (وعن ابي هريرة رضي الله عنه سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم) اي عن الآية المذكورة كما اشار اليه بقوله (يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) وضمير يعني راجع لابي هريرة وهذا الحديث رواه احمد والبيهقي (فقال) اي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جوابا عن السؤال (هي الشفاعة) العظمى الواقعة لفصل القضاء وقيل لاخراج المذنبين من النار والمشهور هو الاول وضمير هي راجع للشفاعة كقولك هي الجنة اولمقام واسر رعاية للخبر اوللآية ويجوز على ان المراد التي المقصود منها وقيل المراد انها هي الشفاعة في اليوم المسمى بالمقام المحمود وهو تكلف جدا (وروى كعب بن مالك) الانصاري الصحابي احد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك وتاب الله عليهم بنص القرآن وهذا الحديث رواه احمد بن حنبل مسندا (عنه عليه الصلوة والسلام)

انه قال (يحشر الناس يوم القيمة) بعد الخروج من القبور اى يجتمعون للحساب (فاكون انا وامتى على تل) بمثناه فوقية مفتوحة ولام مشددة هو رابية من تراب او رمل ونحوه عالية مرتفعة وجمعه تلال والتلال نادر وفى القاموس التل من التراب والكوم من الرمل وتفسيره بمكان عال كالجبل بيان للمقصود او تسامح وفيه اشارة الى اعلاء مقامه صلى الله عليه وسلم ومقام امته والتلطف بهم فى تخلصهم من زحام الموقف ومشقته (ويكسونى ربى حلة خضراء) وفيه استئناس لما يلبسه الاشراف الآن من العمامة الخضراء وان كان ذلك مما حدث فى زمن السلطان الاشرف تمييزا لهم عن غيرهم وان لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فعل ذلك كما فصلناه فى محله والحلة بضم فتشديد من برود اليمن ولا تسمى حلة الا اذا كان ثوبين احدهما فوق الآخر او ثوب واحد له بطانة وسمى بذلك لان كلا منهما يحل على الآخر او لكونهما جديدين كما حل طيهما ثم شاع فى مطلق الكسوة الجيدة وكسوته صلى الله تعالى عليه وسلم بعد كسوة ابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام فى الزمن كما سيأتى التصريح به فى الحديث ولا يلزم منه تفضيله عليه لان حلة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اعلى واحسن وانما قدم جزاء لما فعله به نمرود حين عراه لالقائه فى النار ورعاية له عاسر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه جده وزمنه اسبق وسنه اكبر (ثم يؤذن لى) بالبناء للمجهول من الاذن اى يأذن الله لى فى الكلام بين يديه والشفاعة لاهل المحشر اجمعين فيقال له قل واسمع يسمع كلامك (فاقول ما شاء الله ان اقول) من حمد الله بمحامد لائقة والشفاعة العظمى (فذلك المقام المحمود) وهذا لا ينافى تفسيره بالشفاعة العظمى كما قال المحب الطبرى وذلك اشارة الى جميع ما تقدم من اول الحديث الى آخره (وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) فى حديث ساقه (وذكر حديث الشفاعة) معطوف على مقدر وقوله (قال فيمشى) يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بدل من قوله ذكر (حتى يأخذ بحلقة) باب (الجنة) وفى رواية قال فامشى حتى آخذ والحلقة معروفة بسكون اللام وجوز فتحها وانكره بعض اهل اللغة كما تقدم والحديث تقدم تمامه (فيومئذ) اى يوم اذ يمشى صلى الله تعالى عليه وسلم واخذ بالحلقة واليوم على ظاهره او بمعنى مطلق الوقت (يبعثه الله المقام المحمود الذى وعده) به فى القرآن فى قوله تعالى (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) وهو مقام يشفع فيه لسائر الخلائق الشفاعة العظمى ويحمده فيه الاولون والآخرون فلذا سمى بذلك ووعده مبنى للمجهول ومفعوله الاول عائد على النبى صلى الله عليه وسلم مستتر والبارز عائد على المقام ويجوز بناؤه للفاعل ايضا وقول المقام المحمود هنا وقوفه ثمة واخذه بحلقة باب الجنة وهو معلوم انه يجيء ويدخلها من هو فيه والحامدون له على هذا المسلمون واهل الجنة لان من عداهم الذى فى النار فهذا تفسير آخر فتأمله (وعن ابن مسعود) رضى الله

تعالى عنه (عنه عليه الصلوة والسلام انه) اى المقام المحمود الموعود به (فامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره) ظاهره ان المقام هو القيام نفسه على انه مصدر وقوله مقاما منصوب على الظرفية وليس كذلك فان المراد ان المقام هو المحل الذى قربه الله فيه قربا لم يتيسر لغيره وقيل المراد اقامته وتمكنه فى ذلك المقام فلاينافى ماقيل من انه صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس على منبر عن يمين العرش (يغبطه فيه الاولون والآخرون) اى جميع الامم والناس والغبطة بالعين المعجمة والموحدة والطاء المهملة هى تمنى المرء ان ينال مثل ما رآه عند غيره من النعم وكل امر محمود من غير ان يحب زوالها فان احب زوالها فهو الحسد المذموم وقيل الحسد تمنى الامر المحمود مطلقا فهو اعم من الغبطة ومنه مايذم ويحمد والمشهور الاول ويغبط به تضرب وفى نسخة به والباء ظرفية او سببية والغبطة لاضرر فيها وقد يكون محمدة وفى الحديث هل تضر الغبط قال لا الا كما تضر العضاه الخبط انتهى وفى النهاية الاثيرية ان الغبط لاتضر ضرر الحسد وانما يلحق الغابط منه ضرر يسير واثم ينقص ثوابه كما يلحق العضاه خبط ورقها والذى يظهرلى انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما اراد انه لاضرر فيه على الغابط فى امر محمود تمناه من غير تمنى زواله بل ربما ناله منه نفع لجده فى تحصيل مثله اوله شيئا من صاحبه فهو على حد قوله

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

(ونحوه) اى ما له معنى مروى (عن كعب) هو كعب الاحبار (والحسن) البصرى (وفى رواية هو) اى المقام المحمود (الذى اشفع لامتى فيه) فيكون هذه الشفاعة غير الشفاعة العظمى لسائر الناس وهو احد الاقوال فى تفسيره كما مر وما فى الشرح الجديد من عود الضمير لقيامه عن يمين العرش وان المراد بالشفاعة الشفاعة العظمى فى فصل القضاء وهى وان لم تكن خاصة بامتى فهم المقصودون بالذات منها تعسف لاحاجة اليه (وعن ابن مسعود) رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه احمد فى مسنده (انى لقائم المقام المحمود) بكسر همزة ان لوقوعها فى ابتداء كلام مستأنف وقيل انه جواب قسم مقدر اى والله انى لقائم وفيه شان انه يجوز القسم فى الامر العظيم ولذا اكدبان والاسمية وفيه نظر والمقام منصوب على الظرفية او المصدرية (قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه) وفى نسخة على كرسيه (الحديث) اى اذكره اواقرا تمامه وهو كما رواه احمد رحمه الله قيل له ما المقام المحمود قال ذاك يوم ينزل الله على كرسيه فيئط كما يئط الرحل الجديد(٢) من تضايقه به وهو كسعة ما بين السماء والارض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا فيكون اول من يكسى ابراهيم عليه الصلوة والسلام فيقول الله عزوجل اكسوا خليلى فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة ثم اكسى على اثره ثم اقوم عن يمين الله مقاما تغبطنى

(٢) الرحل الجديد نسخه

فيه الاولون والآخرون وقدعلمت ان هذا الحديث من المتشابه لانه تعالى منزه
عن صفات الاجسام كالنزول والجهة قيل ولذا تركه المصنف رحمه الله تعالى وهو
تمثيل لتجليه تعالى لعباده بعظمته وجلاله واقباله عليهم لفصل القضاء واجراء حكم
عدله فيهم كما يتجلى الملك لجنده ورعاياه لينظر في امورهم ويقرب من شاء منهم والكرسي
غير العرش كما مر والحديث في المصابيح والكلام عليه مفصل في شروحه (وعن ابي
موسى) عبدالله بن قيس الاشعري الصحابي المشهور وهذا الحديث رواه ابن
ماجة في سننه رواية (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم خيرت) اي خيرني الله بين احد
امرين (بين ان يدخل) بالبناء للفاعل او المفعول (نصف امتي الجنة) اي امة
الاجابة لا الدعوة (وبين الشفاعة) اخص المذنبين منهم الذين استوجبوا دخول
النار وليس المراد بها الشفاعة العظمى في فصل القضاء (فاخترت الشفاعة) على
دخول نصف امتي الجنة ثم بين وجه اختياره بقوله (لانها) اي الشفاعة (اعم) اي اشمل
واكثر من النصف وهذه الشفاعة غير الشفاعة فمن دخل النار وقيل انها شاملة لها
وهذه الشفاعة ثابتة باحاديث كثيرة بلغ مجموع طرقها التواتر ولا عبرة بمن انكرها
من الخوارج والمعتزلة تمسكا بقوله تعالى (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع)
لان المراد بالظالمين الكافرون فان الشرك ظلم عظيم (اترونها) بهمزة الاستفهام
وضم المثناة الفوقية وفتح الراء المهملة والضمير للشفاعة اي اتظنون الشفاعة خاصة
(للمتقين) جمع متق بكسر القاف اسم فاعل من التقوى وفي نسخة للمؤمنين قال
البرهان والاول هو المحفوظ من مشايخي وردوا على من رواه المنقين بنون مفتوحة
ثم قاف مفتوحة مشددة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة جمع منقى اسم مفعول وهو
النظيف وكذا في اصل السنن لابن ماجة وهو اصل صحيح وكتب على هامشه ن ق
وعليها صح من ابن اسحق ففيه ثلاث روايات والمنقين من النقي قال المزي
وحسن هذه الرواية انه روى (ولكنها للمذنبين الخطائين الملوثين) فمقابلة الملوثين
بحسنه وهو اسم مفعول من التلوث بمثناة في اوله ومثلثة في آخره والتلوث التلطخ
بالاقذار لان الذنوب كالنجاسة والخطائين جمع خطاء وهو الكثير الخطاء وروى
الترمذي (شفاعتي لاهل الكبائر من امتي) وقيل المتقين اولى لانه عام لانه يجوز ان يكون
مذنبا تقيا بالتوبة والمتقي اخص وفيه نظر (وعن ابي هريرة) رضي الله تعالى عنه
في حديث صحيح رواه الحاكم والبيهقي (قلت يارسول الله ماذا رد عليك في الشفاعة)
بضم الراء المهملة وتشديد الدال المفتوحة مبني لما لم يسم فاعله كذا رواه البرهان
واقتصر عليه وروي ورد من الورود مبني للفاعل كما ذكره التلمساني وتبعه غيره
من الشراح وما اسم استفهام وذا اسم موصول بمعنى الذي ويجوز ان تكون اسم اشارة
والرد الجواب وورد بمعنى جاء اي ما جاءك به الله او الملك لما سألته الشفاعة في امتك (فقال

سماعتی) هو فاعل مرفوع تقدیرا ای جاءنی او ورد علی ان اشفع (لمن یشهدان لا اله الا الله) ای لمن اقر بوحدانیة الله تعالی ولم تقل وانی رسول الله اکتفاء باحد جزئی کلمة الشهادة للعلم بانه لا بد من الاتیان بهما فی صحة الاسلام (مخلصا) حال من الموصول ای غیر مشوبة شهادته بشك او شرك (یصدق لسانه) بالنصب علی المفعولیة وقوله (قلبه) مرفوع فاعله ویجوز عکسه ای یطابق اعتقاده لما نطق به

(وعن ام حبیبة رضی الله تعالی عنها) فی حدیث رواه الحاکم والبیهقی وهی ام المؤمنین بنت ابی سفیان بن حرب اخت معاویة رضی الله تعالی عنهم واسمها رملة علی الصحیح وقیل هند وهی من السابقات الی الاسلام وترجمتها معروفة توفیت سنة اربع واربعین (قالت قال رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم اریت) بضم الهمزة والیاء للمجهول ای اعلمنی الله واخبرنی بواسطة الملك (ما تلقی امتی من بعدی) ای اریت ما اطلعت به علی ما سوتها ورأی عامة وقیل انه من باب الکشف عما سیکون سوقفت من الله له صلی الله تعالی علیه وسلم کرامة وانه من الرؤیة البصریة (وسفك بعضهم دماء بعض) مصوب معطوف علی ما تلقی وسفك الدم اراقته وصبه وهو مصدر مضاف لفاعله وقیل اراه ذلك وحیا او مشاهدة او الهاما لما تقع به من الحروب والفتن التی تقع فیها القتل واراقة الدماء (وسبق لهم من الله ما سبق فی الامم قبلهم) ماض معطوف علی تلقی صلة الموصول ای اریت واعلمت بما سبق لانه مما قدره الله تعالی علیهم وارادته لهم فوقع ملقی وفق ارادته فی الازل وعلمه القدیم (فسالت الله تعالی ان یؤتینی فیهم شفاعة یوم القیمة ففعل) ای اعطاه الله تعالی ما ساله شفعه فی المذنبین منهم (وقال حذیفة) بالتصغیر وهو ابن الیمان الصحابی رضی الله تعالی عنه صاحب سر رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم فی حدیث موقوف علیه رواه البیهقی والنسائی (یجمع الله الناس فی صعید واحد) ای فی مکان یجمعون فیه غیر مفروش واصل معنی الصعید التراب فالمراد به هنا الارض المحشر او قیل هو تربة لیس فیها رمل ولا سبخ به یراد بدل الارض غیر الارض والمراد بالناس الثقلان من الجن والانس او المراد الانس وانه یسیر علی الاشرف فلا یرد ان الجن والبهائم یحشر معهم ایضا (حیث یسمعهم الداعی) صوته ونداءه کما قال تعالی ﴿ثم اذا دعاکم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون﴾ ویسمع بضم الیاء مضارع اسمع وحیث ظرف مکان مبنی علی الضم (وینفذهم البصر) بفتح الیاء المثناة التحتیة وروی بضمها وکسر الفاء وعلی الاول هی مفتوحة والمراد بصر الرائی ای یراهم دفعة واحدة ولیس المراد بصر الله کما قاله ابو عبید وقیل المراد یبلغهم ویجاوزهم لانهم فی ارض مستویة لا عوج ولا سبخ فیها وهو بالدال المهملة والمحدثون یروونه بالذال المعجمة وهو صحیح ایضا لانه لاحاطة

بهم ويحاوره كانه يحرقهم فلاوجه للرد مع صحة الرواية (حفاة عراة) منصوبان
على الحالية وحفاة جمع حاف وهو الذى لا نعل له ولا خف وقيل جمع حفى وهو الذى
رق جلد قدميه وعراة جمع عار وقيل جمع عريان وهو قليل فى الاستعمال وهو
الذى لا ثوب له ولا لباس يستره ويعارضه ماروى فى الحديث الصحيح ان ابا سعيد
الخدرى رضى الله تعالى عنه لما احتضر دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال سمعت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الميت يبعث فى ثيابه التى يموت فيها
وعن معاذ بن جبل ايضا رضى الله تعالى عنه احسنوا اكفان موتاكم فانهم يحشرون
فيها وجمع بينهما بان هذا محمول على الشهداء وثيابهم التى قتلوا فيها والحديث
وارد فيهم وابو سعيد حمله على العموم وقيل ان بعضهم يحشر عاريا وبعضهم
بثيابه وقيل انهم يحشرون باكفانهم ثم تتناثر من عليهم فى المحشر وقيل المراد
بثيابهم اعمالهم كقوله تعالى ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾ ولا يخفى ما فى هذا من الضعف
والتجوز (كما خلقوا) حال اى كائنين على حال خلقهم الاول من غير نقص شئ
من اجزائهم كما ورد غرلا تشبيه حال اعادتهم بحال اخراجهم من العدم كما قال
﴿كما بدأكم تعودون﴾ وما كافة او مصدرية (سكوتا) جمع ساكت حال من الناس او من
ضمير خلقوا (لاتكلم) استئناف مؤكد لسكوتا (نفس الا باذنه) فلا يتكلمون الا من اذن له
الرحمن وهذا فى موقف وقوله ﴿هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ فى موقف
آخر او الناس مخصوص بذوى الاعذار الباطلة فلا تعارض بينهما وبهذا يجاب ايضا
عن قوله تعالى ﴿واقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾ وقوله ﴿يوم تأتى كل نفس تجادل
عن نفسها﴾ (فنادى) بالبناء للمجهول (محمد) بالرفع نائب الفاعل او هو غير منون
مبنى على الضم والنداء بمعناه الظاهر اى يقال له يا محمد بحذف حرف النداء وعلى
الاول ينادى بمعنى يدعى ويطلب وكلا الوجهين حسن وفى نسخة فنادى يا محمد
(فقول لبيك وسعديك) منصوبان على المصدرية بفعل لا يظهر فى الاستعمال
من التلبية وهى اجابة المنادى من الب بالمكان اذا اقام به لانه ملازم الاطاعة له
والمراد بها هنا التكثير لا حصر الاعداد اى اجيب لك اجابة بعد اجابة واسعادا لك
بطاعتى لك وانا مقيم على ذلك لا اخرج عنه (والخير فى يديك والشر ليس اليك)
اى لا يضاف اليك بالعرض تأدبا لان بعض ما يتضمن الخير الكثير يستلزم
شرا قليلا فكان ترك الخير الكثير لاجل ذلك الشر القليل شرا لا يصدر عنه
وهو المنزه عن الفحشاء ولا يجرى فى ملكه الا ما يشاء والى هذا اشار القاضى فى تفسيره
والمعتزلة فسروا قوله والشر ليس مما ينسب اليك واستدلوا به على مذهبهم وغيرهم
فسره والشر ليس قربة اليك كما ضرب الى بعض طلبة الملوك بعض الفائح

قاله القرافى فى قواعده او المعنى لا يصل الى بعمل صالح اليك تأدبا وقيل المعنى لا يصعد اليك
فانه انما يصعد اليه الكلم الطيب واليد اسم للجارحة المعروفة واصله يدى بالسكون
لقولهم فى جمعه ايد وقيل يدى بالفتح لقولهم فى تثنيته يديان واستعير للنعمة وللملك
والتصرف والقدرة والقوة والنصرة واذا اضيف الى الله تعالى يراد به المعنى
المجازى لتنزهه عن الجارحة وثنى هنا وفى قوله تعالى (لما خلقت بيدىّ)
اشارة الى زيادة تصرفه فيه واختصاصه به وجعل الخير مستقرا فيهما ترشيحا
للاستعارة والاحسن ان يقال انه اشارة لما من ان وجهى تصرفه فى الموجودات
بالخير والشر خير كله فيدير (والمهتدى من هديت) اى الموفق للهداية
من جعلته مهتديا ووفقته لطاعتك وتعريف الطرفين يفيد الحصر اى لا يهتدى
الا من هديته (وعبدك بين يديك) اراد به نفسه الشريفة اى انه صلى الله تعالى عليه
وسلم حاضر لديه واقف فى مقام الذلة والفقر وقيل انه تشبيه لقربه من ربه ومن يد
اختصاصه من بين الجهتين المسامتين ليدى الانسان واستعير لذلك (ولك والك)
اى امره كله لك فانه عبدك وامره موكول اليك (لامنجأ) بالهمز والقصر للازدواج
اى لا ملجئ ولا منقذ لاحد سواك (ولا منجا) بلا همز اوبه للازدواج اى لا نجاة
ولا مخلص لاحد (منك) اى من عذابك ومصيره اليك (الا اليك) وليس باتباع ولا لف
ولنشر كما قيل (تباركت وتعاليت) اى كثر خيرك وزادعن كل شئ وعلا قدرك فى ذاتك
وصفاتك وتنزهت عما لا يليق بك والكلام عليه مفصل فى التفسير (سبحانك) اى تنزهت
(رب البيت) بالرفع خبر مبتدأ مقدر والنصب على النداء اى يارب البيت والمراد به الكعبة
اوالبيت المعمور فى السماء ولما كان البيت قديشعر بالحلول قدم التنزيه عليه احترازا
عن توهمه وقال رب البيت دون رب العالمين اظهارا لشرفه وشرف الحج اليه المشابه
جمع الخلائق فيه بالمحشر وهم عراة حفاة (قال) اى النبى عليه السلام لانه معلوم
من السياق اوحذيفة راويه وهو فى حكم المرفوع (فذلك) اى المقام الذى جمع فيه
ووقع فيه هذه المناجاة (هو المقام المحمود الذى ذكره الله) فى القرآن فى قوله تعالى (عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا) (وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا دخل اهل النار
النار) قدمه زجرا وترغيبا فى تجنب سبب دخولها ولان ذكر النعمة بعد النقمة اوقع
فى النفس (واهل الجنة الجنة) بجر الاول ونصب الثانى اى ودخل اهل الجنة الجنة
والمراد غالب اهل النار وغالب اهل الجنة بدليل قوله (وبقى آخر زمرة من الجنة) اى
من اهل الجنة (وآخر زمرة من النار) اى من اهل النار والزمرة الجماعة القليلة ومنه
سميت زمرة اى قليلة السعر ورجل زمر قليل المروءة اومن الزمر وهو الصوت لانها لا تخلو
عنه (فتقول زمرة النار) اى الزمرة الباقية من اهل النار (لزمرة الجنة) اى للزمرة
الباقية من اهل الجنة الذين لم يؤذن لهم فى دخولها (ما نفعكم ايمانكم) ما استفهامية

انكارية او نافية حرفية اى لم ينفعكم ايمانكم ولم اغن عنكم شيئا لانهم يجهلهم باحوالهم ظنوا انهم لايدخلون الجنة وانهم منعوا من دخولها (فيدعون ربهم) الضمير للرهن المحجوبة من اهل الجنة (ويضجون) اى يصيحون ويرفعون اصواتهم فرحا مما لحقهم من تغيير اهل النار لهم واصل الضجيج بضاد معجمة وجيم الصياح من الفزع للحقوق المكروه والصيحة ارتفاع الاصوات المختلفة مطلقا (فيسمعهم اهل الجنة) اى يسمعون صياحهم واستغاثتهم ربهم ليأذن لهم فى دخول الجنة (فيسألون آدم) ان يشفع لهم فى دخول الجنة (وغيره بعده) اى يسألون بعد آدم عليه الصلوة والسلام غيره من الانبياء كنوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام (فى الشفاعة لهم فكل يعتذر) لهم بانه لايقدر على الشفاعة ولم يؤذن له كما مر تفصيله (حتى يأتوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد ما يئسوا من شفاعة غيره من الرسل (فيشفع لهم فذلك المقام المحمود) الذى يحمده فيه الناس ويظهر فضله على جميع الرسل وهذا الحديث موقوف على ابن عباس وهو فى حكم المرفوع (ونحوه) اى فى معناه حديث مروى (عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره على بن الحسين) بن على بن ابى طالب وهو زين العابدين كما تقدم (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مرفوعا ورواه له موقوف (وقال جابر بن عبد الله) رضى الله تعالى عنهما الصحابى وقد تقدمت ترجمته (ليزيد الفقير) هو ابن صهيب ولقب بالفقير لانه اصيب فى فقار ظهره فكان يشكوها وفقار الظهر خرزات العظم التى من مجب الذنب الى نقرة القفاء وهى اسنان ولاتون فقرة فهو فعيل بمعنى مفعول وقول عائشة رضى الله تعالى عنها فى حق عثمان رضى الله تعالى عنه ارتكبوا منه الفقراء الاربع استعارة اى استحلوا له حرمات اربع الصحبة والصهر والخلافة والبلد وهذا الحديث رواه مسلم ويزيد هذا امام ثقة روى عنه ابو حنيفة واصحاب الكتب الستة (سمعت) بتاء الخطاب واصله اسمعت فحذف همزة الاستفهام او هل اى اسمعت او هل سمعت (بمقام محمد صلى الله عليه وسلم) اى هل رويت فيه شيئا تفسره (يعنى الذى يبعثه الله فيه) اى جابر اراد السؤال عن حقيقة المقام المذكور فى قوله تعالى ﴿عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ وفى قوله فيه اشارة الى انه منصوب على الظرفية وانه محل القيام حقيقة (قال) يزيد (نعم (٢)) اى سمعت ما ورد فيه اجمالا (قال) اى جابر بن عبد الله الجليل الصحابى المشهور وكان الظاهر ان يقول فقال (فانه مقام محمد المحمود الذى يخرج الله به من يخرج يعنى من النار) ضمير به للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم او للمقام اى يخرج الله بسبب الشفاعة الواقعة فيه فالمراد به مقام آخر فيه شفاعة غير الشفاعة العظمى لاهل المحشر والداسار بقوله (وذكر) اى جابر رضى الله تعالى عنه (حديث الشفاعة فى اخراج الجهنميين) المنسوبين لجهنم لانهم المؤمنون الذين

(٢) لت نعم بسعه

دخلوا النار بمعاصيهم وهذا بعض حديث رواه مسلم اختصره المصنف على محل الشاهد لما هو بصدده ولفظه قال يزيد الفقير رحمه الله تعالى كان قد شغفني رأي من رأي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد ان نحج ثم مررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما جالس الى سارية يحدث الناس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فاذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت له يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي يقولون والله تقول انك من تدخل النار فقد اخزيته ٭ وكلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فما هذا الذي تقول فقال اتقرأ القرآن قلت نعم فقال هل سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج به من يخرج قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال واخاف ان لا اكون احفظ ذلك وقال غير واحد ان قوما يخرجون من النار بعد ان يكونوا فيها كأنهم عيدان السماسم فيدخلون نهرا من انهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس الى آخر الحديث الذي رواه مسلم والكلام عليه مبسوط في شروحه فالمعنى ان يزيد مال الى رأي الخوارج في خلود عصاة المسلمين في النار فلما سمع من جابر ما رواه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه علم بطلان رأيهم ورجع عنه (وعن انس) في حديث رواه احمد في مسنده (نحوه) اي ما هو في معنى هذا الحديث (وقال) انس بعدما ذكر نحوه (فهذا المقام المحمود الذي وعده) بالبناء للمجهول ونائب الفاعل ضمير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير البارز للمقام (وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما) في حديث رواه الشيخان (ودخل حديث بعضهم في حديث بعض) اي وافق رواية كل منهم رواية غيره لفظا ومعنى (قال عليه الصلاة والسلام يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة) في ارض المحشر للحساب وفصل القضاء (فيهتمون) افتعال من الهم بمعنى الحزن او العزم والضمير يقال اهتم اذا اغتم فحزن واهتم بالشيء اذا جعله من همه وليس من الهمهمة وهي الصوت الخفي (او قال فيلهمون) بالبناء للمجهول من الالهام وهذا شك من الراوي في لفظ الحديث اي يلهمهم الله (فيقولون لو استشفعنا الى ربنا) اي لو طلبنا من يشفع لنا عند الله في ان يخلصنا من هول هذا الموقف وشدته ولو للتمني هنا او [illegible] لحوقهم بقوله الملهم الذي لا يخفى (ومن [illegible] منه) [illegible] اي في رواية اخرى (فماج الناس بعضهم في بعض) اي دخل بعضهم في بعض واختلطوا لاضطرابهم (وعن ابي هريرة) رضي الله عنه في حديث الشفاعة الذي رواه الشيخان (وتدنو الشمس) اي تقرب من رؤس اهل الموقف (فيبلغ الناس من الغم) اي من الكرب وشدة الحر (ما لا يطيقون) اي ما لا يقدرون على تحمله (ولا يحتملون)

عطف تفسير اى لا يقدرون ولا يستطيعون (فيقولون الاستطرون من يشفع لكم) اى يقول بعضهم لبعض هذا الكلام (فيأتون آدم) عليه الصلوة والسلام بدؤابه لانه اول الانبياء وابوهم المشفق عليهم كما قال (زاد بعضهم فيقولون انت آدم ابو البشر) فينبغى لك ان تشفع لهم وتريحهم (خلقك الله بيده) اى اوجدك من العدم بقدرته من غير واسطة ام واب (ونفخ فيك من روحه) اضافة الروح له تعالى للتعظيم والاختصاص ونفخ الروح ايجاده متصلة بجسده كما يقال بيت الله (واسكنك جنته) بعد نفخ الروح فيه وايجاده والمراد الجنة المعروفة على الاصح وقيل المراد بها بستان فى الارض والخلاف فيه مشهور فى كتب التفاسير والادلة من الطرفين مفصلة فى محالها (واسجد لك ملائكته) اى امرهم بالسجود لك سجود تحية وتعظيم له وأداء لحقه لاسجود عبادة هو كالقبلة له وكان ذلك جائزا شرعا ثم نسخ (وعلمك اسماء كل شئ) كما ذكره الله تعالى فى القرآن وهذا كله مما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم وعلو رتبته عند ربه ومزيد قربه المقتضى لقبول شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم كما بينه بقوله (اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا) هذا وهو المحشر ويريحنا بمعنى يحصل لنا راحة (الا ترى ما نحن فيه) من الكرب والهول الذى لا يطاق (فيقول) لهم آدم (ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله) اى اظهر شدة غضبه وسخطه على من عصاه مريدا ايقاع العذاب الذى فى الآخرة بادخالهم النار وهذا لم يكن قبل يوم القيمة ولا بعده فلذا خاف آدم عليه الصلوة والسلام وقال (ونهانى عن الشجرة) اى عن الاكل منها والمراد بها العنب الذى فى الكرم اوالحنطة وسماها شجرة مجازا لان الشجر ماله ساق (فعصيت) اى خالفت امره تعالى بالاكل منها وفى كون هذا معصية كلام سيأتى فى عصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام (نفسى نفسى) اعتذارا عن تركه الشفاعة لهم لخوفه على نفسه وكررها تأكيدا وبيانا لانه لا يقدر على مسامحة غيره لاشتغاله بنفسه وذكر الانبياء تدريجا الاول فالاول والاقدم فالاقدم على وجه الظهور فضل نبينا صلى الله عليه وسلم (اذهبوا الى غيرى) من الرسل الذين اكرمهم ربى من بعده وقبله فقال (اذهبوا الى نوح) فانه الاب الثانى للعالم بعدى ولم يقل اذهبوا الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليعلم فضله بانه صاحب الشفاعة وانها منحصرة فيه (فيأتون نوحا فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض) فانه لانحصارهم وانحصار الدعوة فيه وهذا لا ينافى اختصاص عموم الرسالة بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لان عمومها لانحصار بعد غيره وقال ابن حجر رحمه الله تعالى لانه لم يكن بعد الطوفان الا من كان مؤمنا معه ونحوه كان مرسلا اليهم والعموم لم يكن فى اصل بعثته وانما اتفق بعده

فالحادث الذى وقع وهو انحصار الخلق الموجودين بعد هلاك سائر الناس واما نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة فثبت اختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك واما كونه اول رسول كما صح فى حديث الشفاعة فالمراد به انه اول رسول ارسل الى جميع اهل الارض فى حموته فليس المراد عموم بعثته مطلقا بل اثبات اولية ارساله ولو سلم فهو مخصوص بعده آيات على ان بعثة نوح عليه الصلوة والسلام كانت الى قومه ولم يذكر انه ارسل الى غيرهم واستدل على عموم رسالته بدعائه على جميع من فى الارض فاهلكوا غير اهل السفينة ولولاه ما اهلكوا لقوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقد ثبت انه اول الرسل واجيب بجواز ان يرسل غيره فى زمنه وعلمه بانهم لم يؤمنوا فدعا عليهم وهو حسن لو نقل مجيء رسول فى زمنه غيره او خصوصية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بقاء شريعته الى يوم القيمة او دعوته لقومه بوحيد بلغ الناس عنه فتمادوا واستحقوا العذاب واليه ذهب ابن عطية فى سورة هود وبعد عدم بلوغ نبوته القريب والبعيد مع طول مدته وقال ابن دقيق العيد يجوز ان يكون الدعوة لتوحيد عامة فى بعض الانبياء وان لم تعم فروع شريعته لان منهم من قاتل غير قومه على الشرك ويحتمل انه لم يكن فى عهده غير قومه فبعثته خاصة وان عمت صورة * اقول هذا ماقاله ابن حجر فى شرح البخارى ولم يبين كون نوح اول الرسل مع من تقدمه من الانبياء وتحقيقه ان آدم صلى الله عليه وسلم كان نبيا رسولا ولكنه ارسل لبنيه ولم يظهر للكفر فى حين قومه وانارة كان كالعلم الصائط لاهله وخدمه فلذا لم يكن كغيره من الرسل عليهم الصلوة والسلام وادريس تأ فى زمنه وشيث كان وصيه الى ان بعث الله تعالى نوحا فاظهر الناس الكفر وخالفه دعوته حتى احتاج الى اهلاكهم فهو اول رسول بعث لدعوة الناس وجادلهم ومعاداتهم ومن قبله لم يكن كذلك كما لايخفى (وسماك الله عبدا شكورا) فى الكتب القديمة لانه كان كلما اكل او شرب شكر ربه فاشتهر بذلك فى الامم السالفة والصحف الموحى بها كما نقل فى تفسير قوله تعالى (ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا) على الاصح من ان الضمير راجع له لالموسى كما قيل فانه قول غير مرضى (الا ترى ما نحن فيه) من شدة الموقف وقوله (الا ترى ما بلغنا) بسكون الغين المعجمة ووجها اى ماوقعنا فيه من الكرب او ماوصل اليامنه وقال النووى الاصح المعروف فتح الغين بدليل انه روى الا ترون مابلغكم ولوكان بالاسكان قال مابلغنا والوجه مابعدم (الا تشفع لنا الى ربك) فى الخلاص مما نحن فيه (فيقول مثله) اى ما تقدم بعينه وفى نسخة التصريح به (فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسى نفسى) وقد تقدم شرحه (قال فى رواية انس ويذكر خطيئته التى اصاب) صفة خطيئته والعائد

(محذوف)

محذوف أي التي أصابها أي عملها والأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون كلهم ولكنهم لشدة تعظيمهم لله تعالى وخوفهم منه يعدون ما صدر منهم نسيانا وسهوا وغفلة ذنبا عظيما والمراد بخطيئته ما فسره بقوله (سؤاله ربه بغير علم) فهو منصوب بدل أو عطف بيان من قوله خطيئته مفعول يذكر وقوله بغير علم صفة مصدر محذوف أو حال أي سؤالا كائنا بغير علم منه بأن ما سأله لا يليق أن يسأله وهو قوله رب إن ابني من أهلي وقد وعدتني ووعدك الحق أن تنجي أهلي من الغرق وهو منهم فنجه فقيل له إنه ليس من أهلك الذين آمنوا وعملوا الصالحات وإنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم وأنه هذا هو كنعان وليس ربيبه وابن زوجته كما زعمه أهل الكتاب قيل إنما عاقه هذا عن الشفاعة وزجره وجعله جهلا لأنه ممن سبق عليه القول من أهله ودلت الحال على ما منعه من السؤال ولكن حب الولد شغله حتى اشتبه عليه أمره وهذا قول قريب من قول من قال إنه طلبه مؤمنا بدليل قوله تعالى (اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) فلا وجه لخطيئته فتأمله (وفي رواية أبي هريرة) في حق نوح عليه الصلاة والسلام (وكانت لي دعوة دعوت بها على قومي) إشارة إلى ما ورد في الحديث أن لكل نبي دعوة والمراد أن الله تعالى وعد كل نبي بأن يجيب له دعوة يدعو بها على جميع أمته فيستجاب أو يدعو بها لهم فلا ينافي كون دعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مستجابا وهذا اعتذار منه عليه الصلاة والسلام في ترك الشفاعة ولذا عقبه بقوله (٢ اذهبوا إلى إبراهيم فإنه خليل الله) وأبو الأنبياء ومقتداهم فإنه أحق بالشفاعة وأقدر عليها مني (فيأتون إبراهيم فيقولون) له (أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض) أي انفردت من بينهم بالخلة كما تقدم وفيه إشارة إلى أنه أهل للشفاعة (اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله) أي مثل ما تقدم (ويذكر ثلاث كلمات كذبهن) هي قوله إني سقيم لما دعي إلى الأصنام وقوله لزوجته لما طلبها الملك منه إنها أختي وقوله في حق الأصنام فعله كبيرهم هذا وهذا كله مخالف للواقع ولا عماده إلا أن إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لم يقصد به حقيقته وإنما قاله لضرب من التأويل قصده فليس بكذب فإن في المعاريض مندوحة عنه وإنما سماه كذبا نظرا لما يظهر منه للمخاطب وخاف أن يؤاخذ به لعلو مرتبته وعظمة الربوبية عنده وأن مقامه يقتضي أن لا يداري مخلوقا أو يخافه وإلا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم كسائر الأنبياء معصوم من الكذب وغيره وعد منها في مسلم قوله في الكوكب هذا ربي والمشهور خلافه لأنه ذكره على طريق الإلزام والجدل ويلزمه زيادة على الثلاثة وقد صرح بالحصر فيها في بعض الروايات وقيل في قوله إني سقيم إنه كانت به حمى خفيفة لا يعد سقما وفيه نظر وسيأتي تفصيلها في محله إن شاء الله تعالى وهذا اعتذار منه عليه الصلاة والسلام

(٢) اذهبوا إلى غيري نسخه

في عدم الشفاعة (نفسي نفسي) أي أنا مشغول بنفسي وتخليصها (لست لها) أي
لست أهلا للشفاعة لغيري (ولكن عليكم بموسى) استدراك لدفع ما لزم من كلامه
الأول من خيبة آمالهم ويأسهم من الشفاعة وعليكم اسم فعل والباء زائدة أي
الزموه فإنه أقدر مني وأقرب إلى الله وهذا تواضع منه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بين
مزيته عليه بقوله (فإنه كليم الله) أي إنه كلمه الله في الأرض سماعا من غير واسطة فهو
أقوى على الشفاعة مني (وفي رواية أخرى فإنه عبد آتاه الله التوراة) التي هي أعظم الكتب
الإلهية قبل القرآن (وكلمه) بيان لكونه كليما أو المراد أوحى الله إليه كلامه (وقربه
نجيا) أي جعله قريبا منه حال كونه نجيا أي مناجيا ومخاطبا له والقرب ليس مكانيا
بل رتبيا (قال فيأتون موسى) عليه الصلاة والسلام (فيقول لست لها) أي لست أهلا
للشفاعة لكم (ويذكر) موسى (خطيئته التي أصاب) أي التي وقعت منه وعاتبه الله عليها
بقوله وما أعجلك عن قومك يا موسى كما هو مبين في التفسير (وقتله النفس) وهو القبطي
الذي استعانه الإسرائيلي عليه فوكزه موسى فمات ولم يكن عامدا لقتله وإنما هو لدفع
الصائل ومثله جائز لكنه عليه الصلاة والسلام خشي المؤاخذة به ولذا استغفر منه
وعده من فعل الشيطان فلا ينافي هذا عصمته عليه الصلاة والسلام ثم قال كما قال
غيره (نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى) عليه الصلاة والسلام (فإنه روح الله وكلمته)
تقدم بيانه مفصلا (فيأتون عيسى) عليه الصلاة والسلام (فيقول لست لها ولكن عليكم
بمحمد عبد) بدل مجرور لا صفة كما قيل لأنه نكرة ويجوز رفعه ونصبه وفي نسخة فإنه
عبد (غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) أي غفر الله له كل ما صدر منه مما يعاتب
عليه وإن لم يكن معصية لعصمته من الذنوب ومن كان كذلك فهو جدير بقبول
الشفاعة منه (فأوتى) بالبناء للمفعول أي فيأتيني أهل الموقف لسؤال الشفاعة لهم
(فأقول لهم أنا لها ٢) الفاء فصيحة أي فإذا يأتوني أنا معهم فأقول لهم أنا أهل
للشفاعة متحريا لها (فأستأذن على ربي) أي أطلب منه أن يأذن لي في القرب منه
والشفاعة لا أن (فيؤذن لي) بالبناء للمجهول أي يأذن الله لي في الدخول إلى مكان
لا يقف فيه داع إلا أجيب وهو موقف ليس بينه وبين الله فيه حجاب وإنما لم ينقل من
موقف العرض والحساب إلى موقف آخر لأن الموقف الأول محل سياسة وخوف
والثاني موقف كرامة ولطف ورحمة فهو أدل على قبول الشفاعة وأدله أن
قلب الشفيع (فإذا رأيته وقعت ساجدا) أي إذا رأى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه
عيانا سجد تعظيما لله وشكرا له على نعمة لقائه دال على وقوع رؤية الله
في الآخرة (وفي رواية فآتي تحت العرش) أي آتي أنا مكانا تحت العرش قريبا منه
(فأخر ساجدا) أي أقع وأسقط في ذلك المكان ساجدا لله سجدتين وقال الراغب
خر بمعنى سقط سقوطا يسمع منه صوت كصوت خرير الماء والريح وغير ذلك مما يسقط

٢) فانطلق نسخة

(من)

من علو وقوله (خروا سجدا) تنبيه على اجتماع أمرين السقوط وحصول الصوت منهم بالتسبيح وقوله تعالى (وسبحوا بحمد ربهم) تنبيه على ان ذلك الخرير كان تسبيحا بحمد الله لا بشيء آخر انتهى وقال التلمسانى هذا المكان الذى يأتى له صلى الله تعالى عليه وسلم يسمى بحضرة العرش وهى دار عظيمة وجنة هى اوسع الجنان واكثرها بساتين يجتمع فيها اهل الجنة لرؤية ربهم فى كل جمعة ولم تعد الا لرؤيته تعالى واكرام من اكرمه الله برضوانه ومشاهدة عظمة ملكوته مع تنزهه عن الحلول والمكان وفى المشارق يدل قوله فاوتى وأوتى وفى شرحه للكازرونى انه سمع بتشديد النون وبه ضبط قال البرهان ومقدار كل سجدة جمعة من جمع الدنيا كما فى مسند احمد وقيل مقدارها سبع سنين قاله [illegible] (وفى رواية فاقوم بين يديه) اى بين يدى الله تعالى وهو تمثيل لشدة القرب منه وتصوير له وقيل الضمير للعرش وهو بعيد ركيك (فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الآن) اى لا احسنها ولا اعرف كيفيتها فى الدنيا (الا ان يلهمنيها الله) اى الا ان يوفقنيها الله فى وقتى بالهام منه والهام الانبياء عليهم الصلوة والسلام نوع من الوحى وهو فى غيرهم ليس بحجة لانه لا يبنى على دليل (وفى رواية فيفتح الله على من محامده) هو قريب معنى من قوله يلهمنى لان الفتح ازالة الاغلاق الحسى كفتح الباب والفعل مستعار فى حصول الشيء ابتداء من غير عسر (وحسن الثناء عليه) هو عطف تفسير لما قبله (شيئا لم يفتحه على احد قبلى) مطلقا او المراد انه لم ييسر لغيره من الرسل قبله ولا بعده ففيه اكتفاء (قال فى رواية ابو هريرة فقال لى) وانا ساجد (يا محمد ارفع رأسك) من السجود (وسل) ما شئت من الشفاعة وغيرها (تعطه واشفع تشفع) والمفعولان محذوفان فى جواب الامر (فارفع رأسى فاقول يا رب امتى يا رب امتى) اى ارحم او انج امتى وفى رواية يأتى امتى بدون قوله يا رب وهو معنى الرواية الاولى على الصحيح وقيل انه يحتمل النداء اى يا امتى ويناديهم ليأتوه ويكونوا معه ليسجدوا داخلين فيه وانما حكم على ان هذه الشفاعة هى الشفاعة العظمى الشاملة لسائر الامم اعتناء بهم واشارة الى انهم المقصودون بالذات من بينهم وحذف الفاعل لصدق المقام وقصد الابهام [illegible] (فيقول) الله بعد رفع رأسه (ادخل من امتك) اى [illegible] (من لا حساب عليه) اى خواص امتك المتقين الذين لا ذنب لهم [illegible] (من الباب الايمن من ابواب الجنة) الذى هو اشرف ابوابها وهو الباب الثانى وهو مخصوص بهؤلاء هذه الامة (وهم) اى الذين لا حساب عليهم (شركاء الناس فيما سوى ذلك) وفى نسخة فيما سواه (من الابواب) وهى باب الصدقة وباب الصوم ويقال له الريان وباب الجهاد وباب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين وباب الراضين وباب الصلوة كما بينه المصنف رحمه الله تعالى فى شرح مسلم

(ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل) الذي في رواية ابي هريرة من قوله فيقال يا محمد ارفع رأسك الى هنا (ثم قال مكانه) وفي نسخة وقال مكانه اي اتى بدلا منه (فاخر) وفي نسخة ثم اخر (ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه) الضمير لما سأل او هو هاء سكت للوقف (فاقول يارب امتي امتي فيقال انطلق) امر اي اذهب من مقام الشفاعة المقرب به (فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر او شعير) المثقال بكسر الميم وسكون المثلثة معناه موازن ومواز لانه يقابله لغة في مقدار ثقله فعبر به عن مطلق المقدار ومن بر الى آخره بيان للحبة وهي واحدة البر المعروف وقوله (من ايمان) بيان لما قال اي من كان في قلبه اقل قليل من الايمان والموزون صحف الاعمال او هي نفسها بناء على جواز تجسيم الاعراض وامور الآخرة لا تقاس بامور الدنيا (فاخرجه) بقطع الهمزة امر من الاخراج معطوف على الامر قبله (فانطلق فافعل) ما امرني به الله من اخراج من في قلبه اقل قليل من الايمان وهذه الشفاعة ان كانت هي الشفاعة العامة فالمراد باخراجهم خلاصهم من هول الموقف وكربه وان كان المراد ما بعدها فالمراد اخراجهم من النار وانطلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من مقام القرب الذي وقع فيه الشفاعة كما تقدم ولذا قال (ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد) التي الهمنيها كما تقدم (وذكر مثل الاول) اي مثل الكلام الاول في قوله فاخر ساجدا الخ (وقال فيه) اي في الحديث الذي رواه مسلم (مثقال حبة من خردل) وهو حب معروف في غاية الصغر والمعنى واحد في كونه كناية عن غاية قلة الايمان (قال فافعل ثم ارجع الى ربي وذكر مثل ما تقدم وقال فيه) كما رواه مسلم (من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى) وهو افعل تفضيل من الدنو واصل معناه القرب في المكان او الزمان او المنزلة كقوله تعالى (قطوفها دانية) ثم عبر به عن الاقل وقابل بالاكثر وعن الاصغر وقابل بالاكبر وعن الارذل وقابل بالخير كما قال تعالى (اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير) وافعل هنا مضافة لما بعدها للمبالغة اي اقل من الاقل وفي صحيح مسلم من رواية انس تكرير لفظ ادنى ثلاثا وهو كذلك في بعض نسخ الشفاء وفي بعضها كرر مرتين ووقع كذلك في صحيح البخاري من رواية الكشميهني وقوله (من مثقال حبة من خردل) بيان لادنى الادنى وقوله (فافعل) اي اخرج من في قلبه اقل قليل من الايمان (وذكر في المرة الرابعة) من رجوعه الى ربه ومراجعته له في الشفاعة فانه وقع مرارا في رواية البخاري وفيما ذكر دلالة على ان الايمان يزيد وينقص فان قلنا بدخول اعمال الطاعة مطلقا او الفرض فهو ظاهر وان قلنا انه مجرد التصديق القلبي فاختلف فيه فقيل لا يقبله فانه لا يقبله الا احتمال النقيض وهو كفر وذهب العضد وغيره من المحققين الى انه يقبلها اما باعتبار او تصديقا ليس كتصديق الانبياء عليهم الصلوة والسلام وتفاوته باعتباره وقوله

التشكيك وعدمه وتحقيقه فى الكتب الكلامية (فيقال لى ارفع رأسك وقل تسمع) اى تجب ونقل رجاؤك (واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يارب ائذن لى فى) الشفاعة واخراج (من قال لا اله الا الله) اى من نطق بكلمة التوحيد والظاهر انه مع اعتقاده لذلك اعتقادا مامن غير مناقشة له وتفتيش عن حاله فافيل من انه ان اعتبر تصديق القلب اللسان فهو كمال الايمان فما وجه الترقى من الادنى المؤكد وان لم يعتبر دخل فيه المنافق وهو مشكل غير متجه فتدبر (قال) اى الله تعالى (ليس ذلك اليك) اى ليس ذلك مفوضا اليك بل الىّ (ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى) قسم دال على تحقق المقسم عليه والعزة الغلبة والقهر والكبرياء بمعنى الترفع عن الانقياد والعظمة ظهور ذلك وزيادته وهى متقاربة (وجبريائى) بالمد مضاف لياء المتكلم وجيمه مكسورة وحروف فتحها وياؤه ساكنة وقيل انه مقصور ومدلشا كلة الكبرياء ورد بانه سمع كذلك من غير ازدواج وهو والجبروت بفتح الباء وسكونها بمعنى وتاؤ للمبالغة كالملكوت (لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله) من غير شفاعة احد واستدل (٢) بهذا الكرامة على ان مجرد النطق بكلمة الشهادة كاف فى صحة الايمان ولا حجة لهم فيه وفيه رد على من قال بخلود اصحاب الكبائر من المعتزلة وما خص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باخراجه من امر ايمانه مزيد نقص او عمل ماوما اخرجه رب العزة من تجرد ايمانه عن كل شئ عداه ويدل له قوله فى حديث الشفيع الذى وفيه لم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار يخرج فيها قوما لم يعملوا خيرا قط يعنى غير قولهم لا اله الا الله خالصا من قلبه كما ورد فى رواية اخرى وقوله من فاته لا أكدك طرت يعنى وسمعت نادى (ومن رواية قتادة عنه) اى عن انس رضى الله تعالى عنه (قال) اى انس لا النبى صلى الله عليه وسلم كما توهم لان الشك فى قوله (فلا ادرى فى الثالثة او الرابعة) انما هو من الراوى والمراد بالثالثة والرابعة مرات مراجعة ربه وانطلاقه لاخراج المشفوع لهم وقيل فى هذا الحديث اشكال لان اوله يدل على ان هؤلاء اهل الموقف والمحشر وآخره يدل على انهم دخلوا النار فاخرجوا منها بشفاعته واجيب بانهم صاروا فرقتين فرقة فى المحشر شفع لهم فلم يعذبوا وفرقة دخلوها ثم اخرجوا منها بشفاعته ففى الكلام اختصار وطى (فاقول يارب مابقى فى النار الا من حبسه القرآن اى وجب عليه الخلود) اى لم يبق بعد هؤلاء الخارجين الا من حكم الله فى القرآن بخلوده فى العذاب ولم تؤذن فى الشفاعة لهم وهم المنافقون والكفار لقوله تعالى (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) اى شفيعا وقوله (ان الله لا يغفر ان يشرك به) ونحوه من الآيات كقوله تعالى (ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) (وعن ابى بكر) الصديق (وعقبة بن عامر وابى سعيد) الخدرى الصحابى المشهور (وحذيفة) بن اليمان (مثله) اى مثل الحديث السابق (قال) اى قال كل واحد منهم

(٢) وقد وقع فى بعض النسخ واستشهد بدل واستدل فاله مصححه ط

او النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (فيأتون محمدا) يأباه ظاهرا اذ الظاهر ان يقول فأتوني اي يأتونه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد مراجعة الانبياء وذكرهم العذر في عدم الشفاعة لهم والآتون هم اشراف اهل المحشر من اتباع الرسل وقال العراقي في الكشف انهم العلماء العاملون يلهمهم الله تعالى طلب ذلك من الانبياء قال وبين اتيانهم لكل نبي وآخر بعده الف عام لكن قال الحافظ بن حجر هذا التعيين للزمن لم اقف له على اصل وقد اكثر في كتبه من مثله فلا يعبر به اسهي (فيؤذن له) اي يأذن الله تعالى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في الشفاعة (وتأتي الامانة والرحم فتقومان عن جنبي الصراط) اي ناحيته بفتح الجيم وسكون النون وكسرة واحده جنبة بفتح النون وسكونها والامانة ضد الخيانة والرحم القرابة واصلها مقر الحمل يعني انهما يمثلان او يجسمان بقدرة الله تعالى ليشهدا على الخائن وقاطع الرحم وخلافهما وقيل المراد بالامانة العظمى التي في قوله تعالى (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) وهي التوحيد والاقرار به في عالم الذر التي فطر الناس عليها والرحم هي المذكورة في قوله تعالى (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) وهذا المعظم امر الله وشفقته على خلقه وفي هذا ونحوه مما لم جدا وان لم يرد على المعتزلة المنكرين للصراط كما بين في الكتب الكلامية ورأى يحيى بن اليمان رجلا نائما وهو اسود الرأس واللحية شاب فاسد فقط وهو ابيض شعر الرأس واللحية فاخبره انه رأى في منامه كأن الناس قد حشروا واذا نهر من نار وجسر يمر عليه الناس فدعي فدخل الجسر فاذا هو كحد السيف يتوره يمينا وشمالا فشاب من ذلك (وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع لهم) في الخلاص من الموقف وهوله نسأل الله السلامة (ويضرب الصراط) اي يوضع كما ورد في رواية اخرى وعبر به فيما يأتي من ضرب الخيمة اذا نصبها وعبر بالضرب لذي اوتاده واطرافه وتوهم بعضهم ان الضرب بمعنى الجلد فقال ان ضربه يشعر بمرور الصراط نفسه مع من عليه فان كان المراد مرور من عليه فضربه لاستعجالهم ونحو فهم وهذا مما يقضى منه العجب وهو جسر ممدود اي منصوب عليها لعبور المسلمين عليه الى الجنة وعن الفضيل بن عياض قال بلغنا ان الصراط مسيرة خمس عشرة الف سنة خمسة الآلاف صعود وخمسة الآلاف هبوط وخمسة الآلاف مستوي لا يجوز عليه الا الضامر المهزول من خشية الله عز وجل وهذا معضل لا يثبت فتأمل نفسك اذا حرت على الصراط ووقع بصرك على جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وزفيرها وسوادها وسعيرها وكيف بك اذا وضعت احدى رجليك عليه فاحسست بحده ثم اضطررت الى ان ترفع القدم بعد القدم والخلائق بين يديك يزلون

والربانية تلتقطهم بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر الى ذلك فياله من منظر ماافظعه ومن نصر ماانصعه ومجار مااضيقه نسأل الله السلامة والاعانة والعافية انتهى وهو على متن جهنم ادق من الشعرة واحد من السيف اوالموسى وعند ابن المبارك وابن ابى الدنيا عن سعيد بن هلال بلغنا ان الصراط ادق من الشعرة على بعض الناس ولبعض الناس مثل الوادى الواسع وهو مرسل اومعضل انتهى كما ورد فى الحديث وما قيل انه شعرة من عين مالك لااصل له وانما هو من اكاذيب الوعاظ واصحاب القصص والصراط بالصاد والسين والزاء كما بين فى اللغة وكتب التفسير وعلم القراآت (فيمرون) اى عن الناس عليه فمنهم من يقع فى النار ومنهم من ينجو وهم فرق (اولهم كالبرق) فى السرعة من غير مهلة ومشقة (ثم كالريح والطير) فى السرعة مع الزمان الممتد اكثر من الاول (وشد الرجال) بالجيم جمع رجل ضد المرأة كما صحح فى النسخ والشروح وصحح العرفى تقييد المصنف رواته عنه كما نقله التلمسانى انه الرحال بالحاء المهملة جمع راحلة وهى روايته ابن ماهان والمراد به هنا البعير فقد ذكر بعضهم ان الرحل مايوضع على البعير ويعبر به تارة عن البعير انتهى فما قيل ان روايته بالحاء المهملة خطأ خطأ وان كان لايخلو من التكلف وفى بعض الشروح هنا ما نصه ولاحاجة لنا بايراده والشد سرعة الجرى وقال الراغب انه مستعار من قولهم اشد الريح وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ونبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم) فى هذا الحديث يعنى به نفسه على طريق التجريد المعروف فى علم البديع (على الصراط) يحتمل انه على ظاهره ويحتمل ان المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم واقف عنده اكن بقربه منه كالواقف عليه (يقول اللهم سلم سلم) جملة حالية تدل على اعتنائه صلى الله تعالى عليه وسلم بهم والدعاء لهم بالسلامة من الوقوع فى جهنم (حتى يجتاز الناس) يجتاز افتعال من الجواز وهو المرور وهو غاية لقوله اى لايزال يقوله حتى يمروا اوعلة له اى يقوله حتى يسلموا فيمروا والناس اعم من امته (وذكر آخرهم جوازا الحديث) اى اذكره اى سمى آخر من يمر على الصراط فقيل هو هناد وقيل جهينة وقيل هما واحد واحدهما اسم والآخر لقب والذى رأيناه ان جهينة آخر من يخرج من النار وعند جهينة الخبر اليقين كما ذكر فى كتب الحديث وفى شرح التلمسانى قيل آخر من يخرج من النار هناد ولم يقع اسمه فى الصحيح وروى ان الحسن قال ياليتنى كنت هنادا فقيل انما تمنى هذا لانه علم انه قطع له بخاتمه الايمان فى الحديث وقيل لان يدخوله الجنة تكملت النعمة على اهلها لانهم كالجسد الواحد انتهى (وفى رواية ابى هريرة فاكون اول من يجيز يومئذ) هذا مما رواه الشيخان فهو اول من يجيزه من الرسل وهو يقتضى ان المراد بالناس السابق امته وانهم اول الامم جوازا على الصراط فانه صلى الله تعالى عليه وسلم قصب السبق فى كل امر فهو

اول من بُعث في عالم الارواح والذر واول من يشفع واول من يفتح باب الجنة واول من يدخلها واول من يجيز امته على الصراط ويجيز مصارع وليس يمشي حاركا قال (وعن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (توضع للانبياء) عليهم الصلوة والسلام في ارض المحشر (منابر من نور) جمع منبر اي كرسي مرتفع (يجلسون عليها) والناس وقوف على اقدامهم اكرامالهم وتمييزا لهم عمن عداهم برفعة مقامهم ليسر المؤمن بهم ويخزى من كفر (ويبقى منبري) خاليا عني (لااجلس عليه) حال من المضاف وقوله (قائما) حال من فاعل اجلس فهي متداخلة لاحال بعدحال (بين يدي ربي منتصبا) اي قربا منه تعالى قربا معنويا منزهه عن الزمان والمكان والجارحة فهو تمثيل وقيامه صلى الله تعالى عليه وسلم مع جلوس غيره من الانبياء فيه زيادة تكريم له لما فيه من الاشارة الى انه من المقربين في حظائر القدس الناظرين في امور غيرهم عند ربهم ولذا فرع عليه قوله (فيقول الله ماتريد ان اصنع بامتك) لما فيه من الدلالة على زيادة محبته واكرام اتباعه بما هو في صورة الاستشارة له (فاقول يارب عجل حسابهم) اي قدم النظر في امورهم على غيرهم حتى يخلصوا من هول الموقف ويدخل الجنة من هو داخلها بهم فيعلم من عذب منهم عدم خلوده في النار فلا منافاة بين هذا وحديث من نوقش الحساب عذب ولذا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها لايحاسب احد يوم القيمة الادخل الجنة (فيدعى بهم) اي بامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مبني للمجهول كقوله (فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته) تعالى من غير شفاعة لغلبة حسناته على سيئاته ولطف الله تعالى به (ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي) له وذلك رحمة ايضا (ولاازال اشفع) في العصاة (حتى اعطى صكاكا) غاية اوعلة لاستمرار شفاعته وامتدادها وصكاك بالصاد المهملة وكاف مكرره جمع صك كصكوك واصك وهو الورقة التي تكتب المصالح والعرف خصها بحجة القاضي وهو معرب جك بالجيم المعجمه (برجال قدامربهم الى النار) فهي متعلقة بهم وكانها ترسل خلفهم بعد ذهاب ملائكة العذاب بهم وامر مبني للمجهول اي امرهم الله بأخذهم ليدخلوها اوباخراجهم بعد مادخلوها (حتى ان خازن النار) الملك الموكل بها وهو مالك او المراد جنسها فيشمل مالك واتباعه (ليقول) لما رآه من كثرة انقاده لمن امربه (يامحمد ماتركت لغضب ربك في امتك من نقمه) الغضب ارادة الانتقام والنقمه بكسر اوله العذاب اي لم تدع احدا ممن استحق العذاب بعذب وحتى هنا ابتدائيه (ومن طريق زياد) بن عبدالله النصري (النميري) بالتصغير نسبة الى نميرة لقبه سميت باسم ابيها وقد اختلف فيه فقيل انه ثقه وقيل ضعيف لايحتج به وهذا الحديث رواه البيهقي وابو نعيم في الحلية

(عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنشق الارض) اى تنشق والفلق شق الشئ وابانه بعضه من بعض قال تعالى (فالق الاصباح) (عن جمجمته) بضم الجيم الاولى والثانية وهي الرأس اوقحف الرأس وعظمه الذى فيه الدماغ وخصها لانها اول ما نظهر منه (ولا فخر) اى لا اقول هذا اظهارا للافتخار والتبجح بل بيانا لما انعم الله به علىّ وتحديثا بنعمته ولا ينافيه ما ورد في الحديث * لا تفضلونى على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى آخذ بساق العرش لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله قبل علمه بانه سابق عليه في البعث وانه لايلزم منه افضلية موسى عليه فتأمل (وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر) المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم واشرفهم في الدنيا والآخرة وخص الثانى بالذكر لعدم اعتداده بغيره اولانه يعلم منه بالطريق الاولى اولانه مسلم لا ينكره كافر (ومعى لواء الحمد يوم القيمة) اى معى لواء موضوع عندى اوهو بيده صلى الله تعالى عليه وسلم على عادة العرب في اخذ الرئيس اللواء والمراد لواء الرياسة العظمى الذى يحمده ويغبطه به سائر الخلق لتفرده صلى الله تعالى عليه وسلم به وهو على حقيقته اوكناية عن تقدمه على غيره (وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر) اى يفتح له بابها وفي نسخة ابواب الجنة (فآتى فآخذ بحلقه) باب (الجنة) بسكون اللام كامرا اى امسكها واحركها حتى يسمع حرستها (فيقال من هذا) الذى دق الباب (فاقول) انا (محمد فيفتح لى) لعلمهم بانه اذن له صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك (فيستقبلنى الجبار تعالى) اى فارى الله عيانا بعد الفتح وعبر بالجبار دون غيره لانه يوم جزاء وانتقام كما مر ان الله غضب في ذلك اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده (فاخر له ساجدا) لما شاهده صلى الله عليه وسلم من عظمة الله تعالى وانعامه عليه وتجليه له برؤيته ورضوانه * قال السنوسى في هذا تمثيل بحاله كمن قدم على ملك عظيم في سلطانه وكرسى مملكته ودار كرامته فاستقبله لما قدم عليه بشر بقاله واظهارا لعظمه مقامه عنده وطمأنينته ولا شاعة ازدياد سروره مع علوه وجبروته واستئناسه عن خلقه فلا يوهم ان المقام يناسب ان يقال استقباله الرحمن لا الجبار (وذكر نحو ما تقدم) من حمده بمحامد لم يكن حمده بها قبل (ومن رواية انس سمعت رسول الله عليه السلام يقول) بالتصغير وفي بعض النسخ انس مكبر والصحيح الاول وهو صحابى انصارى اسهلى ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وروى عن شهر بن حوشب ولم يسمه وذكر حديثه هذا الطبرانى في الاوسط وقالوا اسناده ليس بقوى وقول بعضهم اؤيد ضعفه بعاني الشفاعة بالانعمل من الحجر والمدر سهو لان معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما في الارض من حجر ومدر) انه يشفع لناس اكثر عددا من عدد الحجر والمدر لا ما توهمه واعجب ممن اعتذر له بانه لا يبعد

ان يستغيث به صلى الله تعالى عليه وسلم الجمادات فرقا من نار جهنم وزمهريرها (وقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الآثار) اى اذا سمعت ما تقدم من الاحاديث مرفوعة وغير مرفوعة واختلاف الفاظها فى شفاعته صلى الله عليه وسلم وتفسير المقام المحمود الذى وعده الله تعالى به تبين لك من مجموعها (ان شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم ومقامه المحمود) بالنصب عطف على اسم ان وخبرها قوله الآتى من حين الى آخره فلا يتوهم انه لاخبر لها مذكور وانه مقدر وقوله (من اول الشفاعات الى آخرها) بيان لمقامه المحمود وفيه اشارة الى تعدد شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال القرطبى انها اربعة وفى الحديث زيادة عليها وهى شفاعته العظمى فى الخلاص من كرب الموقف لجميع الناس وشفاعته لدخول اهل الجنة الجنة وللمذنبين فى العفو عن ذنوبهم ولمن امر به الى النار ولمن قال لا اله الا الله ولاخراج من دخل النار منها ولرفع درجات اهل الجنة كما مر جميع ذلك (من حين يجتمع الناس للحشر) هذا خبران ومن ابتدائية (وتضيق بهم الحناجر) هذا كناية عن شدة الهول والكرب والحشر جمع الناس فى المحشر والنشر الخروج من القبور بعد الاحياء والحناجر جمع حنجرة وهى الحلقوم او طبقتان به تمايلى العلصمة اوراسه او المراد انها تضيق عن اخراج النفس لكثرته وشدته لتراكم الغم والهم حتى تبلغها كما قال الله تعالى (اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين) (ويبلغ منهم العرق) بفتحتين وهو معروف (والشمس والوقوف مبلغه) اى نهايته الى تمكن بلوغها والوصول اليها وفى الحديث يكون عرق الناس على قدر اعمالهم فمنهم من يكون عرقه الى كعبه ومنهم من يكون الى ركبته ومنهم من يريد حتى يلجمه قالوا وهذا امر خارق للعادة فان الناس اذا كانوا فى الماء فى مكان مستو يكون تغطية الماء لهم على السواء ومبلغ الشمس قدر ميل وهذا ايضا خارق للعادة فان الشمس ليست فى سماء الدنيا كما انهم عراة ولا يرى احدهم عورة غيره (وذلك قبل الحساب) الاشارة الى اجتماعهم للحشر (فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف) اى حين اذ تضيق الحناجر ويبلغ ذلك مبلغه (ثم يوضع الصراط) السابق ذكره ومرانه ليس شعره من حصن مالك كما قيل (ويحاسب الناس كما جاء فى الحديث) الذى تقدم ذكره (عن ابى هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن) اى اكثر اتقانا من غيره (فيشفع فى تعجيل من لاحساب عليه من) ابتداء (امته) وتشفع معلوم او مجهول لكونه معلوما (الى الجنة) متعلق بتعجيل (كما تقدم) من جوابهم من الباب الاعن (ثم تشفع) سمانه تابعه (فيمن وجب عليه العذاب) اى تحقق فالوجوب ليس على ظاهره (ودخل النار منهم) كما تقدم (حسب) بسكون تابعه وفتحه ونصبه على المصدرية او الظرفية اى على وفق ومثل (ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة) السالفة (ثم) تشفع

(فمن قال لااله الاالله) خالصا مخلصا من قلبه كما تقدم * فان قلت هذا ينافي ماتقدم من قوله فاقول يارب ائذن لي فيمن قال لااله الاالله فيقول ذلك ليس اليك * قلت اجيب عنه بانه ليس فيه الا ان اخراجهم من النار مفوض الى الله لا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لاينافي اخراجهم بشفاعته وفيه خفاء وقد يقال المذكور شفاعته فقط وقيل المراد من اثر توحيده زيادة طمأنينة له والسابق المفوض لله تعالى من مجرد توحيده عما عداه (وليس هذا) اى الشفاعه فيمن قال لااله الاالله (لسواه) من الشفعاء (وفي الحديث المشتهر) اى الشائع ولا يلزم منه صحته فلذا قال (الصحيح) الذي رواه الشيخان (لكل نبي دعوة يدعو بها) تقدم ان المراد بها دعوته لجميع امته لامخصوصه به او ببعض امته والا فللانبياء عليهم الصلوة والسلام دعوات كثيرة مستجابة بل لبعض اممهم بدليل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمه) واشار المصنف رحمه الله تعالى الى جواب آخر بقوله (قال اهل العلم معناه) اى معنى هذا الحديث المقصود منه (دعوة اعلم) بضم الهمزة وكسر اللام مبني للمجهول اى اعلمه الله وروى اعلموا بالبناء للمجهول اى الانبياء وعلى الاول النائب للفاعل ضمير مستتر وقوله (انها تستجاب لهم) مفعول ثان له اى يتيقنون اجابتها (ويبلغ فيها مرغوبهم) بالبناء للمجهول ومرغوبهم اى مطلوبهم الذي رغبوا في حصوله واحبوه نائب الفاعل (والا) اى وان لم يقل ان معناه ماذكر بان بقى على ظاهره وانه يستجاب له دعوة فقط كان مخالفا للواقع (وكم لكل نبي من دعوة مستجابة) اى اجاب الله تعالى دعاءه بها في الدنيا (ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) خصوصا (منها مالا يعد) من الدعوات المشاهد استجابتها (ولكن حالهم عند الدعاء بها) ولم يتحقق اجابتها (بين الرجاء) لاجابتها (والخوف) من عدم قبولها (وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابة) اى ضمن الله لهم قبولها بها وهذه هي الدعوة المذكورة في هذا الحديث والجار والمجرور حال اى متيقنا اجابتها ثم اشار الى جواب آخر بقوله (وقد قال محمد بن زياد) الجمحي البصري الثقة الذي اخرج له اصحاب الكتب الستة (وابو صالح) ذكوان السمان الثقة (عن ابي هريرة في) تأويل (هذا الحديث) وتفسيره (لكل نبي دعوة دعا بها في) حق (امته) وشانهم سواء كانت لهم ام عليهم (فاستجيب له وانا اريد ان أؤخر دعوتي شفاعة) بالنصب اى لاجل الشفاعة (لامتي يوم القيمة وفي روايه ابي صالح) السابق ذكره وهذا مارواه الشيخان عنه (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته) وفيه اقامة الظاهر مقام المضمر لان المقام مقام بشارة يطلب فيه البسط (ونحوه في روايه ابي زرعه) بن عمرو بن جرير بن عبدالله البجلي الامام الثقة اخرج له اصحاب الكتب الستة وقد اختلف في اسمه فقيل جرير وقيل عبدالله وقيل عبدالرحمن وقيل هرم وقيل

هذا وهم وانما هو هادم وقيل عمرو (عن ابي هريره) رضي الله تعالى عنه (وعن انس مثل رواية بن زياد عن ابي هريره) اى موافقة لها معنى واشار بكثرة طرقه الى صحته وقوة روايته ثم بين المراد بهذا الجواب وانه غير الجواب السابق بقوله (فيكون هذه الدعوة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا) اى وان لم يفسر الحديث بما ذكر لزم الخلف (فقد اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم انه سأل لامته اشياء من امور الدين والدنيا منع بعضها واعطى بعضها) فتبين انها ليست الدعوة الموعود بها وهذا اشارة لما في الصحيح من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت الله عز وجل ثلاث خصال فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة منها سألته ان لا يهلكنا بما اهلك به الامم فاعطانيها وسألته ان لا يظهر علينا عدوا من غيرنا فاعطانيها وسألته ان لا يلبسنا شيعا وفي رواية يذيق بعضنا بأس بعض فمنعها وهو المذكور في سورة الانعام في آية (قل هو القادر على ان يبعث) الخ ومن فسر الدعوة التي ادخرها بهذا فقد اخطأ وغفل عن قوله (وادخرلهم هذه الدعوة) بالدال المهملة المشددة اى جعلها ذخيرة مؤخرة (ليوم الفاقة) وهي الفقر وشدة الحاجة والمراد به يوم القيمة لاحتياج الناس فيه الى رحمة الله تعالى وشفاعة نبيه حيث لا يسمع غيره (وخاتمة المحن) جمع محنة بكسر الميم وهي البلية الحيرة يعني هول الموقف اذ لا بلية بعده الا النار (وغطم السؤال والرغبة) بالجر معطوف على يوم الفاقة اوعلى الفاقة اوجعل اليوم نفس محنة والرغبة عطف تفسيري لما قبله اوهو اخص منه ولم يذكر ما يفصل به النبي صلى الله عليه وسلم على امته الداخل فيهم دخولا اوليا (٢) حتم الفصل بدعائه له بقوله (جزاه الله) تبارك وتعالى (ماجرى نبيا عن امته) اى بما جزاه او بما له وفي نسخة احسن (وصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا) دائما ابدا الى يوم الدين وابعض الشراح هنا كلام طويل لاطائل تحته تركناه خوف السآمة مما لافائدة فيه والله تعالى اعلم ❁ فصل في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم ❁ على غيره (في الجنة بالوسيلة) اصل الوسيلة امر يكون موصلا لامر يبتغيه كالهدية والتودد ونحوه قال الراغب الوسيلة التوسل الى الشيء برغبة وهي اخص من الفضيلة وتتضمن معنى الرغبة عدت بالى قال تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) وحقيقة الوسيلة الى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة انتهى والمراد بها منزلة عالية في الجنة كما سيأتي فهو مجاز من باب اطلاق السبب على المسبب ومن فسرها بالقرب من الله تعالى فقد تسامح في العبارة قال الرشدي يقال وسل اذا تقرب لانها المقرب (والدرجة الرفيعة) اى المرتبة العالية والدرجة هنا المنزلة واصلها ما يصعد فيه كدرجات السلم وهذا تفسير لما قبله وقال السخاوي في المقاصد الحسنة لم يرد هذه اللفظة في الدعاء الذي يدعى به عقب الاذان كما يفعله من لا خبرة له بالسنة فذكره في الدعاء

(٢) وقد وقع في بعض النسخ اولويا بدل اوليا قاله مصححه ط

لااصل له (والكوثر) تقدم تفسيره وانه فوعل من الكثرة والمراد به نهر في الجنة (والفضيلة) فعيلة من الفضل ضد النقص ثم ذكر المصنف شواهد لتفضيله في الجنة على غيره منها حديث رواه مسلم وابوداود والترمذي واقتصر في الرواية على مافي ابي داود دون الترمذي ومسلم لقرب سنده الى الاول دونهما فقال (حدثنا القاضي ابوعبد الله محمد بن عيسى التميمي) نسبة لتميم قبله وقد تقدمت ترجمته (والفقيه ابوالوليدهشام بن احمد) تقدم ايضا (بقراءتي عليهما) لاسماعي من لفظهما وفي نسخة عليه بالافراد وهذه اعلى من السماع من شيخه كما علمت (قالا حدثنا ابوعلي الغساني) الجياني السابق ذكره قال (حدثنا النمري) بفتح النون والميم وهو الامام ابن عبدالبر المتقدم قال (حدثنا ابن عبدالمؤمن) قال (حدثنا ابوبكر التمار) بفتح المثناة الفوقية نسبة الى التمر المعروف وتقدم ان الاول عبدالله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي وابوبكر التمار تقدمت ترجمته ايضا قال (حدثنا ابوداود) الحافظ صاحب السنن وقد تقدم ايضا قال (حدثنا محمد بن سلمة) بفتح السين واللام ومافي بعض النسخ من انه مسلمة بميم في اوله سهو من الناسخ وهو ابوالحارث محمد بن سلمة المرادي المصري اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة مائتين وثمان واربعين قال (حدثنا ابن وهب) هو عبدالله بن وهب تقدمت ترجمته (عن ابن ابي لهيعة) بفتح اوله وكسر ثانيه وهو عبدالله الحضرمي ثم المصري الامام الحافظ وهو ثقة خلافا للذهبي اذضعفه روى عنه مالك واصحاب السنن وتوفي سنة مائة واربع وسبعين (وحيوة) بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وواو وهاء وواسمه حية بالادغام الا انه لم يعبر فرقا بين العلم وغيره وهو ابن شريح الحمصي ثم المصري توفي سنة مائتين واربعة وعشرين وروى عنه اصحاب السنن (وسعيد بن ابي ايوب) ابويحيى بن مقلاص الخزاعي المصري الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة احدى وستين ومائة (عن كعب بن علقمة) بن عمرو بن زيد بن حشم الانصاري الخزرجي الصحابي البدري توفي سنة اربع وثلاثين وسنه سبعون سنة وفي بعض النسخ عن كعب عن علقمة والصواب الاول (عن عبدالرحمن بن جبير) القرشي مولى نافع الثقة توفي سنة سبع وتسعين واخرج له اصحاب الكتب الستة (عن عبدالله بن عمرو بن العاص) السابق ذكره (انه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) حال وعبر بالمضارع لحكايته حتى كانه مشاهد حاضر (اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول) من كلمات الاذان غير الحيعلتين فانه يقال عند سماعهما لاحول ولا قوة الا بالله وهذا على سبيل الندب على الصحيح وفي قول عند الشافعية انه واجب واذا كرر سماعه يكفي اجابة الاول وفي فتاوى ابن عبدالسلام انه يندب اجابة الكل والاول اصح وكذا في الاقامة عند الشافعي ويقول عند قوله قدقامت الصلوة اقامها الله وادامها وعند

قوله الصلوة خير من النوم صدقت وبررت قيل ولا يلزم سماع جميعه ولا فهمه (ثم صلوا علي) اى قولوا عقب الاجابة اللهم صل وسلم عليه وهذا مندوب ايضا (فانه من صلى علي) اى اتى بصيغة من صيغ الصلوة مرة واحدة قريبة قوله (صلى الله عليه بها) اى بصلوته وتنكير انه للشان (عشرا) لتضاعف الحسنات (ثم سلوا الله لى الوسيلة) اى ادعوا الله لى بان يؤتينيها فقولوا اللهم آت محمدا الوسيلة ثم فسرها بقوله (فانها منزلة فى الجنة) اى مقام عال فيها اعلى مما عداه (لا ينبغى) اى لا يليق اعطاؤها (الا لعبد) عظيم جليل عند الله فالتنوين والتنكير للتعظيم (من عباد الله) الاشراف الاقربين فالاضافة لاختصاصهم بالشرف والقرب من سيدهم قال ابن كثير هى اقرب منازل الجنة الى العرش واعلاها واشرفها وتقدم ان الوسيلة من التوسل وهو التقرب * فان قلت ما وجه تخصيص الدعاء بها بعد الاذان * قلت لما كان المؤذن يدعو الناس للصلوة وهى مقربة الى الله ومعراج المؤمنين وهذا مما من الله به علينا بارشاده وهدايته ناسب ان يجازى ذلك الدعاء بالقرب من الله ورفعة المنزلة فان الجزاء من جنس العمل (وارجو ان اكون انا هو) ضمير الفصل او مبتدأ وهو خبر والجملة خبر اكون وكون انا تأكيدا للضمير المستتر وهو خبر استعير ضمير الرفع للمنصوب او وضع موضع الظاهر والاصل اكون انا اياه وذلك خلاف الظاهر وتعبيره صلى الله عليه وسلم بالرجاء مع تحقق اختصاصه بارفع المنازل عندربه تأدبا وتشريعا لامته بالدعاء له وفيه دليل على جواز دعاء المفضول للفاضل ليفوز بالثواب كما اشار اليه بقوله (فمن سأل الله تعالى لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة) بالحاء المهملة وتشديد اللام بمعنى وجبت من حل يحل كضرب يضرب او غشيته ونزلت عليه من حل يحل كقعد يقعد وروى وجبت وروى له بدل عليه ولا حاجة لحمل اللام بمعنى على لان وجب يتعدى وليس المراد بالوجوب معناه المشهور بل التحقق والتيقن ولا يستشكل بان الشفاعة للمذنبين وقائلها ليس مذنبا بل عابد لله تعالى لان الشفاعة انواع كما مر كالشفاعة فى دخول الجنة من غير حساب وفى رفع الدرجات وزيادة العطيات ولا يخص هذا بمن قاله مخلصا مستحضرا لاجلاله صلى الله تعالى عليه وسلم بل يكفى فيه مجرد قصد الثواب الا انه ينبغى ان لا يكون غافلا لاهيا واستحباب هذا لغير المصلى فرضا او نفلا فان قاله فيها لا تبطل صلوته لانه ذكر الا فى قوله صدقت فانه من كلام الناس فتأمل (وفى حديث آخر) رواه الترمذى ايضا (عن ابى هريرة الوسيلة اعلى درجة فى الجنة) مخصوصة به صلى الله عليه وسلم وهى اقرب الى العرش من سائر المنازل وليس هذا معلوما من الحديث السابق الا انه المراد منه (وعن انس) فى حديث رواه البخارى (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير فى الجنة) تقدم الكلام على بينا بالالف والظاهر ان سيره هذا كان ٠ ١ ١ ويحتمل انه يقظة فى الاسراء (اذ عرض لى نهر)

اى فاحا فى عروسه اى طهوره بمروري عليه (حافتاه) اى جانباه وشطاه وهو بتخفيف الفاء المفتوحة وهو مبتدأ خبره (فيهما لؤلؤ مثل القباب) وفى نسخة حافتاه قباب اللؤلؤ جمع قبة المعروفة اوهى بيت صغير تصربه العرب لتنزل فيه والجملة صفة نهر بسكون الهاء وفتحها والمراد انها لؤلؤ حقيقى اومثله فى الحسن والنضارة (قلت لجبريل ماهذا) النهر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعرفه (قال هذا الكوثر الذى اعطاكه الله) اى وهبه لك فى قوله (انا اعطيناك الكوثر) وهو فوعل صفة مشبهة من الكثرة لكثرة مائه واوانيه ولذا فسره ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بالخير الكثير كما يأتى عاقبه وهو اصل معناه ثم نقل وجعل علما لهذا النهر ودخلت عليه اللام للمح الاصل ووصل الضميرين المنصوبين على اللغة الفصحى ولو فصل وقال اعطاك اياه جاز وورد فى صفته انه ابيض من اللبن واحلى من العسل كما سيأتى (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ضرب) جبريل عليه الصلوة والسلام (بيده الى طينه) بالتنوين والاضافة الى ضمير النهر وسماه طينا لانه بمنزلته وعلى صورته وضربه بيده مجاز عن ادخالها فيه (فاستخرج مسكا) اى اخرج من قعره وعرضه لمعرفة فضله وان طينه مسك فليس كانهار الدنيا (و) روى (عن عائشة وعبدالله ابن عمرو) بن العاص (مثله) اى مثل حديث انس المذكور (قال) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (ومجراه) بفتح الميم مصدر ميمى اى جرى هذا النهر اى مجرى مائه (على الدر والياقوت) الذى فوق طينه الذى هو مسك كما ان الانهار تجرى على طين وحصى فهذا طينه مسك وحصاه جواهر فلامنافاة بين كون مجراه على الجوهر وكون طينه مسكا كما مر (وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج) بفتح المثلثة وسكون اللام فبل الجيم وفتحها مصدر ثلج صدرى بكذا اى بردليقنه وابيض افعل تفضيل من البياض وقد سمع من العرب على خلاف القياس فلاينافى قول النحاة ان افعل التفضيل لايصاغ من الالوان كما مر ويجوز ان يكون صفة كاحمر واسود الا انه خلاف الظاهر وفى الحديث ان الله اعطانى نهرا يقال له الكوثر لايكاد احد من امتى يسمع خريره الاسمعه فقيل يارسول الله كيف ذلك قال ادخل اصبعيك فى اذنيك وسدهما فالذى تسمعه خريره نقله السهيلى وفى رواية ابيض من اللبن وكونه احلى من العسل لاينافى ان من انهار الجنة نهرا من عسل (وفى رواية عنه فاذاهو) اى الكوثر (يجرى) جريا معتدلا (ولايشق شقا) جملة حالية من ضمير يجرى اى لايشق الارض لشدة جريه وكذا سائر انهار الجنة تجرى من غير ان تجد اخدودا كما قاله التلمسانى ويشق مبنيا للفاعل وقيل انه روى مبنيا للمجهول وقيل المراد انه يجرى معترضا لامستطيلا من قولهم شق البرق اذا لمع مستطيلا وهو بعيد لماورد فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاتظنون ان انهار

الجنة اخدودا لاوالله انها لسائحة على وجه الارض وقد يرجح ما ذكر اليه فيكون
المعنى واحدا (عليه) اى على الكوثر (حوض) والظاهر انه بجانب قريب منه كما
يقال مررت على زيد اى على مكان قريب منه والحوض معروف وقد قيل المراد
بكونه عليه انه يتقدمه لان عنده ميزابين يشخبان فيه من الكوثر الا انه بجانبه اذ هو
فى الجنة والحوض خارجها للحديث الآتى ليردن علىّ اقوام اعرفهم ولا يعرفونى
ثم يحال بينى وبينهم فاقول انهم امتى فيقال لا تعلم ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا
لمن غير بعدى فتأمل (ترد عليه امتى) اى تأتونه للشرب منه واظنه بعد الحساب
والنجاة من النار (وذكر حديث الحوض) الآتى وهذا يدل على انه غير الكوثر
وقد جاء فى بعض الاحاديث ان الكوثر هو الحوض والحق انه غيره على قول من اقوال
عدة ولو قيل بتعدد الحوض لم يبعد (ونحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما) اى روى
عن ابن عباس ما يوافقه (وعن ابن عباس ايضا) اى فى رواية اخرى ذكرها البخارى
(قال) فى تفسيره (الكوثر الخير الكثير الذى اعطاه الله اياه) تشريفا له صلى الله تعالى
عليه وسلم وتكريما وهذا بناء على انه فوعل من الكثرة مطلقا ثم خص بالكثير من الخير
وبالنهر الذى فى الجنة فان اراد ابن عباس بهذا بيان ما وضع له لغة او بيان معنى
عام خص فى الحديث والآية فلا كلام فيه وان اراد تفسير ما فى الآية فالاحاديث
الصحيحة وردت بخلافه وفى الآية ستة عشر قولا قيل انه النهر السابق ذكره وقيل
النبوة والكتاب وقيل القرآن وقيل الاسلام وقيل تخفيفات الشريعة وقيل كثرة الامة
وقيل رفعة الذكر وقيل نور القلوب المحمدية وقيل كثرة المعجزات وقيل الدعوات المجابة
له صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل كلمة التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الفقه
فى الدين وقيل الخمس صلوات التى خصت بها امته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل
الحوض والاصح انه نهر فى الجنة مخصوص (وقال سعيد بن جبير والنهر الذى
فى الجنة من الخير الذى اعطاه الله اياه) يعنى انه على عمومه وهذا داخل فيه او هو المراد
منه (و) يؤيده ما روى (عن حذيفة) بن اليمان (فيما ذكره عليه الصلوة والسلام
عن ربه) حيث نبه له فى حديث قال فيه (واعطانى الكوثر وهو نهر فى الجنة
يسيل فى حوضى) الذى فى الموقف او بعد الصراط يسقى منه امته وفيه اشارة الى
تفسيره بالحوض لان مآله منه (وعن ابن عباس) فى حديث صحيح رواه ابن جرير
بسنده وابن حبان (فى) تفسير (قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى) اى
يعطيك الى ان ترضى بما اعطاه لك وتقر عينك (قال) من جملة ما اعطاه (الف
قصر من لؤلؤ ترابهن المسك) اى هى من لؤلؤ وترابها من المسك فالضمير للقصور
الذى دل عليها قوله الف قصر (وفيه) اى فى كل قصر فاعاد الضمير عليه مفردا
رعاية للفظه لان كل مفرد مذكر (ما يصلحهن) الضمير عائد عليه ايضا رعاية

لمسماه وقيل ضمير فيه عائد عليه نظرا للفظ قصر اولتأويله بما ذكر هنا قيل ان ضوابه فيهن لاوجه له والمراد مايقوم بمصالح تلك القصور من الخدم والزوجات والآلات كالاوانى كما اشار اليه بقوله (وفى رواية اخرى وفيه ماينبغى له) اى فى كل قصر ما يناسبه ويليق به (من الازواج والخدم) بفتحتين جمع خادم وفعل جمع لفاعل ورد فى الفاظ ذكرها النحاة وقيل انه اسم جمع والازواج جمع زوج اوزوجة وذكر هذا هنا لمناسبته للمنزل والمقام وهذا الحديث رواه المصنف موقوفا على ابن عباس انه كان قاعل قال ابن عباس لاالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الظاهر ورواه الاوزاعى مرفوعا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال حدثنا اسمعيل بن عبدالله عن على بن عبدالله بن عباس عن ابيه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه راى ماهو مفتوح على امته فسر بذلك فانزل الله عز وجل عليه (والضحى والليل اذا سجى) الى قوله فترضى فاعطاه الله عز وجل الف قصر الخ وقيل فى الآية انه اعطاه ماهو شامل لكل خير اعطاه ولما ادخره له مما لايعرف كنهه الاالله وتقدم انها لما نزلت قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذن والله لاارضى واحدا من امتى فى النار وقد تقدم الكلام عليه ﴿ وصل ﴾ فى بيان شبهة ترد على ماتقدم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل الرسل واعظمهم عنده وجرد من نفسه سائلا خاطبه بقوله (فان قلت) واتى بالفاء الاستئنافية اشارة الى نشأته مما قبله وترتبه عليه (قد تقرر من دليل القرآن) وفى نسخة فاذا تقرر اى تحقق وثبت واضافه دليل للقرآن بيانيه اومخصصة لامنه (وصحيح الاثر) اى الحديث وهو معطوف على القرآن اوعلى دليل (واجماع الامة المحمدية) (كونه) صلى الله تعالى عليه وسلم (اكرم البشر) اى اشرف بنى آدم (وافضل الانبياء) والرسل خاصة منهم ولم يقل اكرم الخلق لان قوله اجماع الامة يأباه لماوقع من خلاف المعتزلة فى خواص الملائكة وان كان الصحيح خلافه فلا وجه للاعتراض بذلك (فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه صلى الله عليه وسلم عن التفضيل) بين الانبياء اوالنهى عن تفضيله عليهم (كقوله) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان ورواه المصنف رحمه الله تعالى من طريق مسلم (فيما حدثناه) متعلق بكقوله اوحال منه (الاسدى) نسبة الى اسد قبيلة قال (حدثنا السمرقندى) تقدمت ترجمته قال (حدثنا الفارسى) عبدالغافر السابق ترجمته قال (حدثنا الجلودى) تقدم بيانه وبيان نسبته قال (حدثنا ابن سفيان) ابراهيم بن محمد بن سفيان السابق ترجمته قال (حدثنا مسلم) الامام صاحب الصحيح المتقدم قال (حدثنا ابن المثنى) محمد ابو موسى البصرى توفى سنة اثنين وخمسين ومائتين كما تقدم قال (حدثنا محمد بن جعفر) ابوعبدالله الهذلى البصرى الملقب بغندر بضم الغين المعجمة وسكون النون وضم الدال وفتحها وراء مهملة وقد تقدم انه توفى فى ذى القعدة سنة ثلاث اواربع وتسعين

ومائة قال (حدثنا شعبة) بن الحجاج بن بسطام كما تقدم (عن قتادة) تقدم بيانه قال (سمعت ابا العالية) التابعي السابق ترجمته (يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم يعني ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما ابن عبد المطلب المشهور وهو احد العبادلة وغالب روايته عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم لصغر سنه في زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فيما رواه عنه بلا واسطة فقيل اربعة احاديث وقيل تسعة وقيل عشرة وقيل عشرون حديثا (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينبغي) اي ما يصح ولا يجوز (لعبد) من عباد الله نبيا كان اوغيره (ان يقول انا خير من يونس بن متى) بفتح الميم وتشديد التاء المثناة الفوقية والف مقصورة وهو اسم امه وقيل اسم ابيه وصحح كلا من القولين طائفة والاول اشهر كما مر وهو من ولد بنيامين بن يعقوب عليه الصلوة والسلام وكان بعد سليمان عليه الصلوة والسلام وقيل كان بينهما ايوب عليه الصلوة والسلام وكان قبل النبوة من عباد بني اسرائيل فهرب ونزل بشاطئ دجلة فبعث الله الى اهل نينوى من ارض الموصل وهو ابن اربعين سنة فضاق ذرعا بالرسالة فشكى ذلك للملك واعلمه انهم ان لم يستجيبوا له حل بهم العذاب واجل لهم اربعين يوما واعلمهم بالاجل فقالوا ان رأينا امارات ذلك آمنا بك وانصرفوا فلما مضى من الميقات خمسة وثلاثون يوما غامت السماء بغيم اسود له دخان فايقنوا بالعذاب فخرجوا من القرية باهاليهم وفرقوا بين النساء واولادهن وضجوا الى ربهم فرحمهم فقبل توبتهم وساح يونس عليه الصلوة والسلام في الارض ومر بزراع سماه لنا فقال له اقرأ على قومي السلام فقال له يا نبي الله لا استطيع فان من كذب مما قيل فقال له ان كذبوك فثيابك وعصاك يشهدان لك فاخبرهم فانكروا مقاله فشهد له الشاة وعصاه فصدقوه وملكوه عليهم اربعين سنة وقيل كان مقامه ثلاثة ايام فاستبطئ يونس فخاف لانه من كذب ولم تقم بينة قتل في شرعهم فذهب مغاضبا وركب سفينة فركدت وغيرها من السفن تسير فسألوه عن سبب ذلك فقال ان عبدا ابق من ربه وانها لا تسير حتى يلقوه في البحر فقالوا اما انت يا نبي الله فلا نلقيك فقال اقترعوا فاقترعوا ثلاث مرات وسهم القرعة تقع عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فالقوه فابتلعه حوت وغاص به الى قرار الارض فسمع يونس تسبيح الحصى فنادى في الظلمات ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت (ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فنبذ بالعراء وهو سقيم) كطير ممعوط لا ريش له فانبت الله عليه شجرة من يقطين استظل بها واصاب منها فيبست فبكى فاوحى الله اليه اتبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او زيادة هلكوا فنادى (ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين) واختلف في مكثه في بطن الحوت فقيل بعض يوم وقيل عشرون وقيل سبعة ايام وقيل اربعون يوما

وقيل ثلاثة واما خص يونس بالذكر لما يعلم مما يأتي وهو خشية ممن سمع قصته ان يقع في نفسه شئ لقلة صبره وعدم ثباته في الشدائد ويأتي ان النهي عنه تفضيل يؤدي الى تنقيص احد منهم ولذا قيل ان من قال انا خير من بعض الانبياء يخشى عليه الكفر ان لم يكن نبيا فان كان فلا ينبغي له ذلك وهذا مخصوص بما اذا لم يكن كذلك وقاله افتخارا ولذا وقع من نبينا صلى الله عليه وسلم تحدثا بنعمة الله (وفي غير هذه الطريق) المذكورة آنفا (عن ابي هريرة قال نهى رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما ينبغي لعبد الحديث) اي اذكره الخ كما مر (وفي حديث ابي هريرة) رضي الله تعالى عنه الذي رواه الشيخان في رجل من الانصار تنازع مع يهودي بالمدينة وبينه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (في اليهودي) اي في رجل من اليهود ولم يذكروا اسمه (الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر) اي اختاره وفضله على سائر بني آدم من الانبياء وغيرهم (فلطمه رجل من الانصار) لم يذكروا من هو وفي سيرة ابن اسحق ان اسم اليهودي فنحاص (وقال) اي الرجل الانصاري (تقول ذلك) اي تفضل موسى على البشر (ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا) جملة حالية اي مع وجود النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الذي هو افضل من موسى وغيره ولفظ اظهر جمع ظهر مقحمة اي بيننا (فبلغ ذلك) الذي قاله اليهودي والرد عليه (النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء) بالضاد المعجمة اي لا تقدموا على الحكم بافضلية بعضهم على بعض وليس هذا على ظاهره كما سيأتي وجوز بعضهم ان يكون بالصاد المهملة اي لا تفرقوا وتميزوا بعضهم من بعض (وفي رواية لا تخيروني على موسى) وهذه الرواية في الصحيحين وسنن ابي داود والنسائي والنهي عن تفضيل نبي من غيره مؤد الى نقص او على سبيل المفضول والفاخر فلا ينافي قوله انا سيد ولد آدم ولا فخر وسيأتي تفصيله (فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس ابن متى) وفي هذا الحديث زيادة ذكر موسى وهو من عظماء الرسل اولي العزم فالتفضيل عليه اقوى فيما نحن بصدده فلا وجه لما قيل من انه كان ينبغي تقديم هذا الحديث على الذي قبله والحديث المذكور اوله استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم مقسما والذي اصطفى محمدا على العالمين فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين فلطمه المسلم فذهب اليهودي الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره بما جرى بينهما فقال لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري احوسب بصعقة الطور او بعث قبلي ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وكانت القصة في غير سلامة وقال البرهان لا اعرف اسم اليهودي والمسلم اللاطم له وقال غيره اليهودي اسمه فنحاص

اى كما تقدم والاعظم ابو بكر رضى الله تعالى عنه الا ان قوله فى الحديث رجل من الانصار يأباه الاان تقال الانصار هنا بمعناه اللغوى وهو خلاف الظاهر وهذه الصعقة هى المذكورة فى قوله تعالى (ويوم ينفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله) وهذا هو الاستثناء المذكور فى الحديث فالصعق الاحياء والاخراج من القبور مجازا لان حقيقتها الصراخ مع غشى يخرجه وقيل المراد بها حقيقتها وانها فى عرصات القيمة بعد الحشر يوم الفزع الاكبر وقال ابن قيم الجوزية فى كتاب الروح نقلا عن تذكرة القرطبى ان هذه الرواية دخل فيها حديث فى حديث ولذا اشكل عليهم والذى يزيح الاشكال ان الموت ليس بعدم محض بل تحول وانتقال من حال الى حال والانبياء والشهداء احياء لكنهم غائبون عن مراقدهم فاذا نفخ فى الصور فمن مات حيى ومن كان حيا من الانبياء ونحوهم كالمغشى عليه صعق ثم افاق ولذا ورد فى حديث مسلم فاكون اول من تنشق فلذا تردد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى انه اول من تنشق عنه الارض وافاق ام موسى عليه الصلوة والسلام سبقه لانه حوسب بصعقة الطور فلم يغش عليه ويصعق وهذه فضيلة لموسى عظيمة فلذا ذكرها ونهى عن تفضيله عليه وان لم يلزم كونه افضل منه من سائر الوجوه فلذا خصه بالذكر وخص يونس لما مر وسئل امام الحرمين عن هذه الجهة ودلائلها فقال دليلها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى لانه خاطب الله فى قعر البحر والظلمات الثلاث بقوله سبحانك كما خاطبه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقام قربه قاب قوسين على الرفرف فلم يكن ثمة اقرب من يونس (وعن ابى هريرة) فى حديث رواه البخارى (ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب) ذكروا فيه احتمالين ان يكون انا عبارة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى من فضلنى على يونس عليه الصلوة والسلام فقد كذب وان يكون انا عبارة عن القائل غيره اى اى احد من الناس قال انا خير من يونس لوهمه انه فضله بعلمه وعبادته وغير ذلك من الفضائل لان احدا لا يبلغ درجة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقد قالوا انه كفر وهذا يؤيد ان المراد الاول ويأتى بيان الثانى فى كلام المصنف رحمه الله (وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفى حديثه الآخر) اى حديث ابن مسعود الذى رواه مسلم وابو داود والترمذى (فجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم رجل فقال يا خير البرية) اى يا افضل الخلق كلهم والبرية بتشديد الياء من برأ مهموزا بمعنى خلق من البرأ بمعنى التراب الا انه التزم فيه ابدال الهمزة ياء كما فى النهاية (فقال ذاك) وفى نسخة ذلك والاشارة لخير البرية (ابراهيم) الخليل عليه الصلوة والسلام وهو فى الحقيقة افضل البرية والرسل بعد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السيوطى انه متفق عليه (فاعلم) جواب الشرط فى قوله

فان قلت وهو شروع في تحقيق المسئلة والجمع بين الاحاديث المتعارضة في التفضيل وعدمه (ان للعلماء في هذه الاحاديث) الناهية عن التفضيل وما يخالفها (تأويلات) تقدم بعض منها وسيأتي تحقيقها (احدها انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (نهى عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم) بالبناء للفاعل او المفعول اي يعلمه الله وهذا دليل على ان قوله انا السابق عبارة عنه عليه الصلوة والسلام (فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف) اي اعلام به من الله واذن فيه فلا يقدم عليه بالعقل وكون التفضيل في الحديث خاصا بموسى ويونس عليهما الصلوة والسلام فيه دلالة عليه في الجملة فلا يرد ما قيل انه لا يقتضى المنع مطلقا فتأمله (وان من فضل بلا علم فقد كذب) لانه لا يطابق ما في نفس الامر عنده اذ لم يعلم وهذا تشديد في النهي والا فاجراؤه على غلبة ظنه انه واقع لا يعد كذبا (وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضى تفضيله هو) لانه نفي لقوله وهو لا يدل على انتفائه في نفس الامر وما كل ما يعلم يقال وضمير تفضيله هو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اي تفضيله على يونس او يونس صلى الله تعالى على نبينا وعليه السلام (وانما هو في الظاهر كف) اي انه امتناع او منع لغيره (عن التفضيل) بينهم وقد يكون لامر آخر (الوجه الثاني انه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التواضع ونفي الكبر والعجب) بضم فسكون اي محبة وخيلائه بنفسه ومدحه لها فانه كذلك في الغالب والكبر اظهار عظمته والعجب استحسانه لنفسه وسياسته والتواضع لين الجانب وخفض جناحه لغيره (وهذا) الجواب (لا يسلم من الاعتراض) الوارد عليه لانه نفي الاخبار بخلاف الواقع الذي هو كذب مذموم تواضعا وقيل ولان نفي الكبر والعجب تقتضى توهمهما له وانه مع ما علم من حاله كيف يتوهم فيه ما لا يتوهم في غيره من صلحاء امته ولا يخفى انه اعتراض ساقط فان التواضع صفة محمودة وهو من شأنه صلى الله عليه وسلم كما تقدم (الوجه الثالث) ان مقصوده صلى الله عليه وسلم نهيه (ان لا تفضل بينهم تفضيلا تؤدي) بضم التاء وفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة اي تجر وتوصل (الى تنقص بعضهم) تفعل من النقص اي تقتضي وضعهم عما هم عليه ونقص قدرهم (او الغض منه) بفتح الغين والضاد المعجمتين المشدد المكسورة كالغضاضة وهي النقص والعيب واصله من غض الطرف والصوت وهو خفضه فانه عبر لما ذكر وضمير منه للبعض وفي نسخة منهم وتفهم من هذا جوازه ان لم تؤد لما ذكر (لا سيما) اي خصوصا (في جهة يونس عليه الصلوة والسلام) اي في حقه ووصفه لان الجهة تطلق على الصفة ومنه موجهات القضايا ولا يساعده النحاة من ادوات الاستثناء وليس هذا محل الكلام عليه (اذ اخبر الله عنه بما اخبر) في قوله ولا تكن كصاحب الحوت الخ (لئلا يقع في نفس

من لا نعلم منه) اي لا يعلم من يونس وما قص من قصته (بذلك) اي بسبب ذلك المذكور وهو متعلق بقوله (غضاضة) اي نقص وحقارة يتوهمها من لا علم عنده وعطف عليه عطف تفسير قوله (وانحطاط من رتبته الرفيعة) استعارة بتنزيل شرفه منزلة امر عال حسا نزل من علو الى سفل (اذ قال الله تعالى) حاكيا (عنه اذ ابق الى الفلك المشحون) اي خرج الى سفينة مملوءة بما فيها من الناس والمتاع والاباق هروب العبد من سيده حسن اطلاقه عليه اذ خرج بغير اذن ربه وقال تعالى (اذ ذهب مغاضبا) لقومه لما لم يجيبوا دعوته كما تقدم (فظن ان لن نقدر عليه) اي لن نضيق عليه بالعقوبة وتوبيخه انه فرض مثلا او تمثيلا لحاله بحال من ظن انا لا نقدر عليه في مراغمته قومه لعدم اصطباره لامر ما روي ان معاوية قال لابن عباس ايظن نبي ان لا يقدر الله عليه فقال هو من القدر لا القدرة قال ابن بري اي من الارادة فظن ان لن نريد عقوبته (فربما يخيل) بالبناء للمجهول ونائب فاعله قوله حطيطة وقوله (لمن لا علم عنده) بمعاني القرآن وما قيل في تأويل هذه الآية متعلق به (حطيطة) اي نقصه (بذلك) ونزول مقامه عن مقام غيره من الرسل لظاهر الآية وقد نقل المفسرون فيه اقوالا فقيل معنى ذهب مغاضبا انه غضب من قومه لامر ربه وهذا خلاف الاولى اذ كان حقه الصبر كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في احد وغيرها فلا يذهب بغير اذن ولذا قال الله تعالى له (ولا تكن كصاحب الحوت) واما قوله (فظن ان لن نقدر عليه) فقد تقدم تأويله وقيل احسن ما قيل فيه ان معناه لن نضيق عليه وقول البيضاوي انها خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمي ظنا للمبالغة مما لا يليق ان يقال لعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن مثله (الوجه الرابع منع التفضيل) بين الانبياء والرسل الذي افاده النهي الوارد في الحديث انما هو (في حق النبوة والرسالة) فيهما لا الانبياء والرسل قال السنوسي في شرح عقائده بعدما ذكر ما قاله المصنف ومما دل على عدم التفاضل بين الانبياء في نفس النبوة وحقيقتها منع ان يقال ثبت لفلان النبي المنصب الاول من النبوة ولفلان النصيب الاوفر منها ونحوه من العبارات التي تقتضي ان النبوة مقولة بالتشكيك ولا شك ان الامتناع من هذه العبارة معلوم من الدين بالضرورة بين السلف والخلف فدل ذلك على ان حقيقة النبوة من المتواطئ المستوي افراده ولا يلتفت لمن خالف فيه لو صرح فساده هي وفي ذكره ذلك في النبوة دون الرسالة ايماء الى الفرق بينهما في ذلك وانه وتر ... قوله (فان الانبياء فيها) اي في النبوة من حيث هي هي (على حد واحد) فرتبتها وقدرها متحد فيهم (اذ هي شيء واحد) اي متحد في جميعهم (لا تفاضل) اي لا تزيد بعضها على بعض (وانما التفاضل) والتفاوت (في زيادة الاحوال) اي العوارض الطارئة عليها (والخصوص) اي ما خص به بعضهم دون بعض (والكرامات)

(الى)

التي اكرم الله بها بعضهم (والرتب) الدنيوية والاخروية (والالطاف) اي العطايا التي اعطاها الله بعضهم جمع لطف بفتحتين وهو الهدية كما مر فهو استعارة هنا (واما النبوة في نفسها فلا تفاضل وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها) طارئة ليست من نفس حقيقتها كما بيناه (ولذلك) اي لما ذكر من ان التفاضل لامر زائد (كان منهم رسل) غير اولي العزم (ومنهم اولو العزم من الرسل) والعزم القوة والشدة والتصميم على تنفيذ ما يراه اولى به و بغيره والرسل جمع رسول وهو صاحب الرسالة من الله شريعته المأمور بالتبليغ فهو اخص من النبي على المشهور من الرسل بالكسر وهو تتابع الدوم على رسلك اي تمهل و تثبت وقد اختلف في اولي العزم والحزم منهم فقيل هم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وهم اصحاب الشرائع وقيل اربعة نوح وهود وابراهيم ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وقيل ستة ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وقيل هود ونوح وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون على نسق في الاعراف والشعراء وقيل هم نوح لصبره على اذى قومه وابراهيم لصبره على النار واسحق لصبره على الذبح في قول ويعقوب لصبره على فقد ولده ونور بصره ويوسف لصبره على السجن وايوب لصبره على الضر وقيل هم المأمورون بالجهاد وقيل نجباء الرسل المذكورون في الانعام واختاره الحسن لقوله (اولئك الذين هدى الله الخ) وهذا مبني على تفسير العزم ثم بين بعض ما وقع فيه التفاضل فقال (ومنهم من رفع) اي رفعه الله (مكانا عليا) وهو ادريس سبط شيث وجد نوح واسمه قديما اخنوخ رفع الى السماء او الجنة كما قاله المفسرون وكذا عيسى (ومنهم من اوتي الحكم صبيا) وهو يحيى اذ احكم الله عقله في صباه وآتاه الحكمة وفهم التورية واكثر الانبياء نبئ بعد الاربعين وقد ذكر مثل هذا في عيسى ايضا (واوتي بعضهم الزبور) وهو داود وفي نسخة الزبر جمع زبور بمعنى المزبور المكتوب فتشمل موسى وعيسى وادريس وشيث وداود وقيل انه يكون مصدرا كما في الصحاح لا في علي (واوتي بعضهم البينات) اي المعجزات الظاهرة الباهرة التي لم يؤتها احد قبله من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحوه مما فضله الله تعالى به وهو عيسى عليه الصلوة والسلام (ومنهم من كلم الله) من غير واسطة وهو موسى اذ كلمه بالطور لما رأى نورا (ورفع بعضهم درجات) عالية فضله بها على غيره وهذا اجمال لفضائل لم يذكر اوالمراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذ فضله على من سواه بوجوه متعددة ومراتب متباعدة كدعوته العامة للعرب والعجم والجن والانس والملائكة ومعجزاته الباقية الى يوم القيمة ومن اجلها القرآن وغيره مما هو خارج عن الحصر (قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية وقال) تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية)

هدا بيان لماقبله او ناظر لجميعه كما اشرنا اليه وقوله تلك انثه باعتبار الجماعة (قال بعض اهل العلم) بالكتاب والسنة (والتفصيل المراد لهم هنا) عطف على مقدر او على ماتقدم وهنا اشارة لما ذكر قبله (في الدنيا) متعلق بالتفضيل (وذلك بثلاثة احوال) وفي نسخة اوجه (ان تكون آياته ومعجزاته ابهر) اي اقوى واغلب من بهر ضوء القمر الكواكب اذا غلبها او اظهر (واشهر) عطف تفسير له كانشقاق القمر والقرآن وانفلاق البحر وانقلاب العصا حية (او تكون) بالنصب (امته ازكى واكثر) اي انقى واكثر من غيرهم كنبينا صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ﴿كنتم خير امة اخرجت للناس﴾ وقد ارسل للناس كافة (او يكون) بالنصب (في ذاته افضل) بزيادة علمه وخصاله المحمودة (واظهر) بالمعجمة اي اشهر وبالمهملة انقى واتقى (وفضله في ذاته) وفي نسخة (راجع الى ماخصه الله به) اي ماله ومعناه (من كرامته) اي اكرام الله له بما ذكر ومناقب عظيمة وخصال (واختصاصه) بالجر معطوف على مدخول الى او من في قوله (من كلام) بيان لاختصاصه بمعنى ماخصه به بغير واسطة كموسى ونبينا صلى الله عليهما وسلم (او خلة) تقدمت وانها لابراهيم اوله ولنبينا صلى الله عليهما وسلم (او رؤية) عيانا قبل دخول الجنة كما في المعراج (او ماشاء الله) واراده لهم غير ماذكر (من الطاف) بفتح الهمزة اي عطايا كما تقدم وفي نسخة الطافه بالاضافة (وتحف) ولا بسيه اي تحف اولاها لهم (واختصاصه) بما اختصهم به من فوق اعين لا تعلمها الا هو (وقد روي) بالبناء للمجهول وهذا رواه ابن ابي حاتم والحاكم في مستدركه عن وهب بن منبه وهو رجوع الى تفريه يونس صلى الله تعالى عليه وسلم عما ذكر من الاوهام (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان لكل نبي اثقالا) اي احمالا ثقيلة قال تعالى ﴿وتحمل اثقالكم﴾ جمع ثقل والثقل كعنب وسكون مقابل الخفة قال الراغب واصله في الاجسام ثم يقال في المعاني كانقله الغرم والوزر وهو في الانسان دم في اكبر المعارف وقد يكون مدحا كقوله

تخف الارض اما بنت عنها * وتبقى ما بقيت بها ثقيلا
حللت بمستقر الارض منها * فتمنع جانبيها ان تميلا

والمراد هنا المشاق التي تكون في تبليغ الرسالة (وان يونس تفسخ منها) الضمير للاثقال والاحمال وتفسخ بالفاء والسين المهملة المشددة والخاء المعجمة تفعل من الفسخ اي تقطعت اعضاؤه وتفككت لعدم طاقته صلى الله تعالى عليه وسلم حملها يقال تفسخ البعير تحت الحمل الثقيل وفسخ بانه اذا ازالها ومنه فسخ العقود عند الفقهاء (تفسخ الربع) تفعل مصدر من الفسخ والربع بضم الراء المهملة وفتح الباء الموحدة والعين المهملة وهو الفصيل اي ولد الناقة الصغير الذي يولد في الربيع وبعده الهبع الذي يولد في الصيف وتفسخ منصوب بالمصدرية امتفسخ اي تفسخ كتفسخه

اى لم يطق مشاقها ولم يصبر عليها وفى تشبيه بالربع اشارة الى انه كان فى بدأ امره وفى قوله اثقالا استعارة تصريحية وفى تفسخ استعارة تصريحية تبعة ولا ينافى التشبيه ويجوز ان تكون استعارة تمثيلية وهو احسن ثم بين مراده فقال (فحفظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) نهيه عن التفضيل (موضع الفتنة) اى مايقع الناس بسببه فى فتنة وامر محذور من تنقيص الانبياء عليهم الصلوة والسلام فجعله كأنه موضع لها تقريبه (من اوهام) التى يتوهمها من لا علم له وهو متعلق بحفظ اى صانه عما يتوهم اوهو بيان لموضع (من يسبق اليه بسببها) اى المواضع اوالاوهام وقيل المراد بسبب اثقالها من سأم وضجر وقيل بسبب المسة وقيل بسبب قصة يونس عليه السلام (حرج فى نبوته) بفتح الجيم اى ذكر مالا يليق بمقام النبوة مما يقتضى عدم العصمة (او قدح فى اصطفائه) اى ذم وتنقيص لكونه صفوة مختارا بذريته مفضلا على غيره والقدح ذكر المعائب والنقائص (وحط من رتبته) اى تنزيل له من علو مقامه (ووهن فى عصمته) اى عدعصمته فيها ضعف لما يوهمه من ظاهر قصته السالفة ولذا نهاهم صلى الله تعالى عليه وسلم عن تفضيله عليه تفضيلا عن قصته لتساويهم فى حقيقة النبوة وان تفاوتت احوالهم وصفاتهم كما تقدمه مفصلا (شفقة منه صلى الله تعالى عليه وسلم) بالنصب مفعول له اوعلة لحفظ (على امته) اى تقع منهم مالا يليق بمقام النبوة فيكون لهم وزر يستحقون به سوء العاقبة بسخط الله تعالى وعقابه (وقد يتوجه) اى يحصل بوجه آخر فى الجواب عما مر او يأتى (على هذا الترتيب) اى على ما رتبناه على النبوة من الاختصاص بامور اكرمها الله تعالى بها (وجه خامس وهو ان يكون لفظ انا) فى الاحاديث السابقة (راجعا الى القائل نفسه) المذكور فى قوله لا ينبغى لاحد ان يقول فليس المراد بضمير المتكلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الوجوه المتقدمة (اى لا اظن احد) من الناس غير الانبياء (وان بلغ من الزكاء) اى انه بلغ من الزكاء بالزاء المعجمة اى الصلاح وزيادة الخير قال التلمسانى انه بخط المصنف رحمه الله تعالى هكذا ورواه العزفى تلميذ المصنف بالذال المعجمة وهو الفطنة (والعصمة) اى الحفظ من الذنوب وليس المراد بها ماخص به الانبياء وهى المذكورة فى قوله اسألك العصمة فى الحركات والسكنات ولذا جوز بعضهم الدعاء بها ومنعه بعضهم كما فصله ابن حجر فى فتاويه (والطهارة) اى البراءة من الاوزار (مابلغ) اى مبلغا عظيما فما مصدرية او موصولة (انه خير من يونس) بن متى وهذا معمول لظن المنفى (لاجل ماحكى الله عنه) بما لطف اى مااقصه فى قصته من لومه على تضجره وعدم صبره على قومه لتماديهم فى غيهم وعدم اجابتهم دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم للايمان وسوق كلامه مؤذن

بان القائل من غير الانبياء كما يشهد له قوله (فان درجة النبوة) ورتبتها العالية (افضل واعلى) عند الله من درجة غيرهم من الانبياء وهذا امر فرضي او مبني على عدم العلم بالنهي عن مثله فلا يرد عليه انه كيف يكون تفاوت وقد صدر منه تنقيص الانبياء الذي قيل انه كفر وايضا كيف وصفه بالعصمة وهو غيري (فان تلك الاقدار) جمع قدر بفتح القاف والدال المهملة اى ماقدره الله عليهم لحكمة باهرة وليس بمعجمة وان جاز تأويله بانه بالنسبة لمقامهم دنس مستقذر فانه غير مناسب لفظا ومعنى (لم تحطه عنها) اى لم تنزل يونس عليه الصلوة والسلام عن درجته (مقدار حبة خردلة) اى هي اصغر الحب والاخس حبة خردل بدون هاء (ولا ادنى) اى اقل واصغر من خردلة اى لم ينقصه اصلا (وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا) بانضاحه وتفصيله (ان شاء الله تعالى) ذلك (فهذا بان لك الغرض) المقصود الذي قصدناه في هذا الكتاب (وسقط ما جرّرناه) اى ما قررناه او لخصناه او كتبناه والتحرير التخليص واظهار الزبدة لان اصله جعل الشيء حرا اى خالصا ومنه تحرير الوجه لا كرم موضع منه والحر المقابل للعبد والتحرير بمعنى الكتابة من الخاص الذي صار عاما واصله كتابة ما يحسنه او كتابة العامة كما في الكشف (شبهة المعترض) الذي اعترض على ما تقدم ولو قال من اعترض كان سجعا لكن المصنف رحمه الله تعالى لم يقصده ولما كان ما تقدم في ذكر فضائله واسمائه صلى الله عليه وسلم داله على ذلك عقبه بذلك كما اشار اليه بقوله ﴿ فصل في اسمائه ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم (وما تضمنه من فضيلته) اى ماهو بعض مدلوله او لازم لمعناه حتى كأنه ضمنه والاسماء جمع اسم والكلام على كونه من السمة او السمو اعتمادا شهرته عن ذكره واما البحث عن كونه عين المسمى او غيره فبحث لا طائل تحته فلا وجه لذكره هنا وقد افردناه بالتأليف والاسم له معان فيطلق على مقابل الفعل والحرف وعلى مقابل اللقب والكنية وعلى مقابل الصفة المشبهة ويكون بمعنى العلم والظاهر ان المراد به هنا ما شاع اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم سواء كان علما او صفة او غيرهما وسواء اختص به وضعا ام لا فهو العلم وما شبهه وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى ولو ادعاء فلا يرد كثرة اسماء الخمر او هو اكثري وهو الظاهر وفي شرح الترمذي ان للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم الف اسم كما ان الله تعالى الف اسم ونقل مغلطاي انها تبلغ ثلثمائة وقيل انها تسعة وتسعون كاسماء الله ومنها ماهو بلفظ الفعل والمصدر واكثرها صفات مادحة كما اشار اليه المصنف بقوله تضمنه من فضيلته ولابن دحية كتاب مستقل في اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ان المصنف رحمه الله تعالى ذكرها حديثا رواه الشيخان عن محمد بن جبير عن ابيه بسند متصل الا ان المصنف رواه عنه مرسلا لعلو سنده فيه بدرجتين فقال (حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه) بلفظ

بفتح المثناة الفوقية وآخره دال مهملة يعني قديم العهد بولادته بعد فتاؤه مبدلة
من واو وهو ضد الطارف وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا ابو عمر الحافظ) ابن
عبد البر وقد تقدم ايضا قال (حدثنا سعيد بن نصر) تقدمت ترجمته ايضا قال
(حدثنا قاسم بن اصبغ) بهمزة مفتوحة وصاد مهملة وموحدة تحتية وغين
معجمة وهو قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف بن واصح بن عطاء الامام الحافظ محدث
الاندلس ابو محمد الاموي مولاهم القرطبي كان صدرا عالي الاسناد ثقة ولذا قطع الرواية
في آخر عمره خوفا من الغلط ولد سنة سبع وادبعين ومائتين وتوفي بقرطبة في جمادى
الاولى سنة اربعين وثلثمائة (قال حدثنا محمد بن وضاح) بن بزيع مولى ملك الاندلس
ابو عبد الرحمن بن معاوية الاموي الحافظ محدث الاندلس ابو عبد الله القرطبي مولده سنة
تسع وتسعين ومائة او ستين ومائتين بقرطبة وتوفي في المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين قال
الذهبي انه صدوق روى عنه كثير من اهل الاندلس قال (حدثنا يحيى بن يحيى) الليثي عالم
الاندلس وراوي الموطأ وليس له رواية في الكتب الستة الا نادرة وقد تقدم الكلام
عليه (عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه) ومحمد هو ابو علي
وقد روى عنه الزهري وهو روى عن ابيه جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل وهو
صحابي اسلم بعد الحديبية وروى عنه ابناه محمد ونافع وروى عنه ابن المسيب وكان سيدا
وقورا توفي سنة سبع وخمسين واخرج له الائمة الستة واحمد في مسنده وهذا الحديث
اخرجه مالك في الموطأ والترمذي في الشمائل والبخاري وهو حديث صحيح مسندا
(قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء) قدم الجار والمجرور للتبرك
والتأكيد او للتخصيص باعتبار انه لم يسم بها احد قبله او لاشتهارها في الامم الماضية
فالتخصيص المستفاد من التقديم اضافي لا حقيقي لزيادتها على ذلك وقال السيوطي
في كتاب الرياض الانيقة في اسماء خير الخليقة انه قبل ان يطلعه الله تعالى على بقية اسمائه
وقال المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتي قيل انها موجودة في الكتب القديمة وعند الامم
السالفة وردت بان فيها اكثر فالحق ان مفهوم العدد غير معتبر فلا يفيد الحصر وقال
ابن [illegible] في كتاب المهمات قيل ان هذا العدد ليس من كلام النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم او التخصيص لان المراد خمسة اسماء فاضلة او معظمة مشهورة
انتهى والاخير ماوه وانه مخالف للظاهر وقال ابن فارس ان اسماءه صلى الله تعالى
عليه وسلم الفان وعشرون وقيل المراد خمسة يسمى بها ربي ونافيها اوصاف
واسماءه صلى الله تعالى عليه وسلم توقيفية فلا يجوز ان يسمى بما لم يسمه به الله
او نبيه ولو بمعناه او اتوه به (انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي

الكفر) اى يزيله حقيقة من جزيرة العرب وحكما من جميع الارض وقيل كما يأتى في الحديث يمحو به سيئات من تبعه كقوله تعالى ﴿ قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ﴾ وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى كان الظاهر ان يقول به لكنه راعى فيه المعنى كقوله * انا الذى سمتنى امى حيدره * والكلام عليه مفصل فى كتب العربية (وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى) بتشديد الياء مفتوحة وتخفيفها ساكنة اى يحشرون على اثرى وبعد سوقى اياهم بعده صلى الله تعالى عليه وسلم فى كما يأتى تفسيره وقد روى ان الحشر الذى يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره (وانا العاقب) الآتى عقب الانبياء عليهم الصلوة والسلام فلا نبى بعده وعيسى عليه الصلوة والسلام تقدم انه يأتى على شريعته وقال ابن الاعرابى العاقب من يعقب غيره فى الخير ومنه العقب بمعنى الولد وسيأتى تفصيل معنى الحديث (وقد سماه الله فى كتابه) وهو القرآن (محمدا واحمد) فى قوله تعالى ﴿ ما كان محمد ابا احد من رجالكم ﴾ وقوله ﴿ يأتى من بعدى اسمه احمد ﴾ وكونه محكيا عن عيسى عليه الصلوة والسلام لا ينافى كون المسمى له الله ولذا قيل ان عيسى عليه الصلوة والسلام انما اطلقه عليه باعلام الله واذنه له فالمسمى حقيقة هو الله (فمن خصائصه تعالى له) اى الكائنة له ان قلنا بجواز حذف الموصول مع بعض الصلة فهو صفة له او هو متعلق به لما فيه من معنى الكريم وقيل انه مفعول له واللام مزيدة للتقوية والظاهر انه اسم غير موصوف بالتعدى وصفة (ان ضمن اسماءه) فاعل ضمن ضمير الله والضمير المضاف اليه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ثناءه) مفعول ضمن وهو مصدر مضاف للفاعل او للمفعول باعتبار ان الضمير لله او للرسول اى سماه الله عليه (وطوى اثناء ذكره) بفتح الهمزة وسكون المثلثة والمد جمع فى كمقل وهو ما انعطف من الوادى ويقال هو فى اثنائه ومثانيه اى داخله وتضاعيفه على الطرفية وطوى من قولهم طوى الثوب اذا عطف بعضه على بعض وهو كناية عن الكتم والاخفاء فالمعنى اخفى داخل ذكر النبى اى فى اسمائه التى سماه بها (عظيم شكره) اى شكره العظيم والضمائر لله اولا فى فان كان ضمير شكره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاضافته له من اضافة الفاعل او المفعول اى كونه شاكرا او مشكورا عظيما لان اكبرها اوصاف غلبت عليه او اختصت به اختصاص الرحمن بالله مع بقاء الوصفية اواعلام منقولة ما ملوح اصلها فيفيد المدح والاعلام وصفت انه من الذات لكن المنقولة من الصفات تشعر بمعانيها الاصلية ولذا جاز دخول ال عليها ومعظم اعلامه كذلك (فاما اسمه احمد) وزنه (افعل مبالغة فى صفة الحمد) مبالغة مرفوع خبر بعد خبر او منصوب مفعول له والجار والمجرور صفة والمبالغة لانه افعل تفضيل حذف المفضل عليه قصدا للعموم نحو الله اكبر اى من كل شئ ثم نقل ولحظ اصله فلا يرد عليه انه علم

فكيف يفيد ما ذكر وماقيل من انه للتفضيل لا للمبالغة والمبالغة لها صيغ مخصوصة فقد وهم واطال من غير طائل على عادته وقال السخاوى فى سفر السعادة احمد اسم النبى صلى الله عليه وسلم ليس بمنقول من المضارع ولا من افعل التفضيل فهو كاحمر واصفر وهو ابلغ من محمد وهو كل من تكاملت مناقبه وبلغ النهاية فى الحمد قال الاعشى

اليك ابيت اللعن كان كلالها * الى الماجد الفرع الجواد المحمد

انتهى وفيه نظر لايخفى وقدمه المصنف رحمه الله تعالى لانه اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتب القديمة وقد سماه به موسى وعيسى عليهما الصلوة والسلام كما نطق به القرآن وسماه الله به لانه حمده فى مقام لم يحمده فيه سواه بمثل محامده كما تقدم وستأتى تتمته (ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد) فهو فى الاصل اسم مفعول من التفعيل فينبئ عن الكثرة ففيه مبالغة ايضا ولهذه الصيغة معان اخر مذكورة فى كتب الصرف وفى شرح الهادى انه مرتجل قال ابن معطى وهو غلط وتوجيهه بانه لم يستعمل فى غير العلمية يرده بيت الاعشى المذكور وروى عن ابن عباس بسند متصل كما رواه البيهقى فى دلائل النبوة انه لما ولد صلى الله تعالى عليه وسلم عق عنه عبد المطلب بكبش وسماه محمدا فقيل له ياابا الحارث ماحملك على ان سميته محمدا ولم تسمه باسم آبائه فقال اردت ان يحمده اهل السماء ويحمده الناس فى الارض واخرج عنه ابن اسحق مسندا ان امه آمنة بنت وهب حدثت انها اتيت حين حملت به صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع الى الارض فقولى * اعيذه بالواحد * من شر كل حاسد * وكل بر عاهد * وكل عبد رائد * يرود غير رائد * وروى * فانه عبد الحميد الماجد * حتى اراه قد اتى المشاهد * فاذا وضع فسميه محمدا فان اسمه فى التورية احمد يحمده اهل السماء والارض واسمه فى الفرقان محمد فسميه بذلك وقال ابو الربيع بن سالم فى سيرته روى ان عبد المطلب انما سماه محمدا لرؤيا رآها كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض فلذا سماه محمدا مع ماحدثته به آمنة انتهى (فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اجل من حمد) بفتح الحاء وكسر الميم والبناء للفاعل اى اجل الحامدين (وافضل من حمد) بالبناء للمجهول فبل انه لف ونشر مرتب فالاول راجع الى اسم احمد والثانى لمحمد والافضل ابعد من محمد لمافيه من الكثير وكون الله لم يسم به غيره فكان افضل من حمد والحمد مصدر محتمل للحامدية والمحمودية وان نص فى محمد الثانى وجوز

ابن القيم في احمد ان يكون بمعنى المفعول اى اكثر محمودية والفرق بينه وبين محمد انه لزيادة الكيفية ومحمد لزيادة الكمية وهذا ابلغ في مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم ولو اريد الفاعل لقيل حماد بدل احمد واعترض عليه بانه تخصيص من غير مخصص وبناء اسم التفضيل من المفعول شاذ كاشغل من ذات النحيين وكون حماد ابلغ من احمد كما اقتضاه كلامه لا وجه له * اقول هو لم يبين ما قاله وانما ادعى جوازه وانه اولى لسلامته من التكرار والترادف الذي هو خلاف الاصل وترجيح حماد على احمد ليس لابلغيته بل لانه اكثر واقيس واما كون التفضيل من المفعول شاذا فمسلم ولكنه سمع من العرب في قولهم العود احمد واثبته العلامة الزمخشري واول من قال العود احمد خداش بن حابس التميمي وقول المصنف (واكثر الناس حمدا) اى محمودية بدليل قوله (فهو احمد المحمودين) والاعتراض عليه بما ورد على ابن القيم ساقط لما سمعته آنفا (واحمد الحامدين) هو وما بعده بيان لوجه التسمية بهما وصح ارجاعه لكل منهما من غير تكلف وتفصيله انه سمى احمد وقيل محمد في السماء فانه تعالى لما خلق نوره وقبل كل مخلوق حمده بمحامد الهمه اياها لم يحمده بها غيره فكان احمد من دخل تحت كلمة كن في عالم الخلق والامر ولما ظهر للعالم بحمده على التفهيم استحق ان يسمى محمدا فاذا كان يوم القيامة كان احمد الخلق فسمى احمد فلما عم بشفاعته العظمى حمده الخلق فسمى محمدا وفيه من التكلف ما لا يخفى ويأتي فيه كلام للسهيلي (ومعه لواء الحمد يوم القيامة) تقدم ان اللواء علم الجيش وهو اكبر من الراية اى انه تحت امره او في صحبته وهذا يحتمل انه على حقيقته ليعلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم نال هذه المرتبة بتفوقه على كل مخلوق في كونه حامدا ومحمودا ومعنى لواء الحمد انه لواء تابعه كل حامد ومحمود ويعلم ذلك بالهام الله او بنداء الملائكة معه او باعلان الحمد حامله ونحوه واصحاب الحمد جماعة من اهل الشفاعة وكملة الانبياء ويحتمل انه تمثيل لشهرته صلى الله عليه وسلم في اهل الموقف وعدم التأويل اسلم (ابم لا كمال الحمد) مبنى للمفعول او الفاعل واختار البرهان الاول واتمام حمده له باشتهاره وتسليم كل احد له من غير تردد كما كان في الدنيا لبعض اهلها كما اشار اليه بقوله (وشهر) وفي نسخة وشهر (في ذلك العرصات) بسكون الراء وتجوز فتحها وعرصة الدار ساحتها وهي البقعة الواسعة التي ليس فيها بناء وجمعها عراص وعرصات وفي التهذيب ... لان الناس يعرسون فيها اى يلعبون ويمرحون والمراد هنا ارض الموقف والحشر (بصفة الحمد) وهو البناء على الجمل الاخبارى على جهة القيام وقيل بحمده اظهار الصفات الكمالية بالثناء او نحوه وفيه كلام في شرح الزوراء للجلال الدواني (ويبعثه ربه هناك) اى في العرصات (مقاما محمودا كما وعده) بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا

ونصب مقاما على المفعولية بتضمين يبعث معنى يعطى او على الظرفية لمشابهته للمبهم اوهو حال على ما فصل فى الكشاف وشروحه ثم بين محموديته بقوله (يحمده فيه الاولون والآخرون) اى جميع الخلق لانهم تحت لوائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مقام الشفاعة العظمى حين اعترف جميع الرسل بالعجز وقيل له اشفع تشفع (بشفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لهم) فى فصل القضاء كما تقدم (ويفتح عليه فيه) اى فى ذلك المقام (من المحامد) جمع محمدة بمعنى حمد اى يلهمه الله محامد عظيمة يحمده بها ثمة واصل الفتح ضد الغلق فاستعير للاعطاء والالهام وتيسير الامور كما استعير المغلاق للصعب ومن بيانية لقد رأى امرا او نحوه او للتبعيض ان قلنا بجوازه كما مر وقوله (كما قال عليه الصلوة والسلام) اشارة الى وروده فى الحديث كما تقدم (ما لم يعط غيره) من الانبياء ويعطى مبنى للمجهول وغيره بالرفع نائب الفاعل (وسمى) الله تعالى لعامه من البناء اى او هو مجهول وهو الاولى (امته فى كتب انبيائه) بالتورية والانجيل كما ورد فى الاحاديث (بالحمادين) اى المبالغين فى الحمد وروى الدارمى عن كعب انه قال نجد مكتوبا فى التورية محمد رسول الله مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحمادون الى آخره (فحقيق ان سمى محمدا واحمد) اى بان يسمى لانه يتعدى بالباء ويتعدى بعلى كما فى (حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق) بمعنى من معنى الوجوب كما فى الحجة لانى على وتفريعه على ما قبله لانه اذا حمد بما لم يحمده غيره وحمده الاولون والآخرون وكثر حمد امته كان جديرا بذلك (ثم فى هذين الاسمين) محمد واحمد اى فى تسمية الله له بهما قبل وجوده (من عجائب خصائصه) اى من العجائب التى خصه الله بها ولم يسم احد بمثلها (وبدائع آياته) اى غرائب علاماته اى اخترعت وفسر البديع بالحسن فيه مسامحة (فن آخر) اى نوع آخر غير ما تقدم (وهو ان الله جل اسمه) اى عظم فى ذاته وفيه ما اسه بالاعظمية اسم نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قرنه باسمه وحميته كما احص بانه الخ (حمى) اى منع وصان عن (ان يسمى بهما احد قبل زمانه) مع ذكرهما فى الكتب القديمة والامم السالفة كما مر وانتشر نبى اسمه احمد وان اسمه محمد ليعلم اذا سمى بهما انه النبى الموعود به وعد من الخصائص لانه بعد الاعلام باسمه منع من التسمية به مع ان هما اعلام فقوله فلا يرد ان كثيرا من الاعلام المرتجلة الا انه غير ما لم يسم به غيرهم بما كان بشارة نوع منه قال تعالى (ولم نجعل له من قبل سميا) (اما) اسمه (احمد الذى اتى فى الكتب) الالهية قبل القرآن (فما منع عنه الاسماء) كعيسى وموسى كما قال تعالى (ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد) وقال مع الاول كما قال فى الـ ير

ال عه ثم سا ا ام   ى لا ر حس فى الحرام

ى احا بالـ ا ال * اعمر لعد حر حد بها

(شرع الله بحكمته) اى بسبب حكمته او متبعا ملتبسا بعلمه و حكمته التى اسأثر بها او اظهرها لبعض خاص عباده (ان يسمى به احد غيره ولايدعى) مبنى للمجهول بون رمى اى يسمى (به مدعو قبله) يسمى قبله قال اكثر العلماء ان هذا هو الصواب وما نقل من ان الحصر عليه الصلوة والسلام اسمه احمد قول مردود واه كما قاله ابن دحية واما احمد بن عجيان بضم العين المعجمة وسكون الجيم ومثناة تحتية زنة سفيان وبفتح الجيم وتشديد الياء فلا اصل له وقيل تسمى فى الجاهلية قبل الاسلام بزمان طويل احمد بن ثمامة الطائى واحمد بن دومان البكيلى واحمد بن زيد بن حراش السكسكى ومن اله ائل سواحمد فى همدان وسواحمد فى بكيل وبنواحمد فى طى ولم يكن قريبا من عهده من يسمى به صحابة له واما بعده فاول من يسمى به احمد بن عمرو بن تميم الفرهودى او الفراهيدى ابو الخليل النحوى الزاهد وبركة هذا الاسم كان له من العلم والقوى ما لم يكن لغيره ثم بين حكم صيانته بقوله (حتى لايدخل على ضعف القلب لبس) اى التباس واشتباه لعدم تمييزه وضعيف القلب من لاعقل له تام ورأى صائب ونظر مفرق بين الحق والباطل فتردد فى صدق مدعى النبوة بمجرد شئ سوله فيجوز كونه احمد الموعود به فى الكتب فضعف القلب كناية عن قلة العقل الذى هو محله وقوته كناية عن ضده وان اشتهر فى الجرأة وعدمها (اوشك) معطوف على لبس ويجوز ان يراد به هنا ما قابل الوهم والظن ومطلق التردد وعدم الجزم ومن ظن بعد هذا وأسنده عالايجدى ليس شئ (وكذلك محمد) اى مثل احمد فى عدم التسمية به قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وحمله مشتهاته لانه لم يسم به اصلا على الاصح (ايضا) مصدر آض بمعنى عاد ورجع ويراد به فى العرف التشديد فهو تأكيد لقوله كذلك (لم يسم به احد من العرب ولاغيرهم الى ان شاع واشتهر قبل وجوده صلى الله عليه وسلم) قيل فى النسخ مصغر كعميد لقليل زمانه وتقريبه (وميلاده) عطف تفسير على وجوده اى ولادته او زمانها وقيل الميلاد وقت الولادة والمولد مكانها وحملت به صلى الله تعالى عليه وسلم امه آمنة نهارا وولد ليلا فى شعب ابى طالب عند الجمرة الوسطى ووافق مولده يوم عشرين من نيسان سنة اثنين وثمانين وثمانمائة من التاريخ الاسكندرى وقيل كان فى الساعة العاشرة لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول فكان كما قيل (ربيع فى ربيع فى ربيع) وقيل ولد فى شعب بنى هاشم بعد الفيل بشهر او اربعين او خمسين او تسعة وخمسين يوما وقيل غير ذلك وسيأتى تفصيله ان شاء الله تعالى (ان نبيا بعث) اى رسل من بعث بمعنى اثار وقد فصل زمان بعثته وسنه اذ بعث فى السير (اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك) الاسم (رجاء ان يكون) اى لاجل رجاء ان يكون الولد المسمى به (احدهم) اى احدا بنائهم المسمى بمحمد (هو) اى النبى الموعود بعينه فهو اسم يكون واحدهم منصوب

(٢) اقتبس نسخه

خبر مقدم او مرفوع اسمها وهو خبرها استغنى فيه ضمير الرفع لضمير النصب والاصل اياه والاول اولى (والله اعلم حيث يجعل رسالاته) اقتباس(٢) لبيان انه لم يفدهم ذلك ادلس كل محمد رسول ولا كل فاطمة بتول والآية رادة لهم كما تبطل قول من زعم من الحكماء ان النبوة والرسالة تكتسب بالمجاهدة وتصفية الباطن فانها موهبة الهية وان اختصت بمن جد فى العبادة والصفية حتى صار احسن الناس خلقا وخلقا الى غير ذلك مما يستعد به لتلقى وحيه ومشاهدة ملائكته وحيث ظرف متصرف هو هنا مفعول به لفعل مقدر اى يعلم لان افعل لاينصب المفعول وان صح تعلق الجار والظرف به وليس هو هنا ظرفا لان علمه تعالى لايوصف بانه فى مكان او زمان لقدمه و تفصيله فى كتب العربية ويجوز افراد رسالته كما قرئ به هنا وانما سموا ابناءهم به لما بلغهم من الاحبار والكهان وروى فى المبشرات و شربوا بقرب زمانه فكانوا يطربون به اسطار المحب لحبيب له سيقدم (وهم) اى المسمون باسمه قبل ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم رجاء لكونه المبشر به (محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسى) وقال البلاذرى انه محمد بن عقبة بن احيحه وتردد فيه ابن حجر فى الاصابة واحيحة بضم الهمزة وحاء مهملة مفتوحة يليها مثناة تحتية ساكنة ثم حاء مهملة مفتوحة وهاء والجلاح بضم الجيم وفتح اللام المخففة ثم الف وحاء مهملة والاوسى نسبة للاوس قبيلة الانصار (ومحمد بن مسلمة الانصارى) بن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس الانصارى ووصف هذا بالانصارى دون محمد بن احيحة وهو من قبيلة الانصار لانه لم يسلم وانما يقال الانصارى لمن اسلم منهم ولذا قال الذهبى من عد محمد بن احيحة من الصحابة فقد وهم لانه لم يدرك الاسلام وانما هذا ابو عبدالرحمن المدنى حليف بنى عبدالاشهل المولود قبل البعثة باثنين وعشرين سنة وهو ممن سمى محمدا فى الجاهلية كما فى الاصابة عن الواقدى من غير تردد فيه وهو صحابى شهد بدرا وكان عمر رضى الله تعالى عنه بعده لكشف المعضلات فى خلافته ومات بالمدينة سنة ثلاث واربعين وقيل غير ذلك وهو من قدماء الصحابة وقول بعض الشراح ان ذكر المصنف لمحمد بن مسلمة ليس فى محله لانه بصدد ذكر من سمى محمدا قبل مولده وهو ولد بعد مولده نحو عشرين سنة لاوجه له لماسمعته من خلافه مماهو مصحح فى السير نقلا عن الواقدى وما قاله قول مرجوح وان قاله مغلطاى فى سيرته (ومحمد بن براء البكرى) نسبة لبكره له مشهورة و براء بموحدة تحتية مفتوحة وراء مهملة بعدها مدة وهو ابن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة واسم ابيه براء رأسه مصححا كذا فى حواشى الحلبى وفى غيره بدله فتح الموحدة وتشديد الدال المهملة قبل وقد تحرف وقال البرهان الحلبى ان محمد بن احيحة ومحمد بن مسلمة

ومحمد بن براء لم يدركوا الإسلام بل هلكوا في الجاهلية فعدهم فيمن أسلم أمر عجيب فلا يليق بالمصنف وإن كانوا ممن سمي بمحمد قبل البعثة (و) كذا (محمد بن سفيان بن مجاشع) التميمي فإنه لم يدرك الإسلام وقد خطئ أبو نعيم في عده من الصحابة (ومحمد بن حمران الجعفي) بضم الجيم نسبة للجعفية قرية معروفة وحمران بضم الحاء المهملة وسكون الميم وراء مهملة ثم ألف ونون وفي بعض نسخ المتن عمران بدله وهذا أيضا لم يدرك الإسلام كما قاله البرهان (ومحمد بن خزاعي السلمي) بضم السين المهملة وفتح اللام وميم وياء نسبة له له وخزاعي بضم الخاء وزاي معجمتين وألف وعين مهملة نسبة لخزاعة وهو من بني ذكوان واسم أبيه علقمة وهو لم يدرك الإسلام أيضا كما قاله البرهان إلا أن هذا لا يعترض به على المصنف لأنه إنما عد من سمي محمدا قبل الإسلام أسلم أم لا وهم ستة (لا سابع لهم) وهذا على ما اختاره المصنف ومنهم من نقص عددهم كالسهيلي فإنه لم يزدهم على ثلاثة ومنهم من زاد حتى بلغ العشرين كما قاله ابن حجر مع تكرار في بعضهم وتردد في بعض وسيأتي لهم سابع وقد غاب ما طعن به في محمد بن مسلمة (وقال إن أول من سمي به) أي باسم محمد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي نسخة بمحمد (محمد بن سفيان) بن مجاشع التميمي السابق ذكره (واليمن) أي أهله فهو من إطلاق اسم المحل على الحال فيه (تقول) وفي نسخة يقولون لم يسم به أولا هذا (بل) الذي سمي أولا (محمد بن اليحمد من الأزد) وفي نسخة الأزدي نسبة إلى الأزد من اليمن أبوهم أزد ذي الغوث وقال أسد وفي نسخة بعدما ذكر ومحمد بن سمران بالسين أيضا ومن نسله الأنصار كلهم وأزد شنوءة عمان والسراة واليحمد قال البرهان إنه في النسخ بفتح الياء وسكون الحاء وضم الميم وقال ابن ماكولا إنه بضم الياء وسكون الحاء المهملة وكسر الميم وأصحاب الحديث يضمون الميم وفي شرح مسلم للنووي إنه بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم وكما في تقييد المهمل للغساني وهو علم منقول من المضارع وال مقارنة أهلا لا تدخله بعد العلمية فإنه شاذ ولها كقوله * ما أنت بالحكم الترضى حكومته * وكمصنه ونحوها * وقال إن هذا ليس من النسخة ويكون ثامنا وهو ينافي قوله هنا لا سابع لهم وفي شرح مغلطاي زيادة محمد بن عدي بن ربيعة المنقري ومحمد بن عثمان السعدي قال وأظنهما واحدا ومحمد الأسيدي ومحمد بن عوارة الليثي ومحمد بن حرمان العمري ومحمد بن خولة اليمالي ومحمد بن يزيد بن ربيعة ومحمد بن أسامة بن مالك فزاد سبعة أو ثمانية وتوقف المصنف رحمه الله تعالى في واحد منهم وقد قيل في بعض هؤلاء إنه أدرك الإسلام وكلام المصنف لا ينافي هذا إلا في قول الأنصاري كما تقدم والأمر فيه سهل إذ لا مانع من إطلاقه على من لم يسلم لمزاحمتهم لهم تسمية (ثم حمى الله) أي صان ومنع بصيرته الفهمة (كل من تسمى به) أي بمحمد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم (أن يدعي النبوة) فقد برئ من ادعى ادعائها بنفسه بأن يقول أنا نبي

(او يدعيها احد له) بان يقول هو نبي (او يظهر عليه) بفتح الياء التحتية وضم الهاء
مبني للفاعل ويجوز بناؤه للمجهول والاول اظهر وضمير عليه لمن (سبب يشككه
احدا في امره) اي شيء في ذاته يكون سببا موقعا للناس في شك في انه هو النبي الموعود
كسحابته وصفاته الباهرة كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من الارهاصات والاخلاق
الباهرة او يجري على يديه ما يشككهم من سحر وعرافة والعطف باو بمعنى الذي هو
في معنى النفي والنهي يفيد العموم كقوله تعالى (ولا تطع منهم آثما او كفورا) ولو عطف
بالواو اوهم ان المنفي عنه المجموع وان وقع بعض منها (حتى تحققت) اي ظهرت
وثبتت في الخارج (السمتان) اي الصفتان اللتان هما المحمدية والاحمدية اللتان
هما علمان لموافقة اسمه لمسماه وفي بعض النسخ السمتان بياء بعد السين وهو خطأ
ثم قال التلمساني وظاهر انه من القلم (له صلى الله عليه وسلم) متعلق بالفعل او بالسمتان
وهو تسمية بما هو دال على انه المبشر به في الكتب السالفة والامم الماضية فادعى
الرسالة وشهدت له الكائنات بصدق دعواه (ولم ينازع فيهما) بفتح الزاء المعجمة
والبناء للمجهول اي لم ينازعه احد في السمتين (واما قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم
في هذا الحديث (وانا الماحي الذي يمحو الله به الكفر) بيان لمعناه المراد منه ولذا
... (ففسر في الحديث) بالفاء المفسر به وفسر مبني للمجهول اي فسره
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقرينة قوله في الحديث وهو صفة له وقيل علم منقول
من اسم الفاعل الوصفي ولما رأى هنا سؤالان احدهما انه تقدم فلا حاجة لاعادته
كما قيل وان المحو معناه الازالة بالكلية والكفر موجود في كثير من الناس والبلدان
اشار الى دفعهما بقوله (ويكون محو الكفر اما من مكة) بعد الفتح اذ اطهرها الله
تعالى منهم ولم يبق بها صنم من الاوثان (و بلاد العرب) الظاهر انه ...
... والمراد بها جزيرة العرب وساحة الاسلام فانه لم ... الامان ... واضمحل
حتى صار كالعدم وقد كانت مملوءة بالشرك فاستأصل الله على يد حضرته من جاهلية
(...) كذلك قوله و (ما زوي له من الارض) اشارة لما ورد في الحديث من قوله
صلى الله تعالى عليه وسلم زويت لي الارض ... ... وسأبلغ ملك امتي
ما زوي لي منها او ... ... اي الله تعالى جمع
له جميع الارض ... ... حتى ... كلها ... فانه
... كلها ... بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام او ... ان ...
ان ما ... منها اعطيها ... وهو الذي ... (... ...)
اي الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما ورد في الحديث (... ...) اي ...
... (ملك امته) بضم الميم ويجوز كسرها اي ... على الوجه
السالف وقد ورد انه زويت له ... من الارض ... ...

ما فيه من الكفر لاضمحلاله حتى يصير ما بقي منه كالعدم ولما كان محو الكفر بأمره وشرعه
وبركته نسب المحو له صلى الله تعالى عليه وسلم فكأنه الماحي حقيقة وقد قيل أنه
كله جواب واحد وقوله (أو يكون المحو عاما) شاملا لجميع الأرض وليس المراد بها
أرضا مخصوصة (بمعنى الظهور والغلبة كما قال الله تعالى ليظهره على الدين كله)
جواب ثان فيبقى على عمومه ولا يخص بعض فالمراد بالمحو علو الدين وغلبته لغيره
من الأديان بنسخها وبيان ما غير وبدل منها وعلو أهله على جميع من عداهم
بتسلطهم عليهم وقهرهم وإيقاع الرعب في قلوبهم كما هو مشاهد قال الله
تعالى عز وجل (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله) ويوضحه أن المحو لغة إذهاب الأثر وهو قد يكون مع بقاء العين
وأن ما لا أثر له كالعدم ولذا عبر بالماحي دون المزيل وما قيل من أن هذا جعله
المصنف وجها واحدا وحمل المحو على إزالة بدعهم عن تلك الأراضي وحمل
بعض أهل الأرض كالعبيد بضرب الجزية عليهم وجعلهم بإزالة تصرفهم كالموتى
وحمل محو آثارهم كمحو دولهم ونسخ أديانهم وكتبهم التي هي بمنزلة أرواحهم
وإبطال شوكتهم وقهرهم كإزالة ذواتهم ونحوها من صحائف الوجود ففيه تجوز
باعتبار وجوه مختلفة (وقد ورد تفسيره) أي الماحي بغير ما مر (في الحديث)
والتفسير المذكور (أنه الذي محيت به سيئات من اتبعه) بما أنعم الله تعالى به على أمته
من المكفرات وعفا وله من شفاعته لهم في الدنيا والآخرة والعفو كالمغفرة موافق
للمحو لغة ومعنى وهذا مروي عن المصنف وقد سقط من بعض النسخ فإسناده إلى
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مجاز إذ هو سببه والعافي والغافر حقيقة هو الله تعالى
وهذا من خصائص أمته وقد فسر قوله تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)
بغفر لأمتك وقد روى هذا التفسير الذي ذكره المصنف للماحي الحاكم في مستدركه
وأبو نعيم والبيهقي وقال ابن دحية إنه حديث مرسل صحيح الإسناد وقال السيوطي إنه
متصل ولفظه وأما ماحي فإن الله محى به سيئات من تبعه وقال ابن حجر في شرح الشمائل
معناه أن من آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم محى ذنب كفره وما عمله فيه قال الله
تعالى (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) وفي الحديث (الإسلام يجب
ما قبله أو يهدم ما قبله) وخص بهذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه لم يمح أحد
الكفر كما محاه إذ جاء على فترة وقد عم الكفر فيه عبدة الحجر ولعل مفسر الشرين والمراد
بكونه من خصائصه أن الله تعالى لطف بأمته بكثرة المكفرات كثرة لم تكن قبله فهو
مطلق مخصوص لوقوع خلافه في الآيات والآثار كقول نوح عليه الصلاة والسلام
لأمته استغفروا ربكم إنه كان غفارا (وقوله) في هذا الحديث (وأنا الحاشر) فسره
صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله بعده (الذي يحشر الناس) جميعهم مؤمنهم وكافرهم
لدى حوائجهم كلهم في شفاعته العظمى لخلاصهم من هول الموقف والحشر وتعجيل

الحساب لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة للعالمين (على قدمي) بالتخفيف والتشديد كما مر وفي رواية على عقبي ولما كان ظاهره انه يسوق الناس للمحشر وليس بمراد فسره بقوله (اى على زماني وعهدي) وهما بمعنى لانه يقال هذا كان على عهد الخلفاء في عصرهم ثم قال (اى ليس بعدي نبي كما قال وخاتم النبيين) فهو اما بتقدير مضاف اى على اثر قدمي من غير فاصل او القدم سواء كان مفردا او مثنى ما يتبعه الناس فيه وهو الشريعة وقال الكرماني معناه على اثري كما جاء على عقبي او على زماني ووقت قيامي على القدم بظهور علامات الحشر فانه لا نبي بعده ويحتمل ان يريد اول محشور لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اول من تنشق عنه الارض كما تقدم والقدم معروفة وهي مؤنثة لتصغيرها على قديمة ويتجوز بها عن معان اخر كما في الاساس فيقال حمله تحت قدمه اذا عفا عنه وله قدم في كذا اى تقدم وسبق له ذلك لتقدمه فيه وكونه السبب فيه ثم انهم يحبسون في المحشر حتى يشفع لهم فهو حاشر في هذا الحشر الثاني الى مقرهم من جنة او نار فبعده صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الخلائق فهو على هذا حاشر حقيقة وهذا هو المراد في رواية من روى قدمي بالتشديد مثنى وقول الكرماني ويحتمل الخ سبقه اليه الخطابي وان كان ظاهره انه من باب افكاره وارتضاه ابن دحية وما ذكره المصنف وابن سيد الناس فيه خفاء الا ان يريد ان القدم مجاز عن الاثر كناية او مجازا الا انه يتكرر مع قوله العاقب وقال السيوطي ان الله وصف نفسه بالحشر في قوله (ويوم يحشرهم) فيكون هذا من اسمائه التي سماه بها فان سئل ما قاله كان ما فسر له كذلك وحشر الناس في وقت سوبه لقاء ملته لانها لا تنسخ وليس بعدها شرع آخر فلا يرد عليه ان الساعة تقوم وليس على وجه الارض من يقول الله وبعدم ان كونه خاتم النبيين اى آخرهم او من جموا به على قراءة الفتح لا ينافيه نزول عيسى عليه السلام بعده لانه ينزل تابعا له صلى الله تعالى عليه وسلم عاملا بشرعه ولذا يدفن عنده لانه آخر خلفائه وقيل المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم آخر من نبئ وعيسى نبئ قبله وان مات بعده كالخضر والياس على قول وقيل سمي حاشرا لانه يحشر في الحشر من خصومهم وحرب ارضهم وهو ضعيف رواية ودراية (وسمي عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء) عليهم الصلوة والسلام اى خلفهم في الخير ومنه عقب الرجل لولده وفسر بمن لا نبي بعده فان العاقب الآخر وقد فسر في حديث مروي عن ابن جبير فهو اصح واحسن (وفي الصحيح وانا العاقب الذي ليس بعده نبي [2]) وقيل العاقب عند العرب من يكون خلف سيد القوم فسماه به الله لانه احق بخلافة من جميع الرسل ومن العرب ما قيل انه اسمه عند اهل النار من امته لان الله تعالى يسميهم اسمه محمدا فاذا ذكروه ارتفع عنهم العذاب وهو ضعيف (وقيل معنى على قدمي انه يحشر الناس بمشاهدتي) اى بقربي ومعنى بمرأى مني لتبقى للناس في المقام من الغمر (كما قال الله تعالى لتكونوا

(٢) بعدي نبيه

٢) وقد سقط هنا ما وقع في بعض النسخ فليراجع الى المتن فانه ط

شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ٢) وهذا بناء على انه من الشهادة بمعنى المشاهدة والمعاينة والجمهور على انه الشهادة الحقيقية كما ورد في الصحيحين من ان امته تشهد للرسل بالتبليغ وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يشهد لامته بالصدق وهو معنى جعلهم امة وسطا اي عدولا وخيارا كما مر بيانه واخر المصنف رحمه الله تعالى هذا وهو متعلق بما قبله من معنى الحاشر اشارة الى ابهام معنى (ومعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لي خمسة اسماء) جواب عن سؤال مقدر تقديره انه صلى الله تعالى عليه وسلم اسماء كثيرة فجعلها خمسة اوعشرة ان قلنا بمفهوم العدد مخالف للواقع والا فهو زيادة بغير فائدة (قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة) المنزلة على الانبياء عليهم الصلوة والسلام كالتورية والانجيل (وعند اولي العلم من الامم السالفة) اي السابقة وتخصيصها بالذكر لهذه الفائدة ومرضه لما سيأتي من انه صلى الله تعالى عليه وسلم له اسماء اخر في الكتب القديمة ايضا وكون العدد لا مفهوم له لا يدفع السؤال كما توهم وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقف على هذه الزيادة حتى ذكره بعيد (والله اعلم) بوجه التخصيص فيما ذكر (وقد روي عنه عليه الصلوة والسلام) في حديث رواه ابو نعيم في الدلائل وابن مردويه في تفسيره من طريق يحيى التيمي وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابي الطفيل (لي عشرة اسماء) وقد تقدم انه لا معارضة بينه وبين غيره من الاحاديث (وذكر منها طه ويس كما حكاه مكي) تقدمت ترجمته وقد تقدم هذا وانما اعاده لبيان ما الذي ذكره وقال ابو بكر بن العربي في احكام القرآن اختلف الناس في معناه على اربعة اقوال* الاول انه اسم من اسماء الله تعالى قاله الامام مالك وروى عنه اشهب قال سألته هل ينبغي لاحد ان يتسمى بيس قال ما اراه ينبغي لقوله تعالى * يس والقرآن الحكيم * اي هذا اسمي يس * الثاني قال ابن عباس رضي الله عنهما يس يا انسان بالحبشية وبالعربية يا رجل وروي عنه انه اسم الله تعالى كما قال مالك * الثالث انه كنية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قيل له يس اي يا سيد كما تقدم * الرابع انه من فواتح السور وروي عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (سماني الله تعالى في القرآن سبعة اسماء محمد واحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله) وهذا حديث لم يصح وروى اشهب عن مالك لا يتسمى احد بيس لانه اسم الله وهو كلام بديع وذلك ان العبد يجوز له ان يتسمى باسم الرب اذا كان فيه معنى منه كعالم وقادر وانما منع مالك من التسمية بهذا الاسم لانه من الاسماء التي لا يدرى معناها فلربما كان ذلك معنى ينفرد به الرب فلا ينبغي ان يقدم عليه من لا يعرف لما فيه من الخطر فاقتضى النظر المنع منه فان قيل قد قال الله تعالى * سلام على آل يس * قلنا ذلك مكتوب بهجائه فتجوز التسمية به وهذا ليس بهجي وهو الذي تكلم مالك عليه لما فيه من الاشكال انتهى وهو كلام نفيس

الا ان فيه بحثا لان تجويزه للتسمية ليس من وجه ومنعه من آخر وانه عند التلفظ لا يعرف منه الهجاء وعدمه اللهم الا ان يقال مراده المنع في غير ما ورد في القرآن فتدبر (وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي) على انه اسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه السيوطي عن ابي الطفيل وتقدم انه قيل انه من اسماء الله وما ذكره السيوطي رحمه الله مروي عن الواسطي واراد به ان كل حرف منه مروي بعض من اسم فالطاء من طاهر من كل عيب ودنس والهاء من هاد الى كل خير فهو اسم مركب من اسمي حرفين كما في الم وفي البخاري عن سعيد بن جبير معناه يا رجل بلغة عك وقيل معناه اطمئن وقيل معناه طأ الارض والهاء ضمير الارض وقيل يا رجل بالسريانية فعرب وقيل هو بالنبطية وهي لغة اهل سواد العراق وقيل معناه بلغة عك يا حبيبي وقيل طوبى لمن هدى (و) قيل (في) بعض تفاسير (يس انه يا سيد حكاه السلمي) بضم السين وفتح اللام وهو ابو عبد الرحمن كما تقدم في ترجمته (عن الواسطي) نسبة الى واسط بلدة معروفة وقد تقدمت ترجمته (وجعفر بن محمد) هو جعفر الصادق الامام المشهور كما تقدم وهذا مروي في اسمائه عن ابي الطفيل ورواه الذهبي في دلائله مسندا وقال السهيلي لو كان من اسمائه لقيل يا ياسين بالضم وقال ابن دحية هذا غير لازم مع انه روي عن الكلبي انه قرأه بالضم ايضا وقيل معناه يا انسان بلغة طي واصله يا انيسين فاقتصر على بعض منه وقد بسطنا الكلام عليه في حواشي البيضاوي وكذا فيما من اوائل الكتاب وقيل معناه يا رجل وقيل يا سيد البشر (وذكر غيره) اي غير الواسطي انه روي (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول) الذي سبقت آنفا (و) زاد عليها و (قال وانا رسول الرحمة) لقوله تعالى * وما ارسلناك الا رحمة للعالمين * لانقاذهم من العذاب في الدنيا والآخرة فمن اسعفه تحاشى الدنيا من القتل او من ذلة الكفر والجزية وفي الآخرة من العذاب المخلد والخزي المؤبد واراحهم من التعب فيها فلذا سمي بذلك كما قال (ورسول الراحة) لانه صلى الله عليه وسلم راحة للمؤمنين في الدنيا لما رفع عنهم مما كان في الامم السالفة من الاصر والمشاق على شريعته من الرخص والتخفيفات وفي الآخرة براحتهم العظمى لامهم وازالة تعبهم ورفع الكلف عنهم وراحة للكافرين بترك قتلهم وسبي ذراريهم اذا قبلوا الجزية فنزلوا في حرم الايمان آمنين وامنت امته من عموم الخسف والمسخ وستر عليهم معاصيهم وكان من قبلهم اذا عصى اصبح وقد كتب على باب داره فلان فعل الليلة كذا وكذا وتسميته صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة رواه ابن ماجه والحاكم مسندا عن ابي هريرة وصححوه وورد في بعض طرقه نبي الراحة وما سبق انسب بالآية (ورسول الملاحم) جمع ملحمة وهي الحرب والقتال سميت بذلك

لالتحام الابطال فيها اى ازدحامهم فيها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم ارسل بالسيف وامر بالجهاد ولم يقع اى ولا لامته من الجهاد والقتال ماوقع له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته ولايزالون كذلك حتى تقاتلوا الدجال وينزل عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام وهذا لاينافى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لانه رحمة حقيقة ادنى بآله عصمة للمسلمين وهداية بعض الكافرين الى الاسلام وامن دار الاسلام وغير ذلك مما لايحصى والجواب بانه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لاوليائه حرب لاعدائه مع مافيه لايناسب العالمين (وانا المقفى قفيت الدين) كلاهما بتشديد الفاء كما قال تعالى (ثم قفينا على آثارهم) وهو اما بمعنى التابع الذى جاء على اثرهم لان معنى قفا تبع ومنه القافية وفيه من الفضل انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقف على احوالهم وشرائعهم فاختار له الله من كل شيء احسنه وكان فى قصصهم له ولامته عبر وفوائد او المراد به خاتمهم وآخرهم ووقع فى بعض النسخ المقفى بزيادة الياء القوية واوضح عليه بعض الشراح ونقله عن الطيبى ثم قال ان المقفى ذكره غير الطيبى ولم يرد به نص صريح وفيه نظر (وانا قثم) بالقاف ومثناة تحتية بعده مثلثة (ه) فسره المصنف بقوله و (القيم الجامع الكامل) اى الجامع لمكارم الاخلاق المرضية الكامل فيها او الجامع لشمل الناس بالفتوه بهم وجمع شتاتهم لان القيم تكون بمعنى السيد لقيامه بامر الناس وامر الدين كما قاله ابن الاثير لما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الآمدى * نداب دين دناعد دين قدقدم * وكنت فى الدين كان فى ظلم * ياقثم الدين اهدنا نستقم * كما ورد فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتانى ملك فقال انت قثم وخلقك قثم * اى مجتمع حسن وفى النهاية القيم القائم بامور الخلق ومدبر العالم فى جميع اموره وهو مرادف للقيوم الذى هو من اسمائه تعالى ولا بعد ان يسمى النبى صلى الله عليه وسلم بشيء من اسماء الله تعالى بمعنى يليق كالقيم اذا كان بمعنى القوم كما يسمى بغير ذلك من اسمائه والقيم ايضا من اسماء الله تعالى كما ورد فى الحديث فى قوله صلى الله عليه وسلم (انت قيم السموات والارض ومن فيهن) وقال ابن دحية هو بمعنى القائم كما نقله السيوطى فى الرياض الانيقة (كذا وجدته) اى تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالقثم فى كتب الحديث (ولم اروه) بطريق من الطرق المعتبرة عند المحدثين الاانى وجدته فيما رواه غيره وهذا عند المحدثين يسمى الوجادة وله شروط عندهم وهو مما يستأنس به وهذا رواه الديلمى فى مسند الفردوس وفى النهاية الاشارة اليه ايضا كما مر (وارى ان صوابه) بحسب الرواية (قثم) بالثاء المثلثة المفتوحة المخففة وضم القاف فرأى انه تصحف عليهم وهو معدول عن قاثم ممنوع الصرف كما ذكره ابن فارس وغيره ورواه ابن اسحق فى حديث عرب هو قال رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم (اتانى ملك فقال انت قثم وخلقك قثم ونفسك مطمئنة) قال ابن دحية فى اشتقاقه معنيان احدهما من القثم وهو الاعطاء يقال قثم له من العطاء اذا اعطاه فسمى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك لجوده وعطائه والثانى من القثم وهو الجمع يقال للرجل الجامع للخير قثوم وقثم وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم جامعا للفضائل وجميع الخير والمناقب وقد علمت مافيه (كما ذكرناه بعد) بالبناء على الضم اى فيما سيأتى (عن الحربى) قال البرهان لهم ابو اسحق الحربى واسحق بن الحسين الحربى والثانى ثقة حجة سمع من هوذة وحسين بن محمد وغيرهما ووثقه الدارقطنى وصحح عليه فى الميزان وذكر الذهبى انه فهم (وهو اشبه بالتفسير) يعنى انه اقرب شبها بتفسيره المأثور بالجامع وفيه نظر لان قثم بالمثلثة بمعنى مجتمع ايضا كما تقدم آنفا وقد كان عبد الله ابو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يكنى بابى محمد وابى قثم وقالوا انه الجامع للخير اولشمل امته ويأتى ان هذا الاسم معروف فى جماعة من اهل البيت منهم قثم بن الحارث عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وابن عبد الملك وبه سميت محلة بسمرقند دفن فيها وبها مدرسة لهم ايضا وقثم بن عبد الله بن العباس ثم عاد المصنف الى ذكر الفهم بالحقيقة واشار الى ما يصححه فقال (ووقع ايضا فى كتب الانبياء) المنزلة من السماء كصحف ابراهيم وداود (قال داود عليه الصلوة والسلام اللهم) اى ياالله والحموا الميم فى آخر هذا الاسم ايذانا بجمع اسمائه وصفاته فالسائل اذا قال اللهم فكأنه قال ادعو باسمائه وصفاته فاتى بالميم المؤذنة بالجمع فى آخره ايذانا بسؤاله باسمائه كلها ولذا قال العطار ذى اللهم فيها تسعة وتسعون اسما من اسمائه وقال النضر من قال اللهم فقد دعا الله بجميع اسمائه ووجه هذا بان اللهم بمنزلة واو الجمع فانها من مخرجها فكان الداعى بها يقول ياالله الذى اجتمعت له الاسماء الحسنى والصفات العلى وشددت لتكون عوضا عن الواو والنون فى نحو مسلمون (ابعث لنا محمدا يقيم السنة) اى الطريقة الشرعية والدين (بعد الفترة) اى انقطاع الوحى والرسل وضميرا لنا للناس (فقد يكون القيم معناه) اى معنى المقيم للسنة المأخوذ مما ذكر لدلالته عليه فيكون اذا سلم انه اسم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا المعنى وقد قالوا انه اسمه فى الزبور كما يشير اليه كلام المصنف وفى التورية كما نقله السيوطى ولن نقبضه الله حتى نقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فالسنة سنة الرسل وهى الشريعة والتوحيد والفترة مابين كل رسولين من الزمان وهو المراد وقد يخص بما بين عيسى ونبينا صلى الله تعالى عليهما وسلم واصل معناها الضعف وتسمية ترك العبادة فترة منه فليس معنى اصليا كما توهم فان كان ضميرا لماله ولقوله بجملة الجمل الدعائية لنبى ان يبعث فى زمنه وقيل ضمير معناه لقثم بالمثلثة وفى كتاب فضل الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لابن القيم ان اللهم لا يستعمل الا فى الطلب

نحو اللهم اغفر لي فقط وهذا ينافي قوله بعد هذا انه يسوغ استعماله في موضع لا يكون بعده دعاء نحو اللهم لك الحمد واليك المشتكى فتأمله (وروى النقاش) تقدمت ترجمته (عنه عليه الصلوة والسلام) انه قال (لي في القرآن سبعة اسماء) تقدم المراد بالاسماء وانها تشمل الصفات غير الاعلام ثم ذكرها فقال (محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله) تقدم الكلام على بعضها وستأتي تتمته ومحالها من القرآن معلومة في اوائل السور وغيرها كقوله تعالى (وانه لما قام عبد الله يدعوه) واقتصر على هذه لشهرتها والا فقد ورد فيه غيرها كالرسول والنبي والخاتم والرؤف والرحيم والصاحب ومفهوم العدد غير معتبر وقيل انه كان قبل وصف الله له بهذه او المراد ما يختص به كما اشير به تقدم الخبر والجواب بان رؤف ورحيم صفة ان لا اسمان لتعلق الجار بهما كما في قوله تعالى (بالمؤمنين رؤف رحيم) ثم انه قيد كونهما اسمين بعد القرآن غير مسلم لما مر وقوله في القرآن يشير الى ان له اسماء اخر ليست فيه وفي الصحيحين في فترة الوحي (بينا انا امشي اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والارض فرعبت منه ورجعت فقلت زملوني زملوني) وفي رواية دثروني فانزل الله تعالى (يا ايها المدثر قم فانذر) والمدثر والمزمل اسمان من الحالة التي كان عليها حين النزول والمدثر الملتف في الدثار وهو الثياب والمزمل بمعناه واصله المتدثر والمتزمل فقلبت وادغم كما هو معلوم من علم التصريف وقال ابن الورد انما نزل يا ايها المدثر عقب قوله زملوني لان هذا التزمل ارتداء الدثار من برد يعتري المروع كالمحموم كما كان يعتريه صلى الله تعالى عليه وسلم عند نزول الوحي عليه فخاطبه عاطفا من تزمله اي يا ايها المتزمل المتدثر دع الدثار وجد في الانذار تأنيسا له من الروع وتنشيطا له على فعل ما امر به كما تقول لمن ارسلته لامر فتخوف وتثبط عنه يا ايها المتخوف امض لامرك وقال السهيلي فيه ملاطفة لانه ورد انا النذير العريان فوصفه بالانذار مع الدثار تملح بالطباق وهو نوع بديع وكان تدثره صلى الله تعالى عليه وسلم بقطيفة في بيت خديجة وذكر عائشة بدل خديجة خطأ لانه كان بمكة وعائشة انما كانت معه بالمدينة وقيل معناه المدثر بالقرآن وقيل معنى المزمل الحامل لاعباء الرسالة من المزاملة فهو استعارة تصريحية وقال السهيلي ليس المزمل من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هو مشتق من حالته الملتبس بها حال الخطاب والعرب تفعله ملاطفة ومعاتبة كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه وقد نام على الارض قم يا ابا تراب ملاطفة لما كان بينه وبين فاطمة رضي الله تعالى عنهما من المعاتبة وما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه كان غزلها مرملا مرطا طوله اربعة عشر ذراعا نصفه عليها وهي نائمة لا اصل له فان نزول يا ايها المزمل كان بمكة ودخوله صلى الله تعالى عليه وسلم على عائشة انما كان بالمدينة وقد علمت ان عبد الله سماه الله تعالى به في آيات

(والعودية)

والعبودية اشرف صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم واصل معناها الخضوع والتذلل وان العبد هو الانسان رقيقا ام لا وقال المشايخ العبودية القيام بحق الطاعات بشرط التوفيق والنظر للصدر منه بعين التقصير وفي بعض النسخ (وفي حديث عن جبير بن مطعم هي) اى اسماؤه صلى الله عليه وسلم (ست محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماحي) وقد علمت معانيها (وفي حديث ابي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسمي لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفي) وفي رواية كما تقدم المقفي (والحاشر ونبي التوبة) هذا الحديث اسنده السيوطي في الرياض الانيقة وقدمر تفسير هذه الاسماء غير الاخير ومعناه ان توبة امته مقبولة من غير حرج عليهم حتى تطلع الشمس من مغربها او يغرغر وكانت الامم السالفة منهم من لا تقبل توبته اصلا ومنهم من تقبل توبته بشرط امور شاقة كما لم تقبل توبة بني اسرائيل من عبادة العجل الا بقتل انفسهم وهذه الامة تقبل منهم مطلقا وان تكررت مع تكرر الذنوب وبه فسر قوله تعالى (ان الله يحب التوابين) بشرط الندم والعزم على عدم العود ورد حقوق العباد او استحلالهم ونحوه كما فصلوه في محله فهو لا ينافي قول بوبة عبر هذه الامه في الحملة (وفي الملحمة) تقدم تفسيره (وفي المرحمة والرحمة ٢ وكل صحيح ان شاء الله) رواية ودراية كما تقدم ايضا (ومعنى المقفى هو معنى العاقب) كما مر مفصلا والاولى تفسير كل منهما بمعنى فرارا من التكرار فمعنى المقفى التابع لهدى الناس وسننهم والعاقب الخاتم لباب النبوة والرسالة واليه اشار بقوله (وقيل) معنى المقفى (المتبع لهدى الناس واما نبي الرحمة والتوبة) فأتى بجواب اما وقيل معنى نبي التوبة انه كثير التوبة والاستغفار لنفسه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة) (والمرحمة والراحة) لان من رحمه الله تعالى فقد اراحه من العقاب واذا علمه بذلك اراحه من القلق والضجر (فقد قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) دليل وتفسير لما قبله وقد تقدم انه لا ينافي انه نبي الملحمة والسيف اى القتال به لما تقدم وفي شرح السنة ان الامم السالفة كان من كفر منهم بعد ظهور المعجزات يعذب بالاستيصال فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالجهاد بنفسه ليرتدعوا عن الكفر فالسيف فيه بقية لهم ويؤيده نزول ملك الجبال عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ليطبقها عليهم واباؤه ذلك رجاء ان يكون من ذريتهم من يعبد الله ورفع عنهم الاصر واثابهم الكثير على العمل القليل مع قصر اعمارهم وقد اثاب الله تعالى الامم السالفة مع كثرة اعمارهم واعمالهم باقل من ذلك وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وفي جعله صلى الله تعالى عليه وسلم عين الرحمة وتعميم العالمين بها مبالغة ظاهرة (وكما وصفه) اى مثل وصفه الذي وصفه به في هذه الآية

(٢) والراحة نسخه

وصفه له في غيرها (بانه يزكيهم) اي يطهرهم من الاخلاق الذميمة والآثام المدنسة لهم بمقاله وحاله وضمير يزكيهم للعالمين وقيل لامته (ويعلمهم الكتاب) اي القرآن (والحكمة) اي العلوم النافعة والعقائد الحقة ومعاني القرآن وفسرت ايضا باصابة الحق قولا وفعلا ووردت بمعنى القرآن ايضا والحكمة من الله معرفة حقائق الاشياء وايجادها على غاية الاحكام ومن الناس معرفة الموجودات وفعل الخيرات وهو الذي وصف به لقمان ويصح ارادته هنا ايضا (ويهديهم الى صراط مستقيم) اي يدلهم على طريق لاعوج فيه بالوحي والشريعة توصلهم الى سعادة الدارين (وبالمؤمنين رؤف رحيم) قدم متعلقه للتخصيص او للاهتمام والتشريف مع رعاية الفاصلة وموافقة نظم القرآن قصدا للاقتباس عن مشكاته وتقديم الرؤف كما في لانه الشفقة والتلطف بالمنعم عليه وهو مقدم كما مر وما قيل من انه قدم للفاصلة وجعله الأخير بناء على انه ابلغ الرحمة تقديم رده (وقد قال) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اوالله في غير القرآن اذ لم تقع فيه بهذا اللفظ (في صفة امته انها امة مرحومة) في الدنيا والآخرة في الحيوة والممات والامة امة الدعوة او الاجابة (وقد قال تعالى فيهم) اي في حقهم وشانهم (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) معطوف على جملة الصلة في قوله تعالى الذين آمنوا (اي يرحم بعضهم بعضا) اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه وبالرحمة على خلق الله (فبعثه الله) وفي نسخة فمنه صلى الله عليه وسلم ربه (رحمة لامته) متفرع على ما قبله باعتبار العلم والظهور وهو في الحقيقة سببه ورحمته الخاصة بهم ظاهرة ورحمة مفعول له او حال من الله او من ضمير الى بمعنى راحما لهم (ورحمة للعالمين ورحيما بهم) اي جعله عين الرحمة لارشاده لهم ولطفه بهم وحمله على ذلك فلا تكرار فيه مع ما قبله (ومترحما ومستغفرا لهم) اي داعيا لهم بالرحمة والمغفرة لشفقته صلى الله عليه وسلم عليهم فيه حسن ترتيب وايهام للتأكيد (وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة) لاجابة دعائه وتخلقها بخلقه ويجوز ان يكون بيانا لما مر لانه بمعناه (وامرها) اي الامة (عليه الصلوة والسلام بالتراحم واثنى عليهم) اي امر امته بان يرحم بعضهم بعضا ثم فسره بقوله (وقال) عليه الصلوة والسلام (ان الله يحب من عباده الرحماء وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (الراحمون يرحمهم الرحمن) وهذا خبر لفظا مآل معناه الامر فلذا اردفه بصريحه بقوله (ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء) بالرفع والجزم وحديث ارحموا الخ صحيح مشهور مسلسل بالاولية فمل وتؤخذ من كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة انه لا ينبغي ان يدعى له بالرحمة فقال اللهم ارحم محمدا ورده العراقي بان كونه رحمة للعالمين من جملة الرحمة فهو دليل لهم لا عليهم وما ورد في الحديث تبع وقيل انه مخصوص بالتشهد لعدم وروده

فى غيره وسيأتى تفصيله فى بحث الصلوة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (واما رواية نبى الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف وهى صحيحة) متنا وسندا كما ذكره المحدثون وظاهرة معنى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم فرض عليه القتال واحلت له الغنائم ونصر بالرعب ووقع له من الحرب والجهاد والنصرة مالم يتفق لغيره من الرسل وبقى ذلك فى امته الى يوم القيمة وما احسن ماقيل

جمع الشجاعة والخشوع لربه * ما احسن المحراب فى المحراب

ولاختصاصه بذلك اصيف له (وروى حذيفة) وفى نسخة عن حذيفة وهذا رواه احمد والترمذى فى الشمائل (مثل حديث ابى موسى) الاشعرى السابق اى معناه ولفظه (وفيه ونبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملاحم) بالجمع للكثرة اشارة الى انه اختص بكثرتها (وروى الحربى) تقدم ذكره وانه محدث ولم ينبه المصنف رحمه الله تعالى ورواه ابو نعيم فى الدلائل عن يونس بن ميسرة (فى حديثه عليه الصلوة والسلام انه) بيان لانه مرفوع (قال اتانى ملك فقال انت قثم) بالثاء المثلثة كأمير (اى مجتمع) اى مجموع فيك كل كمال وخير وكنى عن ذلك بكونه مجتمعا فى ذاته ولذا عقبه بقوله (قال والقثوم الجامع للخير) كله فى ذاته ولغيره (وهذا اسم) له صلى الله عليه وسلم (هو فى اهل بيته معلوم) فسمى به غيره كما تقدم هو وتفسيره (وقد جاءت من القابه) وهى اسماؤه المنقولة واللقب ما اشعر بمدح واما قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب فمخصوص بما فيه ذم مؤذ كما ذكره المفسرون (وسماته) جمع صفاته اوهو عطف تفسيرى والسمة فى الاصل الوسم والكى ثم عم لكل علامة واشهر بمعنى الصفة اوالمراد الصفات الواردة (فى القرآن) لان اكثر ما فيه صفات منزلة منزلة الاعلام (عدة كثيرة سوى ماذكرناه) مما تقدم ذكره ومنها ماهو حقيقة ومنها ماهو استعارة (كالنور والسراج المنير) كما قال تعالى (قد جاءكم من الله نور * قال وسراجا منيرا) وفسر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه نور لا يطفى (ويأبى الله الا ان يتم نوره) وهذا بناء على ما اختاره ومنهم من فسره بالقرآن ولكل وجهة والذى حققه المشايخ ان الله تعالى مراقدهم كما فى مشكاة الانوار لحجة الاسلام ان حقيقة النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره والعالم مشحون بالانوار الظاهرة المحسوسة والباطنة المعقولة التى بعضها على بعض قال والنور الحقيقى هو الله تعالى فهو نور السموات والارض ونور الانوار وقال الاشعرى انه نور ليس كالانوار والروح النبوية القدسية لمعة من نوره والملائكة شرر تلك الانوار وهذا صرح فى هذا كل النور فلذا سمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نورا ولانه اقتبس من الانوار الالهية سمى سراجا لما فاض عليه من الانوار العلوية فلبس الوصف به لغوا ولا مؤكدا فان فهمت نور على نور فهو فى الاصل استعارة ثم ان كان سمى به صار حقيقة عرفية (والمنذر والنذير)

وهما متفاوتان معنى واصل الانذار الاعلام بما فيه تخويف قال تعالى ﴿ انما انت منذر ولكل قوم هاد * وقال انى انا النذير المبين ﴾ وفى البخارى انما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قوما فقال ياقوم انى رأيت الجيش بعينى وانا النذير العريان فالنجاء النجاة فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبته طائفة فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعنى واتبع ماجئت به ومثل من عصانى وكذب ماجئت به من الحق والنذير للمبالغة فى صدقه وجده فى انذاره ووصفه بالعريان لانه ابلغ فى انذاره وقيل كان النذير يتجرد من ثيابه ويلوح بها مع الصياح تأكيدا لانذاره (والمبشر والبشير) قال تعالى ﴿انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ ونحوه من الآيات وهما من البشارة بكسر الباء وضمها وهو الاخبار بخبر سار وقوله تعالى ﴿فبشرهم بعذاب اليم﴾ تهكم وسميت بها لتغيرها بشرة الوجه اى ظاهره وقيده بعضهم بالخبر الصادق وبنوا عليه مالو علق عليه طلاقا او عتاقا كما بين فى كتب الفقه والاصول وقيل انه يعم الخبرين الا انه قدم ذلك كله وقال السيوطى انه من اسماء الله ايضا لقوله تعالى ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان﴾ وفيه نظر (والشاهد والشهيد) قال تعالى ﴿ انا ارسلناك شاهدا﴾ ﴿ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ ونحوه والشهادة كما فى الصحاح الخبر القاطع واصل معنى الشهادة المعاينة وسمى به لشهادته على الامم لتبليغ انبيائهم لهم ويشهد على امته بالايمان كما ورد فى الحديث(٢) وياتى ان الشهيد من اسماء الله تعالى ومعناه العالم او الشاهد على عباده يوم القيمة ثم سمى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (والحق المبين) قال تعالى ﴿حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم﴾ ونحوه وفسر انه صلى الله تعالى عليه وسلم والحق والصدق متقاربان وفرق بينهما الامام بان الصدق نسبة الشئ الى الواقع والحق نسبة ما فى الواقع الى الشئ من حق اذا ثبت وسمى به صلى الله تعالى عليه وسلم لحقية نبوته ورسالته وما جاء به وجعل عين الحق مبالغة والمبين من ابان ويكون متعديا ولازما بمعنى بين فمعناه الظاهر فى نفسه والمظهر لغيره قال تعالى ﴿لتبين للناس مانزل اليهم﴾ وان المبين من اسمائه تعالى البين الوجه وعظمه واسمه لعباده امر معادهم ومعاشهم وشرائعهم (وخاتم النبيين) بكسر التاء اسم فاعل وبفتحها اسم آلة كالطابع كأنه ختم بهم بنفسه فهو استعارة فى الاصل شاع وصار حقيقة قال تعالى ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ من ختمت الامر اذا تممته وبلغت آخره وفى الصحيحين مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا واحسنه واكمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا تلك اللبنة وانا خاتم النبيين وحكمة كونه خاتما لكون امته رحمة ولئلا تطول مكث امته تحت الارض وائلا تطلع الامم على احوال

(٢) قال السيوطى والشاهد من اسماء الله تعالى سحه

امته ولئلا تنسخ شريعته ولذلك نزل عيسى عليه السلام على شريعته كما تقدم (والرؤف الرحيم) تقدم معناهما مفصلا (والأمين) فعيل بمعنى مفعول مبالغة ويكون بمعنى فاعل كقوله تعالى (وهذا البلد الامين) وتسميته به مشهورة قبل البعثة ووقع في القرآن في قوله تعالى (انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين) في قول بعض المفسرين ان المراد به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وان كان المشهور خلافه وانه جبريل عليه السلام وقال المصنف انه قول اكثر المفسرين كما نقله السيوطي عنه وقيل انا لم نعلمه في القرآن في غير هذه والراجح خلافه الا انه وقع فيه نظير من الالتزام لانه وصف به فيه من هود وغيره كقوله تعالى (في موسى اني لكم رسول امين) وفيه نكلف وقد سمي به وبالمأمون في الجاهلية قال كعب بن زهير

سقاك بها المأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا

ومر انه لما تشاجرت قريش فيمن يضع الحجر الاسود قالوا اول من يدخل من هذا الباب نحكمه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا قد جاء الامين وانه كان مشهورا به قبل البعثة فكانت توضع عنده الودائع والأمانات (وقدم الصدق) كما عده كثير من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي البخاري عن زيد بن اسلم في قوله تعالى (وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) قال هو محمد صلى الله عليه وسلم ومر الكلام عليه مفصلا في اول الكتاب وعن علي كرم الله وجهه كما اخرجه ابن مردويه انه قال في تفسيره هو محمد شفيع وفيه اشارة الى وجه التسمية من انه تسبيرنا بتقدمهم لان من عادة الشافع تقدمه على من يشفع له فعلى هذا انه سماه الله تعالى به وكذا روى عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان معناه شفيع مصدق ومر بيانه في كلام المصنف رحمه الله تعالى شفيع صدق عند ربهم ومر فيه عن سهل ان معناه سابقه رحمة اودعها الله تعالى اي عهدله بها الا انه سبحانه رحمة لهم ولذا عقبه المصنف رحمه الله بقوله (ورحمة للعالمين) فهو كالتفسير له والقدم واحد الاقدام ويطلق على السابق قدم لانه يكون بها ويقال لفلان قدم اي تقدم كما قال ذو الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس انها * مع الحسب العادي طمت على البحر

وكونه رحمة لجميع العالمين كما في قوله تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وقد مر الكلام عليه (ونعمة الله) فهو صلى الله عليه وسلم نعمة لهم وعن ابن عباس في تفسير قوله تعالى (بدلوا نعمة الله كفرا) قال هم كفار قريش ونعمة الله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فسمى نعمة كما سمي رحمة وذلك حقيقة لمن اتبعه ولذا قال (والعروة الوثقى) قال ابن دحية وابو عبد الرحمن السلمي في قوله تعالى (فقد استمسك بالعروة الوثقى) هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والعروة ما يتمسك به من الحبل ونحوه والوثقى الوثيقة المحكمة وهو استعارة تحقيقية او ترشيحية لان من اتبعه لا يقع في هوة الضلال كما ان من يمسك

خلا متيا صعد من خصص المهالك (٥) من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم (الصراط المستقم) ذكره ابن دحية وقال ابو العالية في قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجه ابن ابي حاتم وسمي به لانه طريق الى الله تعالى موصل اليه وتقدم ان الصراط بالصاد والسين والزاء المشمة الطريق المستوى او الواضح والمستقيم الذي لا عوج فيه فاستعير له صلى الله تعالى عليه وسلم لان التابع له واصل لسعادة الدارين ناج والمنحرف عنه ضال غير مهتد فلذا عقبه بقوله (والنجم الثاقب) اشارة لقوله (تعالى وبالنجم هم يهتدون) وروى عن السلف في قوله تعالى (والنجم الثاقب) انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل فيه وهو بعيد وقد مر هذا وما اوله في كلام المصنف رحمه الله عن جعفر الصادق في تفسير والنجم اذا هوى وان الثاقب بمعنى المضيء الموهج قال

اضاءت لهم احسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وهو تشبيه بليغ او استعارة من مطلق النجم او من نجم مخصوص وهو زحل لانه يهتدى به صلى الله تعالى عليه وسلم كما يهتدى بالنجم او لانه استنارت به ظلمة الجهل فان خص بزحل فوجه الشبه الاضاءة مع الرفعة كما قيل (والكريم) المفضل او العفو او الكثير الخير او العلي كما يأتي وكله صحيح في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سمي به في قوله تعالى (انه لقول رسول كريم) بناء على انه المراد به وقيل المراد جبريل عليه السلام كما مر ويأتي والخلاف في تفسيره مشهور ولا حاجة لاثباته بهذه الآية لاتصافه صلى الله عليه وسلم به وتسميه في الاحاديث الصحيحة (والنبي الامي) قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي) وهو من لا يقرؤ ولا يكتب وقيل هو الذي يقرؤ ولا يكتب ورجحه السبكي والسيوطي وفيه اقوال احدها وثانيها هذان وقيل كان يقرؤ ويكتب وقيل كان لا يقرؤ ولا يكتب في اول امره ثم لما زالت الشبهة علمه الله ذلك وذهب الى هذا بعض المحدثين من علماء المغرب ومن تبعهم وسيأتي تفصيله مع انه تقدم مرارا والامي منسوب الى الام كانه على الحالة التي ولدته امه عليها او الى ام القرى وهي مكة او الى امة العرب وكنى به عما ذكر لان القراءة والكتابة لم تكن معروفة فيهم وقيل منسوب الى الامة لانه امة بنفسه وامية معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم وان عدت منقصة لغيره لانه مع ماظهر منه من العلوم والمعارف اللدنية ومعرفته باخبار الامم السالفة وشرائعهم وهو لا يقرؤ ولا يكتب ولم يدارس ولم يسلف ممن قرأ وكتب امر غريب عجيب والمقصود من القراءة والكتابة ذلك لانهما آلة وواسطة له غير مقصودة في نفسهما فاذا حصلت له الثمرة المطلوبة منهما استغنى عنهما بخلاف غيره مع ما في ذلك من الرتبة والاستغناء بكتابته عن ملاقاته كما قال الله تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون) وروى انه صلى الله تعالى

(عليه)

عليه وسلم قال لا اريد الخط لئلا يقع طل القلم على اسم الله تعالى رواه الترمذي ولم يسنده فجاراه الله تعالى على ذلك ان يرفع طله عن الارض فلا يوطأ وان لا ترفع الاصوات على صوته وسيأتي ان من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالامية على وجه يشعر بالنقص له حكم الساب (وداعي الله) اى داعي الناس الى توحيد الله وطاعته كما قال الله تعالى (وداعيا الى الله باذنه * واجيبوا داعي الله) ونحوه وفي الحديث الصحيح (ان ربكم فتح دارا وصنع مأدبة فمن اجاب الداعي رضي عنه السيد ودخل الدار واكل من المأدبة فالسيد هو الله والداعي محمد والدار الاسلام) وقال البخاري الجنة وكذا المأدبة قال السيوطي وقد وصف الله تعالى نفسه بانه داع في قوله تعالى (والله يدعو الى دار السلام) فهو من جملة اسماء الله تعالى التي سماه بها وقال على لسان الجن (اجيبوا داعي الله) فيه دليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث اليهم وقال مقاتل لم يبعث الى الجن نبي قبله وفسر قوله (بعثت الى الاسود والاحمر) بالانس والجن كما تقدم وهو مشكل بسليمان عليه السلام وقد يوفق بينهما بان الله سخر له الجن مع امره لهم بتوحيد الله تعالى لانه لا يرضى الكفر الا انه لم يكلفهم بفروع شريعته والنبي صلى الله عليه وسلم مأمور بدعوتهم وتكليفهم بالعمل بشرعه ولم يؤمر باستخدامهم وتسخيرهم له كسليمان (في اوصاف كثيرة وسمات جليلة) عظيمة مستحلة اى ورد ما ذكر في القرآن والآثار مع صفات اخر كثيرة اطلقت عليه كاطلاق الاسم على مسماه فحمل الكسر باستعماله على غيره كالظرف والحروف على مظروفه وسمات جمع سمة وهي العلامة لكن تجوز بها عن مطلق العلامة كالفرس للانسب وشاع حتى صار كالحقيقة او غيرها ثم تجوز بها عن الصفة وهو المراد هنا وغيره للتفنن في العبارة (وجرى منها في كتب الله المتقدمة) اى وقع منها في كتب الله المتقدمة على القرآن كالتورية والانجيل وغيرها وجرى حقيقة اسرع من لبنى وشالماء ثم عمى سال كجرى النهر ثم شاع عرفا بمعنى وقع ووجد فمال جرى الماء على كذا ولذا تلطف الشاعر في قوله * و يحدث الماء الزلال مع الصفا * يجري الاسم عليه بسمع ماجرى (وكتب انبيائه) قيل المراد بها كتاب منقولة فان لهم عليهم الصلوة والسلام احاديث دونها اخبارهم في زمانهم وقيل نسخ احكامهم وبقاها المسلمون عنهم ودونوها كالاسرائيليات وهذا يعلم من مقابلته لما قبله (واحاديث رسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم الواقع فيها وصفه او تسميته لنفسه او قالها اصحابه قبل عيوبه وهذه كلها سمعي احاديث ايضا (واطلاق الامة) عن الصحابة او المراد الاعم اى تسميتهم له صلى الله عليه وسلم ووصفهم فان اطلاق اللفظ بمعنى استعماله سواء كان حقيقة ام لا مشهور ومتعارف وهو في الاصل من الاطلاق بمعنى فك الوثاق ثم نقل عرفا لما ذكر واسماؤه صلى الله عليه وسلم وان كانت توقيفية عند بعضهم

كأسماء الله تعالى فما اشتهر منها وتلقي بالقبول في حكم المنقول فان الامة لا تجتمع على الضلالة وقد وقع هذا في كثير من اسمائه وصفاته (جملة شافية) فاعل جرى من شفاء المريض اي شافية من داء الجهل او من شفاء الغليل وهو حر العطش لانه يروي الظمأ ويثلج الصدر (كتسميته بالمصطفى والمجتبى) هذا مما اطلقه عليه الامة ولم يرد في كتاب ولا سنة وهما بمعنى وفي الصحاح اجتباه بمعنى اصطفاه واختاره واصله كما قاله الراغب من جبيت الماء في الحوض اذا جمعته لجمعه صلى الله تعالى عليه وسلم المكارم والصفات الحميدة بفيض الهي من غير سعي كما قال الله تعالى (يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب) قال السيوطي المصطفى من اشهر اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله المختار وفي مسند الدارمي ان في التورية محمد رسول الله عبدي المختار الى آخره (وابي القاسم) وهذا اشهر كناه صلى الله عليه وسلم ومنها ابو ابراهيم كما يأتي وابو المؤمنين وابو الارامل كما ذكره السيوطي وهذا ورد في الحديث الصحيح في مسلم عن جابر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال (تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فاني ابو القاسم اقسم بينكم) ويأتي الكلام في اوائل القسم الرابع ومثله ما في كتاب الاخبار والاعلاق في ادب النفوس ومكارم الاخلاق انه كني به لانه يقسم الجنة بين اهلها يوم القيمة والذي جرى به اهل السير انه كني باسم القاسم وهو اول اولاده صلى الله تعالى عليه وسلم من خديجة ولادة ووفاة وظاهر النهي فيه تحريم التكني بكنيته مطلقا وهو الاصح من مذهب الشافعي وقيل انه جائز بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم والنهي مخصوص بحياته ورجحه النووي ووجهه ان النهي عن ذلك لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره ويجد المنافقون فرصة لاذاه وهو يزول بوفاته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا لم ينه عن اسمه مع منع الله تعالى من ندائه به وفي قول يحرم لمن اسمه محمد دون غيره لما روي عن جابر مرفوعا (من تسمى باسمي فلا يتكنى بكنيتي) وأتى بسط ذلك في القسم المذكور قال السبكي وحيث حرمناه فالمحرم التكنية وهو وضع الكنية لاحد والتكني وهو قبول المسمى لذلك واما الاطلاق فامر باب الا ان يكون ذلك الشخص لا يعرف الا به فيكون عذرا واختلفوا في غير ابنه القاسم فقيل بنات وقيل غير ذلك (والحبيب) وحبيب الله تعالى وهذا ثابت بالحديث الصحيح الذي رواه البيهقي في الشعب عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه (اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا وقال وعزتي وجلالي لاوثرن حبيبي على خليلي ونجيي) وقدمنا الكلام على المحبة والخلة والفرق بينهما والكلام على ايهما افضل وهذا الحديث صريح في تفضيل المحبة لان لها معنيين احدهما مطلق وهو في الخلق مطلق الميل وفي الله اثابته وتفضيله على غيره وخاص وهو في الناس ايثاره على نفسه وغيره وجعله نصب عينيه بحيث لا يفتر عن ذكره وتملكه لفؤاده بحيث لا يكون فيه محل لسواه والخلة المودة والمصافاة مع محبة ما ولا شك انها

بهذا المعنى افضل واعلى فقول ابن القيم فى كتاب الداء والدواء مايطلبه بعض العالطين من ان المحبة اكمل من الخلة فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة فانها نهاية المحبة فانه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبرنا بانه لم يتخذ خليلا غير ربه مع اخباره صلى الله عليه وسلم بمحبته عائشة وغيرها لم يصادف محزه (ورسول رب العالمين) لم ينتظم هذا فى سلك ماوقع فى القرآن لانه وان ورد فيه كثيرا الا انه لم يقع فيه مضافا لرب العالمين قال الازهرى الرسول المبلغ لاخبار من بعثه من قولهم جاءت الابل رسلا اى متتابعة والفرق بينه وبين النبى مشهور (والشفيع المشفع) اى المقبول شفاعته وسمى شافعا ايضا وقد تقدم ان له صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات سبعة كما تقدم تفصيله (والمتقى) والاتقى والاتقى لحديث مسلم (انا اتقاكم لله) والتقوى لها مراتب مفسرة فى تفسير البيضاوى (والمصلح) للخلائق بارشاده وهدايته قال المصنف رحمه الله وجد على بعض الحجارة القديمة محمد تقى مصلح امين لانه الف بين قلوب الناس وازال ما بينهم من الضغائن كما كان بين العرب والعجم وقبائل العرب كما قال الله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم) (والطاهر) بالمهملة الطاهر هو صلى الله عليه وسلم من النقائص والادناس الحسية والمعنوية حتى ذهب العامة الى طهارة فضلاته كغائطه وبوله ودمه ورجحه السبكى والبلقينى وافتوا به كما مر وقد شربت بوله ام ايمن وشرب حجامه من دمه ولم ينكره صلى الله تعالى عليه وسلم وطهارته من العيوب والاخلاق الردية كما تقدم (والمهيمن) ويأتى ان هذا سماه به عمه العباس رضى الله تعالى عنه فى شعره المشهور الذى مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم به وقد تقدم روايته له وفيه

حتى احتوى (٣) بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

وميمه الاولى مضمومة والثانية مكسورة وروى فتحها ايضا وهو كما انه اسم له صلى الله عليه وسلم صح انه من اسماء الله تعالى ومن اسماء القرآن قال الله تعالى (وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) وفسر فى الآية بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم على انه حال من كاف اليك والراجح تفسيره بالقرآن على انه حال بعد حال من الكتاب ولذا لم يذكره المصنف فى اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم الواردة فى القرآن وقال ابن فارس انه من اسماء الله تعالى ومعناه الشاهد وقيل الحفيظ وقيل الرقيب وقيل القائم على خلقه وقيل الامين وسعه المصنف فى بيان ذلك كما يأتى بيانه واصله مؤيمن فابدلت همزته هاء وقيل المهيمن وهو فى اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمعنى الاول اوالرابع او الخامس انسب وهو عنده اى المصنف بمعنى مؤمن على ماسيأتى وتفسيره لا يخطر وقد رد هذا وشنع عليه فيه بان اسماء الله واسماءه صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن بل كل معظم

(٣) بم اعتدى نسخه

لايجوز فيها التصغير كما يأتي ولم يرد مثله ولذا ارتضى ابو علي في الحجة انه اسم مكبر ورد بهذه الزنة كالمبقر والمسيطر وفتح ميمه يدل على ماقاله واذا وصف به القرآن فمعناه رئيس الكتب العالي عليها لحفظه من التغيير والتبديل واعجازه بلاغته ومزاياه وقيل معناه المصدق وسعده تعديه على الا ان يقال انه لما فيه من معنى العلو وعلى انه من الامن ظاهر لانه امنهم من الخوف (والصادق والمصدوق) وسمي بالصدق ايضا والمصدق اسم فاعل بالتشديد كما ذكره ابو بكر بن عربي وفي صحيح البخاري حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدق قاله ابن مسعود وقد ورد هذا في عدة احاديث رواه السيوطي لانه صدق الانبياء والكتب التي قبله والمصدوق اسم مفعول من صدق المتعدي كما ورد صدق وعده والصادق من اسماء الله ايضا ورد في حديث الاسماء كما قاله السيوطي رحمه الله تعالى (والهادي) عده جماعة من اسمائه اخذا من قوله تعالى ﴿ وانك لتهدي الى صراط مستقيم ﴾ وهو من اسماء الله تعالى ايضا وتأتي ان الهداية تطلق على خلق الاهتداء ويوصف بها الله تعالى خاصة وهو المنفي في قوله ﴿ انك لاتهدي من احببت ﴾ على قول وعلى البيان والدلالة بلطف وهذه يوصف بها الله تعالى والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتطلق على الداعي ومنه ولكل قوم هاد ولا تستعمل الا في الخير وقوله ﴿ واهدوهم الى صراط الجحيم ﴾ تهكم وهدايته صلى الله عليه وسلم لما فيه من صلاح المعاش والمعاد ظاهرة وقد اشبعنا الكلام عليه في حواشي القاضي (وسيد ولد آدم) وقد ورد اطلاقه عليه في احاديث كثيرة صحيحة كما في حديث الشفاعة ﴿ انطلقوا الى سيد ولد آدم ﴾ وفي الصحيحين ﴿ انا سيد الناس يوم القيمة ﴾ وهو من اسماء الله تعالى ايضا كما ذكره البيهقي في كتاب الصفات فيجوز اطلاقه على الله تعالى وعلى غيره مطلقا وهو احد اقوال اربعة فقيل يختص بالله مطلقا وقيل يختص به معرفا وقيل يختص بغيره ولا يجوز اطلاقه عليه واستدل للاول بانه لما قال له صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر انت سيدنا قال ﴿ السيد هو الله ﴾ وهو حديث صحيح كما مر وتحقيقه انه على الاطلاق معناه العظيم المحتاج اليه غيره وهذا مما يوصف به الله وغيره واما تخصيصه بغير الله كما روي عن مالك فلانه لم يثبت عنده اطلاقه على الله تعالى ولان معناه رئيس القوم الذي يفخر ويعز باتباعه وسيد القوم منهم وهذا لايليق بالله تعالى ولذا فسر اذا اطلق على الله بما مر واما اختصاصه بالله فلان معناه المالك المتصرف في امور غيره وهذا في الحقيقة انما هو لله واما التفصيل فلانه معرفا المعهود بالعظمة وكونه ملجأ لكل احد وهذا يختص به تعالى وهذا اصحها * فان قلت اذا صح الاول فانه صرح بالحصر في حديث السيد هو الله * قلت اذا ثبت وصف الشيء وحده او مع غيره واريد رده فللعرب فيه طرق اظهرها ان يؤتى بصريح الحصر كقولك لامعبود الا الله فلا وافرادا او تعريف الطرفين كالمعبود

الله وهو كالذى قبله معنى الا انه قد يجاز ايماء امطنة مخاطبه فهو ابلغ فى مقامه او يحمل من اثبته الراغم له الصفة عين من هى له فى نفس الامر كما يقال للدهرى الدهر هوالله اى لا دهر ولا تصرف لسوى الله فاثبت له التصرف وبناه عما عداه بطريق برهانى كقوله تعالى (ان كان للرحمن ولد) الى آخره وهذا نوع ادق من غيره سماه الشيخ التنويع وذكره سيبويه فى باب الاستثناء فقوله السيد هوالله يحتمل اجراؤه على ظاهره وان يكون من هذا القبيل فلا دليل فيه على انه من اسماء الله تعالى فضلا عن اختصاصه فاعرفه فانه من نفائس الذخائر المذكورة فى دفائن الخواطر وقد قدمنا ذلك اول الكتاب فى الباب الاول وانما اعدناه لطول العهد به والمراد بولد آدم النوع الانسانى وكذا كل جماعة سموا باسم ابيهم جاز اطلاق الاولاد عليه واطلاقه عليهم كما يقال تميم له ولاولاده وكذا يقال بنو تميم لما يشمل تميم وهو القبيلة وهذا مجاز شاع حتى صار حقيقة عرفية كما فصله القرافى فى كتاب العقد المنظوم وعده من الفاظ العموم فمن قال الولد للواحد والجمع فان كان مفردا ينبغى ان تكون الاضافة للاستغراق بقرينة المقام اى انا سيد كل ولد آدم وان كان للجمع فالامر ظاهر ويلزم من كونه سيد ولد آدم سيادته على آدم اذ فيهم من هو افضل من آدم كابراهيم وموسى عليهما الصلوة والسلام فقد تكلف ما لا حاجة اليه لعدم وقوفه على ما ذكرناه من فى الحديث (انا سيد ولد آدم يوم القيمة) وانه خص يوم القيمة لانه ظاهر فيه سيادته على سائر المرسلين من غير منازع فيه وان كان سيدا فى الدارين كما مر (وسيد المرسلين) كما ورد فى احاديث صحيحة واذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من سائر المرسلين فهو افضل من سائر النبيين لان الرسول افضل من النبى وان اختلف فى فضل الرسالة والنبوة (وامام المتقين وقائد الغر المحجلين) جمعهما المصنف رحمه الله تعالى لورودهما كذلك فى حديث رواه البزار انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (ليلة اسرى بى انتهيت الى قصر من لؤلؤة يتلألؤ نورا واعطيت ثلاثا قيل لى انك سيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين) وقد ورد تسميته صلى الله عليه وسلم بامام النبيين وامام المتقين وامام الناس وامام الخير كما فى الرياض الانيقة والاول ذكره ابن سيد الناس فى سيرته وعن قتادة فى قوله تعالى (يوم ندعو كل اناس بامامهم) ان الامام المراد به النبى صلى الله عليه وسلم والامام فى اللغة المقتدى به ويطلق على الواحد كقوله تعالى (انى جاعلك للناس اماما) وعلى الجمع كقوله تعالى (واجعلنا للمتقين اماما) قاله ابن الانبارى وسمى صلى الله تعالى عليه وسلم امام النبيين لانه اسبقهم فى النبوة الروحانية ولانه امهم فى الاسراء كما مر واخرج احمد والترمذى (اذا كان يوم القيمة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم) وفى رواية لاحمد (كنت امام الناس) وفيها احد تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم به وامام المتقين

ان اريد به امته صلى الله تعالى عليه وسلم فظاهر وان اريد الاعم موافقة لرواية امام الناس فلاقتداء الانبياء به وفى بعض الشروح ان كل متق سواء كان من امته او من الامم السالفة مقتديه لانهم فى السير الباطنى اشرفوا على المقام المحمدى وآمنوا به واهتدوا بهديه وامام الخير ورد فى حديث رواه ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاحسنوا الصلوة عليه فانكم لاتدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا له فعلمنا قال قولوا * اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه المقام المحمود الذى يغبطه به الاولون والآخرون *وقائد اسم فاعل من القود وهو تقدمه على من يأتمه باختياره وهو يقودهم الى الجنة برضاهم وفى القاموس القود نقيض السوق والغر جمع اغر واصل الغرة بياض فى جبهة الفرس فالمراد به مطلق بياض الوجه هنا والتحجيل بياض فى القوائم وفى الصحيحين (ان امتى يدعون يوم القيمة غرا محجلين من آثار الوضوء) وورد بمعناه من طرق كثيرة وفيه رين لهم وقد جعل ذلك علامة انهم يعرفون بها بين الامم يوم القيمة والتعبير به وبالقود بما هو معروف من صفات الخيل فيه اشارة الى انهم جياد سابقون على غيرهم ففيه استعارة مكنية وتورية كقوله * الناس للموت كخيل الطراد * والسابق السابق منها الجواد * وبها استدل على ان الوضوء من خصائص هذه الامة وقيل انه غير مختص بهم وانما المختص بهم الغرة والتحجيل لحديث (هذا وضوئى ووضوء الانبياء من قبلى) واجيب بضعفه واحتمال ان يكون الانبياء عليهم الصلوة والسلام اختصوا به دون اممهم على تقدير صحته بعيد وكون بياض الغرة اثر الوضوء لاينافى كونه من اثر السجود وادعاء انه غيره فيه نظر (وحبيب الله) تقدم بيانه مفصلا (وخليل الرحمن) تقدم تحقيقه (وصاحب الحوض المورود) رواه ابن حبان والحاكم وقال البيهقى حديث الحوض مروى عن اكثر من خمسين صحابيا وتقدم سرد بعضهم فى كلام المصنف ومنهم ابو برزة الاسلمى وحديثه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (ان لى حوضا مابين ايلة الى صنعاء عرضه كطوله فيه ميزابان من الجنة احدهما من ورق) اى فضة (والآخر من ذهب ماؤه احلى من العسل وابرد من الثلج وابيض من اللبن من شرب منه لم يظمأ حتى يدخل الجنة فيه اباريق عدد نجوم السماء) وقال القرطبى ذهب جماعة الى ان حوضه صلى الله عليه وسلم بعد الصراط والصحيح ان له حوضين احدهما فى الموقف قبل الصراط والثانى فى الجنة وكلاهما يسمى كوثرا واختلف هل هو قبل الميزان او بعده والصحيح انه قبله والمعنى يقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا ويزداد عطشهم

فى السعى الى المحشر فيردونه قبل الميزان والصراط وورد ايضا تسميته صلى الله عليه وسلم بصاحب الكوثر وسمى به لاختصاصه به وفى بعض الكتب لكل نبى حوض وتسميته به صلى الله تعالى عليه وسلم لعظم حوضه وزيادته ومثله يحتاج اقل والمورود اسم مفعول من الورد بالكسر وهو الذهاب للماء ويلزمه الشرب عادة فلذا عبر به عنه وهو وان كان اسم مفعول لايدل على المبالغة فالمراد به كثرة الواردين عليه ولولاه كان الوصف به لغوا وقد ورد التصريح به (والشفاعة) اى من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب الشفاعة وقد تقدم بيانه (و) صاحب (المقام المحمود) وهو مقام الشفاعة العظمى كامر (و) صاحب (الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة) الوسيلة السبب الموصل لامر عظيم سمى به لانه سبب لكل خير وفسر فى الحديث بمنزلة مخصوصة كما ورد فى حديث مسلم السابق (سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون هو) واصل الوسيلة كما قال السيوطى القرب من الله والمنزلة عنده وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب فضيلة ودرجة عالية رفيعة حسا ومعنى فى الدنيا والآخرة غنى عن البيان (وصاحب التاج) قيل المراد بالتاج هنا العمامة ونقل عن المصنف رحمه الله تعالى والعمائم تيجان العرب لكونها معروفة عندهم دون غيرهم فكنى به عن انه من صميم العرب واشرفهم حسبا ونسبا وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لم يلبس العمامة غيره من الانبياء وفى مقدار عمامته وكيفيتها تفصيل فى السير وللناس رسالة مستقلة وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عمامة تسمى السحاب تحتها قلنسوة ودخل مكة فى الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء وهو لاينافى رواية انس رضى الله تعالى عنه انه كان على رأسه مغفر ولبس صلى الله تعالى عليه وسلم عمامة حمراء ايضا ولم يلبس حمراء اصلا (و) صاحب (المعراج) وهو السلم فهو اسم آلة وقال السيوطى هو عروجه وصعوده صلى الله تعالى عليه وسلم للسماء والاسراء سيره من مكة الى بيت المقدس فهو مصدر ميمى وبينهما فرق وان اطلق كل منهما على الآخر كامر وهو الذى يصعد عليه الارواح والملائكة ولم يصعد عليه فى الدنيا بجسده احد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فلذا خص بالتسمية به (و) سمى ايضا صاحب (اللواء) قال السيوطى المراد به لواء الحمد الذى يقدم وقد يحمل على اللواء الذى كان يعقده صلى الله تعالى عليه وسلم للحرب فهو كناية عن القتال قال وهو مما يحمل فى الحرب اعلم به صاحب الجيش يحمله هو بنفسه وقد يحمله غيره وقريب منه الراية وفرق بينهما وفى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما كانت رايته صلى الله تعالى عليه وسلم سوداء ولواؤه ابيض وقيل كان مكتوبا عليه لا اله الا الله محمد رسول الله واول ما حدثت الرايات فى الاسلام يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل ذلك الا الالوية

(والقضيب) اى من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب القضيب وهو السيف
كما قاله المصنف رحمه الله تعالى وتبعه السيوطى ويأتى انه وقع مفسرا به فى الانجيل
حيث قال معه قضيب من حديد يقاتل به وانه يحتمل ان يراد به القضيب الممشوق
الذى يمسكه الخلفاء وفى كتاب البيان للجاحظ انه كانت له صلى الله تعالى عليه
وسلم مخصرة وقضيب وعنزة تحمل بين يديه وهكذا كانت عادة عظماء العرب
وخطبائهم فاذا اريد الاول فهو كناية عن جهاده وكثرة قتاله وان كان الثانى
فعبارة عن كونه من صميم العرب وخطبائهم وما قيل من ان المراد به القضيب الذى
اعطاه صلى الله تعالى عليه وسلم لبعض الصحابة فانقلب سيفا كما هو معروف
فى معجزاته تكلف ناش من ضيق العطن (وراكب البراق والناقة والنجيب) البراق
دابة غريبة من المخلوقات العلوية وروى ان وجهه كوجه الانسان وجسده كالفرس
وقوائمه كالثور وذنبه كالغزال وليس بذكر ولا انثى وسمى به لسرعته او لمعانه وصفائه
او لما فيه من قليل سواد من قولهم شاة برقاء وركبه صلى الله عليه وسلم لما اسرى به واختلف
فيه هل ركبه غيره من الانبياء ام لا وهل ركب معه جبريل ام لا كما تقدم ذلك كله فان قلنا
لم يركبه غيره فوجه التسمية به ظاهر وان قلنا ركبه غيره فوجهه ان ركوبه بهذه الهيئة
وصعوده به الى السماء مخصوص به على ان وجه التسمية لا يلزم اطراده والنجيب الجمل
وقد سمى راكب الجمل ايضا فى الكتب القديمة كما سمى عيسى عليه الصلاة والسلام
راكب الحمار ولذا قال النجاشى لما جاءه كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به
اشهد ان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وسمى به مع ركوبه
صلى الله تعالى عليه وسلم الفرس والبغل والحمار لانه كناية عن تواضعه او لهجرته
عليه او كونه من صميم العرب وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم جمال ونوق مذكورة
فى السير وقيل المراد بالنجيب الناقة وقيل النجيب اسم فرس له صلى الله تعالى عليه
وسلم اشتراه من اعرابى وهو الذى شهد له به خزيمة وهو غريب (وصاحب الحجة)
وهى الدليل الذى يحج به الخصم وهو المراد او المراد المعجزة وهى بلغت الغاية اعظمها
القرآن (والسلطان) بضم السين وسكون اللام وقد يضم وهو يذكر ويؤنث وله
معان منها البرهان والملك والقوة والغلبة ويصح ارادة كل منها هنا وسمى صلى الله
تعالى عليه وسلم بهذا فى كتاب شعيا وبعض الكتب القديمة (والخاتم) اى صاحب
الخاتم بالكسر والفتح وهو خاتم النبوة الذى كان بين كتفيه صلى الله تعالى عليه
وسلم كزر الحجلة وبيضة الحمامة وقيل انه كان فيه كتابة الله وحده لا شريك له او محمد
رسول الله او توجه حيث شئت فانك منصور وذكره مع السلطان لانه ورد مقرونا به
فى كتاب شعيا وقيل المراد به الخاتم المعروف لانه لم يعرف فى العرب ولا فى الانبياء
من ختم الكتب سواه وفيه نظر (والعلامة) اى علامة النبوة وهى الخاتم ايضا وقد ورد

نعته به فى الكتب القديمة وهو من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم الدال على ان الانبياء ختموا به كما ورد فى حديث ويجوز ان يراد به مطلق العلامات التى كان اهل الكتاب يعرفونه بها كما يعرفون ابناءهم (وصاحب الهراوة) بكسر الهاء ثم راء مهملة والف وواو وتاء تأنيث وهى العصا قال فى النهاية لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يمسك بيده القضيب ويمشى بالعصا بين يديه وتغرز له ليصلى اليها وقال الجوهرى هى العصا الضخمة وجمعها هراوى كمطايا وقال المصنف رحمه الله كما يأتى انها العصا الواردة فى حديث الحوض انه يذود بها الناس عنه وقال النووى انه ضعيف او باطل لان المراد وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بما تعرفه الناس ويعلم اهل الكتاب انه المبشر به فى كتبهم فلا وجه لتفسيره بامر يكون فى الآخرة فالصواب ما قدم ومن سنن الانبياء حمل العصا تواضعا (والنعلين) اى صاحب النعلين وقد ورد تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا فى الانجيل وفى كيفية نعليه كلام مفصل افرده بعض اهل العصر بالتأليف وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم نعلان سبتية بكسر السين اى لا شعر عليها او مدبوغة وما قيل من انه سمى به لمناسبته من مخالفته لاهل الجاهلية من تنعلهم فى رجل واحده وقد ورد النهى عنه فى الحديث الاولى تركه (ومن اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتب) الالهية المنزلة على من قبله من الانبياء عليهم الصلوة والسلام (المتوكل) هو اسمه فى التوراة ونصها انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل وهو الذى يكل امره الى الله ويعتصم به والتعلق بالله على كل حال وقيل التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وهو فرع التوحيد وكان صلى الله عليه وسلم ارسخ الانبياء قدما فيه وتوكل العوام مباشرة الاسباب مع الاعتماد على مسببها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم (لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا) وتوكل الخواص وهو ترك الاسباب بالكلية (والمختار) اسم مفعول من الاختيار وهو الاصطفاء لانه خيار من خيار وفى التوراة عبدى المختار لا فظ ولا غليظ (ومقيم السنة) سمى به فى التوراة والزبور فى قوله اللهم ابعث لنا محمدا يقيم السنة بعد الفترة لن نقبضه الله حتى نقيم به الملة العوجاء والمراد سنة من قبله من الانبياء عليهم الصلوة والسلام وطريقتهم باظهار التوحيد ودعوة الخلق من قامت السوق نفقت ففيه استعارة مكنية بجعل ذلك كالامتعة المرغوب فيها او بعد ابطالها او نسوبها (والمقدس) بالتشديد اسم مفعول وفى الرياض الانيقة معناه المفضل على غيره وقال ابن دحية معناه المطهر النقى من دنس الذنوب والنقائص من القدس وهو التطهير ومن اسماء الله تعالى القدوس اى المنزه عن سمات النقص والحدوث وقيل تقدسه الصلوة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروح القدس) بضم ثم وضم وسكون وهذا سقط من بعض نسخ الشفاء اى الروح

المقدسة من النقائص وروح القدس في القرآن فسر بجبريل عليه الصلوة والسلام والقدس الطهارة او الله واضافة الروح له لتشريفه كروح الله لعيسى (وروح الحق) الحق هو الله وقال الشيخ ابن عربي في الفصوص انه اسم الله الاعظم وهو صلى الله عليه وسلم مظهره (وهو) اي روح القدس وروح الحق (معنى البارقليط في الانجيل) فانه فيه سمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم البارقليط وفسر بما ذكر وروايته مفسرا به في شرح الانجيل للمسيحي الطبيب الا انه حرفه وقال المراد بروح الحق احد الاقانيم الثلاثة عندهم قاتلهم الله (وقال ثعلب) وهو احمد بن يحيى الشيباني البغدادي امام اهل اللغة والعربية المشهور ومولده في حدود المائتين ووفاته في جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين ومائتين في تفسيره (البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل) قال ابن دحية وهو اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتب المنزلة القديمة وروى عن ابن عباس ايضا وروى بالفاء المصحفة وبالباء عن صاحبه وفي المغني للجاني الذي احفظه انه بموحدة في اوله والف وراء مكسورة وقاف ساكنة ثم لام تليها ياء مثناة تحتية ساكنة وطاء مهملة وهو الصحيح وفي بعض الحواشي انه روى بفتح الراء وقد تسكن وقاف بفتح مع السكون وتسكن مع الفتح ومعناه محمد وفي الرياض الانسيه معناه الحامد او الحماد والذي عليه اصحاب الانجيل ان معنا المخلص وعبارة الانجيل اني ذاهب الى ابي وابيكم ليبعث اليكم البارقليط وفي شرح هذا كلام النور للدواني انه بالفاء ثم الف وراء مكسورة وقاف ساكنة ولام مكسورة ثم طاء مهملة والف مقصورة وهو لفظ عبراني معناه الفارق بين الحق والباطل والمراد مظهر الولاية التي هي باطن النبوة والمراد بابي وابيكم ربي وربكم والاوائل يسمون المبادي بالآباء انتهى فالحاصل انه بباء مثناة بياء وآخره الف ثم عرب بباء وفاء وحذف الالف من آخره ففيه ثلاثة اوجه وقالوا معنيه المخلص كما علمت وتفسيره بالفارق الى آخره بيان لحاصل المعنى ومن كذب جهلة النصارى ان البارقليط نار نزلت على التلامذة من السماء بها يعملون العجائب وفي ترجمة الانجيل اذا او حشتموني فاحفظوا وصيتي وانا اطلب اليه ان يعطيكم فارقليطا آخر يكون معكم الدهر كله قال بعض اهل العلم بالكتب السالفة هذا صريح في ان الله يبعث اليهم من يقوم مقامه في تبليغ رسالته وتكون شريعته مؤبدة وليس الا هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهم جاهلون في معنى البارقليط والذي صح عندهم انه الحكيم الذي يعرف السر وفي الانجيل ما دل على انه الرسول فانه قال هذا الكلام الذي تسمعونه ليس هو لي بل للاب الذي ارسلني اكلمكم بهذا وانا معكم واما البارقليط وروح القدس الذي يرسل الي باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكر جميع ما اقول لكم وهم يزعمون ان روح القدس تفسير للبارقليط كما رأيته في شرح الانجيل واما الاب فكلمة تعظيم للعلم وهم يسمون العلماء آباء روحانية وقوله يرسل باسمي اي يشهد بصدق

رسالي وبهذا التصحيح لك لفظه ومعناه وهذا مما اتخذته من كتب عديدة فاحفظه

(ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة مادماذ وماذماذ ومعناه طيب طيب) وروى مود مود وميدميد والاول هو الذي صحح روايته بالمصنف والثاني ذكره العزفي وقال انه اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم في صحف ابراهيم وذكر الثالث وقال انه اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة وهو بميم مفتوحة والف غير مهموزة ودال معجمة ساكنة كما في المدني وقال انه مبني على الضم ذاله لانه اسم غير منصرف للعلمية والعجمة وتقديره انت ماذ ماذ او ياماذ ونقل الشهاب الخفاجي الاديب شرح السيوطي نقلا عن السهيلي ان ميمه مضمومة والفه مهموزة بين الواو والالف وقال انه سمعه من بعض احبارهم والظاهر انه تكرار لا تأكيدا والمراد انه طيب في نفسه او في دنياه وطيب في صفاته وآخرته وكونه اسما واحدا مثل مرمر او مركب خلاف الاصل وقيل ان ذاله مهملة وفي شرح رسالة الكندي المنسوب للعزالي انه سمع ممن اسلم من احبار اليهود انه في التوراة اشارة لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله لابراهيم اني قد استجبت لك في اسماعيل وانا باركه واعظمه بماذماذ وهو محمد من طريق العدد لان فيه ميمين في مقابلة وباء موحدة والفين ودالين بأربعين وهو عدد الحاء والدال من محمد وهذا يقتضي ان داله مهملة وهذا مما لم يذكره احد من ارباب الحواشي والشروح وما قاله التلمساني من انه يحتمل ان يكون مأخوذا من المادي وهو العسل الابيض لحلاوته في ذاته وصفاته او المادي بمعنى الدرع اللينة السهلة لانه حصن حصين للعالمين ليس بشيء لانه يقتضي انه عربي ولم يقل به احد فقط (وحمطايا) هذا وما قبله رواه ابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وضبطه الشمني في حاشيته بفتح الحاء المهملة وفتح الميم المشددة وطاء مهملة مخففة والفين بينهما مثناة تحتية وفي العرسي انه بكسر الحاء وميم ساكنة تليها باء مثناة تحتية والف ثم طاء والف هكذا ضبطا وفي المواهب انه بفتح الحاء وسكون الميم ومثناة تحتية والف وطاء مهملة والف بعدها وقال انه بكسر وياء او نون وامامعناه فقال ابو عمرو عن بعض الاحبار ان معناه يمنع من الحرام ويحمي الحرم اي يمنع ما كان في الجاهلية من الانكحة وغيرها من المحرمات فالحرم بضمتين او بضم ففتح وفي الرياض الانيقة معناه حامي الحرم او بني الحرم (والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار) بقدمت رحمه واختلف الشراح في ضبطه وروايته فقيل هما بالخاء المعجمة الا ان الاول بفتح التاء والثاني بكسرها او بالعكس وهو بعيد لانه يقدم فلا وجه لاعادته وقيل الاول معجمة والثاني مهملة وفسر بانه احسن الانبياء خلقا وخلقا كما ذكره والظاهر انه من الحتم وهو الاحكام لاحكام القضاء والاحكام ويجمع على حتوم كما قال امية ابن ابي الصلت

عادك يحطئون واب رب * بكفك المنايا والحتوم

والخاتم القاضي كما في الصحاح ووجه الاول انه جمال الانبياء كالخاتم الذي يتزين به فهذا ان كان تفسير الخاتم بالمعجمة فهو في قوله (وقال ثعلب فالخاتم الذي ختم الله به الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا) يكون اشارة الى تفسيره على وجه يسقط به التكرار وسكت عن الثاني لظهوره وان كان الاول هنا بالمعجمة والثاني بالمهملة كما ضبط في بعض الشروح والحواشي وهو مروي عن المصنف ففيه مع التكرار ان تفسير الحاتم بالمهملة بما ذكر ليس معروفا في اللغة واعا معناه ما تقدم حتما الا ان يتكلف انه من الحتم بمعنى الخالص وقد قالوا فيه انه مقلوب من المحت ولك ان تقول انه من الحتامه وهي بقية الطعام كانه آخر ما بقي من نعم الله تعالى وقرن بالخاتم وان تكرر لهذه النكتة والعجب من الشراح انهم لم يتعرضوا لهذا مع ظهوره (ويسمى بالسريانية) وهي لغة آدم عليه الصلوة والسلام واول اللغات ومنها تشعبت سائر اللغات ثم صار اصول اللغات ثلاثا السريانية والعبرانية والعربية وفي بيان معنى تسميتها كلام لا حاجة اليه هنا وهي بضم السين وراء ساكنة اومكسورة وما قيل انه من السر لان الله تعالى علمها لآدم سرا بعيد وقال السيوطي رحمه الله تعالى ان سؤال القبر بالسريانية (مشفح) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفاء مفتوحة اومكسورة مشددة فيهما وروى بالقاف وحاؤه مهملة وسمي به صلى الله تعالى عليه وسلم في كتاب شعيا وقال البرهان لا اعلم صحته ولا معناه ونقل بعض اهل العصر عن ابن فورك ان معناه محمد لانهم يقولون شفح لاها اي محمد الله وتبعه التلمساني (والمنحمنا) قال البرهان هو بضم الميم ونون ساكنة ثم حاء مهملة مفتوحة وميم مكسورة ونون بعدها مفتوحة مشددة والف مقصورة وقال التلمساني الميم الثانية مثلثة ومعناه روح القدس وهو بالسريانية محمد وبالرومية البرقليطس ونحوه في تذكرة الصفدي وضبطه بعضهم بفتح الميمين وبعضه السيوطي عن ابن دحية وقال ابن سيد الناس في السيرة معناه محمد وهو محتمل لانه اسم له ولكونه بمعناه (واسمه في التورية احيد) قال الشمني هو بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح المثناة التحتية وكسرها ودال مهملة وقيل انه بفتح الحاء المهملة وسكون الياء التحتية والمحفوظ فتح الهمزة وسكون المهملة وفتح التحتية وهو غير عربي وفي الكامل روايه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال (اسمي في القرآن محمد وفي الانجيل احمد وفي التورية احيد وانما سميت احيد لاني احيد امتي عن نار جهنم) وكذا اخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق وفيه دلالة على ضبطه بكسر الحاء مع فتح الهمزة وضمها وهو عربي من حاد يحيد اذا عدل ومال ان لم يكن من توافق اللغات وذكره الماوردي في تفسيره وضبطه بمد الالف وكسر الحاء كما في الرياض الانيقة وفي الشرح الجديد ان الذي في النسخ بضم الهمزة وحاء مكسورة مهملة ومثناة

تحتيه ساكنة والمشهور فتح الهمزة وسكون الحاء وفتح الياء وفى نسخة بفتحها وكسر الحاء وسكون الياء ومافيل انه من الواحد لانفراده فى ذاته وصفاته فيه مالايخفى (وروى ذلك ابن سيرين) الامام الحجة الثقة الزاهد الورع الشائع صيته فى الآفاق ابو بكر محمد بن سيرين الانصارى وروى عنه الائمة الستة وتوفى بعدمائة وعشر وهو من اعلم التابعين رضوان الله عليهم اجمعين ثم انه رجع الى تفسير بعض الاسماء السابقة فقال (ومعنى صاحب القضيب اى السيف) كما تقدم ومعنى مبتدأ خبره (وقع ذلك مفسرا فى الانجيل قال) اى الله فى الانجيل وكون فاعله ضمير الانجيل تجوزا تكلف وفى القاموس القضيب السيف القاطع كالقاضب سمى به من القضب لانه اقطع من الحديد (معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك) اى تقاتل بالسيف الاعداء ثم اشارالى معنى آخر فقال (وقد يحمل على انه القضيب الممشوق) اى قد يفسر به وهو مجاز من الحمل على الظاهر فيحمل التأويل به كحمله عليه استعارة صارت حقيقة شائعة فيه وقد للتحقيق وقد تجعل للتقليل لقلة تفسيره بالنسبة لما قبله وقضيب فعيل بمعنى فاعل من قضبه بمعنى قطعه فهو فى السيف بمعنى انه بالغ فى القطع الى حد لم يصل اليه سواه فهو عبارة عن شجاعته وكثرة جهاده وكثرة غزواته وفتوحاته وغنائمه فان كان بمعنى العصافهو بمعنى مفعول لانه مقطوع من الشجر وقد مرانه كان له صلى الله تعالى عليه وسلم عصا على عادة العرب فى اتخاذ عظمائهم وخطبائهم عصا يشيرون بها كما قال الشاعر

فى كفه خيزران ريحه عبق * فى كف اروع فى عرنينه شمم

كما فى كتاب العصا للجاحظ وفى القاموس قضيب ممشوق طويل دقيق من المشق وهو جذب الشيء ليطول وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم قضيب يسمى الممشوق ومحجن يستلم به الركن وقال ابن الجوزى كان له صلى الله تعالى عليه وسلم قضيب وهو (الذى كان يمسكه عليه الصلوة والسلام وهو الآن عند الخلفاء) يمسكونه تبركا به وكان لهم واحدا بعد واحد (واما الهراوة التى وصف بها) وصفا لغويا فى تسمية صاحب الهراوة وتقدم تفسيرها فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحملها ويتوكأ عليها وهو من سنن الانبياء (فهى فى اللغة العصا واراها والله اعلم) بضم الهمزة اوفتحها بمعنى اظنها اواعتقدها اوان المراد بها هنا فى التسمية (العصا المذكورة فى حديث الحوض) الذى قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم (اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن) اذود بمعنى اطرد وامنع والذال معجمة فى اوله ومهملة فى آخره وهذا الحديث رواه مسلم فى المناقب هكذا لاهل اليمن اى لاجلهم فانهم على بعد شقتهم اجابوا دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تردد وقتال فاوردهم الحوض قبل غيرهم ليريحهم كما اراحوه فالجزاء من جنس العمل وفيه روايات وروى لاهل اليمن كما ذكر ومع صحته

معنى قالوا انه من طغيان القلم وعن النووي ان هذا التوجيه ضعيف او باطل لان المراد تعريفه صلى الله تعالى عليه وسلم بصفة يعرفها الناس ويستدل بها عليه وانه المبشر به في الكتب السالفة التي ذكر فيها العنوان فلا وجه لتفسيره بما في الآخرة مما لم يتحققوه ولكن يكفي في ذلك ذكره ما وقع في الكتب الالهية التي لم يقرأها او نقول من فسره بهذا انما اراد تفسيره بامر مختص به وتصيره علما له وتقدم انه قيل الاحسن حمله على العصا التي اعطاها صلى الله تعالى عليه وسلم لبعض الصحابة فانقلبت سيفا فانه معجزة له كما قال الصرصري يمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم

وعصاه لما مسها بيده ✽ صارت عصا صارت الى ثعبان

يعني انها صارت معجزة اقوى من معجزة موسى عليه الصلوة والسلام بعصاه (واما التاج فالمراد به العمامة) كما تقدم (ولم تكن حينئذ) اي في عهده وزمنه وحيوته صلى الله تعالى عليه وسلم (الا للعرب والعمائم تيجان العرب) اي قائمة مقام تيجان العجم المعهودة بينهم والتاج ما يوضع على الرأس من الذهب المرصع بالجواهر والعمائم جمع عمامة وسيأتي الكلام على عمامته صلى الله عليه وسلم ولما لم يقع في وصف الحبيب المعمم عامر قال (واوصافه) اي الاوصاف التي اطلقت عليه (والقابه وسماته) جمع سمة وهي العلامة كما تقدم (في الكتب كثيرة) اراد بها كتب الحديث والسير او الكتب الالهية (وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله) اي في المقدار الذي ذكره ما يحصل به القناعة عن غيره مما في الكتب وفي المصباح مقنع كجعفر ما يقنع به يعني انه اسم مكان يجوز به عما يقنع به وقيل انه مصدر ميمي من قنع بمعنى رضي والاول اولى وفي بعض النسخ هنا زيادة من الحاق المصنف وهي (وكانت كنيته المشهورة) والكنية ما صدر باب او ام ونحوه (ابا القاسم) اشتهر بها صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اول اولاده صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم (وروي عن انس رضي الله تعالى عنه) رواه احمد في مسنده والبيهقي (انه لما ولد له) اي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولده (ابراهيم) من مارية القبطية جاريته المشهورة (جاءه جبريل عليه الصلوة والسلام فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم) وكناه به كما كناه بالقاسم ومما كني به صلى الله تعالى عليه وسلم ابو الارامل وابو المؤمنين وقرئ في الشواذ وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقيل ان هذا وامثاله مما لم يثبت فلا ينبغي الجزم به لانه كان يراد منه ... الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم ... اي تعظيمه وتفضيله (مما سماه به من اسمائه) سبحانه وتعالى ... (الحسنى) اي الحسنة الجليلة لدلالتها على معان محمودة وقال الراغب الفرق بين الحسن والحسنة والحسنى ان الحسن يقال في الاعيان والاحداث وكذلك الحسنة اذا كانت وصفا لا اسما فاذا كانت اسما فهي ... في الاحداث والحسنى تكون

فى الاحداث دون الاعيان انتهى (ووصف به من صفات العلى) بالضم جمع علىا ككبر وكبرى وفى بعض النسخ العليا وفى المصباح العليا كل مكان مشرف ولا وجه لتخصيصه بالمكان وقال الراغب العلى جمع لتأنيث اعلى بمعنى افضل واشرف والضمان كاشه ان (قال القاضى ابو الفضل) هو عياض المصنف (رضى الله عنه) وهو مما عبر به عن نفسه من غير قصد التمدح لاشتهاره او زيادته بلا مزيد كقوله فى بعض النسخ * وفقه الله * والتوفيق تهيئة الاسباب الموافقة وهى جملة دعائية معترضة (ما احرى) بفتح الهمزة وحاء ساكنة مهملة وراء مقصور بمعنى احق واولى وهى صيغة تعجب من زيادة لياقته (هذا الفصل) قال البرهان الفصل ضبط فى الاصل بالرفع والظاهر نصبه لان ما تعجبية كما تقول ما اكرم زيدا كما هو معروف فى النحو (بفصول الباب الاول) المعقود اثناء الله عليه واظهار عظيم قدره وهذه التسمية دالة على ذلك كما اشار اليه بقوله (لانخراطه فى سلك مضمونه) اى لدخوله فيما تضمنه ودل عليه من المناقب التى خرجت عندها النسبة الاقلام وفى السلك استعارة تخييلية ومكنية غيرانهم فسروا الانخراط بالانتظام ووحدة من اللغة وكلام العرب فلم اجد الانخراط بهذا المعنى بل هو مساق له فان انخراط السيف اخراجه من غمده وانخراط ورق الشجر ازالته عنه بجمع الكف ومنه خرط القتاد الا انهم استعملوها كثيرا فى كلام المصنفين الموثوق بهم كالزمخشرى والسكاكى ولم يزل هذا يختلج فى صدرى ولم اجد ما يثلجه حتى وجدت ابن عباد قال فى جامع اللغة خرطت الجواهر جمعتها فى الخريطة وهى الكيس فعلمت ان هذا منه غير انهم تسمحوا فى استعماله فذكروا السلك مكانه لانه مثله فى جمع الجواهر فحمدت الله على ذلك (وامتزاجه) اى اختلاطه بحيث لا تتميز احدهما عن الآخر ومنه المزاج (بعذب معينها) وهو بفتح الميم وكسر العين المهملة بمعنى الجارى مطلقا او على وجه الارض واصله معيون فاعل كمبيع فهو من عين الماء والميم زائدة وقيل انه وزن فعيل ومعناه العذب بحراه من امعن فى سيره والعذب الحلو الذى يحتذى به وفى تفسيره بالعذب مساحة ووجه الاستعارة فيه ظاهر ثم استدرك الاعتذار عن عدم ذكره فى الباب الاول فقال (لكن الله لم يشرح الصدر للهداية الى استنباطه) اى لم يفتح الله عليه به اولا بخراجه فى محله واصل الاستنباط اخراج الماء وفيه مع ما قبله مناسبة لطيفة وفى ذكر الخوض الآتى بعده لطف * يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا * وقوله (ولا انار) اى دل دلالة واضحة (الفكر) بكسر الفاء وسكون الكاف او فتحها جمع فكرة (لاستخراج جوهره والتقاطه) اى استخراجه من بحاره او اخذ لقطه وهذا ناظر لانخراطه فى سلكه ففيه استعارة ولف ونشر غير مرتب فيه بدره ودره (الا عند الخوض فى الفصل الذى قبله) اى لم يهده الله للوقوف عليه الا عند الشروع

فيما قبله واصل الخوض الشروع فى المرور فى الماء فاستعير لمطلق الشروع الا انه كما قال الراغب اكثر ما ورد فى القرآن فيما يذم الشروع فيه (فرأينا ان نضمه اليه) اى الى الفصل الذى قبله بان نذكره عقبه لمناسبته له ومراده ان يجعله كالضيف الذى انزل عنده فلذا قال (ونجمع به شمله) اى نضمه اليه والشمل بمعنى المتفرق اى نجمع ما تشتت منه ويكون بمعنى الجمع فهو من الاضداد (فاعلم) خطاب لكل من يصح توجيه الخطاب له كما مر (ان الله تعالى خص كثيرا من الانبياء عليهم الصلوة والسلام بكرامة) اى بامر اكرمه وشرفه به (خلعها عليهم من اسمائه) اى اعطاها لهم والبسها اياهم والاصل فى الخلعة انها ثوب يلقيه الملك على من يكرمه او يوليه ولاية وشاع فى عرف الكتاب تسمية الخلعة تشريفا واليه اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله فى اول هذا الفصل فى تشريف الله له بما سماه من اسمائه وهو لطف لم تنته اوله وفى نسخة عليه بالافراد وفى نسخة جعلها بدل خلعها والصحيح الاول لما عرفته وفيه استعارة لطيفة بجعل الاسم خلعة لما فيها من الشهرة واظهار الكريم (كتسمية اسحق واسمعيل بعليم وحليم) فى قوله تعالى (وبشروه بغلام عليم) يعنى اسحق وقوله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) يعنى اسمعيل وهذا بناء على ان المبشر به اسحق وقيل هو اسمعيل فيهما ولهذا جمع المصنف رحمه الله تعالى هنا بين اسحق واسمعيل (وابراهيم بحليم) فى قوله ان ابراهيم لاواه حليم (ونوح بشكور) اى كثير الشكر فى قوله تعالى (ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا) فى الاسراء بناء على ان الضمير له لا لموسى عليهما الصلوة والسلام كما تقدم (ويحيى وعيسى ببر) فى قوله وبرا بوالديه وبرا بوالدتى وهو صفة مشبهة من البر والبر خلاف البحر لما فيه من السعة توسعوا فيه فاشتقوا منه اى التوسع فى فعل الخير وينسب ذلك تارة الى الله بحوانه هو البر الرحيم والى العبد فيقال بر العبد ربه اى توسع فى طاعته فمن الله الثواب ومن العبد الطاعة وذلك ضربان ضرب فى الاعتقاد وضرب فى الاعمال وقد استعمل منه قوله تعالى (ليس البر ان تولوا وجوهكم) الآية ولذا لما سئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن البر تلا هذه الآية وبر الوالدين التوسع فى الاحسان اليهما ويستعمل البر فى الصدق لكونه بعض الخير المتوسع فيه قاله الراغب (وموسى بكريم وقوى) فى قوله تعالى (وقد جاءهم رسول كريم) وقوله ان خير من استأجرت القوى الامين وفى بعض النسخ بدل كريم كليم والصحيح الاول لانه لم يسم به الله وان كان الكلام من صفاته (ويوسف بحفيظ عليم) اى حافظ كثير العلم وهذا فى قوله تعالى (اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم) (وايوب بصابر) فى قوله تعالى (انا وجدناه صابرا نعم العبد) (واسمعيل بصادق الوعد) فى قوله تعالى (واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد) اشتهر به بوفاء ما وعد به من صبره

على الذبح و وفائه به ولا يرد عليه ان فيما ذكر ما هو من كلام الملائكة والانبياء لانه تعالى حكاه واقره فكان في الحقيقة وصفا من الله تعالى كذا ذكر واسمعيل هو ابن ابراهيم عليهما الصلوة والسلام لا ابن خرقيل عليه السلام فانه قول غير مشهور وما قيل من ان هذه الصفات يوصف بها كل من قامت به فكل من قام به علم او حلم يقال له عليم وحليم مثلا فلا اختصاص لهذه الاسماء عن ذكر والجواب بالفرق بين ثناء الله تعالى وثناء غيره فالاختصاص من حيث ان الله تعالى وصفهم بها وفيه غاية الاختصاص وثناء الله على كثير من المؤمنين بالصبر والصدق ايضا لا ينافيه لان الثناء بهذه الصفات على هؤلاء من حيث ان الله تعالى جعلهم عليها وكذا ما قيل من ان عيسى عليه الصلوة والسلام هو الذي وصف نفسه بما ذكر الا انه لما كان في حال الطفولية والله هو الذي انطقه على خرق العادة فالواصف هو الله في الحقيقة كلها تكلفات نحن في غنية عنها فان المصنف لم يذكر الاختصاص وانما قال ان من اسماء الله تعالى ما سمى به رسله تشريفا لهم وبيانا لتخلقهم باخلاقه ولا شك ان هذه الصفات اذا اجريت على الله تعالى فلها معان لا تليق بغيره ولما كان سمى ببعض منها بعض رسله دل على انها بمعنى لا يليق بغيرهم ايضا وقد قال ابن القيم في كتاب الفوائد ان الاسماء التي تطلق على الله تعالى وعلى غيرها اختلف فيها فقيل انها حقيقة في الله مجاز في غيره وقيل على العكس وقيل انها مشتركة بينهما وان كان هذا محتاجا للبسط والبيان (كما نطق بذلك الكتاب العزيز) اي كما دل عليه القرآن نصا او تصريحا فالنطق مجاز عما ذكرنا في قولهم نطقت الحال والعزيز بمعنى الغالب لغيره من الكتب باعجازه واستغنائه لما ليس في غيره من الكتب (من مواضع ذكرهم) اي مستفادا من مواضع ذكرهم فيه وان حكاه عن غيره ففيه اشارة لما تقدم (وفضل نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) في القرآن على غيره ممن ذكر (بان حلاه منها في كتابه العزيز) الباء سببية متعلقة بفضل وحلاه بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام من الحلية وهي الصفة الظاهرة او الحلي التي يزين بها اي بان وصفه او زينه وكرمه بما وصفه وسماه به في القرآن (وعلى السنة انبيائه) في الكتب المنزلة عليهم او فيما نقل لنا عنهم (بعدة كثيرة) بكسر العين وتشديد الدال اي بعدة اسماء وصفات كثيرة قدره بكثرتها لان كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى (اجتمع لنا منها جملة) اي انه جمع منها اسماء معدودة (بعد اعمال الفكر) مصدر اعمله اي جعله عاملا فاعلا لما يريده فكانه اخذ جنود افكاره في النظر فيما توجد منه وتدل عليها (واحضار الذكر) اي استحضارها وتذكرها وذاله معجمة مكسورة وجوز ضمها وفسر الذكر بالقرآن هنا لا وجه له والحاصل انه اجتهد في جمعها وبذل فيها جهده وطاقته (اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين) قيل هما رؤف رحيم في سورة براءة (ولا من تفرغ فيها لتأليف فصلين)

الفراغ خلاف الشغل الحسي والمعنوي يقال تفرغ لعمله اذا اشتغل به وترك غيره
واذ تعليل لماقبله (وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما) نحوها بمعنى قريب
اي يقرب من هذا العدد فلا يضر زيادة او نقص قليل منهـا كما ان فوق فيما سبق
بمعنى ازيد والتحرير بمعنى الكتابة او التهذيب والتحقيق كما مر (ولعل الله تعالى)
اي ارجو من الله تعالى عز وجل الذي الهمنا ان يتم ما الهمنا والمراد الدعاء (كما الهم
الى ما علم منها) ضمن الهم معنى ارشد وهدى فعداه بالى فانه يتعدى بها وباللام وعلم
بتشديد اللام اي علمني من هذه الاسماء (وحققه) اي بين حقيقته او جعله محققا
متقنا واطلعه عليه (يتم) هذه (النعمة) وهي التعليم والتحقيق (بابانة) اي اظهار
(ما لم يظهره لنا) حتى نقف عليه والكاف للتشبيه وقدم المشبه على المشبه به
اهتماما به او هي للمبادرة كما في قولهم كما تدخل صلي (الآن) مبني على الفتح
والالف واللام لازمة زائدة اي لم يظهره الى حين تحرير هذا الفصل (ونفتح
غلقه) بفتح الغين المعجمة وفتح اللام والقاف وهو ما يغلق اي يقفل به كما في القاموس
وفي بعض الشروح انه بفتحتين وهو الباب المغلق ففيه استعارة تصريحية مرشحة
ويجوز ان يكون بفتحة ثم بكسرة بزنة كتف من قولهم كلام غلق فالاستعارة
تبعية في قوله نفتح (فمن اسمائه تعالى الحميد بمعنى المحمود ٢) فهو فعيل بمعنى مفعول (٢) ومعناه المحمود نفسه
لاستحقاقه الحمد (لانه حمد نفسه وحمده عباده) بناء الفعل للفاعل فيهما وذكر
الاول توطئة للثاني وبيانا لانه المحمود الحقيقي وحمد غيره له انما هو باقداره عليه وخلقه
لقوة النطق فيه فكأنه في الحالين حمد نفسه وبهذا فسر قوله الحمد لوليه اي لموليه
ومعطيه فليس احد مستحق الحمد سواه (ويكون ايضا) اي الحميد في اسمائه كما يكون
بمعنى المفعول يكون بمعنى الفاعل كما قال (بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات)
والاعمال الصالحة الصادرة من عباده وقال العراقي في شرح الاسماء الحسنى انه يجوز
ان يطلق على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الحميد لانه من حمدت جميع اخلاقه
وعقائده واعماله الا انه لما لم ينقل لم يذكره المصنف فاشار الى انه ورد اطلاق
ماهو بمعناه عليه فقال (وسمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محمدا واحمد) وهما بمعنى
حميد على الوجهين (فمحمد بمعنى محمود) لان كلا منهما اسم مفعول دال على مبالغة
في كونه محمودا (وكذا وقع اسمه) صلى الله تعالى عليه وسلم اي تسميته بمحمود
(في زبور داود) وفي نسخة زبر بكسر الزاي وضمها وضم الباء وسكونها
وهو مصدر او جمع بجعل كل جزء منه زبورا بمعنى مزبور فلا يرد عليه ان هذا
لادليل فيه على تسميته باسم الله تعالى فلا يناسب ما هو بصدده ثم اشار الى المعنى
الثاني بقوله (واحمد بمعنى اكبر من حمد) بالموحدة وحمد مبني للفاعل (واجل
من حمد) بالبناء للمفعول ففيه لف ونشر (والى نحو هذا) اي كون اسمه بمعنى

(ما)

ماذكر (اشار حسان) بن ثابت الانصاري المشهور (بقوله) في شعر له من قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم (وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد) والشعر هكذا تمامه

الم تر أن الله ارسل عبده * ببرهانه والله اعلى وامجد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي اتانا بعد يأس وفترة * من الدين والاوثان في الارض تعبد
فارسله ضوأ منيرا وهاديا * يلوح كما لاح الصقيل المهند

وشق مبني للفاعل من شق الشيء اذا جعله قطعتين اي اشتق له صلى الله تعالى عليه وسلم من اسمه اسما اجله وعظمه وهمزة اسمه مقطوعة للضروره وانما قال المصنف رحمه الله تعالى نحو ولم ينقل الى هذا لان ما في الشعر انه مأخوذ من محمود والمصنف رحمه الله تعالى بصدد اخذه من حمد وزيد في هذا

اغر عليه للنبوة خاتم * من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه * اذا قال في الذكر المؤذن اشهد

وشق الخ والبيت المذكور رواه البخاري في تاريخه وعزاه لابي طالب وهو منقول عن علي بن زيد فحسان رضي الله تعالى عنه توارد معه اوضمنه واستعان به (ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب) لان الرأفه نوع من الرحمة وقد تقدم تحقيقه (و) قد (سماه) الله (في كتابه) اي القرآن (بذلك) اي الرؤف الرحيم (فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره) اي المتصف بالوجود الازلي الابدي من ذاته لذاته لانه واجب الوجود والمتحقق بمعنى المتيقن وجوده لثبوته بالبراهين القاطعة وامره بمعنى شأنه وما يجب ثبوته من صفاته وافعاله والمتحقق بفتح القاف ويجوز كسرها وللحق معان اخر (وكذلك المبين) اسم فاعل من ابان اللازم لانه ورد لازما ومتعديا (اي البين) الظاهر (امره والهيته وابان بمعنى) واحد فيكون متعديا ولازما وابان يكون بمعنى قطع وفصل انصاو بيه على اللزوم وعلى التعدي (ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم) في الدنيا (ومعادهم) في الآخرة (وسمى النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (بذلك) اي الحق المبين (في كتابه فقال) تعالى (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) بناء على ان المراد بالحق محمد صلى الله عليه وسلم والمبين بمعنى ظاهر لعظم آياته ومعجزاته فلاوجه لما قيل ان هذا ليس على وجه التسمية وانما هو وصف للرساله (وقال) تعالى (وقل اني انا النذير المبين) اي المحذر لكم من الله والمبين لكم امور دينكم (وقال) تعالى (قد جاءكم الحق من ربكم) على ان المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل المراد به القرآن (وقال) تعالى (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) من الله (قيل) هو (محمد) اي المراد به في هذه الآية وتكذيبه صلى الله تعالى عليه وسلم

بتكذيب رسالته وماجاءبه (وقيل) المراد به (القرآن) بدليل التكذيب (ومعناه) اى الحق (هنا ضدالباطل) من حق بمعنى ثبت (والمتحقق صدقه وامره) هو تفسير لما قبله او معنى آخر وفى تفسير البيضاوى الحق الثابت الذى لا يسوغ انكاره فعم الاعيان والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج (وهو بالمعنى الاول) ضمير هو راجع الى قوله المتحقق صدقه وامره والمراد بالمعنى الاول كون الحق اسما لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (والمبين) على هذا التفسير (البين) الظاهر الذى لا يخفى (امره ورسالته) وهذا على كونه من بان اللازم (او) هو (المبين) بتشديد المثناة التحتية المكسورة (عن الله ما بعثه به) للخلائق كافة وعداه لتضمنه معنى المبلغ او هو حال بتقدير باقلا (كما قال) تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) من شرائعه واحكامه وهذا على انه من ابان المتعدى (ومن اسمائه تعالى النور) وقد قدمنا ما قاله الغزالى انه حقيقة فى ذات الله تعالى لان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره واليه ذهب الحكماء وتشير اليه قول الاشعرى رحمه الله تعالى انه نور ليس كالانوار وما قاله السهيلى فى الفرق بينه وبين الضياء بانه ذات المنير والضوء والضياء اشعته المنتشرة عنه ولذا قال (جعل الشمس ضياء والقمر نورا) لكثرة اشعتها فلا وجه لما يتوهم من ان الظاهر العكس ولا حاجة لتأويله اذا اطلق على الله فان اردت فطالع مشكاة الغزالى والمشهور فيه التأويل كما اشار اليه المصنف بقوله (ومعناه ذو النور وخالقه) عطف تفسير وهذا تأويل له بتقدير مضاف فيه للناس (او منور السموات والارض) فعلى الاول هو حقيقة وعلى هذا هو مجاز كعدل بمعنى عادل لانه المنعم على اهلهما (بالانوار) الفائضة عليهما بواسطة الكواكب ودونها والنور على هذا بمعناه الحقيقى (ومنور قلوب المؤمنين بالهداية) ولذا ورد تفسيره بالهادى وهذا على استعارة النور للهداية لما بينهما من الدلالة ثم استعماله بمعنى النور الهادى فيه مجاز على مجاز لاشتهار الاول حتى صار كالحقيقة (وسماه) اى سمى الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل) المراد بالنور فى هذه الآية (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم لظهور آياته (وقيل القرآن) لازالته ظلمة الكفر والجهل ولا يشكل على الاول افراد الضمير بعده فى قوله يهدى به الله من اتبع رضوانه مع تغايرهما وعطفهما بالواو دون او كما قيل لان الضمير راجع اليهما معا باعتبار المذكور اولانهما كالشئ الواحد وهداية احدهما عين هداية الآخر وقد صرح الفراء فى تفسيره بجواز مثله جوازا مطردا وبه ورد القرآن فى آيات كثيرة كما بيناه فى السوانح وانشد عليه شاهدا

رمانى بامر كنت منه ووالدى * بريئا ومن حول الطوى رمانى

(وقال فيه) اى فى وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشأنه (وسراجا منيرا)

(وسماه)

فسماه سراجا كما سماه نورا على انهج الاستعارة او التشبيه البليغ ثم بين بقوله (سماه بذلك) اى بالنور والسراج وفى نسخة سمى بذلك (لوضوح امره) كالنور الذى لا يخفى (وبيان نبوته) اى كونها بينة ظاهرة (وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين به) وعاطفه وهذا ناظر لقوله وتنوير قلوب المؤمنين بالهداية وفيه تنبيه لاطلاقه على القرآن ضمنا (ومن اسمائه تعالى) التى شرف بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (الشهيد) من الشهادة وهى المعاينة والاخبار عما عاينه او من الشهود وهو الحضور (ومعناه العالم) لان من شاهد شيئا علمه علما تاما قال تعالى (لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون) اى تعلمون وفى شرح المواقف الشهيد العالم بالغائب والحاضر ويوافقه اطلاق المصنف فلا يرد عليه انه فسر الاخص بالاعم وقول الغزالى اذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم وان اضيف الى الغيب والامور الباطنة فهو الشهيد فيه نظر (وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة) اذ يبين لهم ما صدر منهم فى حيوتهم الدنيا اذ لا يخفى عليه خافية (وسماه) اى سمى الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا) اى بشهادتك على امتك ولهم وهو حال مقدرة (وقال) تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس (ويكون الرسول عليكم شهيدا) اشارة الى ما رواه مسلم من ان الله يسأل الانبياء عليهم الصلوة والسلام هل بلغتم فيقولون نعم وتنكر اممهم فيقول من يشهد لكم فيقولون محمد وامته فتشهد امة محمد وتشهد عليه الصلوة والسلام لامته بصدقهم وهذا معنى الآية وهذه الشهادة لهم لا عليهم لكن ضمن شهيد معنى رقيبا وقدم الجار لاختصاصه بهذه الشهادة وفيه فضيلة له صلى الله تعالى عليه وسلم فان الانبياء يحاسبون يوم القيمة وهو لا يحاسب وفضيلة لامته اذ لم ينكروا تبليغه وقد تقدم الكلام على هذه الآية (وهو) اى الشهيد الذى اطلق عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (بمعنى الاول) اى الشاهد او بمعنى الشهيد الاول الذى اطلق على الله تعالى والاولية على الوجهين لمطلق التقدم وقيل وصف اسمه الشاهد بالاولية مع كونه ثانيا لذكر اسمه قبل آية اسمه الشهيد (ومن اسمائه تعالى) اى من اسماء الله التى سمى بها نبيه (الكريم ومعناه الكثير الخير) وهو اصل معناه لغة وان اختص فى عرف اللغة والعرف العام بالسخى الكثير العطاء واليه اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وقيل المفضل) بوزن محسن ومعناه ولذا فسر بمن يعطى عفوا بغير وسيلة وسؤال (وقيل العفو) فعول من العفو وهو التجاوز عن سيئات من اساء وقيل وهو ابلغ من الغفور من حيث ان الغفر ستر السيئة والعفو محوها وهو فى الاصل القصد لتناول الشيء فاستعير لقصد ازالة المحو (وقيل العلى) وهو البالغ الى رتبة فوق كل رتبة فهو العلى فى ذاته وصفاته وفسره الغزالى بانه الذى اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا اعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالى كم اعطى ولا لمن

اعطى وان رفع حاجة الى غيره لا يرضى واذا جنى عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذبه والتجا فيغنيه عن الوسائل والشفعاء فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف فهو الكريم المطلق وذلك هو الله وحده لا يناله غيره الا بالاكتساب وتمحل ومع ذلك لا يستوفى جميع انواعه ولذا جاز اطلاقه على غيره تعالى كالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وفى الحديث المروى) الذى رواه ابن ماجة فى سننه (فى اسمائه تعالى) اى فى اسماء الله وهو متعلق بالمروى او بمقدر اى عد فى اسمائه (الاكرم) اى الزائد على غيره فى صفة الكرم وهذا يقتضى مشاركته لغيره فى هذه الصفة ان فسرت بمعنى يوجد فيه وفى غيره فان فسرت بما تقدم عن الغزالى وهو مختص بالله فالتفضيل ليس على بابه بل بمعنى الكريم او على اصله على طريق التسامح كما فى قوله احسن الخالقين قال ابن عبد السلام فى اماليه هذا ونحو ارحم الراحمين واحكم الحاكمين مشكل لان افعل يضاف الى جنسه وهذا ليس كذلك لان خلق الله ايجاده وهو من غيره بمعنى الكسب وهما متباينان والرحمة من الله ان حملت على الارادة صح لان المعنى اعظم ارادة من سائر المريدين وان جعل من مجاز التشبيه وهو ان معاملته تشبه معاملة الراحم صح ايضا لانه مشترك بينه وبين عباده فان اريد ايجاد الرحمة فهو مشكل اذ لا موجد غير الله واجاب الآمدى بان معناه اعظم من يسمى بهذا الاسم واستشكل بان الفاصل فى غير ما وضع له اللفظ ويصح على مذهب المعتزلة لان الفاعلين عندهم كثير ثم انه قيل على المصنف ان اثباته تسمية الله بالاكرم بالحديث غفلة عن تسميته بذلك فى القرآن فى قوله تعالى (اقرأ وربك الاكرم) ولك ان تقول ان الذى فى الآية على سبيل التوصيف والذى ذكره انه عد فى الحديث فى سلك الاسماء الحسنى وهو ادل على مراده (وسماه الله تعالى كريما) اى سمى الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (بقوله انه لقول رسول كريم قيل) اى قال بعض المفسرين هو فى هذه الآية (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل جبريل عليه الصلوة والسلام) وهو قول اكثر المفسرين كما مر لانه الظاهر من السياق (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انا اكرم ولد آدم) اى اشرف من سائر الخلق الانبياء وغيرهم وقد تقدم مرارا روايته ومعناه ثم اشار بقوله (ومعانى الاسم) اى الكريم والاكرم (صحيحة فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم) لاتصافه بغاية الكرم الى انه لا تصافه بمعناه والمراد بالاسم ما يطلق عليه سواء كان اسما او صفة فسقط ما قيل ان تسميته كريما على سبيل التوصيف لا على طريق الاسماء الاعلام وقوله اكرم ولد آدم المراد به تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم لا التسمية بهذا الاسم بل ينبغى ان يقال باختصاص الاكرم بالله وهو غفلة عما قررناه بل هو ناش عن عدم فهم كلام المصنف

رحمه الله تعالى وفي ذلك اشارة الى تشريفه بكونه كريما واكرم (ومن اسمائه تعالى العظيم) وهو الذي عظم حسا اوقدرا ورتبة والمراد الثاني لانه عز وجل هو العظيم على الاطلاق لعلوه مرتبة من العظمة لا تحيط بتصورها الافهام ولا تحملها الاوهام لتنزهه عن ان تحيط العقول بكنه ذاته وصفاته ولذا قال (ومعناه الجليل الشان) بهمزة او الف مبدلة منها (الذي كل شيء دونه) اي قاصر عن بلوغ رتبته اذ لا كمال يدنو من كماله في ذاته وصفاته والعظيم والجليل والكبير معانيها متقاربة الا انه قيل ان الكبير هو الكامل في ذاته والجليل هو الكامل في صفاته والعظيم هو الكامل فيهما (وقال) تعالى (في) حق (النبي عليه السلام وانك لعلى خلق عظيم) فقد جمع الله له من محاسن الاخلاق ما لا يتصور في احد سواه واذا وصف خلقه بالعظيم فقد وصفه به وكان من اسمائه فلا يرد عليه انه وصف لخلقه صلى الله تعالى عليه وسلم لا له فليس ولا ان العظمة مختصة بالله او يقول انه توطئة لقوله (ووقع في اول سفر من التوراة) بكسر السين وسكون الفاء وراء مهملة وهو الكتاب (عن اسمعيل) نبي الله بن خليل الله عليهما الصلوة والسلام وكان الظاهر ان يقول في حق اسمعيل فكأنه صفة سفر اي سفر فيه ما يصدر عن اسمعيل عليه الصلوة والسلام (وسيلد عظيما لامة عظيمة ٢) وفيه مبالغة في وصفه بالعظمة اذ جعل اتباعه عظماء فما بالك به

واذا سخر الاله سعيدا * لا ناس فانهم سعداء

(ومن اسمائه تعالى الجبار) وهو صيغة مبالغة على خلاف القياس اذ لم يجئ جبر بل اجبر فهو مجبر وجبار وجبر متعد ولازم يقال جبرت العظم وجبر جبورا وجبر الفقير ويوصف به من الناس الشديد العدوان وله معان في كلام العرب القهار والمسلط قال الله تعالى (وما انت عليهم بجبار) كما يأتي والقوي العظيم الجسم والمتكبر والعالي والنخلة الطويلة فوق اليد طال وجبره على كذا اكرهه والجبر خلاف القدر والجبرية بفتح الباء وسكونها وقال ابو عبيد انه مولد والمجبر الذي يجبر العظام المكسورة اي يصلحها يقال اجبرت وجبرت وهو اكثر قال (قد جبر الدين الاله فجبر) ويقال جبرتها ايضا ولما ذكرناه من معناه الحقيقي لغة اختلفوا في تفسيره حيث وقع صفة كما قال المصنف رحمه الله (ومعناه المصلح) للعالم وللامور عادة فعلا يقال منه جبرت العظم والفقر فهو من صفات الافعال (وقيل القاهر) فيرجع الى صفة القدرة الذاتية فما من مخلوق الا وهو مقهور في قبضة تصرفه يفعل به ما يريد (وقيل العلي العظيم الشان) من قولهم نخلة جبارة ونبت جبار اي طويل فاستعير من العلو الحسي للمعنوي ولذا فسروه بالعالي فوق خلقه فهو صفة ذاتية (وقيل المتكبر) المعظم الذي يرى الكل حقيرا بالاضافة الى ذاته من قولهم فيه جبرية وجبروت اي تكبر وعظمة ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في سجوده وركوعه سبحان ذي الملك

(٢) ووقع في غالب النسخ هنا «فهو عظيم وعلى خلق عظيم» فاله ط

والملكوت سبحان ذي العزة والجبروت (وسمى النبي صلى الله عليه وسلم) بالبناء للمجهول اى سماه الله تعالى (فى كتاب داود) اى الصحف الالهية المنزلة عليه صلى الله عليه وسلم (بحار فقال) الله تعالى مخاطباً له صلى الله تعالى عليه وسلم لتنزيله منزلة الموجود لتحققه فى علمه الحضوري عنده (تقلد ايها الجبار سيفك) يقال تقلد السيف اذا جعل حمائله على عاتقه وجعله كالقلادة وفيه اشارة الى انه سيؤمر بالقتال (فان ناموسك) اى الوحي النازل عليك او عظمتك فى قلوب الناس وهذا المعنى سائغ بين الناس واصل معناه كما فى القاموس صاحب السر المطلع على باطن امرك او صاحب سر الخير وصاحب سر الشر جاسوس وقترة الصائد وهي شيء يختفي فيه الصائد لتأخذ الصيد وفى البيان للجاحظ قال الزبيدي الناموس دويبة تلسع الانسان مشتق من نمس الكلام اخفاه وسمي جبريل عليه الصلوة والسلام بالناموس الاكبر لانه يخفي الكلام حتى يلقيه الى الرسل عليهم الصلوة والسلام اسمى (وشرائعك) يحتمل انه عطف تفسير ولذا وحد الخبر فى قوله (مقرونة بهيبة يمينك) اى بالخوف من سيفك وكني عنه بذكر يمينه او تحوز باليمين عما فيه (ومعناه فى حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى معنى الجبار الذي هو من اسماء الله اذا اطلق فى وصف النبي صلى الله عليه وسلم يقال كذا ورد فى حق كذا اى امره وشانه المحقق فيه ولو فسر الجبار فى كتاب داود بالمجاهد القتال الذي هو احد معانيه بقرينة ما بعده كان اولى من قوله (اما لاصلاحه لامته بالهداية والتعليم) اى ارشادهم لما فيه صلاح معاشهم ومعادهم وتعليم امور دينهم فعلى هذا سمي صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه الجبار بمعنى المصلح (او لقهر اعدائه) وفى نسخة لقهره اعدائه وهذا اشارة الى انه سمي بالمعنى الثاني الذي مر بيانه (او لعلو منزلته على البشر) فهو مسمى به باعتبار المعنى الثالث وهو العلي ولو قال على الخلق كان احسن وقيل انه يفهم من تفضيله على البشر تفضيله على الجن والملك بالطريق الاولى وفيه نظر (وعظيم خطره) هذا اشارة الى انه امام سيار من العلو الحسي فينزل الرتبة منزلته ويحتمل فيه انه ارتفع فى مكان عال او علو القدر وهو العظمة وهذا على هذا الوجه وعلى الاول هو كقول ابي تمام وقد ذكر علو ممدوحه

ونصعد حتى نظن الجهول * بان له حاجة فى السماء

واصل الخطر ما يعطى فى الرهان للمسابقة ثم استعير للشرف فيقال له خطر ورجل خطير وهو من اضافة الصفة لموصوفها ولله در العراقي رحمه الله تعالى فى قوله الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبة بحيث يجبر الخلق بهيئته وصولته على الاقتداء به وعلى متابعته فى سمته وسيرته فيفيد الخلق ولا يستفيد ويؤثر ولا يتأثر ويستتبع ولا يتبع لا يشاهده احد الا ويفنى عن ملاحظة نفسه ويصير مشوقاً فى الهم به عن ما هو الى ذاته ولا يطمع احد فى استدراجه

واستتباعه واما حظي بهذا الوصف سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه حيث قال (لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي وانا سيد ولد آدم ولا فخر) وفي كلامه لف ونشر وايجاز اذا صار معناه في حقه عليه الصلوة والسلام كمعناه في حق الله وان لم تكن مساويه او مقاربه وبدايته ولما كان المعنى الاخير وهو المتكبر لا يصح في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بوجه من الوجوه قال (ونفى عنه في القرآن جبرية التكبر) بفتح الباء كجبروه وجبروت وجبورة كبروه التكبر كما قاله القرطبي في شرح الاسماء الحسنى واضافها الى التكبر احترازا عن الجبريه بمعنى الجبر وهو خلاف القدر وقال القرطبي الجبرية بفتح الباء خلاف القدريه عن الجوهري وحكي عن الزجاج الجبرية بالاسكان وهو اصوب وعن ابي عبيد انه مولد (التي لا تليق به) صلى الله تعالى عليه وسلم لما تقدم من تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم ولان الكبرياء والتكبر من صفات الله التي لا تليق بغيره ومعنى تليق تناسب وتصح (فقال وما انت عليهم بجبار) تفسير لقوله ونفى عنه وتقدم انه فسر بمسلط والتكبر هو التعاظم على الغير وانه بجباره وهو محرم على كل مخلوق وعاد كرناه علم ما في قول القرطبي في شرح الاسماء الحسنى انه يجب على كل مسلم مكلف ان لا يتصف باسم الجبار ولا يتعاطاه واما حظه الاتصاف بنقيضه فان اطلاقه باباه اطلاقه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه في نفيه بعض معانيه وقيل تفسيره بالمسلط اولى لانه نزل في حق اهل مكة وانكارهم لبعثه فامره بان ينذرهم ولا يجبرهم على الايمان ويتسلط عليهم حتى يسلموا والآيه منسوخه بآية السيف لانها من سورة قاف وهي مكية وانما امر صلى الله تعالى عليه وسلم بالقتال بالمدينه وعلى ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى تكون غير منسوخة (ومن اسمائه تعالى الخبير) وقد ورد في القرآن معرفا ومنكرا وقال (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) من الخبر بالضم وحقيقته انكشاف باطن المخبور حتى استوى عنده ظاهره وباطنه ولذا قيل للحارث خابر ويكون بمعنى المخبر والمخبر والله تعالى مخبر لعباده قال تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) فهو من صفات الافعال ويكون بمعنى العلم من صفات الذات واذا كان بمعنى المخبر رجع الى صفة الكلام فقوله (ومعناه) اذا اطلق على الله (المطلع بكنهه الشيء) اي الواقف على حقائق الاشياء وكنه الشيء بضم فسكون له معان منها الحقيقة كما في التهذيب يقال اكتنهه اذا بلغ كنهه فقوله في شرح المصباح انه مولد لا وجه له وتعديه بعلى لانه بمعنى (العالم بحقيقته) وهي ذاته لا غاشية كما قيل (وقيل معناه المخبر) واصله المخبر والمراد به في حقه تعالى استدراج عباده حتى يعلم الصابر من غيره ولزومه الحجة او يعلم سلوكه المحجه وهو اعلم بهم وفي بعض النسخ المخبر اي المخبر انبيائه ورسله بكلامه المنزل عليهم او المخبر عباده يوم القيمه باعمالهم فانه لا يعزب عن علمه شيء

ثم شرع في بيان تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم به فقال (قال الله تعالى) وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن (فاسئل به
خبيرا) اي عنه او الباء تجريدية والضمير لخلق السموات والارض والاستواء على العرش
المذكور قبله والخبير بمعنى العالم ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى (قال القاضي بكر بن
العلا) بفتح الموحدة والعين المهملة وهو بكر بن محمد بن العلا بن زياد القشيري
من ولد عمران بن الحصين رضي الله تعالى عنه توفي ليلة السبت لسبع بقين من ربيع
الاول سنة اربع واربعين وثلاثمائة (المأمور بالسؤال) في الآية (غير النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم) من كل من يتأتى منه السؤال لا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لانه المخاطب (والمسؤل الخبير هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) لانه العالم بحقيقة
ما ذكر دون غيره فمنه دليل على تسميته خبيرا (وقال غيره) اي غير القاضي بكر
(بل السائل النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المخاطب به (والمسؤل الله تعالى
فالنبي خبير بالوجهين المذكورين) اي على التفسيرين فالباء بمعنى على او ظرفية
اما الاول فظاهر لاطلاقه عليه ولانه لو لم يكن خبيرا لم يؤمر بسؤاله واما على الثاني
فلان اذنه له في السؤال دال على اعلامه به وقيل المراد بالوجهين تفسير الخبير بالعالم
بالحقيقة وتفسيره بالمخبر (قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون
علمه وعظيم معرفته) اي سمي خبيرا لما اعلمه الله به من الخفيات والمغيبات التي اطلعه
عليها بوحيه وما خصه به من المعرفة العظيمة (مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به)
دون ما لم يؤذن فيه من الاسرار الالهية وما بعد قيل ناظر لكونه بمعنى العالم وهذا لكونه
بمعنى المخبر والفرق بين هذا وما قبله لانه سمي خبيرا باعتبار ما احاط به بعد سؤاله والقيل
باعتبار انه عالم قبل السؤال فتدبر (ومن اسمائه تعالى الفتاح) قال الراغب اصل معنى
الفتح ازالة الاغلاق والاشكال وهو ضربان احدهما ما يدرك بالبصر كفتح الباب والقفل
والمتاع والثاني ما يدرك بالبصيرة كفتح الهم والمشكل ومنه فتح القضية اذا فصل الحكم
فيها ومنه الفاتح والفتاح للقاضي وفتح الممالك الظفر بها عنوة (٢) وفتح الله رزقه (٢) منة نسخه
اذا جاءه من حيث لا يحتسب (ومعناه) في حق الله (الحاكم بين عباده) في فصل القضاء
او بانصاف المظلوم من الظالم فهو من صفات الافعال (او فاتح ابواب الرزق والرحمة)
لهم بتيسير ارزاقهم لهم وتهيئة اسبابها وفتح اقفال موانعها والرحمة الانعام اي المنعم
عليهم الرازق لهم قال تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) وهو استعارة
في الاصل صار حقيقة عرفية (والمنغلق من امورهم عليهم) بالجر عطف على ابواب
اي فاتح المغلق بمعنى ميسر كل صعب ومسهله وعليهم متعلق بفاتح او بالمغلق
(او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق) الذي هو الله او خلاف الباطل اي نزل

اقفال قلوبهم المانعة لهم او غشاوة ابصارهم و بصائرهم حتى يعرفوه و يهتدوا بهدايته و يفتح مضارع معطوف على فاتح فان الفعل يعطف على الاسم الصفة لانهما بمعنى وفى بعض النسخ نفتح بالنون الجارة والظاهر الاول وهذا معطوف على مقدر اى المغلق (٢) بتيسيره او يفتح الى آخره (ويكون) الفتاح (ايضا) كما كان بمعنى الحاكم (بمعنى الناصر) المعان لان من شان الحاكم نصره المظلوم وحمايته استشهد له بقوله (كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) اى لانه فسر هكذا (ان تستنصروا فقد جاءكم النصر) من عبد الله محمد لان اعداء دينه و نصره للحق (وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر) لان الفتح جاء بمعنى الابتداء ومنه فاتحة الكتاب لاوله ومبدئه ومعنى مبتدئ النصر انه موجده و ميسره وما النصر الا من عند الله وقوله ان تستفتحوا خطاب من الله لاهل مكة ابى جهل واصرابه ممن قتل ببدر تعلقوا باستار الكعبة عند خروجهم من مكة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفريقين واكرم الحزبين فاجابهم الله تعالى متهكما بهم ان قد نصرتم (وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاتح فى حديث الاسراء الطويل) الذى تقدم ذكره (من رواية الربيع بن انس عن ابى العالية وغيره عن ابى هريرة) والفاتح بمعنى الفتاح والمبالغة التى فيه لا تنافى مشاركته له فى اصل معناه كما توهم وكذا ما قيل من انه ليس بخاص به ولا على وجه التسمية ونحوه مما لا ينبغى ذكره (وفيه) اى فى حديث الاسراء (من قول الله تعالى) لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيما خاطبه به اذ عرج به (وجعلتك فاتحا و خاتما) اى اول الانبياء وآخرهم لما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم نبى قبل خلقهم وقد تقدم بيانه او المراد به ما قاله فى شرح قوله (وفيه) اى فى حديث الاسراء (من قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ثنائه على ربه) اذ حمده بمحامد لم يلهمها قبل (وتعديد مراتبه) اى مقاماته بين يدى ربه (ورفع لى ذكرى) بجعله قرينا لذكره كما تقدم (وجعلنى فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا الحاكم) وانما خصه بذلك لانه لم يكن لاحد قبل شريعته كشريعته (او الفاتح لابواب الرحمة على امته) اذ هداهم الى ما ارشدهم الى سعادة الدارين (او الفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله) لدعوتهم الى معرفته تعالى و توحيده (او الناصر للحق) والدين القويم بجهاده فى سبيله تعالى (او المبتدئ بهداية الامة) لقدمه دلالة على كل مهم له (او المبدأ المقدم فى الانبياء) كما بدأه اولا والمبدأ بضم الميم وتشديد الدال المهملة وهمزة كما قاله البرهان فالمقدم تفسير له فان كانت به رواية فيها والا فجوز فتح الميم وسكون الباء الموحدة المفتوحة او لا وتخفيف الدال بمعنى الاول (والخاتم لهم كما قال كنت اول الانبياء فى الخلق) لخلق نور روحه قبلهم واخذ عليهم الميثاق فى اتباع من ادركه منهم (وآخرهم فى البعث)

(٢) اى المغلق آه اى فاتح المغلق بوجهين اما بتيسيره كل صعب او بفتحه قلوبهم آه قاله مصححه ط

باعتبار الزمان وبما قررناه علمت الجواب عما قيل من انه لا اختصاص لما ذكر بغير الاخير به الا ان يقال انه وقع على اتم وجه بحيث لا يشاركه فيه غيره ثم ان المصنف رحمه الله تعالى لم يقل انه لا بد في اسمائه من اختصاص معانيها به فقدر (ومن اسمائه) اي من اسماء الله التي سمى بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (في الحديث) الصحيح الذي رواه الترمذي وغيره عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه في تعداد الاسماء الحسنى (الشكور) وفي القرآن (ان ربنا لغفور شكور) وللشكر معنيان لغوي وعرفي مشهوران واما في حقه تعالى ف (معناه المثيب) اي المعطي الثواب الجزيل (على العمل القليل) فهو من صفات الافعال وهو مجاز لان حقيقته الثناء المقابل للاحسان واطلق على الانعام المقابل للشكر لان العمل شكر اذ هو لا يختص باللسان فهو استعارة او من اطلاق السبب على المسبب كقوله تعالى (لئن شكرتم لازيدنكم) وهذا قريب مما قيل انه الذي يجازي على قليل من عمل الطاعة في ايام قليلة مالا نهاية له من النعيم المخلد كما قال تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية) اي في الحيوة الدنيا لان المغايرة بينهما سهلة خلافا لمن توهم ذلك (وقيل المثني على المطيعين) وهذا انسب بمعنى الشكر الحقيقي واقرب وقد اثنى الله على عباده الصالحين كثيرا في القرآن وكسبه المنزلة وهو الذي خلق فيهم القدرة على الطاعة ووفقهم لها كما قال ابن عطاء الله في حكمه * من نعمه عليك ان خلق فيك ونسب اليك ومع ذلك بني باحسانه عليك * فهو انما اثنى في الحقيقة على نفسه ثم ذكر ما يدل على ان اسماء الله التي سمى بها رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يلزم اختصاصه بها فقد تشرف بها غيره كامر فقال (ووصف) اي الله عز وجل (نبيه نوحا عليه الصلوة والسلام بذلك فقال انه كان عبدا شكورا) قيل ولعل من وصفه به وصف من هو افضل منه وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فلا ينافي ما هو بصدده من ذكر تسمية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم باسمائه ولا حاجة اليه مع قوله (وقد وصف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه بذلك فقال) في حديث مشهور تقدم ذكره (افلا اكون عبدا شكورا) فان الاستفهام الانكاري يدل على انه وصف مقرر له وما ذكره في حق نوح عليه الصلوة والسلام مبني على ان الضمير راجع له لقربه لا لموسى عليه الصلوة والسلام كما ذهب اليه بعض المفسرين (اي معترفا بنعم ربي) معترفا بها (عارفا بقدر ذلك) مؤديا لحمده (مثنيا عليه) باللساني واركاني (مجهدا) بزنة مكرم اي باذلا جهدي وطاقتي ومتعبا (نفسي في الزيادة من ذلك) اي من الاعتراف والثناء عملا بقوله تعالى (لئن شكرتم لازيدنكم) من النعم التي شكر نعوها وعدا ممن لا يخلف الميعاد اذ قال لبني اسرائيل واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم (ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة) اي احاط علمه بكل شيء مما غاب وخفي وما حضر وظهر

ودق وجل وعلمه تعالى لايشبه علم غيره وتحقيقه في علم الكلام (ووصف نبيه
صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه) مزية كعطية بمعنى فضيلة وقال العلامة
في شرح المنهاج لايبنى منه فعل وتبعه بعضهم هنا وفي الاساس تمزيته عليه ومن التنبيه
على ذلك وفسر المزية بقوله (فقال وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)
بما حصلك به من العلم والمعارف الالهية والامور الدينية وفيه اشارة الى انه صلى الله
تعالى عليه وسلم سبق في ذلك لم ينلها غيره ولايساويه فيه (وقال) كما ارسلنا فيكم
رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم (ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم
مالم تكونوا تعلمون) مما لا طريق له سوى الوحي غير المتلو ولذا اعاد الفعل لتغايرهما
ولما كان هو المعلم لهم وما اعلمهم بعض ماعلمه الله لم يشاركوه في هذه المزية وانما ذكر
هذه الآية وان كان ظاهرها ليس مما هو بصدده لانها تدل على زيادة علمه صلى الله
تعالى عليه وسلم وانه معلم لغيره غير متعلم من غيره به (ومن اسمائه تعالى الاول والآخر)
وقد سمى به في القرآن والاحاديث الصحيحة ومعناه بحسب اللغة وبحسب الاشتقاق
وكون فائه واوا وهمزة معلوم في العربية ووزنه افعل ويكون اول اسم تفضيل
وظرفا وليس هذا محل الكلام فيه وانما الكلام في معناه في اسماء الله تعالى فقال ابن
العربي للعلماء فيه عبارات فقيل الاول الموجود قبل الخلق وكان ولاشئ قبله
ولامعه قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقيل انه الذي لاابتداء له وقيل انه الذي له كل شئ
وبه كل شئ ومنه كل شئ كما يقال فلان اول هذا الامر وآخره وقيل الاول بصفاته
وقيل بمحبته لاوليائه ومقابله الآخر فقيل هو الموجود بعد الخلق فلاشئ بعده وقيل
هو الذي لاانتهاء له وقيل الذي يرجع اليه كل شئ وقال الضحاك هو الذي اخر
الاول واخر اي الذي جعل لكل شئ آخرا وقيل الآخر بصفاته وقدره وقال الغزالي
رحمه الله تعالى الاول والآخر متناقضان فالشئ الواحد لايكون اولا وآخرا من وجه
واحد فانت اذا نظرت الى ترتيب سلسلة الموجودات فالله تعالى بالاضافة اليها اول لانها
استفادت منه الوجود واما هو فموجود بمعنى انه غير مستفيد لوجوده من غيره فاذا
نظرت الى ترتيب السلوك فانه آخر السائرين فيه الا انه فهو آخر ماترتقي اليه درجة العارفين
ولما كان الاول والآخر معنى توهما كالمتضادين توهم الاشتباه من الطرفين فسروه
بما ينفيه والى هذا اشار المصنف بقوله (ومعناهما السابق للاشياء) اي جميع الموجودات
(قبل وجودها) لانه الذي اوجدها وابدعها (والباقي بعد فنائها) ثم صرح بالمقصود
من دفع الايهام فقال (وتحقيقه انه ليس له اول ولاآخر) ولاابتداء ولاانتهاء فلاسابق
عليه ولاباقي بعده فهو واجب الوجود ووجوده عين ذاته لايتصور انفكاكه عنه
فهو من صفات التنزيه وقال القرطبي انه الاول بوجوده في الازل وقبل الابتداء
والآخر بوجوده في الابد وبعد الانتهاء وعلى هذا اكثر من اسماء الذات ويجوز ان يكون

من اسماء الافعال على معنى اول الاول وآخر الآخر فى الوجود ثم اشار الى اطلاقه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (وقال عليه الصلوة والسلام كنت اول الانبياء فى الخلق) يعنى انه فى عالم الذر والارواح خلقت روحه ونبئ قبلهم ولذا عبر بالانبياء دون الرسل كما تقدم بيانه ولا وجه لتفسيره بانه كان نورا فى وجه آدم اذ لا يطابق قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وآخرهم فى البعث) فهو خاتمهم ونبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورسالته لا تنقطع بموته (وفسر بهذا) اى بتقدم خلقه وتأخر بعثه (قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) الميثاق هو ان يؤمنوا بالله ويوحدوه (فقدم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الذكر لتقدمه فى الخلق لا البعث وهذا التفسير رواه قتادة عن الحسن عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قوله عز وجل واذ اخذنا الآية فقال كنت اولهم فى الخلق وآخرهم فى البعث واما ماروى عن مجاهد من ان هذا فى ظهر آدم عليه الصلوة والسلام فتفسير آخر لا وجه لذكره هنا (وقد اشار الى نحو من هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه) فى قوله كما تقدم للمالكى على النبى صلى الله عليه وسلم اذ توفى بابى انت وامى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين الآية واغا قال اشار وحولانه ليس فيه تصريح بتقديم خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا تقدم الذكرى ليس صريحا فيه لجواز كونه لشرف رتبته عنده (ونحوه) اى من قبيل ذكر كونه اولا وآخرا (قوله نحن الآخرون) اى هو صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء بعثة وامته آخر الامم (السابقون) اى اول من يقضى بينهم ويقضى لهم يوم القيمة قبل الخلائق كما صرح به فى حديث مسلم (وقوله) صلى الله عليه وسلم كما تقدم (انا اول من تنشق عنه الارض) فى الخروج من القبر للمحشر (واول من يدخل الجنة) هو وامته كما مر (واول شافع واول مشفع) اى مأذون له فى الشفاعة المقبولة وهذا بيان لاطلاق الاول عليه وقوله (وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم) لبيان اطلاق الآخر عليه ايضا فعلم منهما انه يقال له صلى الله عليه وسلم الاول والآخر كما يقال على الله وان كان اطلاقهما على الله بمعنى مخصوص به كما مر واطلاقهما عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بمعنى آخر مقيد بقيود اخر تدل على تغايرهما فكفاه شرفا تسميته باسم الله ومشاركته فى لفظه فسقط ماقيل ان ليس هذا المعنى بالمعنى الاول قطعا ولا يشبهه فهو غفلة منه وزلة قدم اذ مثله لا يخفى على مثله * واعلم انه وقع في بعض الحواشي انه سماه بالاول والآخر والظاهر والباطن وفسر الاول والآخر بما مر والظاهر بانه الذى لا يخفى على عاقل وجوده او القادر والباطن بالمحجوب عن عباده فى الدنيا او الذى لا يحاط به او الذى لا كيفية له وقيل الظاهر القريب والباطن العليم الحكيم وروى فيه حديثا وهو ان جبريل عليه

الصلوة والسلام نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السلام عليك يا اول
السلام عليك يا آخر السلام عليك يا ظاهر السلام عليك يا باطن فقال يا جبريل
كيف تكون هذه الصفة لمخلوق مثلي وهي صفة للخالق لا تأتي الا به فقال
ان الله تعالى امرني ان اسلم عليك بها وقد خصك بها دون الانبياء والمرسلين
وشق لك اسماء من اسمه وصفة من صفته وسماك بالاول لانك اول الانبياء خلقا
وسماك آخرا لانك خاتم النبيين وسماك بالباطن لانه عز وجل كتب اسمك مع اسمه
بالنور الاحمر على ساق العرش قبل ان يخلق اباك آدم بالف عام الى ما لا غاية له
ولا نهاية وامرني بالصلوة والسلام عليك فصليت عليك الف عام حتى بعثك اليه بشيرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وسماك بالظاهر لانه اظهرك في عصرك
واظهر دينك على الدين كله وفضلك على اهل السموات والارض فما منهم احد
الا وقد صلى عليك صلى الله تعالى عليك وسلم فربك محمود وانت محمد وربك
الاول والآخر والظاهر والباطن وانت الاول والآخر والظاهر والباطن فقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذي فضلني على جميع النبيين
في اسمي وصفتي انتهى وهذا مما لم نره لغيره (ومن اسمائه تعالى القوى وذو القوة
المتين) بالشديد المحكم قوته فالمتين اخص من القوى ولذا وصف بها والقوى
وذو القوة ورد اطلاقهما عليه في القرآن واصله قوو فاعل بالقلب والقوة
خلاف الضعف وهي ما يجده القادر نفسه مستطيعا لتقدير المراد وان لم تفعله
فهي والقدرة متقاربان وقد يراد بالقوة كثرة الاسباب المعينة كالجند والمال ونحوه
ومنه قوله تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وقال الخطابي القوى
يكون بمعنى القادر ومن قوى على شيء قدر عليه ويكون معناها التام القوة الذي
لا يستولى عليه العجز بحال من الاحوال فيما لا يتناهى وهي مخصوصة بالله ولذا قال
تعالى ان القوة لله جميعا فلا قوة لعبده الا اذا قواه الله تعالى ولذا تعبدنا بقول
لا حول ولا قوة الا بالله كما قيل * بك اسطو اذا سطوت ولولا * ك لما استمسكت
قوى اوصالي (ومعناه القادر) وان كان بين القوة والقدرة فرقا كما اشرنا اليه
ولكنهما متلازمان ولذا فسره به الخطابي وتبعه القرطبي في شرح الاسماء
الحسنى الا انه لا خلاف بينهما (وقد وصفه الله تعالى) اى وصف الله تعالى
نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (بذلك فقال) انه لقول رسول كريم (ذي قوة
عند ذي العرش مكين) اى ذي مكانة ورتبة عليه عند الله (قيل) المراد بذي قوة
(محمد وقيل جبريل) عليهما الصلوة والسلام وعليه اكثر المفسرين كما مر وبه استدل
المعتزلة على تفضيل جبريل ولا دليل فيه كما سيأتي (ومن اسمائه تعالى) التي سمى بها
رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (الصادق المصدوق) كما رواه ابن ماجه والمصدوق

بمعنى المصدق فيما جاء به وقد وردا في اسماء الله الحسنى (في الحديث المأثور) المروى بسند صحيح (وورد في الحديث ايضا تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالصادق المصدوق) وتقدم لفظه والكلام عليه في الفصل السابق (ومن اسمائه تعالى الولى) كما قال تعالى (الله ولى الذين آمنوا) اى الذى يتولى امرهم ويقوم بنصرهم ومن اسمائه ايضا الوالى وهو بمعناه (والمولى) كما قال تعالى (ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم) (ومعناهما) اى المولى والولى (الناصر) اى الذى ينصرهم على اعدائهم (وقال تعالى انما وليكم الله ورسوله) والذين آمنوا اى ناصركم ولم يقل اولياؤكم لان نصرهم واحدة اولان الناصر انما هو الله وغيره بتعيينه واعانته كما قال تعالى (وما النصر الا من عند الله) (وقد قال عليه الصلوة والسلام انا ولى كل مؤمن) كما رواه البخارى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ورواه احمد وابو داود انا اولى بكل مؤمن من نفسه وفى البخارى ايضا انا اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلى قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم فى اول الاسلام يؤتى بالرجل المتوفى فيسئل هل عليه دين وهل له وفاء فان قالوا له عليه دين وليس له وفاء قال صلوا على صاحبكم والا صلى عليه فلما فتح الله بالفتوح والغنائم قال صلى الله تعالى عليه وسلم (من مات وعليه دين فعلى قضاؤه) فقيل انه كان واجبا عليه وارتضى امام الحرمين والماوردى انه لم يكن واجبا عليه وانما كان يفعله تكرما وهل كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقضيه من الغنائم اومن خالص ماله احتمالان (وقد قال تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم) اى احق بهم من انفسهم فانه يتولى صلاحهم ونصرهم ويقضى ديونهم كما مر ويخلصهم مما يكرهون فى الدنيا والآخرة (وقال عليه الصلوة والسلام) فى حديث رواه الترمذى وحسنه (من كنت مولاه فعلى مولاه) والمراد ولاء الاسلام ونصرته كما قال الشافعى وهذا الحديث ورد فى قصة غدير خم وقيل سببه ان اسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما قال لعلى كرم الله وجهه لست مولاى انما مولاى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما سمعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم * قال من كنت الى آخره ولا دليل للشيعة فيه على انه رضى الله عنه وكرم وجهه احق بالخلافة لاسيما والمولى من الولاء وله معان كالنصرة والعتق وغيره فلا حجة لهم فيه (ومن اسمائه تعالى العفو) مبالغة فى العفو عن السيئات وهو محوها وازالتها ولذا قيل انه ابلغ من الغفور لانه من الغفر وهو الستر واما الصفح فمعناه الاعراض وهو دونهما لكنه يطلق على ذلك ايضا فلذا قال (ومعناه الصفوح) فلا يرد عليه انه لا ينبغى تفسيره به (وقد وصف الله تعالى نبيه بهذا به) عليه الصلوة والسلام (فى القرآن) اذ امره به فيه اذ قال (خذ العفو

وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين) فامره صلى الله تعالى عليه وسلم بالتخلق بذلك فكان بمثلاله متخلقا به مقتضى الاتصاف به على ابلغ وجه وانه اذ كان خلقا له صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يرد عليه انه لم يطلق عليه في القرآن وانما امر به ولو سلم اتصافه به لانه لا يعصى له امرا لا يقتضى كونه على وجه المبالغة التى دل عليها صيغه فعول والامر لا يقتضى التكرار على الاصح (والتورية) وفي نسخة والانجيل (وامره بالعفو فقال) بيان لما في القرآن (خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح) هذا مبنى على ان العفو في هذه الآية الصفح ويدل عليه ما روى انها لما نزلت قال صلى الله تعالى عليه وسلم لجبريل ما هذا فقال لا ادرى حتى اسئل ربى فساله ثم رجع فقال ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتحسن الى من اساء اليك وهذا رواه البغوى والقرطبى ونقل تضعيفه التمريض وعليه اعتمد المصنف بقوله (وقال له جبريل وقد سأله) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن قوله خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك) فاختصره والذى عليه الاكثر ان العفو المال الفاضل عن نفقة العيال كما في قوله تعالى (يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو) ثم نسخت بآية الزكوة فلا شاهد فيها على ما نحن بصدده (وقال) هذا بيان لما في التورية وفي بعض النسخ التصريح بقوله (في التورية) والانجيل (في الحديث المشهور ٢) الذى تقدم عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه صلى الله تعالى عليه وسلم (ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح) وقد تقدم شرحه وان قول النساء لعمر رضى الله تعالى عنه في قصة الحجاب لانت افظ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس المفضل فيه على اصله اوانه فظ على من يستحق الغلظة كالكفرة (ومن اسمائه تعالى الهادى وهو) الضمير للهداية التى في ضمن الهادى وذكره لان تأنيث المصدر غير معتبر اولانه بمعنى ان يهدى كما في الكشاف (بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده) اللام زائدة لتقوية تعدى التوفيق بنفسه واصل معنى الهداية كما قاله الراغب الدلالة بلطف لما يوصل اوالموصلة على الخلاف المشهور وهى على انواع الاول ما عم كل مكلف من العقل والعلوم الضرورية والثانى دعاؤه اياهم على السنة رسله والثالث التوفيق الذى خص به من اهتدى والرابع الهداية في الآخرة الى الجنة في قوله (الحمد لله الذى هدانا لهذا) والانسان لا يقدر ان يهدى احدا الا بالدعاء ولذا نسب تارة وانتفى اخرى عنه والى احد انواعها اشار بما ذكره واشار الى الآخر بقوله (وبمعنى الدلالة والدعاء) اى الدعوة (قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام) اى الجنة (ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) اى يرشدهم الى طريق مستقيم يوصلهم الى الجنة بما خلقه فيهم من العمل وارسل من الرسل ووفقهم لاتباعهم وتقدم ان التوفيق خلق قدرة الطاعة في العبد وضده الخذلان ومن فسر المعنى بالهداية والتوفيق فقد ضل عن الطريق

(٢) في نسخة نسخة

وكذا مايناه عليه من ان تفسير الهداية بما ذكر مبنى على مذهب المعتزلة فى خلق العباد لافعالهم وان ماذكره المصنف لاتساعده الاصول الى غير ذلك من الخلط الناشئ عن عدم معرفته بقدر المصنف رحمه الله (واصل الجميع) من معانى الهداية وفيه اشارة الى انها معان مختلفة اصلها لغة (من الميل) فمعنى هداه الى كذا صرفه اليه واماله عن غيره لانه من التهادى وهو التمايل وفى الحديث خرج صلى الله تعالى عليه وسلم يتهادى بين اثنين اى يتمايل (وقيل) انها مأخوذة لغة (من التقدم) ومنه هوادى الوحش للمتقدم منها والهادية العنق وهو الذى ارتضاه الراغب ثم شرع فى بيان اطلاقه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وقيل فى تفسير طه انه ياطاهر ياهادى) على طريق الرمز والاكتفاء بحرفين من الاسمين يدلان على الباقى لماقى قوله * قلت لها قفى فقالت قاف * اى وقفت (يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يريد الله تعالى بهذين الاسمين نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم لطهارته من كل دنس وهدايته لخلقه (وقال له الله تعالى) خطابا لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) اى تدل وتدعو الى الاسلام والطريق الموصلة الى سعادة الدارين وهذا على قراءته مبنيا للفاعل وهى المشهورة وعلى المجهولة هو الله (وقال فيه) اى فى حقه وشانه صلى الله تعالى عليه وسلم (وداعيا الى الله باذنه) اى بتيسيره وارادته والاذن يستعمل مجازا مشهورا فى ذلك واصل الاذن معروف الاجازة وعبر فى الاولى بقوله له لكونه بصيغة الخطاب بقال قال له كذا اذا خاطبه ولما لم يكن فى الثانية خطابا قال فيه لانه فى حقه ووصفه فلاوجه لما قيل انه لاوجه لتغاير المتعاقبين ثم اشار الى ان معانى الهداية منها مايختص بالله ومنها مايطلق عليه وعلى غيره فقال (والهداية بالمعنى الاول) وهو التوفيق وخلق الاهتداء (مختص بالله ٢) فانه لايقدر عليه سواه ولذا نفى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هذا المعنى (قال تعالى انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء) وريد بوصفه (وبمعنى الدلالة) بكسر الدال المهملة وفتحها وهى اراءة الطريق (تطلق على غيره تعالى) كالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين العلماء لوقوع الدلالة منهم وقوله تعالى (انك لاتهدى من احببت) نزلت فى ابى طالب عمه لابى العباس عمه رضى الله تعالى عنه كما قيل وكان صلى الله تعالى عليه وسلم حريصا على اسلامه حتى دخل عليه فى مرض موته وقال له ياعماه قل لااله الاالله كلمة احاج لك بها عند الله وعنده ابوجهل وصناديد قريش فقالوا له اترغب عن ملة عبد المطلب وكان آخر ماقال انه على ملة عبدالمطلب فنزلت هذه الآية والشيعة يقولون انه قالها خفية وشهد بذلك فمات مسلما وقد رده الحفاظ وقالوا انه لم يثبت (ومن اسمائه تعالى) التى سماه صلى الله تعالى عليه وسلم بها (المؤمن المهيمن مالهما) واسماء الله

(٢) فالله تعالى مختص بالمعنى الاول نسخه

تعالى (بمعنى واحد) ولفظهما من مادة واحدة لان الهاء عند هذا القائل مبدلة من همزته (فمعنى المؤمن) على هذا القول (فى حقه تعالى المصدق وعده) اى ماوعد به (عباده) فى الدنيا من الثواب ونعيم الآخرة والنصر العزيز فى الدنيا الى غير ذلك من وعد من لايخلف الميعاد (والمصدق قوله الحق) اى الذى صدق ماقاله من الحق كما قال فورب السماء والارض انه لحق (والمصدق لعباده المؤمنين ورسله) اى يصدق ماقالوه او جاعلهم صادقين فى قولهم ملتزمين للصدق فى اقوالهم وعهودهم كما قال الله تعالى (رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) فعلى الاول اللام عنى زائدة وعلى الثانى مزيده للتقوى وتحقيقه ان هذا الاسم سمى الله به نفسه فى القرآن والاحاديث الصحيحة واجمع عليه الامة وهو من آمن يؤمن ايمانا فهو مؤمن اى مصدق فانه كذلك فى لغة العرب واستعمالهم وعلى هذا فقيل معناه مصدق مؤمن عباده اوالذى لايخاف ظلما وقيل معناه الذى يأمن اولياء عذابه قال الشاعر

والمؤمن العائذات الطير يمسحها * ركبان مكة بين الغيل والسند

وقال الحاكم معناه انه اذا وعد صدق وعده وقال الخطابى بعد مافسره بالمصدق انه يحتمل وجوها احدها انه يصدق عباده وعده ويفى بما ضمنه لهم من رزق الدنيا وثواب الآخرة والآخر انه يصدق ظنون عباده المؤمنين ولايخيب آمالهم كقوله انا عند ظن عبدى بى (وقيل الموحد نفسه) بقوله تعالى (شهد الله انه لا اله الاهو) وقوله تعالى (انى انا الله لااله الا انا) فصدق مانطقت به الكائنات وحكته البراهين من توحيده فى الوجود وهذا كله على انه من الايمان بمعنى التصديق وقوله (وقيل المؤمن عباده) كلهم مؤمنهم وكافرهم (فى الدنيا من ظلمه) اى بعده عنه ومارلك بظلام للعبيد (والمؤمنين فى الآخرة من عذابه) معطوف على قوله عباده معمول مؤمن بوزن مفعل بمعنى معطى الامان فعلى هذا هو من الامن ضد الخوف فهو من صفات الافعال وعلى الاول صفة ذاتية لانه راجع للكلام ثم بعد مابين معنى المؤمن شرع فى بيان معنى المهيمن على انه بمعناه فقال (وقيل المهيمن بمعنى الامين) فوزنه مفعيل وهمزته مبدلة هاء واصله مؤيمن ومميمه الاولى مضمومة زائدة ومعناه الامين كما ذكر وفى بعض النسخ بمعنى الامن وهو من طغيان القلم الا ان يراد معنى مادته المأخوذ منها وهو من اسمائه الوارده فى القرآن والحديث واجمعت عليه الامة وورد اطلاقه على غيره تعالى كما سيأتى فى مدح العباس واطلاق على ابى بكر ايضا رضى الله عنه فى قول الشاعر * الا ان خير الناس بعد نبيه * مهيمنه التاليه فى العرف والنكر * ولم يكره وقال ابن الحصار لا نعلم احدا سمى به الا انه ليس فى الشرع مايمنعه وقوله (مصغر منه) اى مصغر من الامين وهو قول ابن قتيبة الا انه رد بانه قول مرغوب عنه لان اسماء الله تعالى لايجوز تصغيرها لايهامه التحقير وان جاء للتعظيم

في قوله * دويهية تصفر منها الانامل * لانه انما جاء فيما يجوز تصغيره فصغر وه تلطفا منهم كما قال و تقدم * ماقلت حبتي من التحقير * بل يعذب اسم الشخص بالتصغير * واما اسماؤه تعالى واسماء انبيائه عليهم الصلوة والسلام فلا يجوز ذلك فيها قطعا وانما هو اسم فاعل من هيمن فهو مهيمن والياء فيه كياء ضيغم وحيدر وليست للتصغير وقد جاء في كلامهم الفاظ على وزنه كمسيطر ومصيطر ومبيطر وهو البيطار ويقال له بيطر ايضا والمدبر بالموحدة من الادبار ومحيمر اسم جبل وهذا الاسماء من النوادر غير متصرف ولم يرد له فعل فلا يقال هيمن يهيمن هيمنة وحكى الخطابي عن بعض اهل اللغة المهيمنة بمعنى القيام على الشيء والرعاية له وذكره ابن الانباري في الزاهر ولعل اسنادا حملوا في معناه على اقوال عشرة * الاول انه بمعنى الامين كما ذكره المصنف رحمه الله (فقلبت الهمزة هاء) لانها اخت منها كما قالوا في اراق هراق وفي اياك هياك وقول المصنف انه مصغر منه اي من مادته ونوعه والا فهو من الامين مصغر مؤمن ويجوز ان يعود ضمير منه الى مؤمن فليس مراده انه تصغير امين كما توهمه عبارته الا انه لظهوره لم يوضح عبارته فلا يرد عليه ماقيل انه سهو منه لان تصغير امين امين بضم اوله وتشديد يائه وجعله شاذا لاداعي اليه واسماء الله لا تصغر والواو زائدة للتكثير ثم ذكر اسما آخر من هذه المادة فقال (وقد قيل ان قولهم في الدعاء آمين) بالمد وقد تقصر اسم فعل كصه ومه قال الحسن معناه استجب او افعل او لا تخيب وامين اذا قال آمين وقائله مجاهد (انه اسم من اسماء الله تعالى) بدل من قوله ان قولهم وقيل اصله على هذا امين بالقصر مبني على الفتح وادخلت عليه همزة النداء وابدلت الثانية الفا ورده ابن قرقول بانه ليس في اسماء الله اسم مبني وقال الراغب عن ابي علي ان القائل بذلك اراد انه فيه ضمير الله لان معناه استجب وقيل انه عبراني وقيل سرياني وقيل لا نعلم اصله (ومعناه معنى المؤمن) اذا كان اسما لله ولذا قيل نبني نقدمه على هذا والكلام عليه مفصل في التفاسير * والقول الثاني في المهيمن ما اشار اليه بقوله (وقيل المهيمن بمعنى الشاهد) اي الحاكم او الذي يشهد على كل نفس بما كسبت وقريب منه الثالث وهو الشهيد (و) الرابع (الحافظ) للموجودات عن العدم حتى يريد عدمه او المحصي لاقوالهم وافعالهم * والخامس انه بمعنى العلي المتعالي * والسادس الشريف وهو قريب مما قبله * والسابع المصدق * والثامن الوالي قاله عكرمة * والتاسع القاضي قاله ابن الزبير * والعاشر الرقيب وفيه كلام في شرح الاسماء الحسنى للقرطبي ثم شرع في ذكر تسميته النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن) اي تسمى بهذه الاسماء الثلاثة التي سمى الله بها وان لم تجد معانيها من كل الوجوه بشهادة حديث اني لامين في الارض وامين في السماء وكان قريش تسميه

صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة محمد الامين كما مر واشار اليه بعد وسيأتى ذكر المهيمن (وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين) ان لم نقل المراد به جبريل عليه الصلوة والسلام كما تقدم اى مطاع امره وامين على وحيه واسراره (وكان يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها) من اهل مكة وطوائف العرب * والفضل ما شهدت به الاعداء * وهذا مؤيد لما قاله لان شهرته بذلك بتقدير الله تعالى واظهاره فلا يرد عليه انه بصدد تسمية الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم لا الناس حتى يقال انه لما اقره ورضى به دل على انه باذن الله تعالى وسمى بالمأمون ايضا كما مر فى قول كعب حين كتب لاخيه بجير فى حال جهاله

سقاك بها المأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا

فلما سمعها صلى الله تعالى عليه وسلم قال مأمون ان شاء الله ان لم نقل المراد به ابو بكر رضى الله تعالى عنه ثم بين تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالمهيمن بقوله (وسماه العباس) ابن عبد المطلب عمه عليه السلام (فى شعره مهيمنا فى قوله) فى الشعر الذى قدمناه مع شرحه (ثم اغتدى (٢) بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق) وتقدم شرحه فانظره (وقيل المراد يا ايها المهيمن) ولولا هذا لم يكن اسما ومرضه المصنف رحمه الله تعالى وبرأسه بعروه وامثاله بقوله (قاله القتبى) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى البغدادى الامام المشهور نسبه لجده توفى سنة ست وسبعين ومائتين وتآليفه كثيرة (والامام ابو القاسم القشيرى) عبد الكريم بن هوازن منسوب لقشير قبيلة وانما مرضه لانه تكلف ضعيف لان المعرف بال لا ينادى وتقدير انها مع تقدير حرف النداء لا يرتضيه نحوى واسهل من هذا ما قيل ان البيت هنا بمعنى العز والشرف كما فى قوله

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه اعز واطول

واذا اعزه وشرفه بالمهيمن كان صفة له على ابلغ وجه لان صفة الصفة صفة ومثل هذه الدقة لا يحتملها الكلام فانه زهره لا تحتمل الفرك (وقال تعالى) فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه مؤمن اى مصدق (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اى يصدق) لعلمه بخلوصهم واللام لتضمينه معنى يذعن ويسلم او مزيدة والآية نزلت فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قالوا فى حقه امرا منكرا وقالوا اذا بلغه ذلك نحلف وننكر فانه اذن اى يصدق بكل ما يسمعه فقال تعالى (قل هو اذن خير لكم يؤمن) الخ (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انا امنة لاصحابى (٣)) هذا طرف من حديث (النجوم امنة فى السماء فاذا ذهبت الى السماء ما توعد وانا امنة لاصحابى فاذا ذهبت اتى اصحابى ما يوعدون واصحابى امنة لامتى فاذا ذهب اصحابى اتى امتى ما يوعدون) يعنى ان النجوم اذا ذهبت قرب وقت فنائها وانشقاقها ولذا كثر سقوطها عند بعثته

(٢) ثم احتوى نسخه

(٣) ووقع فى نسخ المتن هنا « فهذا بمعنى المؤمن » قاله ط

صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة الى قرب الساعة فهو صلى الله تعالى عليه وسلم امان لاصحابه رضي الله تعالى عنهم من وقوع بأسهم بينهم ووقوع الفتن فاذا توفاه الله ابتدأ وقوع ذلك كقصة عثمان وعلى والحسين واصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم امان للناس من ظهور الفساد في البر والبحر فاذا ذهبوا بدأ ظهور ذلك وامنة بفتح الهمزة وضمها مصدر بمعنى الامان او بنيه المبالغة كرجل عدل فيقع على الواحد وغيره قال الراغب يقال رجل امنة وآمنة بثق بكل احد وامين ويؤمن به انتهى ونحوه في الاساس وكونه جمع امين وهو الحافظ خلاف الظاهر للاخبار به عن الواحد وانما ذكره المصنف رحمه الله تعالى تأييدا لما قبله لانه خارج عما هو بصدده من ذكر تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم باسماء الله اذ ليس من هذا القبيل (ومن اسمائه تعالى) التي اطلقت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (القدوس) فعول من القدس وهو الطهارة والنزاهة باتفاق اهل اللغة وهو بضم القاف في الاشهر وان كان الاقيس فتحها وهو لغة فيه وقرئ بها وكل اسم على فعول فهو مفتوح الاول كتنور وسفود الا السبوح والقدوس ومنه القدس بفتح بن لا يقال والعامة تقول له قادوس وظاهر كلام القرطبي في شرح الاسماء الحسنى انه سمع والمشهور خلافه (ومعناه المنزه عن النقائص المطهر عن سمات الحدوث) اى علاماته وآثاره فلا يتصف بشئ منها (ومنه قيل بيت المقدس به) اى من هذه المادة بالمعنى المذكور بيت المقدس بتخفيف ربما مرجع اسم مكان اومصدر ميمى من القدس وهو الطهر وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة من القدس وهو التطهير وجاء بكسر الدال المشددة اسم فاعل ويقال له البيت المقدس بالوصف والاشهر الاضافة قاله الكرماني وقد تقدم (لانه يتطهر فيه من الذنوب) بزيارته والعبادة فيه وروى النسائي باسناد صحيح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان سليمان بن داود عليهما الصلوة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالا ثلاثا حكما يصادف حكمه وملكا لا ينبغي لاحد من بعده وان لا يأتي بيت المقدس احد لا يريد الا الصلوة فيه يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه فاعطى جميع ذلك انتهى ولذا تشد اليه المطى كما تشد الى الكعبة ومسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ومنه الوادى المقدس) المسمى طوى وهو واد بالطور كلم الله فيه موسى عليه الصلوة والسلام سمى به لان الله تعالى قدسه وشرفه بالظهور كلامه فيه وهو من الارض المقدسة ايضا فهو ظاهر مبارك وقد فسر المقدس بالمبارك ايضا (و) منه (روح القدس) بضمتين وضم فسكون كما مر وهو جبريل عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى (قل نزله روح القدس) لنزوله بما يطهر النفوس من القرآن والحكمة والفيض الالهى وهذا هو الاصح وفيه وجوه اخر (ووقع في) بعض (كتب الانبياء)

المنزلة من عند الله تعالى عليهم (في اسمائه عليه الصلوة والسلام المقدس) هذا هو الصحيح وما في بعض النسخ من انه القدوس من غلط الناسخ فانه لا يجوز ان يقال في حق مخلوق القدوس مطلقا (اى المطهر من الذنوب) لعصمة الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم من التدنس بها ومغفرتها لو فرض وقوع شئ منها يسمى ذنبا بالنسبة له صلى الله تعالى عليه وسلم (كما قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وقيل المراد ما تقدم من ذنوب امتك وما تأخر منها كما سيأتي بيانه وخوطب لانه سبب المغفرة (او الذى يتطهر به من الذنوب ويتنزه) بناء المجهول فيهما والتنزه التبعد ولذا اخره لاشعار التطهير بالوقوع وقوله (باتباعه عنها) متعلق بيتنزه والباء سببية لان من اتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم واتبع شرعه المطهر لا يرتكب الذنوب وان ارتكبها غفرت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (كما قال) الله تعالى (هو الذى بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم ما يزكيهم عن الآثام (وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور) اى من الكفر والمعاصي الى الايمان وتقوى الله وطاعته بارشادهم وتوفيق الله لهم ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ففيه استعارة تصريحية (او يكون مقدسا) الموصوف به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة) بالمعجمة اى المذمومة (والاوصاف الدنية) الحقيرة التي لا تليق بجنابه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الشرح الجديد هنا ما يركه خير منه (ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع) الذى لا ينال ولا يدرك والعرب تقول حصن عزيز اذا كان لا يوصل اليه قال الهذلي في العقاب

حتى انتهت الى فراش عزيزة * سوداء روثة انفها كالمخصف

كذا قاله القرطبي نقلا في شرح الاسماء الحسنى وهذه صفة ذاتية وقوله (الغالب) القاهر من صفات الافعال وكان ينبغي له ان يقول او الغالب لانه معنى آخر صرحوا به في شرح اسماء الله والجمع بينهما على انه مركب من نعت حقيقي ونعت سببي كما قيل خلط وخبط يعرفه من نظر شرح القرطبي لاسماء الله الحسنى ثم ان اطلاق الغالب على الله لم يأت في عداد الاسماء وورد في قوله (والله غالب على امره) اى الفعال في مخلوقاته ما يريده احبوا او كرهوا وفي التنزيل (كتب الله لاغلبن انا ورسلي) وقال الحاكم الغالب والطالب جرت عادتهم باستعمالهما في اليمين اى الممتنع اى الممهل فانه يمهل ولا يهمل وهو على الامهال بالغ امره انما يملى لهم ليزدادوا اثما (او الذى لا نظير له) هذا معنى آخر قال الخطابي العزة تكون بمعنى نفاسة القدر يقال منه عز يعز بكسر العين فيتناول معنى العزيز على هذا انه لا يعادله شئ وانه لا مثل له انتهى وبما سمعته من تفسير العزيز ظهر ان ما قيل انما انحصر في فرد كالشمس والقمر داخل فيه فيحتاج لزيادة قيود اخر ليس بشئ (او المعز لغيره) فهو فعيل بمعنى

مفعل وهو عزيز في العربية ولذا اخره المصنف يعني انه لاعزيز الا من اعزه فالعزة له وبيده لابيد غيره ولذا صح الاستشهاد له بقوله (وقال الله تعالى ولله العزة ولرسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم والاية نزلت في حق المنافق ابي بن سلول حيث قال (ليخرجن الاعز منها الاذل) يعني بالاعز نفسه وبالاذل المسلمين فرد الله عليه على طريق القول بالموجب ثم نفاها عنه بتقديم الخبر هنا فلا يتوهم ان انحصار العزة في الله لايقتضي انه معز بل معزز بالفتح وقد جوز في الاسم الشريف ان يكون المعزز المعظم وقد يقال يكفي في كونه معزا اثبات العزة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين وانه محل الاستشهاد (اي الامتناع وجلالة القدر) معطوف على ماقبله لانه بمعنى العزة عدم النظير وتقديره وزيادة المصنف لما ذكر اندفع ما تقدم ايضا وقال الحرالي العزيز من العباد من يحتاج اليه في المهم وهو الحوزة الاخروية وهو مما يعز وجوده وهو مرتبة الانبياء والخلفاء وورثتهم من العلماء المرشدين وذوي العدالة من الحكام ثم ذكر اسما للرسول ووصفه بها الله لاعلى طريق الاسمية فقال (وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة) الاول بكسر اوله والثاني بفتحه والبشارة الخبر السار سمي به لانه يؤثر في بشرة الوجه ولذا لوقال لعبده من بشرني بقدوم زيد فهو حر فاخبروه على ترتيب عتق الاول ولو قال من اخبرني عتق الجميع كما ان النذارة الاعلام بما فيه وعظ وتخويف وقوله (فبشرهم بعذاب اليم) تهكم كما مر (فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه) اسمه المسيح عيسى ابن مريم ومن يكتفي بوجود المادة يجوز ان يسمى الله مبشرا ومنذرا ومنه يكتفي في كونه توقيفا والاشعري رحمه الله تعالى يقول لابد من وروده بعينه (وسماه الله تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته) بما يسرهم في الدنيا والاخرة (ونذيرا لاهل معصيته) بما يسوءهم من العقاب ونحوه (ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم انهما من اسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وشرف وكرم وتقدم الكلام عليه مفصلا فلا حاجة لاعادته ﴿تنبيه﴾ في فتاوى السبكي رحمه الله تعالى في قوله تعالى في سورة الاسراء انه هو السميع البصير ان الضمير في قوله انه يعود على الله تعالى وقد ورد في اربعة مواضع من القرآن وقال بعضهم ان الضمير هنا يعود على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويكون هذان الاسمان من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعنى وصفه بهما انه الكامل في السمع والبصر اللذين يدرك بهما الآيات التي رآها وهو تدبر والانذار العقل واعظم الحواس الموصلة الى العقل السمع والبصر فلي هذا وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك لانه لااحد اكمل منه في الانذار والاستدلال انتهى * اقول يعني

ان وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بهما هنا على هذا وقع بطريق الحصر المستفاد من تعريف الطرفين وسيق للمدح وهو امر عام فعسره بما يخصصه به وبصره مدحاله ولاحاجه لهذا مع بعده فانه قد تبين توجيه اظهر منه وهو السيع الكلام الله تعالى من غير واسطة والناظر الى نور جماله وجلاله بعين بصره وهذا مما اختص به صلى الله عليه وسلم ﴿فصل قال القاضي ابو الفضل﴾ عياض المؤلف (رضي الله عنه وههنا نكتة) وفي نسخة وها انا اذكر نكتة وهاء حرف تنبيه والاكثر وقوع اسم الاشارة خبرا عن المبتدأ الواقع بعدها نحو ها انا اقول وقد لا يؤتى به كما صرحوا به فمن خطأه لازما واعترض على المصنف رحمه الله تعالى لم يصب والنكتة بضم اولها وفتح المثناة الفوقية هي الامر الدقيق المحتاج الى فكر وتأمل سميت بها لان صاحبها كثيرا ما يحث في الارض بقصب ونحوه وهو بمعنى النكتة (اذيل بها هذا الفصل) اي اختمه بها واطوله وتكون كذيل الثوب الذي يطول به وفي حديث مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه انه كان في الجاهلية يرفل في البرد ويذيل عنه اليمن اي يطيل ذيلها والتنبيه بردين من برود اليمن فيه استعارة تصريحية تبعية وانه اشار بقوله (واختم به هذا القسم) الذي فيه ذكر الاسماء (وازيح الاشكال بها فيما تقدم) اي ازيل ما يشكل على سامعه (عن كل ضعيف الوهم) قيل المراد بالوهم الذهن والادراك لا القوة الواهمة المعارضة للعقل فان ضعفها بقوة العقل المزيل للاوهام والاشكال وقوله (سقيم الفهم) كالمفسر له وسقمه بمعنى فانه فهو استعارة وتعبيره في الاول بالضعف وفي هذا بالسقم تفنن حسن والوهم بسكون الهاء وفتحها (تخلصه من مهاوي الشبهة) بكسر الواو جمع مهواة وهي كالهاوية الحفرة العميقة التي من يقع فيها يصعب طلوعه ومن اضافة المشبه للمشبه به كلجين الماء اوهي تخييلية ومكنية والمراد بالشبهة شبهة الله وصفاته بغيرها لان اطلاق بعض الاسماء على الله وعلى غيره يقتضي ذلك (وتزحزحه) اي تزيله وتبعده قال تعالى ﴿فمن زحزح عن النار﴾ (عن شبه التمويه) اي الشبه بزنة غرف جمع شبهة وهو ما يلتبس واصله ما لا يتميز عن غيره لما يشبهما من المشابهة والتمويه من الماء والمراد به زخرفة الكلام الذي لا حقيقة له وتحسينه حتى يروج على من لا علم عنده وهو استعارة قال في الاساس سرج مموه مطلي بالذهب او الفضة وحديث مموه مزخرف وما احسن موهة وجهه بهاؤه ورونقه اسهي واعاسمي تمويها لانه يذاب حتى يصير كالماء ويقال موه عليه الخبر اخبره بخلاف ما سأله عنه (وهو) عائد على ما فهم مما تقدم وهو ما يزيل الاشكال ويزيح الاوهام والعجب ممن اعاده على ضعف الوهم وسقم الفهم (ان يعتقد ان الله جل اسمه) اي عظم وتنزه عن الالحاد في اسمائه بالتأويلات الباطلة ولهذا صار قوله هنا جل اسمه بحرزه

وطبق مفصله (في عظمته وكبريائه) الكبرياء الترفع عن الانقياد والعظمة جلالة ذاته في نفسها ولظهور الاولى ورد في الحديث (الكبرياء ردائي والعظمة ازاري من نازعني في شيء منهما قصمته) والفرق بينهما وبه فصل لبس هذا محله والجار والمجرور متعلق بما يأتي من قوله لا يشبهه الى آخره وقيل انه حال لازمة من ضمير اسمه اي منصفا لهما وعما بعدها وكنى بالظرفية عن تمكنه فيهما من غير تصور ظرفية واستقرار ففيه استعارة تبعية او هو ظرف مستقر كانه تمكنه وانفراده بأعلى مراتبهما فيهما انتهى وفيه تكلف (وملكوته) اي عظيم وعز سلطانه وهي كلمة مبنية مبالغة من الملك كالجبروت وقد تقابل بالملك فيراد به عالم الغيب وبالملك عالم الشهادة وكلا المعنيين صحيح هنا (وحسنى اسمائه) اي اسماؤه الحسنى ووصف بالحسنى لدلالتها على احسن المعاني وامدحها فهي صفة كاشفة لا مخصصة ومنها ما يختص به كالخالق وما يطلق عليه وعلى غيره ولها تقاسيم اخر (وعلى صفاته) بضم العين وفتح اللام مقصور جمع عليا وهي الشريفة الرفيعة وروى على فتح العين وكسر اللام وتشديد الياء وهما بمعنى (لا يشبهه شيء من مخلوقاته) بالياء الفوقية اي المذكورات من لفظ العظمة وما بعده وهو خبران وما بعده متعلق به او حال مما قبله وليس معترضا كما قيل (ولا يشبه به) مبني للمجهول بضم الفوقية مشددا الياء الموحدة ويجوز ضبطهما بالتحتية اي معاني اسمائه وصفاته لا يشابه غيرها بوجه من الوجوه لقدمها وكونها على اعظم رتبة لا يتصل اليها غيرها وهو جواب عن سؤال وشبهة نشأت مما تقدم تقديره ان بعض اسمائه تعالى اطلق على نبيه صلى الله عليه وسلم وغيره فيلزم مشاركته عبده له فيها كما قال (وان ما جاء) من اسمائه تعالى (مما اطلقه الشرع) في القرآن والاحاديث والكتب الالهية (على الخالق وعلى المخلوق) كشكور وجليل وغيره مما تقدم واعاد الجار اشارة الى تغايرهما وان اتحد لفظهما (فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي) الذي هو مأخذ الاشتقاق من الشكر والجلال قال العلامة ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد اسماؤه تعالى التي تطلق عليه وعلى غيره كسميع هل هي حقيقة فيه مجاز في غيره او مجاز فيه حقيقة في غيره او حقيقة فيهما ثلاثة اقوال والاسماء الحسنى منها ما هو علم وصفة والوصف فيها لا ينافي العلمية بخلاف المراد فانها مشتركة اسمي وهو كلام مشكل فان منها ما هو حقيقة قطعا كالاله والخالق ومنها ما هو مجاز كالرحيم فان الرحمة رقة القلب وقد صرحوا بانه اطلق عليه باعتبار غايته الا ان يقال انه حقيقة شرعية فان تغايرها باعتبار الصفات كالقدم والحدوث لا يستلزم اشتراكهما بل كونها مقولا بالتشكيك فقوله (ادصفات القديم بخلاف صفات المخلوق) لاسم دالا على مدعاه (فكما ان ذاته لا تشبه الذوات) اي حقيقة ونفسه ومن ذهب الى ان الذات لم يرد بهذا المعنى ينكر دخول ال عليه

الا ان السلاطين تحب ه و بشهد له قولهم الدوس للملوك الجن وقوله تعالى دوانا افنان (وكذلك سماته لانه ه صفات المخلوقين) وكون ذاته لا نشبه شيئا من الذوات هو الحق الذي ذهب اليه الاشعري وغيره من المتكلمين خلافا لمن ذهب الى انها تشبه غيرها في الحقيقة وان امتازت بالوجوب والالوهية وغيرها وتفصيله في الكتب الكلامية واعلم ان في اطلاق لفظ الذات على الله تعالى شرعا ولغة خلاف وقيل انه غير صحيح لانه مؤنث ذو ودخول ال عليه غير صحيح لغة وقال السهيلي ذهب كثير الى اطلاقها عليه وجواز تعريفها لانها بمعنى النفس والتأنيث غير مراد ويقولون بان البارى بمعنى حقيقته ويحتجون بما ورد في الحديث الصحيح ثلاث كذبات في ذات الله تعالى وقول حبيب رضى الله تعالى عنه

وذلك في ذات الاله وان يشأ * يبارك على اوصال شلو ممزع

وقد اثبت ذلك البخاري واحمد في مسنده وقال ابن القيم وابن قدامة ليست هذه اللفظة كما زعموا في اللغة وانما شرع بالاستقراء ولم يرد الا مجرورا بفي والطريقة غير صحيحة وهي صفة لمؤنث مقدر ومعناها طاعة الله وشريعته كما قال النابغة * مجالهم ذات الاله * ودينهم * ومن فسره بغير ذلك فقد وهم وتدبر (اذ صفاتهم لا نفك عن الاعراض والاعراض) الاول بعين مهملة والثاني بغين معجمة او العكس ثم راء مهملة وصاد معجمة فيهما فالاول جمع عرض بفتحتين وهو ما يقابل الجوهر اى لا تقوم بذاته او بمعنى كالمرض ويكون بمعناه ايضا لان ما يعرض للبدن ان استمر فهو مرض عند الاطباء والا فعرض ويطلق كل منهما على الآخر والثاني هو الامر الباعث على وجود الفعل وايجاده وهذا انما لم يكون ذات الله تعالى وما يتعلق بها لا تشبه شيئا من المخلوقات فان الخلق وصفاتهم لا تنفك اى لا تفارق الاعراض والله تعالى منزه عن الاعراض المحسوسة والكيفيات النفسانية لانها تابعة للمزاج المستلزم للتركيب المستلزم للحدوث المنافي لوجوب الوجود الذاتي خلافا للحكماء والكرامية وافعاله تعالى لا تعلل بالاعراض وان كان انها غرات وحكم كثيرة جاءته وهي تسمى غرضا ايضا ولكنه ليس محل خلاف وذهب النسفي وبعض المحققين الى جوازه والخلاف فيه لفظى فان الغرض ان كان ما يستكمل به الفاعل ويحتاج اليه فهو منفي عنه والا فيجوز اثباته خلافا للحكماء وليس هذا محل بسط الكلام فيه وفي كلامه تجنيس (وهو تعالى منزه عن ذلك) فلا يحل به عرض ولا يفعل لغرض (بل لم يزل) موجودا ازلا وابدا (بصفاته واسمائه) الدالة على ذاته وصفاته فهي قديمة اما صفاته الذاتية فلا كلام في قدمها وفيها ما هو عينه ومنها ما هو غيره اولا عينه ولا غيره عند الاشعري واما صفات الافعال كالاحياء والاماتة والخلق فاختلف فيها فقيل انها قديمة والحادث تعلقها عند الماتريدية والمصنف رحمه الله تعالى يتبعهم هنا وقيل انها حادثة

ادهي اضافات تعرض له ولا محذور فيه كما حققه المتكلمون وصفاته السلبية قديمة
ايضا واسماؤه على ماذكره قديمة ايضا لانه تعالى سمى نفسه بها في كلامه وهذا
بناء على قدم الكلام اللفظي وهو مذهب السلف وبعض الخلف كالشهرستاني
(وكفى بهذا) اي يكفي في اثبات كون ذاته وصفاته واسمائه لايشبهه شيء فيها (قوله
تعالى ليس كمثله شيء) فانه صريح فيه سواء قلنا ان مثله كناية عن ذاته كقولهم مثلك
لايبخل والكاف غير زائدة او قلنا انها زائدة وفي الفرق بين مثله وكمثله ان الاول يدل على
المشابهة من سائر الوجوه وكمثله يدل على المشابهة بوجه ما (ولله در من قال من العلماء
العارفين المحققين) الدر بفتح الدال وتشديد الراء المهملتين اصل معناه اللبن الحالب
ويتجوز به عن الخير والعمل الصالح واللام في لله للتعجب وكذا يستعملونه فيقال لله دره
للثناء عليه والتعجب من محاسنه ولم يقولوا لله هو لانه ابلغ غرابة تعجبهم من لبن او نعمه
كما قال لله ابوه ولله وامه واضافوه لله اشارة الى انه لايقدر عليه سواه واراد بالعارفين مشايخ
الصوفية المستحكمة عنهم فان العارف مخصص في العرف باولياء الله تعالى (التوحيد
اثبات ذات) وهي ذات الله تعالى (غير مشبهة للذوات) جميعها بوجه من الوجوه
(ولا معطلة من الصفات) اصل معنى العطل فقد الزينة والشغل والمراد به الذي
هنا اي غير منفي عنها الصفات كما تقول المعتزلة هربا من تعدد القدماء والمحذور
تعدد ذوات قدماء لاذات وصفات وفيه نفيه للصفات بالزينة (وزاد هذه النكتة)
وهي معنى التوحيد الذي قاله المشايخ (الواسطي) تقدمت ترجمته (بيانا وهي) اي
الزيادة التي زادها فهو عائد على مافهم مما قبله (مقصودنا) لا لانها على ماعقد
له هذا الفصل (فقال ليس كذاته ذات) اي ليس كحقيقته حقيقة فلا تشاركه بوجه
من الوجوه اذ لو شاركه لزم امر آخر يميز ذاته عن ذات غيره والا لاتحدا وهذا
يستلزم التركيب والحدوث (ولا كاسمه اسم) اي لايشبه مدلول اسمه مدلول اسم آخر
كما مر (ولا كفعله فعل) لانه في غاية الكمال والاتقان وليس لغرض ولا عبثا
كما مر (ولا كصفته صفة) لانها عظيمة قديمة وغيرها ليس كذلك (الامن جهة
موافقة اللفظ اللفظ) في بعضها كسميع وبصير وحي فان ذلك في حقه ليس مثله
في غيره وان كان اللفظ متحدا لما اشتهر وصحح فقال (وجلت الذات القديمة) اي
عظمت وتعالت وتنزهت عن (ان تكون لها صفة حديثة) اي محدثة موجودة
بعد العدم لانها ان كانت صفة كمال لزم خلو الذات عنها قبل وجودها وهو
نقص لايليق بكماله والا استحال اتصافه بها وهذا مبني على قدم صفات الافعال
كما تقدم (كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة) لامتناع وجود صفة
قبل موصوفها (وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة) الماتريدية فالجماعة
اذا اطلق فالمراد به هؤلاء دون غيرهم من الفرق الضالة المضلة (وقد فسر الامام

ابو القاسم القشيري) تقدمت ترجمته (قوله هذا) اى قول الواسطي السابق (لنزيده بيانا) وايضاحا على ايضاح (فقال هذه الحكاية) اى المحكي المنقول عن الواسطي (تشتمل) وفي نسخة اشتملت (على جوامع) اى امور جامعة مستوفية (مسائل التوحيد) وهو اعتقاد ان الله تعالى واحد في ذاته وصفاته لا مثل له ولا ضد ولا ند ولا شريك له في الوهيته واستحقاقه للعبادة (وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات) بفتح الدال المهملة اى الامور الحادثة (وهي بوجودها مستغنية) مستقلة غير محتاجة ومستندة لغيرها لوجوب وجودها وكونه عين ذاتها والا كانت ممكنة (وكيف يشبه فعله فعل الخالق) في حقيقته ولوازمه وكماله (وهو) اى فعله (لغير جلب) بفتح الجيم وسكون اللام وفتحها وباء موحدة وهو التحصيل واصل معناه السوق (انس) اى استئناس ودفع وحشة لاستغنائه عن الانس والجلاس (او دفع نقص حصل) اى ليس شيء من افعاله لمنفعة له بل كله لمنفعة عباده فانه الغني المطلق (ولا بخواطر واغراض) والباء سببية وفي نسخة لخواطر باللام التعليلية واغراض بغين معجمة اى ليس شيء من افعاله تعالى لخواطر تطرأ عليها وباعث يدعوه لفعله كما تقدم وفي نسخة ولا بجواهر واعراض بالمهملة والصحيح رواية ومعنى الاول وهذا تحريف من النساخ وان احتمل رجوع الجواهر لذاته والاعراض لافعاله على ما فيه وقوله (وجد) ماض للمجهول كما قاله البرهان ووقع في مقابلة قوله حصل اى ليس لدفع نقص حاصل ولا لخاطر وعرض موجود وفي بعض الشروح بكسر الجيم وتشديد الدال اى ليس فعله باجتهاد وجد منه والذي غره قوله (ولا بمباشرة ومعالجة) الآن قوله (ظهر) يأباه فان الافعال الثلاثة فيها ضمير عائد على الفعل فان معناه ليس فعله لدفع نقص حصل له او لخاطر وعرض وجد في نفسه ولا بكد ظهر وقت فعله وقد وقع كل من الافعال الثلاثة في محله فوصف النقص بحصل لانه طار عليه ووصف الخاطر بانه وجد بغتة في نفسه كما هو شأنه كما ان شأن المباشرة كونها محسوسة فهذا ناش من عدم تأمل كلامه والمباشرة فعل الشيء بنفسه ومزاولته بجوارحه والفعل ضربان بمباشرة وتوليد كأنه يمس بشرته وظاهر بدنه والمعالجة المباشرة بجد وقوة يقال اعتلجوا اذا التطموا اى ليس فعله كفعل غيره بعلاج واعمال وانما هو بارادته من غير شيء من ذلك (انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون) (وفعل الخالق لا يخرج عن هذه الوجوه) المذكورة من جلب نفع ودفع ضر واغراض ومباشرة ومعالجة (و) قد (قال آخر من مشايخنا) جمع شيخ والشيخ من كبر سنه وفي العرف من تصدر للافادة لانه انما يحصل بانفاق العمر وله جموع منها مشايخ على الاصح وقال بعض اهل اللغة انه لا اصل له ولم يسمع في كلام العرب ورد بانه سمع كما في شرح الفصيح (ما توهمتموه باوهامكم) اى كل شيء واقع في اوهام الناس انه حقيقة الباري ليس كما توهمتموه (او ادركتموه بعقولكم) اى تصورتموه وعلمته عقولكم (فهو محدث مثلكم) لان

الاوهام والعقول مألوفة بادراك ماتشاهده فتظن ان الله تعالى جل وعلا مثله وتقيس
الغائب على الشاهد والله تعالى اجل من ان يحيط به ادراك المدرك للامور
المحدودة المتناهية وهو تعالى منزه عما يلحق به مما الفته النفس من المدركات وليس
المراد انه لاتدرك ذاته وصفاته بوجه ما فانه معلوم بالعقل الصحيح والبراهين القاطعة
فالمراد انه لا يدرك كنه ذاته وصفاته ومعنى اسمائه بكنهه ولم نكلف بهذا وانما
كلفنا بمعرفة ذاته وصفاته ووحدانيته وانه لارب ولامعبود سواه (وقال الامام
ابو المعالى الجوينى) امام الحرمين عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجوينى
النيسابورى ابو المعالى امام الائمة شرقا وغربا وفريد دهره نخبة الطلاب وتكاد تطارد
صاحب المصنفات والتآليف الجليلة ولد فى ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة واربعمائة
فى خامس وعشرين من ربيع الثانى وتوفى بقرية الحلم من نواحى نيسابور وهو
شيخ الغزالى وغيره (من اطمأن) بطاء مهملة ساكنة ونون وهمزة مفتوحة
ونون مشددة بمعنى سكن بعد انزعاج اى قر وسكن بعده بعد الشك والشبه
(الى موجود انتهى اليه فكره) اى ظن امرا موجودا على هيئة معنى ارتسم
فى ذهنه اناه الله (فهو مشبه) اى معتقد لتشبيه الله تعالى بغيره مما فى خزانة فكره
وهو خطأ لانه ليس كمثله شئ وفكره انما هو مدركاته المشاهدة فاعتقد التشبيه
فيها واخطأ فقوله اطمأن عن الوسوسة فانها لم تنشأ الا لعدم ركون النفس اليها
(ومن اطمأن الى النفى المحض) الخالص بان نفى ذات البارى حقيقة اوحكما كالفلاسفة
القائلين لا يصدر عن الواحد بالذات الا واحد (فهو معطل) بان لاصانع فهم
الدهرية القائلون بالطبائع الى غير ذلك مما لا يصدر عن عاقل (وان قطع) اى جزم
(بموجود) الا واجب الوجود (اعترف بالعجز عن درك حقيقته) بسكون الراء وقد
تفتح اصله من اللحوق ثم صار بمعنى العلم كالادراك لوصول العقل اليه اى عجز عن علم
كنهها (فهو موحد) لانه عرف الله ووحده واعترف بانه لايقدر على معرفة كنهها
وهذا الوجه الصحيح قال الراغب وروى عن ابى بكر رضى الله عنه انه قال يا من غاية
معرفته العجز عن معرفته اذ كان غاية معرفته ان نعرف الاشياء فنعلم انه ليس شئ
منها ولا مثلها بل هو موجد كل ما ادركناه انتهى (وما احسن قول ذى النون المصرى)
الزاهد العارف بالله تعالى ابو الفيض ويقال ابو الفياض واسمه ثوبان بن ابراهيم
الاخميمى كان ابوه نوبيا توفى رحمه الله تعالى سنة خمس واربعين ومائتين وكان
عالما بالعلوم والخطوط القديمة وحسب انه قرأ من خط قاسم * تخبر بالنجوم ولست
تدرى * ورب النجم يفعل ما يشاء وقال رحمه فى الميزان (حقيقة التوحيد ان تعلم
ان قدرة الله فى الاشياء) اى فى ايجادها وارادتها (بلا علاج) اى بلا معالجة ومكابدة
واستعمال آلة (و) ان (صنعه لها بلا مزاج) المزاج اى كالمزج الخالط ومايركب
منه البدن من الطبائع وهى الاخلاط الاربعة من العناصر المماسة بحيث تنكسر سورة

كل منهما صورة الآخر وهو بالمركبات العنصرية والمراد ان ايجاده لها لا يحتاج الى مادة ومعاونة تركيبه منها بل قدرته تعالى العلية اوجدته ابتداء من العدم بعد ان لم يكن بمجرد قوله كن فيكون فلا يحتاج الى شيء من العلل الاربع كما اشار اليه بقوله (وعلة كل شيء صنعه) بمجرده ومجرد قدرته (ولا علة لصنعه) نفيه في ايجاده اذ افعاله تعالى لا تعلل بالاغراض (وما تصوره وهمك فالله بخلافه) فان ذاته لا تشبه الذوات وافعاله لا تشبه افعال غيره فهو منزه عن ان تتصوره الاوهام (وهذا كلام عجيب نفيس محقق) من النفاسة وهي الشرف وعلو القدر (والفصل الاخير) من كلام ذي النون وهي الفقرة الثالثة اعني قوله وما تصوره وهمك فالله بخلافه (تفسير لقوله) عز وجل اي بمعنى قوله (ليس كمثله شيء) فان ما لا مثل له لا يرتسم في الوهم (والثاني) اي الفصل الثاني وهو قوله وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه (تفسير) وبيان (لـ) معنى (قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسألون) فانه لا علة لفعله حتى يقال له لم فعلت كذا بخلاف غيره من عبيده المكلفين (والثالث) في العدد وهو الاول اعني قوله حقيقة الوحدانية ان تعلم ان قدرة الله في الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا امتزاج (تفسير لقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) وفي كلامه لف ونشر غير مرتب وهذا تمثيل لسرعة الايجاد والتسخير (ثبتنا الله واياك على التوحيد) اي على العقيدة الحقة في اعتقاد وحدانية الله تعالى في ذاته وانفراده بجميع شؤونه (والاثبات) اي اثبات ما اثبته لذاته لذاته وصفاته لصفاته وليس المراد اثبات واجب الوجود المنافي للتعطيل فانه معلوم من التوحيد الا ان يريد تجريد التوكيد (والتنزيه) لذاته وصفاته عما لا يليق بها (وجنبنا) اي بعدنا (طرفي الضلالة والغواية من) طرفي (التعطيل والتشبيه (٢)) من تشبيه واراد بالضلالة التعطيل وبالغواية ادعاء التشبيه والتجسيم وجعل الاعتقاد الحق طرفين افراط وتفريط والوسط هو الصراط المستقيم والدين القويم وهذا كالاستدلال على ان ما اطلق على الله وعلى غيره ليس لاشتراكهما في حقيقة المدلول والمسمى كما مر بيانه مبسوطا ولما كانت هذه النسخة بين تفاوت كبير لهم عما اعتادهم اردفه بما يتم به التمييز وهو المعجزات فقال

﴿ الباب الرابع ﴾

من القسم الاول (فيما اظهره الله على يديه) صلى الله عليه وسلم مما على البديهة اوضح وفوقها فكيف به عما كان مشاهدا (من المعجزات) وهي الامور الخارقة للعادة التي يظهرها الله تعالى على يد انبيائه عليهم الصلوة والسلام لالزام من كذبهم اذا عجزوا عن الاتيان بالمثل وهذا هو الفرق بينها وبين الكرامة وليس الفرق ان المعجزة للنبي والكرامة للرسل كما قيل فان الكرامة تكون للنبي ايضا كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وشرفه به من الخصائص والكرامات) اي ما خصه الله تعالى به واكرمه مما لم يكن لغيره والفرق بينها وبين السحر ليس ادعاء النبوة فان الساحر قد يدعيها كاذبا بل انها امر الهي ليس من اقوال العزائم ونحوها من تسخير الكواكب كما يدل عليه قوله اظهره الله وهي دالة على

(٢) نسخة وفصله ورحمه نسخه

صدقه في دعوى النبوة وما كان قبل البعثة فهو ارهاص اي تأسيس للنبوة وادخلها بعضهم
في المعجزة قال الزركشي في البحر اختلف في دلالتها فذهب القشيري الى انها وضعية ومادل
وضعا يجوز ان يتبدل واختار الامام في الارشاد وابو اسحق انها عقلية وقال الآمدي
في ابكار الافكار الذي ذهب اليه المحققون ان دلالة المعجزة على صدق الرسول ليست
دلالة عقلية ولا سمعية اما الاول فلان ما يدل عقلا يدل بنفسه ويرتبط بمدلوله لذاته
وقد تقع الخوارق عند تصرم الدنيا مع عدم دلالته على تصديق مدعي النبوة فانه
لا ارسال ولا رسول اذ ذاك واما الثاني فلان الدلالة السمعية تتوقف على صدقه
فلو توقف صدق الرسول عليها كان دورا بل دلالتها على صدقه عن خارج عن
الدلالات الوضعية النازلة منزلة قول الله تعالى صدق عبدي انتهى وفيه بحث (قال
القاضي ابو الفضل) عياض المؤلف (رضي الله تعالى عنه حسب المتأمل) بسكون
السين اي يكفيه او كفايته والمتأمل هو المفكر الناظر نظرا صحيحا (ان كتابنا هذا
لم نجمعه) اي لم نؤلفه (لمنكر نبوة نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم ممن كفر به
(ولا لطاعن في معجزاته) اي معترض ومعارض معاند في ثبوت بعضها وان كان مظهرا
الاسلام كبعض الزنادقة واصل الطعن الرشق بالسنان ونحوه فاستعير لتعييب الناس
وذمهم يقال طعنه يطعنه بالضم والفتح وقال ابن بري الاكثر في طعن بالسلاح بضم عين
المضارع وفي القول فتحها ونقله بعضهم عن غيره من الائمة فتأمله (فنحتاج) بالرفع
على الاستئناف او النصب في جواب النفي بناء على رأي من جوزه مستدلا بقوله

لم الف بعدهم حيا فاخبرهم * الا يزيدهم حبا الي هم

وقد منعه بعض النحاة وهم نحاة المغرب (الى نصب البراهين عليها) اي على اثباتها
بالادلة القاطعة الملزمة لمن انكرها اوطعن فيها ونصبها اقامتها وايضاحها
من قولهم نصب رأيا اذا اشار اليه بان لا يعدل عنه كما في الاساس (وتحصين حوزتها)
بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الزاي المعجمة وهي الناحية والجانب وتحصينها
جعلها حصينة محفوظة كأن عليها حصنا يحميها وفيه استعارة تمثيلية تخييلية بجعل
المنكر كالعدو القاصد لخراب المملكة ويقال حمى حوزة وبيضة بلده اذا حفظ جوانبه
ومايلزمه حفظه (حتى لا يتوصل المطاعن اليها) جمع مطعن وهو الطعن والرد
بالاباطيل الفاسدة التي تصدر عن اهل الالحاد وضمير اليها للحوزة او للمعجزة والاول
اولى والمنع لان عدم الوصول الى الحوزة يستلزم عدم الوصول اليها (ونذكر شروط
المعجزة والتحدي) بفتح المثناة الفوقية المشددة والحاء المهملة وكسر الدال المهملة
المشددة وياء تحتية وهو طلب المعارضة واصله تقابل الحاديين في حداء الابل (وحده)
معطوف على نحتاج الداخل في حيز النفي وحده بمعنى تعريفه صوب كقوله (وفساد قول
من ابطل نسخ الشرائع ورده) اي لا نذكر فساده ورده معطوف على فساد اوماص

(معطوف)

معطوف على ابطل اى لم يجمعه لاجل شئ من ذلك حتى يحتاج الى ذكر ما يدفعه ويقيم الحجة على بطلانه كما هو دأب المتكلمين ان يقدموا قبل مباحث اثبات النبوة وذكر المعجزات مبحث ابطال قول المنكرين للنسخ لعدم فرقهم بينه وبين البداء وهم اليهود الذين تمسكوا بذلك فى ابطال نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ونبوة عيسى عليه الصلوة والسلام لما بايديهم عن التورية ما يدل على تأبيد شريعة موسى عليه الصلوة والسلام مع وقوع النسخ فيها كما فصل فى كتب الاصليين (بل الصفاء لاهل ملته) اى انما الصفاء لاهل ملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من المؤمنين به (الملبين لدعوته) بالباء الموحدة المشددة اى القائلين له اذ دعاهم صلى الله عليه وسلم للتوحيد والدين الحق لبيك وهو عبارة عن اطاعته وتصديقه ولذا قال (المصدقين لنبوته) لاقرارهم واعترافهم بكل ما جاء به ولا يقال ان جميع التأليف الاسلامية كذلك فانه ليس شئ من بين الداعى لتأليفه فقال (المكونة كذا فى نسخة بهم له) صلى الله عليه وسلم دفعا لما عسى ان يقال ان المؤمنين غير محتاجين له مع اعترافهم واقرارهم بذلك فاجاب بانه مؤكد لحبهم له صلى الله عليه وسلم (منماة لاعمالهم) بالنون من النمو بمعنى الزيادة مصدر او اسم محل اى تزيدهم رغبة فى اعمالهم الصالحة او تبلغهم الاعمال او تبلغ اعمالهم الى الله تعالى من معنى الحديث اذا نماه (وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) بذلك فانه يزيده او يثبته فى قلوبهم وفى تقديمه زيادة الاعمال على زيادة الايمان اشارة الى ان زيادته مبنية على دخول الاعمال والقول فى قبول الايمان الزيادة مقرر فى محله (وبينا) بالنون والمثناة التحتية المشددة والمثناة الفوقية والنون قبل الالف اى قصدنا وما عزمنا عليه فى هذا الباب (ان نثبت فى هذا الباب) اى نقرر ونكتب وهو بكسر الموحدة مخففة ومشددة رواية من الاثبات او التثبيت (امهات معجزاته) اى كبارها وعظامها جمع ام (ومشاهير آياته) عطف تفسيرى لها فان الآيات بمعنى المعجزات ايضا او المراد ما اشتهر من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تحدى غيره (لتدل) ما اثبتناه على عظيم قدره (عند ربه) لما اجراه على يديه من عظيم الآيات (واتينا منها) اى ذكرنا من تلك المعجزات (بالمحقق) اى بما اشتهر وشاع حتى لم يبق فيه شبهة (والصحيح الاسناد) اى ما صح سنده وهذا ان الاسناد الاتيان بالسند وهو عبارة عن الرجال الذين نقلوا الحديث منقول من سند الجبل وهو ما ارتفع من سفل الجبل وقد يكون الاسناد بمعنى السند وصحته باستيفاء شروطه المذكورة فى كتاب ابن الصلاح وغيره (واكثره) اى اكثر ما اتيناه (مما بلغ القطع) اى وصل الى رتبة القطع بحيث لا يقبل التشكيك كالقرآن (او كاد) اى قارب بلوغ القطع لشهرته وصحته فهو وان كان طريقه الكتابة قوى حتى صار متيقنا بما جمعه من القرائن وحذف معمول كاد سائغ فى كلام العرب لاسيما فى السجع كما هو فيما نحن فيه (واضفنا اليها) اى ضممنا الى المعجزات المحققة

والمقارنة لها (بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة) يعني ائمة الحديث الذين تلقى الائمة كتبهم بالقبول كدلائل النبوة للبيهقي والسنن وبقية الكتب (واذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه) اي من نظر بعين الرضاء والانصاف في صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم التي قدمها المصنف رحمه الله تعالى في هذا الباب وهذا تأكيد لما قدمه من ان ذكر المعجزات ليس لاثبات نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لان من تأمل صفاته علم انه غير محتاج في اثبات نبوته الى برهان بذكر معجزاته وانما ذكرت لحجة بها وتأكيد ذلك كما قال المتنبي

صفاته لم تزده معرفة * وانما لذة ذكرناها

(من جميل اثره) صلى الله تعالى عليه وسلم بفتحتين وهو بقية الشيء وما يبقى بعده من آثار فعله كالصدقة الجارية والولد الصالح والعلم النافع مما يرسم في صحائف الانام وقيل جمع اثرة (٢) من آثره يؤثره ايثارا اذا اعطاه ومآثر العرب مكارمها ومفاخرها التي تروى وتذكر (وحميد سيره) جمع سيرة كسدرة وسدر وهي الطريقة والسنة المحمودة (وبراعة علمه) اي علمه الفائق به على غيره يقال برع براعة وبروعا اذا فاق في علم او غيره (ورجاحة عقله) اي عقله الزائد بحيث لو وزن بغيره رجح عليه (وحلمه) الراجح ايضا (وجملة كماله) اي جميع كمالاته التي لم تجتمع لغيره (وجميع خصاله) جمع خصلة وهي الصفة الحسنة وهي مجاز من الخصل وهي ما يعطى في الرهان فاستعير لما ذكر كما ذكره في الاساس (وشاهد حاله) اي ما حكي عما كان يشاهد من حاله وفي تعبيره بالشاهد لطف لان فيه ايهام انه يشهد لمحاسنه وهو بمعنى الحاضر (وصواب مقاله) اي ما يحكى من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الذي هو صواب كله وحكم وحكم والكل بالجر عطف على جميل وقوله (لم يمتر) جواب اذا اي لم يشك ويستريب عليه وعقله يتردد (في صحة نبوته) التي ادعاها واظهرها (وصدق دعوته) اي صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم في مدعاه او فيما دعا الخلق اليه من دينه وتوحيد ربه (وقد كفى هذا غير واحد) هذا فاعل كفى وهو اشارة لما ذكر من الجميل وما بعده وغير مفعول (في اسلامه والايمان به) اي كفاه ما رآه من احواله صلى الله تعالى عليه وسلم عن طلب برهان وآية على نبوته وصدق رسالته والانقياد لامره فاسلم وآمن به وصدقه من غير تلعثم كابي بكر رضي الله تعالى عنه فانه كان كلما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اخلق الله هذا الا لامر عظيم فلما دعاه للاسلام قال هذا الذي كنت ارجوه منك (فروينا عن الترمذي) الامام المشهور صاحب السنن وتقدمت ترجمته (وابن قانع) بقاف ونون مكسورة وعين مهملة بعد الف وتقدم ان العصيم بنافع بنون وفاء وهو غلط وهو عبد الباقي بن قانع الامام الحافظ كما تقدم (وغيرهما باسانيدهم) جمع اسناد وجمع وان كان مصدرا اصله الى الاسماء (ان عبد الله بن سلام) الصحابي المشهور وهو بتخفيف اللام وغيره مشدد اللام واختلف في اسمها

(٢) قوله جمع اثرة هو بمعنى اصالة ط

انسا (قال لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة) في هجرته هو وابو بكر رضي الله تعالى عنه (جئته لانظر اليه) جواب لما يعني انه سمع بقدومه صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة وقولهم انه رسول الله فاتاه ليعرف امره وهو من علماء اهل الكتاب صاحب فراسة وذكاء (فلما استبنت وجهه) استفعال من البيان وهو الوضوح والظهور والسين للمبالغة (عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب) اي لاح له من سيماه ونور النبوة في محياه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يكذب فيما ادعاه فحقق الله تعالى فيه علما ضروريا فصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم مع ما كان علمه من صفته في التوراة والكتب السالفة وقال رضي الله تعالى عنه لليهود يا معشر يهود اتقوا الله تعالى واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله الذي تجدونه عندكم مكتوبا في التوراة باسمه وصفته واني اومن به واصدقه ثم شرع في ذكر سنده لما رواه عن الترمذي ولم يقدمه اولا ليفصل بينه وبين ما استشهد له به فقال (حدثنا به) اي بحديث ابن سلام (القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله تعالى) الحافظ المعروف بابن سكرة كما تقدم (قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي) بالتصغير ومن قال ابو الحسن مكبرا فهو مخطئ (وابو الفضل ابن خيرون) تقدمت ترجمته (عن ابي يعلى البغدادي) بفتح الجيم وهو المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم (عن ابي علي السنجي) تقدم ضبطه وبيان نسبته (عن ابن محبوب) المعروف بالمحبوبي راوي السنن (عن الترمذي) كما تقدم قال (حدثنا محمد بن بشار) بفتح الموحدة وتشديد المعجمة كما تقدم قال (حدثنا عبد الوهاب الثقفي) بن عبد المجيد بن الصلت بن عبد الله بن الحكم بن ابي العاص الثقفي الحافظ وثقه ابن معين وقيل انه اختلط في آخر عمره توفي سنة اربع وتسعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة وترجمته في الميزان (ومحمد بن جعفر) هو غندر كما تقدم (وابن ابي عدي) محمد بن ابراهيم بن ابي عدي البصري الثقة توفي سنة اربع وتسعين ومائة وروى له اصحاب الكتب الستة (ويحيى بن سعيد) بن فروخ ابو سعيد القطان البصري التميمي الحافظ احد الائمة الاعلام توفي سنة ثمان وتسعين ومائة وترجمته في الميزان (عن عوف بن ابي جميلة) بفتح الجيم وكسر الميم (الاعرابي) سمي به لسكناه بدرب الاعراب قال ابن دقيق العيد وهو ثقة توفي سنة ست واربعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة كما في الميزان (عن زرارة بن ابي اوفى) في نسخة بن اوفى وهو من حفاظ التابعين وزرارة بضم الراء المعجمة وراءين مهملتين وهو مكي تابعي صاحب قاضي البصرة ثقة عالم نبي ام في داره فقرأ فاذا نقر في الناقور فشهق شهقة ومات سنة ثلاث وتسعين وروى له اصحاب الكتب الستة (عن عبد الله بن سلام الحديث) كما تقدم (وعن ابي رمثة التيمي) بكسر الراء المهملة وسكون الميم وبالمثلثة فهاء قيل اسمه رفاعة بن يثربي وقيل من ربيعة نوع من الالتباس واختلف في اسمه فقيل ... وقيل عمارة وقيل غير ذلك التيمي

وقيل التيمي اختلف في نسبته لتيم او تميم وهما قبيلتان مشهورتان وقيل انه بلدي ايضا (اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي) حكاية للحالة التي جاء بها والا فلا دخل له في القصة (فاريته) اي ارايته وعرفته به غيري باشارة ونحوها وهو بضم الهمزة مجهول اراه يريه لانه لم يكن رآه قبل ذلك (فلما رأيته قلت هذا نبي الله) اي بمجرد تعلق نظره به اعترف بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لما شاهده من عظمته ونور نبوته فاوقع الله في قلبه علما ضروريا بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى مسلم وغيره ان ضمادا) بكسر الضاد المعجمة وميم مخففة وفي آخره دال مهملة وهو ضماد بن ثعلبة الازدي نسبة لازد شنوءة قبيلة مشهورة وكان صديقا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل النبوة فلما قدم مكة وسمعهم يقولون فيه ما قالوه تابعه واسلم في اول الاسلام وكان عاقلا يتطبب ويرقي ذكره ابن عبد البر في الصحابة وفي الصحابة شخص آخر يسمى ضمادا وله وفادة ولا ثالث لهما (لما وفد عليه) اي لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة في ابتداء الاسلام ووفد يعم ان الوفود القدوم على العظماء من مكان بعيد قصدا وكان راقيا يرقي الناس في الجاهلية فلما سمعهم يقولون ان محمدا مجنون وفد عليه وقال يا محمد اني راق فهل لك من شيء فارقيك فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم دفعا لما قاله بما سيأتي وهو الذي كنى عنه بقوله (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الحمد لله) جوزوا في ان كسر الهمزة وتشديد النون وفتح الهمزة مع التخفيف وهو ظاهر والحمد يكون جملة انشائية او خبرية مشهور وحسن تأكيده سؤاله وظاهره انه بروية او همه صدقهم فيما قالوه فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم وصدر كلامه بحمد الله اشارة الى ان الله انعم عليه بنبوته فهو رد لما زعموه على ابلغ وجه ثم قال (نحمده ونستعينه) فاردف الجملة الاسمية بفعلية مضارعية لانه قصد بالاولى ان الحمد ثابت ومستحق له بالاستحقاق من قطع النظر عن الحامدين والجملة محتملة للخبرية والانشائية ثم اردفها بجملة اخرى لانشاء حمده بنفسه لما انعم الله به عليه من جلائل النعم التي اجلها نعم النبوة المؤيدة بالمعجزات الباهرات ولذا قطعها عما قبلها واتى بها مضارعية لتدل على الاستمرار التجددي واسنده لضمير المتكلم مع الغير اشارة الى انه لا يقدر وحده على وفاء حق حمده فان كان الضمير له وحده فليس لتعظيم نفسه بل لتعظيم الحمد والمحمود ونستعينه بمعنى نطلب المعونة والمساعدة منه على اداء حق حمده او على جميع امورنا التي من جملتها الحمد وفيه اقتداء بما ارشدنا اليه من ان الطالب للشيء يقدم عليه حمد الله وتعظيمه كما في سورة الفاتحة ولذا اردفه بقوله (من يهده الله) اشارة الى انه طالبه الهداية الى الطريق المستقيم كما في قوله اهدنا الصراط المستقيم ومن شرطية جوابها قوله (فلا مضل له) اي لا يقدر احد على اضلاله (ومن يضلل فلا هادي له)

وفيه تعريض بمن تعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم بما اداه مالا يليق به وان الله بيده الهداية والضلال (واشهد) اعلم وادعن واعتقد (ان لااله الاالله) اى لامعبود بحق سوى واجب الوجود المستحق لجميع المحامد (وحده لاشريك له) فى الوهيته وجميع شؤنه وهو مؤكد لماقبله لما فيه من الحصر المقدم عليه (وان محمدا عبده ورسوله) ارسله لهداية خلقه وارشادهم لتوحيده وفيه دعوة اى اعتراف بانه عبده وجواب لماقوله (قال له) ضماد المذكور لماسمع ماقاله صلى الله تعالى عليه وسلم (اعدعلى كلماتك هؤلاء) المذكورة من قوله الحمد لله الى آخره وانما طلب اعادتها لسأملها ويفهم مااراده وهؤلاء واولئك اشارة الى جمع المذكر والمؤنث من العقلاء وغيرهم كما قال الشاعر

دم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد اولئك الايام

فالمشار اليه هنا الكلمات (فلقد بلغن(٢) قاموس البحر) اى اشتهرت مقالاتك هذه فى جميع اقطار الارض شرقا وغربا وقاموس البحر وسطه اولجته اوقعره كما فى كتب اللغة من قمسه اذاغمسه ووزنه فاعول وهذه اشهر الروايات واصحها وفيه روايات اخر فروى ناعوس بنشاة فوقية وعين وسين مهملتين بينهما واوساكنة وروى قاعوس وروى فاعوس بفاء بدل القاف ورواه ابوداود قاموس اوقابوس على الشك فى الميم والباء الموحدة وروى ناعوس بالنون ايضا وقيل ان الكل تصحيف ماعدا قاموس وقاعوس كما قاله ابن قرقول نقال قال فلان قولا بلغ قاموس البحر اى سمعه كل ذى روح حتى دواب البحر وهو مبالغة فى شيوعه وروى قاعوس من القعس وهو خروج الصدر وبروزه وقيل انه تعجب ممن لم يسمعها ولم يصدق بها من العقلاء مع بلوغها هذا المبلغ (هات) بكسر التاء اسم فعل معناه اعط (يدك ابايعك) بالجزم فى جواب الامر ووجه استشهاد المصنف به انه بمجرد رؤيته وسماع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم آمن به من غير تردد وليس فى كلامه مايدل على صدق مدعاه ولكنه لمارأى نور وجهه الشريف وحسن بهجته آمن به (وقال جامع بن شداد) فى حديث رواه عنه البيهقى وهوابو صخرة الاسدى الكوفى والمحدث(٢) روى عن صفوان وغيره واخرج له ابو داود والنسائى وتوفى سنه ثمان اوسبع عشرة اوعشرين ومائه (كان رجل منا يقال له طارق) بن عبدالله المحاربى وهو صحابى كما اشار اليه بقوله (فاخبرانه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينه) كما قال ابن شداد وغيره وله رواية عنه وقال ابن حبان انما رآه بمكة بذى المجاز وهوسوق بها وابن عرفه فرسخ وهو مخالف لماقاله المصنف (فقال) له صلى الله تعالى عليه وسلم ولمن له به معه (هل معكم شئ تبيعونه) انما سألهم لانهم اعراب وانما يقدم مثلهم للبيع والشراء (قلنا هذا البعير قال بكم) تبيعونه (قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر) بكسر الواو وفتحها وهوستون صاعا مما يكال (فاخذ بخطامه) بخاء معجمة

(٢) بلغن نسخه

(٢) المحدث نسخه

وطاء مهملة وميم وهو كالزمام وزنا ومعنى اى رسنه الذى يقاد به والباء مزيدة
اى اخذه ليجره ويذهب به (وسار (٢)) اى ذهب من عندنا بالبعير (فقلنا) اى قال (٢) الى المدينة نسخه
بعضنا لبعض (بعنا) بعيرنا (من رجل لاندرى من هو) حتى نطالبه بالثمن والوسق
المبهم فى الحديث كان ستين صاعا كما ورد التصريح به فى رواية اخرى وقوله من هو
مفعول ندرى والمعنى لاندرى جواب هذا السؤال وعدى البيع بمن وهو متعد
بنفسه اما بناء على مذهب الاخفش من جواز زيادة من فى الاثبات وقال النووى انه
لغة فيه فيتعدى بنفسه وبمن كانكح وزوج فانه يقال انكحه وزوجه وانكح وزوج
منه وقد وقع هذا فى كثير من الاحاديث فلا عبرة بقول من عده من لحن الفقهاء
وفى مسلم لو بعت من اخيك وفى البخارى بعته من الصواغين الى غير ذلك
مما لا يحصى ﴿تنبيه﴾ قوله وسقا منصوب لانه تمييز وكذا مركبة من كاف التشبيه
واسم الاشارة ثم كنى به عن العدد وغيره وتكون مفردة ومكررة بعطف ودونه
وذهب البصريون الى ان تمييزها لايكون الا مفردا منصوبا وذهب الكوفيون
الى انها بحسب ما يكنى بها عنه كناية عن ثلاثة الى عشرة وكذا كذا عبد كناية
عن مائة فصاعدا وكذا كذا عبدا كناية عن احد عشر واخواته وكذا كذا عبد
كناية عن واحد وعشرين الى تسعة وتسعين وكذا عبدا كناية عن عشرين واخواته
وتفصيله فى شروح التسهيل وقد افرده بالتصنيف ابن هشام وغيره (ومعنا
ظعينة) جملة حالية والمراد بالظعينة المرأة من الظعن وهو الارتحال ولذا قيل
ان الظعينة امرأة فى هودج على جمل ثم تجوزوا به عما ذكر وللهودج بلا امرأة
وللجمل نفسه وهو بظاء معجمة وعين مهملة وسميت المرأة ظعينة لظعنها مع زوجها
(فقالت) اى المرأة لما سمعت كلامهم (انا ضامنة لثمن البعير) اى اعطيه لكم من عندى
ان لم يجئ لكم منه وانما ارادت انها واثقة بانه لابد ان يجئ به لما وقع فى قلبها
من انه صلى الله عليه وسلم لا يغدر ولا يخاف بفراسة صادقة شاهدته ولذا قالت
(رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر) هذا استئناف بيانى لوجه ضمانها لمن لم يعرفه
بما رأت فى وجهه صلى الله عليه وسلم نورا وحسن سمات تدل على انه ليس ممن يصدر
منه شر وشبهت وجهه الشريف بالقمر عند كماله وزيادة نوره على عادتهم فى تشبيه
الوجه الحسن به والاقرب ان لا يذهب بدر نوره وحسنه وقد اجاد بعض الظرفاء فى قوله
فلا غرة للبدر وجهك اجمل * وما انا فيما قلته متجمل * لكنما الشئ بالشئ يذكر كما قال
* طى اذا ما بدا محياه * اقول ربى وربك الله * ولذا هجا ابن الرومى البدر فقال *
لو اراد الاديب ان يهجو البدر * رماه بالخطة الشنعاء (٢) * قال يا بدر انت تعرض (٢) السماء نسخه
بالسارى * وتعرى بزوره الحسناء * كلف فى شحوب وجهك يحكى * غشا
فوق وجه برصاء * تعتريك المحاق فى كل شهر * فترى كالقلامة الحجناء * وبالك

النقصان في آخر الشهر * فيمحوك من اديم السماء (لايخيس بكم) اى حسن صورته صلى الله تعالى عليه وسلم يدل على حسن سيرته فانه لا يصدر عنه ما يتهمونه يقال خاس يخيس ويخوس اذا غدر وكذب ونكث عهده واخلف وعده وهو بخاء معجمة وسين مهملة (فاصبحنا) اى مضى بعد اخذه صلى الله تعالى عليه وسلم البعير يوم وليلة ثم دخلنا في صبيحة يوم بعده (فجاء رجل) من اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الرجل لا يعرف اسمه (بتمر فقال انا رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليكم) ثم استأنف جواب سؤال مقدر او مطوى كانهم قالوا ما نفعل او ما يقول فقال (يأمركم ان تأكلوا من هذا التمر) الذى جاء به (وتكتالوا) اى تكيلوا منه ثمن البعير (حتى تستوفوا ٢) اى تأخذوا الثمن من التمر الذى جاء به وافيا كاملا غير ما اكلتموه فانه هبة منه لكم وفيه من المكارم وحسن المعاملة ما لا يخفى وفى الحديث خياركم احسنكم قضاء (و) ورد (فى) حديث رواه ابن اسحق فى (خبر الجلندى) وقصته (وهو) اى الجلندى (ملك عمان) وسلطانها فى عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى القاموس جلندا بضم اوله وفتح ثانيه وهو اللام المخففة ممدودا وبضم ثانيه فيقصر ووهم الجوهرى فقصره مع فتح ثانيه قال الاعشى

وجلندا فى عمان مقيما * ثم قيسا فى حضرموت المنيف

ولا وجه له فيما ذكره لاحتمال انه ضرورة كما قاله تلميذه البرهان الحلبى وفى شرح المفصل لابن الحاجب الاولى ان لا تدخل عليه الالف واللام وهذا هو القوى المنقول من الجلادة كما قاله المعرى فى رسالة الغفران وعمان بفتح العين المهملة وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام وبالضم والتخفيف صقع عند البحرين وفى الشروح نقلا عن الذهبى ان له شعرا يدل على اسلامه وهذا يدل على عدم جزمه به والذى نقله النويرى فى تاريخه الجزم به وانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث عمرو بن العاص فى سنة ثمان من الهجرة الى جيفر وعبد ابنى الجلندى وهما من الازد والملك منهما جيفر وكتب اليهما كتابا فلما قدم عمان عمد الى عبد وكان اعلمهما واحسنهما خلقا وقال انى رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليك والى اخيك فقال اخى مقدم على فى السن وهو الملك وانا اوصلك اليه فمكث ببابه اياما ثم دعانى فدخلت عليه ودفعت اليه الكتاب ففض ختمه وقرأه ثم دفعه الى اخيه فقرأه فقال دعنى يومى هذا وارجع الى غدا فلما رجعت اليه قال انى فكرت فيما دعوتنى اليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما فى يدى فقلت انى خارج فلما ايقن بخروجى ارسل الى واجاب الى الاسلام هو واخوه وصدقا بالنبى صلى الله عليه وسلم وخليا بينى وبين الصدقة والحكم بينهم فلم ازل مقيما بينهم حتى بلغتنى وفاة رسول صلى الله عليه وسلم انتهى وهذا يدل على ان ملك عمان ابن الجلندى لا هو الا ان يقال كل من ملك عمان يسمى جلندى واما ما فى بعض الشروح من انه فى بعض النسخ ملك غسان بتشديد السين كشداد

(٢) ومعنا بعده

اذهم قتلة ولعل تلك الغيلة سكنت تلك البلدة وكان الحلدى مالكها فما لايعول عليه لمخالفته الرواية والنسخ الصحيحة وهو الذى صححه السهيلى والشراح كلهم (لما بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوه الى الاسلام) كما سمعته مفصلا (قال الجلندى والله لقد دلني على هذا النبى الامى) الذى لايقرأ ولايكتب ووصفه به لشهرته صلى الله تعالى عليه وسلم به فى الكتب القديمة ولانه مدح له كما تقدم (انه لايأمر بخير الاكان اول آخذ به) اى اول عامل بما امر به صلى الله تعالى عليه وسلم (ولاينهى عن شئ الاكان اول تارك له) كما قال صلى الله عليه وسلم (انى لاتقاكم لله واخشاكم له) وهو كما قيل

لاتنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقوله انه الى آخره اسم تأويلا وهو فاعل دل (وانه يغلب) اعداءه وينتصر عليهم وهو مبنى للفاعل (فلايبطر) اى لايطغى ويتكبر ويظهر الفرح وهو صفة مذمومة وبطر من باب علم (ويغلب) بالبناء للمفعول اى يغلب احيانا فان الحرب سجال كما جرت به عادة الله فى ايامه (فلايضجر) اى يقلق ويجزع بل يصبر ويحمل مااصابه فى سبيل الله احتسابا لاجره ورضاء بماقدره الله تعالى كماهو عادة الانبياء عليهم الصلوة والسلام (ويفى بالعهد) فاذا عاهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احدا لاينكث عهده كماقال الله تعالى (واوفوا بالعهد) (وينجز الموعود) اى يفعل ماوعد به لكرمه فالموعود اسم مفعول ويجوز ان يكون مصدرا فانه جاء على مفعول الا انه نادر (واشهد انه نبى) لماجمعه من اخلاقه وكمال صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا شاهد لما عقد له الفصل من ان من تأمل صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم صدق بنبوته وان لم يشاهد معجزته (وقال نفطويه) ابراهيم بن محمد الامام الجليل بن عرفة بن سليمان الازدى الواسطى النحوى المفسر الاديب وقد تقدمت ترجمته وضبط اسمه بفتح اوله وواوه وسكون بائه وان المحدثين يضمون ماقبل الواو ويسكنونها كما مر (فى قوله تعالى) مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية (يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا بناء على الوقف على قوله تعالى (الله نور السموات والارض) وان معنى قوله تعالى (مثل نوره) وان الضمير فى قوله تعالى (مثل نوره) لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان المشكاة هو اوصدره والمصباح علمه والزجاجة قلبه والزيتونة نبوته والمعنى ان نبوته تظهر وان لم يبد معجزته وبرهانا عليها وقد تقدم ذكر المصنف لهذه الآية وان هذا احد تفاسيرها وانه بعد وانما اعادها لما فيها على هذا من دلالتها على المقصود من ان المتأمل لشهد بصدق نبوته وان لم تقم برهانا عليها فلاتكرار فى كلامه كما توهم

وهو على هذا تشبيه تمثيلى وهو ظاهر (يقول) الله تعالى (يكاد منظره) اى ما يتعلق به النظر من ذاته صلى الله عليه وسلم وصفاته (يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا) اى وان لم يظهر صلى الله عليه وسلم معجزة وخص القرآن لانه اعظم معجزاته وتلاوة القرآن معلومة وروى وان لم يقل قرآنا ثم استشهد له بما يدل على معناه فقال (كما قال ابن رواحة) رضى الله عنه وهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الانصارى الصحابى احد شعراء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد شهد معه المشاهد الا الفتح فانه مات شهيدا بمؤتة سنة ثمان من الهجرة وهو احد الامراء الثلاثة بها وهم زيد بن حارثه وجعفر بن ابى طالب ومما روى من مدحه صلى الله عليه وسلم قوله (لو لم يكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر) ومبينة بكسر الياء المشدده اسم فاعل وبفتحها اسم مفعول ومنظره مرآه وظاهره وفى روايه كانت بداهته وهذا على نهج قوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اى مما يترتب الجواب فيه على وجود الشرط وعدمه وهو على فقد الشرط اولى ويجوز ان يبقى على حاله لانه عند ظهور الآيات لايحتاج الى الاستدلال بظاهر الحال فلا اشكال فيه اصلا واصل ينبئك بالهمزه فابدلت ياء واسكنت على حد قراءه باريكم وفى جعل المنظر مخبرا من البلاغه مالايخفى (وقد آن ان نأخذ) اى نشرع (فى ذكر النبوة والوحى والرسالة) فقال اخذ فى القراءه اى شرع فيها واصل الاخذ التناول باليد ثم تجوز به عن معان منها هذا وآن بمعنى قرب اوانه (وبعده) اى بعد ذكرها نشرع (فى معجزه القرآن وما فيه من برهان ودلالة) اى دليل قاطع على ثبوته وهى بفتح الدال وكسرها مصدر واستعمل بمعنى الدليل ﴿فصل اعلم﴾ امر بالعلم اهتماما بما بعده والخطاب عام لكل من وقف على كتابه اولمن سأله تأليفه كما تقدم (ان الله جل اسمه) اى عظم وعظمت اسماؤه وجلالة اسمه تدل على جلالته بالطريق الاولى (قادر على خلق المعرفه ٢) وهى العلم بالجزئيات وتكون بمعنى مطلق العلم ايضا (والعلم بذاته) علما يقينيا وان لم تكن بالكنه والحقيقه (واسمائه وصفاته) الذاتيه وغيرها (وجميع تكليفاته) التى الزمهم بها من الامور الشرعيه والعادات (ابتداء) فسره بقوله (دون واسطه) متوسط بينه وبينهم فى اعلامهم وتعليمهم ماذكر (لو شاء كما حكى عن سنته) اى عادته تعالى وطريقته (فى بعض الانبياء) عليهم الصلوه والسلام اذ عرفهم بعض الامور السابقه بدون واسطه بان اوقع ذلك فى قلوبهم وكشفه لهم او الهمهم او اراهم ذلك فى مناماتهم الصادقه وهذا مما شاع وذاع وملأ الاسماع وكون كل علم ينقسم الى نظرى وضرورى المراد به غير علوم الانبياء كما صرحوا به وفى الكشاف جرت العاده بان كل علم نظرى كسبى ثم فى قدرته الله تعالى احداث علم واحداث القدره عليه من غير تقدم نظر قال بعضهم كعلوم

(٢) فى قلوب عباده نسخه

الانبياء التي ليست ضرورية ولا نظرية فيخلق فيهم العلم بلا تقدم نظر لئلا يكونوا
زمان النظر شاكين وذلك لا يصح عليهم في التوحيد ولو كان ضروريا لم يكن عليه
اجر فجمع بين كونه مقدورا لينالوا الاجر وعدم تقدم النظر لينتفي الريب وهذا
هو الذي ارتضاه المحققون فما نقل عن بعض مشايخ الصوفية ان علوم الانبياء جميعها
ضرورية غير مسلم (وذكره بعض اهل التفسير في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا)
بناء على ان الوحي يشتمل الالهام ونحوه وليس المراد به ما كان بواسطة الملك فقط
(وجائز ان يوصل) الله معطوف على قوله اولا قادر (اليهم جميع ذلك) المذكور
من العلوم السالفة (بواسطة سابقهم) صفة واسطة بالفوقية او التحتية اي يوصله بكلام
يدل عليه (ويكون تلك الواسطة اماما غير البشر كالملائكة مع الانبياء) عليهم الصلوة
والسلام سواء رأوهم متمثلين بصورة غير صورتهم او على صورهم الاصلية كما وقع
لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم او لم يروهم كما كان يأتيه صلى الله تعالى عليه وسلم انه حين
احيانا كصلصلة الجرس وليس رؤية الملك مخصوصا بالانبياء عليهم الصلوة والسلام
بل قد يراه غيرهم من خلص عباده كمريم (او من جنسهم كالانبياء مع الامم)
الذين يبلغونهم عن الله ما امرهم بتبليغه (ولا مانع لهذا) المذكور فقد نفيه (من دليل
العقل) اي من دليل هو العقل فالاضافة بيانية او هي حقيقية نعني انا نجزم بخلو
خلافا للبراهمة الذين جعلوه مستحيلا لا لدلالة قالوا ارسال الرسل اما عبثا وضلالا
عما نطقت به الكتب الالهية ودلت عليه الادلة العقلية كما بين في الكتب الكلامية
كما اشار اليه بقوله (واذا جاز هذا ولم يستحيل) اي لم يعد محالا عقلا (وجاءت الرسل
بما دل على صدقهم من معجزاتهم) الظاهرة المحققة (وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به)
عن الله وبلغوه لاممهم (لان المعجزة مع التحدي من النبي) اي اظهار النبي معجزته
وطلبه ممن انكر نبوته الاتيان بما يماثلها لان معنى التحدي هو الطلب المذكور لانه
مأخوذ من حدى الابل اذا تغنى لها ليستعجلها ومن زعم انه ان يقال ليستحيل
بالاتيان بذلك فهو من التبيين (قائم مقام قول الله) الذي اقدره على ذلك واجراه به
(صدق عبدي) ورسولي فيما ادعاه لاتيانه من البرهان الذي لا يقدر عليه احد من جنسه
(فاطيعوه واتبعوه) في كل ما يأمركم به لانه من عند الله (وشاهد على صدقه)
في كل ما قاله وهو معطوف على قوله قائم خبران وقد تقدم الكلام على دلالة المعجزة
وانها سمعية او وضعية والفرق بينها وبين الكرامة والسحر (وهذا) الكلام (كاف)
فيما قصدناه (والتطويل فيه خارج عن الغرض) الذي صنف الكتاب لاجله
(فمن اراد تتبعه) اي الوقوف عليه (وجده مستوفى) حين اوجدانه اي تفصيل بيانه
تمامه وتفصيله (في مصنفات ائمتنا رحمهم الله تعالى) وعلمائنا وفي نسخة في كتب ائمتنا
(والنبوة في لغة من همزه) اشارة الى ان فيه لغتين الهمز وتركه الا ان الهمز هو الاصل

كما ذهب اليه كثير من اللغويين والنحاة وان كان ترك الهمز هو الاكثر ولذا قيل انه لغة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه انكر على من قال له يا نبئ الله بالهمز ويأتي الكلام عليه (مأخوذ من النبأ وهو الخبر) لانبائه واخباره عن الله تعالى وقال الراغب النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم او غلبة ظن فلا يقال له نبأ حتى يتضمن هذه الاشياء الثلاثة ويكون صادقا فالخبر اعم منه (وقد لا تهمز) بالتاء الفوقية والياء للمجهول اي النبوة ويجوز قراءته بالمثناة التحتية باعتبار اللفظ (على هذا التأويل) اي تفسيره بالنبأ (تسهيلا) اي تبدل همزته واوا وتحذف لكثرة الاستعمال وتبدل من جنس الحركة التي قبلها وهي الضمة والتسهيل عند القراء بمعنى جعل الهمزة بينها وبين الحرف الذي منه حركتها وليس بمراد هنا (والمعنى) اي معنى النبي المفهوم من الكلام على هذا القول (ان الله اطلعه على غيبه) اي اعلمه واخبره بغيابه (واعلمه انه نبيه) الموحى اليه (فيكون نبيا منبئا) بصيغة المفعول مشدد الباء الموحدة ويجوز تخفيفها اي يكون من اطلعه واعلمه نبيا بمعنى منبئا (فهو فعيل بمعنى مفعول او يكون) معناه (مخبرا) بكسر الباء اسم فاعل (عما بعثه الله به ومنبئا) اسم فاعل بتشديد الباء وتخفيفها (عما اطلعه الله عليه) من غيبه ومعنى انه فهو (فعيل بمعنى فاعل) على هذا (ويكون عند من لم يهمزه) اي يقول بان اصله الهمز من النبأ مأخوذ (من النبوة) مصدر ربا ربوة سلوة في الاصل نقل وشاع بمعنى المرتفع (وهو) ذكره باعتبار اللفظ اي نظرا للخبر اي (ما ارتفع من الارض) فهو كالربوة لفظا ومعنى ثم بين المراد منه بقوله (معناه ان له) عند الله وفي الواقع (رتبة شريفة ومكانة نبيهة) اي عالية مشهورة والنبيه ضد الخامل الذي لا يعرف به سمعه من نوبه الخمول والمكانة كالرتبة تخص بالمنازل المعنوية بجعل علوه معنى بظهوره كعلوه حسا (عند مولاه) وربه الذي تولى اموره (منيفة) عالية لا يصل لها سواه وهو على هذا ايضا فعيل بمعنى مفعول لانه اي النبي مرفوع على غيره او بمعنى فاعل لانه مرتفع لماله من رفيع الدرجات (فالوصفان) اي وصفه بالنبي بمعنى المخبر او بمعنى المرتفع (مؤتلفان) اي متوافقان بحسب المعنى لان من بعثه الله واطلعه على ما لم يطلع عليه غيره له منزلة عالية ومن له مقام عال يطلع على ذلك او المراد بالوصفين فعيل بمعنى فاعل او مفعول والذي ارتضاه سيبويه انه مهموز كالذرية (٢) والبرية التزم تخفيفه في الاكثر وكلاهما لغة وبهما قرئ في السبع كما اتى وقرأ نافع بالهمز في جميع القرآن الا في موضعين ﴿ان وهبت نفسها للنبي * لا تدخلوا بيوت النبي﴾ والخلاف انما هو في انهما اصل ولذا قدم المصنف رحمه الله تعالى المهموز (واما الرسول فهو المرسل) اسم مفعول من ارسله اذا بعثه لامر وتبليغ رسالة (ولم يأت فعول) بفتح اوله اسم مفعول من الافعال (بمعنى مفعل) بضم الميم وفتح العين المهملة (في اللغة) اي لغة العرب وكلامهم ويجوز ان يراد به علم اللغة وكتبها (الا نادرا) اي الا في الفاظ

(٢) كالذرية نسخه

قليلة قال السمين في الدر المصون فعول بمعنى مفعول قليل جاء منه ركوب وحلوب بمعنى المركوب والمحلوب والرسول بمعنى المرسل انتهى وكلام المصنف رحمه الله تعالى يقتضي ان النادر فعول بمعنى مفعل من المزيد وكلام العرب انه قليل بمعنى المفعول مطلقا فان الغالب فيه معنى الفاعل كصبور وشكور الا انه ان قيل ان الرسول في الاصل مصدر بمعنى الرسالة لم يكن مما نحن فيه بل مجاز للمبالغة كالدرهم ضرب الامير اى مضروبه وقد ورد في قول كثير بهذا المعنى وهو قوله

لقد كذب الواشون مافهت عندهم * بسر ولا ارسلتهم برسول

اى برسالة فما قيل ان فيه شيئا ليس بشئ (وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسل اليه) اى تبليغهم شريعته ودينه بنفسه او بواسطة (واشتقاقه من) الارسال بمعنى (التتابع) اى التوالي والتكرار لتبليغه فالمناسبة بينهما ظاهرة (ومنه قولهم جاء الناس ارسالا) بفتح الهمزة جمع رسل بفتحتين اى فرقة بعد فرقة متتابعين يتبع بعضهم بعضا كما بينه بقوله (اذا تبع بعضهم بعضا) كما ورد في الحديث انهم صلوا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ارسالا يتبع بعضهم بعضا ثم بين وجه اشتقاقه بقوله (فكأنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (الزم تكرير التبليغ) مرة بعد اخرى الى امته (والزمت الامة اتباعه) فرقة بعد فرقة وامة بعد امة لعموم رسالته فالتكرار والتتابع اما في نفس تبليغه او باعتبار اتباعه وامته ولو عطفه بأو كما في نسخة كان احسن فاقيل من ان في كلامه بحثا لانه مأخوذ من جهة المعنى والاشتقاق من الافراط وان قولهم جاء الناس ارسالا ليس مصدر ارسله لاختلاف المعنى كلام ناش من عدم فهم كلام المصنف رحمه الله تعالى وفيه خلط وخبط لا يخفى على من له بصيرة (واختلف العلماء) في جواب قولهم (هل النبي والرسول بمعنى) واحد فهما مترادفان (او بمعنيين) فهما متغايران غير مترادفين وفي نسخة ام بمعنيين والاولى ان او احسن هنا وهذا كلام في المعنى وشروحه ليس هذا محله (فقيل هما سواء) اى متساويان او مترادفان لان الاول التساوي في الماصدق دون المفهوم كالانسان والناطق والثاني التساوي فيهما فعبارته شاملة لهما الا ان مابعده اقرب الى الاول فمعناهما كل من اوحى اليه بشرع (واصله من الانباء وهو الاعلام) والارسال فيه اعلام ايضا لانه انما ارسل لذلك فهما متساويان واختلاف مفهومهما وتركيبه لانه للعلم به تركه ولا يرد عليه ان الاعلام اعم لانه قد يعلمهم بما لم يرسل به من نبوته وكذا قوله ان الآية لاتدل على ماذكر فانه من تلقي الركبان (واستدلوا) على تساويهما (بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) لانه عام في فعل الارسال بهما فاذا ارسل النبي لزم ان يكون الرسول نبيا والنبي رسولا والانسان بقوله (فقد اثبت لهما معا الارسال قال) المستدل (ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا) ورد عليه ان الآية اعادل على ان النبي اعم من الرسول

فانها ترق من ذكر الاخص الى ذكر الاعم والحديث الآتي الناطق بزيادة عدد الأنبياء على عدد الرسل يأباه واعادة النفي تقتضي المغايرة فالذكر ممنوع (وقيل هما مفترقان من وجه) فبينهما عموم وخصوص وجهي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول فآله الى موجهة كافة ورسالة جزئية كما سيأتي بيانه والمشهور انه على هذا من اوحي اليه بامر الهي امر بتبليغه ام لا والرسول من اوحي اليه بذلك وامر بالتبليغ وقيل انه من كانت له شريعة ناسخة لغيرها وقيل من انزل عليه كتاب والى هذا اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (اذ قد اجتمعا) اي النبوة والرسالة (في النبوة التي هي الاطلاع) بتشديد الطاء وفتحها اي سكونها (على الغيب) اراد به ما لم يعلمه من اوامر الله تعالى وتشريعه له ما يختص به او به وبغيره (والاعلام) من الله تعالى (بخواص النبوة) اي ما يختص بالنبوة الشاملة للرسالة كالعصمة والوحي بواسطة الملك او بدونها كما وقع لموسى عليه الصلوة والسلام اذ كلمه الله تعالى قبل ارساله (او الرفعة بمعرفة ذلك) المذكور من الاطلاع والاعلام وفي نسخة لمعرفة باللام بدل الباء السببية (وحوز درجتها) اي درجة النبوة العلية والحوز بحاء مهملة مفتوحة وواو ساكنة وزاء معجمة وهي حيازتها وتحصيلها وقوله الاطلاع والاعلام اشارة الى انها من النبأ المهموز وما بعده الى انه من النبوة الواوي وهي الرفعة كما تقدم ولا تكلف في شيء من كلامه كما توهم (وافترقا) اي النبوة والرسالة (في زيادة الرسالة) اي الامر بالتبليغ المعتبر (في الرسول) دون النبي (وهو) اي الرسالة وذكره مراعاة للخبر وهو (الامر بالانذار والاعلام) كما امر بتبليغه وهذا القيد المخصوص هو الذي حصل به الافتراق في ماصدق عليه النبي ولا مخالفة بينه وبين ماقاله المطلع ومن كاوبل لانهم اعتبروا ذلك في ماصدقا عليه لا في المفهوم وهذا كلام ناش من قلة التدبر (كما قدمنا) اشارة الى ما قرره اولا (وحجتهم) اي دليل القائلين بان بينهما العموم والخصوص من وجه وليسا مترادفين مأخوذة (من الآية نفسها) التي استدل بها من ذهب الى القول فهي عليهم لا لهم (التفريق بين الاسمين) يعني النبي والرسول فان العطف واعادة النفي تدل على تغايرهما (ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ) وليس المقام مقام اطناب ولا تأكيد اذ لو كان كذلك حسن التكرار كقوله تعالى (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) ونحوه (قالوا والمعنى) ان معنى الآية على هذا (وما ارسلنا قبلك) اي اوحينا واعلمنا (من رسول الى امة) امر بتبليغهم ما ارسل به وفي بعض النسخ بنبي والاولى اوفق بالنظم واظهر (او نبي ليس بمرسل الى احد) فافترقا على هذا المفسر افتراقا ظاهرا وفي كلامه نوع خفاء اراد بعضهم ان يصلحه فافسده وفي الآية ترق لانه ترقي في النفي بذكر العام بعد الخاص وفي الاثبات ترقي به على العكس كما تقول ما في الدار انسان ولا حيوان ولو عكسته كان ذكر الانسان بعده لغوا فانقلب الذي استدل به اولا

تعلق ارسلنا بهما فانه يقتضي ان النبي مرسل ايضا وما ذكره المصنف لا يدفعه *
قلت وجه دفعه ما ذكر انه لما اقتضى هذا العطف التغاير لزم تأويل ارسلنا بمعنى
يشملهما اي ما ارسلنا ملائكتنا بوحينا لاحد من نبي اورسول لان ارسل متعد
بنفسه اوهو من قبيل * وزججن الحواجب والعيونا * ومن زائدة بعد النفي اي
ما ارسلنا ولا نبأنا نبيا فتأمل (وقد ذهب بعضهم) مجاز من الذهاب وهو الخروج من مكان
الى آخر قال في الاساس ذهب فلان الى قول ابي حنيفة اذا اخذ به وانحدده مذهبا
(الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ) ولم يكن مقرر الشرع غيره فشرعه لم يسبق
اليه ومبتدأ بفتح التاء صفة شرع ويجوز كسرها على انه حال من ضمير جاء والاول
اولى (ومن لم يأت به) اي بشرع مبتدأ لم يسبق اليه (نبي غير رسول وان امر بالابلاغ
والانذار) وبينهما عموم من وجه آخر (والصحيح والذي عليه الجماء الغفير) عند الجماء
وفي نسخة الجم والمعنى واحد اي الجماعة الكثيرة والجم بفتح الجيم وتشديد الميم والغفير
بفتح معجمة وفاء وفي الصحاح الجماء الغفير جماعة الناس يقال جاؤا جماء غفيرا عدو غفير
والجماء الغفير بالمد وجم الغفير والجم الغفير اي جميعا وال زائدة والغفير صفة لازمة للجماء
لا تفرد بدونها من الغفر وهو الستر كانهم لكثرتهم ستروا وجه الارض ومنه
جاؤا جميعا بجماتهم سرهم ووصفهم وهو اسم يصب كالمصدر كجاؤا جماء وقاطبة
والجم الكثير ونصبه لانه اسم وضع موضع المصدر وقيل انه مصدر ولا تلزمه نسبه
عند الكسائي وعليه بنى كلام المصنف رحمه الله تعالى لا على من الزمه النصب
وليس المراد الجميع بل الاكثر حتى تستشكلها ويجاب بانه لم يعتد بغيرهم وصيرهم
كالعدم (ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا) وهو صادق القولين الاخيرين
وبينهما عموم وخصوص وجهي لانه يشترط في الرسول دون النبي ان يؤمر بالتبليغ
او يكون له شرع جديد او انزل عليه كتاب والاول هو المشهور ولذا قال المحدثون
اذا ورد في الحديث ذكر احدهما اوقال قال رسوله اونبيه لا يجوز له ان يبدله من
رويه وقيل انه لا يلزم ولكنه اولى وهذا في غير الاذكار فانها توقيفية ولذا ورد
في حديث ان بعضهم قال في بعض الادعية آمنت بكتابك الذي انزلت ورسولك
الذي ارسلت فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم قل وبنبيك الذي ارسلت كما في شرح
مسلم وفيه بحث وقيل الرسول اعم يشمل رسل الملائكة كجبريل عليه الصلاة
والسلام لكن الكلام انما هو في رسل البشر وقال صاحب القاموس في كتاب الصلوة
ان النبي من اوحى اليه بامر يخص به في نفسه حتى لا يجوز لغيره ان يتبعه فان امر
بتبليغ ما امر به لامة مخصوصة اولجميع الناس فهو رسول فان لم يكن له
حكم يخص به فهو رسول لانبي وان كان مع التبليغ له ما يختص به كنبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم فهو نبي ورسول فعلى هذا بينهما عموم وخصوص
مطلق وليس كل رسول نبيا وقال انه الحق الذي لا شك فيه وهو مخالف لكلام

﴿ المصنف ﴾

المصنف رحمه الله تعالى * واعلم ان النبي ان كان من الانباء فهو مهموز وان كان من النبوة فغير مهموز كما تقدم وكلاهما جائز وبهما قرئ في السبعة واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لاعرابي قال له يا نبيء الله اي بالهمزة لست نبيء الله ولكني نبي الله لان نبأ في لغته بمعنى خرج من ارضه وطرد فلايهامه ذلك منعه وورد ايضا لاتنبؤا باسمي فانما انا نبي الله ومعنى لاتنبؤا لاتهمزوا وليس في هذا ما يقتضي منعه على الاطلاق كما قاله ابن سعدة (واول الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله تعالى عليهما وسلم) ولاينافي هذا ما في البخاري في حديث الشفاعة من انهم يقولون لنوح عليه الصلوة والسلام انت اول الرسل الى اهل الارض لانهم لم يقولوا انه اول الرسل مطلقا بل اول الرسل الى اهل الارض في عصره ولذا قال في الدعاء عليهم لاتذر على الارض من الكافرين ديارا وآدم عليه الصلوة والسلام انما ارسل الى بنيه وهم مؤمنون وبعده ادريس وشيث عليهما الصلوة والسلام لم تعم رسالتهما وهذا لاينافي اختصاص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعموم الرسالة الى آخر الزمان فلم يختص بعصر ولابقوم وعمت رسالته الانس والجن والملك كما تقدم (وفي حديث ابي ذر) الذي رواه احمد في مسنده وابن حبان والحاكم في مستدركه وسيأتي بطوله (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي) وقد قال الحاكم في مستدركه انه طعن في بعض رواته وقيل انه منكر وقال القرطبي انه اصح حديث ورد في عدد الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام وقيل ان اصحابه عليهم الصلوة والسلام كانوا بهذه العدة ايضا عند وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وعن كعب الاحبار انهم الفا الف ومائتا الف وعن مقاتل انهم الف الف واربعمائة الف واربعة وعشرون الفا وقد عرفت ان الاول اصح ما في الباب (وذكر ان الرسل منهم) اي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام (ثلثمائة وثلاثة عشر اولهم آدم عليه الصلوة والسلام) وقيل اربعة عشر بعدد اصحاب طالوت ويوافقه ان احرف اسم نبينا بالجمل الكبير ثلاثمائة واربعة عشر اذ فيه ثلاث ميمات لان الحرف المشدد حرفين ولفظ ميم ثلاثة احرف ثمانية وثمانين وتسعون ولفظ دال خمسة وثلاثين ولفظ حاء تسعة فيه فوقية التكريم اشارة الى ان جميع الكمالات الموجودة في المرسل موجودة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادة واحد على القول الاول والحديث الاول طويل اورده الحاكم في مستدركه كاملا ونقل البرهان ما في بعض رواته من الكلام وطويناه لانه لاغرض له هنا (فقد بان لك معنى النبوة والرسالة) على الاقوال الثلاثة من الترادف والعموم والخصوص من وجه او مطلقا كما فصلناه (وليستا) اي النبوة والرسالة (ذاتا للنبي عند المحققين) اي ليستا امرا ذاتيا في الرسول حاصلا له طبعه الله عليها كالعقل وغيره من الغرائز وليست النبوة

مكتسبة برياضة وتصفية باطن كما ذهب اليه الحكماء واعما هي امر طارئ عليه بارادة الله تعالى وفضله والله تعالى اعلم حيث يجعل رسالته (ولا صفة ذات) اى ليست صفة قائمة بذاته موجودة فيه صلى الله عليه وسلم قبل الوحى اليه (خلافا للكرامية) فهؤلاء قالوا انهما امران غير الوحى وامر الله له بتبليغ شريعته فصاحبهما متصف بهما وان لم يوح اليه * اقول ان اراد هؤلاء ان الله تعالى خلق له نفسا قدسية واودع فيها قوى يستعد بها لتلقى الوحى والعلم به وان سمى النبوة هذا وان اطلقوها على ما يترتب عليها وانه ركب فيه نورا كان يشاهد فى آبائه وينقل فى اصلابهم وذلك من نعم الله اتصافا كما حاد ما ابتداء فالامر فيه سهل والا فهو لغو من القول والكرامية بتشديد الراء وتخفيفها على القولين وفتح الكاف وكسرها على التخفيف قال فى المغرب اخبرنى صديق الثقة ابن حولة ان عبد العزيز العرجى ذكر فى تاريخه هذا الرجل وهو محمد بن كرام الذى نسب اليه الكرامية فقال كرام بوزن حذام وقطام وقيل انه كرام على افعل جمع كريم وهو الجارى على السنة اهل سجستان وهى بلدته كما قال فيه البستى رحمه الله

ان الذين بجهلهم لم يقتدوا * بمحمد بن كرام غير كرام
الفقه فقه ابى حنيفة وحده * والدين دين محمد بن كرام

فهم منسوبون لمحمد بن كرام بفتح الكاف وتشديد الراء كما قال السمعانى وقال لان والده كان يحفظ كرما او يعمل فيه وكذا صححه فى الميزان وقال ابن الصلاح انه لا يعدل عنه وكذا صححه ابن ماكولا والذهبى وانكره ابن الهيصم وهو من اهل مذهبه ادعى انه ادرى كما مر عن البستى وانما هو بتخفيف الراء مع فتح الكاف بمعنى كرم او كرامة وبكسرها على انه جمع وكان صاحب مذهب العقائد وغيرها وله رواية فى الحديث وكان يجوز الكذب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الترغيب والترهيب لانه له لا عليه فعليه ما عليه ومات فى القدس فى صفر سنة خمس وخمسين ومائتين (فى تطويل لهم) فى بيان مقالهم وتأييدها (وتهويل) اى تخويف وتقريع لمن عدل عن مذهبهم فى هذا (ليس عليه تعويل) اى هو مع ذلك ساقط ضعيف لانه مدعاه ولا يلتفت اليه ويجوز ان يريد بالتهويل تزيين الباطل وزخرفته فى القاموس التهويل الالوان المختلفة وزينة الصارى وهذا اقرب لسبقه المصنف (واما الوحى فاصله) اى معناه الحقيقى الذى وضع له اولا (الاسراع) وفى الحديث اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان شرا فانته وان كان خيرا فوحه اى اسرع فيه والهاء للسكت وقال الاعشى

فل ريح المسك ذاك ريحها * صبها الساقى اذا قيل توح

ويقال اوحى بمعنى اومأ او تكلم بكلام خفى (فلما كان النبى صلى الله تعالى عليه

وسلم يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمى) اى ما يأتيه من ربه (وحيا) اى متلقى
بسرعة فاطلق عليه المصدر مبالغة ثم صار حقيقة فى كل ما يوحى اليه (وسميت
الانواع الالهاميات (٢) وحيا) كقوله تعالى واوحى ربك الى النحل (تشبيها بالوحى
الى النبى) فى سرعة وقوعها فى القلب فهو استعارة تحقيقية والالهام القاء امر
فى الروع باعث على الفعل او الترك (وسمى الخط وحيا) على الاستعارة التحقيقية
ايضا او المجاز المرسل (لسرعة حركة يد كاتبه) هو وجه الشبه بينهما (ووحى الحاجب
واللحظ) هو فى الاصل مؤخر العين ثم اطلق على النظر فيقال لحظه بعينه وهو هنا
مستعار (لسرعة اشارتهما) اى حركتهما بسرعة للاشارة بهما (ومنه) اى من
اطلاق الوحى على الاشارة (قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اى اومأ)
بهمزة فى آخره وقد استعمل منقوصا ايضا بالالف كاوحى لفظا ومعنى (ورمز)
بفتح الميم اى اشار بالعين او بالشفة (وقيل) معناه (كتب) لان الوحى يكون
بمعنى الكتابة كما تقدم (ومنه قولهم) اى قول العرب (الوحا الوحا) بفتح الواو والمد
والقصر ويقال الوحاك بكاف الخطاب ايضا كما فى الاساس وهو منصوب بفعل مقدر
للاغراء (اى السرعة) والعجلة (وقيل اصل الوحى) لغة (السر والاخفاء ومنه)
اى من كونه بمعنى الاخفاء (سمى الالهام وحيا) لخفائه وهو اظهر مما تقدم من
ان معناه السرعة (ومنه) اى من هذا القبيل (قوله تعالى وان الشياطين ليوحون
الى اوليائهم) اى من يوالونهم ويصادقونهم من المشركين (اى يوسوسون
فى صدورهم) اى يلقون فى قلوبهم والمراد بالشياطين مردة الجن والمراد باوليائهم
كفرة قريش او مردة الانس من مجوس هجر وفارس والوسوسة كالالهام الالقاء
فى القلب الا ان الاول يختص بالخير وهذا بغيره ولذا اتبعه بقوله (ومنه) قوله تعالى
(واوحينا الى ام موسى) ان ارضعيه (اى القى) بالبناء للمجهول (فى قلبها) مناما والهاما
وقيل انه وحى حقيقى كالوحى الى الانبياء عليهم الصلوة والسلام (وقد قيل ذلك) التفسير
السابق (فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اى بالقائه فى قلبه دون
واسطة) والذى رجحوه فى هذه الآية ان المراد بالوحى فيها المشافهة بكلام الله
تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وكلامه لموسى عليه الصلوة والسلام وحديث
ابى ذر المشار اليه هو هذا قال دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم جالس فجلست اليه فقلت بابى انت وامى امرتنى بالصلوة فاى الصلوة
قال الصلوة خير موضوع استكثر او اقل قال فقلت فاى الاعمال افضل قال ايمان بالله
وجهاد فى سبيل الله فقلت اى المؤمنين اكمل ايمانا قال احسنهم خلقا قلت اى
المسلمين اسلم قال من سلم المؤمنون من يده ولسانه فقلت اى الهجرة افضل فقال
هجر السيئات فقلت اى الصلوة افضل قال طول القنوت قلت اى الليل افضل قال

جوف الليل الغابر قلت اى الصلوة افضل قال فرض مجزى عبدالله و عبدالله اصناف كثيرة قلت اى الصدقة افضل قال جهد من مقل يصير الى فقير قلت فاى الرقاب افضل قال اغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها قلت فاى الجهاد افضل قال من عقر دمه و عقر جواده قلت فاى شىء اعظم مما انزل الله عليك قال آية الكرسى يا اباذر ما السموات السبع والارضون السبع فى الكرسى الا كحلقه ملقاة فى فلاة من الارض و فضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على الحلقة قلت بابى انت و امى فكم الانبياء قال مائة الف واربعة و عشرون الف قلت فكم الرسل من ذلك قال ثلاثمائة و ثلاثة عشر جم غفير قلت فمن كان اولهم قال آدم قلت نبى مرسل قال نعم خلقه الله بيده و نفخ فيه من روحه ثم سواه قال يا اباذر اربعة سريانيون آدم و شيث واخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم و نوح واربعة من العرب هود وصالح وشعيب و نبيك محمد صلى الله عليه و سلم وابراهيم و سائرهم من بنى اسرائيل فاول الانبياء ادم و آخرهم نبيك و اول انبياء بنى اسرائيل موسى وآخرهم عيسى قلت فكم كتاب انزله الله تعالى قال مائة كتاب واربعة كتب انزل على شيث بن آدم خمسين صحيفة وانزل على اخنوخ ثلاثين صحيفة وانزل على ابراهيم عشر صحائف وانزل على موسى قبل التورية عشر صحائف وانزل التورية والانجيل والزبور والفرقان قلت فما كان فى صحف ابراهيم قال ... ايها الملك المسلط المبتلى انى لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا اردها و فيها على العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله ان لايكون طامعا الا فى ثلاث تزود لمعاد و حرفة لمعاش ولذة فى غير محرم ... اعلم ان معنى ... ما جاءت به الانبياء ﷺ عليهم الصلوة والسلام (معجزة وهى ... الانسان عن ...) المعجز عند العرب ان لا تقدر على ما ... الحم المعجز بكسرها ويقال اعجز بكسر الجيم فى الماضى ... الصانع ... قال ... كذا اذا فاته وقيل المعجز فى الحقيقة هو الله خالق العجز فيمن ... قلم تقدر على المثل فان من خرجت عن مقدورهم لا يتصور فيهم العجز لعدم قدرتهم وما هم عليه وقدرته لا يتصور عجزهم عنه وانما قال المعجز لان المعجوز عنه ... واوجب المعارضة منهم ولم يوجد فالمعنى ... المعارضة ... ان الانبياء اثبات عجز المرسل اليهم فاعتبر لاظهار العجز ... الذى هو اظهار الخوارق ... الى ... بحث لا يخفى (وهى) المعجزة (على ضربين) اى نوعين ... اسم ... مقدور وغير مقدور (ضرب هو من نوع قدرة البشر) اى مقدورهم الذى يمكنهم الانسان

عايماله من نوعه (فسحر واعنه) الفاء فصيحة اى فطلب منهم فسحر واعنه (فسخيرهم عنه) اى جعلهم عاجزين والمصدر مضاف لمفعوله اى تسخير الله اياهم (فعل الله دل على صدق نبيه) اى خلق العجز فيهم ومنعهم عما من شانهم القدرة عليه فهو فى قوة قول الله تعالى صدق عبدى فيما ادعاه والعادة جارية بان يقع بعده علم ضرورى بصدقه (كصرفهم عن تمنى الموت) اى منع الله اليهود عن تمنى الموت لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الامن كان هودا او نصارى وكذبهم الله تعالى والزمهم بقوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين * اى قل لهم يا محمد ان كنتم احباب الله تعالى والجنة مختصة بكم فاطلبوا الموت فان من احب الله احب لقاءه ومن كانت داره الجنة يبادر لدخولها فلم يتمنه احد منهم ولو بلسانه لصرف الله لهم عن ذلك ولذا ورد ولو تمنوه لم يبق على وجه الارض يهودى وسيأتى بيان هذا مطولا فى محله وهذا اعظم حجة على صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم كما قاله المفسرون وهذا وان كان تركا وعدما متضمن لمعنى وجودى وهو السكوت والخوف ونحوه فسقط ماقيل ان المعجزة فعل خارق وليس هذا من قبيل الافعال (وتعجيزهم(٢) عن الاتيان بمثل القرآن على رأى بعضهم) القائل بان اعجازه بالصرفة اى بصرف العرب الفصحاء عن معارضته مع تحديه لهم وتقريعهم بذلك على رؤس الاشهاد حتى عدلوا عن مجادلة الحروف الى مجالدة السيوف كما هو مشهور معروف وهذا مذهب النظام وبعض المعتزلة والشيعة فقيل صرفهم بان لم يكن دواعى وبواعث لذلك وقيل سلبهم المعارف المذكورة فى طباعهم من معرفة فنون البلاغة واساليبها على القولين المشهورين فى الصرفة والذى عليه الجمهور المحققون ان اعجازه انما هو بما تضمنه من الفصاحة والبلاغة وغرابة الاساليب وبلاغة التراكيب وجزالتها وانواع البديع ومطابقة المقامات وبدائع الفواتح والمقاطع وروائع الاستعارات الى غير ذلك مما خرج عن طوق البشر وبلغ الى ذروة لا تصل اليها خطى الافكار مع حلاوة وطلاوة تعين السامع الى غير ذلك مما قرروه وقيل اعجازه بما فيه من المغيبات وقيل بجميع ذلك والاقوال معروفة مقررة فى الاصول والمعانى وغيرها من كتب السلف (ونحوه) مما نوعه مقدور لهم (وضرب) من المعجزة (هو خارج عن قدرتهم) اذ تحداهم به (فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى) الذى وقع لابراهيم ولعيسى عليهما السلام فانه قيل ان ما كان بدعاء عيسى عليه السلام معجزة له انما كان من الله لامه بشهادة واحيي الموتى باذن الله * واذ تخرج الموتى باذنى لاوجه له وهذا ايضا مما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فيما وقع لابويه على الصحيح (وقلب العصا حية) معجزة لموسى

(٢) واعجازهم نسخه

صلى الله تعالى عليه وعلى نبينا وسلم وسيأتي انه ما من معجزة لنبي من الانبياء الا ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها وزيادة (واخراج ناقة من صخرة) بلا واسطة واسباب معتادة معجزة لصالح عليه الصلوة والسلام لما اقترح عليه جندع بن عمرو سيد قومه ان يخرج لهم من صخرة اسمها الكاثبة ناقة عشراء فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء وهم ينظرون ثم نتجت مثلها في العظم فآمن جندع في جمع من قومه وتمادى غيرهم في الكفر حتى عقروا الناقة فاخذتهم الرجفة (وكلام الشجرة) وفي نسخة الشجر وهذا مما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله حنين الجذع المشهور (ونبع الماء من الاصابع) اي من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا مما وقع له صلى الله عليه وسلم ايضا كما سيأتي ولله در الابوصيري في قصيدة عارض بها بانت سعاد حيث قال

ومنبع الماء عذب من اصابعه * وذاك منبعه فيما جرى السبل

(وانشقاق القمر) معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صار فلقتين تشاهده الناس وقد ثبت هذا في الاحاديث الصحيحة وروي من طرق متعددة خرجها السيوطي وبه فسر قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) واهل الرواية يسمى انفصالا (٢) وهذا النوع كله واقسامه (مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله) عز وجل (وكون) اجراء (ذلك) الذي لا يفعله الا الله (على يد النبي) اي ووقوعه من نبي من انه بحسب الظاهر فعله وهو في الحقيقة (من فعل الله تعالى) الذي اظهره على يده بقدرته (وتحديه) بتشديد الدال مصدر مضاف للفاعل وهو ضمير النبي ويجوز عوده على الله لا مرونا وهو طلب المعارضة والاتيان بمثله كما تقدم وهو مبتدأ وقوله (من يكذبه) مفعوله وقوله (ان يأتي بمثله) قدر الجار اي لان يأتي بمثله او بدل من تحديه او خبر وقوله (معجزة له) خبر المبتدأ اي اظهر عجزه عن ذلك (واعلم ان المعجزات) جمع معجزة ولم تجمع معجز لانه للمذكر العاقل (التي ظهرت على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وصدرت منه (ودلائل نبوته وبراهين صدقه) عطف تفسير له كانشقاق القمر ونحوه مما تقدم وسيأتي مما لا يحصى (من هذين النوعين معا) خبر ان اي بعضها مقدور وبعضها غير مقدور كالقرآن ونحوه (وهو) اي نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (اكثر الانبياء معجزة) منصوب على التمييز اي معجزاته اكثر من معجزات سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام (وابهرهم آية) تمييز والآية المعجزة لانها علامة النبوة وابهر افعل تفضيل من بهر بمعنى ظهر او غلب يقال بهر القمر فهو باهر اذا ملأ الارض ومن ذلك قول عمر بن ابي ربيعة

ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصى والتراب

ونحوه ذكرها الادباء فالمعنى ان معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر واظهر

(٢) وهذا مفصل الرواية عند الكلام عليه اه مصححه

(واقوى)

واقوى (واظهرهم برهانا) هذا اعم مما تقدم لان البرهان وهو الدليل القاطع اعم من المعجزة ويجوز ان يريد المعجزة ايضا (كما سنبينه) فى آخر هذا الباب وفى قوله اكثر واظهر مايدل على ان سائر الانبياء اتت بدلائل ومعجزات وبراهين ومعجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وبراهينه اقوى واظهر وانها تسمى بذلك كما تسمى به آيات بينا وقد اطلق عليها آية وبرهان الا انه لم يطلق عليها فى القرآن معجزة قيل ولا فى السنة والمعجزة مخصوصة بالانبياء عليهم الصلوة والسلام وخوارق الاولياء تسمى كرامة وقد يطلق عليها واطلق عليها المعجزة ايضا الامام احمد بن حنبل واباه غيره (وهى) اى معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (فى كثرتها لايحيط بها ضابط) اى لايحيط بها حصر وعدد او حفظ لان الناس يطلقونه على هذا تجوزا من الضبط بمعنى الاخذ باليد والحفظ بمعنى الصيانة واما اطلاقهم الضابط على القاعدة الكلية فمولد من كلام المصنفين ووجه التجوز فيه احاطته بافراده وفى كلامه استعارة مكنية وتخييلية ولم يتعرض له فى الاساس ثم بين ذلك بقوله (فان واحدا منها) اى معجزة واحدة من جملة معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو القرآن) فانه بجملته معجز وكذا آياته وسوره قال الامام مجد الدين فى نهاية الغمول التحدى وقع مرة بالقرآن كقوله تعالى (قل لئن اجتمعت الجن والانس على ان يأتوا بمثل هذا القرآن) ومرة بعشر سور كقوله تعالى بعشر سور ومرة بسورة كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله ومرة بآية كقوله فليأتوا بحديث مثله وذلك نهاية التحدى وهو كقول الرجل لمن يفاخره هات فوما كقوم هات كقومهم هات كرتهم هات كواحد منهم انتهى والى هذا اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (لايحصى) اى لايعدو يضبط وكانوا يعدون ما كثر بالحصى ثم استعمل فى مطلق العدد ولذا قال الاعشى * ولست بالاكثر منهم حصى * وانما العزة للكاثر * (عدد معجزاته) اى معجزات القرآن (بالف ولا الفين) لما فى كل آية من الاعجاز (ولا اكثر) من ذلك لما فى الفاظه من البلاغة ونحوها كالتوكيد والتلميح والتشبيه والاستعارة والايجاز وحسن المواقع والخواتم وما يصل الى غير ذلك مما لايحصى (لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد تحدى بسورة منه) اى طلب مثلها من بلغاء العرب (فعجز عنها) فاعل عجز من تحداه المعلوم مما قبله او هو مبنى للمجهول وهو اولى (قال اهل العلم) بالقرآن وبلاغته (واقصر سورة) من القرآن وهو منون او هو جمع مضاف لضميره (انا اعطيناك الكوثر) سميت بجزئها هذا كما سمى سورة الكوثر لذكره فيها لانها ثلاث آيات وسورة قل هو الله احد كذلك وسورة العصر الا ان حروف هذه اقل منهما (فكل آية) طويلة من القرآن بعدد حروفها ومقدارها (او آيات منه) اى القرآن (بعددها) اى بعدد الكوثر آيات وحروفا وكلمات (ومقدارها معجزة) للعجز عن معارضتها لما فيها من البلاغة وهذا بيان اول مراتب الاعجاز فيه ومنه يعلم

كثرته (ثم فيها نصها) اى فى سورة الكوثر (معجزات) كثيرة (على ما سنفصله)
بيانه تفصيلا (فيما انطوى) اى اشتمل القرآن (عليه من المعجزات) التى لا تحصى
ولا تحصر (ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين) اى علم واستقر انقسامها
انقسام الكلى الى جزئياته فثبت استقرارها بالاستقراء كما على من كونه لانها اما ان تعلم
علما يقينا قطعيا او لا فالاول (قسم منها علم قطعا و نقل الينا متواترا كالقرآن فلا مرية)
بكسر الميم وضمها وسكون الراء المهملة ومثناه تحتية وهى الشك والتردد كما تقدم
بيانه (ولا خلاف بمجئ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به) الباء الاولى بمعنى فى والثانية
صلة المجئ (و) لا خلاف ولا مرية فى (ظهوره من قبله) بكسر القاف وفتح
الباء الموحدة ومعناه جهته وجانبه كما سيأتى فى قوله من قبل الله على ما وجه
(واستدلاله) اى استدلال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على صدقه و نبوته (بحجته)
الاضافة بيانية اى بحجة هى القرآن (وان انكر هذا) المذكور الذى لا مرية فيه
(معاند جاحد) اى منكر له عنادا مع علمه به (فهو كانكاره وجود محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم فى الدنيا) وهو سفسطة وانكار للمحسوسات التى لا تسمع ولا تصدر من عاقل
(وانما جاء اعتراض الجاحدين) اشارة الى ان انكارهم لما علموا خلافه (فى الحجة به)
اى الاحتجاج به وانه كلام الله كقول المشركين هذا سحر مبين واساطير الاولين
وما انزل الله على بشر من شئ الى غير ذلك (فهو) اى القرآن (فى نفسه) اى فى كلامه
المفرد (وجميع ما تضمنه) واشتمل عليه (من معجز) اى من كل امر معجز كالاعجاز
والاخبار عن المغيبات (معلوم ضرورة) علما ضروريا لمن كان من اهل البلاغة
ولذا قال الوليد بن المغيرة لما سمعه ان له حلاوة وعليه طلاوة وان اسفله مغدق واعلاه
مثمر وما هو من كلام البشر كما يأتى انه فى الفصل ما شهدت به الاعداء (ووجه اعجازه
معلوم ضرورة) عند اهل اللسان لا عند كل احد لما فيه من فنون البلاغة (وبنا ء)
اى استدلالا عند غيرهم اولا نظار بعض وجوهها (كما سنفسره) ونبينه (و)
(قال بعض ائمتنا) اى علماء الحديث والتفسير لا المتكلمين اذ لا اختصاص لما ذكر
بمذهب (ويجرى هذا المجرى) بفتح الميم اسم مكان او مصدر ميمى اى يلحق بما تقدم
ويشبهه لان ما جرى فى مجرى شئ ساواه (على الجملة) اى اجمالا من غير نظر الى
الوجه المشابه وفاعل يجرى (انه قد جرى على يديه) اى بسببه (صلى الله تعالى عليه
وسلم آيات وخوارق عادات) عطف تفسيرى او من عطف الخاص على العام والاول
اولى (ان لم يبلغ) اى يصل (واحد منها معينا) اسم مفعول حال من النكرة لو قدمها
ولو وقع كان اولى (القطع) والجزم مفعول يبلغ (فيبلغه جميعها) اى مجموعها وهذا
يسمى التواتر المعنوى كشجاعة على وزهد الحسن البصرى فان كل حال من احواله

هؤلاء لم يبلغ مبلغ التواتر ومجموعها احالا بلغ ذلك بحيث لم يبق شبهة فيه كـذليله
الجاره مما شاهدوه من خوارق عاداته وانقياد الملوك له وغير ذلك (فلامرية
في جريان معانيها على يديه) مشهورة ناطقة بتصديقه شاهده برسالته (ولايختلف
مؤمن ولا كافر) من الامم السالفة (انه) اى نبيهم قد (جرت على يديه عجائب) اى
امور خارقة للعادة حيرت ابصارهم والبابهم حتى يتعجب المتعجب منها (وانما) وقع
(خلاف المعاند في كونها) اى تلك العجائب صادره (من قبل الله) بكسر القاف وفتح
الباء اى من المبدأ الفياض المبدع البدائع (وقد قدمنا) اولا (كونها) بيان كون
العجائب (من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله) اى الله عز وجل لرسوله (صدقت) في
نبوتك وماادعيته ومعنى مثابته منزلته وفي حكمه بمعناه من اثابه كذا اداعوضه ومنه
الثواب بالثاء المثلثه لجزاء الطاعه والجاحد المعاند يزعم تارة انه سحر وكهانة وان ماسمع
من كلام الشعر والجاهـ كلام جن سحر ها الى غير ذلك من الخرافات التي صاروا اليها
فاصبحوا ابها سحرة فاذا عرفت هذا (فقد علم وقوع مثل هذا) الذي وقع للانبياء عليهم
الصلوة والسلام والامم السالفة مما علمه كل مؤمن وكافر وبر وفاجر (ايضا) كما وقع
لاولئك (من نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ضرورة) اى علم علما ضروريا متواترا
تواترا معنويا (لاتفاق معانيها) اى اتفاقها كلها في معنى واحد (كما نعلم ضرورة
جود حاتم) الطائي وشهرته تغني عن ذكره فاخباره في الجود مشهورة ايضا وكان
في الجاهلية قريبا من مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم وادرك ابنه عدى الاسلام
وكان من كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم (وشجاعة عنترة) بالهاء ويقال له
عنتر ايضا وهو عنترة بن معاوية بن شداد العبسي وهو علم منقول من عنتر وهو نوع
من الذباب ازرق ونونه اصلية في زيادتها وهو من فرسان العرب وفصحائها
المشهورين (وحلم احنف) بن قيس التميمي ادرك الاسلام واسلم لكنه لم ير النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من كبار التابعين واحنف بفتح الهمزه وسكون
الحاء المهمله بمعناه مائل الرجل وله كلمات من الحكم مشهوره في كتب وعنه في الحلم
حكايات عجيبة وكان من المعمرين ثم وصح ذلك على طريق اللف والنشر المرتب
فقال (لاتفاق الاخبار الوارده) اى المرويه (عن كل واحد منهم) ثم ابدل من قوله
عن كل واحد قوله (على كرم هذا) يعني حاتما (وشجاعه هذا) يعني عنتره (وحلم
هذا) يعني احنف واشار بهذا لقرب ذكرهم وحضورهم في الذهن (وان كان كل خبر)
من اخبار هؤلاء الثلاثه (بنفسه) اى وحده (لايوجب العلم) القطعي (ولا نقطع
بصحته) لعدم تواتره بانفراده وانما التواتر ماحصل من مجموعها كالكرم والشجاعة
والعلم والحاصل ان ماجرى على يديه صلى الله تعالى عليه وسلم تواتر تواترا معنويا
لالفظيا حقيقيا والمعنوي هو حصول العلم القطعي من مجموع امور جزئية واخبار

واردة مستفيضة كما اذا اخبر واحد بان حاتما اعطاه دينارا وآخر بانه اعطاه بعيرا وآخر بانه وهبه عبدا وآخر بانه كساه وآخر بانه دفع له فرسه فقد اتفقوا كلهم على مطلق الاعطاء والتواتر الحقيقي ان يخبر جماعة عن جماعة الى آخره تؤمن تواطئهم على الكذب في خبر واحد متفق اللفظ والمعنى وكلاهما يفيد علما ضروريا عند سماعه من غير حاجة الى نظر واستدلال بشروط مقررة في الاصول خلافا لامام الحرمين والرازي فانه عندهما يفيد علما نظريا او وقفه على مقدمات اخر ولا يشترط فيه عدد مخصوص والاسلام (والقسم الثاني)من المخبرات (مالم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع) عطف تفسيري اي لم يصل الى مرتبة (وهو على نوعين نوع منه مشهور منتشر) اي له شهرة وشيوع بين الناس ويسميه المحدثون مشهورا ومستفيضا (رواه العدد) الكثير (وشاع الخبر به عند المحدثين) الحفاظ الذين رووه وهو لا يبلغ رتبة المتواتر المفيد للعلم الضروري ولا النظري وذهب بعض الاصوليين الى انه يفيد العلم القطعي بل انه يفيد العلم النظري والمشهور انه يفيد الظن ولا بد ان تكون شهرته عن اصل ورواية فان اشتهر لا عن اصل وهو المسمى بالمشهور على الالسنة لم يفد به المحدثون مالم يعلم اصله فان علم ذلك تقوى بشهرته في الجملة (والرواة ونقلة السير) جمع ناقل بمعنى كتكاتب وكتبة والسير جمع سيرة كسدر وهي اخبار المغازي (والاخبار) عطف تفسيري (كنبع الماء من بين الاصابع) اي اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وتكثير الطعام) الذي رواه انس وغيره كحنين الجذع وكلام الضب والذراع الذي رواه الشيخان وغيرهما (ونوع منه) لم يشتهر ولم ينتشر بل (اختص به) روايته (الواحد والاثنان وراوه العدد اليسير) اي القليل (ولم يشتهر اشتهار غيره) كالقسم الاول والنوع الاول من القسم الثاني ويسمى غريبا وهو لا يفيد العلم الا بقرينة كاشجمع الجوامع وقيل لا يفيد مطلقا وقال احمد انه يفيد العلم مع عدالة راويه(٢) ويجب العمل به ولو لم يفده يجب العمل به وله ادلة مذكورة مع الجواب عنها في الاصول (لكنه اذا جمع الى مثله) من احاديث المعجزات (اتفقا في المعنى ٢) من اصل الاعجاز وثبوته كالاشارة اليه بقوله (على الاتيان) اي اتيان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بالمعجز كما قدمنا) من جريانها على يديه وانتسابها اليه لا الى بعض المقوي له (قال القاضي ابو الفضل) عياض المصنف (رضي الله تعالى عنه واني اقول صدعا بالحق) تقديم المسند لافادة التقوية ويجوز ارادة الحصر لا ارادته اشارة الخصوصية وجموع ما قاله وقوله صدعا اي صادعا صدعا فهو حال او مفعول لاجله او مطلق لمقدر او لاقول لانه بمعناه كقوله فاصدع بما تؤمر مستعار من صدع الزجاج ونحوه من الاجرام الصلبة لاظهار الحق والجهر به كانه صدع قلبه او صدع شبهة ويبطلها

(٢) رواته نسخه

(٢) واجمعا نسخه

او من اصداع الفجر لظهوره ويقال للفجر صديع لهذا (ان كثيرا من هذه الآيات) والمعجزات (المأثورة عنه) اى المروية عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (معلومة بالقطع) لتواترها حقيقة او معنى (اما انشقاق القمر) اى اما معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم بانشقاق القمر له بمكة حين سأله كفار قريش آية غير ما جاء به او لاقتراحهم ذلك فهى ظاهرة باهرة (فالقرآن نص بوقوعه) اى صرح به فى قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) وقرئ وقد انشق اى اقترب وقد حصل من آيات اقترابها انشقاقه ولتضمنه معنى صرح عداه بالباء والا فهو متعد بعلى فقد تواتر ذلك لفظا على القراءة المشهورة ومحتمله فقد يأتى تأويله بان معناه انه سينشق اذا قامت القيمة والتعبير عنه بالماضى لتحقق وقوعه فهو استعارة تبعيه وقرينتها اقترابها بلفظ الساعة فلا يرد عليه انه ليس معه قرينة لصحته كما توهم الا انه لا يدفع كونه خلاف الظاهر (واخبر بوجوده) فى هذه الآية وقراءة انشق تؤيد التأويل فقد تعارضا وترجح الاول انه الاصل والمتبادر منه (ولا نعدل عن ظاهر) بالتنوين اى عن ظاهر القرآن (الا بدليل) قوى يقتضى العدول عنه وتاويله بما تقدم وقولهم انه لو وقع شاهده الناس كلهم يرده انه آية ليلية قد تخفى على بعض الناس (وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار) اى احتمال خلاف الظاهر ورد فى الاخبار الصحيحة ما يرفعه ويدفعه كما سيأتى (من طرق كثيرة) تؤيد حمل الآية على ظاهرها لاسيما وقد روى فى الصحيحين وقد قال جماعة الحفاظ ابن حجر ان ما روى فى الصحيحين يفيد علما نظريا وان لم يتواتر وقد صرح بهذا ولها ابو اسحق الاسفراينى والحميدى وابو الفضل بن طاهر فان احتف به قرائن وورد من طرق اخر زاد قوة وبلغ العلم المستفاد مرتبة تقرب من القطعى ثم اشار الى انه لا يلتفت لخلاف من خالف فى مثل هذه المطالب فقال (فلا يوهن) بالتخفيف والتشديد اى يضعف (عزمنا) اى ما عزمنا عليه وقصدناه جزما من اثبات هذه المعجزات وحمل النصوص الواردة بها على ظاهرها من غير تاويل (خلاف اخرق) بالاضافة اى مخالفة احمق واصله الذى لا يحسن العمل بيده كانه يخرق ما يريد رقعه وقال الثعالبى فى فقه اللغة فى انواع الحمق اولها احمق ثم ابله فان كان معه عدم الرفق فهو اخرق فالحاصل ان المخالف فى مثله جاهل لادراية له ولا معرفة بالاحاديث ثم وصف ذلك المخالف بقوله (منحل عرى الدين) فهو بالجر صفة اخرق اى هو مع جهله واهل الدين ضعيفه لعدوله عن ظاهر النصوص وتشبيه بانحلال السنة وعرى بضم العين وفتح الراء المهملتين والف مقصورة جمع عروة وهى ما يعقد فى الحبل ليتمسك به وقال الراغب العرى المقصور الناحية ومنه العروة هو ما يتمسك به قال الله تعالى (فقد استمسك بالعروة الوثقى) وهو على طريق التمثيل اسهى فان شبه الدين بالعروة فهو من اضافة المشبه للمشبه به كلجين الماء

وان شبه بالحبل للتوصل به لما يعلو كما في الحديث كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض فان الحبل مستعار في كلام العرب كقوله اى مالك واصل حبلى فهو استعارة مكنية وتخييلية والمراد انه غير متمسك بالدين (ولا يلتفت الى سخافة مبتدع) الالتفات الانحراف للنظر الى شيء ثم صار كالنظر كناية عن الرعاية بلطف واحسان ومنه قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة والسخافة اصلها عدم احكام النسج ثم تجوز به عن قلة العقل فيقال هو سخيف العقل لمن عقله وفكره غير قوى والمبتدع مرتكب البدع وهو المحدث على خلاف الشرع وقوله (يلقى الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين) اشارة الى ماهو من شان اهل البدع من القائهم الشبه والمشككات على ضعفاء العقول من المؤمنين وخصهم بذلك لان غيرهم لا تقبل مثل هذه الآراء الواهية واما ضعيف العقل فقد يأخذ باقوالهم فيتبعهم ويفتن (بل يرغم بهذا انفه) اى يرد مقاله ويظهر جهله وسخافة عقله حتى ينفخ ويذل ويخزى لان اصله ان يلصق انفه بالرغام وهو التراب فتجوز به عن الاذلال والتحقير وكنى به هنا عما فسرناه به وهذا اشارة الى ماذكر من القول الصحيحة اى لا نصرف عن ظاهرها بغير دليل (وينبذ بالعراء سخيفه) النبذ بنون وموحدة وذال معجمة يقال نبذه ينبذه كنصره ينصره اذا طرحه والقاه والعراء بالمد المكان الخالي الذى لا ستر فيه و بالقصر الناحية ويقال عراه اذا قصده وسخيفه قليل عقله ودينه وينبذ سخيفه بالعراء اى القاه في مكان خال عن الناس وهو عبارة عن ابطاله بالكلية وهذا ابلغ من عدم الالتفات الذى هو معنى الاعراض وعدم الاعتداد بالشيء فهذا ترق لان الاول يكون مع اسماعه وحضوره عنده وهذا ابعاده لرميه بالفلاة ولا تكرار في كلامه وتفسيره باهماله فيهمل لا يلتفت اليه وحاصله ان انشقاق القمر في الآية على ظاهره لوروده في الاحاديث الصحيحة من طرق متعددة فمن حمله على ان المراد انه ينشق اذا قامت القيمة يوم تنشق السماء لم يات بشيء وان ارتضاه جمع لانه لو وقع شاع وذاع وملأ الاسماع لانه آية عظيمة وقيل معناه ظهر الامر لان العرب تضرب المثل بالقمر لما وضح كما قال البحترى في لامية العرب

فهذه الحاجات والليل مقمر * وشدت لطيات مطايا وارحل

وقيل معناه انشقاق الظلمة عنه بطلوعه كما يقال انفلق الصبح وانشق كما قال النابغة

فلما ادبروا ولهم دوى * دعانا عند شق الصبح داعى

والداعى لهم على هذا عدم الوقوف على ما ورد في السنة والفهم لاقوال الحكماء الذاهبين الى امتناع الخرق والالتئام في الاجرام الفلكية ونحوه من الخرافات الفاسدة

(وكذلك)

(وكذلك قصة نبع الماء) من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وتكثير الطعام) القليل ببركته ووضع يده الشريفة فيه (رواها) اى القصة (الثقات) من حفاظ المحدثين والعدد الكثير عن الجم الغفير) تقدم معناه مفصلا وتأتى القصتان مع زيادة (عن العدد الكثير من الصحابة) كالشيخين عن انس رضى الله عنه والبخارى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قيل انه عمل الجم الغفير مجرورا بالحرف والذى فى كتب العربية انه لازم النصب وجوز بعضهم رفعه كما تقدم ولا وجه له لان من لم يقل بلزوم نصبه يجوز جره ايضا اذ لا مانع منه (ومنها) اى رواية قصة تكثير الماء والطعام (ما رواه الكافة عن الكافة) اى ما رواه جماعة عن جماعة ومثل هذه العبارة من تعريف كافة وجره وقع فى كلام كثير من العلماء والفصحاء وقد خطأهم فيه الحريرى فى درة الغواص وتبعه صاحب القاموس وغيره بناء على انه يلزم تنكيرها ونصبها وقد صرح به كثير من النحاة قال فى القاموس لا يقال جاءت الكافة لانه لا تدخلها ال ولا تضاف ووهم الجوهرى وقد بسطنا الكلام عليه فى شرح الدرة وبينا انه مردود رواية ودراية فانه سمع فى كلام العرب فان اردت معرفة ذلك فانظره (متصلا عن من حدث بها) اى بتلك القصة (من جملة الصحابة واخبارهم) بفتح الهمزة وكسرها ما مر ووقع معطوف على قوله ما رواه (ان ذلك) بفتح الهمزة اى بان الى آخره وجوز كسرها (كان فى موطن) بمعنى محل فاصله محل التوطن (اجتماع الكثير منهم فى يوم الخندق) بالمدينة وهو بفتح الخاء المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وقاف وهو فارسى معرب كنده بمعنى الحفر والمراد غزوة الخندق وتسمى غزوة الاحزاب لاجتماع احزاب المشركين واليهود فيها حول المدينة فامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة اشار عليه سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه ولم يكن ذلك معروفا عند العرب وانما هو من مكائد الفرس وكان ذلك فى شوال وقيل فى ذى القعدة سنة اربع او خمس من الهجرة النبوية وقد فصلوها فى السير (وفى غزوة بواط) بضم الباء وفتحها وهو اسم جبل من جبال جهينة بينه وبين المدينة اربعة برد بقرب رضوى وهو جبل ايضا وهى التى ظفر فيها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعير قريش ستة انيس ولم يكن فيها حرب ايضا وبواط قيل فيه الصرف وعدمه والظاهر الاول واشار بالاول الى قصة جابر رضى الله تعالى عنه لما دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعناق ذبحها مع صاع من شعير خبزه فاتاه صلى الله عليه وسلم ومعه ناس كثير وكان دعاه وحده فأكلوا وشبعوا وفضل ذلك الطعام وكانوا نحو الف وبالثانى الى قصة بواط وهى انه وضع عنده صلى الله تعالى عليه

وسلم ماء قليل للوضوء فقال لجابر ادع الناس فلما اتوا وضع يده الشريفة في الماء فنبع الماء من بين اصابعه حتى توضؤا كلهم كما يأتي (وعمرة الحديبية) بالجر عطف على المجرور في قوله والحديبية مصغر كدويهيه اسم مكان او قرية قريبة من مكة سميت بشجرة حدباء فيها وهي التي وقع تحتها بيعة الرضوان وهي بتخفيف الياء الثانية على الصحيح وشددها بعضهم واليه ذهب كثير من المحدثين وكانت في سنة ست والآية التي كانت فيها انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من المدينة معتمرا فلما وصل اليها صده المشركون عن البيت وكان بين يديه ركوة فتوضأ منها وماء البئر قليل جدا نزحه الناس وشكوا العطش الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزع سهما من كنانته واعطاه لناجية بن عميرة فغرزه في البئر فجاش ماؤها وجاءت جارية من الانصار معها دلو فالقت به على ناجية وهو في القليب وقالت منشدة

يا ايها الماتح دلوي دونكا * اني رأيت الناس يحمدونكا

يثنون خيرا ويمجدونكا * ارجوك للخير كما ارجوكا

الى آخر ما حصل في السير وسيأتي تمامه (وغزوة تبوك) في السنة التاسعة من هجرته عليه الصلوة والسلام او السادسة وهو اسم موضع بين الشام والمدينة عز منصور وقد سبقت بعض مائها امرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يمسوا ماءها فسبق رجلان فسقيا منها واكثر ماؤها فزجرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لهما ما زلتما تركتماها اي حفرتاها انحرت ماؤها فاشار المصنف الى آية فيها رواها ابو هريرة رضي الله تعالى عنه وهي ان الناس اصابتهم مجاعة فقال عمر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله ادع بفضل الازواد فدعا بنطع وبسطه ودعا بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجيء بكف من ذرة والآخر بكف من تمر والآخر بكسرة من غير جمع ذلك وبرك عليه ثم قال خذوا فاخذوا في اوعيتهم حتى ما بقي في العسكر وعاء الا ملؤه واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة وعقد المصنف رحمه الله تعالى اكل آية فصلا كما يأتي (وام اليها من محافل المسلمين) مجرور معطوف على موطن والضمير للغزوات المذكورة والمحافل جمع محفل من حفل القوم اذا اجتمعوا وكثروا وقيل المحفل مجمع الرجال والماتم مجمع النساء والنادي مجمع الناس في النهار ودار الندوة والصطبة مجمع العلماء وقيل محال اجتماعهم لامورهم والمجالس مقر الناس في سوقهم والخان محل المسافرين والحانوت محل البيع والشراء وقد يخص المحفل بمجمع الحرب (ومجمع العساكر) اي محل اجتماعهم وهو المعركة والعساكر جمع عسكر وهو الجيش والجمع الكثير مطلقا من الرجال والخيل وقيل انه معرب (ولم يزل) بالبناء للمجهول اي لم ينقل من اثره اذا نقله ومنه الاثر بمعنى الخبر وقد يخص بغير الحديث (عن احد من الصحابة مخالفة للراوي)

(نائب)

نائب الفاعل (فيما حكاه) الراوى من الامور والآيات المذكورة (ولا) نقل
عن احد (انكار لما ذكرعنهم) وذكر مبنى للمجهول نائب فاعله (انهم رأوه
كما رآه ٢) اى لم ينقل انكار انهم رأوا من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما رآه منهم الآخر
ان سكتوا حين سمعوا من بعض الرواة انه شاهد بعض آياته صلى الله تعالى عليه وسلم
(فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق) لانه فى محله اقرار (اذهم المنزهون عن
السكوت على باطل) يسمعه من غيره ولا يصرح له بانكاره وكون السكوت كالنطق
ليس على اطلاقه كما ذكره الفقهاء واهل الاصول ولذا قالوا السكوت فى محل الحاجة
بيان (و) المنزهون عن (المداهنة فى كذب) فان الصحابة كلهم عدول لا يخشون
فى الله لومة لائم والمداهنة الملاينة والمطاوعة الا ان الفرق بينها وبين المداراة ان
المداراة فى الحق والمداهنة فى غيره ولذا جعلت من الغش قال الله تعالى (افبهذا
الحديث انتم مدهنون) وهى استعارة من الدهن للين كلام صاحبها وجانبه وهى
مذمومة لانها نفاق (وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم) اى الصحابة رضى الله تعالى
عنهم ليسوا ممن يطمع ويرغب فى دنيا غيره ولا يخافون احدا عدل عن الحق لصلابة
دينهم فلا يداهنون لان الحامل على المداهنة هذان الامران فليس عندهم مانع يمنعهم من
الانكار على من كذب (ولو كان) الاحسن ان يقول فلو بالفاء لترتبه على ما قبله (ما سمعوه
منكرا عندهم) اى فى اعتقادهم (وغير معروف لديهم) اذ لم يبلغهم عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم مثله (لانكروه) على قائله تنزها عن الاقرار على الباطل
وما يخالف الظاهر واما احتمال ان غيرهم سمع ما لم يسمعه وحمل قائله على الصلاح
فغير مناف هنا لان الصحابة رضى الله عنهم فى العصر الاول كان عندهم حرص على
معرفة احواله صلى الله تعالى عليه وسلم واقواله او فر دواعيهم على نقلها والعمل
بها والمعجزات المتحدى بها لغرابتها وعظمها ليس مما يخفى مثله نعم بعد عصرهم يجوز
هذا لان خبر الآحاد مقبول وندر (كما انكر بعضهم) اى بعض الصحابة (على
بعض) منهم (اشياء رواها من السنن) اى سنن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جمع
سنة بمعنى طريقه والمراد الاحاديث النبويه (والسير) جمع سيرة وهى احوال الغزاة
(وحروف القرآن) اى قراآته المتعدده فان كل وجه من القراءة يطلق عليه حرف
وبه فسر حديث انزل القرآن على سبعة احرف اى لغات ووجوه منزلة على المعنى
المشهور من معانيه وفى السنن انه ان عمر رضى الله تعالى عنه انكر على هشام بن حكيم
قراءة قرأها فى سورة الفرقان لم يسمعها فجاء به الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال سمعت هذا يقرأ بغير ما اقرأتنيها فقال اقرأ يا هشام فقرا فقال هكذا انزلت
ثم قال اقرأ يا عمر فقرأ فقال له هكذا انزلت ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف
فاقرؤا ما تيسر منه وفيه بيان لحكمة وكما وقع بين عمر وابن عباس رضى الله عنهم

في انكاره عليه ما قاله في نكاح المتعة وامثاله كثيرة في كتب الحديث (وخطأ
بعضهم بعضا ووهمه في ذلك) اي ان بعض الصحابة نسب بعضهم الى الخطاء
والوهم اذا ذكر امرا لم يكن معروفا عندهم مما يتعلق بدين النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وسيره او بالقرآن وغير ذلك مما يتوقف على النقل ولا يدرك بالرأي فانهم
لا مداهنة عندهم ولا مداراة في الحق الا ترى ان عمر رضي الله تعالى عنه مع جلالته
لما قبل الحجر الاسود وقال اني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولكن رأيت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك فقبلتك فسمعه علي كرم الله وجهه فقال له لا تقل
كذا فان الله تعالى لما اخذ العهد على ذرات بني آدم اودع كتاب العهد فيه
وقال من وفى فقد وفى بالعهد فيشهد له الحجر بذلك يوم القيامة فدعا له عمر
وقال لا عدمناك يا ابا الحسن والوهم والخطأ هنا بمعنى وروي وهنه بالنون
من الوهن وهو الضعف في الرأي (مما هو معلوم) بيان لذلك (فهذا النوع منه)
من المعجزات المروية بطرق الآحاد ولم تشتهر اشتهارا يقرب من التواتر (ملحق)
يصح الحاقه وضمه (بالقطعي) اي بعد من قبيل المقطوع به (من معجزاته كالثابت)
من نقل بعض الصحابة له نقلا صحيحا وسكوت غيرهم عليه من غير نكير فهو كالاجماع
السكوتي (وايضا) الا وجه تؤيد كونها كالقطعي (فان امثال) هذه (الاخبار)
المتعلقة بالمعجزات الثابتة في عصر الصحابة لو لم تكن صحيحة وكانت من الاخبار (التي
لا اصل لها) رواية (وتنبني على باطل) بان كانت كذبا محضا بتقول وتصنع اذ (لا بد
مع مرور الازمان) عليها في نقلها في عصر بعد عصر (وتداول الناس) اي تلقي
الناس لها فيما بينهم عصرا بعد عصر قال الراغب يقال تداول القوم كذا اذا تناولوه
واخذه بعضهم من بعض قال الله تعالى ﴿ وتلك الايام نداولها بين الناس ﴾ (واهل
البحث) اي التفتيش عنها والمراد علماء الحديث الذين يبحثون عن رواة الحديث
صحة وسقما (من انكشاف ضعفها) اي ظهوره (وخمول ذكرها) بان تنسى
ولا تشتهر اذ لا ذكر لكونها لا اصل لها (كما نشاهد) بالمشاهدة الحسية او الموهومة وتصور
ورائه بالبون ان نعرف ونحقق (في كثير من الاخبار الكاذبة) التي ظهرت
في بعض الازمنة ثم تبين كذبها وصارت كان لم تكن [illegible]
واسراره (والاراجيف الطارئة) اي الاكاذيب التي حدثت في بعض السنين
الخالية والاراجيف جمع ارجاف بكسر الهمزة وجمعها [illegible] من
الرجف وهو الاضطراب والتحرك تحركات [illegible] ولذا سمي البحر رجافا
لاضطراب امواجه وقال بعض الشعراء في من اصابه رعدة في بدنه

ما كان من رجاف كملك مكر ☆ فالحد من اجابه الرجف

وهي هنا بمعنى الاخبار السيئة التي تقع بين الناس ثم تنسى لظهور كذبها والطائفة

بالهمزه والياء التحتية من طرأ اذا حدث وتجدد (واعلام نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الهمزه جمع علم بمعنى علامه او راية كبيره والمراد معجزاته المعلومه المشهوره (هذه الواردة) اى المرويه (من طريق الآحاد) بالمد اى التي رويت آحادا ولم تتواتر (لا تزداد مع مرور الازمان الا ظهورا) ولو كانت غير صحيحة او زادت خفاء وضعفا (ومع تداول الفرق) اى تكلم الناس بها فرقه بعد فرقه وهو بكسر الفاء وفتح الراء جمع فرقه (وكثره طعن العدو) من اعداء الدين الكفرة والطعن القدح والدخل بالمعارضه (وحرصه على توهينها) اى تضعيفها وفى نسخه بدل حرصه حضه بضاد معجمة اى حثه وتحريضه (وتضعيف اصلها) بالانكار والعناد وادعاء انها سحر وافتراء (واجتهاد الملحد) اى بذل طاقته وقوته والملحد العادل عن الحق من الزنادقه والالحاد الميل عن الاستقامه والحد ولحد فى دين الله حاد عنه وعدل وعن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ان الذين يلحدون فى آياتنا﴾ هو تبديل الكلام ووضعه فى غير موضعه وفى نسخه باجتهاد بدون باء من اجتهد اى اتعابه نفسه وكدها (على اطفاء نورها) اى ابطالها فشبه المعجزات لسراج منير ونار على علم فى الظهور والتحقق على طريق الاستعار المكنية واضاف الاطفاء اليها على طريق التخييل وعدى الاجتهاد بعلى مشاكله لما قبله او ضمنه معنى الملازمة والانكباب فهم كما قال الله تعالى ﴿ يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره﴾ ومن حكم اهل الهند ان الرجل ذو المروة والعقل ليكون خامل المنزلة غامض الامر فما يبرح به مروته وعقله حتى يتبين ويعرف كالشعلة من النار التي يضوبها صاحبها وتابى الا ارتفاعا ومنه اخذ ابن الرومي قوله

كالذى طاطا الشهاب ليخفى * وهو ادعى له الى التضريم

ومنه اخذ الارجانى قوله

مالسانك باطى من غرور * وله اخر ترفع قمعه
كلما رام مسه للرأس رفعا * زاد خفضا كانه نار شمعه

واحسن من هذا كله قوله فى بعض الحساد

رام بالذل ان يكسف قدرى * حاسد زادنى سنا وسناء
فلبث ان الشهاب شعله نار * كلما نكسوه زاد ضياء

وقوله (الا قوة وقبولا) معطوف على قوله الا ظهورا كما ان قوله ومع تداول الفرق معطوف على قوله مع مرور الازمان وفى نسخه الزمان وقوته بظهور حقيته وثبوته وهو مقابل لما فى ضده من التضعيف والقبول باذعان العقول السليمه له وهو مقابل لطعن الطاعنين وانكارهم (وللطاعن) اى المنقص الذى يعيبها ويسعى فى ابطالها والجار والمجرور حال من المستثنى بعده بعد ما كان صفه وعداه بعلى فى قوله (عليها) لانه ضمنه معنى

المتعدى عليها لانه يتعدى بى وقوله (الا حسرة) وهو التأسف والتندم على مهم فاته وآيس منه (وغليلا) بالغين المعجمة واصله حرارة وتلهب فى الجوف من شدة العطش والمراد به هنا مجازا الحقد المضمر والحسد معطوف عليه وان لم يشاركه فى متعلقه الا بتأويل فتدبر (وكذلك) اى كاعلامه بفتح الهمزة فيما ذكر من الازدياد (اخباره) بكسر الهمزة مصدر اخبر (عن الغيوب) جمع غيب وهو ما خفى علمه عن الناس كالدجال والمهدى ودابة الارض وغير ذلك مما اخبر به بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم (وانباؤه) بوزن اخباره ومعناه (عما يكون) فى المستقبل من اشراط الساعة ومما يقع بين امته عليه الصلوة والسلام من الفتن وغيرها (و) ما (كان) فى الماضى كاحوال الانبياء عليهم الصلوة والسلام والامم السالفة ونحوه مما لا يعلم الا بوحى او حفظ الكتب الالهية التى لم يقرأها ولم ير من عرفها (معلوم) انه (من آياته) ومعجزاته الخارقة للعادة اما الاول فظاهر واما الثانى فلانه عليه الصلوة والسلام امى ولا يخالط من علم ذلك

كفاك بالعلم فى الامى معجزة * فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

(على الجملة بالضرورة) اى معلوم بعلم ضرورى مجموعه واجماله وان لم يكن كل فرد كذلك (وهذا حق) اى امر محقق متيقن (لاغطاء عليه) ظاهر منكشف من غير التباس وشبهة فيه (وقد قال به) اى اعتقده وصرح به يقال قال كذا اذا نطق به وقال به اذا ذهب اليه واختاره (من ائمتنا) المهتدى بهم من الاشعرية او المالكية (القاضى) ابو بكر الباقلانى الاصولى المالكى لانه المراد به اذا اطلق وبه صرح صاحب الملة فى هذا قال والمراد بقوله (والاستاذ ابو بكر) ابن فورك كما تقدم من كلام المصنف وقيل المراد بالاول ابو بكر بن العربى شارح الترمذى وبالثانى ابو بكر الباقلانى او العكس والاول مالكى والثانى عده المصنف من المالكية وعده السبكى فى طبقاته من الشافعية وقال التلمسانى ان المراد بالثانى ابو بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوسى والاستاذ بضم الهمزة وآخره دال معجمة معناه الماهر وهو معرب فارسيه بالدال المهملة والمولدون يريدون به الطواشى وقد بسطنا الكلام عليه فى كتابنا شفاء العليل فيما فى كلام العرب من الدخيل (وغيرهما) من الائمة اى ذهب هؤلاء كلهم الى انها معلومة بعلم ضرورى قطعى فهى متواترة بحسب المعنى وان لم تتواتر مفرداتها (وما عندى اوجب قول القائل) وفى نسخة أخبر ماعن عندى وهى نافية ومعنى عندى فى اعتقادى وحكمى وهو متعلق باوجب (ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد) اى من قبيل خبر الآحاد التى لا توجب العمل واوجب عمى اقتضى واستلزم والجأ اى لم يلجئه لذلك (الا قلة مطالعته للاخبار) الدونية ومطالعتها الاطلاع عليها (وروايتها وشغله) بضم اوله اى اشتغاله (بغير ذلك من المعارف)

عن الاحاديث من العربية والامور والعلوم العقلية وفيه تأدب مع العلماء وعدم المجاهرة بالقدح فيهم (والا) اى لولم نقل بقلة اطلاعهم لاشتغالهم بما ذكر (فمن اعتنى) اى كانت له عناية واشتغال (بطرق النقل) اى الامور النقلية السماعية (وطالع الاحاديث والسير) النبوية بان درسها وقرأها (لم يرتب) اى لم يحصل عنده ريبة وشك (فى صحة هذه القصص المشهورة) عند المحدثين والحفاظ (على الوجه الذى ذكرناه) من جمع طرقها وضم بعضها لبعض حتى تقوى وتصير متواترة بحسب المعنى فلن وقوله لم يرتب قاصر رد اعتراضه على من قال انها آحاد اذلم يرد بمجموعها بل جميع افرادها وفيه نظر ثم اشار الى دفع شبهة هى انه لوكانت الآحاد تصل رتبة التواتر بالاعتناء بالنقول ومطالعة الاحاديث كانت متواترة معنى عند غيره فقال (ولا يبعد ان يحصل العلم المتواتر) الحقيقى (عند واحد ولا يحصل عند آخر) فالظاهر ان الاولى التواتر المعنوى وقد فصل مثل هذا فى البسملة وجمع به بين الخلاف وبين الائمة فان اثباتها فى اوائل السور واسقاطها قراءتان متواترتان من السبعة كما قاله ابن حجر ومن تبعه وان خفى على كثير (فان اكثر الناس يعلمون بالخبر) المتواتر (كون بغداد موجودة) وهى المدينة المشهورة بدار السلام اما السلامة اهلها من فساد وتغير المزاج اولان نهرها يسمى السلام وهى فارسية معربة ومعناها محل البستان لان باغ معناه بستان وقيل بغ اسم صنم وداد معناه العطية اى عطية الصنم ولذا كره بعضهم تسميتها بذلك وفيها ست لغات اهمال الدالين واعجامهما واهمال الاول واعجام الثانى وعكسه وبغدان بالنون مع الاهمال وزاد بعضهم ابدال الباء ميما مع الدال والنون والاهمال والاعجام والاهمال اصح وقالوا بغدين ايضا (وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة) بكسر اولهما وهما بمعنى والخلافة هى الولاية العامة لانه خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى السلطنة ونحو وسميت امامة لان الامامة والخطبة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين لازمة له لا تفوض لغيره الا لعذر ثم نيابة عنه كالقضاء والحكومة ولذا احتيج لتقليد السلطان ونحوه ومعنى دارها مقرها ومحلها واول من بنى بغداد هذه ابوجعفر المنصور المعروف بالدوانيقى ثانى خلفاء بنى العباس (وآحاد) بالمد جمع واحد (لا يعلمون اسمها) لعدم سماعه (فضلا عن وصفها) من كونها دار الخلافة مدينة عظيمة البناء وفضلا منصوب بالمصدرية بتقدير اولويته مابعدها والكلام فيها مبسوط فى العربية مشهور ثم ذكر مثالا آخر فى الشرعيات فقال (وهكذا) اى مثل امر بغداد (يعلم الفقهاء من اصحاب مالك) المقلدين لمذهبه وتجوز بالصحبة عما ذكر تجوزا مشهورا (بالضرورة) اى بالعلم الضرورى اى البديهى لا الاضطرارى لتواتره عندهم فقوله (وتواتر النقل عنه)

كالمسئلة (ان مذهبه ايجاب (٢) ام القرآن) اى الفاتحة و وجه التسمية مشهور (فى الصلوة للمنفرد والامام) دون المأموم فان قراءة امامه قراءة له وان لم يسمعها ولا فرق بين الصلوة الجهرية وغيرها وكذا مذهب ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه كما فصل فى كتب الفقه (واجزاء النية) اى نية صوم رمضان كله (فى اول ليلة من رمضان عما سواه) الضمير راجع لاول فلا يحتاج فى بقية الشهر الى نية اخرى اكتفاء بتلك النية والاجزاء بمعنى الكفاية والاغناء وقيل معناه سقوط القضاء ورده الاصفهانى فى شرح المحصول والفرق بينه وبين الصحة مفصل فى كتب اصول الفقه (وان الشافعى رضى الله عنه يرى) من الرأى بمعنى المذهب (تجديد النية كل ليلة) قبل الفجر فمذهبه ان النية واجبة فى كل ليلة لا مندوبة وهذا معلوم بالضرورة عند الفقهاء لتواتره عند اصحابه وغيرهم لان صوم كل يوم عبادة مستقلة فتفتقر الى نية جديدة لحديث (انما الاعمال بالنيات) والمراد الاعمال الشرعية اى انما صحتها وغيره تقدر انما كمالها كما بين فى محله (والاقتصار على مسح بعض الرأس) اى ويعلم ضرورة ان الاقتصار على مسح بعض الرأس يجزى عند الشافعى او انه نقل ذلك عنه خلافا لمالك فانه يجب عنده مسح الرأس كله احتياطا (وان مذهبهما) اى مالك والشافعى (القصاص) اى وجوبه (فى القتل بالمحدد) اسم مفعول مشدد الدال وهو حديد له حد جارح كالسيف ونحوه (وبغيره) مما لا حد له كالعصا والحجر والسحر (وايجاب النية فى الوضوء) فهى واجبة عندهما لانه عبادة فلابد من النية فيه لتكون قربة ولتتميز العبادة عن العادة باخلاص العمل بالنية (واشتراط الولى) وهو من تكون له ولاية شرعية على المنكوحة كالاب والسيد (فى النكاح) اى فى صحته وانعقاده كما فصل فى كتب الفقه (وان اباحنيفة) النعمان بن ثابت الامام المشهور شهرته تغنى عن ذكر ترجمته (يخالفهما فى هذه المسائل) فلا يوجب القصاص فى غير المحدد بل الدية ولا يوجب النية فى الوضوء وخالف فيه بعض الحنفية كما فى الاسرار للدبوسى ولا يشترط فى النكاح الولى كما فصلوه يعنى ان مذهبه يخالف مذهبهما فى هذه المسائل فانه لم يرهما حتى يخالفهما والفقهاء يستعملون مثل هذه العبارة كثيرا فى كتبهم فيقولون خالف فلان فى كذا فلانا وان تقدم عصره عليه (وغيرهم) اى غير الفقهاء واصحاب المذاهب (ممن لم يشتغل بمذاهبهم) اى مذاهب الفقهاء ومن ذكر من الائمة (ولا روى اقوالهم) ممن قلدهم واشتغل بكتبهم (لا يعرف هذا) الا الامر الذى وقع فيه الخلاف بينهم (من مذاهبهم) واقوالهم (فضلا عما سواه) اى سوى هذا من دقائق المذاهب ومسائلها الغريبة (وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا) بعض بيانها وذكر ما يتعلق بها من الفوائد (ان شاء الله تعالى) ذلك ﴿ فصل فى اعجاز القرآن ﴾ اى فى بيان

اعجازه والقرآن بالهمزة وقد تسهل وتبدل ووزنه فعلان على الصحيح وتقدم
بيان الاعجاز وهو جعل غيره عاجزا عن معارضته والاتيان بمثله (اعلم وفقنا الله
واياك) اي رزقنا التوفيق والجملة دعائية وتصديره باعلم تنبيها له على ما بعده امر
مهم يلزم علمه (ان كتاب الله العزيز) بفتح الهمزة وهو وما بعده ساد مسد مفعولي
اعلم وتقدم ان العزيز بمعنى القوي الغالب وبمعنى الذي لا نظير له ويجوز فيه الجر
والنصب على انه صفة الله او الكتاب ولك ان ترفعه قطعا والكتاب المراد به القرآن
لغلبته فيه وله معنيان الكلام النفسي وما بين الدفتين وكلاهما قديم عند بعض المحققين
كالشيخ السكتاني والكلام فيه مشهور والمراد الثاني لانه هو المتصف بالاعجاز
(منطو) اي مشتمل ومحتو افتعال من الطي وهو معروف (على وجوه من الاعجاز
كثيرة) اي انواع يعرف بها اعجازه وكونه لا يقدر عليه البشر (وتحصيلها)
اي محصلها اجمالا فالمراد بالمصدر اسم المفعول مبالغة كالدرهم ضرب الامير اي
مضروبه والضمير للوجوه (من جهة ضبط انواعها) اي حصرها وجعلها
مضبوطة محصورة (في اربعة اوجه) خبر تحصيل او متعلق بقوله ضبط (اولها
حسن تأليفه) اي نظم كلماته مؤتلفة متوافقة (والتئام كلمه) عطف تفسير اي
كونها متناسبة بحسب الدلالة حسب مقتضى مقاماتها والكلم اسم جنس جمعي
الكلمة كتمر وتمرة لا جمع ولا اسم جمع على الاصح (وفصاحته) قدمها على البلاغة
لتوقفها عليها لا لما هو المشهور في كتب المعاني (ووجوه ايجازه) اي قلة لفظه وكثرة
معانيه ووجوهه معروفة في المعاني (والبلاغة الخارقة عادة العرب) عادة بالنصب
مفعول خارقة اي خارجة عن عادتهم كما يقال خرق الاجماع اذا خالفه وخرج
عنه ثم بين ذلك فقال (وذلك) اي ما ذكر من عادتهم (انهم) اي العرب (كانوا ارباب
هذا الشان) الشان هو الامر العظيم والمراد به البلاغة وجعلهم اربابها اي اصحابها
المالكين لها الذين بيدهم ازمتها وهو مبالغة في اتصافهم بالفصاحة والبلاغة
(وفرسان الكلام) جمع فارس او جمع فرس الذي هو جمعه والفرس يكون اسم جمع
فارسي بمعنى عجمي كما في شرح شواهد الايضاح ومفهومهم انه الفرس فيه الكلام
الذين تمكنوا من التصرف فيه كجواد حلبة وتسابقوا به في ميادين البلاغة
والرهان وفازوا بقصب السبق فيه (قد خصوا من البلاغة والحكم) اي خصهم
الله تعالى من دون الناس ببلاغة كلامهم المخصوصة بلغاتهم وربما يتضمنه من الحكم
اي المعاني المحكمة المفيدة وما حث على مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات وفيه
كلام تقدم (بما لم يخص به غيرهم) ولكن كان الظاهر ان يقول بما لم يوجد في غيرهم
لكنه عبر به لاستكمال فائدته ولان نفي الوجود يفهم من اختصاصهم به دون غيرهم
ولا يقال انه لا يلزم من نفي الاختصاص نفي الوجود فهو المقصود وفيه بحث

(من الامم) اى جميع الامم السالفة واللاحقة (واوتوا) بالبناء للمجهول اى اعطاهم الله (من ذرابة اللسان) المراد الجارحة المعروفة والكلام نفسه والذرابة بذال معجمة وراء مهملة وموحدة اصل معناها حدة السيف والسنان ونحوه وقيل هي ان يسقى السم والذراب السم فاستعير لطلاقة اللسان مع الخلو عن اللكنة قال

ارحني واسترح مني فاني * ثقيل محملي ذرب لساني

وهذا امر محمود وقد يكون بمعنى كونه سليطا صخابا فيكون ذما كالحدة قال الله تعالى سلقوكم بالسنة حداد (ما لم نؤت انسان) اى لم نؤته غيرهم من الامم لكنه اتى بما ذكر لقصد السجع والخطابة كقوله (ومن فصل الخطاب) اى الخطاب البين الفاصل عند المحاجة الذى لا لبس فيه ولا خفاء كما تقدم (ما تقيد الالباب) جمع لب وهو العقل ويقيدها بمعنى يحيرها اذا سمعته حتى كانها قيدت ومنعت عن الحركة لدهشتها من حسنه وبراعته (جعل الله لهم ذلك) المذكور الذى خصوا به (طبعا وخلقة) مركوز فى طبائعهم لا بتكلف وتعلم وتقليد لغيرهم (وفيهم غريزة) اى خلة وسجية مركوزة فيهم (وقوة) المراد بالقوة مقابل الفعل والبس بمعنى الشدة وهذا استعمال مولد وهو قريب من الطبيعة ايضا وتكرار الالفاظ المتقاربة لا بأس به هنا لانه مقام خطابة او المراد بالقوة القدرة اى هذا امر طبعهم الله عليه وجعل لهم زيادة وقدرة فيه ولذا عقبه بقوله (ياتون منه على البديهة بالعجب) اصل معنى البديهة المفاجاة ولذا قيل اكل كلام من غير انتظار وفكر ونطق بديهة فيقال اجاب على البديهة وله بدائع بداهة وهذا معلوم فى بداهة العقول والحمة فى بداهة حربه والعجب بمعنى الامر الذى تعد غريبا لحسنه وجزالة معناه فكأنه لم يعهد مثله فيل انه غير صحيح الا وجه له (ويدلون به) بضم المثناة التحتية وسكون الدال المهملة وباللام من ادلى دلوه فى البئر اذا ارسله لاخذ الماء ثم عبر به عن مطلق التوصل كما قال عمر رضى الله تعالى عنه لما استسقى بالعباس رضى الله تعالى عنه وقد دلونا به الى مستسقين اى توسلنا (الى كل سبب) اى طريق ووسيلة الى حصول مهمات امورهم كالزام الخصوم وجلب محبة القلوب واستعطاف الملوك والرؤساء فاذا ذكروا هذه الوسائل عبروا عنها بعبارات بليغة رائقة تسحر السامعين وتقود بعنان الى ان سواد القلوب والخواطر وفى قوله سبب هنا تورية لانه فى الاصل بمعنى الحبل فذكره بعد الادلاء فيه لطف وقيل المراد اقبلنا وسقنا من الدلو وهو السوق والرفق وقيل المراد بالسبب الطلب العالى السبب باسباب السموات اى نواحيها كانه شبه ذلك الصعاب فى عزة نيله بنواحى السماء والعرب كانوا يصلون الى هاتيك المطالب عالالقوة من القرائح الزكية ولعل المراد بالاسباب مقتضيات الاحوال وقد بين ذلك بقوله (فيخطبون) الى آخره اسهى ولا يخفى انه لا لائم ماقبله (بديها) اى يبادئون الخطب بغير

طبائعهم بديهة من غير تكلف (في المقامات) اي محافل الناس ومجامعهم على رؤس الاشهاد بديهة من غير تصنع جمع مقام او مقامة يقال قام بين يدي الامير بمقامة حسنة اذا تكلم بعظة ونحوها وكانوا يخطبون قياما فلذا سميت مقامة ثم اطلقت على نفس الكلام المقول فيها كمقامات البديع والحريري وغيرهما (وشديد الخطب) اي الامر العظيم الشان الذي من شانه ان يقع فيه المخاطبات والمنازعات فكان لكل قوم خطيب يقوم بينهم يحثهم على مهماتهم وقيل ان الخطب الشان عظم او صغر وسبب الامر ولا يناسب المقام والتكلم بكلام بليغ ارتجالا يدل على سجية وغريزة قوية (ويرتجزون به) اي ينشدون رجزا في تلك المقامات بديهة يحدون به كالخطب ولذا ذهب بعضهم الى انه ليس بشعر (بين الطعن والضرب) كما ينشدون في انديتهم وهذا كقول علي رضي الله عنه لما بارز مرحبا بخيبر * انا الذي سمتني امي حيدرة * كليث غابات كريه المنظرة * اكيلكم بالسيف كيل السندرة * وامثاله مما لا يحصى (ويمدحون) من يستحق المدح في مقاماتهم بديهة بابلغ الاشعار (ويقدحون) اي يذمون ويهجون يقال قدح في عرضه اذا عابه ومن فسره بقوله اي يقدحون افكارهم فيستخرجون سحر الكلام في احسن نظام لم يصب نحر الكلام (ويتوسلون) بما ذكر من بليغ الكلام نظما ونثرا (ويتوصلون) عطف تفسير اي بالمذكور الى مطالبهم العالية (ويرفعون) من مدحوه بمدائحهم حتى يرتقي لمرتبة لم يكن له لشهرة مدحه فيصير نابه الذكر بعد ان كان خاملا كما وقع للمحلق لما نزل عنده الاعشى ضيفا فنحر له وسقاه وعنده بنات لم يرغب احد في تزوجهن فمدحه بقصيدته فائية مشهورة فلم يمض زمن حتى خطبوا بناته وزوجوا بهن (ويضعون) مقدار من ذموه بقدحهم حتى يصير سبة بينهم ففيه لف ونشر (ويأتون من ذلك) المذكور كله (بالسحر الحلال) السحر في الاصل الفطنة وكل ما دق ثم انه شبه به الكلام البليغ الذي تلذ به النفوس وتنجذب له القلوب ومنه ان من البيان لسحرا فهو تشبيه بليغ والسحر معناه الحقيقي معروف وهو قبيح محرم فوصفه بالحلال بيان للمعنى المراد منه وتجريد للتشبيه والسحر حق واقع وهو بامور يعرفها اهلها سيأتي الكلام عليها عند قوله وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر (ويطوقون) بالتشديد من الطوق وهو ما يجعل في العنق من ذهب ونحوه (من اوصافهم) المدحة البليغة وفيه استعارة مكنية وتخييلية اي من وصفهم لغيرهم بمدحهم (اجمل من سمط اللآل) اجمل بمعنى ازين واحسن وسمط بكسر فسكون المراد به جنسه لعمومه بالاضافة فمن قال صوابه سموطة لم يصب وهو السلك ما دام فيه الخرز والا فهو خيط وقال البرهان السمط الخيط ما دام فيه الخرز والا فهو سلك وتبعه الانطاكي ونسبه للجوهري وقال ان غيره

قال ان السمط للجوهر والسلك للخرز والنظام اللؤلؤ وفيه نظر وفصله عقد المدائح على اللآلي لانه لا يفنى ولا يقاومه ثمن لعزته واصل اللآل اللآلئ بهمزة في آخره فابدلها ياء لسكونها وقفا ثم عامله معاملة المعتل في الوقف فاسقطها كالقاضي (فيخدعون الالباب) الخداع هو المكر واظهار امر على خلافه لمن تريد به امرا مكروها والالباب جمع لب وهو العقل كما مر والمراد انهم يستميلون العقول حتى تنقاد لهم ففيه استعارة مكنية وتخييلية وقد يريد ذوي العقول بذهب رونق الكلام (ويذللون الصعاب) اي يسهلون بفصاحتهم الامور الصعبة فان كان من الذل بالكسر والذال معجمة من الارض الذلول وهي التي يسهل المشي فيها ففيه استعارة تبعية وكذا ان كان من الذل بضمها والمراد على كليهما انهم يجعلونها مطيعة لهم ويجوز ان تكون مكنية وتخييلية على ان الصعاب جمع صعبة وهي الناقة التي لا تنقاد (ويذهبون الاحن) بكسر الهمزة وفتح الحاء المهملة جمع احنة بكسر فسكون وهي الحقد (ويمحون الدمن) بضم اوله وفتح ثانيه وكسر المثناة التحتية المشددة ويجوز كسر الهاء مع سكون الياء اي يحركونها ويطهرونها والدمن بكسر الدال المهملة وفتح الميم والنون جمع دمنة وهي في الاصل ما في مبارك الابل من بعرها الملبد بما عليه من ابوالها استعير للحقد المضمر المجتمع في الباطن وهي استعارة بليغة سائغة في كلامهم قال الشاعر

ارعى الامانة لا اخون ولا ارى * ابدا ادمّن عرضه الاخوان

ويكون المراد به آثار السكان في الديار والمعنى انهم ينسون الاطلال وسكانها ويمحون الاشواق بذكرها وان سلم من التكرار بعيد هذا فلا يعتد بما قيل (ويجرؤن الجبان) بالتشديد والهمز من الجرأة وهي الاقدام والشجاعة والجبان ضد الشجاع اي يجعلونه شجاعا بعد جبنه (ويبسطون يد الجعد البنان) باضافة الجعد الى البنان والبنان الاصابع وعقدها وبسطها مدها واذهاب جعودتها وهي انقباضها والجعد اذا اضيف الى اليد او البنان كان للذم بمعنى البخيل اللئيم فان اطلق كان بمعنى الجواد الكريم والجعودة ضد السبوطة وهي الانبساط والمعنى انهم بفصاحتهم يصيرون البخيل كريما قال ابو عبيد الجعد في صفة الرجال يكون مدحا ويكون ذما فى المدح معناه شديد الخلق مدبر للامور او ان شعره جعد غير سبط لان السبوطة اكثر في العجم وفي الذم معناه القصير او البخيل (ويصيرون الناقص كاملا) بحثه على اكتساب الكمال حتى يصير الطبع طبعا وان كانت الطباع تعسر تغيرها وتبديلها (ويتركون النبيه) الشريف المشهور (خاملا) اي خامل الذكر متروكا بعد شهرته بسبب ذمهم له وتنقيصه بالهجاء ونحوه ثم قسمهم فقال (منهم) اي من العرب (البدوي) وهم سكان البادية النازلون في الاخبية والدارات وهو بالباء الموحدة والدال المهملة المفتوحتين الذين لا يسكنون القرى والامصار ويسمى ساكنها حضرا وحاضره

(الحضور)

الحضور بعضهم لبعض فيها والنسبة للبادية اوللبدو بالسكون على خلاف القياس ويقال بداوى بفتح اوله وكسره اوهو نسبة للبدا كالفتى بمعنى البادية ايضا (ذو اللفظ الجزل) اى صاحب اللفظ المحكم القاطع الفاصل ويكون الجزل بمعنى الكثير ايضا ومنه الثواب الجزيل (والقول الفصل) بالصاد المهملة اى الفاصل بين الحق والباطل قال الله تعالى (انه لقول فصل وما هو بالهزل) واصل معنى الفصل الحجز ومنه فصول الكتب (والكلام الفخم) اى المفخم المعظم لشهامتهم وعدم مداراتهم او الممتلئ المعانى الرائقة يقال وجه فخم اذا كان له جمال ومهابة اوهو من المفخم ضد المرقق لاعتيادهم باخراج الحروف من اقاصى مخارجها والجهر بها لقوله (والطبع الجهورى) اى طبعوا على جهر الصوت وعلوه ومنه الحروف المجهورة قال فى القاموس جهر ككرم وفخم الصوت ارتفع وكلام جهر ومجهر وجهورى قال وفى الحديث (فاذا بصوت جهورى) وفى نسخة جوهرى نسبة للجوهر وهو الخالص النقى او القدم الجرى فان كان من الجوهر المعروف كالياقوت والزمرد ونحوه فهو استعارة للنفيس وفى القاموس الجوهر كل حجر يستخرج منه شئ ينتفع به ومن الشئ ما وضعت عليه جبلته والجرى المقدم اسهى والواو زائدة وقيل انه بمعناه المعروف معرب والعرب تمدح بالجهر بالكلام وتعيريه عن الدهاء والحسن كما قال الاعرابى

جهير الرواء جهير الكلام * جهير العطاس جهير النغم

وهذا اشبه بطريقة المصنف رحمه الله تعالى فى فصاحته (والمنزع القوى) مفعل من النزع وهو الجذب والاخذ ونزع الماء من البئر اخرجه ونزع القوس جذبه وهو مصدر ميمى او اسم مكان والاول اظهر اى يأتون بنوع من الكلام يستخرجونه من بين انواع الكلام بطباعهم السليمة بحيث اذا سمعه السامع شق عليه (ومنهم الحضرى) نسبة الى الحضر بفتحتين مقابل البدو وهو الحاضرة والحضارة ايضا والحضارة سكنى الحضر وهى الامصار والقرى (ذو البلاغة البارعة) اى الفائقة من برع اقرانه اذا فاقهم بفرط طبعه وتهذيب كلامه (والالفاظ الناصعة) اى الخالصة من الالفاظ الوحشية الغريبة السالمة من الركاكة (والكلمات الجامعة) للمعانى الكثيرة فى الالفاظ القليلة الموجزة (والطبع السهل) اللين المنقاد لسهولته لسلامة ذوقه وانسجام كلامه الذى هو ارق من النسيم يكاد من عذوبة الالفاظ يسرى مسامع الحفاظ فيدخل الاذن بلا اذن (والتصرف فى القول القليل الكلفة) فيخرج من نوع الى نوع من غير تكلف لكونه سجية له والقليل صفة للتصرف او للقول بلا تنوين فى كلامه ما يعسر فهمه على السامع اعرابه او تعقيده (الكثير الرونق) اى الحسن والطلاوة من رونق السيف وهو ماؤه وحسنه كما قال البحترى

وبديع كأنه الزهر الضاحك * في روض الربيع الجديد
مشرق في جوانب السمع مايخ * لقه عوده على المستعيد

(الرقيق الحاشية) اصل الحاشيه طرف البرد والثوب ورقة حاشيته عبارة عن رقته وحسن نسجه والكلام يشبه بالحلل والبرود والتكلم بالنسج وفي الاساس من المجاز عيش رقيق الحواشي وكلام رقيق الحواشي وهو عبارة عن سهولته وسلاسته بان يكون لفظه رشيقا عذبا وفخما سهلا ومعناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا (وكلا البابين) اي كلا القسمين من كلام البدوي والحضري في مقامه ومحله وعند اهله (فلهما في البلاغه الحجة البالغة) قيل ان في الكلام تقديرا واصله واما كلا البابين الى آخره فالفاء واقعة في جواب اما المقدرة ولا يخفى انه ركيك ولو حذفها كان اولى ولو قيل كلا مبتدأ خبره مقدر تقديره وكلاهما مما اختصوا به او مماله شان عظيم ومابعده مبني عليه كان احسن لان اما حذفها من غير عذر ليس سهلا والحجة البرهان والدليل من حجه اذا خصمه والزمه والبالغة بمعنى الواصلة والافصح افراد ضمير كلا رعاية للفظه ومعناه وان جاز تثنيته وقد جمع بينهما القائل في قوله
كلاهما حين جدّ الجري بينهما * قد اقلعا وكلا انفيهما رابي
(والقوه الدامغه) اي الغالبه لغيرها من سائر اللغات واصل الدمغ الضرب على الدماغ فاريد به مايذكر من الغلبه والقهر يقال دمغ الحق الباطل اي ابطله ودمغت فلانا قهرته (والقدح الفالج) بكسر القاف وسكون الدال والحاء المهملتين واحد قداح الميسر وهو سهم بغير ريش وقداح الميسر التي كانوا يتقامرون بها في الجاهليه ولها اسماء مشهورة ومنها ماله نصيب زائد ومنها مالا نصيب له والفالج بالفاء واللام والجيم بمعنى الفائز يقال فلج امره اي فاز وسعد اي لهذه اللغة شرف وفوز عند سامعها وقيل المراد مانتجه الافكار واصابة الآراء وجودة الانظار وهو امر لايتعلق له بنفس الكلام والكلام فيه (والمهيع الناهج) بفتح الميم وسكون الهاء وفتح المثناة التحتيه وهي الطريق الواسع والناهج بمعنى البين الواضح المسلوك واصله السالك فتجوز به عن السلوك كماء دافق بمعنى مدفوق وعيشة راضية واراد به سعة لغتهم وظهور دلالتها (لايشكون ان الكلام طوع مرادهم) قيل كان الاحسن الظاهر ان يقول لايشك بالبناء للمجهول ليكون ابلغ وهذا من عدم معرفته بمقاصده فان هذا هو المناسب لما هو بصدده فان البليغ الفائق اذا كان هذا حاله كان له اقدام على المعارضة عند التحدي فلله دره ماادق نظره والمراد انهم يعلمون ماجبلوا عليه من البلاغة والقدره على ايراد كل كلام بليغ في مقامه على مايقتضيه حاله وسبكه في قوالبه ونظره لاستلانته المطاوعة له ومعرفته بذلك (والالفاظ ملك قيادهم) بكسر القاف وهو حبل تقاد به الدابه اي والالفاظ مملوكة لهم منقاده واصله ملكهم وفي قيادهم فعدل

عسه لما ذكره لانه ابلغ ففيه استعارة فى الملك والقياد وهى اضافية على حد قوله مكر الليل يعنى انهم متصرفون فى افانينها من غير تكلف (قد حووا فنونها) اى جمعوا وحازوا انواع البلاغة واقسامها والفنون جمع فن (واستنبطوا عيونها) اى استخرجوا اخيارها ومحاسنها واصل معنى الاستنباط استخراج الماء من الآبار والعيون النابعة فعيون هنا فى موضعها وفيها تورية لايهامه لعيون الماء والمراد خيارها لان عين كل شئ خياره وليس من اطلاق اسم الجزء على الكل كما توهم (ودخلوا من كل باب من ابوابها) اى سهل عليهم الوصول الى مقاصدهم باى عبارة ارادوها كالحقيقة والمجاز والكناية وبسط الكلام فى مقام وايجازه فى مقام والتصريح والاخفاء وفيه استعارة مكنية وتخييلية بجعل مقاماتها قصورا واسعة لها ابواب متعددة ولذا عقبه بقوله (وعلوا صرحها) وهو البيت العالى المزخرف بناؤه والبيت المفرد وعلوا بتخفيف اللام بمعنى صعدوا ويجوز تشديدها (لبلوغ اسبابها) جمع سبب وهو كل ما يتوصل به لشئ آخر كالحبل والسلم وهو علة للعلو اى علوا قصر البلاغة ليصلوا الى مافيه من الاسباب الموصلة لمهماتهم ومطالبهم المقدسة كمن يدخل قصرا ليقابل الملك فينال عند لقائه انعامه واحسانه وفيه ايماء لقوله تعالى (ياهامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الاسباب) الآية فان قيل ان الاحسن ان يقول صرح اسبابها تركه احسن منه لان معناه انهم علوا ذروة البلاغة ووصلوا بها لكل ما ارادوه فعبروا بعباراتهم لمقاصدهم واللام لام العاقبة هنا وفيه استعارة مكنية تخييلية لتشبيه مرتبة الاعجاز التى عجزوا عنها باسباب لم يصلوا اليها (فقالوا) اى تكلموا بكلامهم البليغ (فى الخطير) اى فى الامر العظيم الذى له خطر اى شرف ومزية على غيره (والمهين) بفتح الميم اى الحقير من المهانة وهى الحقارة (وتفننوا) اى اتوا بكل فن من فنون الكلام متصرفين (فى الغث) بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة واصله اللحم المهزول الذى تكره ساوله فاستعير للامر التافه والفاسد (و) ضده (السمين) وفى حديث ام زرع زوجى لحم جمل غث وفى المثل غثك خير من سمين غيرك وقد علمت ان فقالوا فى اكثر النسخ بالقاف من القول وفى بعضها فعالوا بالعين المعجمة وفتح اللام اى زادوا والاول رواية الانطاكى وفسره التلمسانى بانشاد المدائح والهجاء والمدح والذم او الجد والهزل وله وجه (وتقاولوا) تفاعل من القول اى اداروا الكلام بينهم (فى القل والكثر) بضم اولهما واجاز البرهان كسرهما اى القليل والكثير مدحا وذما وجدا وهزلا وقيل وفيه نقل ولو قال فى الكثير والنزر كان احسن واخف وانسب بقوله (وتساجلوا فى النظم والنثر) والتساجل تفاعل من السجل بالفتح وهو الدلو الكبير وسجال الماء صبه ثم لما كانوا يتناوبون فى سقى الماء استعاروا المساجلة للعطاء وللمفاخرة كما قال * من يساجلنى يساجل ماجدا *

يملوا الدلو الى عقد الكرب * وقيل الحرب سجال اى تارة يغلب وتارة يغلب كما قيل

فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر

فالمراد انهم تساووا او تفاخروا وتعارضوا فى عدالمآثر كما هو متعارف عندهم وليس المراد به المبارزة بان يدعو احدهما الآخر للقتال ويبرز من الصف كما قيل فانه لا وجه له هنا وهى جائزة لفعل الصحابة رضى الله تعالى عنهم لها ومنعها بعضهم شرعا لما فيها من المخاطرة والنظم والنثر غنى عن البيان (فراعهم) اى بينماهم كذلك جاءهم امر بغتة لم تكن لهم علم به ولم تطرق مسامعهم مثله وفى الاساس ماراعنى الا مجيئك اى ماشعرت الا به وهو من الروع بمعنى الخوف والفزع (الا رسول كريم) بعث بين اظهرهم صلى الله تعالى عليه وسلم (بكتاب عزيز) لا نظير له شريف ومنيع بحماية الله وهو استثناء مفرغ من عام مقدر اى لم يفجأهم ويفزعهم شئ سوى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءهم من الله اتاهم بخلاف هواهم وعكس مناهم اذ كانوا يتوهمون ان رتبتهم فى البلاغة لا يفوقها كلام فاتاهم بكتاب اخرس شقاشقهم واصم اسماعهم والباء للمصاحبة اى مؤيد بكلام معجز (لا يأتيه الباطل) اى لا يأتيه باطل وامر فاسد بحسب العقل والشرع او ما يبطله كالنسخ والطعن المقبول (من بين يديه) اى قدامه وفى مقابلته (ولا من خلفه) اى وراء ظهره والمراد من جهة من الجهات فلا يجد سبيلا يوصله اليه وما وقع فيه من المطاعن اضمحل وانمحق حتى صار كالعدم ولذا قال تعالى (لا ريب فيه) وقال تعالى (جاء الحق وزهق الباطل) (تنزيل من حكيم) محكم لمصنوعاته وبتدبيره لجميع مخلوقاته (حميد) محمود بحمده جميع الكائنات بلسان القال والحال (احكمت آياته) اى نظمت نظما محكما لا يعتريه فساد ولا خلل ومنعها الله تعالى وحفظها من التبديل والتحريف الذى وقع فى غيره من الكتب فهو من احكمت الدابة اذا وضعت فى فمها حكمة تمنعها الجماح او جعلت حكيمة لاشتمالها على امهات الحكم النظرية والعملية من حكم بالضم اذا صار حكيما وآيات القرآن جمع آية وهى جملة كلمات من القرآن لها ابتداء ومقطع (وفصلت كلماته) اى فصلت وبين ما فيها من الفوائد الجليلة كالعقائد الحقة والاحكام الشرعية والمواعظ والاخبار الصادقة او جعلت سورا او ابوابا نجما نجما او فرق بين الحق والباطل وبين الوعد والوعيد (وبهرت) اى غلبت وادهشت (بلاغته العقول) جميعها لغرابة اسلوبها وحسن بديعها الذى اعجز البلغاء (وظهرت فصاحته) اى اتضحت كالشمس وسط النهار او غلبت وارتفعت من بين اعجازها (على كل مقول) اى كل كلام نظما ونثرا (وتظافر) بالظاء المشالة كما فى اكثر النسخ تفاعل من الظفر وهو الفوز ونيل الامانى (ايجازه) اى قلته الفاظه الوافية باداء المعانى من غير خلل (واعجازه) اى كونه فى اعلى مراتب البلاغة المعجزة للبشر

فالمعنى ان الايجاز احد من الاعجاز مايليق به والاعجاز استوفى من الايجاز مايحق له فيه مع المبالغة استعارة مكنية وتخييلية فمن قال انه لم يجد فى كتب اللغة مايفسر به فقد قصر وفى بعض النسخ بالضاد المعجمة اخت الصاد المهملة بمعنى تعاونا وتقويا على منع معارضته والاتيان بمثله من ضفر الحبل والشعر اذا جمع بعضه على بعض ليتقوى وهو مجاز مستعمل يقال تضافر القوم اذا تجمعوا وتعاونوا وقيل انه بالطاء المهملة من الطفرة بمعنى الوثوب اى وثب كل منهما والمراد انهما بلغا الغاية فى بابهما والاوجه الثلاثة معانيها متقاربة فلاوجه لتصويب بعضها دون بعض (وتظاهرت حقيقته ومجازه) اى عضد كل منهما الآخر وقواه لما صار له ظهيرا ومستندا لما بينهما من العلاقة او تشابها فى الظهور لوضوح معانيه وظهور قرائنه لا كما يكون فى بعض المجازات من الخفاء والتعقيد (وتبارى فى الحسن مطالعه ومقاطعه) اى تشابهت وتساوت اوائله واواخره من قولهم فلان يبارى فلانا اذا فعل مثله والمبارى يكون بمعنى المسابق فى الجرى فالمعنى ان مطلعه وهو مبدؤه ومقطعه وهو منتهاه وغايته كفواتح السور والآيات وخواتمها يجارى كل منهما الآخر ويسابقه ليحوز قصب السبق من الفصاحة وصحة المعانى وهو عبارة عن تشابههما (وحوت كل البيان) اى ما به بيانه واظهاره (جوامعه) اى جوامع كلمه التى جمعت المعانى الكثيرة فى الفاظ قليلة (وبدائعه) اى ما ابدع فيه مما لم يسبق مثله فى كتاب وكلام الله تعالى مما لا تقبل تحريرها ولا يحصى تصحيحها وكفى بالدهر مماثلا وبالذوق منه ماثلا (واعتدل) اى استقام من غير افراط ولا تفريط (مع ايجازه) وعدم تطويل لفظه (حسن نظمه) اى تناسب كلماته لفظا ومعنى وقلما يكون الايجاز كذلك وهذا من ادلة اعجازه وليس هذا مكررا مع قوله حوت كل البيان جوامعه وبدائعه كما توهم (وانطوى) اى واوفى (على كثرة فوائده) اى معانيها التى تفيدها (مختار لفظه) اى لفظه المهذب الذى كأنه انتخب ونقى وهذا من وجوه الاعجاز ايضا لان اللفظ الذى يفيد معانى كثيرة من الفصحاء يحتاج غالبا الى ترك الفاظ غير فصيحة (وهم) اى فصحاء العرب من كل باد وحاضر (اوسع ما كانوا فى هذا الباب مجالا) اى اوسع يقال فسحت مجالسه وفسح فيه وفيه فسحت له ان يفعل كذا اى وسعت له فهو فى فسحة منه وماكانوا بمعنى اكوانهم فما مصدرية واضافة افعل للمصدر على التجوز كاخطب مايكون الامير قائما والمجال محل الجولان وهو الحركة والجملة حالية من ضمير راعهم ومجالا تمييز عن النسبة محول عن الفاعل والمراد بالباب جانب البلاغة وجعله بابا لوصولهم به الى مقاصدهم اى جاءهم صلى الله تعالى عليه وسلم بالكتاب المجيد ومجالهم فى غاية الاتساع وتفسير المجال بالاتساع وان كان ينبئ عنه

فيه تكلف (واشهر) اى اعظم شهرة وفى نسخة واشهرهم بالاضافة لضمير الناس (فى الخطابة) بفتح الخاء اى انشاء الكلام فى المحافل وقوله (رجالا) تمييز كالذى قبله واشهر معطوف على خبرهم اى ورجالهم اشهر من غيرهم فى هذا وليس المراد بالرجال مطلق الذكور بل الاشراف كما يقال رجالات قريش لاشرافهم وليس هذا منافيا لقوله خصوا بالبلاغة والحكم بما لم يخص به احد من الامم لان اسم التفضيل يقتضى مشاركة غيرهم لهم فيما كان مخصصا بهم لان اختصاصهم بما ذكر على ظاهره والتفضيل مجازى بان يكون على طريق الفرض كما فى حديث (ما رأيت ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل منكن) اذا الخطاب لجنس النساء او نقول انه على حد قوله الخل احلى من العسل اى انه فى حموضه اقوى من العسل فى حلاوته ولاسم التفضيل استعمالات اخر ذكروها فى المطولات (واكثر فى السجع) وهو الكلام المنثور الذى له فواصل مقفاه كالشعر وهو منقول من سجع الحمام لكونه على وتيرة واحدة ولذا لا يجوز اطلاقه على القرآن (والشعر) وهو الكلام الموزون المقفى بالقصد (ارتجالا) اى تكلما به من غير فكر وروية وهو فى الاصل الاسهاب والقيام على الارجل فاطلق على الكلام قائما لانه كان عادة لهم ثم نقل لما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه وفى كتاب بدائع البداية انه فى الاصل الاسهاب بسهولة ومنه سعر رجل وقيل هو من ارتجال البئر وهو ان ينزلها راجلة من غير حبل كالبديهة وهو من بدهه بمعنى بداه كما قالوا مدحه ومدهه الا ان الارتجال اسرع من البديهة وبعده الروية اسهى وفى نسخة واكثر فى الشعر والسجع سجالا والمراد بالسجال هنا المجاورة واصل معناه الدلو كما تقدم وقيل المراد به المفاخرة (واوسع فى الغريب) المراد به ما اشتد غرابة من الكلمات والمجازات البديعة اى اكثرهم فى الكلام وقيل المراد به ما يحتاج الى سفر وتفتيش من كتب اللغة وهو بالنسبة لنا * فان قلت هذا مما يخل بالفصاحة وسياق الكلام لمدحهم * قلت قال ابن هلال فى كتاب الصناعتين انه ليس مخلا بها لمن كان لغته من الاعراب والفصيح من العرب العرباء فاطلاق اهل المعانى غير صحيح ولم ار من نبه عليه (واللغة مقالا) اللغة معناه الكلام ولكل قوم لغة ويكون اسما لعلم مدون يبين فيه معناها والمراد هنا الاول والمقال مصدر ميمى بمعنى القول يعنى ان لغة العرب اكثر من سائر اللغات الفاظا فقلما يكون معنى الا وله اسماء مترادفة حتى انه يوجد فى كلامهم ماله مائة اسم فاكثر وقد افردوه بالتأليف وهذا كناية عن كونهم اقدر على الكلام من غيرهم فاذا اعجزهم القرآن فغيرهم يعلم عجزه بالطريق الاولى وعطف اللغة على الغريب من عطف العام على الخاص (بلغتهم التى بها يتحاورون) الجار والمجرور صفة كتاب او حال منه والتحاور ادارة الكلام والمراجعة فيه سؤالا وجوابا من الحور وهو التردد والضمير للعرب وقيل لقريش لان القرآن نزل بلغتهم

فان كان ماوله كذلك فلا اشكال فى كلامه (ومنازعهم) بفتح الميم والنون وراء معجمه وعين مهملة جمع منزع بالفتح مجرور بالعطف على لغتهم من النزع وهو كمامر الجذب والاخذ والمنزع مصدر بمعنى النزع واسم مكان ويكون اسما للسهم الذى يرمى به يقال رماه بمنزع اى سهم بعيد المرمى قال * فهو كالمنزع المريش من الشوحط السبه بين المعالى * قاله فى الاساس قيل وهو المراد هنا لمناسبته لقوله (التى عنها يتناضلون) بالضاد المعجمة اى يترامون بالسهام يقال ناضله وخرجوا يتناضلون وينتضلون ونضلت من الكنانة سهما اخرجته ومن المجاز ناضل عن قومه اذا دافع وحاج والمناضلة المفاخره فشبه الكلام الدائر بينهم فى المخاصمة والمفاخرة بالسهام واثبت له المناضلة تخييلا وقيل المنزع هنا اسم مكان والمعنى انهم يتغالون فى كلامهم بطرا واشرا فى حال المنازعة وهى المجاذبة فى الاعيان والمعانى وهو بعيد وابعد منه ماقيل ان المنزع مايرجع اليه الرجل من رأيه وطريقه اى اتاهم الكتاب بما هو ديدنهم الذى لايتركونه فاكبوا على مداومته (صارخا بهم فى كل حين) حال من الكتاب اوالرسول من الصراخ وهو الصياح والنداء بصوت شديد يسمع من بعيد اى مصرحا بدعوته فى كل وقت يتلو القرآن عليهم ويبكتهم ويدعوهم لمعارضته (ومقرعا) بضم الميم وفتح القاف وتشديد الراء المهمله وعين مهملة اى معيرا وموبخالهم من القرع وهو الضرب ومنه القرعة (لهم بضعا وعشرين عاما) سنه وهو بكسر الباء الموحدة وضاد معجمه ساكنة وعين مهمله وهو من الثلاث الى التسع من كسور العدد ويقال بضعة ايضا فى لغه قليلة وفيه اقوال اخر فى القاموس هذا اصحها ويستعمل مع العشرة ومافوقها الى تسعين ولايختص ببعض العقود منها وهذه المده مدة دعوته صلى الله عليه وسلم من بعثته الى وفاته وقد اختلف فيها مع انه بعث على رأس الاربعين وحوته بعده قيل عشرون وقيل ثلاث وعشرون وهوالاصح وقيل خمس وعشرون ولذا قال بضعا من غير تعيين العام والسنه بمعنى وقد خص الثانيه بالشمسية والاول بالقمريه ولذا اختاره لان بها حسابهم ولانها قد يعبر بها عن الشدة والقحط * واعلم ان البضع ليس كبضع العدد فى انه يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر ومانقله فى القاموس عن مبرمان يرده مافى الحديث الايمان بضعه وسبعون شعبة فلا يرد على المصنف ان الصواب ان يقول بضعة وعشرون كما قيل ولامشاحه للاوائل (على رؤس الملأ اجمعين) الرؤس جمع رأس وهو العضو المعروف المشرف السيد والملاء الجماعة وقد يخص بالاشراف ويقال كلمه على رؤس الناس وعلى رؤس الاشهاد اذا صرح بمايريده واشاعه لان من يريد ذلك يقوم فى المحافل مستعليا على رؤسهم اى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يزل مظهرا لدعوته مدة بعثته منذرا لهم قائما عليهم من اظهرهم

والجار متعلق بقوله مفتريا او تنازعه مفتريا وصادقا (ام يقولون افتراه) هذا حال
ايضا اى قائلا وتاليا لهم ام يقولون الخ ولم يعطفه رعاية لنظم القرآن فيكون اقتباسا
من مشكاة انواره والافتراء كالاختلاق الكذب والاستفهام انكارى توبيخى
(قل) ان كان الامر كما زعمتم (فأتوا بسورة مثله) فى النظم والبلاغة فانه نزل بلغتكم
وانتم فصحاء (وادعوا من استطعتم) اى كل من قدرتم على دعوته ليعينكم على افتراء
كلام يضاهيه (من دون الله) اى غير الله تعالى فانه القادر على كل شئ (ان كنتم
صادقين) فى قولكم انه افتراء وهذا توبيخ وتقريع بعجزهم عن اقل مراتبه
وليس مقابلا للسجعة الاولى كما قيل ثم انه اتى بآية اخرى فى معناها فقال (وان كنتم
فى ريب) فى شك وشبهة (مما نزلنا على عبدنا) اى نزل منجما بحسب الوقائع
(فأتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا) وقوله من مثله صفة سورة اى سورة
كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للبيان وزائدة عند الاخفش اى بسورة
مماثلة للقرآن فى البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اى بسورة كائنة
ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فأتوا
والضمير للعبد وهذه الآية ابلغ مما قبلها للدلالة على عجزهم فى المستقبل بقوله
ولن تفعلوا والكلام على الآيات مما كفانا المفسرون مؤنته (قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن) نظما وبلاغة (لا يأتون بمثله الآية)
وهو جواب قسم مقدر ولذا لم يجزم ولم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا ينافى
اعجازه فتأمل (وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) اى محض كذب واختلاق
منكم وخص الكذب بالذكر لقوله (وذلك) اى طلب الاتيان بالمفترى تهكما
وتقريعا (ان المفترى) اسم مفعول (اسهل) عليهما (ووضع الباطل اقرب) تناولا
واروج نفعا ومع ذلك لم يقدروا عليه (والالفاظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب)
لانه يلاحظ فيه ما فى الواقع ونفس الامر ثم يؤتى بالالفاظ على طبقه وترتيبه بحيث
لا يخرج عنه (والمختلق) بفتح اللام اسم مفعول بمعنى الكذب المفترى كما قال تعالى
و ﴿تخلقون افكا﴾ وهو من الخلق بمعنى التقدير لانه امر مقدر فى النفس من غير نظر
للواقع وقيل انه من الخلق وهو الثوب البالى لان الحق يزيد كل يوم جدة والكذب
يزداد بلى (على الاختيار اقرب) المراد بالاختيار ضد الالجاء والاضطرار اذ فان الصادق
مضطر الى اتباع الحق وقد يضيق عليه نطاق البيان بخلاف الكاذب فانه يجد
را واسعا كما قال تعالى ﴿الم تر انهم فى كل واد يهيمون﴾ وقيل ههنا بحث وهو
ان التحدى بقوله فأتوا بسورة الى آخره ان كان الاتيان بما هو واقع على وجه الحق فهو
غير ممكن قطعا وان كان بالاتيان بمثله وعلى صورته لفظا فلا يخرج عن كونه مفترى
وحينئذ يستوى الامران والذى دار فى خلدى ان ذكر مفتريات لمشاكلة قوله

اقتراء تهكما وتقريعا لا للمقالة المصنف رحمه الله تعالى اشتهى وليس شيء لا نا نجار الثانى وقولهم انهم لعجزهم لا يستويان وهو فى غاية الظهور فقد روضمن اقرب معنى اهون ولذا عداه الى كقوله تعالى (وهو اهون عليه) ولولا ذلك عداه بالى او اللام (ولذا) اى لكون المختلق اسهل واقرب من الحق الصحيح عبارة (قيل) اى قال الادباء ومن لهم دراية فى صناعة الصناعة للكلام (فلان) اى المنشىء لرسائل الملوك ونحوه ممن يقول الحكم والمواعظ من الفصحاء (يكتب كما يقال له) اى كتب فى شان امر واقع لرسالته فهو فى اكمال الكلام عن زهر المعانى الزاهية الزاهرة حتى يفوح عبيرها فى نادى البراعة (وفلان) ممن ينشىء المقامات (يكتب كما يريد) من كل ما نظرؤ على خاطره من غير نظر لصدقه وكذبه فاذا صعب عليه التعبير عن معنى عدل عنه لغيره فهو يكتب كما يريد لا كما يراد وهذا اشارة كما حكى عن بديع الزمان انه رتب له واحد من كتبة الديوان فلم يقدر على كتابة الرسائل فلما اخبر الصاحب بذلك قال دعوه فانه يكتب كما يريد لا كما يراد وحكى مثله عن الحريرى ايضا (وللاول) الذى يكتب كما يقال له (على الثانى) وهو الذى يكتب كما يريد والمراد بالكتابة هنا مطلق الكلام وان لم يكتب (فضل) اى زيادة شرف ورتبة (وبينهما شأو) اى مسافة ومدى (بعيد) والشأو بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة وقد تبدل الفا وبالواو بمعنى السبق والغاية والامد فتجوز به عن المسافة ثم كنى به عن التفاوت الزائد (فلم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم يقرعهم) اى يعيرهم ويعنفهم ويشنع عليهم لما تحداهم بالقرآن (اشد التقريع) لانذارهم بالهلاك والعذاب الاليم (ويوبخهم غاية التوبيخ) هو بمعنى ما قبله لكن المقام مقام اطناب وخطاب يحسن فيه له (ويسفه احلامهم) اى يصفهم بالسفه وهو قلة العقل وخفته والسفه الخفة والاحلام جمع حلم بضمتين وضم فسكون وهو العقل (ويحط اعلامهم) بحاء مهملة مضمومة واعلام جمع علم بفتحتين وهى الراية الكبيرة والجبل والسيد والاسم المخصص والكل يحتمل هنا اى يكسر راياتهم ويهد جبالهم ويذل ساداتهم ويزرى باسمائهم والمعنى على كل حال انه يحقرهم ويقهرهم بطعنه فيهم واظهار ضلالهم وسوء حالهم (ويشتت نظامهم) اى يفرق جمعهم ويبطل آراءهم بجداله وجلاده والنظام ما ينظم به الدرر ونحوها والشيء المفرق كما مر فاستعير لما ذكر (ويذم آلهتهم) اى اصنامهم التى عبدوها فى الجاهلية (وآباءهم) الذين اقتدوا بهم فى الكفر وقالوا (انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون) والآباء بالمد جمع اب (ويستبيح ارضهم وديارهم) اى يجعلها مباحة للمسلمين بانه لا شئ عليها واحلائهم عنها (واموالهم) مما ملكوه من الاثاث والمواشى وغيرها (وهم فى كل هذا) المذكور من التوبيخ والذم وما بعده الى استباحة الاموال والديار (ناكصون) فقال

نكص على عقبيه اذا احجم وتأخر فاستعير للاعراض عن معارضته فيما عمله وما اتى به للقرآن (عن معارضته) والاتيان بمثله والجملة حالية من الضمير قبلها (محجمون عن مماثلته) اى عن الاتيان بشيء مماثل اقصر سورة منه لما تحداهم واحجم كنكص بمعنى تأخر وهو كناية عن عدم القدره يقال حجمته فاحجم وهو من النوادر كنثل كببته فاكب (يخادعون انفسهم) اى يغرون انفسهم امانى كاذبة ويؤملون آمالا فارغة ويمكرون مكرا يعود عليهم بالوبال فكأنهم بذلك خادعوا انفسهم فهو كقوله تعالى (وما يخدعون الا انفسهم) وتحقيقه فى الكشاف وشروحه (بالشغب) وهو تهييج الشر والفتن من الشغب بفتح الغين المعجمة وسكونها (والكذب) اى بادعائهم كذب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما جاء به من الحق الذى لا مرية فيه وقيل هو من قولهم كذبته نفسه اذا خيلت له آمالا بعيده على اتباع الباطل وهو بعيد لا وجه له والذى غره قوله (والاغراء بالافتراء) هكذا فى النسخ الصحيحة بغين معجمة وراء مهملة ومده وفى بعضها الاغترا افتعال منه وقال التلمسانى صوابه الاغراء بغريا وهو المولع بالخبث والسحر نص قال تعالى (فاغرينا بينهم العداوه) اى الزمناها اقول قال بعضهم اصله من الغراء الذى يلصق به وعلى هذا فالاعتراض ساقط لما فى القاموس من انه يقال اغراه اذا الصقه والمصنف اجل من ان يوهم فى اللغه فانه قدوه فيها ولا حاجة الى انه لمشاكلة الافتراء والافتراء الكذب كما تقدم وصيغة الافتعال تفيد المبالغة لسبب فى التجريد كما قرروه فى قوله لها (ما كسبت وعليها ما اكتسبت) (وقولهم) بالجر معطوف على الكذب (ان هذا الا سحر يؤثر) اى ينقل ويروى عن السحرة كاهل بابل وغيرهم وسبب نزول هذه الآية ان الوليد لما سمع منه صلى الله تعالى عليه وسلم حم السجده قال سمعت من محمد كلاما ليس بكلام انس ولا جن وانه ليعلو ولا يعلى فقيل قد صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل لعنه الله انا اكفيكموه فجلس عنده حزينا وكلمه بكلام اغاظه فقال لهم يزعمون ان محمدا مجنون هل رأيتموه يخنق وزعمتم انه كاهن هل رأيتموه يتكهن وانه شاعر هل رأيتموه قال شعرا قالوا لا فقال ماهو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين المرء واهله وولده فاهتز النادى فرحا وتأتى ذلك كله مبسوطا واعلم ان السحر كما قاله الاكمانى فى ارشاده قد صنف فيه كتب كثيره اكثرها غايته الحكم للسحر بطى وهو حقيقى وغير حقيقى يقال لما الاخذ بالعيون والى القسمين الاشارة بقوله سحروا اعين الناس وقوله واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم ولما حسب انه احد اقسام طرقه فطريقه الهند بصفاء النفس وتجريدها لانهم رأوه افعالا تصدر عن النفس وطريق النبط عمل اشياء مناسبة للغرض المطلوب مضافة لرقية وعزيمة ودخنة فى وقت مناسب وتلك الاشياء تماثيل وتصاوير وعقد ينفثون فيها وكتابة يدفن او يعلق

فى الهواء وتحرق والعزائم تصرع للكواكب المؤثرة عندهم وطريق اليونان تسخير روحانية الافلاك والكواكب دون اجرامها فى وقت خاص وطريق القبط والعبرانيين والعرب الاعتماد على اسماء وعزائم مجهولة كأنهم يخاطبون بها حاضرا لاعتقاد انها تصدر عن الحق بتسخير الملائكة لها وانواعه ثلاثة الاستخدام والاستنزال والاستحضار وتكون بقطعة بتوسط تلبس الروح ببدن منفعل ينطق بلسانه كصبى وامرأة حال غيبة عن الحس ويختص باسم الاستحضار فان كان مناما اختص باسم الحليان اسمى ملخصا (وسحر مستمر) اى دائم باق لمارواه من تتابع الوحى عصا طريا اوتحكم متقن واصله من مرائر الحبل وهو وقيل مرائره وهى طاقاته اوذاهب عن قارمن المرور اومستبشع من المذاق (وافك افتراه) اى كذب اخترعه واختلقه والافك اسوأ الكذب (واساطير الاولين) اى شئ اخذه مما سطره الاولون وزخرفوه وهو جمع سطر اى صنف من الكتابة على خلاف القياس وقال المبرد انه جمع اسطورة كارجوحة واراجيح على القياس اوله مفرد مقدر كاسطارة واسطيره وقائل هذا هو النضر بن الحارث بن كلدة وفيه نزلت الآية وقتل يوم بدر (والداهنة) بالجر عطفا على الكذب وهى بمعنى البهتان وهى الكذب الذى يبهت ويدهش سامعه وكذا قوله (والرضاء بالدنية) بالهمزة وتبدل فتدغم ومعناه الخصلة الحقيرة الخسيسة المنحطة التى لا يرضى بها من له عقل ومروءة وفسرها بقوله (كقولهم قلوبنا غلف) لان ظاهره الوصف بالحماقة وعدم الفهم وهو امر مذموم لا يرتضيه العقل وهو جمع اغلف اى فى غلاف بقال سيف اغلف وهى بمعنى فى اكنة جمع كنان بزنة كتاب غطاء ومعناها مغطاة وغلام اغلف بمعنى اقلف والقلفة الغلفة وقيل انه جمع غلاف واصله غلف بضم اللام ككتب وبه قرئ ثم خفف بالسكون اى هى اوعية للعلم مملوءة به فلا نحتاج لعلم منك وعلى الاول معناه لا نفهم ماتقول ولا يصل الينا وهذا هو الملائم لكلام المصنف ولقوله (وفى اكنة مما تدعونا اليه) وهو القرآن والايمان (وفى آذاننا وقر) اى صمم واصل معناه الثقل والحمل (ومن بيننا وبينك حجاب) اى مانع عن وصول ماتقوله لنا وفى من اشارة الى انه مبدأ وانه استوعب المسافة المتوسطة بينهما بحيث لم يبق فراغ وهو تمثيل لنبو قلوبهم عن ادراك ما دعاهم له ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم له (و) قال الذين كفروا (لا تسمعوا لهذا القرآن) اى لا تصغوا وتنصتوا له (والغوا فيه) بفتح الغين المعجمة وضمها من لغى يلغى ولغا يلغو والاول اصح وهو المقروء به والمراد بها رفع الاصوات باى كلام كان حتى يشوش على قارئه ويقطع قراءته اويمنع من استماعه ولغو الكلام مالا يعتد به وهو من اللغا وهى اصوات الطيور يقال لغى لغوا ولغا كل وقد يسمى

كلام قبيح لغوا قال تعالى (لا يسمعون فيها لغوا) اى قبيحا كما قاله الراغب وانما فعلوا هذا لعجزهم عن معارضته (لعلكم تغلبون) قارئه فتقطع قراءته فتغلبهم انما هى بالجهل والسفه كما هو شان العاجز المعاند ومثله دنية لا ترضى (والادعاء) مجرور كالذى قبله (مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا) وهذه وقاحة لفرط عنادهم ومكابرة ولو استطاعوه فما منعهم ان شاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشرين سنة ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا مع انفة كانفهم من ان يغلبوا خصوصا فى الفصاحة وقائل هذا هو النضر بن الحارث ايضا لكنه اسنده الى الجميع كاسناد فعل الرئيس الى المرؤسين او على حد قولهم بنوا فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم (وقد قال لهم الله تعالى) مكذبا لهم (ولن تفعلوا) فنفى قدرتهم فى المستقبل فلو قدروا الجأتهم فعلوا ولم يقل فلن يأتوا بسورة من مثله لما فيه من الكناية والايجاز (فما فعلوا ولا قدروا) نفى الفعل ظاهر والقدرة فى الانسان قوة غير محسوسة فبها يعلم من اثرهم وعجزوا وعيروا فلم ينطقوا ببنت شفة مع شدة غيرتهم واشتعال نار حميتهم (ومن تعاطى ذلك) اى فعله وتكلم بما توهمه معارضة واصل معناه المناولة (من سخفائهم) ممن له طيش وقلة عقل (كمسيلمة) تصغير مسلمة فلامه مكسورة وميمه مضمومة والعامة تفتح لامه وهو خطأ منهم والضمير للعرب وهو كذاب يضرب به المثل فيقال اكذب من مسيلمة وهو ابن حبيب الحنفى من بنى حنيفة وهذا لقبه واسمه هارون ويقال له ابو ثمامة وكان وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسلم حتى قتله خالد بن الوليد فى خلافة ابى بكر رضى الله عنه وقيل قتله وحشى قاتل حمزة رضى الله تعالى عنه وكان له خيل وبنيرنجات يوهم انها معجزات وارسل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوبا صورته من مسيلمة رسول الله سلام عليك اما بعد فانى قد اشركت معك بان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم لا يعدلون * فاجابه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكتب اليه من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وفى هذيانه الذى زعم انه وحى نزل عليه والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا ضفدع بنت ضفدعين الى كم تنقين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين الى غير ذلك مما تمجه الاسماع وتستقبحه الطباع (فكشف عواره) فى نسخة بدون فاء واسنادها احسن اى اظهر بما قاله من الكلام السخيف الركيك عيبه وخباثته وهو بضم العين المهملة بزنة غراب على الافصح وآخره راء مهملة وتفتح العين ايضا وقيل انها الافصح (لجميعهم) اى العرب ممن سمعه وقد نقل صاحب الدلائل منه كلاما كثيرا وشرحه ولا حاجة لنسويد وجه الصحف به والعوار مأخوذ

من عور العين وفيه اشارة الى ما قيل من انه مسيح عين من استشفى بمسحه فانصب
عينه (وسلبهم الله) اى احد منهم والضمير لمن وجع نظرا لمعناه (ما الفوه) اى
اعتادوه بطباعهم (من فصيح كلامهم) بيان لما اى لما ارادوا المعارضة لم يقدروا
على كلام مثل كلامهم قبله وليس هذا قولا بالصرفة كما توهم لان من فعل هذا
ليس له صرفة وهذه الجملة معطوفة على جملة ما فعلوا وليست الواو للمعية ولا حالية (٢) منهم نسخه
كما قيل (والا) اى وان لم يسلبهم الله فصاحتهم المألوفة (فلم يخف على اهل الميز ٢)
بفتح الميم وسكون التحتية والراء المعجمة اى التمييز والعقل وزاد الفاء فى الجواب
لانه ماض لفظا ومعنى او بتقدير المبتدأ اى فهم لم يخف الى آخره ووجهه دفع توهم
كون الاستثنائية فاندفع ما قيل ان الصواب اسقاطها لصحة مباشرته للشرط
فقال ماره بعيره ادامره اى لو نظر تلك الجمل وما ظاهر انه كلام ماراى وما رهى
(انه ليس من نمط فصاحتهم) بفتحتين ونون وميم وطاء مهملة اى من نوع
الفصاحة وعلى طريقتها التى اعتادها فانه معجز خارج عن طوق البشر وضمير انه
للقرآن فقال عدى ماع من هذا النمط وهذا ابلغ من ليس فصيحا لانه نفى عنه كونه
من جنسه (ولا جنس بلاغتهم) لركاكته وقباحته (بل ولوا عنه مدبرين) اضراب
عن مثله ومدبرين اى معرضين حال مؤكدة لولوا بمعنى رجعوا واعرضوا (وآتوا
مذعنين) بذال معجمة وعين مهملة اى منقادين مسلمين والاذعان الانقياد واما
اطلاقه على العلم فى قولهم اذعان النسبة تصديق فمولد ليس من كلامهم (من بين مهتد)
اى مصدق لحقيقته واختاره لهداية الله تعالى له (وبين مفتون) متحير فى امره
منكر لاختياره وفيه لف ونشر مشوش (ولهذا) اى لكونه ليس من نمط كلامهم
(لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل
والاحسان الآية) لما سأله ان يقرأ عليه شيئا من القرآن لينظر فى امره وقرأ
هذه الآية عليه دون غيرها لمناسبتها له لانه من اقاربه وفيها عطفة له وندبه وهو
من رؤساء عقلائهم فرحا بذلك ان يهديه الله للاسلام قال السيوطى وهذا
الحديث رواه البيهقى عن عكرمة مرسلا وفى المغنى فى الاحياء فى آداب تلاوة
القرآن حدث ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال اقرأ على فقرأ عليه (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى)
الآية فقال اعد فاعاد فقال ان له لحلاوة الى آخر ما ذكره المصنف هنا وكذا
ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب بغير اسناد ورواه البيهقى فى الشعب من حديث
ابن عباس بسند جيد الا انه قال ان الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة كما قاله
المصنف رحمه الله تعالى وكذا ذكر ابن اسحق فى سيرته فان صح فهما قصتان
والوليد والد خالد بن الوليد والمغيرة بضم الميم وكسر العين المعجمة هو ابن عبد الله

المخزومي وباقي نسبه معروف مات كافرا وترجمته معروفة (قال) لما سمع ما تلاه عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (والله ان له) اي لما تلا (حلاوة) اي عذوبة فصاحة عند من له ذوق فهو استعارة لما استلذه السمع (وان عليه لطلاوة) بضم الطاء وبجوز فتحها لغة ومشاكلة وتكسر ايضا فهو مثلث ومعناها الحسن والقبول والرونق وجاء بمعنى السحر ايضا وهو استعارة كالذي قبله واكده بالقسم وان والاسمية وقدم الخبر للحصر اشارة الى انه لا تشبه غيره من الكلام (وان اسفله لمغدق) بلام التوكيد وضم الميم وسكون الغين المعجمة وكسر الدال المهملة كما في النسخ كلها من الغدق بفتحتين وهو كثرة الماء ورواه ابن اسحق وان اصله لعذق وان فرعه لجناة والعذق بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة هو النخلة التي اصلها ثابت ورواه ابن هشام لعذق بفتح المعجمة وكسر المهملة من الغدق بفتحتين قال البرهان الحلبي ورواية ابن اسحق افصح لانها استعارة تامة فيها آخر الكلام يشبه اوله والجناة بفتح الجيم والنون الثمر (واعلاه لمثمر) اي له ثمر طيب كثير والجملة الثانية تمامها استعارة تمثيلية والمراد انه كلام اصله قوي ليس من جنس كلام البشر ومعانيه مفيدة مرشدة لسعادة الدارين وحسن العاقبة وهو كقوله تعالى (ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء) او استعارتان تمثيليتان واراد باسفله ما تضمنه من المعاني كما قال تحت هذا الكلام معان غزيرة واراد باعلاه ما يتبعه من الفوائد والعوائد التي تظهر من فهم معانيه وتفهيمها فشبه الكلام لفصاحته وبلاغته بشجرة شربت عروقها ماء غزيرا فاهتزت وربت واسعت ثمرتها وكثرت وعذبت وبجوز ان تكون مكنية وتخييلية قلت اختلاف الروايات يدل على تعدد القصة ثم بنى على هذا قوله (ماهذا بقول بشر) لانه لا يشبه كلامهم بوجه من الوجوه وفي نسخة مايقول هذا بشر بصيغة المضارع اي ليس من كلام البشر لحلاوة نظمه وبديع اسلوبه وبلاغة معانيه وجزالة مبانيه يعني انه ليس مفترى مختلقا وخص البشر لانهم المعروفون بالبلاغة والا فهو معجز للجن ايضا مع ان في هذا الخبر التصريح بذلك حيث قال وليس بشعر قد كم رجل اعلم بالشعر مني ولا اعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وانه ليعلو ومايعلى وانه ليحطم ما تحته كما رواه البيهقي في الدلائل ثم انه روي عن الزهري ان الفاري على الوليد عثمان بن مظعون لا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه المصنف رحمه الله تعالى فان عثمان رضي الله تعالى عنه قال ما اسلمت ابتداء الاحياء من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى نزلت ان الله يامر بالعدل الآية وانا عنده فاستقر الايمان في قلبي فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن اخي اعد الى آخر الحديث وهذا يؤيد ما سبق من تعدد القصة (وحكى ابو عبيد) القاسم بن سلام بتشديد

اللام الامام في الفقه والحديث واللغة البغدادي الحبر الهمام الجليل اخذ عن الشافعي وغيره وكان عبدا روميا لرجل من هراة واحواله ورحمته معروفة توفي سنة اربع او ثلاث وعشرين ومائتين (ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤ فاصدع بما تؤمر) واعرض عن المشركين اى اجهر بما امرت بتبليغه ولا تبال بما يقولونه وما موصولة او مصدرية واصل معنى الصدع التفريق والتمييز فالمعنى افرق بما ذكر لتفريقه بين الحق والباطل وما قيل من انه لا يجوز ان تكون مصدرية لانه بمعنى امرك وهو مصدر مبني للمفعول والصحيح عدم جوازه ولا موصولة لانه يحتاج لتقدير العائد اى تؤمر به ولا يجوز الا اذا جر بما جر به الموصول واتحدا معنى وعاملا والاول متعلق باصدع والثاني بتؤمر فهو من فائدته وان سبقه اليه بعض المعربين لان الخلاف في المصدر الصريح لا في ان والفعل كما في هذه الآية ولانه انما حذف العائد بعد حذف الجار ونصبه (فسجد) الاعرابي لما ادهشه من بلاغته (وقال سجدت لفصاحته) اذ ليست آية سجدة وانما هزه الطرب لفصاحته حتى ذل وخر وجهه في التراب وكان هذا معروفا في مثله حتى قال بعضهم للشعر سجدة وليس المعنى سجدت لله لاجل فصاحته كما توهم وتعبير فصاحته لا بكلام المقرو لا للقارئ كما توهم لانه لا يناسب المقام (وسمع) اعرابي (آخر رجلا يقرؤ) قوله تعالى (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا) اى لما يئسوا من يوسف عليه الصلوة والسلام وزيدت السين والتاء للمبالغة في اليأس وخلصوا بمعنى اعتزلوا وانفردوا ونجيا بمعنى متناجين في تدبير امره وهو يطلق على الواحد المذكر وغيره (فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام) لاعجاز بلاغته وخروجها عن طوق البشر فانك اذا وزنت قولك لما لم يطعهم يوسف عليه الصلوة والسلام ولم يجبهم ذهبوا وتشاوروا فيما يقولون بعد هذا وكيف يرجعون لابيهم بهذا النظم عرفت بالذوق انه لا مناسبة بينهما ولو لاحظت الفصاحة فيها ووجوه البلاغة فيها (وحكى ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يوما نائما بالمسجد) اى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة والظاهر ان مراده بقوله نائما مضطجعا لا نام فانه يستعمل كثيرا بهذا المعنى لقوله (وعلى رأسه قائم) اى في جانب رأسه رجل منتصب القامة وليس المراد انه واطئ لرأسه وهو جهة فوقه في مثله والجملة حالية والضمير لعمر رضي الله تعالى عنه وفي نسخة فاذا هو بقائم على رأسه فاذا فجائية والباء الملابسة (يتشهد شهادة الحق) اى يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله (فاستخبره) اى طلب عمر رضي الله تعالى عنه منه الاخبار عن سبب تشهده وعن حاله (فاعلمه) ذلك الرجل الشاهد (انه من بطارقة الروم) بطارقة جمع بطريق بكسر الباء معرب بترك ومعناه الرئيس وقائد الجيش وقد تكلمت به العرب قديما قال الجواليقي في كتاب المعرب البطريق بلغة الروم وهو القائد للجيش وجمعه بطارقة

وقد تكلموا به ولما سمعت العرب بان البطارقة اهل رياسة وسموا الرئيس به يريدون المدح قال ابو دؤاد

هم رجعوا بالعرج والقوم شهد * هوازن تحدوها حماة بطارق

وهذا يقتضي ان بطريق هو المعرب وهو المعروف وقال ابن خالويه في كتابه ليس البطرك معرب بطريق عربته العرب قديما قال

يعلو الطواهر ورد في التلال له * كبطرك قدمشى في عطف كان

وهذا مما تعجب منه محرره والروم جيل من الناس معروفون سموا باسم جدهم روم بن عيصو بن اسحق وكان اصفر فلذا قيل لهم بنو الاصفر والواحد رومي وقول الجوهري رامي غلط منه (ممن يحسن كلام العرب وغيرها) من العبرانية والسريانية والرومية وانما قال هذا ابو بطنه لانه يفهم القرآن والانجيل ويقدر على النظر في معانيهما ولذا قال (وانه سمع رجلا من اسارى (٢) المسلمين) بضم الهمزة وفتحها جمع اسير واصله من الاسر وهو الشد بالقد ثم عم الكل من اسر وصار في يد عدوه (يقرأ آية من كتابكم) ايها المسلمون يعني القرآن (وأما بها) اي بطرت متفكرا في معناها (فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى ابن مريم) عليه الصلوة والسلام في الانجيل (من احوال الدنيا والآخرة) بيان لما اي من الاحوال التي تلزم العبد في الدنيا التي هي سبب للفوز والنجاح في الآخرة (وهي) اي الآية التي سمعها (قوله) عز وجل (ومن يطع الله ورسوله) في امره مما فرض وسن ونهيه عن غيره (ويخش الله ويتقه) اي يخافه ويجتنب مانهى ويخشى عقوبته (فاولئك هم الفائزون) بسعادة الدارين وقوله سمع بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل ويقرأ بالافراد فاعله ضمير رجل وقيل انه روي يقرؤن بضمير الجمع الاسارى وهو محتاج للتكلف (وحكى الاصمعي) بصاد مهملة ساكنة وميم مفتوحة وعين مهملة وهو عبدالملك بن قريب بالتصغير ابن اصمع وهو لقب جده ومعناه صغير الاذن وهو امام اللغة والنحو والادب والنوادر ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائة وتوفي بها سنة عشر ومائتين (انه سمع جارية) اي امرأة شابة من العرب تتكلم بكلام فصيح (فقال لها قاتلك الله ما افصحك) تعجب من فصاحة لسانها وبالغ في مدحه فانها يقال لمن اتى بامر بديع غريب وهي في الاصل جملة دعائية يرادبها شدة الاستحسان كالا تمنى لسحق ان يحسد ويدعى عليه (فقالت اوبعد) هي الهمزة الاستفهامية والواو العاطفة والهمزة مقدمة من تأخير او داخلة على مقدر معطوف عليه وبعد بالبناء للمجهول او القوة معلوم (هذا) الكلام (فصاحة) اي فصيحا (بعد قول الله) اي مع فصاحة القرآن لايقال الكلام غيره انه فصيح لمن سمعه فانه ازرى بكل فصاحة وصيرها كالعدم كالماء القدس اذا سرى بحب ماهو اعظم نفاسة منه فانه يعد غير نفيس كما قيل

(٢) اسراء نسخه

(ولا)

ولاقح فيها غير ان حمالها * تصير كل الغايات قباطا

(واوحينا الى ام موسى) اى الهمناها او ارسلنا منامًا (ان ارضعيه الآية) اى فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين (جمع فى آية واحدة بين امرين) ارضعيه والقيه (ونهيين) لاتخافى ولاتحزنى (وخبرين) او خبر ما وخفت عليه (وبشارتين) رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين والمراد بالفصاحة هنا البلاغة فانها تطلق عليها كما ذكره الشيخ عبدالقاهر (فهذا) اى الجمع بين ماذكر فى آية واحدة (نوع من اعجازه) اى القرآن (منفرد بذاته) اى مستقل بنفسه غير محتاج لغيره (غير مضاف لغيره) اى غير تابع لنوع غيره من البلاغة (على التحقيق) لما فى الواقع عند من عرفه (والصحيح من القولين) بالجر معطوف على التحقيق والظاهر ان مراده بالقولين هنا كما قاله بعضهم القول بان اعجاز القرآن هل هو مجموع بلاغته واسلوب نظمه اوهو متحقق بكل واحد منهما على حدته وانفراده بدون اضافة احدهما الى الآخر فان كلا منهما خارق للعادة خارج عن طوق البشر وهذا هو النادر من سياقه وقيل المراد بالقولين القول بان اعجازه ببلاغته التى لا يرتقى احد الى مرتبتها والقول بانه معجز بغير ذلك كالصرفة والاخبار بالمغيبات ولاشك فى ان من يقول باعجازه البلاغة واسلوبه يقول ايضا انه بالنظر لمجموعه ايضا اذ لا يمكن قطع النظر عنه كما قاله العلامة الزركشى فى برهانه اذ قال اكثر المحققين على ان الاعجاز من جهة البلاغة لكن تعذر الاحاطة بتفصيلها فان اجناس الكلم مختلفة ومراتب البيان متفاوتة فمنها البليغ الرصين الجزل والفصيح القريب السهل والجائز الطلق الرسل فهذه اقسامها المحمودة والاول اعلاها والثانى اوسطها والثالث ادناها وقد حازت بلاغة القرآن من كل شعبة فانتظم له نمط جمع الفخامة والعذوبة وهما كالمتضادين لان العذوبة نتاج السهولة والمتانة والجزالة تعالجان لرعورة فكان اجتماعهما فضيلة خص بها القرآن ليكون آية بينة وانما تعذرت على البشر لان علمهم لا يحيط بجميع اللغة العربية وظروف معانيها وافهامهم لا تدرك جميع معانيها ووجوه نظمها فتحيروا احسنها حتى يأتوا بمثله وانما يقوم الكلام بامط حامل معنى عليه قائم ورباط له ناظم فاذا تأملت القرآن وجدته اسبق فى ذلك كله ورقى لاعلى درجاته وهذا لا يتيسر لغير العالم القدير فانما صار معجزا لانه جاء باحسن الالفاظ وابدع النظم والتأليف واصح المعانى من الدعاء للتوحيد وطاعة الرب المجيد والتحليل والتحريم والعظة والتقويم والارشاد الى محاسن الاخلاق والزجر عن مساويها واضعا كل شئ فى موضعه بحيث لا يرى محلا اولى من محل مودعا فيه مثلات اخبار القرون الماضية منبئا بالحوادث المستقبلة برمانها جامعا للحجج والمحتج له المؤكدة للزوم مادعاله ولاشك ان استيفاء هذه الامور منسقا احسن تنسيق لا يمكن

لغيره عز وجل (وكون القرآن من قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف
وفتح الباء الموحدة واللام اي من عنده قال تعالى ﴿فما للذين كفروا قبلك مهطعين﴾
ويستعار للقوة والقدرة على المقابلة اي المجازاة فقال لا قبل لي بكذا ومنه قوله بجنود
لا قبل لهم بها والمراد كونه بلفظه فقوله (وانه اتى به) عطف تفسير فان المراد انه
كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم (معلوم ضرورة) لتواتر وتوفر الدواعي على نقله
(و) كذا (عجز العرب عن الاتيان به) اي بمثله (معلوم ضرورة) لمشاهدتهم له
(و) كذا (كونه) صلى الله تعالى عليه وسلم (متحديا به) اي طالبا منهم الاتيان بمثله
(معلوم ضرورة) لسماعهم له (و) كذا (كونه في فصاحته) في سرده مع مقاربة انه غاية
بعيدة السبق بالطرق الممكنة (خارقا للعادة) اي مخالفا لعادة فصحاء العرب
في كلامهم الفصيح من قولهم خرق الحسب اذا تجاوزه وتعداه (معلوم ضرورة
للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة) اي انواعها ومقاماتها المقتضية لها لعجزهم
عن معارضته وقد طلبت منهم ذلك مرارا لا تحصى وهم احرص الناس على ذلك
(وسبيل من ليس من اهلها) اي طريق من ليس من اهل الفصاحة الخالية الموصلة
لمعرفة الاعجاز كالمولدين والعجم (علم ذلك) اي الاعجاز واسم الاشارة قائم مقام المضمر
(بعجز المنكرين من اهلها) للاعجاز وانه ليس من كلام البشر اذا جحدوا (عن
معارضته) والاتيان بمثله وعن متابعة تحد (واعتراف) هو في الاصل افتعال من المعرفة
صار بمعنى الاقرار بما عرفوه فقوله (المقرين) بانه كلام الله المعجز من اقامة الظاهر
مقام المضمر (بالاعجاز للاعجاز) لهم واعجزهم عن ان يروموا اتيان سورة الا من عاب
عليه السفه وتعاطى هذا بما يحق تصديقه اظهر من الشمس وانكاره مكابرة وقولنا
ان من مبتدأ وعلم زيد يسلك خبره مصدر علم علما والمبتدأ معرفة مساوية لمن
الموصولة والخبر باضافته لاسم الاشارة ولارباب الحواشي هنا خبط عجيب
فمنهم من قال علم مجرور بدل من من الموصولة وذلك مفعول وبعجز الى
آخره خبره اي سبيل علم من ليس اهلا لذلك ان كونه خارقا للعادة وهو افتقار الى آخره
واعجب منه قولهم ان علم بفتح العين وسكون اللام بمعنى علامة من علمت الشيء اذا
اسمته فهو اعلم ولكنه معنى فاسد وقيل علم مثال ماض مبني للمجهول او المعلوم
وهو خلط لا ناشئ الا من ترك ... وصحح ... فقال (راب اذا تأملت)
اي امعن النظر ... فيه ... فقال ... ما قصده
على حد قوله تعالى ﴿ذا الاسماء السعف﴾ ان ... دخولها على الجمل الاسمية (قوله
تعالى ولكم في القصاص حياة) وما اودع فيه من البدائع والروائع مع لطائف الاسرار
وانوار الاعجاز الساطعة من مشكاته ... في غاية من الفصاحة وحلاوة وغرابة بلاغته

في الذوق وما اشتمل عليه من بديع البديع كالاعراب بحمل القتل الذى هو ضد الحيوة طرفالها لان من علم انه اذا قتل اقتص منه كف عنا وكان سببا لحيوة من يهم بقتله وهو اوجز مما عدوه من افصح كلامهم وهو قولهم القتل انفى للقتل مع مافيه من التكرار والقتل مطلقا لا نفعه وفي القصاص تصريح بالمعنى المراد اذالقتل قد يكون ظلما وفيه كلام وفوائد كثيرة في شروح الكشاف والمصباح والثمرة تدل على الشجرة ولا اقول الثمرة تدل على الشجر لما فيه من مخالفة سوء الادب (وقوله ولو ترى اذ فزعوا) من حلول الاجل او من بعثهم من القبور او في يوم بدر (فلا فوت واخذوا من مكان قريب) اى من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى قليبها وفي هذه الآية من الايجاز والبلاغة وعذوبة الالفاظ مايعرفه من له بصيرة (وقوله) تعالى (ادفع بالتي هي احسن) اى ادفع السيئة من اساءة اليك بالحسنة التى هي احسن من كل شئ حسن او بأحسن ما يمكن دفعه ولا حاجة الى القول بان احسن بمعنى حسن وعدل عنه للمبالغة فالظاهر ما فى هذه الآية من الايجاز بحذف مفعول ادفع وهو السيئة لانه لا يدفع الحسن واعلاف المعنى وما فيه من المبالغة ومكارم الاخلاق وهذا كقولهم احسن الى من اساء كفى المسئ فعله وفي طي ذكر السيئة كناية وادعوى المناسبة للمقام بما فيها من دفع السائل وكاف المناسبة بينها وبين قوله (وقوله) تعالى (وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي) فهذه عبارة جليلة وتكلف بغير طائل وفي هذه الآية من البلاغة المعجزة مع الايجاز انه اداها كما ينادى العقلاء وامرها بما تؤمرون به لبيان القاهر قدرته وعظمته لانقيادهما لما اراد كالمأمور المطيع المبادر الامتثال حذرا من سطوة آمره والبلع استعارة للجفاف والاقلاع الامساك وفيها لطائف اخر مفصلة في شرح المفتاح (الآية) وتمامها وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين (وقوله) تعالى (فكلا) ممن ذكر قبله من المكذبين (اخذنا بذنبه) اى عاقبناه به (فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا) اى ريحا عاصفة فيها حصباء وهي الحجارة الصغيرة او ملكا رماهم بها وهم قوم لوط عليه الصلوة والسلام (الآية) وتمامها (ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا) والاول قوم هود ومدين والثاني قارون والثالث قوم نوح وفرعون وفي الآية من وجوه البلاغة الاجمال والتفصيل وحسن السبك والطلم والاعلام باحوال من مضى الانذار و لايجاز والانسجام الرائق (واشباهها) اى ما اشبهها مما ذكر في البلاغة ووجوه الاعجاز (من آى) اسم جنس جمعى ككلم وكلمة اواسم جمع وهو منصوب معطوف على مفعول امامت ... لانه لا ... في آيات مخصوصة مشيرا الى ... من الاعجاز فيها ... (بل اكثر

القرآن) وجواب اذا قوله (حققت مانبته) لك آنها (من البحار الفاظها وكثرة معانيها) مع لطائف ودقائق (و) لطائف (ديباجة عبارتها) قيل معنى الديباج نوع من الحرير له ويقال فلان يلبس الديباج ويركب الهملاج وقيل انه معرب فاصله ديبا زيد فيه الجيم كما قال في قولون وهو من الامراض فوايح ثم اسمين فقالوا دبج المطر الارض اذا زينها بالنبات والرياض وفلان يصون ديباجته اى خداه وفي صده يتدئهما ومنه اخذ ديباجة الكتاب والقصيدة لاوله والحواميم ديباج القرآن اى رياضه التي يربع فيها القارئ فالمراد حسن عبارته فقيه استعارة مكنية وتخييلية شبهت العبارة بحمى واثبت له الديباج بمعنى الرياض والنبات ثم كنى به عما مر (وحسن تأليف حروفها) حيث كانت سالمة من التنافر والثقل (و) حسن (تلاؤم كلماتها) بالهمزة وقد تبدل ياء فيقال تلايم وملاءمة اى مناسبة وموافقته واما ابدالها واوا فهو خطأ من رسم الهمزة بالواو لان الملاومة مفاعلة من اللوم وقراءة بعض المحدثين له بالواو لحن لعى لبس فيه تعقيد ولا ضعف تأليف وتنافر كلمات (وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة) اى فيها معان كثيرة وفوائد غزيرة وجعل مايدل عليه تحته تجوزا (وفصولا جمة) اى انواعا كثيرة من محاسن الكلام كما يقال جعل الكلام فصلا فصلا والجم الكثير وعاز بهما بينهما كقوله (وعلوما زواخر) بزاء وخاء معجمتين وراء مهملة اى علوما كثيرة كالبحار الزواخر من زخر البحر اذا كثر ماؤه وارتفعت امواجه ففيه مكنية وتخييلية ويجوز ان تكون تشبيها بليغا واستعارة مصرحة وزواخر ممنوع من الصرف وما في بعض النسخ من تنوينه للتناسب لاوجه له (ملئت الدواوين) اى امتلأت كتب التفسير وغيره من الفنون (من بعض ما استفيد منها) بالبناء للمجهول اى اخذه كل باحث عنه بحسب فهمه واذا ملأها بعضه فكله لايمكن حصره ولا تحويه كتاب كما قال تعالى ﴿ قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ﴾ ودواوين جمع ديوان وهو الكتاب وقد تقدم الكلام عليه (وكثرت المقالات) اى كلام الائمة والمصنفين (في المستنبطات عنها) اى في المعاني والاحكام المستخرجة بطريق الاشارة والدلالات الالتزامية وهو من قولهم استنبط الماء من البئر اذا استخرجه فالاستنباط هو ما دل عليه صريحا وما استنبط غيره (ثم هو) اى القرآن وعطفه بثم للتراخي الرتبي عما قبله (في سرد القصص الطوال) اى ذكرها في اثنائه مستعار من سرد الدرع نسجه (واخبار القرون السوالف) معطوف على القصص جمع قصة والمراد بالقرون السوالف الامم المتقدمة على عصر النبوة من سلف بمعنى تقدم والقرن مدة من الزمان مختلف فيها والمراد اهله (التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام) صفة للقصص والاخبار اى انها لطولها اذا اريد ذكرها بتمامها

يصعب على الفصيح حكايتها ويصعب نطقها عن ادائها واحتمالها لمن لايعلمها
لانه لا فائدة بتكرارها وليس المراد انه واقع فى الخارج عجز الفصيح عن مطابقة
حكايته له (ويذهب ماء البيان) اى رونقه وحسنه لانه لطوله قد لا تتناسب كلماته
ويشق نظامه ولا يحكم ارتباطه والبيان اصطلاح المعانى وهو معطوف على يصعب
الصلة فيه عائد مقدر كالذى قبله (آية لمتأمله) اى علامة بينة لمن تأمل نظمه
وسرده القصص والاخبار وآية خبر المبتدأ الذى هو هو او مبتدأ مؤخر والجار
والمجرور خبر مقدم والجملة خبر هو والرابط الالف واللام القائمة مقام الضمير الذى
هو فى سرد فصحه آية لمن تأمله حق التأمل وقوله (من ربط الكلام) صفة
لآية ومن بيانية او متعلق بمقدر اى تظهر كونه آية دالة على اعجازه من ارتباط
الكلام (بعضه ببعض) بالجر بدل من الكلام اى من كون اجزائه فى غاية التناسب
حتى كان كل كلمة مرتبطة باخرها (والتئام سرده) بالهمزة والياء اى مناسبة كلماته
المسرودة اى المتتابعة كحلق الدرع الداخل بعضها فى بعض مع فصاحتها
وحسن تأليفها (وتناصف وجوهه) المراد بالوجوه انواع بلاغته من الاستعارة
والكناية وتناصف تفاعل من النصفة والانصاف نقال انصافوه مناصفة حسنا
اى لاينقص حسن بعضها عن بعض وهو من بديع الكلام الذى لايعرفه الا من
ذاق حلاوة العربية كما اشار اليه المبرد رحمه الله تعالى فى الكامل قال الشاعر

لما عرضت الى تناصف وجهها * عرض المحب الى الحبيب الاول

واصل معنى الانصاف المواساة ونحوها كانك تعطيه نصفا وتأخذ نصفا ومن
ظن عدم تغاير هذه المعانى فقد وهم (كقصة يوسف عليه الصلوة والسلام على
طولها) قصها الله تعالى على احسن ترتيب وابدع تهذيب بحيث لم يضب ماء بيانها
ولم يختل عقد نظامها مرسلة الهوادى بالاعجاز على اصح وجه واوضح نهج
(ثم اذا ترددت) اى اذا كررت (قصه ٢) المذكوره فى القرآن من قولهم فلان (٢) قصصه نسخه
تردد على فلان اذا كان يكثر الاتيان اليه كقول بعضهم

ان كنت لم اكثر زيارة حكم * فبمجىء اكثم غير تردد

اى ما كرر من قصص القرآن ليس تكرارا مخلا افقد (اختلفت العبارات عنها)
وذكرت فى كل مكان لمعنى ضرب له مثلا غير المكان الآخر وحكيت بعبارات
مختلفة النظم والالفاظ وان كان المعنى واحدا (على كثرة ترددها) وتكرارها والجار
والمجرور حال من ضمير عنها وهذا من عظيم قدرة قائلها ويحكى عن ابن عباد
رحمه الله تعالى انه مات له ولد فاشتد حزنه على فقده فلما صلوا على جنازته فى
محفل عظيم قام الناس لعزيته فلم تعد عبارة المعزين له مع كثرتهم وكونه فى حالة
حزن والم حتى تعجب الحاضرون من بلاغته (حتى تكاد كل واحدة) من القصص

المكرره (تنسى في اللسان صاحبها) يعني ان سامعها كأنه ما سمعها الا الآن ولم يسبق لها ذكر قبل ذلك لان العبارة غير الاولى والسياق ومناسبة المقام تفيد فوائد اخر وتجدد لمن سمعها حظا عظيما للعبارة المغايرة لما تقدمها وغير ذلك لانها لم تنس حقيقة (وتناصف في الحسن وجه مقابلتها) لمساواتهما باعتبار المقامات المحكية فيهما كقصة آدم وحواء وموسى عليهم الصلوة والسلام مع بني اسرائيل (ولا نفور للنفوس من ترديدها) وتكريرها وهذا اشارة الى الجواب عما قاله بعض الطاعنين في القرآن بان فيه مكررات كثيرة وهو مما ينفر الطبع السليم (ولا معاداة لمعادها) اي لا تعادي الطباع المكرره المعاد في القرآن من قصصه كما قال الشاعر * طبع النفوس معاداة المعادات * ووجه ملائم لما ذكر وتحسين لطف ﴿ فصل الوجه الثاني ﴾ من وجوه اعجاز القرآن (من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب) اشار بالاسلوب والصورة الى رشاقة عبارته وفخامة معانيه وهذا باعتبار نظمه وطريقته الوارد فيها فانه مع البرعة لا يشبه الشعر ولا الخطب ولا غيرها مما كان عادتهم ومحاوراتهم فرى الاسماع بفوائد عوائده وبهذا اضمحل ما قيل انه بحسب المعنى راجع للاول لان حسن تأليفه والتئامه كله راجع لصورة نظمه فان قيل ان قوله (المخالف لاساليب كلام العرب) مغن عنه قلت لا لان قوله الخارق للعادة بمعناه انسب والاساليب جمع اسلوب وهو الفن والنوع وفي كلامه اشارة الى ان الاعجاز ليس مداره على الالفاظ ولذا عبر بالنظم دون اللفظ قال عبد القاهر النظم توخي المعاني على حسب الاغراض التي صيغ لها الكلام لا توالها في النطق وضم بعضها لبعض كيف ما اتفق (ومناهج نظمها ونثرها) مجرور معطوف على اساليب اي مخالف لمناهجها جمع منهج وهو الطريق اي لا يشبه كلا منهم المنظوم وهو الشعر ولا المنثور من الخطب وغيرها (الذي جاء عليه) صفة نظم اي النظم الذي جاء عليه من عند الله تعالى واردا على اسلوبه العجيب الذي لا يشبه كلام البشر (ووقف مقاطع آية) جمع آية مضاف لضمير القرآن وفي نسخة آياته والمقاطع جمع مقطع وهو آخر الكلام الذي يقف عليه القارئ وقفا تاما اوكافيا واسناد الوقف اليها مجازي والواقف انما هو القارئ وهو بمعنى انتهت ووصلت ولذا عداه بالى وهو معطوف على الصلة (وانتهت فواصل كلماته اليه) وفي بعض النسخ ووقف مطالع آية عليه والفواصل جمع فاصلة وهي الكلمة الاخيرة من الفقرة ونحوها والضمير للموصول بمصدر مضاف الى آخره قالوا لا يقال في القرآن انه سجع وانما يقال فواصل لقوله فصلت آياته (ولم يوجد) اي لم يسمع كلام تابع (قبله ولا بعده نظيرله) مماثله في بلاغته وعلو مرتبته وغرابة اسلوبه (ولا استطاع) وقدر (احد مماثلة شيء منه) بان يأتي بكلام مناسب له في الجزالة والبلاغة (بل حارت فيه عقولهم) فوقعوا في الحيرة فانه ذكر عدمهم من الاعراب

وظهور اعجازه يكذبهم في قولهم انه مفترى او سحر او نحوه مما لا تقبله الطبع (وتدلهت به دونه احلامهم) بفتح الدال المهملة واللام المشددة اى دهشت وتحيرت في شانه فهو مما قبله وفي نسخة تولهت بواو بدل الدال من الوله وهو الحيرة ايضا والاحسن ان نقصر الدله بذهاب العقل من الهوى فيكون ترقى من حيرته الى ذهابه ودونه بمعنى ما لم ساغ مرادته كما في قوله تعالى (لا تتخذوا بطانة من دونكم) والاحلام جمع حلم وهو بمعنى العقل وله معان اخر يعنى ان عقولهم لم تصل اليه اذ تحيرت فيما هو اقل منه فكيف به (ولم يهتدوا الى مثله) اى لم يسمعوا به من فصحائهم ولم يقدروا على الاتيان بشئ مثله او بقريب منه (في جنس كلامهم) الذى يقدرون عليه وتفي به قواهم البشرية (من نثر) كالخطب والرسائل (او نظم) من القصائد والقطع (او سجع) وهو الكلام المقفى غير الموزون وهو يطلق على مجموع هذا وعلى الكلمات الاخيرة من النثر ويطلق على الاتيان به ونفس التوافق الواقع فيه (او رجز) وهو نوع من الشعر معروف واورده بالذكر مع دخوله في النظم لانه خلافه في عدم التزامهم رويا واحدا فعد نوعا مستقلا من الكلام افرد باسم يخصه ولم يعده بعضهم من الشعر حتى سمى قائله راجزا لا شاعرا (او شعر) لو لم يذكره كان احسن لانه مكرر مع النظم (ولما سمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة) بن مقدم ضبطه وانه ابو خالد وكان من صناديد قريش وعقلائهم وفصحائهم الا ان الله لم يهده الى الاسلام كافر واسم ولده خالد رضى الله تعالى عنه سيف الله (وقرأ عليه القرآن) اى اسمع الوليد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعض القرآن رجاء اسلامه (رق) قلبه ومال طبعه الى الاعتراف به والاسلام واصل الرقة ضد الغلظة فتجوز به عن الملاءمة والميل كما قال ابن سعيد المغربى

قد طال شوقى الى ثغور * ملاءى من الشهد (٢) والرحيق
عهدى احدث الدى نراه * يعذب من شعرى الرقيق

(٢) من السوى نسخه

(فجاءه ابو جهل) لعنه الله تعالى لما بلغه ميله الى كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليصده عنه وكان ابن اخيه واسمه عمرو بن هشام (منكرا عليه) ميله واستحسانه لما راه صلى الله تعالى عليه وسلم عليه وهو حال من فاعل جاء (فقال) الوليد رادا لانكار ابى جهل عليه (والله ما منكم) يامعشر قريش (احد اعلم بالاشعار منى) انكارا لقولهم انه ساحر (والله ما يشبه الذى يقوله) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من القرآن (شيئا من هذا) الشعر الذى ينشد واشار اليه بالقرب لشهرته وحضوره في الذهن كالمشاهد المحسوس (وفي خبره الآخر) اى في خبر آخر عن الوليد رواه البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما (حين جمع) الوليد (قريشا) اعنى اشرافهم ورؤساؤهم (عند حضور الموسم) مفعل من الوسم وهو العلامة

والمراد موسم الحجاج وهو زمان اجتماعهم لانها معالم كانوا يجتمعون فيها بمكة
وحضوره مجيء زمانه او مجيء اهله ولما كان يجمع به جميع قبائل العرب من كل فج حتى
ان يسمعوا بامر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيتبعوه جمعهم وحدهم ليتشاوروا
ويروا رأيا فيما يصد الناس عنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما اشار الى بيان ذلك
بقوله (وقال ان وفود العرب) جمع وفد وهم كالجماعة الذين يقدمون من بلادهم
الى مكة من غير اهلها واصل معنى الوفد الاشراف (ترد) اي تقدمون من غير البلاد
واصل الورود الذهاب للماء (فاجمعوا فيه) اي في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وامره اي سروا وتذاكروا (رأيا) اي امرا متفقا وفي له فائدة ... اجمعوا بقطع الهمزة
من الاجماع يقال اجمعت كذا وكذا واجمعت عليه واكثر ما يقال فيما يكون جمعا
يتوصل اليه بالفكر نحو (فاجمعوا امركم وشركاءكم) ويقال اجمع المسلمون على كذا
اي اجتمعت آراؤهم عليه ويجوز ان يكون همزة وصل ... رأيا
... وبه فسر قوله تعالى (ان الناس قد جمعوا لكم) اي جمعوا آراءهم وتدبيرهم
كما قال الراغب ولا عبرة بانكار الحريري في الدرة ... (لا تختلفوا
...) اي اتفقوا على امر ... قدومهم ... على امر ... كله واحد لا ...
... (فقالوا) ... (كاهن) ...
لاسرار وكانوا في العرب ... وكان ... كلام ...
... الاخبار ... ذلك ...
احدها من كلام السائل ... وقال له ...
... (فقال) ... (والله ما هو بكاهن) اي ... لا ...
... كلاما لانه كلا ... الذي كانوا ...
... الناس هذا ... ولا ... (ما هو بزمزمه
ولا سجعه) الضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ...
... وما كلا ...
... الجن ...
بكلام الكهان كان ... النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ... القائل
... ذلك ... قال
هذا من احوال الكهان وهذا لا ... كلامه
صلى الله تعالى عليه وسلم ... الراي هذا الراي ... صلى الله تعالى
عليه وسلم (قالوا) نقول هو (مجنون) اي ... كلامه
... وذلك ... الجن ...

واخفته اذا ستره لاستتار عقله ومنه الجان والجن (قال) الوليد ردا لرأيهم هذا (ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته) اى لا تشبه حالته حال المجانين والخنق بفتح الخاء المعجمة وسكون النون مصدر وهو الاختناق والجنون يقال له خنق بكسر النون وفتحها والوسوسة بفتح الواو مصدر وهو شيء يلقى في القلب او في السمع بصوت خفى وقد يحدث لمرتبة نفسه ولذا سمي حديث النفس (قالوا فنقول شاعر قال) اى الوليد (ما هو بشاعر) اى ليس كلامه شعرا ولا وزنا ولا معنى ان الشعر مدح ونحوه وتشبيب وليس فيما سمعوا منه صلى الله تعالى عليه وسلم شيء من ذلك (قد عرفت الشعر كله) بانواعه واوزانه ومعانيه ثم فصل بعضا منه بقوله (رجزه) هو نوع من الشعر معروف سمي بالرجز ويقال للقصيدة منه ارجوزة وجمعها اراجيز وسمي رجزا لاضطرابه في وزنه واختلاف اوزانه واختلاف قوافيه (وهزجه) بفتحتين ومعجمتين وهو اسم لبحر من بحور الشعر معروف وبه فسر هنا ولكن الذي قالوا ان اسماء البحور منقولات اصطلاحية وضعها الخليل بن احمد فهي منقولة من الهزج لنوع مطرب من الاغاني ولو قيل انه اسم لضرب من الشعر كانت العرب تسميه به كان اقرب وانسب بقوله (وقريضه) لانه ليس اسم بحر من بحور العروض لانه في اللغة بمعنى الشعر مطلقا من قرضه بمعنى قطعه فعيل بمعنى مفعول لان الشاعر يقطع نوعا مخصوصا من الكلام لعرضه له فالظاهر ان المراد به ما يقابل القصائد وهي المقطوعات وقرض الشعر ملكة يقدر بها على نظمه وفي العرف معرفة محاسن الشعر وقبحه (ومبسوطه) اى مطولات قصائده مطلقا المقابلة لما قبله فتناول جميع انواعه من الطويل والبسيط وغيره فمن فسره ببحر البسيط وقال زيادة الميم فيه لمشاكلة قوله (ومقبوضه (٢)) فقد تكلف ما لا دليل عليه وكان المراد بمقبوضه مختصر اوزانه المسمى في العروض بالمجزوء والمنهوك وليس المراد مصطلح العروضيين وهو المحذوف بأنه السبب الخفيف الذي هو خامس كمفاعيلن الذي حذف ياؤه فصار مفاعلن لان هذا اصطلاح احدثه المولدون لا تعرفه العرب قديما وقوله رجزه وما عطف عليه منصوب بدلا من الشعر لا من كله لانه توكيد لا يصح البدل منه لانه لا يقع مفعولا كما توهم (قالوا فنقول) هو (ساحر قال) اى الوليد (ما هو بساحر) انكره لما تعلمه من ان الساحر هو الذي يستعين على ما يأتي من خارق العادة بأمر علوي او بعزائم يسخر بها الجن وبطلسمات يسخر بها السفلي بالعلوي والناس جميعهم يعلمون انه صلى الله عليه وسلم ليس كذلك ولذا قال (ولا نفثه ولا عقده) بفتح النون المهملة وسكون الفاء او بضم ففتح جمع عقدة والنفث النفخ مع ريق والعقد عقد خيط او شعر منفوث ونحوه كما تعرفه السحرة مما تؤثر امورا خارقة للعادة في الخارج فنفى عنه انه ليس عمل مما تقدم له

(٢) ووقع هنا في بعض النسخ «ما هو بشاعر» فيكون حينئذ تأكيدا للاول قاله ط

السحرة فقد توفي صلى الله تعالى عليه وسلم بين اظهرهم ولم ير احد منه ذلك فلذا
خطأهم الوليد في وصفهم له صلى الله تعالى عليه وسلم وبين لهم ان تدبيرهم الباطل
لا يروج على عاقل كما قيل

يا سطوة الله حلي عقد ما ربطوا * وشتتي شمل اقوام بنا احتاطوا
الله اكبر سيف الله قاطعهم * وكلما قد علوا في دمهم هبطوا

(قالوا فنقول) بالنون او بالمثناة الفوقية اي نحن او انت يا وليد وما رأيك (قال ما انتم بقائلين من هذا) اي مثل هذه الآراء (شيئا) في حقه (الا وانا اعرف انه باطل) اي غير مقبول عند ذي ولا عند العقلاء الذين يعرفونه وتقديم الضمير لتقوية الحكم لانه تقدم ما يقويه الكلام او للحصر لنسبته اعتقاد بعض جهلهم فيه والجملة حالية مستثناة من اعم الاحوال اقترانها بالواو وعدمه (وان اقرب القول) في حقه وان كان الكل مفترى (انه ساحر) بفتح الهمزة وكسرها كما في كل ما وقع بعد افعل تفضيل مضاف للقول على ان المصدر خبران والجملة المحكية لا تحتاج لرابط لانها عين المبتدأ هنا وهذا رجل عاقل رحمه الله تعالى على قلبه وسمعه وبصره فحجبت عنه مسالك الضلالة على بصيرته ثم بين وجه اقربيته بحسب الفطرة التي تقول (فانه سحر) اي كالسحر ووجه المشابهة انه (يفرق بين المرء وابيه) بالباء الموحدة والواو او الياء المثناة التحتية ومعناها ظاهر (والمرء واخيه) وفي نسخة بين المرء وابنه واخيه (والمرء وزوجه) اي امرأته وفيه لغة ان هذه وزوجة بالتاء الاب (والمرء وعشيرته) اي اقاربه الادنون المعاشرين له وقد كان ذلك فان من ذاق حلاوة الاسلام ترك ما عداه لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم كما كان مشاهدا في الصحابة رضي الله تعالى عنهم فمنهم من ترك ملكه كبير بن الحاسي كما في سيرة ابن هشام والتوفيق بين هذا وبين ما حكاه الزمخشري عن الوليد هذا من انه قال لهم ما هو الا سحر اما رأيتموه يفرق بين المرء الى آخره وما حكاه غيره من قوله ان هذا الا سحر يؤثر كما تقدم انه اراد ما هنا من انه كالساحر فما ذكر لكنه ساقه في معرض الجزم ليروج عندهم او انه قال مرة ثم راجع عقله فرجع عنه وهو الاوفق بالآية ومناسبة ما ذكرنا هو بصدده في غاية الظهور فالقول بان الانسب ان يذكر ما حكي عنه من انه قال اي مخزوم والله لقد سمعت محمدا يقول كلاما ما هو يقول ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى كما تقدم ولا وجه له (فتفرقوا) من المجلس الذي جمعهم للمشاورة فيه (وجلسوا على السبل) جمع سبيل وهو الطريق لحجر الوافدين عما قالوه حتى لا يأتوه صلى الله تعالى عليه وسلم و (يحذرون الناس) منه حتى لا يقصدونه يقولون لكل من رأوه محمد شأنه كذا وكذا فاحذروه لانه يفتنكم عن دينكم والجملة الاولى معطوفة او حالية بتقدير قد وكذا الثانية من ضمير تفرقوا وهما حالان متداخلان او فقالوا ذلك لكل من قدم للحج فمشا امره صلى الله تعالى عليه وسلم في قبائل العرب

وحشى ابو طالب من ذلك ومن تعصب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا لهتهم وسبها ان تقع منهم ما يخرصهم على ضرره فقال فى قصيدته اللامية الطويلة المشهورة بمدحه صلى الله عليه وسلم ويذكر حسن حاله وما هو عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها قوله

لعمرى لقد كلفت وجدا باحمد * واحوته دأب المحب المواصل

الى آخرها ولولا خوف الاطالة اوردتها لما فيه من مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم وبيان حفيه وتفيده بحميه (فارل الله فى الوليد) وقصته المذكورة التى هى سبب النزول وهذا من اقامة الظاهر مقام الضمير للتسجيل عليه بذم الله تعالى له (ذرنى ومن خلقت وحيدا الآيات) اى دعنى معه فانا اكفيه من كيد اعدائه وان كان وحيدا منفردا عن اهله وغيره اتركهم له اولا نظير له وتمام الآية ﴿ وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ﴾ والكلام على هذه الآيات مفصل فى التفسير والمقام لا يسعه (وقال عتبة بن ربيعة) بن عبد شمس بن عبد مناف والد هند ام معاوية رضى الله تعالى عنهما وهذا قتله عبيدة بن الحارث فى غزوة بدر كافرا (حين سمع القرآن يا قوم لقد علمتم انى لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته) هذا عبارة عن انه عنده علم بالكتب المنزلة لقراءته بعضها وانه قرأ القصص السالفة وقال الشعر وله سعة علم بالبلاغة وليس ظاهره مرادا اذ لا يمكن لمثله ما ادعاه (والله لقد سمعت قولا) يعنى به القرآن العظيم الذى سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتلوه (والله ما سمعت مثله قط) هو للاستغراق فى الماضى (ما هو بالشعر) الباء زائدة اى ليس بشعر ولا يشبهه كما مر (ولا بالسحر ولا الكهانة) اى ليس يشبه كلام السحرة والكهنة المسجع المتكلف ولم يكن فى فائدته شئ من اعمال السحرة المعهودة والكهانة مصدر كهن يكهن بكسر الكاف وفتحها كالكتابة والقسامة كما قاله الشريشى فى شرح المقامات (وقال النضر) بفتح النون المشددة وسكون الضاد المعجمة علم منقول من النضارة بمعنى الحسن (ابن الحارث) بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار الذى قتله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالصفراء صبرا وقصته مذكورة فى السير (نحوه) اى مثل ما قاله عتبة والوليد فى اعترافه بالقرآن وانه لا يشبه كلام البشر (وفى حديث اسلام ابى ذر) الغفارى الصحابى رضى الله تعالى عنه وهو جندب بن جنادة كما مر وغفاره قبيلة من العرب مشهورة وغفار وقبيلته من كنانة وهو غفار بن مليك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة وحديثه رواه مسلم وغيره ووصفه البيهقى فى دلائل النبوة واسنده الى عبد الله بن الصامت وهو حديث طويل وكان اسلامه بمكة رابع اربعة

فلذا كان يقول كنت رابع الاسلام وقوله (ووصف اخاه انيسا) بالضمير ووصف ماض والجملة حالية بتقدير قد (فقال) تفسير لوصفه المذكور (والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض) بقاف وضاد معجمة من المناقضة مفاعلة من النقض وهو هدم البناء وحل طاقات الحبل ثم صارت بمعنى كون الكلام له معنى لا يمكن اجتماعه مع نقيضه كزيد قائم وزيد ليس بقائم وهذا اصطلاح المنطقيين وعند العرب نقائض الشعر في الجاهلية انه اذا قال احدهم شعرا ذكر فيه افتخارا بآبائه وشرفهم على قوم غيره اوذكر فيه هجاء غيره ومثالبه ونقص حسبه وآله فيعارضه غيره بشعر يذكر فيه ضد ماقاله فيسمى ذلك مناقضة ويقال للقصائد نقائض ومنه نقائض جرير والفرزدق لقصائد من الطرفين جمعت وشرحت وفي الاساس يقال في كلامه تناقض وهذا ناقضه ونقضه وتناقض الفلان والشاعران وناقض احدهما الآخر يقول قصيدة فينقض صاحبه عليه وهذه القصيدة نقيضة قصيدة فلان وهما نقائض ومنه نقائض جرير والفرزدق انتهى وفسره في الشرح الجديد بما في النهاية من ان المناقضة مفاعلة من نقض البناء وهو هدمه اي ينقض قولهم وينقضون قوله وارادبه المراجعة والمراودة انتهى وهو تفسير لاتبين بالمقصود لما عرفته (اثنا عشر شاعرا في الجاهلية) اي عارضهم في قصائدهم فاتى بمثلها وهذا يدل على فصاحته ومعرفته بالشعر وقدرته على انشائه وزمان الجاهلية كان فيه الشعراء الفحول كثيرا وذكر هذا عقب هذا لمناسبة أي من انكاره عليهم في قولهم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شاعر (انا احدهم) ذكره اعترافا بقوة شاعريته (وانه) اي اخاه انيسا (انطلق الى مكة) اي ذهب اليها بعد ما كان في غنم لهما يرعى فقال لاخيه ان لي صاحبا بمكة فاكفني امر الغنم حتى آتيك فانطلق حتى اتى مكة فابطأ علي اي فتأخر ثم اتاه فقال ما حبسك فقال رأيت رجلا يزعم انه على دينك الى آخر القصة التي ذكرها المصنف واشار الى بعض منها المصنف بقوله (وجاء بخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الي) اخيه (ابي ذر) وكان اسلم بمكة وقيل انه واسلم اخوه بعد ما فيه خلاف (قلت) لما بعدما اخبرني (فما يقول الناس) فيه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال) يقولون (شاعر كاهن ساحر) اي بعضهم يقول هذا وبعضهم يقول هذا ثم استثنى الى بطلان ماقالوه بقوله (لقد سمعت قول الكهنة) جمع كاهن كما كاتب وكتبة (فماهو) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اوكلامه ما ذكر (بقولهم ولقد وضعته) بالضاد المعجمة والضمير للنبي او للكلام المذكور اي وضعت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (على اقراء الشعر) يعني انه قابله وقاسه بالشعر ونزله عليه اطرق الوزن مما يشبهه وهو مجاز من قولهم وضع النعل على النعل اي طابقه به اطرق الوزن هو ومساواته والاقراء بفتح الهمزة والمد جمع قرء الذي به الكلمة كما قال في القاموس من اقرأ الشعر انواعه وانحاؤه اي امثاله فهو جمع قرء

بالضم وقيل انه جمع قرء بالفتح وهو طرفه وانواعه ونحوه وقال الزمخشري انه قوافيه التي يختم بها كاقراء الطهر التي ينقطع عندها الدم واحدها قرء فتحا وكسرا وضما فهو مقاطع آياته وحدودها (فلم يلتئم) بالهمز من الملاءمة اي لم اره مناسبا ولا موافقا لفظا ولا معنى واين الثريا من الثرى ولذا قال الفقهاء رحمهم الله تعالى لا تكتب فيه البسملة واجازها بعضهم مع الكراهة قال وهذا في مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه من الوعد ومنظومات العلوم اما الهجاء فينبغي ان لا يختلف في عدم كتابتها فيه كما قاله التلمساني (وما يلتئم) اي يتيسر ويتفق (على لسان احد بعدي انه شعر) بفتح همزة انه اي لا يتم لاحد غيري ان يقول انه شعر لانه ليس احد اعلم بالشعر واقدر عليه مني فلو امكن لاحد ان يزله على الشعر ويعارضه به كنت فعلت فحيث لم يتيسر لي لا يتيسر لغيري والمراد ابطال كونه سحرا وكهانة فلذا عقبه بقوله (وانه) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لصادق) في قوله انه كلام منزل من عند الله (وانهم) اي الكفرة (لكاذبون) في جميع ما قالوه وسموه به من الاباطيل وتتمة الخبر انه قال لانيس هل انت كاف حتى انطلق فانظر قال نعم وكن على حذر من اهل مكة فانطلقت حتى اتيت مكة فقلت لرجل اين هذا الذي تدعونه الصابئ فاشار الي فقال على اهل الوادي يرجموني حتى خررت مغشيا علي ثم اتيت زمزم فشربت منها وغسلت الدم ودخلت تحت استار الكعبة ولبثت نحو ثلاثين ليلة ومالي طعام الا ماء زمزم فسمنت وما وجدت جوعا فبينما انا في ليلة وامرأتان تطوفان وتدعوان اسافا ونائلة فلما رآياني ولوا وانطلقتا فاستقبلهما ابو بكر ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هابطين من الجبل فقالا ما لكما قالتا صابئ بين الكعبة واستارها فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابو بكر فاستلما الحجر وطافا ثم صليا فاتيته وحييته بتحية الاسلام وكنت اول من حياه بها فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ممن انت قلت من غفار فرفع رأسه ثم قال منذ كم انت ههنا قلت منذ ثلاثين ليلة ويوما قال ما كان طعامك قلت ما كان لي طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني فقال انها مباركة انها طعام طعم وشفاء سقم فقال ابو بكر يا رسول الله ائذن لي في طعامه الليلة فانطلقت معهما حتى فتح ابو بكر بابه وجعل يقبض لي من زبيب الطائف وكان ذلك اول طعام اكلته بمكة ثم اتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اني وجهت لاني ذات نخل ما احسبها الا يثرب فهل انت مبلغ عني قومك لعل الله ينفعهم بك ويأجرك فانطلقت حتى اتيت اخي انيسا فقال لي ما صنعت قلت اسلمت قال ما بي رغبة عن دينك فاني اسلمت وصدقت ثم اتيت امي فقالت مثله ثم احتملت فاتيت قومي فاسلم نصفهم قبل ان يقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

المدينة وكان يؤمنا حياف وهو سيد قومنا فلما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة اسلم ثقة قومى وجاءت اسلم فقالوا يارسول الله نسلم على الذى اسلم عليه اخواننا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غفار غفر الله لها واسلم سالمها الله وهذا خبر اسلامه باختصار (والاخبار فى هذا) الذى ذكر من اعتراف البلغاء بالاعجاز وانقياد من هداه الله تعالى منهم للايمان به (صحيحة كثيرة) مع اختلاف انواعها ورواياتها (والاعجاز) لجميع الخلق بتعجيزهم عن الاتيان بمثله (بكل واحد من النوعين) الذين ذكرهما والنوع الاول منهما (الايجاز والبلاغة بذاتها) اشاره الى قوله فى اول هذا الفصل اولها حسن تأليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وحاصله ان اعجازه من نفس جوهر كلامه بكونه فى اعلى طبقات البلاغة والفصاحة بحيث سلم عن ضعف التأليف وتنافر الحروف والكلمات وايجازه ورعاية معان ووجوه تقتضيها المقام وتعجز بكتاب بحر عنها طاقة البشر منها والنوع الثانى ماشار اليه بقوله (اوالاسلوب الغريب بذاته) يعنى كونه على نمط لا يشبه نمط كلامهم المنظوم ولا المنثور فانه ليس بشعر ولا سجع ولا خطب وان وقع فيه من غير تكلف سجع احيانا ونظم حتى ذهب الخطابى فى تكملة العمدة ان النظم الواقع فيه مقصود كالابيات واسمارها التى تقع فى اثناء الانشاء نادرا ولا يسمى بها الكلام شعرا لانه لم يقصد بالذات وهو قول غريب وقوله بالذات يعنى فقط وتغاير النوعين ظاهر وان لم يفرق بينهما بعض الشراح وقال ان فى النوعين تداخلا اذ لا يتصور كونه اسلوبا غريبا دون البلاغة الى آخر ماذكره مما لاطائل تحته (اذكل واحد منها) بضمير الواحدة المؤنثه الراجع للبلاغة وفى نسخه منهما فى والضمير للنوعين وقيل الاولى اولى وكل مبتدأ خبره (نوع اعجاز على التحقيق) غير محتاج الى الآخر ثم بين اعجازه بقوله (لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منها) وفى نسخه منهما كما تقدم (خارج عن قدرتها) لانه (مباين) اى مخالف (لفصاحتها وكلامها) لمافيه من وجوه البلاغة التى لا يحيط بها قدرهم ولم تألف طباعهم مع السخافة وعذوبة الفاظه (والى هذا) القول الدال على ان كل واحد منهما نوع مستقل من الاعجاز كاف فى اثباته (ذهب غير واحد) اى جماعة كثيره (من ائمة المحققين) العارفين بالبلاغة ووجوه الاعجاز يعنى ان منهم من قال بلاغته باسلوبه الغريب ونظمه العجيب الذى لا يشبه كلام البشر ولا نظيره القوى والقدر مع انه باغيهم وكلماته كلماتهم التى يعرفونها كما قيل فى معنى الحروف فى اوائل السور نحو الم والمر يعنى انه كلام مركب من هذه الحروف التى تركب منها كلامهم فلم يأتوا بمثله (وذهب بعض المقتدى بهم) اسم مفعول بوزن المصطفى (الى ان الاعجاز فى مجموع البلاغة والاسلوب) لا بكل واحد منهما وحده (واتى على ذلك) القول الذى

اختاره وضمن اتى معنى استدل فعداه بعلى (بقول تمجه) بضم الميم وجوز بعضهم
فتحها اى ترميه ولا تقبله (الاسماع) بفتح الهمزة جمع سمع بمعنى الاستماع بمعنى
جارحة السمع يقال مج الماء من فيه اذا طرحه ففيه استعارة مكنية وتخييلية بتشبيه الاذن
بالفم والكلام بالماء فى الرقة والعذوبة وتجريد الحرارة كما قال بعض اهل العصر

يكاد من عذوبة الالفاظ * تشربه مسامع الحفاظ

وقال المعرى

وتغير المعتاد يحسن بعضه * للورد حد بالانوف ثقيل

(وتنفر عنه القلوب) من النفار وهو الذهاب بسرعة وكأن القلوب تهرب منه
لعدم قبولها له وهو عبارة عن كونه قولا ضعيفا مردودا ولذا قال فى الاول انه قول
الائمة المحققين واشار بالمقتدى بهم الى ان هذا القول له وجه ايضا ليس كالقول
بالصرفة (مع ان الصحيح ما قدمناه) من ان كل واحد منهما وجه فى اعجازه [illegible]
(والعلم بها ذاكا) اى العلم باعجازه وبلاغته واشتماله المحسنات من البدائع
(ضرورة وقطعا) منصوبان اى من سمعه قطع بما شهده من العلم به [illegible]
فى انه فى اعلى طبقات الكلام او هو مما يدرك بالذوق ولا يدرك بالوصف كالملاحة
والطرب فى قوله تبع كلام البلغاء وخدمة علم البلاغة الذى يورثه علما ضروريا ولذا قال
(ومن مهر فى علوم البلاغة) اى عرف فنونها ومارسها حتى حصلت له ملكة يعرف
بها خواص التراكيب ووجوه ايرادها فى طرقها المختلفة فى الوضوح وانواع محاسنها
البديعة وهو من علمى المعانى والبيان وتوابعهما (وارهف) اى سن وحدد ودقق
من قولهم ارهف السيف فهو مرهف اذا سنه ودق حده (خاطره ولسانه) اى
فكره ونطقه بحيث يسهل عليه تصوره والتعبير عنه واصل الخاطر المعنى الذى
يخطر على القلب الذى هو محل العقل والفهم ويراد به نفس الفهم والعقل فارهافه
تمارسه حتى تمكن من علمه واللسان الجارحة ويراد به نفس الكلام شبه ذلك
بالسيف المسنون فى سرعة نفوذه ودقته وارهف فعل ماض فاعله (أدب هذه
الصناعة) اى صناعة البلاغة وعلم المعانى والبيان والادب يطلق بمعنى
الظرف والحسن والعلم يقال ادبه فاحسن تأديبه اى علمه واصله من المأدبة
وهى الطعام الذى يدعى له كان كل الادب مأدبة لاحد فيها مأدبة ويصح ارادة
كل واحد هنا والقرب الاخير واما اطلاق الادب على علمى المعانى والبيان فقول
وان قرب من معناه الاصلى واصل البلاغة معرفة ما اول بالجواز وكانما اطلقه [illegible]
فى معنى العلم (لم يخف عليه ما قلنا) اى صحة ما قدمناه وان كلا منهما نوع منه [illegible]
(وما [illegible]) اى فى [illegible] ومسائله الذى يريده بخير
المصحح من [illegible] (فاكثرهم تطويل) اى طال وتعرض لحكاية الحال [illegible]
[illegible] (انه) [illegible] جمع فى قوة [illegible] (الحواشى) [illegible]

والصلابة والقوة يقال حطب جزل ثم يطلق على الكثرة فيقال عطائه جزيل فاستعيرها لاحكام نظمه وعدم ركاكته واضافه اليه القوة اشارة الى انه في اعلى مراتب الاحكام حتى لا يتطرق اليه خلل اصلا ولا يختلف نظمه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ولا حاجة لتفسيره بالقوة ويقال للقوة قوه ويصح اضافتها اليها

(ونصاعة الفاظه) بفتح النون والصاد والعين المهملتين اي وضوحها وخلوصها ومنه ابيض ناصع وقيل الجزالة القطع ومنه القضاء الجزل اي القاطع للشك ونصاعته خاصه وهو تكلف لا داعي اليه وكونه اشاره الى المحسنات البديعة لا وجه له (وحسن نظمه واختياره) لسلاسته وانسجامه (وبديع تأليفه) وتراكيب كلماته المؤتلفة المتواخية (واسلوبه) طريق بلاغته اي لا اسلكها كلام غيره وقوله مما جمع مقدم من تأخير متعلق بقوله (لا اصح ان يكون في مقدور البشر) مقدور اسم مفعول او مصدر على وزن مفعول بمعنى القدرة اي لا يمكنهم القدرة على مثله لما جمعه مما لا تطيقه قدرتهم (وانه من باب الخوارق) اي من جنسها ونوعها يقال هذا من باب هذا وبابه اي من جنسه (الممتنعة عن اقدار الخلق عليها) اي التي لا يقدرون عليها كأنها امتنعت منهم وابت مطاوعتهم وهو من بلغ الكلام (كاحياء الموتى) بفتح الميم جمع ميت وهذا مما وقع لعيسى عليه الصلوة والسلام وابراهيم الخليل صلى الله تعالى عليه وسلم (وقلب العصا) حية كما وقع لموسى عليه الصلوة والسلام وسيأتي بيانا كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم واطلقه المصنف رحمه الله تعالى ليشملهما فيكون فيه ذكر لمعجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المناسب لقوله (وتسبيح الحصا) في كفه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ثبت في معجزاته ثم ذكر مذهبا آخر فقال (وذهب الشيخ ابو الحسن) الاشعري امام اهل السنة وقد تقدم بعض من ترجمته (الى انه) اي القرآن المعجز (مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر) اي انه فرد من افراد الكلام البليغ داخل فيه مندرج في جنسه ومثله قولهم الحيوان جنس تحته الانسان والفرس وهو تجوز معروف (ويقدرهم الله عليه) عطف تفسير لما قبله على مذهبه من خلق الافعال (ولكنه لم يكن هذا) فيما مضى (ولا يكون) في الحال والمستقبل (فمنعهم الله عن هذا ٢) اي عن معارضته والاتيان بمثله وهذا هو القول بالصرفة ووقع اختلاف ايضا فقيل معناه ان وهبهم قدرة على الكلام مثله وعدمهم علم بوجوه البلاغة واساليبها حالة التحدي لكن الله صرف دواعيهم عن ذلك مع توفر اسبابها من التقريع والتبكيت وتكرير الطلب وهو قول النظام والاسفرايني من اهل السنة وقيل بل سلبهم الله عند التحدي القدرة والعلم بعلوم البلاغة فاذا ارادوا ذلك لم يقدروا عليه وتسمية التحدي صرفه بحسب ظاهر حالهم وما علم من اقتدارهم وهذا مذهب المرتضى علم الهدى من الشيعة ونقل عن الاشعري الا انه لم يشتهر عنه وكلام المصنف محتمل للوجهين فان قلنا هذا اشارة الى الاتيان

(٢) وعجزهم عنه وقال به جماعه من اصحابه نسخه

بمثله فهو المذهب الاول وان قلنا الاقتدار فهو الثاني وحمله بعضهم على الثاني وقال يحتمل ان يكون المراد بابي الحسن رجل آخر غير الاشعري ولا حاجة لمثله من التكلف (وعلى الطريقين) بل الطرق من اعجازه ببلاغته واسلوبه والصرفة (فعجز العرب عنه ثابت) محقق مع كمال بلاغتهم وفرط تهالكهم وتهيج عنادهم لاطفاء نوره ومارادوه الا اشتعالا واضاءة (واقامة الحجة عليهم) بتكليفهم باقل قليل منه (بما يصح) اي يمكن ويدخل فانه ورد بهذا المعنى في اللغة (ان يكون في مقدورهم) على مذهب الاشعري (وتحديهم) مصدر مضاف لمفعوله اي طلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من العرب الفصحاء (ان يأتوا بمثله) اي مثل القرآن في البلاغة وعجز العرب مبتدأ خبره ثابت واقامة مبتدأ خبره (قاطع) لعجزهم عما لاريب فيه (وهو) اي ماذكر او التحدي بما هو مقدورهم (ابلغ في التعجيز) لغيره مما لايقدرون كاحياء الموتى (واحرى) افعل تفضيل بحاء وراء مهملتين بمعنى احق واولى (بالتقريع) وهو التوبيخ والتعيير من القرع بالعصا وهو الضرب (والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم) من جنسهم واهل لغتهم (بشيء ليس من قدرة البشر لازم) على القول الاول من اعجازه بذاته وصورته (وهو) اي المذكور من عدم قدرتهم (اشهر آية) اي اظهرها واعلاها لسائر الآيات الباهرة لارتفاع شانه وعلوه في مرتبة لايدنو منها كلام بليغ كما مر تفصيله (واقمع دلالة) بالنصب على التمييز والجر على الاضافة والدلالة بكسر الدال مصدر او بمعنى الدليل واقمع من قمعه اذا قهره وردعه واذله بعجزهم عن معارضته (وعلى كل حال) من الاحوال السابقة اي سواء قلنا بانه معجز ببلاغته او بالصرف عن معارضته فقد عجزوا (فما اتوا في ذلك بمقال) اي لم يسمع منهم كلام عارضوه به ولو صدر منهم ذلك شاع وذاع (بل صبروا على الجلاء) بفتح الجيم والمد وهو ترك الوطن والمال (والقتل) لفرط عنادهم وعدم انقيادهم (وتجرعوا) اي شربوا جرعة بعد جرعة (كأسات) جمع كأس وهو ماشرب به الخمر ونفس الخمر (الصغار والذل) بفتح الصاد المهملة وهو المذلة فالعطف تفسيري وفيه استعارة تصريحية اومكنية اي صبروا على التحقير والاهانة وتجرعوا غصصها (وكانوا من شموخ الانف) بفتح الهمزة والمد وضم النون جمع انف كذا ضبطوه وبجوز فتح الهمزة وسكون النون بالافراد والشموخ بضم الشين المعجمة مصدر شمخ اذا ارتفع وهو كناية عن غاية الكبر والجملة حالية بتقدير قد (واباء الضيم) بكسر الهمزة والموحدة والمد مصدر ابى اذا امتنع مماتكرهه والضيم الذل والتحقير (بحيث لايؤثرون) بالمثلثة اي لايرضون (ذلك) اي الذل والضيم (اختيارا) اي باختيارهم وعدم جبرهم وقهرهم (ولا يرضونه الا اضطرارا) اي قسرا والجاء وهو عطف تفسير لما قبله ونصبهما على التمييز او المفعول المطلق (والا)

مركب من ان الشرطية ولا النافية اى وان لم يكن الامر كما ذكر (فالمعارضة) للقرآن بالاتيان بما يماثله (لو كانت من قدرهم) بضم القاف وفتح الدال المهملة جمع قدرة اى لو كانت المعارضة مقدورة لهم (والشغل بها اهون عليهم) جملة حالية اى اشتغالهم بمعارضته اسهل عليهم من الصبر على ماذكر (واسرع بالنجح) بضم النون وسكون الجيم وحاء مهملة وهو الظفر والفوز بمطلوبهم وهو ابطال الحجة عليهم (وقطع العذر) اى قطع مااعتذروا به عن عدم المعارضة من الاعذار الفاسدة (واسكات الخصم) اى اسكاته عما قرعهم به (لديهم) اى عندهم وهو متعلق بجميع ماقبله من اهون واسرع وقطع واسكات (وهم من هم قدرة) تمييز والجملة حالية وليس قدرة حال بمعنى مقتدرين كما قيل فكلمة وهم مبتدأ اول ومن استفهامية وهم الثانى خبره او بالعكس على المذهبين والجملة خبرهم اى وهم اى شيء هم اى امر عظيم لايقدر قدره ولايعلم كنهه وهو ابلغ المدح كقولهم زيد ومازيد كقوله تعالى (الحاقة ماالحاقة) وهو مشهور كما فى كلام العرب والعجم وقد يقال هم هم بدون من اى هم القوم المعروفون بالبلاغة رشهادة الفن وابناء الفصيح الذين لايعادلهم فيه احد فما ظنك بما اوقعهم فى حضيض الذل ومرقهم الصغار والذبور الذى بنا (على الكلام) متعلق بقدرة (وقدوة) اى مقتدى بهم وهو منصوب رواية ودراية معطوف على قدرة (فى المعرفة به) اى بمعرفة الكلام وصناعته لسلامة فطرتهم وصفاء قرائحهم (لجميع الانام) متعلق بقدوة واتى به للمبالغة اى هم فى كل ذلك ائمة مقتدى بهم لايبلغ غيرهم فكيف عجزوا ورضوا بمعارضوا ثم انه لماذكر شمم انفهم ونكيرهم ربما يوهم متوهم ان تركهم للمعارضة لعدم تنزلهم وعدم مبالاتهم فدفعه بقوله (ومابهم) احد (الا من جهد) ماض تركه ضرب فالاستثناء مفرغ من عام مقدر (جهده) بفتح الجيم وضمها الطاقة والمشقة وقيل المضموم بالفتح المشقة وبالضم الوسع وقيل الجهد بالضم مايجهد الانسان فيه اى [illegible] كقوله تعالى (لايجدون الا جهدهم) فالمعنى انهم بذلوا ماعندهم من الطاقة فلم يقدروا على شيء منه (واستنفد ماعنده) بالدال المهملة اى استفرغ مافى طاقته ووسعه (فى اخفاء ظهور) اى القرآن او النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (واطفاء نوره) ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون (فاخلوا) اى اظهروا من خلال العروض على الاصبة تريدها لذكر الاتيان بعده (فى ذلك) اى مااجتهدوا فيه وحاولوه (خبيئة) بفتح الخاء المعجمة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء التحتية والهمزة والهاء فعيلة بمعنى مفعولة اى خافية فى ضمائرهم ومستورة خلف استار سرائرهم (من بنات شفاههم) اى كلام [illegible] فاطون بها [illegible] بلام لظهورها فيها [illegible]

(مكية)

مكنية او مصرحة (ولا اتوا بنطفة) بضم النون وسكون الطاء المهملة والفاء وهي الماء الصافي من نطف بمعنى صب والناطف السائل والمراد القطرة القليلة وفي بعض النسخ بقطرة بالقاف مقدمة على الطاء وسمي اللؤلؤة نطفة ايضا كما قاله الراغب والنطفة تطلق على قليل الماء وعلى كثيره كما جاء في الحديث (فجاء رجل بنطفة في اداوة) وهو المراد هنا (من معين مياههم) المعين الماء الجاري ظاهرا والميم زائدة من العين وقيل انها اصلية من معن بمعنى سار في الارض ومياه جمع ماء واصله موه اي لم يقدروا على شئ مما طلب منهم وهو استعارة مصرحة مرشحة او مكنية اي مع ما لهم من موارد فصاحتهم وجاري كلامهم(٢) لم يجدوا قطرة من عذب قطراته (مع طول الامد) اي اتساع زمن التحدي (وكثرة العدد) من فصحائهم (وتظاهر) اي تعاون ومساعدة (الوالد وما ولد) اي الكبير والصغير وهذا دفع للشبه وازالة الاعذار اذ لو ضاق الزمان وقل الاعوان كان لهم معذرة ما (بل ابلسوا) بالبناء للفاعل وفتح الهمزة يقال ابلس اذا ايس قيل ومنه ابليس لبأسه من رحمة الله تعالى ولو كان اسمه عربيا بل ويكون بمعنى الانكسار والحزن والمراد الاول (فما نبسوا) بنون وباء موحدة مفتوحة مخففة وورد تشديدها كما في قوله * ان كنت غير صائد ونبس * ومنه انه نطقوا قيل هو مختص بالنفي واورد البيت المذكور وقد يقال المخصوص بالنفي المخفف فتدبر (ومنعوا) بالبناء للمجهول (فانقطعوا) عن المعارضة لعجزهم وقد يقال هذا اشارة الى الصواب فابلسوا فما نبسوا لتبين انه عجز طباعهم عن بلاغته ومنعوا اي منعهم الله ايماء للصرفة وفي الارشاد لامام الحرمين * فان قيل ان العرب لم تترك المعارضة للعجز بل لعدم الاكتراث به قلنا هذا اركك من القول لا يخطر ببال عاقل وقد كانوا اذا قال شاعر بيتا في حقهم هاموا بالمعارضة فكيف وقد وبخوا اشد توبيخ وحقرت اصنامهم وسفهت احلامهم وقوتلوا حتى نكست اعلامهم وقد مر ما نبهنا عليه من اشارة المصنف رحمه الله تعالى لهذا وجوازه والاضراب او كان في المعارضة كما يقال ما تكلم زيد بل سكت عجزا (فهذان نوعان من الاعجاز) الاول اعجازه في كلامه وخواص تراكيبه وصور نظمه واسلوبه ولم يله الصرفة لضعف القول بها عنده كما تقدم فانهم افسدوه بان قوله قل لئن اجتمعت الخ دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لانهم حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع ان الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز للقرآن والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله تعالى لا الى القرآن وحينئذ يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان التحدي وفيه خرق لاجماع الامة ان معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية

(٢) الصواب ومجاري كلامهم قاله مصححه ط

أظهر من القرآن ويلزم الصرفة أيضا أنه لا فضيلة للقرآن على غيره فإن قلت القول بسحرهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين وهو محال قلت معنى قدرتهم أن هممهم توجهت إلى المحاكات لظنها القدرة عليها فسحرت وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا لمعارضته أصلا لقطعهم من نفوسهم بسحرها وأنه لا قدرة لها عليه البتة * فإن قلت توجه الهمم إليها مع العجز عنها في نفس الأمر لا يسمى قدرة * قلت ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات ولا شك في أن أهل البلاغة لا يقطعون بسبب القدرة عن المحاكات ابتداء بل بعد الاختبار وإماله لتعلم سقوط ما قيل كيف يخاطبون بالتحدي مع القطع بسحرهم عنه ونظير ذلك خطاب الله من علم منه عدم الإيمان بالإيمان كأبي جهل وأبي لهب نظرا لقدرتهما عليه باعتبار الظاهر وإعراضا عن النظر للغايات

﴿ فصل الوجه الثالث من وجوه الإعجاز ﴾ أي إعجاز القرآن الكريم بوجه آخر غير الوجهين السابقين أو غير الوجوه الثلاثة (ما انطوى عليه) أي اشتمل عليه ووقع في ضمنه (من الأخبار) بكسر الهمزة مصدر (بالمغيبات) بفتح الياء المثناة التحتية المشددة جمع مغيب أو مغيبة اسم مفعول وهو شامل لما لم يدركه هو ولا أهل عصره وما سيقع بعد ذلك مما لا يعلمه إلا الله والمراد هنا الثاني لأن الأول يمكن الوقوف عليه فلذا عطف عليه قوله (وما لم يكن ولم يقع) فسره بما كان ووقع من القرون الماضية بناء على أن الأصل في العطف التغاير فهذا خلاف كلامه الآتي من جميع ما مثل به وإن كان صحيحا في نفسه لاندراجه فيها (فوجد) بعد ذلك مطابقا لخبره ومصدقا له وعبر عنه بالماضي وإن كان مستقبلا بالنسبة لما قبله (على الوجه الذي أخبر) به في هذه الآية (كقوله تعالى) في سورة الفتح (لتدخلن المسجد الحرام) اللام داخلة على جواب قسم مقدر للتأكيد والتحقيق (إن شاء الله) علقه بالمشيئة مع تحققه تعليما للعباد أو تلويحا بعدم دخول بعضهم لموته أو غيبته أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا أو النبي صلى الله عليه وسلم (آمنين) حال من فاعل لتدخلن والشرط اعتراض لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى وهو بالمدينة قبل عام الحديبية أنه دخله مع أصحابه وأخبرهم بذلك ففرحوا به في ذلك العام فلما صدهم المشركون عن الدخول شق عليهم ذلك فأخبرهم الله بأنه سيقع بعد ذلك وكان كما أخبر (وقوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون) فأخبر الله تعالى أن الروم تغلب فارس بعد مدة أقل من عشر سنين وكان كما أخبر الله به في كتابه وذلك أن الروم كانوا أهل كتاب وفارس لا كتاب لهم كالمشركين وكان المشركون لما تحارب فارس والروم يرجون غلبة فارس ويفرحون بذلك تفاؤلا لاتحادهم بالمذهب وبعث كسرى جيشا إلى الروم فالتقيا بأذرعات

و نصرى فغلبت فارس الروم ففرح المشركون وشق ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى
هذه الآية واخبر ابو بكر رضي الله تعالى عنه المشركين بذلك وقال ستظهر الروم على
فارس فلا تفرحوا وقد اخبر الله تعالى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال له ابي
بن خلف كذبت فقال بل انت كذبت ياعدو الله فقال اجعل بيني وبينك اجلا على عشر
قلائص يأخذها الصادق منا فراهنه على ذلك لثلاث سنين واخبر رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم بذلك فقال له مد الاجل وزد في الرهان فان الله قال في بضع سنين
وهي من الثلاث الى التسع فجعل القلائص مائة الى تسع سنين ففعل فوقع ذلك بعد
سبع سنين فاخذ القلائص ابو بكر رضي الله عنه فقال له صلى الله عليه وسلم تصدق
بها وكان هذا قبل تحريم القمار وانما امره بالتصدق بها لانه قد علم خبثها لانها
ستحرم اوشكرا لله على تصديق مقالته وتكذيب مقالتهم (وقوله تعالى ليظهره
على الدين كله) هذا وعد من الله تعالى بان دين رسول الله سيظهر ويغلب سائر
الاديان وتظهر امته صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الامم فان العزة لله ولرسوله وكان كما
قال من غير شبهة وكم شاهدنا من تأييد الله لجنده ونصرهم مع ما للكفرة من الكثرة
في المال والجند (وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
الآية) اي ليجعلنهم خلفاء في ارضه مالكين لها منصورين على اعدائهم وهذه
الآية وان كانت عامة المراد بها غلبة المسلمين لاهل الردة في خلافة ابي بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه (وقوله اذا جاء نصر الله الى آخرها) اي الى آخر السورة وهذه
الآية وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة ناعية لرسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ولما نزلت وتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بكى العباس
رضي الله عنه فقال ما يبكيك ياعم فقال نعيت اليك نفسك فقال انه كما تقول وعبر بالمجيء
ايماء الى ان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها مترقبة القدوم وفيه
من البلاغة ما لا يخفى ثم اشار الى تفسير ما ذكر بقوله (وكان جميع هذا كما قال) الله عز
وجل مطابقا لما اخبر به والاشارة الى ما تقدم من المغيبات المخبر بها وكان بمعنى تحقق
ووقع بعد الاخبار به ثم فصله على اللف والنشر بقوله (فغلبت الروم) وهم جيل من
الناس معلومون (فارس) وهم الفرس اي قوم العجم ويطلق على بلادهم ايضا
وهو لفظ معرب فان اريد البلاد اي قدر اهل وقد تقدم بيانه وهو ممنوع من الصرف
للعلمية والتأنيث (في بضع سنين) اي سبع سنين كما مر اي في رأس سبع سنين وآخرها
والرأس يطلق على ذلك مع الزمان ويكون بمعنى الاول ايضا (ودخل الناس في الاسلام
افواجا) اي جماعات كثيرة بعد جماعات وفوجا بعد فوج لما اعز الله الدين ونشر
اعلامه في الخافقين وهذا اشارة لما في سورة النصر السالفة (فمامات النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف الله المؤمنين (في الارض) اي جعلهم خلفاء لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعده وآخر هذه الآية عن ذكر سورة النصر لان الاستخلاف وقع بعد ذلك الدخول وان تقدمت فيما ذكر قبله وهذا مبني على عموم الذين آمنوا في قوله (وعد الله الذين آمنوا) الآية لجميع الامة وعدم اختصاصها بابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كما تقدم (ومكن فيها) اي في الارض (دينهم) وهو دين الاسلام اي جعله متمكنا قارا لا يزول الى يوم القيمة يقال مكنته ومكنت له فتمكن وهو في الاصل التمكين من المكان (وملكهم اياها) اي الارض لان اشرف المعمور منها في ايديهم وبافعها في انقيادهم فهم بالقوة كالمالكين لها او انه باعتبار ما سيكون بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام الى الارض على دينه معدودا من امته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال (من اقصى المشارق الى اقصى المغارب) اي ابعد مكان من جانب المشرق الى ابعده من جانب الغرب وقدم المشارق اقتداء بالكتاب والسنة او لشرفه لانه محل الرسل وفيه الاراضي المقدسة وقد وقع للادباء مفاخرة بينهما فقال محيي الدين بن شحون * من ابن للغرب فضل * الالي تعالى * والشمس تعقده * والبدر يأتي هلالا * دلائل النقص فيه * فكيف يحوي الكمالا * وقال

فلا تحسن الشرق حقا وجد * من الوصف فيه على ما يفوق
مهب الصبا ومهد الضياء * ووجه الزمان وبدر الفلق

وعارضه الوداعي رحمه الله تعالى فقال

الغرب [illegible] * [illegible] تقدمه
[illegible] * [illegible]

[illegible] فقال

[illegible] * [illegible]
[illegible] مطلع الانوار [illegible] * [illegible]

وهذه [illegible] اختصاصها (كما قال عليه الصلاة والسلام) في حديث صحيح رواه مسلم عن ثوبان رضي الله تعالى عنه (زويت لي الارض) بزاء معجمة وواو وياء مبني للمجهول اي جمعت وطويت (فأريت مشارقها ومغاربها) [illegible] من المريد اي اراني الله (مشارقها ومغاربها) [illegible] (وسيبلغ ملك) [illegible] (امتي ما زوي لي منها) [illegible] المشارق والمغارب السالفة [illegible] بعضهم انه عبره وان اول الحديث [illegible]
[illegible]

مالايخفى وقدم المصنف رحمه الله تعالى حمد الله على الحديث رعاية للادب بتقديم
الاصل الاشرف (وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فاخبرنا انه تعالى تولى حفظ
القرآن من التبديل والتغيير فى سائر الزمان بدلالة الاسمية المؤكدة (فكان كذلك)
فى المستقبل كما اخبر فلا مبدل لكلماته بخلاف سائر الكتب فانه تعالى وكل
حفظها الى الامم المنزلة عليهم فقال (بما استحفظوا من كتاب الله) اى طلب حفظه منهم
فوقع فيها التبديل والتحريف حتى صارت لا يوثق بما نقل منها والمراد بالذكر
القرآن (لا يكاد يعد) بالبناء للمجهول اى لا يعد لكثرته (من سعى) اى اجتهد (فى تغييره
وتبديل محكمه) فكاد بمعنى نقرب ونفى القرب من العدد ابلغ من نفى العدد وقال
تبديل محكمه دون تبديله ارشادا للمانع من تبديله وقوله (من الملحدة) بيان لمن
اى من الطائفة الملحدة من الالحاد وهو الميل كما مر سموا بذلك لعدولهم عن
ظواهر السنة وتاويلها بامور سخيفة ويسمون باطنية وهم الاسماعيلية وزعم
بعضهم ان مصحف عثمان رضى الله تعالى عنه نقص منه بعض القرآن كما ذكره
القرطبى فى اول تفسيره (والمعطلة) الذين نفوا الصانع وتستروا بزى الاسلام خوفا
من القتل وسعوا فى نقض الدين وترويج ما يروج على بعض العقول القاصرة (لا سيما
القرامطة) هم طائفة من الملاحدة ايضا قال السمعانى فى الانساب القرمطى بكسر
القاف وسكون الراء وكسر الميم والطاء المهملة نسبة الى طائفة خبيثة وهم من اهل هجر
والحسا واصلهم رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط وقيل حمدان بن قرمط
وسبب ظهورهم ان جماعة من اولاد بهرام جور ذكروا آباءهم وجدودهم وما كانوا
فيه من الملك وزوال ذلك دولة الاسلام فى ايام ابى مسلم الخراسانى وبقاء
الخلافة المروانية وهو من الموالى وهم من اولاد الملوك فاتفقوا على رفع الاسلام
وقالوا ندعى ان نفرقهم ونفسد الرعايا عليهم فقسموا الدنيا اربعة اقسام لكل ربع
رجل منهم واحد ذهب الى الكوفة فاول من اجابه حمدان بن قرمط فاعانه على الدعوة
وقيل انما سموا قرامطة لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رأى عامرا يمشى وهو
من اهل المدينة فقال انه ليقرمط فى مشيه اسمى اى تقارب خطاه ومنه الخط
المقرمط وعلى هذا فهو عربى وقيل انه معرب وان جدهم كان اسمى كرميه
فعربوه فغيروه وكان رجلا احمر العينين من سواد الكوفة والكاف يحتمه فى الاصل
من الكرمية وهى الحرارة وكان ظهوره فى سنة ثمان وسبعين ومائتين فلم يزل يظهر
الصلاح حتى اجتمع عليه الخلق فزعم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بشر به وانه
الامام المنتظر فابتدع مقالات وزعم انه اسمه الله كلمة المسيح وجعل الصلوة ركعتين
[illegible] كما [illegible] الفطر والصوم [illegible] والنهى [illegible] فانه قائم

وخروب ودعاة وخلفاء مذكورة في التواريخ حتى ظهر منهم سليمان بن الحسن
الجنابي فعاث في البلاد وأفسد وقصد مكة فدخلها يوم التروية سنة سبع عشرة
وثلاثمائة في خلافة المقتدر فقتل الحجاج ورماهم بزمزم وقلع باب الكعبة واخذ
كسوتها واخذ الحجر الاسود فبقي عندهم سنين ثم ردوه مكسورا ونصب في محله
وقد كان بذلهم فيه خمسون الف دينار فابوا ولم يزالوا كذلك حتى اخذوا الشام
وغيرها حتى قاتلهم جوهر القائد فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكانت مدة
خروجهم ستا وثمانين سنة وكانوا يحرفون القرآن ويتأولونه بتأويلات فاسدة
لم تقبلها العقول وما بعد سنا يجوز فيه وجوه الاعراب الثلاثة كما تقدم بيانه (فاجمعوا
كيدهم) بقطع الهمزة والمراد بالكيد الحيلة والمكر في تحريف القرآن (وحولهم
وقوتهم) اي اعملوا حيلهم وبذلوا قوتهم وقدرتهم في ان يحرفوا القرآن (اليوم)
منصوب على الظرفية قيل بتقدير اعد اليوم او بنزع الخافض اي الى هذا اليوم والمراد
مطلق الزمان والوقت الحاضر في زمن المصنف (نيفا) بكسر الياء المشددة
وسكونها بعد نون مفتوحة ومعناه الزيادة اي مدة تزيد (على خمسمائة عام) وهي
مدة سعي هؤلاء فيما ذكر (فما قدروا) في هذه المدة الطويلة (على اطفاء شيء
من نوره) مثل حالهم في سعيهم في تحريف القرآن بمن اراد اطفاء نور عظيم منتشر
في الآفاق (ولا تغيير كلمة من كلامه) تفسير لما قبله بجعل كلام الله نورا (ولا تشكيك
المسلمين في حرف من حروفه) فضلا عن كلمة من كلامه فهو ترق (والحمد لله) على
هذه النعمة العظيمة وهي حفظ الله تعالى لكلامه وبقاء رونق نظامه وخيبة سعي
من سعى في ابطاله واتضاح جهل اعدائه (ومنه) اي مما اخبر به من المغيبات المعجزة
(قوله) عز وجل (سيهزم الجمع ويولون الدبر) نزلت بمكة فلم يدر الصحابة رضي الله
تعالى عنهم ما المراد بها حتى كان يوم بدر بعد سبع سنين من نزولها فلبس صلى الله
تعالى عليه وسلم درعه وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر) قال ابن عمر رضي الله
تعالى عنهما فعلمت المراد منها اي سيهزم كفار قريش ويولون المسلمين ادبارهم
اي يجعلون المسلمين مولين على ادبارهم بالطعن والضرب فعبر عن شدة انهزامهم
بالطف عبارة فيها انجاز لطفا ومعنى (وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية) اي
ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وفيها من الاخبار عن
الغيب ان ناسا من اليمن وبني خزاعة اسلموا وبقوا بمكة بعد الهجرة وقاسوا
من المشركين اذى شديدا فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
اصبروا وابشروا فرج قريب فنزلت هذه الآية فكان بعدها ما اوقع الله تعالى بهم
من القتل ونصره المؤمنين اي فشفى بها صدورهم وجزاهم بالسبي والجلاء

(وسلب)

وسلب نعمهم (وقوله هو الذى ارسل رسوله بالهدى الآية) فيها اخبار بالغيب من ظهور دينه على سائر الاديان على رغم انفهم وقد تقدم الكلام على هذه الآية (وقوله لن يضروكم الا اذى) اى لا تقدرون عليكم الا باذية يسيرة كالطعن فيهم وتهديدهم (وان يقاتلوكم الآية) اى يولوكم الادبار ثم لا ينصرون فاخبرانهم كلما قاتلوا علموا وكانت عادة النصر لنا عليهم والامور بخواتيمها والحرب سجال (وكان كل ذلك) اى وقع كما اخبرالله تعالى به فدل على طرق خبره من هزيمة جموعهم وبعدنفيهم عما نشئ صدور المؤمنين واظهار دينه وتولية الدبر كل من قاتل منهم (و) مما فى القرآن من المعجزات (ما فيه) اى القرآن (من كشف اسرار المنافقين) اى اظهار مااخفاه المنافقون فى قلوبهم مما لا يعلمه الا الله تعالى مما انزله فى حقهم فى سورة المنافقين (و) كشف اسرار (اليهود ومقالهم) اى اظهار ماقالوه فيما بينهم وهم يظنون انه لا يشعر بهم غيرهم (وكذبهم فى حلفهم) اى كذب المنافقين وقسمهم عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على مقالهم انها صادقة والله يعلم انهم لكاذبون كما ذكر فى سورة المنافقين ومثله كثير فى القرآن (وتقريعهم بذلك) اى توبيخ الله تعالى لهم بسبب ماقالوه وحلفهم بالباطل فاخبره ثم مثل لما ذكر فقال (كقوله) عز وجل (ويقولون فى انفسهم) اى قول اليهود فيما بينهم وفى خلوة شياطينهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) اى هلا يعذبنا الله تعالى فى حق محمد لو كان نبيا ادعاه علينا حتى يعذب او بما كانوا يقولون هم والمنافقون فيما بينهم فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمين فاخبرالله تعالى بذلك وفضح سرائرهم وزاد بقوله (حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير) (وقوله تعالى يخفون فى انفسهم مالا يبدون لك الآية) يعنى انهم يسرون فى ضمائرهم غير ما يظهرونه لك اذا اتوك وهذا بيان لحال المنافقين ومكرهم والذى اخفوه قولهم يوم احد وقد غشيهم النعاس ولم يكن لهم هم غير تخليص انفسهم من القتل وقال بعضهم لبعض فى خلوة من المؤمنين لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا الآية فاعلم الله رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فاخبرهم بما قالوه وهو من جملة المغيبات (وقوله) عز وجل (ومن الذين هادوا سماعون للكذب الآية) اى سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه (وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين) دعا عليهم بالصمم او بالموت اولا اسمع مادعا اليه فاخبره الله تعالى بخبثهم كلامهم ومقالهم وعدم اطاعتهم وهذه من الاخبار بالغيب الدال على اعجاز القرآن وهذا فى حق اليهود وفى الآية كلام مفصل فى التفاسير واحتمالات اخر ووجوه من الاعراب ليس هذا محل

تفصيلها وقوله فى هذه الآية وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين اى بالتكذيب والاستهزاء والسخرية فهذا اخبار بالغيب عما كان اليهود يقصدونه من التحقير ويعبرون عنه فى صورة التوقير فيقولون راعنا وعاله صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة مع همن التماس نظره ورعايته لهم مكرا منهم وليا بالسنتهم وكلامهم (وقد قال الله تعالى حال كونه (مستيا) بالياء اى مطهرا (ما قدره الله) ووعده به (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) من الظفر باحدى الطائفتين العير او النفير (يوم بدر) اى فى وقتها الان اليوم يطلق على ذلك فى قولهم ايام العرب كما تقدم وهو من الغيب اى اخبرهم بها بقوله (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم) بدل مما قبله (وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) الشوكة مستعارة من الشوك المعروف للقوة والحدة بكثرة السلاح والرجال ومنه شاكى وشاك السلاح للرجل المستعد للحرب بآلاته وهذا اخبار للمؤمنين بامر وقع فى انفسهم ودوه واحبوه وهو مغيب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اعلمه به جبريل عليه الصلوة والسلام فلما تلاه عليهم زاد ايمانهم باعجاز القرآن وذلك ان المسلمين لما علموا بقدوم عير المشركين عالهم من التجارة واحبوا الخروج اليها علم الكفار بذلك فخرج ابو جهل بجماعة مكة وهم النفير ولما علم ابو سفيان بخروج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك اخذ بالعير الى جانب ساحل البحر فقيل لابى جهل ارجع بالناس فابى وسار بمن معه الى بدر فوعد الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم باحد الامرين الظفر بالعير او قتل النفير وكان اصحابه رضى الله تعالى عنهم يودون فى انفسهم اخذ العير لما فيها من المال ولقلة ما عندهم من السلاح والرجال فقدر الله تعالى انهم يلقون العدو ليقطع دابر الكافرين فقتل صناديدهم وايد الله المؤمنين واعز الدين (ومنه) اى من اخباره بالغيب فى كلامه المجيد (قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين) وهم خمسة من الكفار او ستة كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم اشد الاذى ويسخرون به فاخبره الله تعالى باهلاكهم بشر واو كفايته امرهم بقتل ووقوعه فكان كما قال به هذا من جملة المعجزات التى اخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كالذى قبله ولذا جمعهما فى قرن كما اشار اليه بقوله فى سبب نزول هذه الآية كما رواه الطبرانى فى الاوسط (ولما نزلت) هذه الآية عليه صلى الله عليه وسلم (بشر بذلك اصحابه) اى باهلاكهم لما كان عندهم من الالم بسبب قومهم فاخبرهم (بان الله كفاه اياهم) باهلاكهم (وكان المستهزؤن به المكثرين من اهانة (يسخرون الناس عنه) صلى الله عليه وسلم [illegible] واستهزائهم (ويؤذونه فيها كلها) وهم الاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمى [illegible]

ابن عامر الفهري والحارث بن الطلاطلة ذكرها الماوردي في اعلام النبوة وروى
ان جبريل اخبره صلى الله تعالى عليه وسلم بهلاكهم وكفته وقد مر وانه رجلا رجلا
وكيفية هلاكهم مفصل في السير وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم هلكوا
في ليلة واحدة والذي ذكره غيره انهم هلكوا في ايام متقاربة بعدما دعا عليهم بفناء البيت
فاجاب الله تعالى دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وانزل عليه الآية كما قال في الهمزية

وكفاه المستهزئين وكم سا ﴿ ء نبيا من قومه استهزاء
ورماهم بدعوة من فنا البيـ ﴿ ـت وفيها للظالمين فناء
خمسة كلهم اصيبوا بداء ﴿ والردى من جنوده الادواء

(و) من الاخبار بالغيب (قوله والله يعصمك من الناس) اى يحفظك من جميع
الناس الذين يريدون بك سوء وكان الصحابة يحرسون النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم في اسفاره فلما نزلت منعهم من الحراسة ومر ان هذا لا ينافي ما اصابه
صلى الله تعالى عليه وسلم باحد لان الآية نزلت بعدها او المراد حفظه من القتل
كما فصله الخضري في خصائصه (فكان كذلك) اى محفوظا معصوما كما اخبر الله
تعالى وكان هنا تامة وكذلك اى وقع ووجد كما اخبر به او ناقصة وكذلك خبرها
وقوله (على كثرة من رام) اى قصد (ضره) مفعوله وفسره بقوله (وقصد قتله)
اشارة الى صحة ما تقدم عن الخضري من ان العصمة انما هي عن القتل لا عن غيره من انواع
الاذى كما مر (والاخبار بذلك معروفة صحيحة) كما في صحيح مسلم عن جابر بن
عبد الله قال غزونا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل نجد فادركنا
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في واد كثير العضاه فنزل تحت شجرة فعلق
سيفه بغصن من اغصانها وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر قال وجاء
رجل وهو صلى الله عليه وسلم نائم فاخذ السيف فاستيقظ وهو قائم على رأسه والسيف
مصلت في يده فقال له من يمنعك مني قال الله ثم قال ذلك ثانيا فقال الله فشام
السيف قال وها هو جالس ثم لم يتعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملك قومه
فانصرف حين عفا عنه وقال والله لا اكون في قوم هم حرب لك ومثله كثير
ثم ذكر الوجه الرابع بقوله من وجوه الاعجاز القرآني (ما انبأ به) اى ما اخبر الله به
(من اخبار القرون السالفة) هو جمع قرن وهم اهل كل عصر وزمان من الاقتران لاقتران
زمانهم واحوالهم فقيل هو اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة وقيل هو مطلق
الزمان اى اخبار الامم والملل المتقدمة والبلاد البائدة مما لا يطلع عليه الا من تتبع
الدواوين ... الارض وتقدم زمن ... طويلا وكلا الامرين منتف في حقه
صلى الله عليه وسلم (و) الامم البائدة) اى الهالكة الذين افناهم الموت وطحنتهم رحى الدهر

حتى اندرست آثارهم (والشرائع الدائرة) بدال مهملة وثاء مثلثة من دثر اذا اندرس ولم يبق له اثر والدثور ورد بمعنى النسيان فالمراد معرفته بالشرائع القديمة التى نسيت ونسخت احكامها من تدثر شيأ بعد اذا لقصد بها وفى نديره نوع من البلاغة يسمى الاعتنان لان السالفة والبائدة والدائرة متغايرة اللفظ متقاربة المعانى (مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة) بيان لما كقوله من احد احبارهم على حد قوله تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا) على ما حقق فى شروح الكشاف (الا الفذ) الفذ هو الفرد والشاذ وهما بمعنى وكلاهما بدال معجمة وفى الحديث لا تدع شاذة ولا فاذة (من احبار اهل الكتاب) احبار جمع حبر بكسر الحاء المهملة وفتحها وسكون الموحدة وراء مهملة ومعناه العالم الحافظ الواسع علمه والعرف يخصه بعلماء اهل الكتاب ومنه كعب الاحبار للتابعى المشهور ويقال له كعب الحبر ووجه اطلاقه انه من الحبر وهو المداد الذى تكتب به واليه نسب كعب المذكور اولانه بحر الكلام وزينه وفى المصباح الحبر بالكسر المداد الذى يكتب به واليه نسب كعب فقيل كعب الحبر لكثرة كتابته بالحبر حكاه الازهرى وعن الفراء الحبر العالم والجمع احبار مثل حمل واحمال ويقال الاحبار ايضا اى عالم العلماء وكذا فى تهذيب الاسماء للنووى وحينئذ فلا عبرة بقوله فى القاموس كعب الحبر بالفتح وبكسر ولا تقل كعب الاحبار (الذى قطع عمره فى تعلم ذلك) اى تعلم اخبار من سلف وشرائعهم فاذا كان لا يعلمه الا من قرأه ودرسه طول عمره وانما من كان اميا فى امة امية لم يقارن من له علم بذلك فعلمه به واخباره مفصلا امر خارق للعادة فى حقه محال لا لذاته بل لغيره (ويورده) متفرع على قوله انبأ اى اذا اخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فى الوحى المتلو المنزل عليه يورده اى يذكره (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على وجهه) حال من الفاعل او صفة مصدر مقدر اى ايرادا كائنا على وجهه اى على اسلوب لائق به ووجه لائق له كما يقال دبر الامر على وجهه كما فى الاساس (ويأتى به على نصه) اى فى غاية مرتبة من كماله ورفعته يقال بلغ الشيء نصه اى نهايته كما فى الاساس لان معنى نص رفع ومنه المنصة وقيل ثوبه لان عبارة القرآن تسمى نصا (ويعترف العالم بذلك بصحته وصدقه) اى من تعلم تلك الاخبار والشرائع اذا سمعها ممن لم يسمع بها علم صحة كلامه وصدقه فيما قاله (وان مثله) اى مثل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او مثل هذا الكلام (لم ينله) اى لم يصل اليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بتعليم) اى من البشر بل بوحى من الله تعالى (وقد علموا) اى علم الناس من المسلمين والمشركين (انه صلى الله تعالى عليه وسلم امى) اى لا يعرف القراءة ولا الكتابة فقوله (لا يقرأ ولا يكتب) صفة له مفسرة وموضحة وقول النحاة الجملة المفسرة لا محل لها من الاعراب ليس على اطلاقه ولما كان هذا لا يكفى لاحتمال ان يسمعه ممن قرأ وكتب قال (ولا يشتغل ٢ بمدارسة) (٢) ولا اشتغل نسخه

اى يحفظ و يلق من الافواه (ولا مثافنة) بضم الميم و تليثها مثلثة ثم الف وفاء ونون اى مداومة طلب ومجالسة تحتك فيها الركب بالركب حتى تؤثر فيها الاحتكاك وهو عبارة عن كثرة الجلوس مع اهل العلم بالاخبار والشرائع للعلم منهم وهو مجاز من ثفن البعير اذا برك والثفنة ركبه التى يبرك عليها حتى يسقط من حك الارض كثفنته على كذا اذا اعتمد وكان يقال لابن عباس ذو الثفنات لطول جلوسه فى طلب العلم او لكثرة سجوده حتى يصير فى جبهته اثر السجود وهذا ابلغ مما قبله وهو الصحيح الموافق لدأب المصنف فى بلاغته وما قيل من انه بمثلثه وقاف وموحدة من ثقب رأيه اذا نفذ وذهن ثاقب وان الاول بمعنى التعب من ثفنت يدالرجل بكسر الفاء اذا غلظت من كثرة العمل فهو من تحريف الكتبة الذى لا يلتفت اليه من له علم بكلام العرب وان نقله عن بعض الشراح وقد تقدم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اميا لا يقرؤ الخط ولا يكتبه وانه من معجزاته وورد ما قيل انه مخصوص باول امره وانه كتب بيده فى الشريفة عام الحديبية فكان ذلك معجزة له اخرى وقد شنع على قائله علماء الاندلس ونسبوه للزندقة كما مر مبسوطا عن ماصره (ولم يغب عنهم) اى لم يغب صلى الله عليه وسلم عن قومه غيبة يحتمل انه تعلم فيها ما اخبرهم به (ولا جهل حاله احد منهم) من ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم الى وفاته حتى يتوهم تعلمه ذلك من اهل الكتاب (وقد كان اهل الكتاب) اى احبار اليهود والنصارى (كثيرا ما يسألونه) اى فى كثير من الاحيان فهو منصوب على الظرفية وما مزيدة لتأكيد معنى الكثرة او هو صفة مصدر مقدر اى يسألونه (صلى الله تعالى عليه وسلم) سؤالا كثيرا (عن هذا) اى عن خبر من تقدم من الامم السالفة (وينزل عليه) عقب سؤالهم جوابا لهم (من القرآن ماتتلو عليهم منه ذكرا) المراد بالذكر القرآن المذكر لهم (كقصص) مصدر بالفتح او جمع قصة بالكسر اى سير (الانبياء مع قومهم) فذكره صلى الله تعالى عليه وسلم لهم مفصلا بلغ عبارة والطف اشارة (وخبر موسى والخضر) بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين ويجوز سكون ثانيه مع فتح اوله وكسره وهو ما قصه الله تعالى فى سورة الكهف وموسى هو بن عمران الكليم على الاصح لا بنى آخر كما زعمه اهل الكتاب والخضر هو بليا بن ملكان على اقوال فى الاختلاف فى اسمه وقد اختلف ايضا فى نبوته ورسالته وانه هل هو حى الى الآن او مات قبل عام المائة الاولى او قبل زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم واكثر علماء الصوفية على انه حى الى الآن الا ان الله تعالى اخفاه عنا وقد ظن اكثر الصالحين على ذلك وانهم يلاقونه ويحدثون معه وانه يحج فى كل سنة وليس فى ذلك دليل قاطع ولكن حسن الظن بصدق ماقالوه والاكثر انه ولى لا نبى ومن الغريب ما قيل انه ملك وقيل انه لا يموت الا فى آخر الزمان

حين يرتفع القرآن وفي صحيح مسلم في حديث الدجال انه يقتل رجلا ثم يحييه قال
ابراهيم بن سفيان راوي كتاب مسلم يقال انه الخضر وكذلك قال معمر في مسنده
وسمي خضرا لانه اذا جلس على ارض اخضرت له اولانه اذا صلى اخضر ما حوله
وفي جامع الاصول عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم
انما سمي بذلك لانه جلس على فروة بيضاء فاخضرت تحته وفي صحيح البخاري
من حديث همام بن منبه عن ابي هريرة مرفوعا انما سمي الخضر لانه جلس على
فروة فاذا هي تهتز من خلفه خضراء والفروة الارض اليابسة او الحشيش اليابس
قال ابن فارس الفروة كل نبات مجتمع اذا يبس وقال الخطابي الفروة وجه الارض
انبتت واخضرت بعد ان كانت جرداء (ويوسف واخوته) وهو واسماء اخوته
والخلاف في كونهم انبياء ام لا سيأتي مفصلا وقد كان اليهود سألوه صلى الله تعالى
عليه وسلم عنه فانزل الله عليه السورة (واصحاب الكهف) ومعناه المغارة لانهم
وجدوا فيها واختفوا في مكانها ولهم اسماء يونانية اختلف في ضبطها وكانوا فروا
من ملك يسمى دقيانوس وقصتهم مفصلة في التفاسير وسبب نزولها ان قريشا بعثوا
النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط الى احبار اليهود ليسألوهم عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وامره لانهم عندهم علم من الكتاب الاول فقدموا المدينة
قبل الهجرة وسألوهم عنه فقال لهم الاحبار سلوه عن ثلاث فان اخبركم عنها
فهو نبي مرسل والا فهو متقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان امرهم
العجب وعن رجل طاف مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأه وسلوه عن الروح
ما هي فان لم يبينها فهو نبي مرسل على ما يأتي فسألوه عن ذلك فقال اخبركم غدا
ولم يقل ان شاء الله فانقطع عنه الوحي اياما اختلف في عددها فارجف بذلك كفار
مكة [illegible] رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] الله عليه [illegible]
الكهف (وذي القرنين) اختلف فيه وفي اسمه وسبب تسميته فقيل يوناني اسمه
هرديس وقيل حميري اسمه الصعب بن ذي مراثد وفي خطبة لقس بن ساعدة يا ابن
الصعب ذو القرنين * ملك الخافقين * واذل الثقلين * وعمر الفين * ثم كان كلحظة
عين * وهو الاسكندر [illegible] وقيل لانه
[illegible] (و[illegible])
وهو لقمان بن [illegible]
وقيل انه نبي من اهل [illegible]
والقصص) والاخبار [illegible]
الخلق) اي ابتداء خلق الله [illegible]

ودرسها وحلقه للسموات والارض (ومافي التورية والانجيل) من احكام الشرائع والوحيد (والزبور وصحف ابراهيم وموسى) من المواعظ والاذكار وذكر ما بدء الخلق لما تضمنه من الاخبار عما سلف ايضا من اخبار الامم فلا يرد عليه ما قيل من ان بدء الخلق اخبار عن فعل الله تعالى وهو حدير بالحاقه بالاخبار بالغيب (مما صدقه فيه العلماء بها) اي الاحبار من اهل الكتاب حين ذكرا لهم (ولم يقدروا على تكذيب ماذكر منها) لكونه مطابقا للواقع ولما عندهم مما لم يمكن انكاره (بل اذعنوا لذلك) فاقروا به واعترفوا منقادين له (فمن موفق) اسم مفعول من التوفيق اي الذين سمعوا ماقصه صلى الله عليه وسلم عليهم وعرفوا حقيقته منهم من وفقه الله تعالى فهداه و(آمن) بالمدفعل ماض منه وح الآخر (بما سبق له من خير) اي بسبب ماسبق في علم الله الازلي وحكم بانه سعيد فسبق فعل ماض بسين مهملة وباء موحدة وقاف والخير هو احسان الله وانعامه عليه بهدايته ويجوز كسر سينه وبل باء مدة تحتيه ماض مجهول ساقه اي عما ساقه الله تعالى له واوصله اليه من الخير (ومن شقي معاند حاسد) اي اشقاه الله تعالى حتى حمله العناد والحسد على عدم الايمان لما علم حقيقته كما حمل الحسد ابليس لعنه الله تعالى على ضلاله لما كتب له من الشقاوة الازلية فلم يصدق ولم يؤمن (ومع هذا) العناد والحسد الذي اظهروه (لم يحك) بالبناء للمجهول ونائب فاعله انه انكر الواقع بعد سطور وهو بالفاء العربية يفصل وبين لقوله لم يقدروا على تكذيب ماذكر منها والمقام مقام اطناب وخطابة فلا وجه للاعتراض عليه بانه لاموقع له بعدما تقدم اي لم يذكر (عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له) صلى الله عليه وسلم اي هم مع انهم اشد الناس عداوة له وعلى عتي مع كونه وانه لحب الخير لشديد اي على حب الخير لشديد (وحرصهم على تكذيبه) اي على شيء من كلامه يقدرون على نسبته الى الكذب فيه (وطول احتجاجه) عليه الصلوة والسلام (عليهم) اي اقامة الحجة عليهم (بما في كتبهم) المنزله على انبيائهم عليهم الصلوة والسلام (وتقريعهم) اي توبيخهم وتفضيحهم (بما انطوت عليه مصاحفهم) جمع مصحف بتثليث الميم كما نقل عن ثعلب والفتح غريب من اصحف اذا جمع على الصحف فهي بمعنى الصحف هنا (وكثرة سؤالهم له عليه الصلوة والسلام) عما لا يعلمه الا من له تبحر في العلم منهم (وتعنيتهم اياه) تفعيل من العنت وهو المشقة والتعب اي تكليفهم بما هو شاق (عن اخبار انبيائهم) متعلق بسؤالهم (واسرار علومهم) اي الامور الخفية الدقيقة من علومهم (ومستودعات سيرهم) اي سؤاله عما اودع في مصاحفهم من سير انبيائهم (واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم) وفي نسخة بمكنون بدل مكتوم اي اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله منهم

عن امور مكتوبة مخفية عندهم ستروها عن غيرهم (ومصنفات كتبهم) اى ما تضمنتها كتبهم من الاحكام وغيرها (مثل سؤالهم عن الروح) فى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان كما تقدم بيانه (وذى القرنين واصحاب الكهف وعيسى) لما قال علماء اليهود للمشركين سلوه عنها فان سكت او اجاب عن الجميع فليس بنبى وان اجاب عن الاولين وسكت عن الروح ووكل علمها الى الله فانه كذلك فى التورية فهو نبى مرسل (وحكم الرجم) اى سؤالهم له صلى الله تعالى عليه وسلم عن حكم الرجم للزانى المحصن الذى انكروه وبينه لهم صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى التوربة (وما حرم اسرائيل على نفسه) اسرائيل هو يعقوب عليه الصلوة والسلام ومعناه صفوة الله وكان اليهود سألوه امتحانا له عما حرم على نفسه فقال لحوم الابل والبانها والعرق وما فيه عرق فصدقوه لانه كان يسكن البدو خوفا من اخيه العيص ثم نذرانه ان دخل بيت المقدس سليما من الامراض والآفات ان يذبح آخر اولاده واعيرهم عليه فلما سار وقرب منه بعث الله ملكا وكز فخذه فرض بعرق النساء حتى كان من وجعه ما كان وذلك لئلا يلزمه ذبح ولده فحرم على نفسه ما مر لانه نصر عرق النساء وكان ذلك باجتهاد منه والانبياء يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح ويعقوب مات بمصر فحمله يوسف عليهما الصلوة السلام فدفنه عند ابيه بوصية منه (و) سألوه ايضا عن (ما حرم عليهم) اى على بنى اسرائيل (من الانعام ومن الطيبات) من المآكل (كانت احلت لهم) اى جعلها الله حلالا لهم (فحرمت عليهم بذنبهم) اى حرمت عليهم عقوبة بسبب ظلمهم يشير الى قوله تعالى (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) الآية فحرم الله تعالى عليهم ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطيور كالابل والنعام والاوز والبط وقيل كل ذى مخلب من الطيور وكل ذى حافر من الدواب وحرم عليهم شحم البقر والغنم والكلى الا ما الصق بالظهر والجنب كما بينه المفسرون وفصلوه فى سورة الانعام وقوله بغيهم اى بقتل انبيائهم واخذهم اموال الناس بالباطل فقالوا ان الله لم يحرم علينا شيئا فنزلت هذه الآيات تكذيبهم حتى افتضحوا وادعوا (و) مثل (قوله) تعالى (ذلك مثلهم فى التورية ومثلهم فى الانجيل الآية) الاشارة الى قوله تعالى (سيماهم فى وجوههم من اثر السجود كزرع اخرج شطأه) الى آخر ما ذكره فى آخر سورة الفتح فاخبرهم الله تعالى على لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بما فى كتبهم (وغير ذلك من امورهم التى نزل بها القرآن) مما لا يعلم مثله الا بوحى (فاجابهم) عما سألوه (وعرفهم) بما كتموه (بما اوحى اليه من ذلك) السابق ذكره كله (انه انكر ذلك او كذبه) بفتح همزة ان والمصدر المسبوك منها ومما دخلت

عليه نائب فاعل لم يحلك وهو ظاهر ثم اضرب عن ذلك اضرابا انتقاليا على سبيل الترقي فقال (بل اكثرهم صرح) اى تكلم بكلام صريح ناطق (بصحة نبوته) اى قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم صادق فى دعوى النبوة وان له نبوة صحيحة (وصدق مقاله) اى صدق كل ما قاله صلى الله عليه وسلم مما ادعاه ومما نقله عن كتبهم وصدق مصدر مضاف للفاعل ومقالته مجرور او فعل ماض مشدد الدال ومقاله منصوب مفعوله (واعترف بعناده وحسده اياه) فاقر بان جحده لما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم محض عناد وحسد وافراد ضمير حسده رعاية لافراد لفظ اكثر وروى بضمير الجمع رعاية لمعناه وليس حسده فعل ماض لقوله اياه فانه ياباه (كاهل نجران) بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة فالف ونون وهم قوم من نصارى العرب منزلهم بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة سموا نجران بن زيد بن سبأ وسيأتى الكلام عليهم (وابن صوريا) بضم الصاد وراء مهملة بينهما واو ساكنة فالراء وفى آخره تحتية مقصور وجوز البرهان مده وهو عبدالله بن صوريا وهو حبر من احبار اليهود الذين كانوا بالمدينة وهو الذى وضع يده على آية الرجم وهو لفظ عبرانى واختلف فى اسلامه فقيل انه اسلم وقيل مات على كفره (وابنى اخطب) بنيه ابن واخطب بزنة افعل التفضيل بخاء معجمة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وموحدة علم لابيهما وهما حيى بضم الحاء المهملة وفتح الياء المثناة التحتية تليها ياء مشددة وابو ياسر وهما يهوديان من يهود المدينة معروفان ماتا على كفرهما وحيى هذا هو ابو صفية ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها قالت كان عمى ابو ياسر احسن رأيا من ابى كان يقول السيف نجده فى كتبنا فقول نعم هو هو فقول له فما فى نفسك منه فيقول معاداته (فغيرهم) من احبار اليهود والنصارى (ومن باهت فى ذلك بعض المباهتة) اى لم يقر بحقية ما جاء به صلى الله تعالى عليه وسلم وادعى انه كذب مكابرة منه يقال بهته وباهته اذا كذبه وبينة لا تهان * ومنكر طيب المسك كذبته الشذاء * وقوله بعض المباهتة اى فى بعض اموره التى يمكن المكابرة فيها وفيه اشارة الى ان من اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم مالا يمكن انكاره من احد من العقلاء وقد علمت انه يقال بهته بكذا وباهته كما فى الاساس ومن انكره فقد اتى بهتان من عنده (وادعى ان فيما عندهم) من كتبهم (من ذلك لما حكاه) متعلق بقوله (مخالفه) بالنصب اسم ان ومن الموصوله فى قوله من باهت مبتدأ خبره (دعى) بالبناء للمجهول اى دعاه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بادنى زيد (الى اقامة حجته) اى الى دليل بالاتيان بنص من كتبهم خالف ما اخبرهم به (وكشف دعوته) اى بيان ما ادعاه (فقيل له) اى قال الله له صلى الله تعالى عليه وسلم قل لهم (فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله

الظالمون) نعى قوله تعالى (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون) وسبب نزولها ان اليهود قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم تزعم انك على ملة ابراهيم وانت تأكل لحم الابل ولبنها وذلك محرم في شرعه وقيل ان المسلمين قالوا لهم انما حرمت عليكم الطيبات ببغيكم فقالوا انها كانت محرمة قبل ذلك فامروا باحضار التورية حتى يتلى ما فيها من تحريم ذلك فلم يجدوا ذلك فيها وافتضحوا وقيل انهم اتوا برجل وامرأة زنيا فقال لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف تفعلون فقالوا نحممهما ونضربهما فقال لهم ان الذي في التورية رجمهما فانكروه فقال لهم كذبتم ائتوا بالتوريه فاتلوها ان كنتم صادقين فأتوا بها وقرؤا حكم الزانى فيها فوضع القارى يده على آية الرجم وقرأ ما قبلها وما بعدها فانزعت من يده ووجد فيها الرجم فرجما (فقرع ووبخ) اى قرعهم الله وعيرهم بكذبهم وافترائهم على الله صريحا وبلوغ جهلهم ظاهرا (ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع) وهو امرهم بالاتيان بالتوريه وهى حاضرة بين ايديهم فصاروا فيهم (فمن معترف بما جحده) وانكره من احكام التوريه (ومتواقح) بضم الميم ومثناه فوقيه مفتوحة وقاف مكسورة وحاء مهملة اى متكلف للوقاحة وهى قلة الحياء وصلابة الوجه حتى لا يبالى بما صنعه والمراد به ابن صوريا الذي وضع يده على آية الرجم فقال له ابن سلام ارفع يدك يا اعور وكان اشار اليه بقوله (يلقى على فضيحته) اى بافتضاحه وخجله بحضرة من الناس (من كتابه) اى من الكتاب الذي بيده (يده) اى بوضعها عليه وعلى الآية التى تخالف دعواه وتكذبه (ولم يؤثر) بالبناء للمجهول بمعنى ينقل معطوف على قوله فلم يبالي المقدم وبالبناء فاعله (ان واحدا منهم) اى من اهل الكتابين (اظهر خلاف قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (من كتبه) اى من الكتب التى عندهم مما يدل على ان اثمهم (ولا ابدا) اى اظهر بلا (صحيحا ولا سقيما) اى صحيح القطعة او مقاولا تهمة اه (من صحفه) جمع صحيفة وهى الكتاب (قال الله تعالى) بيانا لما كانوا عليه في هذا الامر (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كصفته صلى الله تعالى عليه وسلم وقصة الرجم وبشارة الكتب به صلى الله تعالى عليه وسلم وبيانا (ويعفو عن كثير) لحامه وسيره عليهم رحمة فيما لا يتم يوم من الله (الآية) وتمامها قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم

۞ فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة في غاية الظهور (لا نزاع فيها) اى لا ينازع احد من العقلاء في كونها باسها معجزة (ولا مرية) بكسر الميم وضمها اى من غير شبهة وشك في ذلك وهى عامة في جميع الآيات وفي جميع الاحياء الواقعة فيها كما قال

تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) (ومن الوجوه
البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه) الاربعة (آي) جمع آية او اسم جنس جمعي كتمر
وتمرة وليس كل مايفرق بينه وبين واحده بالتاء اسم جنس جمعي كما فصله ابن الدين بن
مالك في باب الجمع من شرح الالفية والآية جملة من القرآن لها مبدأ ومقطع كما مر
(وردت بتعجيز قوم) اي جاء فيها اظهار عجز طائفة مخصوصة من الناس
(في قضايا) جمع قضية وهي الحادثة الواقعة في حكم قضاه الله تعالى وقدره
(واعلامهم انهم لا يفعلونها) الاعلام بكسر الهمزة مصدر اعلم مجرور معطوف على
تعجيز والضمير للقضايا (فما فعلوا ولا قدروا على ذلك) المذكور من طلب القضايا وبين
المعدة اتباع من بني العلم (كقوله) عز وجل (لليهود) لما ادعوا دعاوي باطلة كقولهم
(لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى) فكذبهم والزمهم الحجة فقال خطابا له صلى الله
عليه وسلم (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) وهي الجنة (عند الله خالصة) اي خاصة
بكم وهو حال من الدار الآخرة والخطاب لاهل الكتاب (من دون الناس) اي باسرهم
من المؤمنين وغيرهم (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) في قولكم انكم من اهل الجنة
وانها مخصوصة بكم لان من تيقن دخول الجنة اشتاق لها واحب التخلص
من هذه الدار واكدارها ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه (ولن يتمنوه ابدا بما
قدمت ايديهم) فنفى عنهم تمني الموت في جميع الازمنة المستقبلة بقوله لن وابدا
وبما قدمت ايديهم الكفر بالله وتحريفهم التوراة فما في هذه الآية من المعجزات
لانه اخبار بالغيب وهو كما اخبر اذ لو تمناه احد منهم مع توفر الدواعي على نقله اشتهر
والتمني وان كان من اعمال القلب الخفية كما يأتي فالنطق به وقولهم ليتنا نموت لا خفى
ولو تمنوه ماتوا فهم لحرصهم على الحياة وخوفهم لن يتمنوه وقد صرفهم الله تعالى
عن ذلك معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد استشكل ماقاله المصنف هنا
بان ماذكره هنا داخل في الوجوه السابقة فان قوله لن يتمنوه ابدا مثل قوله فاتوا
بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا لاعلامهم بانهم لا يفعلون لعجزهم
وعدم قدرتهم فهو داخل في النوع المتقدم لانه اخبار عما استأثر الله بعلمه في المستقبل
وحمله ابن تيمية وغيره مسلم وقد سوى بينهما في الكشاف والجواب عنه ان ماتقدم
امر معجز في نفسه في سائر الازمنة الا في ماجرى به فان قول احدهم اني اموت
ونحوه امر ممكن لهم ولغيرهم واعجازه انما هو بمجرد الاخبار عن عدم وقوعه فهو
مغاير لما قبله وادنى منه مرتبة (قال ابو اسحق الزجاج) في تفسيره المسمى بمعاني
القرآن وهو تفسير جليل نقل عنه كثيرا الزمخشري في كشافه وهو ماحدثنا به وهو العلامة
في فنون العربية اخذ عن المبرد وثعلب واسمه ابراهيم بن السري بن سهل

ابن الرجاج نسبة لصنعته توفى سنة احدى عشر وثلثمائة يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة كما تقدم (فى هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة) اى رسالة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم) وفى نسخة احد منهم وفى الكشاف * فان قلت التمنى من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لن يتمنوه *قلت ليس التمنى من اعمال القلوب وانما هو قول الانسان بلسانه ليت لى كذا وليت كلمة تمن ومحال ان يقع التحدى بما فى الضمائر والقلوب ولو كان بالقلوب لقالوا قد تمنيناه بقلوبنا ولم ينقل انهم قالوه وفى حواشيه للقطب انه استدلال على ان التمنى ليس من اعمال القلوب لان التحدى انما يكون بامر ظاهر وفيه ان التحدى انما يكون باظهار المعجزة لالزام من لم يقبل الدعوى والتمنى ليس بمعجز فهو كقول الخصم احلف لى ان كنت صادقا ويمكن ان يقال التحدى هنا بطلب دفع المعجزة فان اخباره بانهم لن يتمنوه ابدا معجزة طلب دفعها بتمنيهم والدفع لا يكون الا بامر ظاهر وهو كلام حسن منقول من لم يصل الى المقصود (وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه البيهقى من طريق الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بهذا اللفظ الآتى واحمد فى مسنده عن ابن عباس مرفوعا بسند جيد بلفظ لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا (والذى نفسى بيده) اقسم بالله فسماه اسما للمقسم عليه فان معناه ان روحه بيد الله ان شاء ارسلها فتحيى وان شاء امسكها فتموت وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ما يقسم به (لا يقولها) اى كلمة التمنى المفهومة من السياق (رجل منهم) اى واحد من بنى اسرائيل والرجل على ظاهره والمراد ما يعم المرأة (الاغص بريقه) غص بضم الغين المعجمة وفتح الصاد المشددة المهملة او بفتحهما وفاعله ضمير الرجل وعليه اقتصر بعضهم ولا ينافى الاول كونه لازما كما توهم والغصة ما يقف فى الحلق فيمنع النفس حتى يهلكه يقال غص بالطعام وشرق بالشراب وشجى بالعظم وجرض بالريق وقد يستعمل كل منهما مكان الآخر والريق رطوبة الفم وغصص الدهر مصائبه وهو كناية عن سرعة وقوع الموت بهم كما فى النهاية واليه اشار الماتن بقوله (يعنى يموت مكانه) اى فى مكانه الذى غص فيه ولا يمهل لانتقاله لفراشه (فصرفهم الله عن تمنيه) مصدر مضاف لمفعوله وهو ضمير الموت (وجزعهم) بفتح الجيم وتشديد الراء المعجمة وفتحها وفتح العين المهملة وفى نسخة فى جزعهم وكونه جزعهم براء مهملة غلط (ليظهر صدق رسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (وصحة ما اوحى اليه) ثم بينه بقوله (اذلم يتمنه احد منهم) لخوف الموت لتيقن صدق خبره (وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا) على تكذيبه بان تمنوا

ولا يموتوا والجملة حالية بتقدير قد (ولكن الله) بالتخفيف والتشديد (يفعل ما يريد) من تمنيهم وعدمه (فظهرت بذلك) اى بصرفهم عما هم احرص عليه (معجزته وثبت حجته) بصدق خبره عن الغيب (قال ابو محمد الاصيلي) تقدم الكلام عليه وعلى نسبته (من اعجب امرهم) اى اليهود (انه) الضمير للشان (لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم) اى من حين (امر الله بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم) بقوله قل لهم فتمنوا الموت (يقدم عليه) اى على تمني الموت (ولا يجيبه) اى الى قوله فتمنوا الموت او الى قول احد تمني الموت لشدة خوفهم ولما اخبر لهم الله عليه من حرصهم على حب الحياة كما قال ولتجدنهم احرص الناس على حيوة (وهذا) المذكور من امتناعهم عن التمني (موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم) اى كل من اراد ان يعرفه اذا ذكره لهم ظهر له ما في طباعهم والامتحان هو التجربة وانما ذكره دفعا لما يقال التمني امر خفي فقد يقال انه موجود ولم يطلع عليه (وكذلك آية المباهلة) اى مثل قصة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بني اسرائيل قصة المباهلة في نصارى نجران لان فيها تكليفا بالكلام بامر لو قالوه هلكوا وقد اخبره الله تعالى به قبل وقوعه فكان كما اخبر ولم يجبه احد منهم الى مادعاهم اليه كما لم تتمن اليهود الموت فهو (من هذا المعنى) يعني انهما نظيران كما قررناه آنفا واصل معنى المباهلة كما حققه الراغب من البهل وهو الاهمال كارسال الغنم وكل صرار الناقة يقال ابهلت فلانا اذا خليته وارادته ومنه الابتهال وهو تضرع الدعاء قال ومن فسره باللعن فلما فيه من الاسترسال فيه قال الشاعر * نظر الدهر اليهم فابتهل * اى استرسل اليهم فافناهم انتهى وفيه رد على بعض اهل اللغة اذ ظن ان حقيقته الملاعنة ويؤيده ظاهر قوله تعالى ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين (حيث وفد عليه) الوفد هو القادم من غير اهل الديار كالضيف وحيث هنا للزمان اى لما قدموا عليه من ديارهم (اساقفة نجران) جمع اسقف بضم الهمزة والقاف وبينهما سين مهملة وآخره فاء مشددة وهو رئيس النصارى في دينهم وقاضيهم وامامهم وقيل سمي به لانحنائه وخضوعه ونجران بفتح النون واسكان الجيم بلدة كانوا فيها وهي بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة قدموا منها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ستون راكبا منهم اربعة عشر رجلا رؤساؤهم ومنهم ثلاثة بيدهم كل امرهم واميرهم اسمه العاقب كما يأتي وذو رأيهم كان يدعى عبد المسيح وثمالهم السيد وصاحب رحالهم الايهم وابو حارثة بن علقمة اخو بكر بن وائل اسقفهم وامامهم وقصتهم مشهورة في الاسلام (وابوا الاسلام) اى امتنعوا ان يسلموا لادعائهم حقية دينهم وعدم نسخه (فانزل الله عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم في حقهم (آية المباهلة بقوله

فمن حاجك فيه الآية) وتمامها من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ومعنى وأنفسنا وأنفسكم أي ليدع بعضنا بعضا فإن الانسان لا يدعو نفسه وكيفيتها كما وصفه الله تعالى أن يجمع كل من المتخاصمين أهله ثم يتوجه كل منهما الى الله تعالى ويقول اللهم ان هذا يقول كذا وكذا وانا أقول كذا وكذا اللهم فاجعل لعنتك على الكاذب منا فان عذاب الله يحل بمن كذب من غير بطء وهذا لم ينسخ فان سلطان العلماء العز بن عبد السلام أنشد اليه بعض أهله شيئا لم يقبله فقال أباهله الى الله فقبل فلم يمض سنة حتى هلك من باهله وانما جمع الأهل لخوفهم حلول العذاب من الله بهم أجمعين ومن قال هنا معنى المباهلة بالضم والفتح اللعنة لم يصب كما مر عن الراغب وهذا مما نحن فيه من وجه ومن قال الأسقف مشتق من السقف كما قاله ابن السكيت والهاء للعجمة في كلامه ساقط (فامتنعوا منها) أي من المباهلة خافوا لما شاهدوه من الهلاك على أنفسهم بدعائه صلى الله عليه وسلم (ورضوا بأداء الجزية) وهو الخراج الموظف على الناس ويطلق على ما يوضع على الأراضي فاختاروها مع ما فيها من المذلة وكانوا قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا تقول عبد الله فقال هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا من غير أب فأنزل الله عز وجل (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الخ) ثم دعاهم للمباهلة (وذلك أن العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم أنه نبي وأنه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم) أي هلكوا جميعا لاجابة دعائه عليهم ثم قال لهم ان أبيتم الا الاقامة على دينكم فصالحوه وانصرفوا الى دياركم وروي أن القائل لهذا منهم هو السيد الذي كان يسمى شرحبيل فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسلموا يكن لكم وعليكم ما للمسلمين وعليهم فأبوا فقال فاني أنابذكم فقالوا ما لنا طاقة بحربك ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي اليك كل عام ألفي حلة ألفا في صفر وألفا في رجب فصالحهم صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك وقال لو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير واضطرم عليهم الوادي نارا وفيه دليل على مشروعية الملاعنة قال في المواهب وقد جربت وأنه لا يحول على الكاذب سنة فيموت وقد علمت أن هؤلاء امتنعوا من الملاعنة كما امتنع اليهود عن تمني الموت ولذا أورده المصنف رحمه الله تعالى هنا (وفيه قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) أي مثل قوله فمن حاجك فيه (فأخبرهم) الله تعالى في هذه الآية (أنهم لا يفعلون) في المستقبل أبدا وهو مدلول عليه بالجملة المعترضة بين الشرط وجزائه وهي قوله ولن تفعلوا

(كما كان) فى المساعى الدال عليه فان لم تفعلوا فان عجزهم عن معارضة القرآن امر محقق وواقع وانما اتى بان الشرطية وكان مقتضى المقام اذا تاء على ما عندهم من الشك فى قدرتهم تهكما بهم (وهذه الآية) اى قوله تعالى ﴿ وان كنتم فى ريب مما نزلنا الى آخره ﴾ (ادخل فى باب الاخبار بالغيب) اى اندراجها فيه اظهر واوضح لتحقق النفى فى المستقبل بان فى المنافى الذى علم من التحدى بخلاف آية تمنى الموت وآية المباهلة لعدم تقدم شئ من نوعها وقيل لان فيها تصريحا بنفى فعلهم فى المستقبل بخلاف آية المباهلة فان فيها اشعارا بالعجز عن المباهلة فى الحال والاشعار بالنفى فى المستقبل الذى هو من الاخبار بالغيب من لوازمها لامن صريحها وفيه بحث (ولكن فيها من التعجيز ما فى التى قبلها) اى فى آية سورة البقرة التى فيها تعجيزهم عن الاتيان بمثل سورة ما من مثله تعجيز كتعجيزهم عن المباهلة وفيه نظر لانهم لم يعجزوا عن المباهلة وانما خافوا من عاقبتها فامتنعوا عنها ولو ارادوها لم يكن عندهم مانع منها فتدبره ﴿ فصل ومنها ﴾ اى من وجوه اعجاز القرآن وجه غير الوجوه الاربعة التى تقدمت (الروعة) بفتح الراء والعين المهملة بالمرة من الروع وهو الفزع والخوف الذى يطرأ عند سماعه لجلالته وهيبته كما وقع لسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه لما سمع اول سورة طه فاسلم من غير تردد لما وقع فى قلبه عند سماعه (التى تلحق قلوب سامعيه) اصله تلحق قلوب السامعين له فحذفت نونه لاضافته لضمير القرآن (واسماعهم) بالنصب معطوف على قلوب مفعول تلحق وهو جمع سمع بمعنى الحاسة وفيه تسمح لان الفزع لا يلحق السمع وانما يلحق القلب بواسطته وهو كقوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى اى اذكر احداهما الاخرى اذا ضلت كما حقق فى الكشاف وشروحه وانما عطف عليه اشارة الى ان هذه الروعة تلحق من يفهمه ومن لا يفهمه مؤمنا كان او كافرا فقيل ان فى عد هذا وجها مستقلا من وجوه الاعجاز نظرا لانه معنى زائد عن النظم مشروط بتدبره وهو فى المؤمن واضح واما فى الكافر فلمن به لبس تشديد لمن القى السمع وهو شهيد وقوله (عند سماعه) بأنه والضمير للقرآن (والهيبة) بالرفع معطوف على الروعة ومعناه الخوف يقال هابه اذا خافه كما فى القاموس وهو قريب من الروعة والنجة فى انهما لشيء بمعنى واحد كما فى عروس الافراح قال ما توهم ان الروع والمهابة واحد وليس كذلك بل الروع الفزع والمهابة الاجلال قال * اهابك اجلالا وما بك قدرة * على ولكن ملء عين حبيبها * وقال ابن بريف فى قول السكاكى ادخال الروعة وتربيته المهابة والمهابة يراد بها عرفا الحالة التى تكون فى قلوب الناظرين الى الملوك وتربيتها تقويتها والروعة الخوف الذى يحدد بمخاطبتهم اسفى (التى تعتريهم) اى تطرأ عليهم

و تغشاهم (عند تلاوته) وقراءته والاول ناظر للسامع والثاني للقارئ نفسه او هما معنى (القوة حاله) اي لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والانذار وهذا ناظر للروعة عند من فهمه (وانافة خطره) اي علو مرتبته على غيره من الكلام الذي يهابه سامعه فهو ناظر للهيبة ويمكن كل منهما لكل منهما (وهي) اي الروعة والهيبة وافراد الضمير لانهما شيء واحد او كالواحد (على المكذبين به اعظم) منها على المؤمنين لشدة خوفهم منه كما قيل الخائن خائف والمؤمن وان هابه فهو متلذذ به مطمئن قلبه ببشائره (حتى كانوا) اي المكذبون (يستثقلون سماعه) لصعوبة ما فيه عليهم (ويزيدهم) سماعه (نفورا) عن الحق والاصغاء اليه (كما قال تعالى) (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا) اي ولوا معرضين عنه لعدم ذكر آلهتهم فيه (ويودون) اي يحبون (انقطاعه) اي قطع تلاوته عندهم (لكراهتهم له) لخبث طبائعهم كما تضر رياح الورد بالجعل (ولهذا) المذكور من محبة انقطاعه وكراهتهم له (قال صلى الله تعالى عليه وسلم) في الحديث الذي رواه الديلمي وغيره عن الحكم بن عمير وسيأتي تمامه (ان القرآن صعب) في نفسه يعني انه لا يقدر احد على محاكاته وضبط الفاظه وحفظها بسهولة كما قال تعالى (انا سنلقي عليك قولا ثقيلا) (مستصعب) بفتح العين وكسرها اي عسر فهمه وتفسيره بالرأي ولا يمكن تغييره وتحريفه لانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لانه ليس من جنس كلام البشر (على من كرهه) من الكفار والمنافقين (وهو) اي القرآن (الحكم) بفتحتين اي الحاكم الفاصل بين الحق والباطل بما تضمنه من الاحكام والبر والفاجر بما نصب فيه من الادلة الدالة على حقيته ولذا قيل له فرقان وهذا في حق غير المؤمن (واما المؤمن) معادل لاما مقدرة معلومة بما قبله اي اما غير المؤمن فلا يزال صعبا عليه لكراهته له واما المؤمن (فلا يزال روعه به) بفتح الراء اي فزعه وخوفه من زواجره ومواعظه وهيبته منزلة الحاصلة بسببه (وهيبته اياه) الضمير الاول للمؤمن والثاني للقرآن او بالعكس (مع تلاوته) اي قراءته من تلاه اذا تبعه او هو بمعناه اللغوي اي اتباعه لاوامره ونواهيه والتلاوة في العرف تختص بالقرآن وقيل لا تختص به (توليه) اي تعطيه من اولاه معروفا اذا اعطاه فهو بضم المثناة الفوقية وسكون الواو وكسر اللام المخففة (انجذابا) بنون وجيم ودال معجمة وموحدة من جذبه اذا اماله لجهته بشدة اي يستميل قلبه ويسمعه لمحبته له ونسبة الشيء مجذوب اليه (وتكسبه) بضم التاء الفوقية وسكون الكاف (هشاشة) بفتح الهاء والشين المعجمة اي بشرا وخفة ولينا لما فيه من البشائر السارة والمعاني اللذيذة التي تحمله في نشاط (لميل قلبه اليه وتصديقه به) فهو دائما

يرتع فكره منه فى روضات انيقة فاذا عرف من يناجى وانه جليس الرحمن سر
ونشط ثم استشهد لهذا بقوله (قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) اى تعرض لجلود ابدانهم قشعريرة
اى قيام من الخوف من هيبته فاذا تأمله وتدبره لان قلبه وجلده لانسه وسروره به
ولذا ترى بعض الصالحين اذا تلى القرآن تواجدوا وصاحوا وقد يتعدى ذلك
الى الغشى وشق الثياب ونحوه ومثله لاينكر ومن لم يذق لايعرف ولايأبى هذا انه
لم يقع من الصحابة رضى الله تعالى عنهم لان مقامهم مقام تمكين وقد بسط هذا
فى الاحياء فان اردته فارجع اليه وعدى تلين بالى لما فيه من معنى الميل وذكر الجلود
فى الاول وضم اليها القلوب فى الثانى اشارة الى ان الاول قبل التدبر التام فاذا تدبر
ذلك وقر فى قلبه وزالت تلك الحالة الظاهرة عنه (وقال) تعالى (لو انزلنا
هذا القرآن على جبل الآية) تمامه لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون وهذا دليل لما فيه من الروعة التى تهد الجبال
فما بالك بالرجال والآية مبينة فى التفاسير فلاحاجة للتطويل بذكر مافيها (ويدل
على ان هذا) اى ما يحدث للقلوب والاسماع من الروعة والمهابة (شئ خص به)
القرآن دون غيره من الكلام (انه) امر (يعترى) اى يطرأ ويحدث (من لا يفهم
معانيه ولا يعلم تفاسيره) ممن لايمارس كتبه ويقرؤها حتى يقف على دقائقه ولطائفه
فعلم من هذا ان تأثر السامع به لسر فيه وامر ربانى ولذا كان يهاب قارئه وسامعه
وان لم يفهمه بخلاف غيره (كما روى عن نصرانى) ليس من شأنه فهم القرآن
ولا الوقوف على تفسيره ففيه افصاح لما قبله (انه مر بقارئ) يتلو القرآن جهرا
(فوقف) ليسمع قراءته وهو (يبكى فقيل له مم بكيت) وانما سئل عن سبب بكائه
لانه لايصدق به ولا يفهمه (فقال للشجا والنظم) الشجا بفتح الشين المعجمة والجيم
مقصور يقال شجى يشجى شجا وهو شج اذا حزن او طرب او غضب والثانى
انسب هنا كما قاله البرهان والمراد بالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه فأثر ذلك
فى نفسه وهو لايفهمه حتى ابكاه وسمع بعض العرب بخراسان مغنية حسنة الصوت
تغنى بالفارسية فشوقه ذلك واشجاه وقال

ومسمعة يحار السمع فيها * ولايفهمه لايصمم صداها
ولم افهم معانيها ولكن * ورت كبدى فلم اجهل شجاها
فكنت كأنى اعمى معنى * يحب الغانيات ولايراها

ولم يذكر المصنف رحمه الله تعالى ان ذلك القارئ قرأ بصوت حسن حتى يكون
تأثره وطربه لالحانه وهو ابلغ وادل على مقصده (وهذه الروعة) الحاصلة عند

سماع القرآن لمن لم يسدبره (قد اعترت جماعة) وحصلت لهم (قبل الاسلام) اى قبل اسلامهم (وبعده) ثم فصل حال من اعترته الروعة قبل اسلامه اكده ممسح في العبارة لان القضاة تقضى عروض الاسلام فلا ينافي قوله ومنهم من كفر وكذلك قوله بعده فعبارته لاتخلو من المسامحة وكان الظاهر ان يقول اعترت جماعة منهم من اسلم ومنهم من بقى على كفره بقوله (فمنهم من اسلم لها) اى لهذه الروعة (لاول وهلة) بفتح الواو وسكون الهاء وهى المرة من الوهل وهو الفزع فقال وهل منه واليه اذا فزع ثم قيل اول وهلة لاول مايفزع السمع ويقع في الوهم والفكر وهو المراد كما اشار اليه في الاساس واسلم بمعنى اقر واعترف (وآمن به) اى صدق بقلبه (ومنهم من كفر) اى دام على كفره لاصراره على عناده لجاهه وجاهليته (حكى في) الحديث (الصحيح) الذى رواه الشيخان مسندا (عن جبير بن مطعم) بن عدى بن نوفل بن عبد مناف الصحابي رضى الله تعالى عنه وقد تقدمت ترجمته وانه اسلم في فتح خيبر او فتح مكة انه (قال سمعت رسول الله) وفي نسخة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يقرأ في) صلاة (المغرب) وذلك قبل اسلامه (بالطور) اى بسورة الطور (فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء) اى من غير خالق لهم كما تقول الدهرية (ام هم الخالقون) لانفسهم بشهادة قوله بعده ام خلقوا السموات والارض وقرأ (الى قوله ام هم المسيطرون) اى المدبرون للاشياء كما يريدون ويشهد له لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك يقال مصيطر ومسيطر للسيد المالك (كاد قلبي ان يطير للاسلام) اى حدث عندى فزع وخوف شديد حتى كادت ان قلبي ذات وهي حتى لم يبق منى وطيران القلب يراد به تارة شدة الخوف وهو المراد هنا لان القلب متحرك دائما لحرارته فاذا زادت الحرارة الغريزية لخوف او شدة شوق وحب زاد خفقانه فيشبه حينئذ بطائر خفق جناحه كما قال القائل

كأن قطاة علقت بين اضالعي * لان فؤادى دائم الخفقان

وقلت فجيعا لقلبي طائر فزعا * وعلقه باحل اضالعي قفص

وعليه قول العرب افزع روعه كما حقق في كتب اللغة (وفي رواية) اخرى عن رواية الشيخين (وذلك اول ماوقر الايمان في قلبي) ووقر بالقاف بزنة ضرب بمعنى سكن وثبت وذلك انه كان مشركا في اسارى بدر او في فداء اساراها فلما سمع الآية وفهمها علم مافيها من برهان الايمان القاطع لعرق الكفر لدلالتها على انه لاخالق يستحق العبادة الاالله فسكن قلبه بعد اضطرابه حتى كاد يطير وهذه رواها البخاري ايضا في المغازي وفي روايته فصدع قلبي وفيه دال على صحة رواية المسلم مادخل حال كفره وفيه بيان لروعة القرآن لمن سمعه وان تلك الروعة سبب لاسلامه (وعن عتبة بن ربيعة) هو ابوالوليد بن عبد شمس بن عبد مناف المشهور وهو من

(قبل)

قتل كافرا سدر ولاىتوهم اسلامه نقول المصف رحمه الله تعالى عن عتبة هاوهدا
الحدىث رواه ابن اسحق فى سىره والبغوى فى تفسيره (انه كلم النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم فيما جاء به من خلاف قومه) نشىر لما فى السير من ان اباجهل لعنه الله تعالى قال
لقريش قدالتبس علينا امر محمد فلو اتاه مما من كلمه فذهب اليه عتبة وكان ذا رأى
وحزم وقال له يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبدالمطلب فلم تشتم آلهتنا
وسفه احلامنا وتضلل اباءنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك
اللواء وكنت رئيسا وان كان بك الباءة زوجناك من تختار من بنات قريش وان كنت
تريد المال جمعنا لك من اموالنا حتى تكون من اكثرنا مالا وان كان لك رئى
لا تستطيع رده طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا اوكما قال والنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم يسمع كلامه حتى فرغ فقال له افرغت يا ابا الوليد قال نعم قال اسمع
منى ما اقول (فتلا عليهم) اى على الوليد ومن معه اومن علم انه سيبلغه ماتلاه
عليه وفى نسخة عليه بالافراد من سورة (حم) تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب
(فصلت) آياته (الى قوله) فان اعرضوا فقل انذرتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)
اى الصاعقة التى اهلكت قوم هود وقوم صالح (فامسك عتبة على فيه) اى وضع
يده على فم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يقطع كلامه وماتلاه عليه من هذه
السورة لخوفه من وقوع ماانذرهم به وفى نسخة فامسك عتبة يده على فى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم (وناشده الرحم ان يكف) اى سأله مقسما عليه بالرحم
وهى القرابة القريبة المقتضية للرحمة والعطف عليهم من حلول ماذكره
من العقاب بهم يقال ناشدته ونشدته اذا اقسمت عليه فسم استعطاف (وفى رواية)
اخرى لابن اسحق فى سيرته عن كعب القرظى (فجعل النبى صلى الله عليه وسلم
يقرأ) قال الراغب جعل لفظ عام فى الافعال كلها اعم من فعل وصنع واخواتهما
وتأتى على اوجه فيجرى مجرى صار وطفق فلا يتعدى تقول جعل زيد يقول
كذا الخ فالمعنى انطلق فى قراءة السورة وقوله لا يتعدى اى هى من افعال الشروع
والمعمول خبرها لامعمولها والشروع لاينافى الاستمرار كما توهم (وعتبة مصغ)
اسم فاعل من اصغى بوزن مصدر اى مستمع لقراءته منصب اليها (ملق يديه خلف ظهره)
لاعتماده عليهما وقوله (معتمد عليهما) كالتفسير له (حتى انتهى) اى وصل (الى)
آية (السجدة فسجد) صلى الله تعالى عليه وسلم (وقام عتبة) من عنده (لايدرى
بم يراجعه) اى يكلمه بعد تلاوته لروعة التى ادهشته عاسمعه منه صلى الله تعالى
عليه وسلم (ورجع الى اهله) اى دخل عتبة منزله ولم يقابل احدا ممن كان ينتظر
خبره (ولم يخرج) من بيته (الى قومه) واستمر فى بيته (حتى اتوه) ليسئلوه عن

انقطاعه عنهم ما سببه (فاعتذر لهم) عن عدم خروجه لهم واخباره بما جرى له معه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) فيما اعتذر لهم به (والله لقد تلى) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (كلاما) والله (ما سمعت اذناى بمثله قط) اى مماثل له فى حسنه وحلاوته وتأثيره فى القلوب (فما دريت ما اقول له) فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين وفيه دليل لما نحن فيه من الروعة والهيبة لمن بقى على كفره ممن اضله الله على علم وفى رواية لما رأوه قالوا والله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال ورائى انى سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش اطيعونى وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعته نبأ عظيم فان تصبه العرب كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به فقالوا سحرك والله يا ابا الوليد فقال هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم (وقد حكى) بالبناء للمجهول (عن غير واحد) اى عن كثير وغير الواحد شامل للقليل وللكثير ولكنه خص عرفا بهذا كما (ممن رام معارضته) اى قصد ان يأتى بكلام يماثله فى البلاغة (انه اعترته) اى حدثت له واصابته (روعة وهيبة) حين تلاه وسمعه (كف بها) اى بسبب تلك الروعة والفزع (عن ذلك) اى المذكور من روم المعارضة ثم ذكر بعض من سمعت عنه ممن هم بذلك فقال (فحكى ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه) اى قصد معارضة القرآن والكلام بما يماثله وفى المقتفى للبرهان الحلبى المقفع بضم الميم وفتح القاف والفاء المشددة قبل العين المهملة ولم يتعرض ابن ماكولا الى حركة الفاء وهى مضبوطة فى النسخ بالكسر والذى احفظه الفتح وذكر ابن ماكولا شخصا يقال له مروان بن المقفع فليحرر هل هو هذا ام لا انتهى وهو غريب من مثل هذا الحافظ فانه بالفتح من غير شبهة قال فى القاموس مقفع اليدين كمعظم متشنجهما ومروان بن المقفع تابعى وابو عبد الله بن المقفع فصيح بليغ وكان اسمه روزبة اوداذبة بن داذويه مجوسى قبل اسلامه وكنيته ابو عمرو ولقب ابوه بالمقفع لتقفع يداه اى تشنجا وهذا مما يعرفه الخاصة والعامة الا ان التلمسانى قال فى حواشيه المقفع اليابس اليدين والرجلين من برد وقال ابن مكى فى تثقيف اللسان ان الصواب فيه المقفع بكسر الفاء لانه كان يعمل القفاع جمع قفعة وهى شئ يشبه الزنبيل بلا عروة من خوص وليس بالكبير وقيل انه كاتب المنصور وهو اول من هذب المنطق وقيل ثم ان المهدى لما ولى الامرة وحضره اهلها وفيهم ابن المقفع وذكر عنده الوطس فلم يعرفه وسأل عنه من حضر فضحك ابن المقفع ثم انصرفوا فامر ابن المقفع

(بالجلوس)

بالجلوس حتى خلا المجلس فامر بتنور عظيم وامر بان يسجر وامر بطرحه فيه فاحترق كما فى مشكاة انوار الخلفاء وكان ابن المقفع من جملة قوم زنادقة كانوا يجتمعون لذكر مطاعن القرآن وصياغة هذيان يعارضونه بها كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وشرع فيه) اى فى المعارضة وذكره لان تأنيث المصادر غير معتبر لتأويله بان والفعل (فمر بصبى يقرأ وقيل يا ارض ابلعى ماءك فرجع) وقد تقدم بيان بلاغتها ومافيها من الاعجاز على ما فى المصابيح وشروحه (فمحى) جمع (ماعمل) يعنى غسله وابطل ما فى صحفه لما رأها لامناسبة بينها وبين شيء من الكتاب العزيز (وقال اشهد) اى اقر واعترف او اعلم كل احد (ان هذا لا يعارض) اى لا يقدر احد على الاتيان بمثله (وماهو من كلام البشر) لظهور اعجازه (وكان افصح اهل وقته) فليس ممن قال ذلك بغير علم لمعرفته بصناعة الصناعة والمراد بوقته زمانه وعصره الموجود فيه ﴿فائدة﴾ قال ابو الفرج ابن الجوزى نقلت من خط ابى الوفاء على بن عقيل الحنبلى صاحب الفنون قال وجدت فى تعاليق محقق من اهل العلم ان سبعة مات كل منهم وله ست وثلاثون سنة فعجبت من قصر اعمارهم مع بلوغ كل واحد منهم الغاية فيما كان فيه وانتهى اليهم فمنهم الاسكندر ذو القرنين وابو مسلم صاحب الدولة العباسية وابن المقفع صاحب الخطابة والفصاحة وسيبويه صاحب التصانيف والتقدم فى علم العربية وابو تمام الطائى وما بلغ فى الشعر وعلومه وابراهيم النظام المتقدم فى علم الكلام وابن الراوندى وما انتهى اليه من التوغل فى المخازى فهؤلاء السبعة لم يجاوز احد منهم ستا وثلاثين سنة بل اتفقوا على هذا القدر من العمر انتهى قلت قال الزركشى فانه لم يجاوز الاربعين فانه مات فى ست وثلاثين فتم انهم وكذا شيخ الاسلام تقى الدين السبكى فانظر الى مؤلفاته التى زادت على اكثر من ثلاثين مابين مبسوط ومختصر مات عن خمسة وعشرين سنة فتمم اليهم (وكان يحيى بن الحكم) بفتح الحاء المهملة وكاف مفتوحة بعدها وقيل انما هو الحكم بوزن الطاب كما ذكره الذهبى وقال انه من شعراء المائة الثانية توفى بعد مائة وخمسين ولست على ثقة منه وذكره ابن خلكان فى تاريخه وقال انه من شعراء الاندلس وذكره فى الذخيرة ايضا (الغزال) بفتحتين وزاؤه مشددة وقيل انها معجمة عند الذهبى ايضا فى كتاب المشتبه فعلى الاول هو وصف منسوب لصنعة الغزل وعلى الثانى هو علم منقول من اسم الحيوان وهو بكرى قرطبى الدار كان فى زمن هشام بن الحكم اول الذى ذكره ابن حيان فى المقتبس تاريخ الاندلس انه يحيى بن الحكم البكرى الجانى لقب بالغزال فى صغره لحسنه وكان فى المائة الثالثة حكيم الاندلس وشاعرها وله شعر فى غاية الحسن وارتحل لمصر ثم عاد للاندلس

وعمر اى بلغ من العمر مائه وثلاثين سنة وارسل رسولا لبلاد الفرنج فاعجب ملكها فادمه وسأله امرأته عن سنه فقال عشرين سنه فقالت له فاهذا الشيب فقال اما رأيت مهرا ولداشهب فضحكت والى هذا يشير بقوله فى قصيدة

قالت ارى فوديه قد نورا * دعابة توجب ان ادعبا

قلت لها ما بالله انه * قد ينتج المهر كذا اشهبا

قال وحكى انه اراد ان يعارض سورة الاخلاص فعرضت له حالة اوجبت توبته وهو ماذكره المصنف رحمه الله تعالى الآتى (بليغ الاندلس فى زمنه) اى معروف بالبلاغة وفصاحة النظم والنثر فى عصره والاندلس بفتح الهمزة وضم الدال وفتحها وضم اللام ليس الا وهى معربة لم يتكلم بها العرب قديما وانما عرفوها فى الاسلام قال ياقوت فى معجمه اشتهر على الالسنة انها بازمها الوقد ووردت بدونها فى قول بعض العرب

سألت القوم عن انس فقالوا * باندلس واندلس بعيد

وهى بلغاتها لا نظير لها سواء فلنا فعلل او فعالل والظاهر ان الهمزة زائدة لان بعدها اربعة احرف ولو كانت غير زائدة كان نقال وزنها افعلل * فان قلت قال سيبويه افعلل الشيخ المسن ولا تعرف ماقبله اوله زيادتان بمالسن جاريا على الفعل * قلت هو العربى الفحب وهى بجانب ارض تحتوى على بلاد ولسبب جزيرة الا ان البحر يحيط بها من ثلاث جهات فى اكثرها فلذا سماها بعضهم جزيرة (حكى) بالبناء للمجهول (انه رام شيئا من هذا) اى معارضة القرآن ونسج كلاما على منواله فى الفصاحة (فنظر فى سورة الاخلاص) التى هى اقصر سورة اى تدبر فى نظمها التى من عدة بمثلها وسميت صورة الاخلاص لاشتمالها على مايجب اخلاص اعتقاده من التوحيد لذات الله وصفاته (ليحذو على مثالها) من حذوه بحاء مهملة ودال معجمة اذا قبت بحذائه اى مقابله وحذا النعل بالنعل اذا قطعها بمقدارها وقالها فالمعنى ليقول مثلها وفى الحديث (لتركبن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل) اى تعملون مثل اعمالهم من غير زيادة ونقص فهو استعارة تمثيلية (وينسج بزعمه) بزاى معجمة مثلثة وهو الظن واكثر ما يستعمل فى الكذب فان الزعم مطية الكذب (على منوالها) هو بمعنى مثاله والمنوال بكسر الميم خشبة ينسج عليها الثياب فهو استعارة تخييلية ومكنية تشبيه الكلم والكلام بثوب ينسج واثبات لها ماله من النسج والمنوال وهى بمنزلة او بعمله وهو اصوب هنا (قال) اى ابن الحكم (فاعترى) اى عرض لى فى حال النظر (خشية) اى خوف وتعظيم له (ورقة) اى رقة قلب وخشوع اوضعف ولين (حملة) الفاء اذا الظاهر حملنى والحمل الالجاء والقسر (على التوبة) كما كتب فهمته بوالدامه على ماعزم عليه (والانابه) اى الرجوع عنه وفى نسخة والاوبة وتركه لذلك لعلمه بانه امر لا يقدر عليه البشر ﴿فصل ومن وجوه

اعجازه المعدودة ﴿ اى الذى عده العلماء منها اشارة الى انه مسبوق بذكره (كونه آية)
ومعجزة (باقية) فسره بقوله (لا تعدم ما بقيت الدنيا) اى مدة بقائها الى قيام الساعة
وما ورد فى حديث حذيفة من انه تأتى ليلة يرفع فيها القرآن لا يبقى فى الارض منه
آية هو بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام وظهور يأجوج ومأجوج
وهو فى حكم الساعة ووجود الدنيا حينئذ والعدم سواء وبقاؤه بقاء سماء بلاوته محفوظا
من النسخ والتبديل والتغيير وهذا فصل تميز به عن سائر الكتب الآلهية فضلا عن
غيرها وما قيل من ان عد هذا من وجوه الاعجاز لا وجه له فانه لا تعلق له بالنظم المعجز
ساقط فان بقاءه كما ذكر من لوازم اعجازه بعدم مشابهته لكلام البشر حتى تؤتى بامثاله
او يدخل فيه ما ليس منه او تقول انه من جملة ما اخبر الله به عنه فهو من غيبه وهذا
انسب بقوله (مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)
والمراد بالذكر القرآن وضميره له لا له صلى الله تعالى عليه وسلم فانما تولى حفظه
بعظمته وجلال ذاته ولم يكله لغيره كغيره المقول فيه بما استحفظوا من كتاب الله
كما تقدم تأييد وتأييد حفظه ابقاء حافظه ورفعه بعمة حفظه (وقال لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه الآية) فلا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات ما يبطله
ولا يكون قبله ولا بعده ما يكذبه او ينسخه (وسائر معجزات الانبياء) والرسل عليهم
الصلوة والسلام اى بقيتها غيره (انقضت) اى مضت وذهبت (بانقضاء اوقاتها)
اى بعد عصرهم وزمن وجودهم انعدمت (فلم يبق الا خبرها) اى الاخبار المأثورة
عنها دون ذواتها وعينها كعصا موسى وناقة صالح وانفلاق البحر وغيرها مما هو
مذكور فى السير كما قيل

وانما المرء حديث بعده ﴿ فكن حديثا حسنا لمن وعى

(والقرآن العزيز) اى المنيع المحمى بحماية من قاله (الباهرة آياته) اى الغالبة لغيرها
والظاهرة وآياته بمعنى انواع معجزاته السالفة او كل آية منه فقوله (الظاهرة معجزاته)
على الاول توضيح وتوكيد وعلى الثانى بيان وتأسيس بناؤه (على ما كان عليه اليوم) اى الى
يومنا هذا فعرف فيه اليوم للعهد الحضورى كهذا الآن والجار والمجرور خبر
المبتدأ وهو القرآن والمراد باليوم عصر المؤلف كما اشار اليه بقوله (مدة خمسمائة عام
وخمس وثلاثين سنة) وروى سبع بدل خمس والصواب الاول لانه روى ان تأليفه للشفاء
كان فى ايام قضائه فى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة قال التلمسانى هكذا نقله الشفاء عن
ابى عبد الله بن مرزوق ولم اسمعه منه اسمى (لاول نزوله الى وقتنا هذا) اى من ابتداء
الوحى ونزول القرآن على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الى وقت تأليف المصنف
رحمه الله لهذا الكتاب فاللام بمعنى من نحو سمعت له صريخا اى منه كما ذكره النحاة وبدل

عليه مقابلته بالمثل (حجته قاهرة) المراد بالحجة نص القرآن اى هو حجة غالبة لمن كفر به
او المراد ما فيه من الحجج والادلة (ومعارضته ممتنعة) اى الاتيان بمثله لا يمكن ولم يقع
(والاعصار كلها طائحة) الاعصار جمع عصر بفتح فسكون لا بضم وسكون لان جمع
الجمع غير قياسي وطائحة بطاء وحاء مهملتين بينهما الف وياء من طفح اذا فاض
وتدفق (باهل البيان) متعلق بطائحة فان كان مجازا مرسلا بمعنى ممتلئة فظاهر
وان كان استعارة تخييلية فعلى ان البيان مشبه بالماء على طريق الكناية والمعنى ببيان
اهل الكتاب والمراد العارفون بايراد التراكيب البليغة على حسب مقاماتها (وحملة علم
اللسان) حملة جمع حامل ككاتب وكتبة وهو الحافظ للسان بمعنى اللغة العربية (وائمة
البلاغة) اى العلماء بعلم البلاغة من المعانى والبيان وقرض الشعر وغيره من العلوم
الادبية (وفرسان الكلام) الذين لهم فطرة مجبولة على القدرة على التكلم بكلام بليغ
نظما ونثرا وفيه استعارة مكنية وتخييلية اذ شبه الكلام بخيل فارهة والمتكلم برجل
عارف برياضة والسبق بها وانه له (وجهابذة البراعة) اى اساتذة الفصاحة الفائقة
فى بابها جمع جهبذ بكسر الجيم والباء وبينهما هاء ساكنة وآخره دال معجمة
يقال رجل جهبذ اى عالم نحرير وهو لفظ معرب واصل معنى الجهبذ النقاد الخبير
واستعمال الخبر فاستعير لما ذكر كذا قالوا والذى عندى فى هذه التراكيب الخمسة
ان المراد بها اهل اللسان العارفون به بجملة نقاده وطبعا وقادة والعلماء بعلوم العربية
واللغة فالمراد باهل البيان الفصحاء وبالحملة علماء اللغة وبالائمة البلغاء الخطباء من العرب
العرباء وبالفرسان الشعراء واهل الانشاء المحدثين وبالجهابذة العلماء بفرض الشعر
والانشاء اثرا فلا تكرار فى كلامه وان كان فى مقام خطابه يحمد فيه البسط والاسهاب
ولذا كان هؤلاء فريقان فهو لا يكاد طبعه فى العناد وصده (والملحد وهم كثير) الملحد
اسم فاعل من الحد عن الحق اذا مال ومنه لحد القبر والالحاد كما قال الراغب ضربان الحاد
الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب والاول ينافى الايمان ويبطله والثانى
يوهن عراه ولا يبطله (والمعادى لا يشرع عنيد) اى منها حاضر باذل جهده
فى عداوته واعتد واعتد معاندا بات مطلقا ومعنى اى مع كثرة من يريد المعارضة (فما منهم
من اتى بشئ) من الكلام (يؤثر) اى يحفظ وينقل (فى معارضته) والاتيان بما يماثله
(ولا ائتلف كلمتين فى مناقضته) الا اقصه الكلم بمخالفه وبطلان ومنه نقائض جرير
كما تقدم وهى المراجعة والمحاورة (ولا اقدر على مطعن صحيح) اى لم يطعنه
ولم يعترض عليه باعتراض يسمع منه وقد نقل ذلك بعض الزنادقة فافتضح وصار
نحره كنار فى مطاعن القرآن التى ذكرها السابق (ولا قدح) القدح ذكر المعايب
يقال قدح فى نسبه وعرضه اذا ذمه وقدح الزناد ضربه لاخراج النار والمراد الاول

(لكن)

لكن فيه تورية بالثانى لقوله (المتكلف من ذهنه فى ذلك الا زند شحيح) والمتكلف هو الذى يفعل مالا يحسنه بكلفة منه والذهن قوة الفكر وذلك اشارة الى القدح والطعن والشحيح البخيل استعارة للزند الذى لا تخرج منه شرر منيرة اى لم يفده قدحه شيئا غير الخيبة يقال زند شحيح اذا كان لا يورى ولله در المصنف رحمه الله تعالى ماالطف صنعه ومن لم يذق حلاوة كلامه فالو قال ولا ضرب المتكلف بسيف ذهنه الا ارتد وهو حريح وحسن استعارته كون الذهن يوصف بالا وقد والاشتعال كما قيل

ويكاد يحرقه توقد ذهنه * لولا مياه الجود فيه والندا

لكن لا يعدم الحسناء ذاما فالابلغ السكوت فى محله (بل المأثور) والمنقول (عن كل من رام ذلك) اى قصد الطعن فيه بذكر ما تؤدى ركوه جمه (القاؤه فى البحر بيديه) الالقاء بالقاف بمعنى الرمى ومفعوله محذوف اى القاؤه نفسه ورميها فى مهالك البحر ومهاويه فشبه البحر بشر ونحوه مما يهلك الواقع فيه وبيديه متعلق به اى هو الرامى والطارح لنفسه وقيل معناه الق نفسه لهما فى البحر وللزومه له جعله طرفاله وهو معنى ركيك وقول التلمسانى انه العاؤه باليمين المحمة من لغو الكلام الذى يحسن السكوت عنه لا عليه (والنكوص على عقبه) اى المأثور الرجوع عما قاله بالاعتراف بعجزه يقال نكص على عقبه وهما مؤخر الرجل اذا رجع القهقرى وقال الراغب النكوص الاحجام عن الشئ وفى القاموس نكص على عقبيه رجع عما كان عليه من خير فهو خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهرى فى اطلاقه وقيل عليه ان قلت معارضة القرآن شر فكيف يكون الرجوع عنها نكوصا على العقبين قلت هو مبنى على زعمه او هو تهكم به كما اطلق على رجوع الشيطان يوم بدر عن اعانة قريش على النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (فلما تراءت الفئتان نكص على عقبه) على ان الاصح جواز اطلاقه على خلافه نادرا اقول هذا استعارة من رجوع القهقرى لانه بمعنى الرجوع على العقبين حقيقة فيجوز به عن العود الى حاله الاول مطلقا شرا كان او خيرا فالحق ما قاله الجوهرى * فصل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدى الامة * ضبطه بصحح لام مقلد لتناسب ما قبله وقيل انه بكسرها والمراد بالاول المجتهدين ولك ان تقول انه اشارة الى ضعف اقوالهم (فى اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله) اى لا يسأم طبعه من كثرة قراءته ولو اعاده مرارا كثيرة مع ان الطباع جبلت على معاداة المعادات (وسامعه لا يمجه) اى لا يكره تكراره على مسامعه يقال مج الشراب ونحوه اذا رماه من فيه فالمج حقيقة طرح المائع من الفم فان كان غير مائع يقال لفظه فاقيم الاذن مقام الفم واللفظ مقام المج لرقته ولطفه وهى استعارة لطيفة كما قال المعرى فيما تقدم

و نغم المعاد يحسن نقصه * للورد حد بالانوف تقيل

فاستعير لتركه استعارة تبعية اومكنية وتخييليه فكأنه كالمس الذي تكرره لامل منه لانه مادة الحيوة كما قال المعري * ردى حديثك ماامللت مستمعا * ومن مل من الانفاس ترديدا * ومجه محه بضم ميم المضارع كمله يقتله فهو من باب قتل (بل الاكباب على تلاوته) اى ملازمه قراءته وتكراره فهو مجاز من الاكباب وهو الوقوع على الوجه كما قال (افمن يمشي مكبا على وجهه) وفى اختياره على الوقوع اشارة الى توجهه اليه قال لبيد * سوج الهالكي على يديه * مكبا يجلى نقب المصال * (يزيده حلاوة) اى يزداد قراءته يزيده حلاوة فيه ترق من عدم الملل الى زيادة حلاوته واصابه المحر لان مامج يكون مرا اوما لحا يكرهه الطبع وهو كقول الشاطبي رحمه الله تعالى * وخير جليس لايمل حديثه * وترداده يزداد فيه تجملا * (وترديده) اى اعادته وتكريره (يوجب له محبه) لزيادة حلاوته وحسنه (لايزال) كلما كرر (غضا) اى جديدا وهو مجاز من غض الصوت والطرف قال جاريه شابت سنا انا غضا (طريا) اى رطبا ناعما فلا تتغير لهجته وعبارته قال الشاطبي رحمه الله تعالى

واخلق به اذا ليس يخلق جدة * جديدا مواليه على الجد مقبلا

وكأنه فى كل مرة قريب عهد بالنزول (وغيره من الكلام ولو بلغ من الحسن والبلاغة مابلغه) اى لوفرض ان بعض كلام البشر وصل الى رتبته فى البلاغة (يمل) بالبناء للمجهول اى يمل قارئه وسامعه (مع الترديد) اى مع التكرير مرارا (ويعادى اذا اعيد) اى يكره ويثقل ويسمر منه السمع كان مرمى تعاديها وهذا على فرض المحال والا فقد تقدم انه لايوجد مثله ولاماقرب منه * وان البرايا عن مداه اول * (وكتابنا) معاشر الامه المحمدية النازل الينا بواسطه نبينا صلى الله عليه وسلم وهو القرآن (يستلذ به فى الخلوات) اى يجد قارئه لذة اذا اختلى بقراءته وخص الخلوه لانها محل اجتماع الحواس والحضور القلوب بذكر الله تعالى فهو فيها اعظم لذه وان كان له لذه ايضا بقراءته بين الناس ايضا (ويؤنس (٢)) بالبناء للمجهول اى يجده ايضا يدفع وحشته (فى الازمات) جمع ازمه وهى الشدة كما فى حديث * اشتدى ازمه تفرجي * ولام خلوات وزا ازمات ساكن فى المفرد والجمع لانه اذا جمع على فعلات تسكن فى الاسماء وتحرك فى الصفات كما بين فى التصريف والضمير فى كانا لجماعه المؤمنين لالله علم لانه لايناسب المقام ولو قال كتابنا يستأنس به فى الخلوات ويستعان به على الازمات كان احسن وما قيده المصنف اعلى مما قاله لان الخلوه انسب باللذة وقرينها لان المراد الخلوة من * ولذه الاحوى مكسوه * تسعى انها كل تعدو نوب * والشدائد لايجد فيها رحما تعين عليه ويدفع كربها والتالى فانه الرحمه والحكم وجهه (وسواه من الكتب) سوى اذا صح

(٢) سلاوبه نسخه

اوله اوكسر قصر واذا فتح مد والرواية على القصر وهو بمعنى غير لكنه نص في الاول تغير وفي هذا سوى والظاهر ان المراد بالكتب الكتب المنزلة وله كالزبور (لانوجد فيها ذلك) اى اللذه والانس المذكورين (حتى احدث اصحابها) اى اخترعوا والفوا والمراد باصحابها من قرؤها (لها لحونا) اى للكتب التى يدرسونها واللحون جمع لحن واحد الالحان الاغانى والنغمات التى يزين بها الاصوات ويوزن بضروب الموسيقى على مقاماتها وشعبها مما هو معروف عندهم يقال لحن فى قراءته اذا طرب وللحن معان منها هذا والايماء والرمز وان اشتهر فى خطأ الاعراب والمراد به هنا ترجيع الاصوات للطرب والغناء تحسينا للقراءة والشعر وفى الحديث (اقرؤا القرآن بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكتابين) يعنى اليهود والنصارى يقرؤن كتبهم بنحو من ذلك وهكذا يفعل اهل مصر فى قراءتهم فى مجامع الناس المعروفة بالجوق وهى مما حرمه الفقهاء وشددوا النكير على فاعله وهو لاينافى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ليس منا من لم يتغن بالقرآن على احد المعنيين) فان المراد به الحان العرب المذكورة من غير تمطيط وتغير كما فصل فى ادب القارئ (وطرقا) جمع طريق وهى ماتجرى على قانون الموسيقى وضروبها الموروثة (يستحلون) اى يطلبون وجودها وتحلو بهالهم ولمن يسمعهم (بتلك اللحون) والنغمات (نشيطهم) اى وجود نشاطهم وطربهم (على قراءتها) اى على تطويل قراءتها وزيادتها اوعلى ان تقرأها غيرهم كقراءتهم ان اريد باللحون يعنى القارى نفسه ويحتمل ان يريد بما احدثوه مايكون مع القارى من آلات الطرب كالمزامير وماتسمى ارغونين او تار كثيرة تضرب مع القراءة وبانضمام بعضها ببعض حتى كان القارى على نغماته على قرين الآية * على على عوده ابغامه * وتراه يترك اذنه ان قصرا * (ولهذا) اى لما اختص به القرآن من عدم ملال قارئه ومايعده (وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن) فى حديث رواه الترمذى عن على كرم الله وجهه بدون قوله الآتى هوالذى لم تنته الجن الخ (بانه لايخلق) بفتح الياء وضم اللام اى لايبلى ولاتتغير حالاته بمرور الزمان ونحوه بفتحها وضم اوله وكسر ثالثه من اخلق بمعنى خلق لانه ورد متعديا ولازما ملازمه مثلثه بمعنى واحد (على كثرة الرد) بمعنى مع والرد كالترديد بمعنى كثرة التكرار فى قراءته ورده وردده بمعنى كرره وكثرة التكرار فى العادة تورث ونهى ماكرر كما قيل اذا تكرر لسانا كما قيل

اما ترى الحبل بتكراره * فى الصخرة الصماء قد اثرا

ووجه استعارته مكنيه وتخييليه باشبهها برد ثوب بالبس ليتجمل به والمراد به اما الملال

منه فهو بمعنى ماتقدم من ان قارئه لايمله وكل مكرر يمل ولاتتغير تحريف ونسخ ولاينسى وقد ورد ان بعضهم كرر آية واحدة طول ليله (ولاتنقضي عبره) بكسر العين المهملة وفتح الباء الموحدة جمع عبرة بسكونها والمراد بها عجائبه او مواعظه التي يعمل بها ويعتبر وهو عبارة عن كثرتها وبقائها والثاني اولى لئلا يتكرر مع قوله (ولا تفنى عجائبه) اي لاكثرتها لاحد وتنتهي جمع عجيبة وهي مايتعجب منه فكلما اعدت النظر فيها ظهر لك ماهو اغرب واعجب مما عرفته اولا (هو الفصل) اي الحد الفاصل بين الحق والباطل يقال كلام فصل اي حق مبين محكم او المفصول المتميز عن غيره فهو فعل بمعنى فاعل او مفعول (ليس بالهزل) كما قال تعالى (وماهو بالهزل) اي ليس فيه لعب ولا كلام سخيف وهو في الاصل من الهزال ضد السمن فهو كله سمين لاغث فيه لما فيه من الاوامر والنواهي التي بها نجاة سامعها (لاتشبع منه العلماء) اي لاتستغني عنه ولا تزال تستنبط منه معاني وفوائد في كل حين وفي الحديث (منهومان لايشبعان طالب علم وطالب دنيا) فشبهه بمأكول به قوام حياته الا ان كل مأكول يشبع آكله اذا امتلأ منه جوفه وهذا مخالف لذلك ففيه استعارة بمعنية او مكنية وتخييلية فوائده فوائده ممدودة والوان لذائذه غير مقطوعة ولا ممنوعة (ولا تزيغ به الاهواء) بفتح المثناة الفوقية وزاء وغين معجمتين بينهما تحتية ساكنة من زاغ اذا مال وعدل عن منهجه والاهواء بالمد جمع هوى وهو ما تهواه وتشتهيه الانفس من الضلال اي لايضل من اتبعه ويميل الى هوى نفسه الامارة (ولا تلتبس به الالسنة) جمع لسان وهو الجارحة المعروفة شاع في الكلام واللغات فالمعنى انه لايشتبه غيره من الكلام فلا يمكن احد الاتيان به وادخاله فيه لان اسلوبه ونظمه لايشبه غيره فالمراد انه لايمكن ان يدس فيه دسيسة وقيل المعنى انه لايعسر قراءته على المؤمنين وهو بعيد لانه اوفعال من اللبس وهو الاشتباه وقوله (هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا) اصل معنى انتهى بلغ النهاية وهي آخر الشيء وغايته وتكون بمعنى كف وترك وهذا هو المراد هنا اي لم تكف الجن عن هذه المقالة ومن لم يترك شيئا بادر اليه واولع به ولذا قيل معناه لم يلبثوا وان مصدرية بفتح الهمزة ومحله نصب او جر بتقدير عن وماقيل انه في معنى العلة اي لم ينتهوا عن القول من اجل قولهم لقومهم اذا رجعوا اليهم فيه خلط وخبط (انا سمعنا قرآنا عجبا) اي عجيبا في بلاغته وعلو رتبته وبركته وعزته (يهدي الى الرشد) اي يدل على الصواب من الايمان والتوحيد وهو سبب لفراسة اذ تمكنوا منه مع معرفتهم بالفصاحة لم يفهموه وهؤلاء الجن تجرد سماعهم من غير توقف آمنوا به وقال البرهان كانوا تسعة ساطر وماصر ومنشى وماسى والاحقب وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد

فى مناقب عمر بن عبد العزيز قال بينما هو يمشى بفلاة اذا هو بحية ميتة فكفنها
بفضل ردائه ودفنها فاذا قائل يقول ياسرق اشهد بالله لقد سمعت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (ستموت بارض فلاة وبدفنك رجل صالح) فقال
عمر رضى الله عنه من انت رحمك الله قال رجل من الجن الذين سمعوا القرآن
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبق منهم الا انا وسرق وهذا سرق
قدمات وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه كان فى نفر من اصحاب رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يمشون فرفع لهم اعصار عظيم ثم انقشع فاذا حية قتيل
فعمد رجل منا الى ردائه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل اذا امرأتان
تسألان ايكم دفن عمرو بن جابر فقلنا ماندرى من عمرو فقالتا ان كنتم ابتغيتم الاجر
فقد وجدتموه ان فسقة الجن اقتتلوا مع مؤمنيهم فقتل عمرو وهو الحية التى رأيتموها
وهو ممن استمع القرآن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الذهبى الذى
دفنه بالعرج صفوان بن المعطل وهو من الصحابه وسماه عمرو بن طارق ومن لقى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا منهم عد من الصحابة والاعراض
بانه ينبغى ان يعد منهم الملائكة ايضا كجبريل وميكائيل ورده الذهبى بانه ارسل اليهم
ولم يرسل للملائكة وبيانه يحتاج لتفصيل ليس هذا محله ومشى شيخنا الرملى
على مقتضى كلام الذهبى تبعا لوالده والمعتمد خلافه وارساله صلى الله
تعالى عليه وسلم عام لكل الخلق حتى الملائكة وهؤلاء من جن نصيبين بلدة بالجزيرة
لا باليمن كما قيل والكلام على الجن مبسوط فى كتاب لقط المرجان فى احكام
الجان وسيأتى شأنه فى الكلام على نطق السحر (ومنها) اى من وجوه الاعجاز
التى ذكرها بعضهم (جمعه لعلوم ومعارف) اى علوم كائنة كانت فى الامم السالفة
كعلم النجوم ودقائقه وعلم الطب كما فى قوله (لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر وقوله
(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) والمعارف الجزئية كالاخبار عن قصة يوسف عليه
الصلوة والسلام وبعض اهلها مما لا يعرفه الا من شاهدها ومن ذلك ماقيل ان قوله
تعالى (الى ظل ذى ثلاث شعب) انه اشارة الى شكل المثلث وبعض احكامه المذكوره
فى الهندسة وفيه اشارة الى انه لا يفهم تفسيره الا من اطلع من جميع العلوم
(لم تعهد العرب) بالبناء للمفعول اى لم تعرف فى عهدها وزمانها (عامة) اى
جميع العرب وعامة منصوب على الحال لافادة العموم بل كافة وطرا (ولا محمد
صلى الله عليه وسلم قبل نبوته) نزول الوحى بها عادة (خاصة) اى لم يعرفه صلى الله
تعالى عليه وسلم بخصوصه علم بها ولا بالعلم بها بعدها حتى اطلعه الله تعالى على
علوم الاولين والآخرين (عبرتها) معانى يعهد والضمير للعلوم والمعارف

(ولا اله لم ايها) ومداومه دعا ه (ولا يحط بها احد من علماء الامم) اى لم يحط علم احد من علماء السلف كالحكماء والاحبار من اهل الكتاب بشئ منها (ولا اشتمل عليها كتاب من كتبهم) اى لم يدون فيه حتى يقال انه احد عليه منها وفسر ماذكره بقوله (فجمع فيه من بيان علم الشرائع) جمع مبنى للمجهول اى جمع الله تعالى فى كلامه ماذكر والشرائع جمع شريعة وهى والملة والدين بمعنى محمد الصادق ... المفهوم وهى وضع الهى سائق الى مافيه الخير فى الدارين ... من ... وهى موردة الماء اذا الطريق الواسع كالشارع (والتنبيه على طرق الحجج العقليات) ى تنبيه الناس وارشادهم الى نصب الادلة العقليه وكيفية الزام الخصم بها كما فى قصة ابراهيم عليه الصلوة والسلام ونظره للكواكب لاقامة الحجة على وجود الصانع وكما فى قوله (لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وغيره مما لا يحصى كما أن ... (والرد على فرق الامم) الضالة ممن عبد الكواكب وغيرهم (ببراهين قوية) محكمة الالزام جارية على قانون المناظرة والجدل وآداب البحث (وادلة بينة) ظاهرة (سهلة الالفاظ) مفهمها كل من سمعها * يكاد من عذوبة الالفاظ * ... كاس (موجزة المقاصد) فالالفاظها الا ال على معانيها المفهمة الكثيرة ... وبها احصار خل ولا اعاره معاده (رام المتحذلق بعد) بالنا على الاسم اى بعد الوقوف عليها والمتحذلق المتكلف ... اسم الفاعل بحاء مهملة ودال ... ولام ... وهو مدعى الحذق وهو ... الفهم اى قصد مدعى الحذق فى العلم ... اهل يقال حذاق اذا اظهر الحذق وادعى اكثر مما عنده ... فهو ماخوذ من الحذق ولامه زائده (ان ينصبوا امثالها) ... الدليل واقامه ... ذكره فى مقام الاحتجاج (فلم يقدروا عليها) اى لم يكن لهم قدرة على الاتيان بدليل ... (كقوله اوليس الذى خلق السموات والارض) رد على منكرى البعث والمعاد اى من قدر على اختراع مثل هذه الاجرام العظيمة من العدم (بقادر على ان يخلق مثلهم بلى) اى مثل هذه الاجسام الحقيرة الصغيرة وبعدها وهو اهون عليه كما قال تعالى (لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس) وهذه حجة ظاهرة (و) قوله (قل يحييها الذى انشأها اول مرة) اى من اوجدها من عدم محض قادر على اعادتها واحيائها بطريق الاولى وفى هذا ايضا حجة باهرة (و) ... قوله (لوكان فيهما) اى فى السماء والارض (آلهة الا الله لفسدتا) فلو تعددت الآلهة ... نظام العالم وبطل وهذا برهان قوى وظنى والناس افهامنا كما فى شرح العقائد ويسمى برهان التمانع وفى بيانه واعتراضاته كلام مفصل لا يسعه هذا المقام وقد افرده بالتأليف جماعة المحققين ... الدين اللارى ... من الفلاسفة ما احاط

يسبق المقلد فان لكل مقام مقالا (الى ما حواه) اى مجموع ما ذكر من البراهين الى ما اشتمل القرآن عليه (من علوم السير) جمع سيرة وهى الطريقة والاخلاق الحميدة وتخص فى العرف بالغزوات واخبار الجهاد ولكل وجهة هنا (وانباء الامم) اى اخبار من مضى منهم (والمواعظ والحكم) اى امور الترغيب والترهيب وجوامع الكلم المحكمة المرشدة لتكميل النفوس بالملكات الفاضلة (واخبار الدار الآخرة) من الجنة والنار والحشر واهوال الموقف وغير ذلك (ومحاسن الآداب) جمع ادب وهو الاوصاف المحمودة التى يشرف صاحبها (والشيم) بشين معجمة ومثناة تحتية ويقصر ايضا بزنة عنب جمع شيمة وهى الطبيعة واهل مصر تستعملها بمعنى دارات الماء كقول القيراطى رحمه الله تعالى

لك يا نيل مصرنا * كرم احتمل الديم
انت فينا حقيقة * طاهر الوصف والشيم

وهى لغة عامية لا اصل لها (قال الله جل اسمه ما فرطنا فى الكتاب من شىء) اى لم نترك شيئا يحتاج اليه الا بيناه فى القرآن بناء على ان المراد بالكتاب القرآن لا اللوح المحفوظ كما قيل والتفريط الترك المخل ضد الافراط وهو يتعدى بفى من غير تضمين معنى اغفلنا كما توهم والمعنى انه مشتمل على جميع ما يحتاج اليه اجمالا تصريحا او تلويحا كما بينه المفسرون ومن زائدة بعد النفى فى المفعول الذى تعدى اليه بتضمين ترك ونحوه ثم اردفه بآية تؤيد ان المراد بالكتاب القرآن فقال (ونزلنا عليك) يا محمد (الكتاب تبيانا لكل شىء) اى بيانا لكل شىء يحتاج اليه وهو بكسر التاء مصدر على خلاف القياس بمعنى بين ولا ثانى له غير تلقاء على كلام فيه (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) ضرب المثل معلوم اى آتينا لكل امر مهم مثالا توضيحا لما فى ضرب الامثال من الفوائد المهمة (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الترمذى عن على رضى الله تعالى عنه تقدم بعضه واورد بقيته هنا مع زيادة فيه (ان الله انزل القرآن) من اللوح المحفوظ منجما بحسب المصالح وانزل ونزل يستعمل كل منهما بمعنى الآخر فاذا جمع بينهما او قامت قرينة اريد بالانزال الدفعى وبالتنزيل التدريجى كما فصلوه (آمرا) بالمد حال من الفاعل او المفعول على الاسناد المجازى (وزاجرا) اى مانعا وكافا او ناهيا والزجر الطرد بصوت ثم يستعمل تارة فى الطرد وتارة فى الصوت كما قاله الراغب (وسنة خالية) اى طريقة منه مستمرة لمن كان قبلكم من الامم من خلا بمعنى ذهب ومضى ويكون بمعنى تفرغ (ومثلا مضروبا) جعله عين المثل مبالغة لكثرة اشتماله على الامثال كغيره من الكتب الالهية وهى تقرير لما يراد تنزيل المعقول منزلة المحسوس قال البيضاوى ولامر ما اكثر الله والانبياء والحكماء فى كلامهم من الامثال وقوله (وفيه نبؤكم) بالرفع كالمعطوف عليه ان كان نائب فاعل مضروبا فهو بتقدير مضاف

اى مثل ساتكم وان كان مبتدأ فله خبر معدم والجملة حالية وتعبير الاسلوب يحتمل الكناية
فكأنها الاشارة الى انها حال اخرى غير مختصة بالقرآن كالتى قبلها والنبأ الخبر عن امر
عظيم والخطاب للامة وقيل للصحابة رضوان الله تعالى عليهم (وخبر ما كان قبلكم)
عبر بالخبر تفننا واشارة لشرف هذه الامة وما شامل لمن يعقل تغليبا للاكثر او لصفات
من يعقل كقوله تعالى (وما ملكت ايمانكم) (ونبأ ما بعدكم) اى ما بعد النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم وصحابه رضى الله تعالى عنهم او لما تقع بعدهم من الفتن واشراط الساعة
وغير ذلك الى يوم القيامة (وحكم ما بينكم) اى بيان للاحكام فيما تقع وتحدث بينكم
معاشر هذه الامة المحمدية وهو بضم الحاء المهملة وسكون الكاف (لا تخلقه طول
الرد) تقدم معناه وانه بضم اوله وفتحه من الثلاثى والمزيد اى لا تبليه وتفنيه تكرار
تلاوته (ولا تنقضى عجائبه هو الحق ليس بالهزل) تقدم تفسيره (من قال به صدق)
اى من اخبار بما فيه وحكم به فهو اى ناطق صادق لاريب فيه وفى القاموس قال به
غلب وبه فسر سبحان من تعطف بالعز وقال به وهذا لا يناسب قوله صدق (ومن حكم به
عدل) اى قضى بما فيه من الاحكام فهو عادل فانه حكم الله وما ربك بظلام
للعبيد (ومن خاصم به) اى خاصم بحججه وادلة مأخوذة منه (فلج) اى غلب وفاز
بالنصر على من خاصمه وهو بفتح الفاء واللام وبجيم يقال فلج اذا فاز وظفر بالغاية (ومن
قسم به قسط) قسم بفتح القاف والسين المخففة اى من تولى قسمة امر تقسيمها على كتاب الله
كقسمة المواريث والغنائم وغيرها عدل يقال قسط اذا جار واقسط بالهمزة اذا عدل
فهو مقسط فالهمزة للسلب كاشكيته اذا ازلت شكايته وهو مأخوذ من القسط
وهو الميزان كالقسطاس وفى الحديث (ان الله يخفض القسط ويرفعه) وهو عدل
ويقال قسط اذا عدل ايضا فهو من الاضداد (ومن عمل به اجر) بالبناء للمفعول
اى جاز الاجر والثواب الجزيل (ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم) هو كقوله
تعالى (فقد استمسك بالعروة الوثقى) فيه استعارة مكنية وتخييلية حيث نزل المعقول
منزلة المحسوس لايصاله لمن اقتدى به الى الطريق الحق وهو الصراط المستقيم
الذى لا عوج فيه ولا ضلالة (ومن طلب الهدى من غيره) كعمل واقوال غيره
(اضله الله) اى جعله سببا ضالا لعدوله عن الطريق الحق (ومن حكم) بحكم
(غيره قصمه الله) اى اهلكه واهانه هلاكا شديدا واصل معنى القصم القطع بابانة
وانفصال فاستعير لما ذكر ويجوز فى هذه الجملة ان تكون خبرية ودعائية انشائية
(هو الذكر الحكيم) الذى يعنى القرآن والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها او سمى
باسم قائله اى الحكيم قائله فعيل بمعنى فاعل اى الذى يحكم الاشياء ويتقنها او الحاكم
لهم وعليهم او المحكم الذى لا اختلاف فيه (والنور المبين) الواضح البين الذى يهدى

بانواره العقول الى الخروج من ظلمة الجهل والضلالة (والصراط المستقيم) اى الموصل الى السعادة الابدية فيصل الناس به ومنه الى المقصد الاسنى كما يصل من الطريق الى ما تريد من الدار ومنازلها (وحبل الله المتين) اى عهده وامانه الذى يؤمن العذاب وكل مايكره ويشق على النفس ويتوصل به الى مايحبه ويوصله لمطالبه والمتين بمعنى القوى المحكم يقال متن اذا صلب (والشفاء النافع) اما ان يراد بالشفاء ظاهره لانه يسترقى به فيشفى من بعض الامراض او يراد به مطلق النفع على طريق المجاز كالمس مر اوعلى طريقة الاستعارة بان يشبه الجهل بالداء ويجعل مايزيله كالدواء والعلاج النافع الذى لاسقم بعده لنفعه فى الدنيا والآخرة (عصمة لمن تمسك به) بكسر العين وسكون الصاد المهملتين فعلة من العصم وهو الامساك والاعتصام التمسك ونحوه صح عينه ايضا والاكثر الافصح الكسر وتجئ العصمة بمعنى السوار ومنه المعصم لانه محلها والمراد انه حام ومانع لمن اتبعه وعمل به عن ارتكاب الفاحشة والزلل (ونجاة لمن اتبعه) اى مخلص له ومخلص مما يخشاه (لايعوج) بفتح اوله وتشديد جيمه ورفعه اى ليس فيه خلل لفظا ولا معنى كما قال تعالى ﴿ولم يجعل له عوجا﴾ والعوج بفتحتين الميل والانعطاف المدرك بالبصر وبكسر اوله مايدرك بالبصيرة (فيقوم) بالنصب فى جواب النفى اى لايحتاج الى تقويم يزيل عوجه فليس كسائر الكلام المحتاج للاصلاح (ولا يزيغ) بمعجمتين بوزن يصير اى لايميل عن الحق والصواب (فيستعتب) بالنصب اى لا يستحق العتاب واللوم لعدم خروجه عن الاستقامة والعتب مخاطبة ادلال وموجدة ففيه استعارة مكنية وتخييلية وفى رواية الترمذى ولا تزيغ به الاهواء اى عنه (ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد) تقدم بيانه (ونحوه) اى نحو هذا الحديث المروى عن على كرم الله وجهه مارواه الحاكم (عن ابن مسعود وقال) اى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (فيه ولايختلف) اى لايقع فيه مايخالف بعضه بعضا مع طوله وبعد عهده ولوكان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (ولايتشان) بفتح التاء التحتية والتاء الفوقية والشين المعجمة والف بعدها نون مشدده تفاعل من الشن وهى القربة البالية فهو مستعار للابلاد والافناء بمعنى قوله فى الرواية الاخرى لايخلق على كثرة الرد وفى روايه لايتفه ولايتشان والتفه الحقارة وسوء الطعم كذا هو فى اكثر الروايات وصححوه وفى نسخه ولا يتساناً بياء تحتيه مفتوحة اومضمومه وتاء فوقية مفتوحة وسين معجمه والف بعدها نون وهمزه من الشنء وهو البغض والعداوة فاستعير لاتفاق الكلمات وعدم تنافيها حتى كان بينها عداوة اوتخالف معانيه فهو كقوله ولايختلف معنى وهو معنى ظاهر مكشوف فماقيل الصواب هو الاول ان ارادوا لحسب

الرواية فسلم وان ارادوا بحسب الدراية فلا وجه له (فيه نبأ الاولين والآخرين)
تقدم بيانه عاتمي عن اعادته (وفي الحديث) الذي رواه ابن الضريس في فضائل القرآن
عن كعب الاحبار انه قال في التورية انزلت على محمد فذكره واخرج ابن ابي شيبة
في المصنف عن مغيث بن سمي مرسلا انزلت على توريه الخ (قال الله عز وجل
لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم اني منزل عليك تورية) اي كتابا سماويا شبهها
بالتورية لكثرة ما اشتمل عليه من الاحكام والمواعظ والوعد والوعيد والامثال والحكم
والعقائد اليقينية فاطلاق التورية عليه استعارة تصريحية او مجازا مرسلا او
حقيقة ان قلنا انه عبراني معناه كتاب وانما عبر به لشهرته وعظم شانه فانه اجل
كتاب نزل قبل القرآن ولشهرته بين اليهود من اهل الكتاب الذين هم اقرب اليه
وهو حديث قدسي نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الوحي او في ابتداء امره
(حديثة) اي قريبة عهد بالنزول وهو كقوله (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث فلا)
دليل فيه لمن يقول بحدوث القرآن ولما كان كلام الله تعالى يسمى نورا وشفاء قال
(تفتح بها اعينا عميا) اي ترشد بها من كان في ضلالة كالاعمى لعدم اهتدائه للحق
(وآذانا صما) اي وتسمع بها آذانا لا تسمع الحق وقبله (وقلوبا غلفا) لا تصل
اليها ما يهديها الى السعادة كأنها في غلاف وغشاء مانع عن وصول الحق اليها
وعن الفهم وقد تقدم بيانه فسمى ازالة المانع مطابقا فتحا او هو من قبيل قوله
متقلدا سيفا ورمحا (فيها) اي في التورية يعني القرآن (ينابيع العلم) جمع ينبوع
وهي العين التي ينبع منها الماء الجاري فشبه العلم النافع بالماء الذي تحيى به النفوس
على طريق الاستعارة المكنية واثبت له الينبوع على طريق التخييل (وفهم الحكمة)
اي ما تفهم الحكم وهي المواعظ وكل كلام محكم اي محل الفهم كأنه فيها منبعه
لكونها ينبوعه ومعدنه (وربيع القلوب) الربيع يكون بمعنى الخصب والمطر اي
فيها ما تحيي به القلوب وتنموا وتخصب وتفرح وتسرح وتسره وتفرح ففيه
استعارة لطيفة (وعن كعب) ابن مانع المعروف بكعب الاحبار كما تقدم (عليكم
بالقرآن) اسم فعل بمعنى الزموا وتمسكوا فقال عليك كذا وبكذا فالمراد ملازمة تلاوته
وتدبر معانيه (فانه فهم العقول) اي مفهم للعقول ما يخفى عليها فهو مصدر بمعنى
اسم فاعل مبالغة لا بمعنى مفعول كالنسج بمعنى منسوج فانه ركيك كما زعمه قوله
بعده هذا بيان للناس (ونور الحكمة) اي منورها او هو كالعين الماء اي فيه حكم
تشرق نورها وتلألأ وضوحا وتهدى بها (وقال الله تعالى ان هذا القرآن يقص
على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون) يعني انه بين فيه لاهل الكتاب
ما اشتبه عليهم واختلفوا فيه مما لم يعرفوه من كتابهم ففيه اشارة الى ان القرآن اجمع

للاحكام من غيره من الكتب المنزلة قبله واوضح (وقال) تعالى (هذا بيان للناس وهدى الآية) اى لجميع الناس (من اهل الكتاب) وغيرهم وموعظة للمتقين والآيتان مما يؤيد ماقاله كعب ثم وضح ماقاله وفسره بقوله (فجمع فيه) اى فى القرآن (مع وجازة الفاظه) اى اختصارها وقلة الفاظه مع كثرة معانيه (وجوامع كلمه) معنى جوامع الكلم انها الكلام الجامع للمعانى الجمة فى الفاظ قليلة واضحة وتطلق على القرآن كما فى حديث اوتيت جوامع الكلم (اضعاف مافى الكتب قبله) مفعول جمع اى جمع ما يزيد على سائر الكتب مثله اومثليه (التى الفاظها على الضعف منه مرات) اى مع زيادة الفاظها عليه بامثاله جمع من المعانى مايزيد على امثاله معانيه وضعف الشيء يكون بمعنى مثله وامثاله والضعف الزيادة مطلقا وفيه كلام لاهل اللغة ليس هذا محله (ومنها) اى من وجوه الاعجاز التى ذكروها (جمعه فيه) اى جمع الله فى القرآن (بين الدليل والمدلول) الدليل هوالدال المرشد اى مايمكن التوصل بالنظر فيه الى مطلوب خبرى والمدلول هو المطلوب بالدليل هنا وان كان بمعنى المعنى مطلقا ثم بين معنى الجمع المذكور بقوله (وذلك) اى الجمع بينهما (انه احتج) بالبناء للمجهول فهو بضم اوله وبالبناء اى ان الله اقام فيه الحجة على ما اراد اثباته والالزام به لمن اقيمت عليه الحجة (بنظم القرآن) اى بنظامه البديع المعجز (وحسن رصفه) براء وصاد مهملتين وفاء لابواو كما فى بعض النسخ وهو من رصف البناء وهو وضع بعضه الى بعض فالمراد حسن نظمه وتآلفه كما تؤلف البناء شيئا بعد شيء حتى تم وتكمل فى غاية الاحكام وضمير انه لله او للقرآن (وايجازه وبلاغته) وفى نسخة اعجازه اى كونه فى اعلى طبقات البلاغة المعجزة لكل بليغ (واثناء هذه البلاغة) بالنصب على الظرفية خبر مقدم اى فى خلالها واثناء بالمد على وزن افعال جمع ثنا بالضم والقصر وهو ما انثنى ودخل بعضه فى بعض كما اشار اليه ابن هشام اللخمى فى شرح الدريدية كامر وهذا هو الدليل السابق ذكره ثم ذكر المدلول فقال (امره ونهيه ووعده ووعيده) وغير ذلك من المقاصد العظيمة التى ارادها الله تعالى (فالتالى له) اى القارئ يفهم وتدبر لمعانيه (يفهم موضع الحجة والتكليف) بالجر والنصب (من كلام واحد وسورة منفردة) عن غيرها مماهو حجة او محتج عليه يعنى ان كل مقدار معجز منه دال على مقصد من مقاصده يكون دالا على مطلوب ومدعى وعبارته الدالة عليه برهان مصدق له لاعجازها وقيل المعنى انه وقع فيه الجمع المذكور كما فى قوله فى سورة الواقعة لما حكى كلام منكرى المعاد وهو أئذا متنا الخ عقبه بما قطع عرق شبههم بقوله (افرأيتم ماتمنون الى آخره) وقيل انه كقوله (فلا تقل لهما اف) انه حجة لتحريم التأفيف وكلف بالاخبار به وقوله (فصل لربك

"والحر) حجة لوجوب الصلوة والاضحية وانه مكلف بهما وهذا كلام لا يحصل له ويحتاج للتحرير (ومنها) اي من وجوه الاعجاز (ان جعله في حيز) يقال تحيز وتحوز تفعيل وهذه المادة معناها في كلام العرب يتضمن العدول من جهة اخرى من الحيز وهو فناء الدار ومرافقها ثم قيل لكل ناحية فالمستقر في موضعه كالجبل لا يقال له متحيز ويراد بالمتحيز عند غير العرب ما يحيط به حيز موجود وهو اعم من هذا والمتكلمون يريدون به اعم من هذا وهو كل ما اشير اليه سواء كان له حيز اولا فالعالم كله متحيز كما قاله ابن تيمية (المنظوم الذي لم يعهد) اي المؤلف الواقع على طريقة لا يشابه شيئا من كلامهم المنظوم لا شعرا ولا خطبة ولا رسالة مع كونه واضح الدلالة بلسانهم وهذا انما يعرفه من له معرفة بكلام العرب نظمه ونثره وسجعه كما بينه في كتاب الابانة ثم قال * فان قلت وما هذه المباينة العظيمة التي بين القرآن وبين سائر كلام العرب وجميع المنظوم والاوزان حتى صار لاجلها معجزا باهرا * قلت هي ما في القرآن من البلاغة التي لا يقدر اشد اهل البلاغة والمتبين تقدما في البيان ان يأتي بمثلها او ما يقاربها (ولم يكن في حيز المنثور) اي لم يشبه اقسام منثورهم من السجع الملتزم فيه حروف كحروف روي الشعر ولا خطابه لمقاطع فصول الخطب ومواضع استراحاتها لا لاشتماله على الفواصل كما توهم (لان المنظوم اسهل على النفوس) اي الكلام المتسق نظمه وتأليفه على نهج واحد والمفصل علىه المأثور بالمعنى السابق (واوعى للقلوب) جمع قلب اي ادخل في وعائه وهو القوة الحافظة له وفي الحديث بعد ذكر الانبياء الذين رآهم في السماء اوعيت منهم اي ادخلته في وعاء ذاتي فهو اسم تفضيل من المبني للفاعل على القياس واللام داخلة على الفاعل كانه قيل هو اوعى لي ولا قلب فيه والصواب والقلوب اوعى له كما توهم (واسمع في الآذان) بسين وجيم مهملتين اي اسهل مستعار من السماحة وليس من اسمع المزيد كما قيل وليس ايضا بخاء معجمة من السخاء وهو العطاء اي منقد الاذن كما توهم (واحلى على الافهام) اي تستعذبه الذوق السليم فيجد له لذة وحلاوة (فالناس اليه امثل) اي اكثر ميلا ومحبة كما قال البحتري * فاني الي قوم بهم اكثر لا امثل * (والاهواء اليه اسرع) جمع هوى وهو ميل النفس واتجاهها اي ميل القلوب نحوه اشد من ميلها لغيره (ومنها) اي من وجوه الاعجاز (تيسيره تعالى حفظه لمتعلمه) اي من يريد تعلمه (وتقريبه على متحفظه) اي تسهيل حفظه لمن يريده (قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر) في الكشاف معنى الآية سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد وقيل معناها سهلناه للحفظ واعنا من اراد حفظه ويجوز ان يكون معنى يسرناه هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه كما قال

وقمت اليهــا بالحام ميسرا * هنالك تجرى الدى كنت اصنع
وعلى الوجه الثانى فى المصنف استشهاده بالآية (وسائر الامم) اى قبل هذه
الامة من اهل الكتابين وغيرهم (لا يحفظ كتبها الواحد منهم) اى لا يوجد فيها
واحد يحفظ كتابهم المنزل على انبيائهم الا نادرا وروى عن ابن جبير ان بنى اسرائيل
لم يكن فيهم من يحفظ التوراة وكانوا لا يقرؤنها الا نظروا فى صحفهــا غير موسى
وهارون ويوشع بن نون وعزير فقيل انها وضعهاالله تعالى وقيل انهــا حرفت
لخطاء عزير وبلاهــا عليهم كما انزلت من حفظه فافتتنوابه وقالوا انه ابن الله وقد
من الله تعــالى على هذه الامة بان يسر عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة
لا يحصى الى الآن (فكيف الجماء) منهم اى فاذا لم يتيسر ذلك لواحد منهم الا نادرا
كيف يتيسر للكثير والجماء بفتح الميم المشــددة والمد بعد جيم مفتوحة من الجموم
وهو الاجتماع والكثرة التى لا تعد وفى بعض النسخ فكيف الجم بدون مد وكلاهما صحيح
رواية ودراية وفى الاساس عدد جم وجمك وجما جما وجاؤا جما غفيرا والجماء الغفير
اى قوى من جمة الشعر وماقيل من ان الصواب الجم لانه لا يتلفظ بالجماء الا موصوفا نحو
جاؤا الجماء الغفير لا اصل له وذلك انما هو اذا كان منصوبا كما ذكره اهل العربية (على
مرور السنين عليهم) اى مع طول اعمارهم وامتداد ازمنتهم لم يتيسر لهم حفظ كتبهم
(والقرآن ميسر حفظه للغلمان) اى لغلمان هذه الامة واطفالهم فى مكتبهم (فى اقرب
مدة) اى فى زمن قليل كسنة ونحوها كما شاهدناه وغلمان بكسر الغين المعجمة وهو من حين
يولد الى ان يشب (ومنها) اى من وجوه الاعجاز عند بعضهم (مشاكلة بعض اجزائه
بعضا) اى مشابهة بعضه لبعض قال الراغب المشــاكلة فى الهيئة والصورة والند
فى الجنسية والشبه فى الكيف والشكل الدل وهو فى الحقيقة الانس الذى بين المتماثلين
فى الطريقة ومن هذا قيل الناس اشكال وآلاف واصل المشاكلة من الشكل اى
تقييد الدابة بالشكال ومنه شكل الكتاب (وحسن ائتلاف انواعها) اى مناسبة انواع
تلك الاجزاء وكون كلماته متناسبة وجمله المركبة ائتلفت بينها الفة وحسن مناسبة
تامة (والتئام اقسامها) لتمره وتجور ابدالها بإء ائتلافا اى توافقها والتئام كل قسم
الى مشاكله (وحسن التخلص من قصة الى اخرى) وهو ان يوافق مطلع السابقة
مبادئ اللاحقة حتى تصير كالقصة الواحدة (والخروج من باب الى غيره) اى الانتقال
من نوع من الكلام الى نوع آخر وفى ذكر الخروج مع الباب لطف ظاهر (على اختلاف
معانيــه) الضمير للقرآن وعلى بمعنى مع اى تراه مع اختلاف مقاصده لا يخرج
عن المناسبة التامة فى جمله وتناصه وهذا يعلم من كتاب المناسبات وقد صنف فيه
كتب اجلها مناسبات البقاعى وحسن التخلص مما اعتنى به البلغاء والشعراء كقوله

يقول فى فرس يحيى وقد احدث * من السرى وخطى المهرية القود
امطلع الشمس تبغى ان تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود

والانتقال من غير مناسبة يسمى اقتضابا (وانقسام السورة الواحدة على امر ونهى وخبر واستخبار) اى استفهام وهو احد اقسام الانشاء المقابل للخبر وعدى الانقسام بعلى والمعروف تعديته بالى الى اقسامه وانما تتعدى بعلى لمن يعطى تلك الاقسام فتقول النقد ينقسم الى دراهم ودنانير وتقول قسمته على الفقراء والمساكين فاذا استعمل احدهما فى مكان الآخر واراد الكلام كان تجوزا آلة وهى هنا جعل المقسم الكلى كانه امر خارج قسم على افراده او انواعه فال كلاحصة منه لوجوده فى ضمنه فلا يحسن ذلك فى كل محل ولا من كل قائل (ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد) كقوله وما كنت ثاويا فى اهل مدين اذ قضينا الى موسى الامر وقوله انما الله اله واحد (وتقرير(٢)) اى لبعض ما شرع اولا (وترغيب وترهيب) بوعد من اتقى بالنعيم المخلد وان من كفر فى سواء الجحيم مصحاما ذكر (الى غير ذلك من فوائده) كضرب الامثال وذكر القصص للعبرة بها (دون خلل) اى امر يخل به وينقصه (يخالل فصوله) اى يكون فى اثناء فصوله والفصل عبارة عن جملة من الكلام منفصلة وقيل انه بمعنى الفاصلة وهى الكلمة مما يضاهى السجع (والكلام الفصيح) من كلام البشر (اذا اعوزه) اى ورد عليه وطرأ وتداوله (مثل هذا) اى بعض انواعا من المقاصد كوعد ووعيد وعبرة وتخالل فصوله التى ينشئها المتكلم الفصيح (ضعفت قوته) لانه بكل خاطر قائله تتعدد انواع المقاصد وينزل عن مرتبتها التى سامها فى اوله (ولانت جزالته) اى صلابته وشدته تتملك لضدها (وقل رونقه) اى صفاؤه ونضارته (وتقلقلت الفاظه) اى اضطربت والقلقلة فى الاصل الحركة بعنف ويقال تقلقل فى البلاد اذا طال سفره فاستعير لما ورد الكلام الطويل (وأمل) اى تدبر واطل النظر والفكر (اول) سورة (ص) والقرآن ذى الذكر الى آخره (وما جمع فيها) بالبناء للفاعل او المفعول وانت ضمير اول لانه بمعنى الفاتحة او لاكتسابه التأنيث مما اضيف اليه من اسم السورة (من اخبار الكفار) اى كفار قريش من تحجيهم بان جاءهم نذير منهم وقولهم انه ساحر كذاب وغيره (وشقاقهم) اى عداوتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم بقوله بل الذين كفروا فى عزة وشقاق (وتقريعهم) وتوبيخهم (باهلاك القرون من قبلهم) بقوله (كم اهلكنا قبلهم من قرن) (وما ذكر) فيها (من تكذيبهم لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فى قولهم (ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق) (وتعجبهم مما اوتى به) فى قوله أأنزل عليه الذكر من بيننا الى آخره (والخبر عن اجتماع ملئهم على الكفر) الجمهرة بمعنى الاشراف والملأ

(٢) وفى بعض النسخ ووعد ووعيد فانه ظ

جماعة الاشراف والرؤساء وذلك انه لما اسلم عمر رضي الله تعالى عنه شق عليهم اسلامه فاجتمعوا عند ابي طالب وقالوا له انت شيخنا وكبيرنا وقد رأيت مافعل هؤلاء السفهاء فاقض بيننا وبين ابن اخيك فجاء بهم له صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد هؤلاء قومك يسألونك القصد فلا تمل عليهم كل الميل فقال لهم ما تسألوني قالوا دعنا وآلهتنا وندعك والهك فقال ارأيتم ان اعطيتكم ماسألتموه اتعطوني انتم كلمة واحدة تدين لكم بها العرب والعجم قالوا نعم وعشرا قال قولوا لا اله الا الله فقالوا امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد (وماظهر من الحسد في كلامهم) اي ماظهر في كلامهم ممايدل على حسدهم له صلى الله تعالى عليه وسلم على ما آتاه الله في قولهم ءانزل عليه الذكر من بيننا ممادل على اعترافهم وتيقنهم بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان الحسد اخرس السنتهم واعمى قلوبهم (وتعجيزهم) حيث قال ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض ومابينهما فليرتقوا في الاسباب فانهم لما انكروا اختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم من بينهم بالنبوة بين لهم انها رحمة منه يصيب بها من يشاء ممن ارتضاه من عباده فلامانع لما اراد فانهم لايملكون خزائنه والتصرف فيها حتى يصرفوا النبوة في صناديدهم فان انكروا ذلك فليصعدوا الى السماء ولينزلوا الوحي لمن ارادوه وفي هذا غاية التهكم بهم واظهار عجزهم وقصورهم (وتوهينهم) اي اظهار ضعفهم ووهن كيدهم وتحقيرهم بقوله جند ماهنالك مهزوم من الاحزاب اي هؤلاء الذين كذبوك وتحزبوا عليك جند دوو احقاره لاقدرة لهم على التصرف في الامور الرياسة فلاتكترث بهم (ووعيدهم بخزي الدنيا) بهزيمتهم (والآخرة) بذوقهم العذاب فيها (وتكذيب الامم قبلهم) اي وعدهم بذكر من كذب من الامم قبلهم (واهلاك الله لهم) بقوله كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون الى قوله فحق عقاب (ووعد هؤلاء) يعني كفار قريش الذين كذبوه كما كذبت الامم رسلهم فحل بهم ماحل بهم (مثل مصابهم) منصوب بقوله وعدهم (وتصبير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على اذائهم) اي امره بالصبر بقوله (اصبر على مايقولون الى آخره) (وتسليته بكل ماتقدم ذكره) من شان ما آل اليه امرهم وان له صلى الله تعالى عليه وسلم اسوة بمن تقدمه من الرسل اسوة (ثم اخذ) اي شرع بعد تصبيره وتسليته (في ذكر داود عليه الصلوة والسلام) بقوله واذكر عبدنا داود الى آخره وقيل لما في قصته من قطع المعصية بذكر ماصدر منه من خلاف الاولى الذي صدر منه فعوتب عليه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب * فغفرنا له ذلك بغيره فهذا وجه ذكره هنا فتدبر (وقصص الانبياء) بفتح القاف وكسرها كسليمان وايوب وابراهيم واسحق ويعقوب عليهم

الصلوة والسلام بقوله (ولقد فتنا سليمان الى آخره) فذكرهم الله تعالى مثنيا عليهم (وكل هذا) المذكور في اول سورة ص مذكور (في اوجز كلام واحسن نظام) على اتم ارتباط من غير خلل يزيل رونقه ويقلل ماء فصاحته (ومنه) اي من اعجاز القرآن وفي بعض النسخ ومنها ويحتمل ان يريد مما ذكر في اول سورة ص (الجمل الكثيرة) من المعاني لقوله (التي انطوت عليها) واشتملت (الكلمات القليلة) بالنسبة لمعانيها وفي الدلالة والكثرة طباق البديع وقيل عليه ان يحصل هذا انه اعجاز وقد تقدم ذكره غير مرة فلا حاجة لاعادته وعده وجها مستقلا ولذا استدركه بقوله (وهذا كله) اي ما ذكرناه (وكثير مما ذكرنا) في هذا الفصل من اوله الى هنا (انه ذكر في اعجاز القرآن) مضافا (الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اذ اكثرها داخل في باب بلاغته) اشار بقوله اكثرها الى ان منها ما لا يدخل في البلاغة كسهولة حفظه وان كان يرجع اليه بوجه بعيد والا لم يعده الائمة من وجوه الاعجاز (فلا يجب ان يعد فنا مفردا في اعجازه) بل يجعل من توابعه اوثمراته (الا في باب تفصيل فنون البلاغة) يعني فيما منها كمشاكلة اجزائه وحسن التخلص فانه فن مفرد من البلاغة لا من الاعجاز فانه لا يتوقف عليه اذ من المعجز ما لا يكون فيه ذلك كسورة الاخلاص مثلا (وكذلك) اي من مثل المذكور (كثير مما قدمنا انه ذكرها عنهم) اي عن الائمة (يعد في خواصه وفضائله لا اعجازه) لانه لا مدخل له فيه (وحقيقته الاعجاز) عند من لم يقل بالصرفة انما هي (الوجوه الاربعة) التي قدمها المصنف رحمه الله تعالى اولا كما قال (التي ذكرنا فليعتمد عليها) في تحقيق الاعجاز وسبيل فهمها لمن اراد تحقيقه (وما بعدها) مما ذكر في هذا الكتاب فانما هو (من خواص القرآن) التي لا توجد في كلام غيره (وعجائبه التي لا تنقضي) اي لا تعد ولا تتناهى (وبالله التوفيق) اي ما التوفيق والهداية للوقوف على عجائبه التي لا تتناهى الا بالله وعنايته وفي بعض النسخ والله الموفق وفي حديث قدسي (من شغله القرآن عن دعائي ومسألتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين) اللهم فاجعله ربيع قلبي وشفاء همي وغمي بمعجزة القرآن التي هي اعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم بمعجزة اخرى عظيمة مناسبة له في انها سماوية ومعجزة علمية فقال فصل

تم الجلد الثاني من نسيم الرياض على الشفاء ويليه الجلد الثالث عنه تعالى